



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للعلوم



عيد ميلاد
عمر الکرمان

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir



١٣٩١

مجلس خبرگان

الاستفتاء الإيراني

والتشريع الإسلامي في إيران

مبدأ المرشدية

دراسة تحليلية شاملة للخضيرة والسيرة المحمدية:
في خلق أبعادها الاجتماعية والريالية والسياسية والعسكرية

بقلم

جعفر الهادي

الجزء الثاني

مركز الدراسات والبحوث الإسلامية
التي تأسست في إيران في شهر ربيع الأول سنة ١٤١٠ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سید المرسلین صلی اللہ علیہ و آلہ

کاتب:

جعفر سبحانی

نشرت فی الطباعة:

جامعه مدرسین حوزہ علمیہ قم، دفتر انتشارات اسلامی

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

٥	الفهرس
٢٥	سيدالمرسلين صلى الله عليه و آله المجلد ٢
٢٥	اشارة
٢٥	اشارة
٢٥	[المقدمة]
٢٥	مميزات النهضة الالهية و خصائصها خصيصة «الخلود» و العمق فى شخصية رسول الاسلام
٢٥	المصادر الاولى و الاصيلة للكتابة عن سيرة النبى:
٢٧	أئمة السيرة:
٢٨	حوادث السنة الأولى من الهجرة «١»
٢٩	اشارة
٢٩	أول عمل ايجابى للنبى فى المدينة عقد ميثاق تعايش بين المسلمين و غيرهم:
٣٠	مع عمار بن ياسر فى بناء المسجد النبوى:
٣٣	ضئر أراف من والده!!
٣٤	التأخى؛ أو أعظم معطيات الايمان:
٣٥	منقبتان عظيمتان:
٣٥	منقبة أخرى لعلى عليه السلام:
٣٦	معاهدة الدفاع المشترك بين المسلمين و يهود يثرب:
٣٦	أعظم معاهدة تاريخية:
٣٦	اشارة
٣٧	«البند الاول»
٣٨	«البند الثانى»
٣٩	«البند الثالث»
٣٩	«البند الرابع»

- ٤٠ ممارسات اليهود الإجهاضية:
- ٤٠ اسلام عبد الله بن سلام:
- ٤١ خطة أخرى للقضاء على الحكومة الإسلامية:
- ٤٣ حوادث السنة الثانية من الهجرة
- ٤٣ اشارة
- ٤٣ مناورات عسكرية و استعراضات حربية
- ٤٣ اشارة
- ٤٣ تهديد خطوط قريش التجارية
- ٤٣ غزوة بدر:
- ٤٥ النبي صلى الله عليه و آله يلاحق قريشا بنفسه:
- ٤٧ ما ذا كان الهدف من المناورات العسكرية؟
- ٤٨ نظرية المستشرقين:
- ٥٠ ٢٨ تحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة
- ٥٣ كرامة علمية لرسول الله صلى الله عليه و آله:
- ٥٤ ٢٩ معركة بدر
- ٥٤ اشارة
- ٥٥ النبي يتوجه الى منطقة ذفران «٢»:
- ٥٧ المشكلة التي كانت تواجهها قريش:
- ٥٨ النبي يعقد شورى عسكرية:
- ٥٨ إخفاء الحقائق و كتمانها:
- ٦٠ قرار الشورى الحاسم أو رأى زعيم الأنصار:
- ٦٠ تحصيل المعلومات حول العدو:
- ٦٢ كيف هرب أبو سفيان؟
- ٦٢ علم المسلمين بإفلات قافلة قريش:

- ٦٢ إختلاف قريش فى القتال:
- ٦٤ «العريش» أو غرفة القيادة:
- ٦٤ اشارة
- ٦٤ نظرة الى مسألة «العريش»:
- ٦٥ تحرك قريش باتجاه بدر:
- ٦٥ قريش تتشاور فى القتال:
- ٦٦ اختلف قادة قريش فى امر القتال:
- ٦٧ ما الذى حتم القتال؟
- ٦٨ المبارزات الفردية أولا:
- ٦٩ فأى القولين هو الأصح؟
- ٦٩ الهجوم العام:
- ٧٠ رعاية الحقوق:
- ٧١ مصرع أمية بن خلف:
- ٧١ خسائر بدر فى الأرواح و الاموال:
- ٧٢ ما أنتم باسمع منهم:
- ٧٢ الشعر يخلد هذه القصة:
- ٧٣ بعد معركة بدر:
- ٧٥ قتل أسيرين فى اثناء الطريق:
- ٧٥ بشائر النبى الى المدينة:
- ٧٦ المكثون يعرفون بمقتل أسيادهم:
- ٧٦ اشتراك العباس عم النبى فى بدر:
- ٧٧ المنع من النوح و البكاء فى مكة:
- ٧٧ القرار الأخير حول مصير الاسارى:
- ٧٩ رسول الاسلام و مكافحة الامية:

- ٧٩ كلام لابن أبي الحديد في المقام:
- ٨٠ القرآن يتحدث عن بدر:
- ٨٢ ٣٠ زواج سيده النساء فاطمة بنت رسول الله «١»
- ٨٢ اشارة
- ٨٣ مشاكل الزواج في العصر الحاضر:
- ٨٤ رسول الاسلام يكافح هذه المشاكل عمليا:
- ٨٤ اشارة
- ٨٦ جهاز فاطمة:
- ٨٧ مراسم الزواج تقام ببساطة:
- ٩٥ ٣١ جرائم «بني قينقاع»
- ٩٥ اشارة
- ٩٦ لهيب الحرب يبدأ من شرارة:
- ٩٩ تقارير جديدة تصل الى المدينة:
- ٩٩ ١- غزوة قرقر الكدر «١»:
- ٩٩ ٢- غزوة السويق:
- ١٠٠ ٣- غزوة ذي أمر:
- ١٠١ قريش تغير مسير تجارتها:
- ١٠٢ حوادث السنة الثالثة من الهجرة ٣٢ الدفاع عن الحزبة
- ١٠٢ اشارة
- ١٠٢ غزوة احد أو الدفاع عن الحزبة عند جبل احد:
- ١٠٢ اشارة
- ١٠٢ ١- سرية محمد بن مسلمة:
- ١٠٤ اغتيال مفسد آخر:
- ١٠٤ قريش تتكفل نفقات الحرب:

- ١٠٥ الاستخبارات ترفع تقريراً الى النبي:
- ١٠٦ جيش قريش يتحرك باتجاه المدينة:
- ١٠٦ منطقة «أحد»:
- ١٠٧ المشاورة في كيفية الدفاع:
- ١٠٨ المشاورات العسكرية:
- ١٠٨ الاقتراع من أجل الشهادة!!:
- ١٠٩ حصيلة الشورى:
- ١١٠ النبي يلبس لامه الحرب:
- ١١٠ النبي يخرج من المدينة:
- ١١١ جنديان فدائيان:
- ١١٣ العسكران يصطقان:
- ١١٤ رفع معنويات الجنود و تقوية عزائمهم:
- ١١٤ العدو ينظم صفوفه:
- ١١٥ الإثارة النفسية و إلهاب الحماس:
- ١١٦ القتال يبدأ:
- ١١٧ المقاتلون بدافع الشهوة!!:
- ١١٨ الهزيمة بعد الانتصار:
- ١١٩ شائعة مقتل النبي:
- ١٢٠ هل يمكن أن ينكر أحد فرار البعض؟
- ١٢٠ القرآن يكشف عن بعض الحقائق:
- ١٢٢ التجارب المرة:
- ١٢٣ خمسة يتحالفون على قتل النبي:
- ١٢٥ الدفاع الموفق أو النصر المجدد:
- ١٢٩ ٤- أمّ عمارة:

- ١٣٠ بقية واقعة «احد»:
- ١٣١ العدو يحاول استغلال الفرصة:
- ١٣٢ نهاية المعركة:
- ١٣٤ آخر ما نطق به سعد بن الربيع:
- ١٣٤ النبي يعود الى المدينة:
- ١٣٥ ذكريات مثيرة عن امرأة مؤمنة:
- ١٣٦ نموذج آخر من النسوة المجاهدات:
- ١٣٨ لا بد من ملاحقة العدو:
- ١٣٩ حمراء الأسد «٣»:
- ١٤٠ لا يخدع مؤمن مرتين:
- ١٤١ ميلاد الامام الحسن السبط:
- ١٤١ حوادث السنة الرابعة من الهجرة ٣٣ -
- ١٤١ فاجعة فريق المبلّغين «١»:
- ١٤١ اشارة
- ١٤١ خطه ما كره للفتك بالمبلّغين:
- ١٤٢ الغدر بالدعاة الى الإسلام و قتلهم:
- ١٤٥ جريمة بئر معونة:
- ١٤٥ كيد المستشرقين و جفاؤهم:
- ١٤٦ المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين:
- ١٤٧ ٣٤ غزوة «بنى النضير»:
- ١٤٧ اشارة
- ١٤٨ بما ذا يجب أن تقابل هذه الجريمة؟
- ١٤٩ المستشرقون و دموع التماسيح:
- ١٥٠ دور حزب النفاق أيضا:

- ١٥١ مزارع بنى النضير تقسم بين المهاجرين فقط: -
- ١٥٢ ٣٥ تحريم الخمر ذات الرقاع، بدر الصغرى -
- ١٥٣ ١- تحريم الخمر: -
- ١٥٣ اشارة -
- ١٥٥ وقفه عند «البيان الشافى»: -
- ١٥٦ رواية مختلقة: -
- ١٥٨ غزوة ذات الرقاع: -
- ١٥٨ اشارة -
- ١٥٩ مواقف خالدة فى هذه الغزوة: -
- ١٥٩ اشارة -
- ١٥٩ الحراس الصامدون: -
- ١٦٠ بدر الثانية: -
- ١٦٠ اشارة -
- ١٦١ ولادة السبط الأصغر لرسول الله: -
- ١٦١ حوادث السنة الخامسة من الهجرة «١»: -
- ١٦١ ٣٦ من أجل تحطيم التقاليد الخاطئة: -
- ١٦١ اشارة -
- ١٦٢ من هو زيد بن حارثة؟ -
- ١٦٢ زيد يتزوج بابنة عمه النبى: -
- ١٦٣ زيد يطلق زوجته: -
- ١٦٤ زواج النبى بمطلقة متبناه لابطال سنة جاهلية اخرى: -
- ١٦٤ اشارة -
- ١٦٦ المستشرقون و قضية تزوج النبى بزينا: -
- ١٦٦ اشارة -

- ١٦٧ و إليك أدلتنا:
- ١٦٨ توضيح عبارتين:
- ١٧١ ٢- غزوة الخندق (الأحزاب):
- ١٧١ إشارة
- ١٧٣ استخبارات المسلمين ترفع تقريراً للقيادة:
- ١٧٤ القول النبوية الخالدة في شأن سلمان:
- ١٧٥ مقاتلوا العرب و اليهود يحاصرون المدينة:
- ١٧٥ العدد الدقيق لقوات الطرفين:
- ١٧٦ خطر البرد، و تناقص الغذاء و العلف:
- ١٧٦ حبي بن أخطب يدخل حصن بني قريظة:
- ١٧٧ النبي يعرف بنقض بني قريظة للعهد:
- ١٧٨ تجاوزات بني قريظة الاولى:
- ١٧٩ الإيمان في مواجهة الكفر:
- ١٨٠ أبطال من العرب يعبرون الخندق:
- ١٨٢ تصاول البطلين:
- ١٨٣ قيمة هذه الضربة:
- ١٨٣ لما ذا التنكر لهذا الموقف؟
- ١٨٤ مروءة علي عليه السلام و شهامته:
- ١٨٥ جيش العرب يتفرق في موقفه:
- ١٨٦ العوامل التي فرقت كلمة «الاحزاب»:
- ١٨٧ مبعوثو قريش يمشون إلى بني قريظة:
- ١٨٧ آخر العوامل لهزيمة الكفار:
- ١٨٨ القرآن الكريم و معركة الاحزاب
- ١٩٠ ٣٨ سقوط آخر أوكار الفساد و المؤامرة

- ١٩٠ اشارة
- ١٩١ قوات الاسلام تحاصر بنى قريظة:
- ١٩٢ اليهود يتشاورون حول الموقف:
- ١٩٣ خيانة أبى لباية:
- ١٩٤ إلى أى مدى ذهب الطابور الخامس فى مشاغبته؟
- ١٩٦ تقييم ما استند إليه سعد فى حكمه:
- ١٩٨ حوادث السنة السادسة من الهجرة
- ١٩٨ ٣٩ أعداء الاسلام تحت المراقبة المشددة «١»
- ١٩٨ اشارة
- ٢٠٠ أهل الرأى من قريش يهاجرون الى الحبشة:
- ٢٠٠ الوقاية من تكرار التجارب المرة:
- ٢٠٢ النذر غير المشروع
- ٢٠٢ ٤٠ تمزد بنى المصطلق
- ٢٠٢ اشارة
- ٢٠٣ غزوة بنى المصطلق:
- ٢٠٤ منافق حاول إشعال الموقف:
- ٢٠٦ صراع بين الايمان و العاطفة:
- ٢٠٧ الزواج المبارك:
- ٢٠٧ الفاسق يفتضح:
- ٢٠٨ ٤١ قصة الإفك
- ٢٠٨ اشارة
- ٢٠٩ المنافقون يتهمون شخصا نقتى الجيب:
- ٢٠٩ اشارة
- ٢٠٩ دراسة القول الأول:

- ٢١٠ أبرز النقاط في آيات «الإفك».
- ٢١١ الزوائد في هذه القصة:
- ٢١١ اشارة
- ٢١١ ١- منافاتها لمقام النبوة و العصمة صلى الله عليه و آله:
- ٢١٢ ٢- سعد بن معاذ توفي قبل حادثه «الإفك»:
- ٢١٣ الرواية الاخرى في سبب النزول:
- ٢١٤ ٤٢ رحلة سياسيه دينيه [قصة الحديدية]
- ٢١٤ اشارة
- ٢١٧ مندوبو قريش عند النبي صلى الله عليه و آله:
- ٢١٨ رسول الله يبعث مندوبا الى قريش:
- ٢١٩ النبي يبعث سفيرا آخر الى قريش:
- ٢٢٠ بيعه الرضوان:
- ٢٢٠ سهيل بن عمرو يفاوض رسول الله:
- ٢٢٢ التاريخ يعيد نفسه:
- ٢٢٣ نص صلح الحديدية:
- ٢٢٣ نشيد الحريه:
- ٢٢٤ آخر الجهود للحفاظ على عمليه الصلح:
- ٢٢٥ و القصة التاليه تشهد بما نقول:
- ٢٢٦ تقييم عاجل لصلح الحديدية:
- ٢٢٨ قريش تصر على إلغاء أحد بنود المعاهدة:
- ٢٢٩ النساء المسلمات لا يسلمن إلى قريش:
- ٢٣٠ حوادث السنه السابعه من الهجره
- ٢٣٠ ٤٣ النبي يعلن عن رسالته العالميه
- ٢٣٠ اشارة

- ٢٣١ الرسالة المحمدية كانت عالمية: «١»
- ٢٣١ اشارة
- ٢٣٢ آيات تدل على عالمية الرسالة المحمدية:
- ٢٣٣ رسل الاسلام الى المناطق النائية:
- ٢٣٣ اشارة
- ٢٣٣ أوضاع العالم أيام إبلاغ الرسالة العالمية:
- ٢٣٤ رسول النبي صلى الله عليه و آله في أرض الروم:
- ٢٣٤ اشارة
- ٢٣٥ قيصر يحقق حول النبي:
- ٢٣٧ أثر رسالة النبي إلى قيصر:
- ٢٣٧ سفير النبي في البلاط الإيراني:
- ٢٣٧ اشارة
- ٢٣٩ نظرية اليعقوبي:
- ٢٣٩ أوامر «خسرو» إلى واليه على اليمن:
- ٢٤١ سفير النبي في أرض مصر:
- ٢٤١ اشارة
- ٢٤٢ المقوقس يكتب كتابا الى النبي:
- ٢٤٣ المغيرة بن شعبه في البلاط المصري:
- ٢٤٤ سفير النبي صلى الله عليه و آله في أرض الذكريات «الحبشة»:
- ٢٤٤ اشارة
- ٢٤٦ محاوره سفير النبي و حاكم الحبشة:
- ٢٤٦ رسالة النجاشي إلى رسول الله صلى الله عليه و آله:
- ٢٤٦ تقييم سريع لمراسلة النبي صلى الله عليه و آله قادة العالم:
- ٢٤٨ كتاب رسول الله الى أمير الغساسنة (بالشام):

- ٢٤٩ سادس السفراء فى أرض اليمين:
- ٢٥٠ رسائل اخرى لرسول الله صلى الله عليه و آله:
- ٢٥١ ٤٤ قلعة خيبر أو بؤرة الخطر [غزوة خيبر]
- ٢٥١ اشاره
- ٢٥٣ احتلال النقاط و الطرق الحساسة ليلا:
- ٢٥٤ متاريس اليهود تتهاوى:
- ٢٥٥ التقوى فى ظروف المخصصة الشديدة:
- ٢٥٦ فتح الحصون الواحد تلو الآخر:
- ٢٥٨ الانتصار الكبير فى خيبر:
- ٢٥٩ تحريف الحقائق:
- ٢٦١ ثلاث نقاط مشرفة فى حياة على عليه السلام:
- ٢٦٢ عوامل الانتصار:
- ٢٦٢ اشارة
- ٢٦٢ ١- التخطيط و التكتيك العسكرى الدقيق:
- ٢٦٣ ٢- تحصيل المعلومات حول العدو:
- ٢٦٤ ٣- تفانى امير المؤمنين:
- ٢٦٤ الرحمة فى ساحة القتال:
- ٢٦٥ مصرع كنانة بن الربيع:
- ٢٦٥ تقسيم غنائم الحرب:
- ٢٦٦ قافلة من أرض الذكريات:
- ٢٦٧ حجم الخسائر و عدد القتلى:
- ٢٦٧ العفو بعد الانتصار:
- ٢٦٨ سلوك اليهود المتعجرف:
- ٢٧٠ حيلة مجازة:

- ٢٧١ ٤٥ قصة فذك
- ٢٧١ اشارة
- ٢٧٢ حكم الاراضى المفتوحة بلا قتال:
- ٢٧٤ قصة فذك بعد رسول الله صلى الله عليه و آله:
- ٢٧٦ فذك فى محكمة التاريخ:
- ٢٧٦ السيطرة على وادى القرى:
- ٢٧٦ ٤٦ عمرة القضاء «١»
- ٢٧٦ اشارة
- ٢٧٨ النبى يدخل مكة:
- ٢٨٠ النبى يغادر مكة:
- ٢٨١ احداث السنة الثامنة من الهجرة
- ٢٨١ ٤٧ معركة مؤتة
- ٢٨١ اشارة
- ٢٨٢ حادثة أفجع من السابقة:
- ٢٨٣ خلاف حول من هو الامير الاول؟
- ٢٨٤ جيشا الروم و الاسلام يتواجهان:
- ٢٨٦ حيرة المقاتلين المسلمين بعد مقتل القادة:
- ٢٨٧ الجنود يعودون الى المدينة:
- ٢٨٧ اسطورة بدل التاريخ الصحيح:
- ٢٨٨ النبى يبكى بشدة لمقتل جعفر:
- ٢٨٨ ٤٨ غزوة ذات السلاسل
- ٢٨٩ اشارة
- ٢٩٠ تفاصيل هذه الغزوة:
- ٢٩١ الامام على ينتدب لقيادة العملية:

- ٢٩١ اشارة
- ٢٩٢ عوامل انتصار الامام علي في هذه الموقعة:
- ٢٩٣ اعتراض و جواب
- ٢٩٤ ٤٩ فتح مكة
- ٢٩٤ اشارة
- ٢٩٤ تفاصيل فتح مكة:
- ٢٩٦ قريش تتوجس خيفة من رد النبي:
- ٢٩٨ جاسوس يكتشف!
- ٣٠١ النبي يتحرك باتجاه مكة:
- ٣٠٢ العفو عند المقدرة:
- ٣٠٤ تكتيك رائع لجيش الاسلام:
- ٣٠٥ العباس يصطحب ابا سفيان إلى خيمة النبي:
- ٣٠٦ أبو سفيان بين يدي رسول الله صلى الله عليه و آله:
- ٣٠٧ مكة تستسلم من دون إراقة دماء:
- ٣٠٩ أبو سفيان يرجع إلى مكة:
- ٣١٠ القوات الاسلامية تدخل مكة:
- ٣١١ كسر الاصنام و غسل الكعبة:
- ٣١٢ علي عليه السلام على كتف النبي:
- ٣١٤ النبي يعلن عن العفو العام:
- ٣١٤ بلال يرفع الأذان على سطح الكعبة:
- ٣١٥ النبي يتحدث إلى أقاربه:
- ٣١٥ خطاب النبي التاريخي في المسجد الحرام:
- ٣١٥ اشارة
- ٣١٦ ١- التفاخر بالنسب:

- ٣١٧ ٢- التفاضل بالقومية العربية:
- ٣١٧ ٣- لجميع أبناء البشر لا لبعض دون بعض:
- ٣١٧ ٤- الحروب الطويلة و الاحقاد القديمة:
- ٣١٨ ٥- الاخوة الاسلامية:
- ٣١٨ معاقبة المجرمين:
- ٣١٨ اشارة
- ٣١٩ قصة عكرمة و صفوان:
- ٣٢٠ ١- مبايعة النبي نساء مكة:
- ٣٢١ هدم بيوت الاصنام بمكة و ما حولها:
- ٣٢٢ جرائم اخرى لخالد:
- ٣٢٣ ٥٠ معركة حنين
- ٣٢٣ اشارة
- ٣٢٤ جيش قليل النظير:
- ٣٢٤ تحصيل المعلومات العسكرية:
- ٣٢٥ تجهيزات المسلمين:
- ٣٢٦ استقامة النبي و من ثبت من أصحابه:
- ٣٢٧ غنائم الحرب:
- ٣٢٧ لقطتان من الخلق النبوي العظيم:
- ٣٢٨ ٥١ غزوة الطائف
- ٣٢٨ اشارة
- ٣٢٩ شذخ جدار الحصن بالمنجنيق:
- ٣٣٠ ضغوط اقتصادية و نفسية:
- ٣٣١ آخر محاولة لفتح حصن الطائف:
- ٣٣١ جيش الاسلام يعود الى المدينة:

- ٣٣٢ حوادث ما بعد الحرب:
- ٣٣٢ اشارة.....
- ٣٣٤ ٢- اسلام مالك بن عوف:
- ٣٣٥ ٣- تقسيم الغنائم:
- ٣٣٧ رسول الله يعتمر:
- ٣٣٧ ٥٢ لامية كعب بن زهير المعروفة «بانة سعاد...»
- ٣٣٧ اشارة.....
- ٣٣٨ قصة كعب بن زهير بن أبي سلمى:
- ٣٤٠ حزن قارن فرحا:
- ٣٤٠ حوادث السنة التاسعة من الهجرة.....
- ٣٤٠ ٥٣ على بن أبي طالب في أرض طي (٢) إسلام عدى بن حاتم:
- ٣٤٠ اشارة.....
- ٣٤٢ هدم بيوت الاصنام:
- ٣٤٣ على في أرض طي:
- ٣٤٥ ٥٤ غزوة تبوك
- ٣٤٥ اشارة.....
- ٣٤٦ تعبئة المقاتلين و تهيئة نفقات الحرب:
- ٣٤٦ المتخلفون عن القتال:
- ٣٤٧ اكتشاف شبكة جاسوسية في المدينة:
- ٣٤٨ عدم مشاركة «علي» في غزوة تبوك:
- ٣٤٩ جيش الاسلام يتحرك نحو تبوك:
- ٣٥٠ النبي صلى الله عليه و آله يستعرض جيشه:
- ٣٥٠ قصة مالك بن قيس:
- ٣٥١ مصاعب الطريق:

- ٣٥٢ تعليمات احتياطية:
- ٣٥٢ علم رسول الله بالمغيبات:
- ٣٥٣ إخباره بمغيب آخر:
- ٣٥٤ جيش الإسلام فى أرض تبوك:
- ٣٥٤ بعث خالد إلى دومة الجندل:
- ٣٥٧ تقييم إجمالى لغزوة تبوك:
- ٣٥٧ المنافقون يخططون لاغتيال النبى:
- ٣٥٨ النية تقوم مقام العمل:
- ٣٥٩ أخذ المتخلفين بالعقاب النفسى:
- ٣٦٠ قصة مسجد الضرار:
- ٣٦٢ ٥٥ وفد ثقيف فى المدينة
- ٣٦٢ اشارة
- ٣٦٢ وقوع الفرقة و الاختلاف فى قبيلة ثقيف:
- ٣٦٣ وفد ثقيف:
- ٣٦٤ شروط وفد ثقيف:
- ٣٦٥ ٥٦ إعلان البراءة من المشركين فى منى
- ٣٦٥ اشارة
- ٣٦٨ تعصب بغيض فى تحليل هذا الحدث:
- ٣٦٩ حوادث السنة العاشرة من الهجرة
- ٣٦٩ ٥٧ فى رثاء الولد العزيز
- ٣٦٩ اشارة
- ٣٧٠ اعتراض غير وجيه:
- ٣٧١ مكافحة الخرافات:
- ٣٧٢ ٥٨ وفد نجران فى المدينة

- ٣٧٢ اشارة
- ٣٧٤ مفاوضات وفد نجران مع النبي:
- ٣٧٥ خروج النبي للمباهلة:
- ٣٧٦ انصراف وفد نجران عن المباهلة:
- ٣٧٦ صورة العهد النبوي لأهل نجران:
- ٣٧٧ اكبر فضيلة:
- ٣٧٧ ٥٩ تاريخ المباهلة عاما و شهرا و يوما
- ٣٧٧ اشارة
- ٣٧٨ عام المباهلة حسب المشهور:
- ٣٧٨ الشهر و اليوم الذي وقعت فيه المباهلة:
- ٣٧٩ رأينا حول عام المباهلة:
- ٣٨٠ زمن المباهلة يوما و شهرا:
- ٣٨٣ هل كانت قضية المباهلة في السنة التاسعة؟
- ٣٨٤ ٦٠-١ تقييم البراءة من المشركين ٢- وفود القبائل في المدينة
- ٣٨٤ اشارة
- ٣٨٥ محاولة اغتيال النبي:
- ٣٨٥ أمير المؤمنين في ربوع اليمن:
- ٣٨٧ ٦١ حجة الوداع
- ٣٨٧ اشارة
- ٣٨٩ الامام على يعود من اليمن:
- ٣٩٠ مراسم الحج تبدأ:
- ٣٩٠ خطاب النبي التاريخي في حجة الوداع:
- ٣٩٣ ٦٢ إكمال الدين الإسلامي بتعيين الخليفة
- ٣٩٣ اشارة

- ٣٩٤ اقتضاء المحاسبات الاجتماعية فى مسألة الخلافة:
- ٣٩٤ اشارة
- ٣٩٦ ١- النبوة و الامامة توأمان:
- ٣٩٧ ٢- قصة الغدير:
- ٣٩٧ اشارة
- ٣٩٩ واقعة الغدير خالدة الى الأبد:
- ٤٠٠ الدلائل الاخرى على أبدية الغدير:
- ٤٠٢ ٦٣ (١) ١- المتنبئون كذبا «١» [أدعاء النبوة] ٢- التفكير فى أمر الروم
- ٤٠٢ اشارة
- ٤٠٣ لمحة عابرة عن هوية مسيلم:
- ٤٠٤ التفكير فى أمر الروم:
- ٤٠٧ الاعذار غير المقبولة:
- ٤٠٨ الاستغفار لأهل البقيع:
- ٤٠٩ حوادث السنة الحادية عشرة من الهجرة
- ٤٠٩ ٦٤ الكتاب الذى لم يكتب
- ٤٠٩ اشارة
- ٤٠٩ ايتونى بقلم و قرطاس:
- ٤١٢ ما ذا كان الهدف من الكتاب؟
- ٤١٣ لما ذا لم يصّر النبى فى كتابه الكتاب؟
- ٤١٣ ملافاة الأمر و تداركه:
- ٤١٤ تقسيم الدنانير:
- ٤١٥ غضب النبى من الدواء الذى سقى:
- ٤١٥ وداع النبى مع أهله:
- ٤١٦ ٦٥ اللحظات الأخيرة

- ٤١٦ اشارة
- ٤١٦ النبي يتحدث مع ابنته الزهراء:
- ٤١٧ مسواك النبي قبيل وفاته:
- ٤١٨ وصايا النبي صلى الله عليه و آله قبيل رحيله:
- ٤١٩ يوم الوفاة:
- ٤٢٠ الفهارس
- ٤٢٠ اشارة
- ٤٢١ (١) فهرس الآيات القرآنية
- ٤٢٤ (٢) فهرس الأحاديث الشريفة
- ٤٣٢ (٣) فهرس الأشعار
- ٤٣٤ (٤) فهرس الأعلام
- ٤٤٨ (٥) فهرس القبائل و الامم
- ٤٥١ (٦) الكنى و الألقاب
- ٤٥٤ (٧) فهرس الوقائع و الايام
- ٤٥٥ (٨) فهرس الأماكن و البلدان
- ٤٥٩ (٩) فهرس المذاهب و الأديان و نظم الحكم
- ٤٦٠ (١٠) فهرس الموضوعات العلمية المبحوثة ضمنا
- ٤٦٠ (١١) فهرس المصادر
- ٤٦٧ (١٢) فهرس المواضيع
- ٤٧٧ تعريف مركز القائمية باصفهان للتمريات الكمبيوترية

سيد المرسلين صلى الله عليه وآله المجلد ٢

إشارة

- سرشناسه : سبحانى تبريزى، جعفر، ١٣٠٨ -
 عنوان و نام پديد آور : سيد المرسلين صلى الله عليه وآله / تاليف جعفر سبحانى.
 مشخصات نشر : [قم]: الجماعه المدرسين فى الحوزه العلميه بقم، موسسه النشر الاسلامى، ١٤١٢ق = ١٣٧٠ -
 فروست : موسسه النشر الاسلامى التابعه لجماعه المدرسين بقم المشرفه؛ ٣٩٠، ٣٩١.
 شابك : دوره ٠-٣٩٦-٤٧٠-٩٦٤ ؛ ٢٨٠٠٠ ريال: ج. ٨١-٧١٦-٤٧٠-٩٦٤ ؛ ٤٥٠٠٠ ريال (ج. ١، چاپ دوم)
 وضعيت فهرست نويسى : فيبا
 يادداشت : ج. ١ (چاپ دوم: ١٤٢٧ق. = ١٣٨٥).
 يادداشت : كتابنامه.
 شناسه افزوده : جامعه مدرسین حوزه علمیه قم. دفتر انتشارات اسلامی
 رده بندى كنكره : BP٢٢/٩/س٢س ٩ ١٣٧٠
 رده بندى ديويى : ٢٩٧/٩٣
 شماره كتابشناسى ملى : ٧١-١١٤٦

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[المقدمة]

مميزات النهضة الالهية و خصائصها خصيصة «الخلود» و العمق فى شخصية رسول الاسلام

المصادر الاولى و الاصيله للكتابة عن سيره النبى:

تشبه نهضة «الأنبياء» الالهية التى قام بها رسل الله و سفرأوه لتخليص البشرية من براثن الأوهام، و الخرافات، و لانقاذها من جور المستكبرين و ظلم الظالمين أكثر شىء بأموج البحر التى تبدأ بدوائر صغيرة محدودة، و لكنها كلما ابتعدت عن مركز الدائرة ازدادت اتساعا و اتساعا، و اشتدت قوتها اكثر فاكثر.
 إن الانقلاب المعنوى العريض و التحول الروحى العظيم الذى وضعت اسسه فى أرض مكة على يدى رسول الاسلام العظيم أضاء بشعاعه و نوره الباهر فى اليوم الاوّل غار حراء و ثم منزل خديجة و بعض البيوت المتواضعة فى مكة فقط، و لكنه اتسع نطاقه بمرور الزمان، حتى عمّ فى مدة ليست بالطويلة شرق الارض و غربها، و دوى نداء التوحيد فى منطقة واسعة جدا من العالم (ابتداء من فرنسة و انتهاء بجدار الصين و ما وراءه) «١».

(١) لقد كتبت هذه المقدمة و ما بعده خلال تواجدى فى الصين عام ١٤٠٨ و قد جئت إليها فى مهمة استطلاعية و تبليغية اسلامية، و قد زرت فى نفس الفترة التى كنت فيها مشتغلا بكتابة هذه المقدمة المسجد الجامع فى - بكين - العاصمة، و التقيت بامام ذلك

المسجد الذي رُحِبَ بي و بمن كان معي أشد ترحيب، و اتحنى بنسخة من ترجمه القرآن الكريم باللغة الصينية، وزرت خلال وجودي في ذلك المسجد قبر رجلين مسلمين من ايران أحدهما تاجر، و الآخر عالم جاء إلى الصين في القرن السادس الهجري، و نشر الاسلام في بكين و ما حولها، و قد نصبت عند قبرهما لوحتان من المرمر نقش عليهما اسمهما، و خصوصياتهما بالاحرف العربية. و هناك تذكرت حديث رسول الله صلى الله عليه وآله «اطلبوا العلم و لو بالصين».

قلت في نفسي: لعل رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقصد فيما يقصد في هذا الحديث دفع

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٠

إن مؤسسى هذا النوع من النهضات الدينية «١» يتمتعون- من حيث الاخلاق و الفضائل الانسانية- بخصيصة الخلود و اللانهاية فان الزمن يكشف باستمرار عن أبعاد أوسع و آفاق جديدة من شخصياتهم فهي تتسع كلما تقادم بها العهد تماما كأموال البحر، و كأن الأنبياء نسخة ثانية من الطبيعة، فكما أننا كلما أمعنا أكثر في الطبيعة ظهرت لنا منها حقائق أكثر، و انكشفت لنا رموز و أسرار جديدة لم نعهدها من قبل فهكذا شخصيات الأنبياء و المرسلين، و سفراء الله الى البشرية.

و تتجلى هذه الحقيقة أكثر- فأكثر كلما تعاضمت شخصيته من تلك الشخصيات-.

و خلاصة القول أننا كلما ازدادنا تعمقا و امعانا فيهم. اكتشفنا أسراراً كثيرة، و حقائق جديدة عن حياتهم.

و يدل على كلامنا هذا تلك المؤلفات الكثيرة الوافرة التي كتبها علماء التاريخ و أصحاب السير، قديما و حديثا، حول رسول الاسلام العظيم صلى الله عليه وآله و لكن مع ذلك كله كلما تقادم العهد به، و كلما اتسعت النظرات و ازدادت عمقا

المسلمين إلى نشر مبادئ الاسلام في تلك البلاد العريضة التي تضم خمس سكان العالم.

و قد قام المسلمون الغيارى على دينهم، الحريصون على نشره و بثه بهذه المهمة فيما سبق و أدوا ما كان عليهم. فما ذا فعلنا نحن؟

و هل ترى يجوز أن يجهل خمس سكان العالم دين الله، و لا ينعموا بخيراته؟!!

أم هل ترى يجوز في شريعة الانصاف أن يعانى ذلك الشعب الكبير من الاباطرة الطغاة في الماضى، و من الانظمة و الايديولوجيات الجائرة الملحدة في الحاضر، هذا و النبى صلى الله عليه وآله كان يحرص على هداية فرد واحد، و القرآن يقول: «من احياها فكأنما أحيى الناس جميعا»؟؟

هل خصصت نهضة الأنبياء الالهية برقعة صغيرة من الارض هي الجزيرة العربية، و ما حولها؟ أم أنها رحمة للعالمين جميعا؟

سؤال نظرحه على ابناء الاسلام دعاة و رعايا، حكومات و شعوبا لعلهم يتفكرون؟ (جعفر الهادى).

(١) المقصود من الدين هو المنهاج الواسع الشامل الذى يتكفل سعادة البشرية في الحياتين الدنيا و الأخرى و ليس مجرد سلسلة من الطقوس الفارغة الخاوية كما هو الحال في المسيحية الحاضرة.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥

اكتشف المحققون مزيدا من الآفاق، و جديدا من الابعاد في هذه الشخصية الإلهية.

و لقد كان تعاطى السيرة النبوية و الحديث حولها في البداية منحصرا (أو بالاحرى مقتصر) على مشاهدات أصحاب النبى صلى الله عليه وآله و مسموعاتهم.

و مع ظهور جيل جديد يدعى بالتابعين بعد وفاة النبى صلى الله عليه وآله اتخذت الاحاديث و السنن الاسلامية، و تفاصيل الحياة النبوية، و قصص غزواته و حروبه رونقا جديدا، و أحسّ الجيل الجديد برغبة شديدة في أخذ الاحاديث الاسلامية، و التعرف على الحوادث التي وقعت في عصر النبى صلى الله عليه وآله، و أيام حياته من مولده إلى وفاته.

و كلما ازدادت حالات الوفاة، فى أوساط الصحابة و التابعين الذين كانوا يشكلون المنبع الأول و المصدر الأصيل لهذا النوع من العلوم

الاسلامية، اتسع الاهتمام بالسيره و ما شابهها و تعاضمت الرغبة فيها و تزايد عطش المسلمين إلى اخذ و معرفة الأحاديث التي تتضمن بيان خصوصيات حياة رسول الاسلام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله، و جزئيات سيرته الطاهرة. هذا من جانب. و من جانب آخر كان تشدد الخليفة الثاني «١»، و منعه عن كتابة أحاديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله قد أوجب أن يندثر كثير من الأحاديث الاسلامية، التي سمعها بعض أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله و تدفن تحت التراب بموتهم. و لقد استمر منع الخليفة عن كتابة الحديث النبوي و بقي سارى المفعول لمدة طويلة بعد وفاته «٢»، حتى أتى الى الحكم خليفة معتدل السيرة من الأمويين هو:

«عمر بن عبد العزيز» فأمر - في رسالته ووجهها الى أبي بكر بن حزم حاكم المدينة

(١) تقييد العلم: ص ٤٨-٥٣.

(٢) لم يترك نهى الخليفة أى أثر على علماء الشيعة الذين كانوا يتبعون عليا عليه السلام، فقد عمدوا في فترة محدودة الى تدوين و ضبط الأحاديث، و حفظوا كنوزا عظيمة من علوم اهل البيت النبوي، للتوسع في هذا المجال راجع كتاب «تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام».

سيد المرسلين، ج ٢، ص ٦:

و قاضيتها - بكتابة احاديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله خوفا من اندراس العلم و زواله «١».

أنمة السيرة:

و من حسن الحظ أن الخليفة الثاني لم يمنع إلّا من تدوين و كتابة الأحاديث النبوية، فلم يشمل هذا المنع كتابة الحوادث و الوقائع التي وقعت في عصر الرسالة.

و لهذا ألفت في تلك الفترة كتب كثيرة عن حياة رسول الاسلام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله و سلم، و أوّل من كتب حول وقائع عصر الرسالة، و أرخ حوادث الصدر الأوّل من الاسلام هو: «عروة بن الزبير بن العوام» الصحابي المعروف الذي توفي عام ٩٢ أو ٩٦ من الهجرة «٢»

ثم عمد بعد جماعة في المدينة و آخرون في البصرة الى جمع و تدوين تفاصيل السيرة، و حروب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله و غزواته، و بيان هذا الأمر على نحو التفصيل خارج عن نطاق هذه الدراسة.

و لقد كانت هذه الكتب و المؤلفات هي المنبع و الاساس للكتب التي دوّنت فيما بعد في صورة كتب السيرة النبوية، أو تاريخ الاسلام.

و قد بدأ تدوين سيرة النبي الاكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله بشكل جميل و بصورة بدیعة منذ أوائل المنتصف الثاني من القرن الثاني الاسلامي، و كان من بين من قام بجهد مشرف و مشكور في هذا المجال العالم الشيعي الكبير محمد بن اسحاق المتوفى عام ١٥١ فهو أول من استخرج تفاصيل الوقائع الاسلامية من كتب الماضين، و من

(١) ارشاد السارى في شرح صحيح البخارى: ج ١ ص ١٩٥ و ١٩٦.

(٢) تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام: ص ٢٣٣.

اختلفت الاقوال في من هو أول من صنف في علم المغازي و السير في الاسلام.

فقال السيوطي في كتاب الاولييات بأنه عروة بن الزبير.

و قال الافندى فى كشف الظنون أنه محمد بن اسحاق.

و الحق انه لا الاول و لا الثانى بل عبيد الله بن أبى رافع فانه تقدمهما فى التصنيف فى السير و المغازى.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧

ثنايا رواياتهم و منقولاتهم و ألفها و اخرج شيئاً جامعاً حول السيرة النبوية إلى عالم الكتب و المؤلفات.

كما أن أول من ضبط و دون غزوات رسول الاسلام بشكل مفصل هو الواقدي صاحب «المغازى» و «فتوح الشام» المتوفى عام ٢٠٧ هـ (١).

و قد لخصت سيرة ابن اسحاق على يد ابن هشام أبى محمد عبد الملك المتوفى عام ٢١٨ هـ و عرفت فيما بعد بسيرة ابن هشام (أو السيرة الهشامية) و هو الآن معدود من مصادر التاريخ الاسلامى و سيرة النبى الاكرم صلى الله عليه و آله الموثقة.

و لو أننا تجاوزنا هذه الشخصيات لكان لشخصيتين اخريين سهم كبير فى تدوين و تسجيل تاريخ حياة رسول الاسلام، و هما: ١- محمد بن سعد الكاتب الواقدي المتوفى عام ٢٣٠ هـ مؤلف «الطبقات الكبرى» الذى أورد فيه سيرة النبى الاكرم صلى الله عليه و آله و أصحابه على نحو التفصيل.

و قد طبع هذا الكتاب فى لندن مؤخرًا، كما اعيد طبعه فى لبنان فى ٩ مجلدات.

٢- محمد بن جرير الطبرى المتوفى عام ٣١٠ هـ مؤلف كتاب «تاريخ الامم و الملوك».

على أن تثنى جهود هذه الثلة من الكتّاب و المؤلفين لا- يعنى بالضرورة أن كل ما أدرجه فى مؤلفاتهم هو الثابت الصحيح، بل تحتاج مؤلفاتهم- كغيرها من المؤلفات، و الكتب- إلى التحقيق الواسع و التمحيص الدقيق. ثم ان حركة التأليف حول شخصية رسول الاسلام صلى الله عليه و آله

(١) عدّ الشيخ الطوسى فى رجاله ابن اسحاق من تلامذة الامام جعفر الصادق عليه السلام، و توجد نسخة خطية من سيرته فى مكتبة مدرسة الشهيد المطهرى بطهران حسب ما كتب صاحب الذريعة فى ج ١٢ ص ٢٨١ فيها.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٨

و سيرته استمرت بعد ذلك طيلة القرون الاسلامية اللاحقة. و نحن اليوم أمام مكتبة زاخرة من الكتب، و الدراسات، المختلفة فى أحجامها و مستوياتها، و المتنوعه فى طرائقها و أساليبها، التى ألفت حول رسول الله صلى الله عليه و آله و هذا إنما يدل على خصيصه العمق و اللانهاية التى اتسمت بها شخصية النبى صلى الله عليه و آله الخالدة العظيمة.

و قد أراد صاحب هذه الدراسة أن يقدم للجيل الحاضر شرحاً ناطقاً عن حياة رسول الاسلام العظيم، فى حدود ما تسمح به إمكاناته المحدودة، و لم يأل جهداً- لتحقيق هذا الهدف على وجه أفضل- فى مراجعة كتب الفريقين المعترين، و ان اكتفى بذكر عدد قليل من المصادر عند التأليف، و قد بينا عذرنا من هذا فى الجزء الأول من هذه الدراسة.

و لقد تناول الجزء الأول من هذا الكتاب حوادث مكة من بدء نشأتها إلى نهاية السنوات الثلاث عشرة الاولى من عصر الرسالة أى ما قبل الهجرة، و ها هو الجزء الثانى و هو يتناول حوادث العشر سنوات للهجرة الشريفة، و من الله التوفيق.

قم المقدسة- الحوزة العلمية

جعفر السبحانى

٢١ شعبان ١٣٩٢ هـ

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٩

إشارة

(١) ٢٦

أول عمل إيجابى للنبي في المدينة عقد ميثاق تعايش بين المسلمين وغيرهم:

حملت وجوه فتية الانصار المستبشرة، المبتهجة، بمقدم رسول الله صلى الله عليه وآله والاستقبال العظيم الذى قام به أغلبية الأوسيين والخزرجيين له حملته صلى الله عليه وآله، على أن يعمد قبل أى شىء إلى تأسيس مركز عام لتجمع المسلمين فيه فى الأوقات المختلفة، وللقيام بالاعمال التربوية و التثقيفية، و السياسية و العسكرية فى رحابه.

كما أن عبادة الله الواحد تقع فى طليعة البرامج التى جاء بها رسول الاسلام و لذا رأى من اللازم أن يعمد قبل أى عمل آخر الى بناء معبد للمسلمين حتى يتسنى لهم أن يعبدوا الله و يذكروه فيه فى أوقات الصلوات.

أجل كانت الحاجة إلى مثل هذا المركز شديدة فلا بد من مكان ليجمع اعضاء حزب الاسلام (حزب الله) كل اسبوع فى يوم معين فيه، و يتشاوروا فى

(١) لا بد أنك أيها القارئ الكريم تتذكر جيدا أننا قصدنا من السنة الاولى للهجرة الاشهر العشرة المتبقية التى قضى رسول الله شهرين منها فى مكة و حطّ فى الباقي من شهرها الثالث (أى ربيع الاول) على أرض يثرب، بناء على هذا تكون السنة الاولى من الهجرة تسعة أشهر فقط، و تبدأ السنة الهجرية الثانية من شهر محرم الحرام (و ليس من اثنى عشر ربيع الاول).

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٠

شئون الاسلام و المسلمين و مصالحهم، و ليجمع فيه عامة المسلمين مضافا إلى هذا اللقاء الاسبوعى مرتين كل عام لأداء صلاة العيد، فكان المسجد الذى بناه كأول عمل قام به بعد قدومه المدينة.

(١) فلم يكن المسجد على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله للعبادة فقط بل كانت تلقى فيه كل أنواع العلوم و المعارف الاسلامية الشاملة للأموال التربوية و غيرها.

لقد كان يعلم فيه كل التعاليم و المواد الدينية و العلمية، حتى الأمور المرتبطة بالقراءة و الكتابة.

و قد بقيت أغلب المساجد على هذا المنوال حتى مطلع القرن الرابع الهجرى الاسلامى، فقد كانت فى غير أوقات الصلاة تتحول الى مراكز لتدريس العلوم المتنوعة «١».

(٢) و ربما اتخذ مسجد المدينة صورة المركز الأدبى، عند ما كان يلقي فيه كبار فصحاء العرب و بلغاؤهم قصائدهم المنسجمة مع التعاليم الاخلاقية و المعايير الاسلامية بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله كما فعل «كعب بن زهير» إذ ألقى قصيدته المعروفة «بانت سعاد» عند النبي صلى الله عليه وآله فى المسجد، و أعطاه النبي الكريم صلى الله عليه وآله صلوة جديده، و خلع عليه بخلعة عظيمة «٢».

أو كما كان يفعل «حسان بن ثابت» الذى كان يدافع بشعره عن حوزة الاسلام و المسلمين اذ كان يلقي بعض قصائده فى المسجد عند رسول الله صلى الله عليه وآله.

(١) راجع صحيح البخارى: ج ١ كتاب العلم، بل حتى عند فصل المراكز العلمية عن المساجد فى ما بعد، بقيت المدارس تبنى و تشيد الى جانب المساجد فكان هذا العمل يجسد الصلة الوثيقة بين العلم بالدين.

(٢) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٥٠٣ قال أنشد كعب بن زهير رسول الله صلى الله عليه وآله في المسجد: بانت سعاد.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١١

(١) ولقد كانت مجالس الدرس والتعليم في مسجد المدينة على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله تتسم بروعة كبيرة بحيث عند ما شاهد وفد ثقيف مشهدا من مشاهدها انبهروا به، و عجبوا بشدة لاهتمام المسلمين بتعلم الاحكام و اكتساب المعارف و العلوم «١». كما انه كانت تمارس الامور القضائية و الفصل بين الخصومات، و اصدار الحكم على المجرمين في المسجد، فكان المسجد يومذاك بمنزلة محكمة (بكل معنى الكلمة) أى أنها تقوم بكل ما تقوم بها المحاكم اليوم. هذا مضافا إلى أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يلقي خطبه الحماسية و الجهادية لتعبئة المسلمين من أجل مجاهدة الكفار و المشركين في المسجد.

(٢) ولعل من حكمة الاجتماع في المسجد لاجل تحصيل المعارف و تعلم العلوم هو أن رسول الله صلى الله عليه وآله أراد بذلك أن يثبت عمليا أن العلم و الدين توأمان لا ينفكان فكلما كان هناك مركز للإيمان و جب ان يكون محلا للعلم أيضا. و أما ممارسة القضاء و القيام بالخدمات الاجتماعية، و اتخاذ القرارات العسكرية في المسجد فقد كان لأجل أن يعلن للجميع بأن دينه ليس مجرد أمر معنوي لا- يتصل بالامور الدنيوية و لا تهمة قضايا الحياة و شؤون المعيشة المادية، بل هو دين شامل كامل لا يحض الناس على التقوى، و لا يدعوهم إلى الايمان إلا و يهتم أيضا بشؤونهم المعيشية و إصلاح أوضاعهم الاجتماعية. فليس هو بالتالى يهتم بجانب و يغفل جانبا، بل هو دين شامل جامع يتكفل الامور المادية و المعنوية معا.

(٣) ولقد كان هذا التلاقى و الانسجام (بين العلم و الايمان) محط اهتمام المسلمين و نصب أعينهم دائما حتى بعد ما اتخذت المراكز التعليمية و المؤسسات العلمية البحتة شكلا مستقلا و صار لها محل خاص تدرس فيه، فانهم ظلوا يبنون

(١) تاريخ الخميس: ج ٢ ص ١٣٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٢

الجامعات الى جانب الجوامع و يشيدون المعاهد الى جانب المساجد ليثبتوا للعالم أن هذين الأمرين اللذين يكفلان إسعاد الحياة و الانسان لا يمكن أن ينفصلا، و يبتعد بعضها عن بعض.

(١)

مع عمار بن ياسر في بناء المسجد النبوي:

لقد ابتاع رسول الله صلى الله عليه وآله الارض التي بركت فيها ناقته يوم قدومه المدينة، من أصحابها بعشرة دنانير لإقامة مسجد فيها. و اشترك كافة المسلمين في تهيئته مواد الانشائية و بناه، و عمل رسول الله صلى الله عليه وآله نفسه في تشييدها أيضا. فكان صلى الله عليه وآله ينقل معهم اللبن، و الحجارة، و بينما هو صلى الله عليه وآله ذات مرة ينقل حجرا على بطنه استقبله «اسيد بن حضير» فقال: يا رسول الله اعطني أحمله عنك.

قال صلى الله عليه وآله: لا، اذهب فاحمل غيره «١».

و بهذا الاسلوب العملى كشف رسول الاسلام العظيم عن جانب من برنامجه الرفيع، إذ بين بعمله أنه رجل عمل و ليس رجل قول، رجل فعل و ليس رجل كلام، و كان لهذا أثره الفعال في نفوس أتباعه.

فقد أنشد أحد المسلمين بهذه المناسبة يقول:

لئن قعدنا و النبي يعمل فذاك منّا العمل المضلل «٢» (٢) و كان رسول الله صلى الله عليه وآله يردّد و هو يبني و يعمل: لا عيش إلا

عيش الآخرة، اللهم ارحم الأنصار و المهاجرة.

وقد كان «عثمان بن عفان» ممن يهتم بنظافة ثيابه، و يحرص على أن يمنع عنها الغبار و التراب، فلم يعمل في بناء المسجد لهذا السبب، فاخذ عمار ينشد أبياتا تعلمها من أمير المؤمنين علي عليه السلام، و فيها تعريض بمن لا يعمل و يحرص على ثيابه أن لا تتسخ بالغبار:

(١) بحار الأنوار: ج ١٩ ص ١١٢.

(٢) السيرة النبوية: ج ١ ص ٤٩٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٣ لا يستوى من يعمر المساجد ايدأب فيها قائما و قاعدا و من يرى عن الغبار حائدا «١»

(١) و قد أغضب مفاد هذه الايات عثمان بن عفان، فقال لعمار مهذدا: قد سمعت ما تقول منذ اليوم يا ابن سمية، و الله إنى لأرانى سأعرض هذه العصا لأنفك أى أضربك بها، و فى يده عصا!!
فلما عرف رسول الله صلى الله عليه و آله بكلام عثمان غضب و قال:
«ما لهم و لعمار، يدعوهم إلى الجنة، و يدعونه إلى النار.
إن عمارا جلدة ما بين عينى و أنفى ..» «٢».

و كان «عمار» فتى الاسلام القوى، يحمل قدرا كبيرا من اللبن و الاحجار فى بناء المسجد و لا يكتفى بحمل شىء قليل منها.
فكان البعض يستغل طيب قلبه و اخلاصه فيثقله باللبن و الاحجار.

و يروى أن اصحاب النبي صلى الله عليه و آله جعل يحمل كل واحد لبنه لبنه و عمار يحمل لبنتين لبنتين لبنه عنه و لبنه عن النبي صلى الله عليه و آله محبة منه لرسول الله صلى الله عليه و آله «٣».
(٢) و ذات مرة رآه رسول الله صلى الله عليه و آله و قد حملوه ثلاث لبن أو احجار ثقيلة فشكا إليه عملهم و قال: يا رسول الله قتلونى يحملون على ما لا يحملون فنفض رسول الله صلى الله عليه و آله و فرته «٤» و كان رجلا جعدا و هو يقول قولته التاريخية:
«ويح ابن سمية ليسوا بالذين يقتلونك، انما تقتلك الفئة الباغية» «٥».

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ٤٩٦، و تاريخ الخميس: ج ١ ص ٣٤٥ و السيرة الحلبية: ج ٢ ص ٧٦ و مع ان ابن اسحاق صرح باسم عثمان بن عفان و لكن ابن هشام الذى لخص سيرة ابن اسحاق امتنع عن تسمية عثمان. و قال صاحب المواهب الدنية: المراد فى هذه الايات عثمان بن مظعون، راجع هامش سيرة ابن هشام أيضا.

(٢) تاريخ الخميس: ج ١ ص ٣٤٥.

(٣) السيرة الحلبية: ج ٢ ص ٧١، البداية و النهاية: ج ٢ ص ٢١٧.

(٤) اى شعر راسه.

(٥) المصدران السابقان

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٤

(١) و قد كان هذا الخبر الغيبى من الدلائل القوية على نبوة الرسول الكريم صلى الله عليه و آله و صدق دعواه، و صحة إخباراته، فقد وقع ما أخبره كما أخبر، فقد قتل «عمار» و هو فى التسعين من عمره فى معركة صفين عند ما كان يقاتل جيش الشام بين يدي على عليه السلام، فقتله أنصار معاوية، و قد أحدث هذا الخبر الغيبى أثرا عجبيا فى حياة المسلمين فقد جعله المسلمون معيارا لمعرفة الحق،

أى كانوا يعرفون حقانية أى جهة من الجهات و أى طرف من الأطراف فى الصراعات و النزاعات بانضمام عمّار إليه.

و عند ما قتل عمّار فى ساحة القتال بصفين، دبّ فى أهل الشام اضطراب عجيب.

فالذين كانوا فى شك فى حقانية «علّى» عليه السلام و موقفه فى هذه الحرب بفعل الدعاية المضادة التى كان يقوم بها معاوية و مساعدته عمرو بن العاص ضد الامام قد انتبهوا على خطائهم و عرفوا بمقتل «عمّار» على أيدي أنصار معاوية بأن عليا على حق و أن معاوية و جماعته هى الفئة الباغية التى أخبر عنها رسول الله صلى الله عليه وآله.

و من هؤلاء «خزيمة بن ثابت» الأنصارى الذى خرج مع الإمام على عليه السلام لقتال معاوية، و لكنّه كان متردداً فى مقاتلته، بيد أنه جرد سيفه بعد مقتل «عمّار» على أيدي أهل الشام، و حمل عليهم «١».

(٢) و منهم «ذو الكلاع» الحميرى الذى خرج على رأس عشرين ألف مقاتل و هم تمام رجال قبيلته، مع معاوية لمحاربة الامام على عليه السلام و كان معاوية يعتمد على نصرته اعتمادا كبيرا، حتى أنه لم يقدم على اتخاذ قرار الحرب إلّا بعد أن اطمأن الى تأييده له، و مشاركته فى قتال على عليه السلام.

فقد صدم القائد المخدوع بشدة عند ما سمع بوجود «عمّار» فى معسكر الامام «على».

(١) المستدرک على الصحيحين: ج ٣ ص ٣٨٥ و وقعة صفين لابن مزاحم.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٥

فأراد رجال معاوية أن يموهوا الأمر، و يشوشوه عليه فقالوا: ما لعمار و لصفين؟ فذلك ما يقوله أهل العراق و ما يبالون من الكذب.

(١) و لكن ذا الكلاع لم يقتنع بهذا فقال لعمرو بن العاص: يا أبا عبد الله أ ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن عمارا تقتله الفئة الباغية»؟

فقال عمرو: أجل، و لكن ليس عمار فى رجال على.

فقال ذو الكلاع: فلا بدّ اذن أن أعرف ذلك بنفسى.

ثم أمر رجالا- بأن يتحقّقوا من الأمر. و فى هذه اللحظة الحساسة ادرك معاوية و عمرو خطورة الموقف اذ لو تحقق ذو الكلاع من وجود عمّار فى معسكر «على» أو عرف بمقتله بين يديه عليه السلام اذن لأحدث ذلك شرخا كبيرا و تمزقا فضيعا فى جيش الشام، من هنا تمت تصفية ذو الكلاع فورا اذ قتل بصورة غامضة «١».

(٢) إن اشتهار هذا الحديث لدى محدثى السنة و الشيعة ليغنيا عن استعراض مصادره، و اسناده.

فقد روى الامام احمد بن حنبل أنه لما قتل عمار بن ياسر دخل عمرو بن حزم على عمرو بن العاص فقال قتل عمّار و قد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: تقتله الفئة الباغية فقام عمرو بن العاص فزعا يرجع (أى يقول: إنا لله و إنا إليه راجعون) حتى دخل على معاوية، فقال معاوية: ما شأنك؟ قال: قتل عمّار فقال معاوية: قد قتل عمّار فما ذا؟ قال عمرو: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: تقتله الفئة الباغية فقال له معاوية: أو نحن قتلناه انما قتله على و أصحابه جاءوا به حتى القوه بين رماحنا (و سيوفنا) «٢».

(٣) و لكن لا يخفى أن هذا التأويل الباطل الذى لجأ إليه ابن أبى سفيان لتهديثه جنود الشام، ليس مقبولا عند الله تعالى قط، كما لا يقبل به أى عاقل لبيب.

فإنّ هذا هو الاجتهاد فى مقابلة النص، و هو مما لا قيمة له أبدا، فان هذا

(١) وقعة صفين: ٣٧٧ و ٣٨٧.

(٢) مسند الامام احمد بن حنبل: ج ٤ ص ١٩٨.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٦

النوع من الاجتهاد في مقابلة الآيات و الروايات الصريحة هو الذى سبب فى أن يعمد فريق من المجرمين و الجناء إلى تبرير جرائمهم و فضائعتهم بحجة «الاجتهاد»، و تحت غطاءه.

و إليك نموذجا من هذا الأمر:

(١)

ضُرُّ أَرَأْفَ مِنَ الْوَدْعَةِ!!

لا يجد المرء عبارة أفضل من هذه تعرّف حقيقة مؤرخ القرن الثامن الهجرى (ابن كثير الشامى مؤلف البداية و النهاية). فقد انبرى هذا الرجل الى الدفاع عن معاوية فى كتابه اذ قال: لا يلزم من تسمية أصحاب معاوية بغاة تكفيرهم، لأنهم و ان كانوا بغاة فى نفس الأمر فانهم كانوا مجتهدين فيما تعاطوه من القتال و ليس كل مجتهد مصيبا، بل المصيب له أجران، و المخطئ له أجر واحد (ثم يقول) و أما قوله: يدعوهم الى الجنة و يدعونه الى النار فان عمّارا و أصحابه يدعون أهل الشام إلى الالفه و اجتماع الكلمة، و أهل الشام يريدون ان يستأثروا بالأمر دون من هو أحق به، و ان يكون الناس أوزاعا على كل قطر امام برأسه، و هذا يؤدى إلى افتراق الكلمة و اختلاف الأمة فهو لازم مذهبهم و ناشئ عن مسلكهم و ان كانوا لا يقصدونه!! «١»

(٢) و نحن لم نجد اسما يناسب هذا العمل إلّا التحريف للحقائق.

فان مؤيدى الفئة الباغية مع كل ما اوتوا من قدرة على إخفاء الحقائق و طمسها لم يستطيعوا إنكار هذه الحقيقة، و لكن مؤرخا مثل ابن كثير عمد- رغم ورود هذا الحكم الغيبى فى شأن تلك الفئة- الى تحريف بارد قد غفلت تلك الفئة هى ذاتها عنه!!

(٣) يقول أحمد بن حنبل: دخل رجلان على معاوية يختصمان فى رأس عمّار يقول

(١) البداية و النهاية: ج ٢ ص ٢١٨.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٧

كل واحد منهما أنا قتلته، فقال عبد الله بن عمرو: لطيب به أحدكما نفسا لصاحبه فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: تقتله الفئة الباغية قال معاوية: فما بالك معنا؟ قال: ان أبى شكانى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: اطع أباك ما دام حيا، و لا تعصه، فأنا معكم و لست اقاتل «١».

(١) إن اعتذار «عبد الله بن عمرو بن العاص» يشبه تأويل ابن كثير الشامى الذى يقول: إن معاوية قاتل «عليا» فى صفين اجتهادا و ايمانا، و إن أخطأ فى اجتهاده، و ذلك لأن إطاعة الوالد واجبة ما لم تجر الى مخالفة الشرع، فهذا هو القرآن الكريم يقول:

«وَإِنْ جَاهِدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا» «٢».

كما ان الاجتهاد إنما يصح إذا لم يكن فى المقام نص صريح، ورد عن النبى صلى الله عليه وآله، و لهذا كان اجتهاد معاوية و عمرو بن العاص و امثالهما باطلا مرفوضا، لكونه فى مقابلة النص النبوى.

و لو أننا فتحنا باب الاجتهاد هكذا بدون أية ضوابط لكان جميع المشركين و المنافقين معذورين فى معارضتهم، و محاربتهم لرسول الله صلى الله عليه وآله، كما لا بد- حيثئذ- أن نقول: إن يزيد و الحجاج و أشباههما كانوا معذورين فى سيفكهم لدماء الأئمة المعصومين، و الصالحين من المسلمين، بل و ماجورين فى عملهم هذا.

(٢) انتهى النبى صلى الله عليه وآله و آله و المسلمون من بناء المسجد، و ظل يوسع فيه كل عام شيئا فشيئا.

و قد بنى الى جانب المسجد صفة ليسكن فيها الفقراء و المهاجرون المحرومون.

و كلف «عبادة بن الصامت» بأن يعلمهم الكتابة، و قراءة القرآن.

(١) مسند احمد بن حنبل: ج ٢ ص ١٦٤ و ١٦٥.

(٢) العنكبوت: ٨.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٨

(١)

التآخي؛ أو أعظم معطيات الايمان:

لقد فتح تمرکز المسلمين في المدينة فصلا جديدا في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله. فقد كان صلى الله عليه وآله قبل دخوله المدينة لا يهتمه إلا جذب القلوب و الدعوة إلى دينه، و لكنه اليوم عليه أن يعمل - كصاحب دولة محنك - على حفظ كيانه و كيان جماعته، و لا يسمح للأعداء الداخليين و الخارجيين بالتسلل و النفوذ في صفوفهم، و لكنه كان يواجه في هذا السبيل ثلاث مشاكل كبرى:

١- خطر قريش و عامة الوثنيين في شبه الجزيرة العربية.

٢- خطر يهود يثرب الذين كانوا يقطنون داخل أو خارج المدينة و يمتلكون ثروة كبيرة.

٣- الاختلاف الذي كان بين أتباعه من المهاجرين و بين الأوس و الخزرج.

(٢) و حيث إن المهاجرين و الأنصار قد نشؤوا في بيئتين مختلفتين، لهذا كان من الطبيعي أن يختلفوا في طريقة المعاشرة، و آداب السلوك، و اسلوب التفكير اختلافا كبيرا.

هذا مضافا إلى أن الأوس و الخزرج الذين كانوا يشكلون جماعة الأنصار كانوا هم يعانون من رواسب عداة قديم و بقايا ضغائن نشأت خلال حروب موية طويلة استغرقت مائة و عشرين سنة بلا انقطاع.

و مع وجود مثل هذه التناقضات و الأخطار المحتملة لم يكن مواصلة الحياة الدينية، و السياسية المستقرة أمرا ممكنا قط.

و لكن رسول الله صلى الله عليه وآله تغلب على كل هذه المشكلات بطريقة حكيمة، غاية في الحنكة و الابداع.

فبالنسبة إلى المشكلتين الأوليين فقد عالجهما بالقيام بأعمال سيأتى ذكرها في المستقبل.

و أما بالنسبة إلى مشكلة التناقضات بين فئات و أصناف جماعته فقد عالج

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٩

تلک المشكلة بحذق كبير، و تدبير رائع جدا.

(١) فقد امر من جانب الله تعالى بأن يؤاخي بين المهاجرين و الأنصار.

فجمعهم رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم و قال لهم:

«تآخوا في الله أخوين أخوين».

و قد ذكرت المصادر التاريخية الاسلامية، مثل «السيرة النبوية» لابن هشام «١» أسماء كل متآخين من المهاجرين و الأنصار.

و بهذا الاسلوب كرس رسول الله صلى الله عليه وآله الوحدة السياسية و المعنوية بين المسلمين و قوى اسسها و دعائمها.

و قد سببت هذه الوحدة، و هذا التآخي الواسع في أن يقرّر حلا للمشكلتين الاوليين بسرعة و سهولة.

(٢)

منقبتان عظيمتان:

و لقد ذكر أكثر مؤرخي السنة و الشيعة و محدّثيهم في هذا الموضوع منقبتين عظيمتين، نذكرهما نحن هنا أيضا: لقد آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بين ثلاثمائة من أصحابه من المهاجرين و الأنصار و هو يقول: يا فلان أنت أخ لفلان.

و لما فرغ من المؤاخاة، قال له على عليه السلام، و هو يبكي:

«يا رسول الله آخيت بين أصحابك و لم تؤاخ بيني و بين أحد؟»

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله و قد أخذ بيده:

«أنت أخي في الدنيا و الآخرة» (٢).

(٣) و قد ذكر القندوزي الحنفي هذه القضية بنحو أكثر تفصيلا اذ قال:

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي:

«و الذي بعثني بالحق نبيا ما أخرجتك إلّا لنفسى، فأنت منى بمنزلة هارون من

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ٥٠٤-٥٠٧.

(٢) المستدرک على الصحيحين: ج ٣ ص ١٤.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٠.

موسى إلّا أنه لا نبى بعدى، و أنت أخي و وارثي» (١).

غير ان ابن كثير شكك في صحه هذا الرواية (٢)، و حيث إن هذه التشكيك نابع من نفسيته الخاصة، و لا يقل تفاهة و بطلانا من اعتذاره و دفاعه عن معاوية و زمرته الباغية عن قتل الصحابي العظيم عمار بن ياسر لهذا نرجح أن نصرف النظر عن النقاش فيه، و نترك القضاء و الحكم عليه للقارئ المنصف، و المتبع العدل.

(١)

منقبة أخرى لعلي عليه السلام:

فرغ رسول الله صلى الله عليه وآله من بناء المسجد، و قد بنيت منازل و منازل أصحابه حول المسجد، و كلّ شرع منه بابا إلى المسجد، و خطّ لحمزة خطأ فبنى منزله فيه، و شرع بابه الى المسجد و خطّ لعلي بن أبي طالب مثل ما خط لهم فبنى منزله فيه و شرع بابه إلى المسجد، فكانوا يخرجون من منازلهم فيدخلون المسجد من تلك الابواب.

و فجاء نزل جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله و قال:

«يا محمّد إنّ الله يأمرك أن تأمر كلّ من كان له باب إلى المسجد أن يسده و لا يكون لأحد باب إلى المسجد إلّا لك و لعلي عليه السلام».

(٢) يقول ابن الجوزي: فأوجد هذا الامر ضجة عند البعض، و ظنوا أنّ هذا الاستثناء قد نشأ عن سبب عاطفي، فخطب رسول الله صلى الله عليه وآله في الناس و قال فيما قال:

«و الله ما أنا أمرت بذلك، و لكنّ الله أمر بسدّ أبوابكم و ترك باب علي» (٣).

و خلاصة القول أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قضى عن طريق المؤاخاة

(١) ينابيع المودة: ص ٥٦، و نظيره في السيرة النبوية.

(٢) البداية و النهاية: ج ٢ ص ٢٢٦.

(٣) تذكرة الخواص: ص ٤٦، بتصرف بسيط.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢١

الاسلامية بين أصحابه من الأنصار و المهاجرين على الاختلافات القديمة التي كانت رواستها باقية بين المسلمين إلى ذلك اليوم، و بذلك حل مشكلة من المشاكل الثلاث التي مرّ ذكرها.

(١)

معاهدة الدفاع المشترك بين المسلمين و يهود يثرب:

كانت المشكلة الثانية التي يواجهها رسول الله صلى الله عليه وآله في المدينة هي مشكلة يهود يثرب الذين كانوا يقطنون المدينة و خارجها و كانوا يمسون بأزمة التجارة و الاقتصاد في تلك المنطقة.

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يدرك جيدا أنه ما لم تصلح الأوضاع الداخلية في المدينة و ما لم يضم الی صفوفه يهود يثرب، و بالتالي ما لم يتم وحدة سياسية عريضة في مركز حكومته، لم تنهيا لشجرة الاسلام أن تنمو، و لن يتهدأ له صلى الله عليه وآله أن يفكر في أمر الوثنيين و الوثنية في شبه الجزيرة العربية و لا يستطيع معالجة المشكلة الثالثة أعنى قريش بخاصة.

و بكلمة واحدة ما لم يستتب الأمن و الاستقرار في مقر القيادة لن يمكن الدفاع ضدّ العدو الخارجي.

(٢) و لقد قام بين يهود المدينة و المسلمين في بداية هجرتهم إليها نوع من التفاهم لأسباب خاصة، لأنّ كلا الجانبين كانا موحدين يعبدان الله، و يرفضان الأوثان، و كان اليهود يتصوّرون أنهم يستطيعون- إذا اشتد ساعد المسلمين، و قويت شوكتهم- أن يأمنوا حملات المسيحيين الروم، هذا من جانب، و من جانب كان بينهم و بين الأوس و الخزرج علاقات عريقة و موثقة قديمة.

من هنا حاول النبي صلى الله عليه وآله أن يكرّس هذا التفاهم، و يبلوره بعقد معاهدة تعايش، و دفاع مشترك بين الأنصار و المهاجرين و وقع عليها يهود المدينة أيضا «١».

(١) المقصود منهم يهود الأوس و الخزرج، و أما يهود بني النضير، و بني قينقاع، و بني قريظة فقد عقد

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٢

و قد احترم رسول الله صلى الله عليه وآله في تلك المعاهدة دين اليهود و ثروتهم في اطار شرائط معينة.

(١) و قد أدرج كتاب السيرة و المؤرخون النص الكامل لهذه المعاهدة في كتبهم «١».

و نظرا لأهميتها الخاصة، و لأنها تعتبر مستندا تاريخيا حيا، قويا الدلالة، و لكونها تكشف عن مدى التزام رسول الاسلام العظيم صلى الله عليه وآله بمبادئ الحرية و النظم و العدالة، و مبلغ مراعاته و احترامه لها في الحياة، و لأنها تكشف لنا كيف أنها أوجدت جهة متحدة قوية في وجه الحملات الخارجية نذكر هنا نقاطها الحساسة و نسجلها كواحد من أكبر الانتصارات السياسية التي أحرزتها الحكومة الاسلامية الناشئة في العالم ذلك اليوم.

(٢)

أعظم معاهدة تاريخية:

بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمّد النبي صلى الله عليه وآله بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم، فلحق بهم، وجاهد معهم.
(٣)

«البند الأول»

(٤) ١- إنهم أمة واحدة من دون الناس، المهاجرون من قريش على ربعتهم (أى على الحال التي جاء الاسلام وهم عليها) يتعاقلون بينهم (أى يدفعون دية الدم) وهم يقدون عانيهم (أسيرهم) بالمعروف والقسط بين المؤمنين.
(٥) ٢- وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلمهم الاولى، كل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وهكذا بنو ساعدة وبنو الحارث، وبنو جشم، وبنو النجار، وبنو عمرو بن عوف وبنو النبيت، وبنو الأوس كل على ربعتهم

- النبي صلى الله عليه وآله معهم معاهدة مستقلة سنذكرها.

(١) مثل السيرة النبوية: ج ١ ص ٥٠١.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٣

(و الحال التي جاء الاسلام وهم عليها من حيث التعاون على الديات الى اولياء المقتول، و دفع الفدية معا لفك الأسير).
(١) ٣- وإن المؤمنين لا يتركون مفرحا (أى مثقلا بالدين و كثير العيال) بينهم أن يعطوه بالمعروف فى فداء أو عقل (أى دفع دية أو فداء أسير).

(٢) ٤- وإن المؤمنين المتقين (يد واحدة) على من بغى منهم، او ابتغى دسيعة (عظيمة) ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين، و أن أيديهم عليه جميعا و لو كان ولد احدهم.

(٣) ٥- و أن لا يحالف مؤمن مولى (أى عبد) مؤمن دونه (أى دون إذنه).

(٤) ٦- و أن لا يقتل مؤمن مؤمنا فى كافر (أى قصاصا لمقتل كافر على يدى ذلك المؤمن) و لا ينصر كافرا على مؤمن.

(٥) ٧- و أن ذمة الله واحدة (تشمل جميع المسلمين بلا استثناء) يجير عليهم أديانهم (فاذا أجاز عبد مسلم كافرا قبلت إجارته و احترم أمانه).

(٦) ٨- و إن المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس.

(٧) ٩- و إنّه من تبعنا من يهود فإنّ له النصر و الاسوة غير مظلومين، و لا متناصرين عليهم.

(٨) ١٠- و إن سلم المؤمنين واحدة لا يسالم مؤمن دون مؤمن فى قتال فى سبيل الله إلّا على سواء و عدل بينهم (فلا يجوز لأحد أن ينفرد بعقد معاهدة صلح مع أحد من غير المسلمين إلّا بموافقة المسلمين).

(٩) ١١- و إن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضا (أى يتنابو المسلمون فى المشاركة فى الجهاد)، و إن المؤمنين يبيء بعضهم على بعض بما نال دماءهم فى سبيل الله (أى يراق منهم الدم على السواء لا أن يتعرض للقتل بعض دون بعض).

(١٠) ١٢- و إن المؤمنين المتقين على أحسن هدى و أقومه.

(١١) ١٣- و أن لا يجير مشرك (من مشركى المدينة) مالا لقريش، و لا نفسا، و لا يحول دونه على مؤمن (أى لا يمنعه من مؤمن).

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٤

(١) ١٤- و إنّه من اعتبط مؤمنا (أى قتل من المؤمنين مؤمنا بلا جناية منه توجب قتله) قتلا عن بينة فأنّه قود به (أى يقتل بقتله قصاصا) إلّا أن يرضى ولي المقتول.

وإن المؤمنين عليه كافة، ولا يحل لهم إلا قيام عليه.

- (٢) ١٥- وإنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة، و آمن بالله و اليوم الآخر، أن ينصر محدثا (صاحب بدعة) و لا يؤويه و أنه من نصره، و آواه فعليه لعنة الله و غضبه يوم القيامة، و لا يؤخذ منه صرف و لا عدل.
- (٣) ١٦- و إنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فان مرده إلى الله عزّ و جلّ و إلى محمد صلى الله عليه و آله.
- (٤)

«البند الثاني»

- (٥) ١٧- و إن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين (و دفاعا عن المدينة).
- (٦) ١٨- و إن يهود بنى عوف أمة من المؤمنين (و بنو عوف قبيلة من قبائل الأنصار) لليهود دينهم و للمسلمين دينه، مواليهم و أنفسهم، إلا من ظلم و اثم، فانه لا يوتغ (لا يهلك) إلا نفسه و أهل بيته (و السبب في هذا هو أن أهل بيت الرجل يتبعونه و يؤيدونه في فعله غالبا و عادة).
- و المراد من هذا الاستثناء هو أن العلاقات و الاتحاد يبقى قائما بين تلك الطائفة من اليهود و بين المسلمين ما دام لم يكن ثمة ظالم و معتد.
- (٧) ١٩- و إن يهود بنى النجار، و بنى الحارث و بنى ساعدة، و بنى جشم، و بنى الأوس و بنى ثعلبة، و بنى الشطيبة مثل ما ليهود بنى عوف، من الحقوق و الامتيازات.
- و إن جفنة بطن من ثعلبة (أى تلك القبيلة فرع من هذه)، و إن لبنى الشطيبة مثل ما ليهود بنى عوف.
- (٨) ٢٠- و إن البرّ دون الإثم (أى أن يغلب حسناتهم على سيئاتهم).
- (٩) ٢١- و إن موالى ثعلبة (أى المتحالفين معهم) كأنفسهم.
- سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٥
- (١) ٢٢- و إن بطانة يهود (أى خاصتهم) كأنفسهم.
- (٢) ٢٣- و أنه لا يخرج منهم أحد (من هذه المعاهدة) إلا باذن محمد صلى الله عليه و آله.
- (٣) ٢٤- و إنّه لا ينحجر على ثأر جرح (أى لا يضيع دم حتى الجرح)، و ان من فتك (بأحد) فبنفسه فتك، و أهل بيته إلا من ظلم (أى إلا إذا كان المفتوك به ظالما).
- (٤) ٢٥- و إن على اليهود نفقتهم، و على المسلمين نفقتهم، و إن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة (أى أن على كل جماعة من المسلمين و اليهود أن يقوم بنصيبه من نفقات الحرب).
- (٥) ٢٦- و إن بينهم النصح و النصيحة (أى أن تكون العلاقات على هذا الاساس) و البر دون الاثم.
- (٦) ٢٧- و إنّه لم يأثم امرؤ بحليفه (أى لا يحق لأحد أن يظلم حليفه و أن النصر للمظلوم (لو فعل أحد ذلك)).
- (٧) ٢٨- و إن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة (أى أن داخل المدينة حرم و مأمّن لجميع من وقّع على هذه الصحيفة).
- (٨) ٢٩- و إن الجار (و هو من يدخل فى أمان أحد) كالنفس غير مضارّ و لا آثم، (فلا يجوز إلحاق ضرر به).
- (٩) ٣٠- و إنّه لا تجار حرمة إلا باذن أهلها.
- (١٠) ٣١- و إنّه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فان مردّه إلى الله عزّ و جلّ و إلى محمد رسول الله صلى الله عليه و آله، و إن الله على اتقى ما فى هذه الصحيفة و أبّره (أى أنه تعالى ناصر و ولى لمن التزم بهذه المعاهدة).
- (١١) ٣٢- و إنّه لا تجار قريش و لا من نصرها.

(١٢)

«البند الثالث»

(١٣) ٣٣- وإن بينهم (أى بين اليهود والمسلمين) النصر على من دهم يثرب

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٦

(فعلهم معا أن يدافعوا عن المدينة ضد المعتدين).

(١) ٣٤- وإذا دعوا (أى دعى المسلمون اليهود) الى صلح يصالحوه، و يلبسونه، فانهم يصالحوه و يلبسونه.

و إنهم اذا دعوا (أى اذا دعى اليهود المسلمين) الى مثل ذلك (الصلح) فانه لهم على المؤمنين إلاً من حارب فى الدين.

فعلى اليهود أن يوافقوا على كل صلح يعقده المسلمون مع الأعداء، و هكذا على المسلمين أن يقبلوا بكل صلح يعقده اليهود مع الاعداء إلاً إذا كان ذلك العدو ممن يخالف الاسلام و يعاديه و يتأمر عليه.

(٢) ٣٥- و إن يهود الأوس مواليهم و أنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة.

(٣)

«البند الرابع»

(٤) ٣٦- و إنه لا- يحول هذا الكتاب دون ظالم و آثم. (فلا- يمكن لأحد أن يتستر وراءه ليتخلص من العقاب إذا ارتكب خطيئة و جناية).

(٥) ٣٧- و إنه من خرج (من المدينة) آمن، و من قعد آمن بالمدينة إلاً من ظلم أو آثم.

ثم ختمت هذه المعاهدة بالعبارة التالية:

«و إن الله جار لمن برّ و اتقى، و محمد رسول الله صلى الله عليه و آله» (١).

إن هذه المعاهدة السياسية التاريخية التى أدرجنا هنا أهم مقاطعها تعدّ نموذجاً كاملاً لرعاية الاسلام، و حرصه على مبدأ حرّية الفكر و الاعتقاد، و مبدأ الرفاه الاجتماعى العام، و ضرورة التعاون فى الامور العامة، بل و توضّح هذه المعاهدة- فوق كلّ ذلك- حدود صلاحيات و اختيارات القائد، و مسؤوليّة كلّ الموقعين عليها، و على أمثالها.

(٦) على أنه و إن لم يشترك يهود «بنى قريظة» و «بنى النضير» و «بنى قينقاع»

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ٥٠٣ و ٥٠٤، الاموال: ص ١٢٥-٢٠٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٧

فى إبرام هذه المعاهدة و التوقيع عليها، بل شارك فيها يهود الأوس و الخزرج فقط، إلاً أن تلك الطوائف اليهودية (الثلاث) قد وقعت فيما بعد مع قائد المسلمين و زعيمهم على معاهدات مماثلة أهم بنودها هى:

أن لا يعينوا على رسول الله صلى الله عليه و آله و لا على أحد من أصحابه بلسان و لا يد و لا بسلاح و لا بكراع (أى الخيل و غيرها من المراكب) فى السر و العلانية لا بليل و لا بنهار، الله بذلك عليهم شهيد، فإن فعلوا فرسول الله فى حلّ من سفك دمائهم، و سبى ذراريهم، و نسائهم، و أخذ أموالهم.

و قد كتب رسول الله صلى الله عليه و آله لكلّ قبيلة منهم كتاباً على حدة على هذا الغرار، ثم وقع عليها «حى بن أخطب» عن قبيلة بنى النضير، و «كعب بن أسد» عن بنى قريظة، و «المخيريقي» عن قبيلة بنى قينقاع (١).

و بهذا ساد الأمن يثرب و ضواحيها بعد أن اعتبرت المنطقة حرماً آمناً. و الآن جاء دور أن يعالج رسول الله صلى الله عليه وآله المشكله الاولى، يعنى قريش لأنه ما دام هذا العدو يعرقل حركة الدعوة، و يقف سداً أمام تبليغ الاسلام، فلن يوفق لنشر هذا الدين و تطبيق أحكامه، و تعاليمه المباركه.

(١)

ممارسات اليهود الإجهاضية:

لقد تسببت تعاليم الاسلام الرفيعة و أخلاق الرسول العظيم فى أن يتزايد عدد الممتنين الى الاسلام يوماً بعد يوم، و تزداد بذلك قوة الاسلام العسكريه و الاقتصاديه و السياسيه.

و قد أحدث هذا التقدم المتزايد الباهر قلقاً و ضجةً عجيبةً فى الأوساط اليهودية الدينية، لأنهم كانوا يتصوّرون أنهم يستطيعون بدعمهم رسول الله صلى الله عليه وآله و تقويته و تأييده جزه إلى صفوفهم، و لم يكونوا يتصوّرون قط أنّ

(١) بحار الأنوار: ج ١٩ ص ١١٠ و ١١١. احتفظ فى ذاكرتك أيها القارئ الكريم هذا القسم من المعاهدة الثانية لأن رسول الله صلى الله عليه وآله عاقب اليهود بسبب نقضهم لهذه المعاهدة.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٨

النبى صلى الله عليه وآله سيحصل بذاته على قوة تفوق قوة اليهود و النصرى، من هنا بدءوا بممارسة الأعمال الاجهاضية مثل طرح الاسئلة الدينية العويصة على رسول الله صلى الله عليه وآله بغية زعزعة إيمان المسلمين بنبيهم، و لكن جميع هذه المخططات باءت بالفشل و لم تترك أى أثر فى صفوف المسلمين المتراصه و ايمانهم العميق برسول الاسلام.

(١) و قد جاءت بعض هذه المناظرات و المجادلات فى سورة البقرة و سورة النساء.

و يستطيع القارئ العزيز- من خلال قراءة- آيات هاتين السورتين و التمعن فيهما أن يقف على مدى العناد و اللجاج الذى كان يبيده اليهود.

فمع أنهم كانوا يتلقون من رسول الله صلى الله عليه وآله على أجوبة واضحة لكل واحد من اسئلتهم كانوا يتهرّبون من الانضواء تحت راية الاسلام، و يحجمون عن الاعتراف به، و كانوا يقولون فى مقام الردّ على دعوة النبى إياهم إلى اعتناق الاسلام:

«قلوبنا غلف».

أى لا نفهم ما تقول!! «١».

(٢)

اسلام عبد الله بن سلام:

هذه المناظرات و المجادلات و ان كانت لا تزيد غالبية اليهود إلّا تعنتاً و عناداً، و لكنها كانت تسبب أحياناً يقظة البعض و إقبالهم على الاسلام، مثل «عبد الله ابن سلام».

فقد أسلم ابن سلام الذى كان من علماء اليهود و أحبارهم، برسول الله صلى الله عليه وآله بعد سلسلة من المناظرات و المجادلات المطولة «٢».

و لم يمض وقت كبير على اسلام ابن سلام إلّا و التحق به عالم آخر من علماء

(١) و (٢) للوقوف على نص هذه المناظرات راجع السيرة النبوية: ج ١ ص ٥٣٠-٥٧٢، بحار الأنوار: ج ٩ ص ٣٠٣ فما بعد.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٩

اليهود هو «المخيري».

(١) و كان عبد الله بن سلام يعلم بأنه سيدهم قومه من اليهود اذا عرفوا باسلامه و ترك دينهم، من هنا طلب من رسول الله صلى الله عليه وآله أن يكتف عن الناس إسلامه، ريثما يحصل أولاً على اعتراف من قومه بعلمه و تقواه، و بمعرفته و صلاحه قائلاً: «يا رسول الله إن يهود قوم بهت، و أنى أحب أن تدخلني في بعض بيوتك، و تغيبني عنهم ثم تسألهم عنى حتى يخبروك كيف أنا فيهم قبل أن يعلموا بإسلامي فإنهم إن علموا به بهتوني و عابوني».

فأدخله رسول الله صلى الله عليه وآله في بعض بيوته و أخفاه عن الانظار ثم قال لليهود الداخلين عليه:

«أى رجل الحصين بن سلام فيكم؟».

قالوا: سيدنا و ابن سيدنا، و حبرنا و عالمنا، فخرج عليهم «عبد الله بن سلام» من مخبأه و قال لهم: يا معشر يهود اتقوا الله و اقبلوا ما جاءكم به، فوالله إنكم لتعلمون أنه لرسول الله تجدونه مكتوباً عندكم فى التوراة باسمه و صفته، فانى أشهد أنه رسول الله صلى الله عليه وآله، و أو من به و صدقه و أعرفه.

فغضب اليهود من مقالته، و قالوا له: كذبت و وقعوا فيه، و عابوه، و بهتوه «١».

(٢)

خطة أخرى للقضاء على الحكومة الإسلامية:

لم تضعف مجادلات اليهود و استئلتهم العويصة عقيدة المسلمين و ايمانهم برسول الله صلى الله عليه وآله فحسب، بل تسببت فى أن تتضح مكانته العلمية، و قيمة معارفه الغيبية للجميع أكثر من ذى قبل.

ففى ظل هذه المجادلات و المحاورات رغب جماعات كبيرة من الوثنيين و اليهود فى الاسلام فآمنوا برسول الله صلى الله عليه وآله و صدقوه.

من هنا دبّر اليهود مؤامرة أخرى و هى التذرّع بأسلوب «فرق تسد»، لالقاء

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ٥١٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٠

الفرقة فى صفوف المسلمين.

(١) فقد رأى دهاء اليهود و ساستهم أن يستغلوا رواسب الاختلافات، و يؤججوا نيران العداة القديم بين الأوس و الخزرج الذى زال بفضل الاسلام، و بفضل ما أرساه من قواعد الاخوة و المساواة و المواساة و المحبة، بعد أن كانت مشتعلة طوال مائة و عشرين عاماً متواليه، ليستطيعوا بهذه الطريقة تمزيق صفوف المسلمين بإثارة الحروب الداخلية بينهم، و التى من شأنها ابتلاع الاخضر و الياس و القضاء على الجميع دون ما استثناء.

(٢) ففيما كان نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله من الأوس و الخزرج فى مجلس قد جمعهم، يتحدثون فيه إذ مرّ عليهم «شاس بن قيس» و هو يهودى شديد العداة للإسلام، عظيم الكفر، شديد الضغن على المسلمين، فغاضبه ما رأى من الفة الأوس و الخزرج، و اجتماعهم و تواددهم، و صلاح ذات بينهم على الاسلام بعد الذى كان بينهم من العداوة الطويلة فى الجاهلية، فأمر فتى من يهود كان معهم فقال له: اعمد إليهم فاجلس معهم، ثم اذكر يوم بعث «١» و ما كان قبله و أنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا و تبادلوا فيه

من الاشعار!! ايقاعا بين هاتين الطائفتين من الأنصار، وإثارة لنيران الاحقاد الدفينه، و العداوات الغابرة.

(٣) ففعل ذلك الغلام اليهودى ما أمره به «شاس» فتكلم القوم عند ذلك، و تنازعوا، و تفاخروا، و توثب رجلان من القبيلتين على الركب و أخذ كل منهما يهدد الآخر، و تفاقم النزاع، و غضب الفريقان و تصايحا، و قاما إلى السلاح و كاد أن يقع قتال و دم بعد أن ارتفعت النداءات القبليّة بالاستغاثه و الاستنجد على عادة الجاهلية فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله و عرف بمكيده اليهود، و مؤامرتهم الخبيثة هذه، فخرج الى تلك الجماعة المتصايحه من الأوس و الخزرج فى جمع من أصحابه المهاجرين فقال:

(١) قد مرّ ذكر هذه الوقعة و قلنا: هو يوم اقتتل فيه الأوس و الخزرج و كان الظفر يومئذ للأوس على الخزرج.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣١

«يا معشر المسلمين، الله الله أبدعوى الجاهلية و أنا بين أظهركم بعد أن هداكم للإسلام، و أكرمكم به، و قطع به عنكم أمر الجاهلية، و استنقذكم به من الكفر، و ألف بين قلوبكم؟؟».

فعرف القوم أنها مؤامرة مبيتة من اليهود اعداء الاسلام و المسلمين، و كيد خبيث منهم، فندموا على ما حدث، و بكوا و عانق الرجال من الأوس و الخزرج بعضهم بعضا، ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله سامعين مطيعين، و أطفأ الله عنهم كيد أعدائهم «١». (١) إلّا أن مؤامرات اليهود لم تتوقف عند هذا الحدّ، و لم تنته بهذا، فقد اتسعت دائرة خيانتهم و جنائتهم، و نقضهم للعهد و أقاموا علاقات سرية و خاصة مع مشركى الأوس و الخزرج، و مع المنافقين و المترددين فى اسلامهم و اعتقادهم، و اشتركوا بصورة صريحة فى اعتداءات قريش على المسلمين، و فى الحروب التى وقعت بين الطرفين، و كانوا يقدمون كل ما أمكنهم من الدعم و المساعدة للوثنيين، و يعملون لصالحهم!!

و قد جرت هذه النشاطات السرية و العلنية المضادة المعادية للإسلام و المسلمين، و هذا التعاون المشؤوم مع مشركى قريش، جرت إلى وقوع مصادمات و حروب دامية بين المسلمين و الطوائف اليهودية أدت فى المآل إلى القضاء على الوجود اليهودى فى المدينة. (٢) و سيأتى ذكر هذه الحوادث فى وقائع السنة الثالثة و الرابعة من الهجرة، و سيتضح هناك كيف أن الجماعة اليهودية ردت على الجميل الذى تعكسه كلتا المعاهدتين من أولهما الى آخرهما، بنقض العهد، و معاداة الاسلام و المسلمين، و التآمر ضدّ رسول الله صلى الله عليه وآله خاصّة، و بنصرة أعدائه، و دعم خصومه، الأمر الذى أجبر النبيّ صلى الله عليه وآله على تجاهل تلك المعاهدات الودية و الانسانية و من ثم محاربتهم، و إخراجهم من المدينة و ما حولها و القضاء على

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ٥٥٥-٥٥٧.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٢

ما تبقى من كياناتهم الشريرة.

لقد أقام رسول الله صلى الله عليه وآله فى المدينة من ربيع الأول من السنة الأولى للهجرة إلى شهر صفر من السنة الثانية حتى بنى المسجد و البيوت و المنازل المحيطة بها، و قد أسلم فى هذه الفترة كل من تبقى من الأوس و الخزرج، و لم يبق دار من دور الانصار إلّا أسلم أهلها، ما عدا بعض العوائل و الفروع ممن بقوا على شركهم، و لكنهم أسلموا بعد معركة بدر «١».

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ٥٠٠.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٣

(١)

حوادث السنة الثانية من الهجرة

إشارة

٢٧

مناورات عسكرية و استعراضات حربية

إشارة

الهدف من هذا الفصل هو شرح و بيان الأسرار الكامنة وراء سلسلة الاستعراضات الحربية، و المناورات العسكرية، التي قام و أمر بها رسول الله صلى الله عليه وآله.

فقد بدأت هذه المناورات منذ الشهر الثامن من الهجرة و استمرت حتى شهر رمضان من السنة الثانية، و تعد في الحقيقة أول مناورات عسكرية، و عروض حربية قام بها المسلمون.

إن التفسير الصحيح لهذه الوقائع، و بيان رموزها و أسرارها انما يتيسر اذا طالعنا نص ما كتب حول هذه الوقائع في المصادر التاريخية من دون زيادة أو نقصان ثم نعرض على القارئ الكريم رأى المحققين من المؤرخين فيها.

و إليك فيما يأتي خلاصة هذه الحوادث:

(٢) ١- لم يكن يمض على إقامة رسول الله صلى الله عليه وآله في المدينة أكثر من ثمانية أشهر عند ما عقد النبي أول لواء لقائد عسكري شجاع هو «حمزة بن عبد المطلب» و قد أمره على ثلاثين رجلا من المهاجرين بعثهم الى سواحل البحر الأحمر حيث الطرق التجارية التي تمر فيها قافلة قريش التجارية، فالتقوا قافلة قريش في «العيص» فيها أبو جهل في ثلاثمائة رجل من أهل مكة، فاصطفوا سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٤

للقتال، و لكنهما تفرقا و لم يقع قتال لوساطة قام بها «مجدى بن عمرو» الذي كان حليفا للفريقين، فانصرف حمزة راجعا الى المدينة، و توجه أبو جهل في غيره و أصحابه إلى مكة «١».

(١)

تهديد خطوط قريش التجارية

غزوة بدر:

انقضت السنة الاولى من الهجرة بكل حوادثها الحلوة و المرة، و المسرة و المحزنة، و دخل النبي و أصحابه العام الثاني من الهجرة. و السنة الثانية من الهجرة تتضمن حوادث عظيمة و باهرة، و من أبرزها حادثتان تحظيان بمزيد من الأهمية احدهما: تغيير القبلة و الأخرى وقعة بدر الكبرى.

و لكي تتضح أسباب و علل معركة بدر نذكر سلسلة من الوقائع التي وقعت قبلها، اذ بتحليلها و دراستها تتضح أسباب معركة بدر. لقد كان من بين الحوادث التي وقعت في أواخر السنة الاولى و بدايات السنة الثانية من الهجرة: بعث «الدوريات العسكرية» الى خطوط قريش التجارية «٢» و الآن يجب أن نرى ما هو هدف الحكومة الإسلامية من هذه البعث

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٢٢٢ فما بعد، بحار الأنوار: ج ١٩ ص ١٨٦-١٩٠، امتاع الاسماع:

ص ٥١، الكامل فى التاريخ: ج ٢ ص ٧٧ و ٧٨ و المغازى للواقدي: ج ١ ص ٩-١٩.

(٢) لقد بعث رسول الله صلى الله عليه وآله دوريات عسكرية عديدة إلى ضواحي المدينة و أطرافها لتهديد قوافل قريش التجارية. وقد كان ينبغى - طبقاً للترتيب الموضوعى و التسلسل التاريخى - أن نذكر بعض السرايا مثل سرية حمزة و سرية عبيدة بن الحارث فى فصل وقائع السنة الأولى للهجرة، بيد أنه لوجود مناسبة بينها و بين حوادث السنة الثانية ذكرناها فى أحداث السنة الثانية. هذا مضافاً الى أن ابن هشام - تبعاً لابن إسحاق - يرى وقوع هذه الحوادث فى السنة الثانية من الهجرة و ان كان الواقدي يعتبر بعضها من حوادث السنة الأولى.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٥

العسكرية.

(١) هناك مصطلحان رائجان فى كتابات المؤرخين و كتاب السيرة أكثر من أى مصطلح آخر و هما لفظة: «الغزوة» و «السرية» (١). و المقصود من «الغزوة» تلك العمليات العسكرية التى كان رسول الله صلى الله عليه وآله يشارك فيها بنفسه، و يتولى قيادتها بشخصه.

على حين يكون المقصود من «السرية» إرسال مجموعات عسكرية و فرق و كتائب نظامية لا يشترك فيها رسول الله بنفسه بل يؤمر عليها أحد قادته العسكريين و يوجهها إلى الوجهة التى يريد.

و قد احصيت غزوات النبى صلى الله عليه وآله فكانت (٢٧) أو (٢٦) غزوة.

و يعود الاختلاف فى العدد الى أن بعض المؤرخين يعتبر غزوة «خيبر» و غزوة «وادي القرى» اللتين حدثتا تباعاً و من دون فاصلة غزوتين و البعض الآخر عدّهما غزوة واحدة (٢).

(٢) و قد وقع نظير هذا الخلاف فى تعداد سرايا النبى صلى الله عليه وآله أيضاً فأحصى المؤرخون (٣٥)، (٣٦)، (٤٨)، و حتى (٦٦) سرية.

و يعود هذا الاختلاف إلى أن بعض السرايا لم يحسب لها حساب لقلّة أفرادها، و لهذا حدث هذا الاختلاف فى العدد.

من هنا كلّمنا ذكرنا لفظ السرية قصدنا منه ما لم يشارك فيه النبى، و كلّمنا ذكرنا لفظ الغزوة قصدنا منه ما شارك فيه رسول الله صلى الله عليه وآله و آله بنفسه.

و قد أحجمنا عن ذكر السرايا إلّا سرايا السنوات الأولى من الهجرة لأن فى بيان هذه الطائفة من السرايا أثراً مهماً فى تفسير بعض الغزوات مثل غزوة «بدر».

و إليك بيان هذه السرايا و الغزوات و شرح تفاصيلها.

(١) راجع المحجّر: ص ١١٠-١١٦.

(٢) مروج الذهب: ج ٢ ص ٢٨٧ و ٢٨٨.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٦

(١) ٢- فى نفس الوقت الذى بعث فيه رسول الله سرية حمزة، عقد لواء آخر لعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب، و بعثه فى ستين راكبا من المهاجرين بهدف التعرض لقافلة قريش التجارية، فسار حتى بلغ ماء بالحجاز أسفل «ثنية المرة» (١).

فلقى بها جمعا عظيما من قريش يبلغ مائتين بقيادة أبى سفيان، و لكن لم يكن بينهم قتال إلّا أن «سعد بن أبى وقاص» رمى يومئذ بسهم، كما أنه التحق رجلا من مسلمان كانا فى صفوف أبى سفيان بالمسلمين و قد خرجا مع الكفار و جعلوا ذلك وسيلة للوصول الى

المسلمين و الالتحاق بهم «٢».

(٢) ٣- بعث رسول الله صلى الله عليه وآله في شهر ذى القعدة في السنة الاولى من الهجرة سرية اخرى بقيادة «سعد بن أبي وقاص» على رأس ثمانية أشخاص آخرين من المهاجرين للتحقيق في تنقلات قريش و رصد تحركاتها خارج المدينة، فخرجوا حتى بلغوا منطقة «الخزار» و لكنهم لم يجدوا أحدا فعادوا إلى المدينة «٣».

(٣)

النبي صلى الله عليه وآله يلاحق قريشا بنفسه:

(٤) ٤- في شهر صفر من السنة الثانية للهجرة استعمل رسول الله صلى الله عليه وآله على المدينة «سعد بن عباد» و أناط إليه ادارة امورها الدينية و خرج بنفسه مع جماعة من المهاجرين و الأنصار، لملاحقة ركب قريش التجاري و اعتراضه، و عقد معاهدة مواعده مع «بنى ضمرة» حتى بلغ الأبواء، و لكنه لم يلق أحدا من قريش، فرجع صلى الله عليه وآله هو و من معه إلى المدينة «٤».

(٥) ٥- و في شهر ربيع الأول من السنة الثانية للهجرة استعمل صلى الله عليه وآله مرة اخرى على المدينة: «السائب بن عثمان» أو «سعد بن معاذ» و خرج نحو على رأس مائتين من الرجال يريد قريشا حتى بلغ بواط (و هو جبل من جبال

(١) المحبر: ص ١١٦.

(٢) السيرة النبوية: ج ١ ص ٥٩١.

(٣) المحبر: ص ١١٦.

(٤) تاريخ الخميس: ج ١ ص ٣٦٣ نقلا عن ابن اسحاق.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٧

بقرب ينبع على بعد ٩٠ كيلومترا من المدينة تقريبا) و لكنه لم يظفر بقافلة قريش التي كان يقودها «أمية بن خلف» و على رأس مائة رجل من قريش، فرجع إلى المدينة.

(١) ٦- و في منتصف شهر جمادى الاولى من السنة الثانية للهجرة جاء الخبر أن قافلة قريش التجارية تخرج من مكة بقيادة أبي سفيان تريد الشام للتجارة، و قد جمعت قريش كل أموالها في تلك القافلة، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله في جمع من أصحابه لاعتراضها حتى بلغ «ذات العشيرة» و قد استعمل على مكة هذه المرة «أبا سلمة بن عبد الأسد»، و بقي صلى الله عليه وآله في ذات العشيرة إلى أوائل شهر جمادى الآخرة ينتظر قافلة قريش، و لكنه لم يظفر بها، ثم وادع فيها بنى مدلج و عقد معاهدة عدم اعتداء ذكرتها المصادر التاريخية بالنص «١». سيد المرسلين ج ٢ ٣٧ النبي صلى الله عليه وآله يلاحق قريشا بنفسه: ص : ٣٦

قال ابن الأثير: في هذه الغزوة (و المكان) نزل رسول الله صلى الله عليه وآله و آله و جماعته في بواط عند عين فنام على و عمّار فوجدهما رسول الله صلى الله عليه وآله نائمين في رقعاء من التراب فايقظهما، و حرّك عليّا فقال: قم يا أبا تراب أ لا اخبرك باشقى الناس: أحيمر ثمود عاقر الناقة، و الذى يضربك على هذه [يعنى قرنه] فيخضب هذه منها [يعنى لحيته] «٢».

(٢) ٧- بعد أن رجع رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة بعد اليأس من قافلة قريش لم يقم بالمدينة إلا ليالى قلائل لا تبلغ العشر حتى هاجم «كرز بن جابر الفهري» على اهل المدينة و مواشيهم التي كانت قد سرحت للرعى بالغداء.

فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله في طلبه و قد استعمل على المدينة زيد بن حارثة حتى بلغ واديا من ناحية بدر وفاته كرز بن جابر فلم يدركه ثم رجع صلى الله عليه وآله و من معه إلى المدينة فأقام بها بقية جمادى الآخرة و رجبا

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ٥٩٨، تاريخ الخميس: ج ١ ص ٣٦٣.

(٢) الكامل: ج ٢ ص ١١٢ والمستدرک علی الصحیحین: ج ٣ ص ١٤٠ و ١٤١.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٨

و شعبان «١».

(١) ٨- وفي شهر رجب من السنة الثانية للهجرة بعث رسول الله صلى الله عليه وآله «عبد الله بن جحش» على رأس ثمانية رجال من

المهاجرين لملاحقة قافلة قريش التجارية، وقد كتب له كتابا بالمهمة التي يجب ان ينفذها، وأمره أن لا ينظر فيه قائلا له:

«قد استعملتك على هؤلاء النفر فامض حتى إذا سرت ليلتين فانشر (إي افتح) كتابي ثم امض (أي نفذ) لما فيه».

ثم عتین له رسول الله صلى الله عليه وآله الوجهة التي يجب أن يتوجه إليها.

فانطلق عبد الله ورفقاؤه و ساروا يومين كاملين كما أمرهم رسول الله صلى الله عليه وآله ثم فتح عبد الله كتاب النبي صلى الله عليه

و آله و قرأ ما فيه، فاذا فيه:

«إذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف على اسم الله و بركته فترصد بها قريشا، و تعلم (أي حصل) لنا من

أخبارهم و لا تكرر من أصحابك «٢» و امض لأمرى فيمن تبعك».

فلما قرأ الكتاب قال لأصحابه: قد أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله أن امضى إلى نخلة أرصد بها قافلة قريش حتى آتية منهم

بخبر، و قد نهاني أن استكره أحدا منكم، فمن كان منكم يريد الشهادة و يرغب فيها فليطلق، و من كره ذلك فليرجع فأما أنا فامض

لأمر رسول الله صلى الله عليه وآله، و من أراد الرجعة فمن الآن.

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ٦٠١، الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ٩، و قد عدّ بعض المؤرخين هذه الحادثة ضمن الغزوة التي عرفت في

التاريخ باسم غزوة صفوان أو غزوة بدر الاولى.

(٢) يقال إنه كان الجنود- الى حين الحرب العالمية الثانية- إذا انتهوا من خدمتهم العسكرية تسلّم إليهم مع وثيقة الانتهاء من الخدمة

العسكرية رساله مغلقة محتومة يؤمر الجندي فيها بالمحافظة عليها كأمانة عسكرية لا يجوز له فتحها إلا عند حالات النفير العام، و العمل

بمضمونها و قد سبق النبي صلى الله عليه وآله إلى هذا التكتيك العسكري في أعماله النظامية.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٩

(١) فقال أصحابه اجمعون: نحن سامعون مطيعون لله و لرسوله و لك فسر على بركة الله حيث شئت، فسار هو و من معه لم يتخلف

منهم أحد حتى جاء نخلة فوجد قافلة لقريش يرأسها «عمرو بن الحضرمي» و هي عائدة من الطائف الى مكة، فنزل المسلمون بالقرب

منهم، و لكي لا- يكتشفهم العدو، و لا يعرف بأمرهم و مهمتهم حلّقوا رءوسهم ليتصوّر العدو أنهم عمّار يعتمون الذهاب الى مكة

للعمره

فلما رأهم رجال قريش على هذه الحال اطمأنوا و أمنوا جانبهم و قالوا: عمّار لا بأس عليكم منهم.

(٢) ثم تشاور المسلمون فيما بينهم في جلسة عسكرية للنظر فيما يجب عمله فتبين لهم: أنهم إذا تركوا القوم (أي قريشا) في تلك الليلة

(و كانت آخر ليلة من شهر رجب) لدخلوا الحرم، و لم يمكن قتالهم فيه، و ان خرج الشهر الحرام.

فأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم، و أخذ ما معهم، من هنا باغتوا تلك القافلة، و رمى «واقد بن عبد الله» قائدها «عمرو بن

الحضرمي» بسهم فقتله، و فرّ رجاله إلا نفرين هما: «عثمان بن عبد الله» و «الحكم بن كيسان» حيث أسرهما المسلمون، و عاد عبد الله

بن جحش و أصحابه بالقافلة مع ما فيها من أموال قريش و الاسيرين إلى المدينة.

(٣) و لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وآله و آله المدينة و أخبروه بأنهم قاتلوا القوم في الشهر الحرام (رجب) انزعج رسول الله

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ تَصْرِفِ قَائِدِ الْمَجْمُوعَةِ وَعَدَمِ اسْتِفْسَارِهِ لِمَا يَجِبُ أَنْ يَفْعَلَهُ بِشِدَّةٍ وَقَالَ:

«مَا أَمَرْتُمْ بِقِتَالِ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ».

وَقَدْ اسْتُخْدِمَتْ قَرِيشٌ هَذِهِ الْقَضِيَّةَ كَسِلَاحٍ دَعَائِيٍّ ضِدَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَاشَاعَتْ بِأَنَّ «مُحَمَّدًا» وَأَصْحَابَهُ قَدْ اسْتَحَلُّوا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَسَفَكُوا فِيهِ الدَّمَ وَأَخَذُوا الْأَمْوَالَ كَمَا أَنَّهُ تَشَاءَمَ الْيَهُودُ بِهَذِهِ الْقَضِيَّةِ وَأَرَادُوا أَنْ يَثِيرُوا فِتْنَةً، وَعَابَ الْمُسْلِمُونَ عَلَيَّ «عَبْدَ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ وَأَصْحَابَهُ» فَعَلْتَهُمْ هَذِهِ. هَذَا مِنْ جَانِبٍ وَمِنْ جَانِبٍ آخَرَ وَقَفَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الْأَمْوَالَ وَالْأَسِيرِينَ

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٠

وَأَبِي أَنْ يَأْخُذَ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ شَيْئًا وَبَقِيَ يَنْتَظِرُ الْوَحْيَ.

(١) وَفَجَأَهُ نَزْلُ جَبْرِئِيلَ بِهَذِهِ الْآيَةِ:

«يَسْئَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْقِتْلَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ» (١).

أَيُّ إِنْ كُنْتُمْ قَتَلْتُمْ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ، فَقَدْ صَدَّوْكُمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَعَ الْكُفْرِ بِهِ وَصَدَّكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَإِخْرَاجِكُمْ مِنْهُ وَأَنْتُمْ أَهْلُهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ قَتْلِ مَنْ قَتَلَ مِنْهُمْ «وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ» أَيُّ مَا كَانُوا يَرْتَكِبُونَهُ مِنْ فِتْنَةِ الْمُسْلِمِ فِي دِينِهِ حَتَّى يَرُدُّوهُ إِلَى الْكُفْرِ بَعْدَ إِيمَانِهِ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْقَتْلِ.

(٢) وَلَمَّا نَزَلَ الْقُرْآنُ بِهَذَا الْأَمْرِ، وَفَرَّجَ اللَّهُ تَعَالَى عَنِ الْمُسْلِمِينَ مَا كَانُوا فِيهِ مِنَ الْخَوْفِ وَالْحَيْرَةِ قَبَضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الْأَمْوَالَ، وَالْأَسِيرِينَ وَقَسَمَهَا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَكَانَتْ أَوَّلَ غَنِيمَةٍ غَنِمَهَا الْمُسْلِمُونَ.

وَبَعَثَتْ قَرِيشٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي فِدَاءِ أَصْحَابِهِمْ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ:

«لَنْ نَفْدِيَهُمَا حَتَّى يَقْدَمَ صَاحِبَانَا».

يَعْنِي رَجُلَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانَا قَدْ اسْرَا مِنْ قَبْلِ قَرِيشٍ، قَدْ اشْتَرَا فِي هَذِهِ الْعَمَلِيَّةِ وَلَكِنَّهُمَا أَضْلًا طَرِيقَهُمَا فِي الصَّحْرَاءِ فَأَسْرَتَهُمَا رَجَالٌ مِنْ قَرِيشٍ.

وَهَكَذَا أَبَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنْ يَطْلُقَ سَرَّاحَ أُسَيْرِي قَرِيشٍ لِقَاءِ فِدْيَةٍ إِلَّا إِذَا أُطْلِقَ الْمَشْرُكُونَ أُسَيْرِي الْمُسْلِمِينَ. قَائِلًا لِمَوْفَدِي قَرِيشٍ:

«إِنِّي أَخَافُ عَلَى صَاحِبِي إِنْ قَتَلْتُمْ صَاحِبِي قَتَلْتُمْ صَاحِبِيكُمْ».

فَاضْطَرَّتْ قَرِيشٌ إِلَى الْإِفْرَاجِ عَنِ الْمُسْلِمِينَ الْأَسِيرِينَ، وَمَعَ وَصُولِهِمَا إِلَى الْمَدِينَةِ أَفْرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَنِ أُسَيْرِي قَرِيشٍ.

وَمِنْ حَسَنِ الْحِظِّ أَنْ إِحْدَى ذَيْنِكَ الْأَسِيرِينَ أَسْلَمَ وَرَجَعَ الْآخَرَ إِلَى مَكَّةَ «٢».

(١) البقرة: ٢١٧.

(٢) المغازي: ج ١ ص ١٣-١٨، السيرة النبوية: ج ١ ص ٦٠٣-٦٠٥.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤١

(١)

ما ذا كان الهدف من المناورات العسكرية؟

لقد كان الهدف الاساسي من بعث و توجيه السرايا، و عقد الاتفاقيات و المعاهدات العسكرية مع القبائل القاطنة على خطوط التجارة

المكيه هو ايقاف قريش على قوة المسلمين العسكريه، و اشتداد ساعدهم، و خاصه عند ما كان النبي صلى الله عليه وآله يشترك بنفسه في العمليات، و يترصد مع مجموعات كبيره من أنصاره تحركات قريش الاقتصاديه، و يعترض قوافلها التجاريه. لقد كان رسول الاسلام صلى الله عليه وآله يريد بذلك إفهام حكومه مكه الوثنيه بأن جميع طرق التجاره المكيه هي في متناول يده، و أنه يستطيع - متى شاء - أن يشل اقتصاد المكيين بتعريض خطوطهم و طرقهم التجاريه، للتهديد الجدّي.

(٢) و لقد كانت التجاره أمرا حيويًا و حساسا جدا بالنسبه إلى أهل مكه، و كانت البضائع التي تنقل منها إلى الطائف و الشام تشكل اساس الاقتصاد المكي، فاذا كانت هذه الخطوط تتعرض للتهديد من قبل العدو و حلفائه مثل «بنى ضمرة» و «بنى مدلج» فان ذلك كان يعنى انهيار و انهدام و انهيار حياتهم.

لقد كان الهدف من بعث تلك الدوريات العسكريه هو: أن تعرف قريش بأن طريق تجارتها الرئيسيه هي الآن تحت رحمة المسلمين، فاذا استمروا في معاداتهم للاسلام و للمسلمين و حالوا دون انتشار الاسلام، و الدعوه إليه، و استمروا في ايداء من تبقى من المسلمين المستضعفين و العجزه في مكه و اضطهادهم، قطع المسلمون شريان اقتصادهم.

(٣) و الخلاصه أن الهدف كان هو أن تعيد قريش النظر في مواقفها في ضوء الحاله الجديده، و التهديد العسكري الاسلامي الجدّي، و تترك للمسلمين الحريه في الدعوه إلى عقيدتهم، و تفتح الطريق لزيارة بيت الله الحرام، و نشر التوحيد ليستطيع الاسلام بمنطقه القوى، و المحكم أن ينفذ في القلوب، و يتجلى نور الاسلام و يشع على جميع نقاط شبه الجزيرة العربيه، و ربوعها، و بخاصه منطقه

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٢

الحجاز مركز الجزيرة، و قلبها النابض.

(١) فان المتكلم مهما كان قوى المنطق، سديد البرهان و أن المرابي و المرشد مهما كان مخلصا مجدا فإنه لا يستطيع أن يحرز اي نجاح في تنوير العقول، و تهذيب النفوس و بث الفكر الصحيح إذا لم تتوفر له حريه العمل، و لم تنهيه له البيئه المطمئنه و أجواء الحريه و الديمقراطيه.

و لقد كان الاضطهاد و الكبت و سلب الحريات التي كانت تمارسها قريش هي الموانع الكبرى أمام تقدم الاسلام و سرعه انتشاره و نفوذه، و كان الطريق الى كسر هذا السد، و إزالة هذا المانع ينحصر في تهديد اقتصادها و تعريض خطوطها التجاريه، للخطر، و كانت هذه الخطة تتحقق فقط عن طريق القيام بتلك المناورات العسكريه و الاستعراضات الحريه، و العمليات الاعتراضيه.

(٢)

نظريه المستشرقين:

و لقد وقع المستشرقون عند تحليلهم لهذه العمليات في خطأ كبير، و تفوهوا نتيجة ذلك بكلام يخالف القرائن و الشواهد الموجوده في التاريخ.

فهم يقولون: لقد كان هدف النبي صلى الله عليه وآله من مصادره أموال قريش، و السيطرة عليها هو تقويه نفسه. في حين أن هذا الرأي لا يلائم نفسيه أهل يثرب لأن الغاره، و قطع الطريق، و استلاب الأموال، من شيم الاعراب أهل البوادي، البعيدين عن روح الحضاره، و قيم المدنيه و أخلاقها، بينما كان مسلمو يثرب عامه، أهل زرع، و فلاحه، و لم يعهد منهم أن قطعوا الطرق على القوافل، أو سلبوا أموال القبائل التي كانت تعيش خارج حدودها.

و أما حروب الأوس و الخزرج فقد كان لها أسباب و علل محليه، و قد كان اليهود هم الذين يؤججون نيرانها، بغيه إضعاف القوى و الصفوف العربيه و تقويه نفسها و موقعها.

(٣) و من جانب آخر لم يكن المسلمون المهاجرون الذين كانوا حول الرسول

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٣

صلى الله عليه وآله ينون ملافاة ما خسروه، رغم أن ثرواتهم وممتلكاتهم كانت قد صودرت من قبل المكيين، ويدل على ذلك أنهم لم يتعرضوا بعد معركة «بدر» لأية قافلة تجارية لقريش.

كيف لا- وقد كان الهدف وراء أكثر هذه البعث والارساليات العسكرية هو تحصيل و جمع المعلومات، عن العدو و تحركاته و خططه، و المجموعات التي لم يكن يتجاوز عدد أفرادها غالبا الثمانية أو الستين أو الثمانين رجلا لا يمكنها قطع الطريق، و استلاب الاموال، و مصادر القوافل التجارية الكبرى التي كان يقوم بحراستها رجال أكثر عددا و أقوى عدّة من تلك السرايا، بأضعاف المرات غالبا.

(١) فاذا كان الهدف هو الحصول على المال و الثروة من هذا الطريق فلما ذا خصّت قريش بذلك، و لم يعترض المسلمون تجارة غيرهم من القبائل المشتركة؟

و لما ذا لم يمس المسلمون شيئا من أموال غير قريش.

و اذا كان الهدف هو الغارة، و قطع الطريق و استلاب الأموال، فلما ذا كان النبي صلى الله عليه وآله يبعث المهاجرين فقط، و لا يستعين بأحد من الأنصار في هذا المجال غالبا؟

و ربما قال هؤلاء المستشرقون: ان المقصود من هذه العمليات الاعتراضية كان هو الانتقام من قريش، لأن النبي صلى الله عليه وآله و أصحابه تعرّضوا على أيدي المكيين لألوان التعذيب و الاضطهاد و الأذى، فدفعتهم غريزة الانتقام و الثأر- بعد أن حصلوا على القوة- الى تجريد سيوفهم، للانتقام من الذين طالما اضطهدوهم، و ليسفكوا منهم دما!!

(٢) و لكن هذا الرأي لا يقل في الضعف و الوهن و السخافة عن سابقه، لأن الشواهد و القرائن التاريخية الحيّة العديدة، تكذّبه و تفتّده، و توضّح- بجلاء- أن الهدف من بعث تلك السرايا و الدوريات العسكرية لم يكن أبدا القتال و الحرب، و الانتقام و سفك الدماء.

و إليك ما يدلّ على بطلان هذه النظرية:

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٤

(١) أولا: اذا كان هدف النبي صلى الله عليه وآله من بعث تلك المجموعات العسكرية هو القتال و استلاب الاموال و اخذ المغنم، و جب أن يزيد في عدد أفراد تلك المجموعات، و يبعث كتائب- عسكرية مسلّحة، و مجهزة تجهيزا قويا، إلى سيف البحر، و شواطئه على حين نجد أنه صلى الله عليه وآله بعث مع «حمزة بن أبي طالب» ثلاثين شخصا، و مع «عبيدة بن الحارث» ستين شخصا، و مع «سعد بن أبي وقاص» أفرادا معدودين لا يتجاوزون العشرة، بينما كانت قريش قد أنطت حراسة قوافلها إلى أعداد كبيرة جدا من الفرسان، تفوق عدد أفراد المجموعات العسكرية الاسلامية.

فقد واجه «حمزة» ثلاثمائة، و عبيدة مائتين رجلا من قريش، و قد ضاعفت قريش من عدد المحافظين و الحرس على قوافلها خاصة بعد أن عرفت بالمعاهدات و التحالفات التي عقدها رسول الله صلى الله عليه وآله مع القبائل القاطنة على الشريط التجاري؟! هذا مضافا إلى أنه لو كان قادة هذه البعث و الدوريات مكلفين بمقاتلة العدو فلما ذا لم يسفك من أحد قطرة دم في أكثر تلك البعث و العمليات و لما ذا انصرف بعضهم لوساطة قام بها «مجدى بن عمرو» بين الطرفين؟!

(٢) ثانيا: ان كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله الذي كتبه لعبد الله بن جحش شاهد حيّ على أن الهدف لم يكن هو القتال، و الحرب.

فقد جاء في ذلك الكتاب: «انزل نخلة بين مكة و الطائف فترصد بها قريشا و تعلم (اي حصّل) لنا من أخبارهم».

إن هذه الرسالة توضّح بجلاء أن مهمة عبد الله و جماعته لم تكن القتال قط، بل كانت جمع المعلومات حول العدو و تنقلاته و

تحرركاته، أى مهمة استطلاعية حسب.

و اما سبب الصدام فى «نخلة» و مصرع عمرو الحضرمى فقد كان القرار الذى أخذته الشورى العسكرية التى عقدتها نفس المجموعة، و ليس بقرار و أمر من رسول الله صلى الله عليه وآله.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٥

(١) و من هنا انزعج رسول الله صلى الله عليه وآله بمجرد سماعه بنيا هذا الصدام الدموى و لا مهم على فعلتهم و قال: «ما أمرتكم بقتال».

و يؤيد هذا ما ورد فى مغازى الواقدى عن سليمان بن سحيم أنه قال:

ما أمرهم رسول الله صلى الله عليه وآله بالقتال فى الشهر الحرام، و لا غير الشهر الحرام إنما أمرهم أن يتحسسوا أخبار قريش «١». و العلة فى أن النبى صلى الله عليه وآله كان يختار لهذه الدوريات و البعث رجالا من المهاجرين دون الأنصار هى أن الانصار قد بايعوا فى العقبة على الدفاع، أى أن معاهدتهم مع رسول الله صلى الله عليه وآله كانت معاهدة دفاعية تعهدوا بموجبها بأن يمنعوه من أعدائه و يدافعوا عنه إذا قصده عدو.

من هنا ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يريد أن يفرض عليهم مثل هذه المهمات، و يبقى هو فى المدينة، و لكنه عند ما خرج- فيما بعد- بنفسه أخذ معه جماعة من رجال الانصار تقوية لروابط الاخوة و الوحدة بين المهاجرين و الأنصار، و لهذا كان رجاله فى غزوة «بواط» أو «ذات العشيرة» يتكونون من الأنصار و المهاجرين.

(٢) و على هذا الاساس يتضح بطلان نظرية المستشرقين حول الهدف من بعث الدوريات العسكرية.

كما أن بالتأمل و الامعان فى ما قلناه يتضح أيضا بطلان ما قالوه فى هذا المجال فى تلك العمليات التى شارك فيها رسول الله صلى الله عليه وآله بنفسه، إذ أن الذين خرجوا معه ما كانوا ينحسرون فى المهاجرين خاصة بل كانوا خليطا من المهاجرين و الأنصار، و الحال أن الأنصار لم يبايعوا النبى على القيام بأية عملية هجومية ابتدائية، بل كل ما بايعوا عليه النبى كما قلنا هو: العمل الدفاعي،

(١) المغازى: ج ١ ص ١٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٦

فكيف يصح أن يدعوهم النبى صلى الله عليه وآله إلى عمليات قتالية ابتدائية هجومية.

(١) و تشهد بما نقول حادثة وقعت بدر التى سنشرحها فى ما بعد، فما لم يعلن الأنصار عن موافقتهم على قتال قريش لم يقرر النبى صلى الله عليه وآله الحرب، فى تلك الواقعة.

هذا و السبب فى تسمية أصحاب السير و التواريخ هذا النوع من العمليات التى خرج فيها النبى بنفسه (غزوة) و ان لم يقع فيها قتال و غزو، هو أنهم أرادوا أن يجمعوا كل الحوادث تحت عنوان واحد، و إنما فلم يكن الهدف الاساسي من هذه العمليات هو الحرب و القتال، أو السيطرة على الأموال و سلبها.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٧

(١)

٢٨ تحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة

لم يكن قد مضى على هجرة النبى صلى الله عليه وآله إلى المدينة عدة أشهر إلّا و بدأت نعمة معارضة اليهود للنبى صلى الله عليه وآله عليه و آله تظهر شيئا فشيئا!!

وفي الشهر السابع عشر من الهجرة بالضبط «١» أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله بالأمر المؤكّد القاطع بأن يتحول إلى الكعبة و يتخذها من الآن فصاعداً قبلة له و للمسلمين كافة، فيتوجهون إلى المسجد الحرام في أوقات الصلوات.

هذا هو مجمل القصة، وإليك بيانها على وجه التفصيل.

صلى رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاثه عشر عاما كامله في مكه نحو بيت المقدس.

(٢) و بعد الهجرة إلى المدينة كان الأمر الإلهي له هو أن يبقى على الحالة من حيث القبلة، أي بأن يصلى إلى بيت المقدس، كما كان يفعل في مكه.

و قد كان هذا الاجراء نوعا من المحاوله لاقامة التعاون و التقارب بين الدينين

(١) الطبقات الكبرى: ج ١ ص ٢٤١ و ٢٤٢، إعلام الوري بإعلام الهدى: ص ٧١ و ٧٢. و يقول ابن هشام في السيرة النبوية: ان القبلة صرفت عن الشام إلى الكعبة في رجب على رأس سبعة عشر شهرا من مقدم رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة (السيرة النبوية: ج ١ ص ٦٠٦) و يرى ابن الاثير أن ذلك حدث في منتصف شهر شعبان (الكامل: ج ٢ ص ٨٠).

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٨

القديم و الجديد، و لكن تنامي قوة المسلمين و اشتداد ساعدتهم أحدث رعبا كبيرا، و أوجد قلقا واسعا في أوساط اليهود القاطنين في المدينة لأن تقدّم الاسلام و المسلمين المطرد كان يدلّ على أن الدين الاسلامي سيعمّ في أقرب وقت كل أنحاء شبه الجزيرة العربية، و ستتقلّص (بل تزول) في المقابل قوة اليهود و سلطانهم، و مكانتهم، من هنا نصب أبحار اليهود العداوة لرسول الله صلى الله عليه وآله، و عمدوا إلى ممارسة سلسلة من الأعمال الإجهاضية و الإيذائية.

(١) لقد أخذوا يؤذون رسول الله صلى الله عليه وآله و المسلمين بمختلف أنحاء الطرق و بشتى الوسائل و السبل، و المعاذير و الحجج و من جعلتها التذرع بقضية صلاة النبي صلى الله عليه وآله و المسلمين إلى بيت المقدس.

فكانوا يقولون معيّرين إياه: أنت تابع لنا تصلى إلى قبلتنا!!

أو كانوا يقولون: تخالفنا يا محمّد في ديننا و تتبع قبلتنا «١».

فشقّ هذا الكلام على رسول الله صلى الله عليه وآله و اغتم لذلك غما شديدا فكان يخرج من بيته في منتصف الليل و يتطلع في آفاق السماء ينتظر من الله أمرا و وحيا في هذا المجال كما تفيد الآية الآتية:

«قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا» «٢».

(٢) و يستفاد من الآيات القرآنية في هذا المجال أنه كان لتغيير القبلة مضافا إلى الردّ على دعوى اليهود سبب آخر أيضا.

و هو أن هذه المسألة كانت من المسائل الاختبارية التي اراد الله تعال بها ان يمتحن المسلمين، و يميّز المؤمن الواقعي الحقيقي عن أدعياء الايمان، المنتحلين له كذبا و نفاقا، و أن يعرف النبي صلى الله عليه وآله به من حوله معرفة جيدة لأن إتباع النبي صلى الله عليه وآله في الأمر الثاني الذي نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله في أثناء الصلاة (و هو التوجه إلى المسجد الحرام) كان علامة قوية

(١) مجمع البيان: ج ١ ص ٢٥٥ أو: ما درى محمّد و أصحابه أين قبلتهم حتى هديناهم.

(٢) البقرة: ١٤٤.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٩

من علامات الايمان و التسليم، و الاخلاص و الوفاء للدين الجديد.

بينما كانت مخالفته علامة قوية من علامات النفاق و التردد كما يصرح القرآن الكريم بنفسه بذلك اذ يقول:

«وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنُعَلِّمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ» (١).

و من المسلم أنه يمكن الوقوف على حكم اخرى لهذا الأمر (أى صرف القبلة من الشام الى الكعبة) إذا تتبعنا تاريخ الاسلام بشكل أوسع، و طالعنا أوضاع شبه الجزيرة العربية.

(١) و يمكن الاشارة الى بعض هذه الحكم مضافا الى ما ذكرناه:

(٢) أولا: أن الكعبة التي رفعت قواعدها على يدى بطل التوحيد و ناشر لوائه النبى العظيم «ابراهيم الخليل» (عليه السلام) كانت موضع احترام و تقديس من المجتمع العربى، فقد كان العرب يحبون الكعبة و يعظمونها غاية التعظيم على ما هم عليه من الشرك و الفساد، فكان اتخاذه قبله من شأنه كسب رضا العرب، و استماله قلوبهم، و ترغيبهم فى الاسلام تمهيدا لاعتناق دين التوحيد و نبذ الاوثان و الاصنام.

و أى هدف، و أية غاية ترى أسمى و أجل من أن يؤمن المشركون المعاندون المتخلفون عن ركب الحضارة و المدنية، و ينتشر الاسلام بسببهم فى كل أنحاء العالم.

(٣) ثانيا: أن الابتعاد عن اليهود الذين لم يكن يؤمل فى إذعانهم للاسلام، و ايمانهم برسالة (محمّد) ذلك اليوم كان يبدو أمرا ضروريا، لأنهم كانوا يقومون بأعمال ايدائية ضد الاسلام و المسلمين و يطلعون على رسول الله صلى الله عليه

(١) البقرة: ١٤٣. و يمكن بيان هذه العلة بصورة أخرى و هى إنما أمر بالصلاة الى بيت المقدس لأن مكة و بيت الله الحرام كانت العرب آلفه بحجها فأراد الله أن يمتحن بغير ما آلفوه ليظهر من يتبع الرسول ممن لا يتبعه. (راجع مجمع البيان: ج ١ ص ٢٢٢ و ٢٢٣).

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٠

و آله بين الفينة و الأخرى بأسئلة عويصة يشغلونه بها، يظهرن بها- حسب تصورهم- أنهم يعرفون أمورا كثيرة و أنهم علماء، و بذلك يضيعون على رسول الله صلى الله عليه و آله الوقت، و يشغلونه عن مهامه الكبرى.

فكان تغيير القبلة واحدا من مظاهر الابتعاد عن اليهود و اجتنابهم، تماما مثل نسخ صوم يوم عاشوراء الذى تم لنفس هذا الغرض. فقد كانت اليهود تصوم يوم عاشوراء قبل الاسلام، فأمر النبى صلى الله عليه و آله المسلمون بأن يصوموا هذا اليوم أيضا، ثم نسخ الأمر بصوم عاشوراء و فرض مكانه صوم شهر رمضان «١».

(١) و على كل حال فان الاسلام الذى يتفوق على جميع الأديان، يجب أن تتجلى فيه هذه الحقيقة بحيث يغدو أمر تكامله و تفوقه باديا للعيان، واضحا للجميع.

و فى هذه الحالة تصوّر بعض المسلمين أن ما أتوا به من صلاة و عبادة و هم متجهين إلى بيت المقدس كان باطلا إذ قالوا: كيف بأعمالنا التى كنا نعمل فى قبلتنا الأولى، أو حال من مضى من أمواتنا و هم كانوا يصلون الى بيت المقدس؟! فنزل الوحي الإلهى يقول:

«وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ» (٢).

و مع ملاحظة هذه الاعتبارات و بينما كان النبى صلى الله عليه و آله قد انتهى من الركعة الثانية من صلاة الظهر، نزل عليه جبرئيل، و أمره بأن يتوجه بالمصلين معه حذب المسجد الحرام.

(٢) و جاء فى بعض الاخبار أن جبرئيل أخذ بيد النبى صلى الله عليه و آله و أداره نحو المسجد الحرام، فتبعه الرجال و النساء الذين كانوا يأتمون به فى

(١) مجمع البيان: ج ١ ص ٢٧٣.

(٢) البقرة: ١٤٣. والمراد من الايمان هنا هو العمل و هو من الموارد التي استعمل فيها لفظ الايمان و اريد به العمل.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥١.

المسجد «١».

فتحوّل الرجال مكان النساء و النساء مكان الرجال فكان أول صلواته الى بيت المقدس، و آخرها الى الكعبة.

و منذ ذلك الحين جعلت الكعبة المعظمة- زاد الله من شرفها- قبلة مستقلة للمسلمين يتوجهون إليها في كثير من واجباتهم و شعائرهم الدينية «٢».

هذا و الغريب أن اليهود الذين كانوا قبل نزول الأمر بالتحوّل من بيت المقدس الى الكعبة المعظمة يفتخرون على المسلمين بأنهم يصلّون على قبلة اليهود، لما حوّل المسلمون إلى الكعبة المعظمة، و امروا بالصلاة إليها دون بيت المقدس أخذوا يعيرون على المسلمين التوجه إلى نقطة ما في الأرض فردّ الله عليهم بقوله:

«سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» «٣».

أى ان الله فوق الزمان و المكان، و التوجه إلى نقطة خاصة في حالة العبادة انما هو لمصالح اجتماعية خاصة فالصلاة الى الكعبة توجه الى الله كالصلاة الى بيت المقدس سواء بسواء.

(١)

كرامة علمية لرسول الله صلى الله عليه وآله:

و ما ينبغي الإشارة إليه هنا هو: أن العرض الجغرافي للمدينة- طبقا لمحاسبات علماء الفلك القدامى- هو ٢٥ درجة، و طولها ٧٥ درجة و ٢٠ دقيقة، و لهذا كانت قبلة المدينة لا توافق محراب رسول الله صلى الله عليه وآله الباقي على حالته السابقة الى الآن في مسجده الشريف، و قد سبب هذا الاختلاف حيرة لدى بعض المتخصصين في هذا العلم، و ربما دفعهم إلى ارتكاب توجيهات و تبريرات لرفع هذا الاختلاف.

(١) بحار الأنوار: ج ١٩ ص ٢٠١ عن من لا يحضره الفقيه.

(٢) كالصلاة و الذبح و دفن الموتى، و الدعاء و غير ذلك.

(٣) البقرة: ١٤٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٢.

(١) و لكن القائد المعروف بسردار الكابلي أثبت في الآونة الأخيرة- طبقا للمقاييس المعروفة اليوم- أن خط المدينة الجغرافي على عرض ٢٤ درجة و ٥٧ دقيقة و طول ٣٩ درجة و ٥٩ دقيقة «١».

و تكون نتيجة هذه المحاسبة هي أن قبلة المدينة تكون في نقطة الجنوب تماما و تنحرف عن نقطة الجنوب ب ٤٥ دقيقة فقط.

و هذا الاستخراج الفلكي للقبلة ينطبق على محراب رسول الله صلى الله عليه وآله أفضل تطبيق، و يعدّ هذا من كرامات النبي الاكرم صلى الله عليه وآله حيث توجه في حالة الصلاة «٢» من بيت المقدس الى الكعبة بصورة دقيقة و من دون أي انحراف و لا- جزئي مغتفر و ذلك من دون أية محاسبة فلكية، و علمية.

و قد أخذ جيرئيل بيده و حوّل وجهه نحو الكعبة المعظمة كما أسلفنا «٣».

(١) تحفة الأجلّة في معرفة القبلة: ص ٧١ طبعة ١٣٥٩.

(٢) من لا يحضره الفقيه للصدوق: ج ١ ص ١٧٨.

(٣) وقد نقل الحرّ العاملي في وسائل الشيعة: في أبواب القبلة ج ٣ ص ٢١٥ و ٢١٦ حادثه تحوّل النبيّ صلى الله عليه وآله في الصلاة من بيت المقدس الى المسجد الحرام فراجع.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٣

(١)

٢٩ معركة بدر

إشارة

معركة «بدر» من معارك الاسلام الكبرى و من حروبه البارزة، و قد اكتسب الذين شاركوا في هذه المعركة منزلة خاصة بين المسلمين فيما بعد.

فالواقعة التي كان يشارك فيها فرد أو عدة أفراد من المجاهدين في «بدر» أو اذا كانوا يشهدون على أمر قال المسلمون: و وافقنا عليه البديون.

أجل إن الذين شاركوا في معركة بدر من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله يدعون بالبدرين، و لم يكن هذا إلا لاهميّة تكلم الواقعة التاريخية.

و تتضح علّة هذه الأهميّة إذا نحن استعرضنا تفاصيل هذه الواقعة.

(٢) لقد قلنا في ما سبق أنه بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله في منتصف جمادى الآخرة من السنة الثانية للهجرة، أن قافلة قريش التجارية خرجت من مكة إلى الشام بقيادة «أبي سفيان بن حرب».

فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله لملاحقتها إلى «ذات العشيرة» و توقّف هناك إلى مطلع الشهر التالي، و لم يعثر على تلك القافلة، و قد كان وقت عودة القافلة معلوما تقريبا، فقد كانت قافلة قريش تعود من الشام إلى مكة في أوائل الخريف.

و من المعلوم أنّ أوّل خطوة على طريق الانتصار في مثل هذه المحالات هو

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٤

تحصيل أكبر قدر من المعلومات حول العدو لأنّ قائد الجيش ما لم يعرف شيئا عن استعدادات العدو، و نقطة تمرّكه و تواجده، و معنويات أفرادها، فإنه ربما ينهزم و ينكسر في أول مواجهة.

(١) و لقد كان من أساليب النبيّ الاكرم صلى الله عليه وآله الرائعة في جميع الحروب و المعارك التي ستقرأ تفاصيلها هو جمع المعلومات حول مدى استعداد العدو، و مبلغ تهيوّه و مكان تواجده، و تمرّكه، و هذه مسألة تحظى و الى اليوم بأهميّة خاصية في الحروب العالمية و المحلية، بل و ترصد لها ميزاتيات كبرى، و تستخدم أجهزة عريضة في عالمنا الحاضر، كما هو معلوم للجميع، و كما أشرنا الى ذلك فيما سبق.

و قد بعث رسول الله صلى الله عليه وآله عينا له على قافلة قريش اسمه «عدى» - حسب رواية المجلسي «١» - أو «طلحة بن عبيد الله» و «سعيد بن زيد» حسب ما قال صاحب «حياة محمّد» نقلا عن المصادر التاريخية «٢»، لإخباره عن مسير تلك القافلة، و عدد حرّاسها و

رجالها و نوعية البضائع المحمّلة.

فلما عاد العين أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله:

١- بأن قافلة قريش قافلة كبرى شارك فيها كل أهل مكة، حتى أنه ما من قرشي أو قرشيء بمكة له مثقال فصاعدا إلا بعث به في تلك القافلة.

٢- إن البضائع يحملها ألف بعير و أن قيمتها تبلغ خمسين ألف دينار.

٣- و أنه يقودها «أبو سفيان بن حرب» في أربعين رجلا.

(٢) و حيث إن أموال المسلمين المهاجرين إلى المدينة كانت قد صودرت في مكة على أيدي قريش من هنا كان الوقت مناسباً جداً لأن يأخذ المسلمون أموال قريش في تلك القافلة، و يحتفظوا بها ريثما تفرج قريش عن أموال المسلمين المهاجرين المصادرة بمكة، فإذا لجؤا و أصروا في مصادرة أموال المسلمين قسم

(١) بحار الأنوار: ج ١٨ ص ٢١٧.

(٢) المغازي: ج ١ ص ١٩.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٥

المسلمون في المقابل أموال قريش المأخوذة فيما بينهم و تصرفوا فيها كغنائم حرب من هنا قال رسول الله صلى الله عليه وآله لهم: «هذا غير قريش (أى قائلتهم) فيها أموالهم، فأخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها» (١).

من هنا استخلف رسول الله صلى الله عليه وآله في المدينة «عبد الله بن أم مكتوم» للصلاة بالناس، و القيام بالشؤون الدينية، و «أبا لبابة» للقيام بالشؤون السياسية.

ثم خرج من المدينة في ثلاثمائة و ثلاثة عشر رجلا لمصادرة أموال قريش أو بالاحرى توقيفها و حبسها.

(١)

النبي يتوجه الى منطقة ذفران «٢»:

لقد ترك رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة بعد أن أتاه خبر عن تحرك قافلة قريش، قاصدا وادى ذفران حيث طريق القافلة في يوم الاثنين، الثامن من شهر رمضان، و قد عقد رايتين سلم إحداهما إلى مصعب بن عمير، و الاخرى (و تسمى العقاب) إلى علي بن أبي طالب عليه السلام.

و لقد كانت المجموعة التي خرج بها النبي صلى الله عليه وآله تتألف من اثنين و ثمانين من المهاجرين، و مائة و سبعين من الخزرج، و واحد و ستين من الأوس، و كان عندهم ثلاثة أفراس فقط.

(١) المغازي: ج ١ ص ٢٠.

(٢) وادى ذفران الذي كان يمر به قافلة قريش التجارية يقع على مرحلتين من بدر.

و قد ذكر ابن هشام في سيرته جميع المراحل التي طواها رسول الله صلى الله عليه وآله من المدينة إلى ذفران و منه إلى بدر الذي ارتحل إليه رسول الله بعد أن بلغه نبأ تحرك قافلة قريش.

و بدر كان موسما من مواسم العرب يجتمع لهم به سوق كل عام يتبايعون فيه و يتفاخرون على غرار سوق عكاظ، و كان يقع على طريق مكة و المدينة و الشام. (راجع السيرة النبوية: ج ١ ص ٦١٣-٦١٨).

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٦

(١) و لقد بلغ حب الشهادة عند الاشخاص في المجتمع الاسلامي يومئذ مبلغا عجيبا حتى أن فتيانا دون الحلم اشتركوا في هذه

المعركة، و ردّ النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بَعْضَهُمْ إِلَى الْمَدِينَةِ لَمَّا اسْتَصْغَرَهُمْ (١).

إن كلام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَفِيدُ بَآلِهِ وَآلِهِ قَدْ وَعَدَهُم بِالرِّخَاءِ وَالْإِنْفِرَاجِ فِي الْمَعِيشَةِ وَذَلِكَ عَنْ طَرِيقِ السَّيْطَرَةِ عَلَى أَمْوَالِ قَرِيشَ، وَأَخَذَ بَضَائِعَهَا، وَكَانَ الْمَسْوُوعُ لِهَذَا الْعَمَلِ هُوَ مَا سَبَقَ أَنْ ذَكَرْنَاهُ، وَهُوَ أَنَّ قَرِيشًا كَانَتْ قَدْ صَادَرَتْ كُلَّ أَمْوَالِ الْمُهَاجِرِينَ الْمُسْلِمِينَ فِي مَكَّةَ، مَنْقُولَهَا وَغَيْرَ مَنْقُولَهَا، وَنَمَعَتْ مِنْ دَخُولِهِمْ مَكَّةَ، وَخُرُوجِهِمْ مِنْهَا. وَمِنَ الْوَاضِحِ أَنَّ يَسْمَحُ الْعَاقِلُ لِنَفْسِهِ - أَيْ كَانَ - بِأَنْ يِعَامَلَ عَدُوَّهُ بِمِثْلِ هَذِهِ الْمَعَامَلَةِ الَّتِي عَامَلَهَا بِهَا الْعَدُوُّ.

(٢) وَأَسَاسًا يَجِبُ أَنْ نَعْلَمَ أَنَّ سَبَبَ هِجُومِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى قَافِلَةِ قَرِيشَ هُوَ أَنَّهُمْ قَدْ ظَلَمُوا وَقَهَرُوا، الْأَمْرَ الَّذِي يَذْكُرُهُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ أَيْضًا، وَذَلِكَ يَسْمَحُ لِلْمُسْلِمِينَ بِأَنْ يِقَاتِلُوا عَدُوَّهُمْ وَيَعْتَرِضُوا تِجَارَتَهُمْ إِذْ يَقُولُ:

«أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ» (٢).

وَلَقَدْ كَانَ أَبُو سَفِيَانَ قَدْ عَرَفَ - عِنْدَ تَوَجُّهِهِ بِالْقَافِلَةِ إِلَى الشَّامِ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَتَرَصَّدُ الْقَافِلَةَ، وَلِهَذَا اتَّخَذَ كَافَةَ الْإِحْتِيَاطَاتِ عِنْدَ قَفُولِهِ وَرَجُوعِهِ مِنَ الشَّامِ، فَكَانَ يَسْأَلُ الْقَوَافِلَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَكَانَ إِذَا رَأَى أَحَدًا مِنْهُمْ سَأَلَهُ: هَلْ أَحْسَسْتَ أَحَدًا؟!

(١) المغازي: ج ١ ص ٢١.

وَرَوَى أَنَّهُ كَانَ الرَّجُلُ يَسَاهِمُ أَبَاهُ فِي الْخُرُوجِ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ رَغْبَةً فِي الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالشَّهَادَةِ فَكَانَ مِمَّنْ سَاهَمَ «سَعْدُ بْنُ خَيْثَمَةَ» وَأَبُوهُ فِي الْخُرُوجِ إِلَى بَدْرٍ، فَقَالَ سَعْدٌ لِأَبِيهِ: إِنَّهُ لَوْ كَانَ غَيْرَ الْجَنَّةِ أَثَرْتُكَ بِهِ، إِنِّي لِأَرْجُو الشَّهَادَةَ فِي وَجْهِ هَذَا. فَقَالَ خَيْثَمَةُ: آثَرْنِي، وَقَرِّ مَعِ نِسَائِكَ! فَبَى سَعْدُ.

فَقَالَ خَيْثَمَةُ: إِنَّهُ لَا بَدَّ لِأَحَدِنَا مِنْ أَنْ يَقِيمَ، فَاسْتَهَمَا (أَيِ اقْتَرَعَا) فَخَرَجَ سَهْمُ سَعْدٍ فَقَتَلَ بَدْرًا (الْمَصْدَر).

(٢) الحج: ٣٩.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٧

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَدْ خَرَجَ مَعَ أَصْحَابِهِ مِنَ الْمَدِينَةِ، يَلْحَقُ قَافِلَةَ قَرِيشَ، وَكَانَ نَزَلَ فِي وَادِي ذِفْرَانَ.

(١) وَلَمَّا أَحْسَسَ أَبُو سَفِيَانَ بِذَلِكَ أَحْجَمَ عَنِ الْإِقْتِرَابِ إِلَى مَنْطِقَةِ بَدْرٍ وَ لَمْ يَرِ بَدَأًا مِنْ أَنْ يَخْبِرَ قَرِيشًا بِالْخَطَرِ الَّذِي يَحْدُقُ بِتِجَارَتِهِمْ، وَأَمْوَالِهِمْ، وَيَطْلُبُ مَسَاعِدَتَهُمْ، فَاسْتَأْجَرَ رَجُلًا يَدْعَى «ضَمْضَمُ بْنُ عَمْرٍو الْغَفَارِيُّ» وَأَمْرُهُ بِأَنْ يَجْدَعَ بَعِيرَهُ (يَقَطُّعُ أَنْفَهُ) وَيَحْوِلَ رَحْلَهُ، وَيَشُقُّ قَمِيصَهُ مِنْ قَبْلِهِ وَدُبْرَهُ وَيَصِيحُ الْغَوْثَ! الْغَوْثَ، وَيَخْبِرُ قَرِيشًا أَنَّ مُحَمَّدًا تَعَرَّضَ لِتِجَارَتِهِمْ!!

فَخَرَجَ ضَمْضَمُ سَرِيعًا إِلَى مَكَّةَ، وَ لَمَّا قَدَمَهَا وَقَفَ بِبَطْنِ الْوَادِي يَصِيحُ بِأَعْلَى الصَّوْتِ: يَا مَعْشَرَ قَرِيشَ اللَّطِيمَةُ اللَّطِيمَةُ «١»، أَمْوَالِكُمْ مَعَ أَبِي سَفِيَانَ قَدْ تَعَرَّضَ لَهَا مُحَمَّدٌ فِي أَصْحَابِهِ، لَا أَرَى أَنْ تَدْرِكُوهَا، الْغَوْثُ الْغَوْثُ «٢».

(٢) فَأَثَارَ هَذَا الْمَنْظَرَ الْمَثِيرَ، وَاسْتِغَاثَاتِ ضَمْضَمِ الْمَتَّبَعَةِ أَهْلَ مَكَّةَ، فَتَجَهَّزُوا سَرْعًا، وَ تَهَيَّأُوا لِلْخُرُوجِ، وَ أَعَدَّ كُلُّ صِنَادِيدِ قَرِيشَ وَ رِجَالِهَا الْمُقَاتِلِينَ أَنْفُسَهُمْ لِلتَّحَرُّكِ نَحْوَ الْمَدِينَةِ إِلَّا أَبُو لَهَبٍ الَّذِي لَمْ يَشْرَكَ فِي هَذَا الْخُرُوجِ، وَ أَرْسَلَ مَكَانَهُ «الْعَاصِيُ بْنُ هِشَامٍ» لِقَاءِ أَجْرٍ قَدْرَهُ أَرْبَعَةَ آلَافِ دَرَاهِمٍ.

وَ أَرَادَ «أَمِيَّةُ بْنُ خَلْفٍ» هُوَ الْآخِرُ أَنْ يَتَخَلَّفَ لِأَسْبَابِ خَاصَّةٍ، فَقَدْ قِيلَ لَهُ:

أَنَّ مُحَمَّدًا يَقُولُ: لِأَقْتُلَنَّ أَمِيَّةَ بْنَ خَلْفٍ «٣».

فَرَأَى أَشْرَافَ قَرِيشَ وَ سَادَاتِ مَكَّةَ أَنَّ تَخَلَّفَ رَجُلٌ مِثْلَهُ يَضْرِبُ بِقَرِيشَ وَ يُوَهِّنُ مِنَ عَزِيمَةِ الْجَيْشِ، فَفَرَرُوا إِثَارَتَهُ وَ تَحْرِيكَهُ فَأَتَاهُ عَقْبَةُ بْنُ أَبِي مَعِيْطٍ وَ أَبُو جَهْلٍ وَ هُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ بَيْنَ ظَهْرَانِيَّ قَوْمِهِ، بِمَجْمَرَةٍ يَحْمِلَانَهُ فِيهَا نَارٌ وَ عَوْدٌ يَتَبَخَّرُ بِهِ حَتَّى وَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ ثُمَّ قَالَ لَهُ:

«يا أمية استجمر فإنما أنت من النساء!»

(١) اللطيمة: الابل التي تحمل الاقمشة و العطور، و النداء يعنى: ادركوا اللطيمة ادركوها.

(٢) الكامل فى التاريخ: ج ٢ ص ٨١ المغازى: ج ١ ص ٣١، بحار الانوار: ج ١٩ ص ٢١٦.

(٣) المغازى: ج ١ ص ٣٥.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٨

فغضب أمية، و هاجت به الحمية، فتجهز من فوره، و خرج مع الناس «١».

و خلاصة القول أنه اوعبت قريش لما سمعت بتعرض قافلتها و أموالها للخطر من قبل النبى صلى الله عليه وآله و أصحابه، فكانوا بين رجلين إما خارج أو باعث مكانه رجلا و ما بقى أحد من عظماء قريش إلا أخرج مالا لتجهيز الجيش، و أخرجوا معهم المغنيات يضربن بالدفوف و يهيجن الرجال للقتال.

(١)

المشكلة التي كانت تواجهها قريش:

و لما اعلن عن موعد الرحيل تذكرت قريش بأن بينهم و بين قبيلة «بنى بكر» عداة قديما، فخافوا أن يوجهوا إليهم ضربة من الخلف، أو يحملوا على نسائهم و ذراريتهم فى مكة فى غياب منهم فكاد ذلك يثنيهم عن الخروج.

و قد كان العداة بين قريش و بنى بكر يعود إلى دم سفك بينهم فى قصة ذكرها ابن هشام و غيره من كتاب السيرة «٢».

و لكن سراقه بن جعشم المدلجى - و كان من أشرف بنى كنانة و هم من بنى بكر - طمأنهم، و وعدهم بأن لا تأتيهم بنو بكر من خلفهم بشيء يكرهونه، و لما اطمأنوا خرجوا صوب المدينة سراعا.

(٢) و كان النبى صلى الله عليه وآله و أصحابه قد خرجوا من المدينة لاعتراض قافلة قريش التجارية، و هبطوا فى وادى ذفران، و بقوا هناك ينتظرون مرورها، و لكنه فجأة بلغه خبر جديد غير أفكار قادة الجيش الاسلامى، و فتح - فى الحقيقة - فصلا جديدا فى حياتهم. فقد أتاه الخبر عن مسير قريش باتجاه المدينة لحماية قافلتها التجارية، و أن جيشها قد وصل إلى مشارف المنطقة التي يتواجد فيها رسول الله صلى الله عليه وآله و أصحابه، و أن طوائف متعددة قد ساهمت و شاركت فى تكوين هذا الجيش.

(١) تاريخ الطبرى: ج ٢ ص ١٣٨، الكامل فى التاريخ: ج ٢ ص ٨٢، المغازى: ج ١ ص ٣٥ و ٣٦.

(٢) السيرة النبوية: ج ١ ص ٦١٠ و ٦١١، المغازى: ج ١ ص ٣٨ و ٣٩.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٩

(١) فوجد رسول الله صلى الله عليه وآله و القائد الاعلى للمسلمين نفسه أمام خيارين:

إما أن يقاتل، و لكنّه لم يخرج هو أو أصحابه الذين مرّ ذكرهم إلا لمصادرة أموال قريش، فلم يكونوا متهيئين لمقاتلة الجيش المكى الكبير، لا من حيث العدد، و لا من حيث العدة.

و إما أن يرجع إلى المدينة من حيث أتى، و هذا يعنى أن ينهار كل ما كسبه من الهيبة و المهابة، بفضل المناورات العسكرية، و العروض النظامية السابقة.

و بخاصة إذا تقدم العدو نحو المدينة فى ظل هذا الانسحاب و اجتاحت مركز الإسلام «المدينة المنورة».

ف رأى النبى صلى الله عليه وآله أن لا ينسحب، بل يقاتل العدو بما عنده من العدة القليلة و العدد القليل و يقاوم حتى اللحظة الأخيرة و

النفس الأخير.

(٢) و الجدير بالذكر أنّ أكثر الذين كانوا مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كانوا من شَبَّانِ الأنصار و كان عدد المهاجرين لا يتجاوز ٨٢ شخصا.

و كانت بيعة العقبة التي باع فيها الأنصار رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بيعة على الدفاع عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ و حمايته لا القتال و الحرب.

اي انهم بايعوه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ على أن يمنعونه في المدينة فلا يصل إليه أحد من أعدائه و هو بينهم. أمّا أن يخرجوا معه الى خارج المدينة لقتال العدو فلم يبايعوا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ على مثل ذلك فما ذا يفعل القائد الأعلى للمسلمين.

إنه لم ير مناصا من استشارة الناس الذين معه، و معرفة رأيهم في ما يجب اتخاذه من طريقه حل لهذه المشكلة. (٣)

النبي يعقد شوري عسكرية:

و هنا وقف رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في تلك الجماعة و قال: أشيروا

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٠

عليّ أيها الناس.

فقام أبو بكر و قال: يا رسول الله إنّها قريش، و خيلاؤها ما آمنت منذ كفرت، و لا دلت منذ عزّت و لم نخرج على أهبة الحرب!! و هذا يعني أنه رأى من الصالح ان ينسحبوا الى المدينة، و لا يواجهوا قريشا. فقال له رسول الله: اجلس.

ثم قام عمر بن الخطاب، و كرّر نفس مقالة أبي بكر، فأمره النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بالجلوس أيضا.

ثم قام «المقداد بن عمرو» و قال: يا رسول الله امض لما أراك الله فنحن معك، و الله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى: اذهب أنت و ربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون.

و لكن اذهب أنت و ربك فقاتلا، و إنا معكما مقاتلون.

فو الذي بعثك بالحق لو سرت الى برك الغماد (و هو موضع بناحية اليمن) لجالدنا معك من دونه، حتى تبلغه، و لو أمرتنا أن نخوض جمر الغضا (أي النار المتقدة) و شوك الهراس (و هو شجر كبير الشوك) لخضناه معك.

فقال له رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ خيرا و دعا له به.

(١)

إخفاء الحقائق و كتمانها:

إذا كان إخفاء الحقائق، و التعقيم عليها و سترها، و التعصب الباطل أمرا مشينا من كلّ من أَلْف و كتب، فإنّه و لا شك أقبح من المؤرّخ، المؤتمن على التاريخ و حقائقه.

فان على المؤرّخ أن يكون مرآة صادقة للأجيال القادمة لا يكدرها غبار التعصب، و غشاوة التحريف و التبديل و الكتمان للحقائق.

و لقد ذكر ابن هشام «١» و المقرئ «٢» و الطبري «٣» ما وقع في الشورى

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ٦١٥.

(٢) إمتاع الاسماع: ص ٧٤.

(٣) تاريخ الطبرى: ج ٢ ص ١٤٠.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦١

العسكرية التي عقدها رسول الله صلى الله عليه وآله وأدرج فيها ما قاله المقداد، وقاله سعد بن معاذ في كتبهم على وجه التفصيل، و لكنهم أحجموا عن إدراج ما قاله أبو بكر وعمر وإنما قالوا: وقال فلان وأحسن، وقال فلان واحسن!!
(١) وهنا نسأل ذينك المؤرخين اذا كان ما قاله فلان وفلان حسنا أَرْضَى رسول الله صلى الله عليه وآله فلما ذا تركوا ذكره على نحو التفصيل كما فعلوا بالنسبة إلى كلام مقداد وسعد.

بلى؛ إنهما لم يقولوا- إنما ما ذكرناه قبل قليل، ليس غير. وإذا كان أولئك المؤلفون يكتمون الحقائق، فقد أظهرها الآخرون وسجلوا نص ما قاله الرجلان «١»، ولم يكن قولاً حسناً ولا كلاماً طيباً، بل كان كلامهما مشبهاً، ينم عن خوف، و وحش، فهما صوّرا قريشاً قوة لا- تقهر، وجيشاً لا- يدحر، غير آبهين بما تركت كلماتهم من الأثر السيئ في نفوس المسلمين في ذلك الظرف الدقيق، واللحظة الخطيرة!!

و إنك أيها القارئ لتستطيع أن تعرف مدى انزعاج النبي صلى الله عليه وآله من مقالتهما، مما ذكره الطبرى نفسه في الصفحة ذاتها، فان الشيخين كما تلاحظ، كانا أول من نطقا في تلك الشورى، ثم تكلم بعدهما المقداد، وسعد بن معاذ.
(٢) فان الطبرى يروى عن ابن مسعود أنه قال: لقد شهدت من المقداد مشهداً لئن أكون أنا صاحبه أحب إلي مما في الارض من شيء كان رجلاً فارساً و كان

(١) المغازى: ج ١ ص ٤٨، السيرة الحلبية: ج ٢ ص ١٦٠، بحار الأنوار: ج ١٩ ص ٢١٧.

قال الواقدي: ثم قال عمر: يا رسول الله أنها والله قريش وعزها، والله ما دلت منذ عزت، والله ما آمنت منذ كفرت، والله لا تسلم عزها أبداً، ولتقاتلنك فأتبب لذلك أهبتة، وأعد لذلك عدته!!!

كما جاء في صحيح مسلم: ج ٥ ص ١٧٠ باب غزوة بدر و مسند أحمد: ج ٣ ص ٢١٩ بطريقتين انه حين بلغ النبي صلى الله عليه وآله اقبال ابى سفيان شاور أصحابه، فتكلم أبو بكر فاعرض عنه، ثم تكلم عمر فاعرض عنه.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٢

رسول الله صلى الله عليه وآله اذا غضب احمازت وجنتاه، فاتاه المقداد على تلك الحال «١» فقال: أبشر يا رسول الله فوالله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى: «اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون» «٢».

ولقد كان ذلك المجلس مجلس استشارة و تبادل للرأى و كان لكل أحد الحق في أن يدلى برأيه، و يطرح نظره على القائد الأعلى، و لكن مجريات الاحداث أثبتت أن مقداد كان أقرب إلى الصواب، و أكثر توفيقاً في اصابه الحق من ذينك الرجلين.

وقد أشار القرآن الكريم إلى تخوف بعض المسلمين من مواجهة العدو في هذه الموقعة إذ قال سبحانه:

«كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ» «٣».

و قال تعالى:

«يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ» «٤».

(١)

قرار الشورى الحاسم أو رأى زعيم الأنصار:

كانت الآراء التى طرحت آراء شخصيَّة وفردية على العموم، والحال أن الهدف الاساسي من عقد تلك الشورى كان هو الحصول على رأى الأنصار، فلمَّا لم يدل الأنصار برأيهم لم يمكن لتلك الشورى أن تتخذ رأيا حاسما، وتبت فى أمر. من هنا أعاد رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: «أشيروا علىَّ أيها

(١) أى وهو غاضب من مقاله و تشييط من تقدماه.

(٢) تاريخ الطبرى: ج ٢ ص ١٤٠.

(٣) الانفال: ٥.

(٤) الانفال: ٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٣

الناس» وهو يريد الأنصار.

فقام سعد بن معاذ الأنصارى و قال: و الله لكأنك يا رسول الله تريدنا؟

فقال النبى صلى الله عليه وآله: أجل.

(١) فقال سعد: بأبى أنت و أمى يا رسول الله صلى الله عليه وآله إنا قد آمنا بك، و صدقناك و شهدنا أن ما جئت به حق من عند الله، و أعطيناك موثيقنا و عهدنا على السمع و الطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فنحن معك، فوالذى بعثك بالحق، لو استعرضت بنا هذا البحر «١» فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد، و ما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا. إنا لصبر فى الحرب، صدق فى اللقاء لعلَّ الله يريك منا ما تقرَّ به عينك فسر بنا على بركة الله، وصل من شئت، و اقطع من شئت و خذ من أموالنا ما شئت، و ما أخذت من أموالنا أحبَّ إلينا مما تركت.

فسر رسول الله صلى الله عليه وآله بقول سعد و نشطه ذلك، و أزال سحابة اليأس من النفوس، و أشعل ضياء الأمل فى القلوب. و لهذا لم يفرغ ذلك الأنصارى البطل و القائد المؤمن الشجاع من مشورته الشجاعة إلَّا و أصدر رسول الله صلى الله عليه وآله أمره بالرحيل قائلا: «سيروا على بركة الله و ابشروا فإنَّ الله قد وعدنى إحدى الطائفتين و لن يخلف الله وعده. و الله لكأننى الآن أنظر الى مصارع القوم».

و تحرك الجيش الاسلامي بقيادة النبى الاكرم صلى الله عليه وآله و نزل عند آبار «بدر» «٢».

(٢)

تحصيل المعلومات حول العدو:

مع أنَّ المبادئ العسكرية و التكتيكات الحربية فى الوقت الحاضر تختلف

(١) يقصد البحر الأحمر.

(٢) المغازى للواقدي: ج ١ ص ٤٨، السيرة النبوية: ج ١ ص ٦١٥.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٤

عما كانت عليه فى العصور الغابرة اختلافا كبيرا إلَّا أن مسألة تحصيل المعلومات حول العدو و معرفة أسراره العسكرية، و مدى

استعداداته و مبلغ قواه التي يستخدمها، و درجة معنويات أفرادها لا تزال على أهميتها و قيمتها، لم تتغير من هذه، بل ازدادت أهمية في العصر الحاضر - كما أسلفنا -.

فهى تشكل الآن أيضا مفتاحا في الحروب، و منطلقا للانتصارات العسكرية.

(١) على أن هذه المسألة قد اتخذت اليوم صبغة التعليم و التمرين، فقد أصبح لها اليوم كتب و معاهد تتولى تعليم طرائق التجسس العسكري و اساليبه، كما و يعزى قادة المعسكر الغربي و الشرقي الكثير من نجاحاتهم إلى نجاحهم في توسعة دوائر التجسس و منظماته التي تستطيع اطلاع أصحابها على معلومات دقيقة و مفصلة عن خطط العدو و قواه، و اماكن تمر كزه و تواجدده، و خطوط إمداده، و تموينه تمهيدا لإفشال تحركاته أو إجهاضها فورا.

من هنا استقر الجيش الاسلامي في منطقة ثلاث مبادئ التستر بشكل كامل، و منع عن أى عمل من شأنه انكشاف أسرارها، كما أن فرقا مختلفة و متعددة كلفت بتحصيل و جمع المعلومات عن قريش و قافلها و جيشها.

(٢) فكانت المعلومات التي توفرت لدى القيادة الاسلامية هي كالتالي:

الف/ ان النبي نفسه ركب هو و رجل من قادة جيشه حتى وقف على شيخ من العرب فسأله عن قريش و عن محمد و أصحابه و ما بلغه عنهم فأخبرهم بأن محمد و أصحابه خرجوا يوم كذا و كذا، و انه إن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا و كذا للمكان الذي كان به رسول الله صلى الله عليه و آله و ان قريشا خرجوا يوم كذا و كذا، و انه ان كان الذي أخبره صدقه فهم اليوم بمكان كذا و كذا للمكان الذي فيه قريش.

و هكذا عرف رسول الله صلى الله عليه و آله نقطة تواجد قريش، و استقرار قواتهم.

(٣) باء/ بعث رسول الله صلى الله عليه و آله جماعة «الزبير بن العوام» و «سعد

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٥

بن أبي وقاص» بقيادة علي عليه السلام الى ماء بدر يلتصقون له الخبر، فأصابوا إبلا يستقى عليها الماء لقريش فيها غلامان أحدهما لبني الحجاج و الآخر لبني العاص فأتوا بهما إلى رسول الله صلى الله عليه و آله فسألهم النبي عن قريش فقالا: هم و الله وراء هذا الكتيب الذي ترى بالعدوة القصوى.

فقال لهما رسول الله صلى الله عليه و آله: كم القوم و ما عدتكم فقالا:

لا ندري، كثير. فقال رسول الله صلى الله عليه و آله: كم ينحرون (من الابل) كل يوم؟ قالوا: يوما تسعا و يوما عشرة.

فقال رسول الله صلى الله عليه و آله: القوم فيما بين التسعمائة و الألف.

ثم سألهما: فمن فيهم من أشرف قريش؟

قالا: عتبة بن ربيعة، و أبو البختري بن هشام، و حكيم بن حزام و شيبه بن ربيعة و أبو جهل بن هشام و أمية بن خلف و .. و ..

فأقبل رسول الله صلى الله عليه و آله على أصحابه و قال:

«هذه مكة قد ألتقت إليكم أفلاذ كبدها» (١).

(١) جيم/ كلف شخصان بالدخول الى قرية بدر و تقصى الحقائق حول قافلة قريش فيها فمضيا حتى نزلا بدرا فأناخا ابلهما الى تل قريب من الماء، ثم تظاهرا بأنهما يريدان أن يستسقيا، و كان على الماء جاريتين تستسقيان و تقول إحداها للآخرى: إنما تأتي القافلة غدا أو بعد غد فأعمل لهم ثم أقضيك الذي لك.

فقال لها «مجدى بن عمرو الجهني»، و كان على مقربة منهما: صدقت ثم خلص بينهما.

فسر صاحب رسول الله صلى الله عليه و آله لما سمعا فعادا في سرية كاملة إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و أخبراه بما سمعا (٢).

و الآن و بعد أن أصبح رسول الله صلى الله عليه و آله عارفا بوقت ورود القافلة، و مكان تواجد قريش، معرفة دقيقة عمد إلى ترتيب

المقدمات اللازمة.

(١) و (٢) السيرة النبوية: ج ١ ص ٦١٧.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٦

(١)

كيف هرب أبو سفيان؟

لقد تعرّض أبو سفيان قائد قافلة قريش لدى توجهه بها إلى الشام للملاحقة من قبل مجموعة من المسلمين، و لهذا فانه كان يعلم جيدا بأنهم سوف يتعرضون له عند قفوله من الشام أيضا.

و لهذا عند ما وصل بقافلة قريش إلى المنطقة الخاضعة للمراقبة الاسلامية أراحها في منطقة بعيدة عن متناول أيدي المسلمين و دخل هو قرية «بدر» يتجسس، و يسأل عن أخبار رسول الله صلى الله عليه وآله، فالتقى «مجدى بن عمرو» على ماء بدر فسأله: هل أحسست أحدا؟ (و يقصد هل رأيت أحدا من عيون محمّد و رجاله؟).

فأجابه مجدى قائلا: ما رايت أحدا انكره، إلّا أنى قد رأيت راكبين قد أناخا الى هذا التلّ ثم استقيا فى شئّ لهم، ثم انطلقا. فأتى أبو سفيان مناخهما، فأخذ من أبعاد بعيريهما، ففتّهما، فاذا فيه النوى فقال: هذه- و الله- علائف يثرب. هذه عيون محمّد و أصحابه، ما أرى القوم إلّا قريبا.

فرجع إلى أصحابه سريعا و حرّك القافلة من فوره، و ابتعد عن بدر و أخذ بها جهة ساحل البحر الأحمر كما أنه كلّف أحدا بإخبار قريش فورا، بأنّ قافلتهم أفلتت من يد محمّد و أصحابه، و أن أموالهم نجت فليرجعوا و ليتركوا محمّدا تكفيه العرب.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٧

خارطة معركة بدر

دليل الخارطة:

١- القلعة ٢- مدينة بدر ٣- النخيل ٤- مسجد العريش ٥- بيوت بدر

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٨

(١)

علم المسلمين بإفلات قافلة قريش:

عرف المسلمون بإفلات قافلة قريش، و انتشر هذا النبا بينهم بسرعة، فاغتمّ من خرج مع المسلمين يريد الحصول على شىء من تلك الأموال، فقال الله تعالى تثبिता لهم و تسكينا لقلوبهم:

«وَ إِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَ تَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَهِ تَكُونُ لَكُمْ وَ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحَقِّقَ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَ يَقَطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ. لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ وَ يَبْطِلَ الْبَاطِلَ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ» (١).

(٢)

إختلاف قريش فى القتال:

عند ما وافى رسول أبى سفيان قريشا و هم بالجحفه، و أبلغهم رساله أبى سفيان و طلب منهم الرجوع إلى مكه حدث بين رجال قريش

اختلاف عجيب.

وقال بنو زهرة والأخنس بن شريق وكانوا حلفاء على الرجوع قائلين: قد خلصت أموال سيد بنى زهرة: «مخرمة بن نوفل» و إنما نفرنا لمنعه و ماله، فلا حاجة بأن نخرج في غير منفعة.

و رجع طالب (ابن أبي طالب) إلى مكة و كان قد استكره على الخروج من مكة، و ذلك بعد مشاجرة بينه و بين رجل من قريش قال له:

«و الله لقد عرفنا يا بنى هاشم، و إن خرجتم معنا أن هواكم لمع محمد» (٢).

(٣) و أما أبو جهل فقد أصرَّ على مواصلة التقدم نحو المدينة، و عدم الرجوع إلى مكة خلافا لطلب أبي سفيان، قائلا:

و الله لا- نرجع حتى نرد بدرًا فنيق عليه ثلاثا فننحر الجزر (الأباعر) و نطعم الطعام، و نسقى الخمر، و تعزف لنا القيان و المغنيات، و تسمع بنا العرب و بمسيرنا، و جمعنا فلا يزالون يهابوننا أبدا بعدها، فامضوا!!

(١) الانفال: ٧ و ٨.

(٢) السيرة النبوية: ج ١ ص ٦١٩.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٩

(١) فحملت كلمات أبي جهل المغرية قريشا على مواصلة التقدم نحو المدينة، و نزلت في مكان مرتفع «١» خلف كتيب.

و أمطرت السماء مطرا غزيرا فأصاب قريشا منه ما لم يقدروا على أن يرتحلوا معه، و منعهم من مزيد التقدم.

بينما لم يحدث المطر أى مشكلة في العدو الدنيا للمسلمين و لم يمنع من تحركهم بل كان بحيث لبد الأرض حتى ثبتت أقدامهم «٢».

و «بدر» منطقة واسعة يتكون جنوبها من مكان مرتفع (العدوة القصوى) و شمالها من مكان منخفض منحدر (العدوة الدنيا) و كانت في هذا الوادي الواسع بضع آبار و عيون ماء، فكان منزلا للقوافل ينزلون فيه و يستقون، و يستريحون ردحا من الزمن.

(٢) و هنا تقدم «الحباب بن منذر» و كان فارسا مجربا و عسكريا محنكا باقتراح الى النبي صلى الله عليه و آله إذ قال: يا رسول الله أ رأيت هذا المنزل منزلا أنزلك الله ليس لنا أن نتقدمه و لا نتأخر عنه أم هو الرأي و الحرب و المكيدة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه و آله: «بل هو الرأي و الحرب و المكيدة».

فقال: يا رسول الله فان هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى أدنى ماء من القوم، فنزله فغور (أى ندفن العين) ما وراء القلب، ثم بنى عليه حوضا فملؤه ماء ثم نقاتل القوم فنشرب و لا يشربون.

فقال رسول الله صلى الله عليه و آله لقد أشرت بالرأى.

فنهض رسول الله صلى الله عليه و آله و من معه فسار حتى إذا أتى أدنى ماء من القوم نزل عليه، ثم أمر بالقلب (الآبار) فغورت، و بنى حوضا على القلب الذي نزل عليه فملئ ماء ثم قذفوا فيه الآنية.

إن هذه الحادثة تكشف جيدا على اهتمام رسول الإسلام بالمشاورة،

(١) و هو ما يسمى بالعدوة القصوى.

(٢) و يقال كان المطر ينزل على قريش كأفواه القرب و على أصحاب رسول الله رذاذا بقدر ما لبد الأرض.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧٠

و احترامه لآراء الآخرين و اتساع صدره لاقتراحاتهم، و الأخذ بما يفيد منها دون تكبر أو انزعاج «١».

(١)

«العريش» أو غرفة القيادة:

إشارة

وقيل إن سعد بن معاذ تقدم هو الآخر بمقترح عسكري رائع وهو بناء وإقامة برج لرسول الله يقود منه العمليات ويشرف على سيرها ويكون مأمنا له من كيد الأعداء فقال: يا رسول الله ألا نبني لك عريشا تكون فيه، و نعد عندك ركائبك، ثم نلقى عدونا فان أعزنا الله وأظهرنا على عدونا، كان ذلك ما أحببنا، وان كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا فقد تخلف عنك أقوام يا نبي الله ما نحن بأشد لك حبا منهم، ولو ظنوا أنك تلقى حربا ما تخلفوا عنك، يمنعك الله بهم، ينصحونك ويجاهدون معك. فأنى عليه رسول الله صلى الله عليه وآله ودعا له بخير، ثم بنى له صلى الله عليه وآله عريش فوق مكان مرتفع مشرف على ساحة القتال والحرب، وكان سعد وجماعة من فتيان الأنصار يحرسونه في بعض حالات القتال!! «٢».

(٢)

نظرة الى مسألة «العريش»:

ان مسألة بناء العريش لرسول الله، وحراسه سعد بن معاذ وجماعة من فتيان الأنصار له هو مما ذكره و رواه الطبرى فى تاريخه نقلا عن ابن اسحاق و تبعه الآخرون فى ذلك، و لكن هذه القصة لا يمكن القبول بها لاسباب هى:

(٣) أولا: أن هذا العمل يفتى فى عضد الجنود، و يضعف من معنوياتهم القتالية لأن معناه أن القائد يفكر فى وسيلة لنجاة نفسه دون أن يفكر فى نجاة جنوده، و مثل هذه القيادة لا يمكنها ان تستحوذ على قلوب جنودها، و تجعلها مطيعة لأوامرها.

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ٦٢٠، تاريخ الطبرى: ج ٢ ص ١٤٤.

(٢) تاريخ الطبرى: ج ٢ ص ١٤٥، السيرة النبوية: ج ١ ص ٦٢٠.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧١

(١) ثانيا: أن هذه القصة تتنافى مع الاخبار القطعية التى بشر رسول الله صلى الله عليه وآله بها المسلمين فى ضوء ما نزل عليه من آيات.

فهو صلى الله عليه وآله قبل أن يواجه المسلمون قريشا قال لأصحابه الذين خرجوا معه من المدينة و عدهم إحدى الطائفتين، أى إما الظفر بقافلة قريش التجارية قطعاً، أو الانتصار على الجيش المكي حتماً و يقينا إذ قال الله تعالى:

«وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَهِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحَقِّقَ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ» (١).

و إنما اقدم على بناء العريش لرسول الله - بناء على رواية الطبرى - فى الوقت الذى كانت قافلة قريش قد أفلتت و هربت من أيدى المسلمين، و لم يبق إلا الجماعة المسلحة التى خرجت لحماية القافلة، و كان المسلمون يعلمون - طبقاً لذلك الوعد الإلهى القاطع - أنهم سينتصرون على تلك الجماعة الكافرة:

«و يقطع دابر الكافرين» فلم يكن المجال مجال تردد و شك.

و بهذا يكون حديث هزيمة المسلمين فى هذه المواجهة و لزوم بناء عريش لحماية النبى و اعداد ابل سريعه السير عند العريش لينجو

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَيْهَا بِنَفْسِهِ حَدِيثًا بَاطِلًا لَا مَبْرَر لَه، وَ لَا مَسْوُغ.

(٢) يقول ابن سعد نقلًا عن عمر بن الخطاب قال: لما نزلت «سيهزم الجمع و يولون الدبر» قلت: و أى جمع يهزم و من يغلب؟ فلما كان يوم بدر نظرت الى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَثْبُ فِي الدَّرْعِ وَثْبًا وَ هُوَ يَقُولُ: «سِيهْزَمُ الْجَمْعُ وَ يَوْلُونَ الدَّبْرَ» فَعَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى سِيهْزَمُهُمْ «٢».

و مع هذا هل يحتمل أن يدور في خلد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ أَصْحَابِهِ شَيْءٌ حَوْلَ الْهَزِيمَةِ أَوْ يَحْدِثُوا أَنْفُسَهُمْ بِالْفِرَارِ؟
(٣) ثالثًا: أن النبي الذي يصف الامام علي عليه السلام موقفه و حالته عند اشتداد ضراوة القتال لا تنسجم أبداً و لا تلائم هذا التكتيك الذي لا يتسم

(١) الأنفال: ٧.

(٢) الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ٢٥.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧٢

بالشجاعة و الثبات.

يقول علي عليه السلام:

«كُنَّا إِذَا أَحْمَرَّ الْبَأْسَ أَتَقِينَا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِّنَّا أَقْرَبَ إِلَى الْعَدُوِّ مِنْهُ» «١».

فهل يفكر مثل هذه الشخصية التي يصفها أول تلامذة مدرسته، و أقرب صحابته إليه بمثل هذا الوصف، في الفرار، أو اتخاذ الاحتياطات اللازمة لذلك.

نحن نعتقد أن بناء العريش لم يكن إلا من باب إعداد غرفة للعمليات و لمراقبة سير القتال من مكان مشرف على ساحة القتال، لأن القيادة ما لم تكن مشرفة على ساحة القتال لا يمكنها أن تتصرف بواقعية و اتقان، و لا يمكنها أن تقود الجنود و الحشود من منطلق الواقع القتالي و العسكري.

من هنا لم يكن الهدف من العريش ان صحَّ أصل القصة هو الإعداد و التحسب للفرار و ما شاكل ذلك.
(١)

تحرك قريش باتجاه بدر:

في صبيحة السابع عشر من شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة، ارتحلت قريش من وراء الكثيب و انحدرت إلى وادي بدر، فلما رآها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ:

«اللَّهُمَّ هَذِهِ قَرِيْشٌ قَدْ أَقْبَلَتْ بِخِيْلَانِهَا، وَ فخرها تحادك و تكذب رسولك.

اللَّهُمَّ فَنَصْرُكَ الَّذِي وَعَدْتَنِي بِهِ، اللَّهُمَّ أَحْنِهِمْ «٢» الغداة».

(٢)

قريش تتشاور في القتال:

استقرت قوى قريش في منطقة من أرض بدر استعدادا للمواجهة، و حيث

(١) نهج البلاغة لعبده: الكلمات القصار الكلمة ٢١٤، و يقول السيد الرضى رضى الله عنه: معنى ذلك أنه اذا عظم الخوف من العدو،

و اشتد عضاض الحرب فرع المسلمون الى قتال رسول الله صلى الله عليه وآله بنفسه فينزل الله عليهم النصر به و يؤمنون ممّا كانوا يخافونه بمكانه.

(٢) أى اهلكهم.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧٣

أنهم لم يكونوا يعرفون شيئاً عن عدد أفراد المسلمين و مبلغ استعداداتهم، لذلك كلفوا «عمير بن وهب الجمحى» - و كان فارساً ماهراً فى الاحصاء و التخمين - بأن يحزر (و يقدر بالحدس) عدد أصحاب محمّد.

فاستجال بفرسه حول عسكر رسول الله صلى الله عليه وآله ثم رجع الى قريش و قال: ثلاثمائة رجل يزيدون أو ينقصون، و لكن أمهلونى حتى انظر أ للقوم كمين، أو مدد.

فضرب فى الوادى حتى أبعد و لكنه لم ير شيئاً.

فرجع الى قريش ثانية و هو يحمل لهم خبراً مرعباً إذ قال: ما وجدت شيئاً (أى كميناً أو مدداً وراء المسلمين) و لكنى قد رأيت يا معشر قريش البلايا «١» تحمل المنايا، نواضح «٢» يثرب تحمل الموت الناقع «٣»، قوم ليس معهم منعة و لا ملجأ إلا سيوفهم.

و الله ما أرى أن يقتل رجل منهم حتى يقتل رجلاً منكم، فإذا اصابوا منكم أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك فروا رأيكم!!!

(١) و روى الواقدى عبارات عمير بنحو آخر إذ قال: قال عمير: و الله ما رأيت جلداً و لا عدداً و لا حلقةً و لا كراعاً، و لكنى رأيت قوماً لا يريدون أن يثوبوا الى أهليهم، قوماً مستميتين ليست لهم منعة و لا ملجأ إلا سيوفهم، زرق العيون كأنهم الحصى تحت الحجف «٤» «٥».

و روى المجلسى ما قاله عمير بنحو ثالث إذ قال: قال عمير: ما لهم كمين و لا مدد، و لكن نواضح يثرب قد حملت الموت الناقع أ ما ترونهم خرساً لا يتكلمون يتلمظون تلمظ الافاعى ما لهم ملجأ إلا سيوفهم ما أراهم يولون حتى يقتلوا، و لا يقتلون حتى يقتلوا بعددهم فارتثوا رأيكم «٦».

(١) و هى جمع بلية و هى الناقه أو الدابة.

(٢) الابل يستقى عليها الماء.

(٣) الموت الثابت البالغ فى الافناء.

(٤) الحجف جمع الحجفة و هى الترس.

(٥) المغازى: ج ١ ص ٦٢.

(٦) بحار الأنوار: ج ١٩ ص ٢٢٤.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧٤

(١)

اختلاف قادة قريش فى امر القتال:

أوجدت كلمات عمير الفارس الشجاع ضجةً كبرى بين رجال قريش و ساداتها و زعمائها، و انتاب الجميع خوف بالغ و رعب شديد من المسلمين.

فمشى حكيم بن حزام الى عتبة بن ربيعة ليقتعه بالعدول عن مقاتلة المسلمين، فقال له: يا أبا الوليد إنك كبير قريش و سيدها، و المطاع فيها، هل لك إلى أن لا تزل تذكر فيها بخير الى آخر الدهر، ترجع بالناس و تحمل أمر (دم) حليف عمرو بن الحضرمى، و ما

أصاب محمد من ماله بيطن نخلة «١» إنكم لا تطلبون من محمد شيئا غير هذا الدم والمال؟!!

(٢) فافتنع عتبة برأى حكيم، فجلس من فوره على جملة، و وقف يخطب في المشركين من قريش بنطق جميل و بليغ يقول: يا قوم أطيعوني و لا تقتاتوا هذا الرجل و أصحابه (يعنى رسول الله صلى الله عليه وآله)، يا معاشر قريش أطيعوني اليوم و اعصوني الدهر، إن محمدا له آل (أى قرابة) و ذمة و هو ابن عمكم فخلوه و العرب، إنكم و الله ما تصنعون بأن تلقوا محمدا و أصحابه شيئا، و الله لئن اصبتموه لا- يزال الرجل ينظر فى وجه رجل يكره النظر إليه قتل ابن عمه أو خاله أو رجلا من عشيرته، فارجعوا و خلوا بين محمد و سائر العرب، فان أصابوه فذاك الذى أردتم و ان كان غير ذلك ألفاكم و لم تعرضوا منه ما تريدون «٢».

(٣) و انطلق حكيم بن حزام الى أبى جهل و أخبره برأى عتبة و مقالته، هذا و أبو جهل يهين درعه، فانزعج أبو جهل من مقالة عتبة و موقفه انزعاجا شديدا و ثارت نائرتة حسدا على عتبة، و تعنتا عن الحق «٣»، و بعث من فوره رجلا إلى عامر بن الحضرمي أخى عمرو الذى قتل فى غزوة عبد الله بن جحش بنخلة

(١) إشارة الى ما جرى فى سرية عبد الله بن جحش.

(٢) المغازى: ج ١ ص ٦٣، السيرة النبوية: ج ١ ص ٦٢٣، بحار الأنوار: ج ١٩ ص ٢٢٤.

(٣) قال صاحب المغازى: فحسده أبو جهل حين سمع خطبته و قال: ان يرجع الناس من خطبة عتبة يكن سيد الجماعة، و عتبة انطق الناس!!!

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧٥

و قال له: هذا حليفك (عتبة) يريد أن يرجع بالناس و قد رأيت تأرك بعينك، فقم و انشد خفرتك «١» و مقتل (أو دم) أخيك.

(١) فقام عامر و كشف عن رأسه، و أخذ يحثو التراب على رأسه، و صاح مستغيثا و امراه و امراه، تحريكا للناس و إثارة لمشاعرهم. فهاج الناس لمنظر عامر و ثارت مشاعرهم لندبته، و أجمعوا على الحرب، و تناسوا اقتراح عتبة، و نصيحتة البليغة الحكيمة لهم. و لكن عتبة هذا الذى كان يميل الى اعتزال الجيش و ترك الحرب، هاجت مشاعره هو الآخر فقام من فوره و لبس لامة حربه و استعد لقتال رسول الله صلى الله عليه وآله و أصحابه «٢».

و هكذا نجد كيف يتضاءل نور العقل عند هبوب رياح العاطفة الملتهبة، و المشاعر النائرة الباطلة و تنطفئ شعلة الفكر، و لا يعود يضىء لصاحبه درب المستقبل حتى أن الرجل الذى كان قبل قليل داعية السلام، و التعايش الاخوى يتحول تحت تأثير ذلك الهياج العاطفى، العابر، الاحمق إلى أول مبادر الى القتال و سفك الدماء و ازهاق الارواح!!!

(٢)

ما الذى حتم القتال؟

لما أبصر الاسود بن عبد الأسد المخزومي و كان رجلا شرسا سيئ الخلق- الحوض الذى بناه المسلمون عند البئر لشربهم قال: اعاهد الله لاشربن من حوضهم أو لا هدمنه أو لأموتنّ دونه!!

ثم خرج من بين صفوف المشركين و شد حتى دنا من الحوض فاستقبله حمزة، و لما التقيا ضربه بسيفه حمزة فاطار قدمه، و هو دون الحوض فوقع على الأرض تشخب رجله دما ثم حبا الى الحوض حتى اقتحم فيه يريد ان يشرب منه أو ان

(١) اى اطلب من قريش الوفاء بخفرتهم و عهدهم لك لأنه كان حليفا لهم.

(٢) السيرة النبوية: ج ١ ص ٦٢٣، بحار الأنوار: ج ١٩ ص ٢٢٤.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧٦

يبر يمينه، فاتبعه حمزة فضربه حتى قتله فى الحوض.

فتسببت هذه الحادثة فى أن يصبح القتال امرا مسلما و حتميا، لانه ليس ثمة شىء يقدر على تحريك المشاعر، و اثاره العواطف و دفع الناس للقتال كسفك الدم.

فالذين كان الغيظ و الحق على المسلمين يكاد يقتلهم، و كانوا يبحثون عن ذريعة يشعلون بها نيران الحرب و يفجرون فتيلها قد حصلوا الآن على ما يريدون «١».

(١)

المبارزات الفردية أولا:

كان التقليد المتبع عند العرب فى الحروب أن يبدأ القتال بالمبارزات الفردية ثم تقع بعدها الحملات الجماعية.

فلما قتل الاسود المخزومى خرج ثلاثة فرسان من صنديد قريش المعروفين من صفوف الجيش المكى و دعوا الى المبارزة.

و هؤلاء الصناديد الثلاثة هم:

١- عتبة «٢».

٢- شيبه.

و هما ابنا ربيعة بن عبد شمس.

٣- الوليد بن عتبة بن ربيعة.

فأخذوا يجولون فى ميدان القتال و يدعون الى المبارزة، فخرج إليهم من المسلمين فتية من الأنصار ثلاثة و هم «عوف» و «معوذ» ابنا

الحارث و «عبد الله بن رواحه».

(١) تاريخ الطبرى: ج ٢ ص ١٤٧ و ١٤٨.

(٢) و عتبة هذا هو الذى اقترح الانسحاب و عدم القتال كما عرفت. و يروى انه لما خرج قال له حكيم بن حزام: أبا الوليد مهلا، مهلا

تنهى عن شىء و تكون أوله!! (المغازى: ج ١ ص ٤٧).

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧٧

(١) و لما عرف عتبة أنهم من رجال المدينة قال: ما لنا بكم من حاجة.

ثم نادى مناديهم: يا محمد، أخرج إلينا أكفءنا من قومنا.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«قم يا عبيد بن الحارث و قم يا حمزة، و قم يا على».

فقاموا، و خرجوا للمبارزة، و لما دنوا منهم، سألهم عتبة عن أسمائهم فعرف أبطال الاسلام أنفسهم و ذكروا أسماءهم.

فقال رجال المشركين الثلاثة: نعم أكفء كرام.

(٢) و يرى البعض أنه بارز كل من هؤلاء الثلاثة من كان على سته من الكفار فبارز على عليه السلام الوليد (خال معاوية بن أبى

سفيان) و بارز حمزة (و هو أوسطهم) عتبة (جد معاوية لأمه) و بارز عبيدة (و هو أسن الثلاثة) شيبه و هو أسن الكفار الثلاثة.

غير أن ابن هشام يقول: بارز «حمزة» شيبه، و بارز «عبيدة» عتبة، و بارز «على» الوليد بن عتبة «١».

و هذا يعنى أن حمزة (الوسط فى السن) قاتل الاسن من الكفار.

فأى القولين هو الأصح؟

إن ملاحظة أمرين توضح الحقيقة في هذا المجال:
الأول: إن المؤرخين كتبوا: أن علياً وحمزة قتلوا خصميهما في الحال، ثم ساعداً عبيده على قتل خصمه «٢».
الثاني: إن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كتب في كتاب له إلى معاوية:
«و عندى السيف الذى اعرضته بجدك و خالك و أخيك فى مقام

(١) راجع لمعرفة كلا الرأيين سنن البيهقي: ج ٣ ص ٢٧٦.

(٢) تاريخ الطبرى: ج ٢ ص ١٤٨، السيرة النبوية: ج ١ ص ٦٢٥ قال: و كثر حمزة و علىّ بأسيفهما على عتبة.
سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧٨
واحد «١».

(١) فمن هذا الكتاب يتضح بجلاء أن الإمام عليه السلام شارك - فى قتل جدّ معاوية (أى عتبة) هذا من جانب.
كما أننا نعلم من جانب آخر أن كلا من حمزة و علياً قد قتل خصمه فى اللحظة الأولى من المبارزة. فإذا كان خصم حمزة هو عتبة (جدّ معاوية) لم يكن - حينئذ - أى معنى لقول الإمام عليه السلام: «أنا قتلت جدك».
فلا مناص من أن نقول: إن الذى بارز حمزة هو شيبه، و أن الذى بارز عبيده هو عتبة ليصح حينئذ أن يقال أن علياً و حمزة، ذهبوا - بعد الفراغ من قتل خصميهما - إلى عتبة و كثرًا بأسيفهما عليه و قتلاه، ثم احتمالاً صاحبهما «عبيده» و أتيا به إلى رسول الله صلى الله عليه و آله «٢».

و بهذا ترجح النظرية الثانية، و القاضية بعدم التكافؤ بين أسنان كلّ من المتبارزين.
(٢)

الهجوم العام:

إثر مقتل صناديد قريش الثلاثة فى المبارزة الفردية بدأ الهجوم العام.
فتزاحف الناس و دنا بعضهم من بعض، و قد أمر رسول الله صلى الله عليه و آله أصحابه أن لا يحملوا حتى يأمرهم، و أن يكتفوا برمى القوم بالنبال إذا اقتربوا منهم ليمنعوا من تقدّم العدو.
ثم نزل رسول الله صلى الله عليه و آله من برج القيادة (العريش) و عدل صفوف أصحابه و فى يده سهم يعدل القوم. فمر بسواد بن غزية، و هو متقدم من الصف، فطعن فى بطنه بالسهم الذى معه و قال له: استوى يا سواد.

(١) نهج البلاغة قسم الكتب الرقم ٦٤ و اعرضته به جعلته يعرضه.

(٢) ثم إن المقصود من أخ معاوية الذى أشار الإمام على فى كلمته إلى قتله هو حنظلة بن أبى سفيان بن حرب راجع السيرة النبوية: ج ١ ص ٧٠٨ و شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ج ١٨ ص ١٩.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧٩

(١) فقال: يا رسول الله أوجعتنى و قد بعثك الله بالحق و العدل فأقذنى (أى اقتص) لى من نفسك. فكشف رسول الله صلى الله عليه

و آله عن بطنه و قال:

استقد (أى أنت اقتص) فاعتنقه سواد و قبل بطنه صلى الله عليه و آله فقال رسول الله صلى الله عليه و آله: ما حملك على هذا؟ قال: يا رسول الله حضر ما ترى (من القتال) فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدى جلدك. فدعا له رسول الله صلى الله عليه و آله بخير «١».

ثم إن رسول الله صلى الله عليه و آله بعد أن عدل الصفوف رجع الى غرفة العمليات (العريش) فدخله و توجه إلى ربه بقلب مفعم بالإيمان يناشده ما وعده من النصر و قال فى مناجاته لربه فى تلك اللحظات: «اللهم إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد فى الأرض أبدا» «٢».

و لقد سجلت المصادر التاريخية الاسلامية تفاصيل و جزئيات الهجوم العام، الى درجة ما، إلا أن من المسلم المقطوع به أن رسول الله صلى الله عليه و آله كان ينزل من العريش أحيانا و يحرضهم على القتال و المقاومة. فقد قال فى احدى هذه المرات: «و الذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر، إلا أدخله الله الجنة».

(٢) و لقد كانت كلمات القائد الاعلى هذه تفعل فعلتها فى النفوس، فتثير الهمم، و توجد شوقا عجيبا الى الشهادة فى المقاتلين المسلمين، حتى أن أحدهم و يدعى «عمير بن الحمام» أخو بنى سلمة قال للنبي صلى الله عليه و آله و فى يده تمرات ياكلهن يا رسول الله: بخ بخ، أ فما بينى و بين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلنى هؤلاء.

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ٦٢٦

(٢) السيرة النبوية: ج ١ ص ٦٢٧، تاريخ الطبرى: ج ٢ ص ١٤٩.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٨٠

ثم قذف التمرات من يده و أخذ سيفه، فقاتل القوم حتى قتل «١».

ثم إن النبي صلى الله عليه و آله أخذ حفنة من الحصباء فاستقبل بها قريشا ثم قال: «شاهت الوجوه».

ثم نفحهم بها، و أمر أصحابه، فقال: شدوا «٢».

و لم يمض وقت طويل حتى ظهرت بوادر انتصار المسلمين على أعدائهم المشركين فقد انتاب المشركين خوف و رعب شديدان، و أخذوا ينهزمون أمام زحف المسلمين.

فقد كان المسلمون يقاتلون عن ايمان، و اخلاص و يعلمون بأنهم ينالون السعادة قتلوا أو قتلوا، فلم يرهبوا شيئا، و ما كان يمنعهم شىء عن التقدم و الإقبال.

(١)

رعاية الحقوق:

لقد كان لا بد من رعاية الحقوق بالنسبة الى طائفتين فى معسكر المشركين:

الاولى: أولئك الذين احسنوا إلى المسلمين فى مكة، و دافعوا عنهم كأبى البخترى الذى كان ممن قام فى نقض الصحيفة الظالمة التى سبق الحديث عنها.

الثانية: أولئك الذين اكرهوا على الخروج من المشركين إلى بدر، و كانوا يرغبون فى قرارة أنفسهم فى الاسلام مثل معظم رجال بنى هاشم كالعباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه و آله.

(٢)

مصرع أمية بن خلف:

و لقد اسر «امية بن خلف» و ابنه على يد عبد الرحمن بن عوف و اذ كان بينه

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ٦٢٧.

(٢) المصدر السابق: ص ٦٢٨، البدايه و النهايه: ج ٢ ص ٢٨٤.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٨١

و بين أمية صداقة بمكة طلب أمية من عبد الرحمن أن يخرج من أرض المعركة لكي لا يقتل هو و ولده، او ليعدا من الأسرى. فرضى عبد الرحمن بذلك، و بينما هو يقودهما إذ أبصر بلال بهم و كان أمية هو الذى يعذب بلالا بمكة على ترك الاسلام، فيخرجه الى رمضاء مكة إذا حميت فيضجعه على ظهره ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول: لا تزال هكذا حتى تفارق دين محمد فيقول بلال: أحد، أحد.

(١) فلما رآه بلال فى الأسر و قد أقدم عبد الرحمن على حمايته و الذب عنه و هو يريد نجاته و ولده، صاح مستصرخا المسلمين: يا أنصار الله رأس الكفر أمية بن خلف لا نجوت إن نجا.

فأحاط المسلمون بأمية و ولده من كل جانب و قطعوا بسيفهم حتى فرغوا منهما «١».

و قد نهى رسول الله صلى الله عليه و آله عن قتل أبى البختري الذى كان له دور مشرف فى نقض الحصار الاقتصادى الذى ضربته قريش على المسلمين فى مكة، و كان لا يؤذى رسول الله صلى الله عليه و آله فلقية رجل من المسلمين يدعى «المجدر» فأراد أسره و استبقاه ريثما يأخذه الى رسول الله صلى الله عليه و آله ليرى فيه رأيه، و لكنّه نازل المجدر، و أبى إلّا القتال، فاقتلا فقتله المجدر. ثم ان المجدر أتى رسول الله صلى الله عليه و آله فقال: و الذى بعثك بالحق لقد جهدت عليه أن يستأسر فأتيك به فأبى إلّا أن يقاتلنى فقاتلته فقتلته «٢».

(٢)

خسائر بدر فى الأرواح و الاموال:

لقد قتل فى معركة «بدر» من المسلمين أربعة عشر رجلا، و قتل من المشركين سبعون و اسر سبعون من أبرزهم: النضر بن الحارث، و عقبه ابن أبى معيط، و أبو

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ٦٣٢.

(٢) السيرة النبوية: ج ١ ص ٦٢٩ و ٦٣٠ و راجع الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ٢٣.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٨٢

غرة، و سهيل بن عمرو و العباس، و أبو العاص بن الربيع (صهر النبى) «١».

ثم دفن شهداء بدر فى جانب من أرض المعركة، و قبورهم باقية إلى الآن.

ثم أمر رسول الله صلى الله عليه و آله بأن يلقي بقتلى المشركين فى البئر.

و بينما كان يسحب عتبة بن ربيعة الى البئر نظر رسول الله صلى الله عليه و آله فى وجه «أبى حذيفة» ابن عتبة فاذا هو كئيب، قد تغير

لونه فقال صلى الله عليه وآله: يا أبا حذيفة لعلك قد دخلك من شأن أبيك شيء؟! فقال: لا والله يا رسول الله، ما شككت في أبي ولا في مصرعه، ولكنني كنت أعرف من أبي رأيا وحلما وفضلا فكنت أرجو أن يهديه ذلك إلى الاسلام، فلما رأيت ما أصابه و ذكرت ما مات عليه من الكفر بعد الذي كنت أرجو له، أجزنتي ذلك!! فدعا له رسول الله صلى الله عليه وآله بخير «٢».

إن هذه القصة لتكشف عن مدى حب المسلمين لدينهم، و رغبتهم الصادقة في أن يهتدى إليه الناس كما تكشف أيضا عن أنهم كانوا يقدمون المعيار الديني على المعيار العائلي إذا تعارضا.

(١)

ما أنتم باسمع منهم:

لقد انتهت معركة بدر بانتصار عظيم في جانب المسلمين و هزيمة نكراء في جانب المشركين. فقد غادر المشركون ساحة القتال هارين صوب مكة مخلفين وراءهم سبعين قتيلًا من صناديدهم و ساداتهم و فتیانهم الشجعان و سبعين أسيرا.

و لما أمر النبي بإلقاء قتلى المشركين في القليب «٣» وقف رسول الله صلى الله عليه وآله عند القليب و أخذ يخاطب القتلى واحدا واحدا و يقول:

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ٧٠٦ و ٧٠٨، المغازي: ج ١ ص ١٣٨ - ١٧٣.

(٢) السيرة النبوية: ج ١ ص ٦٤٠ و ٦٤١.

(٣) القليب: البئر.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٨٣

«يا أهل القليب، يا عتبة بن ربيعة، و يا شيبه بن ربيعة، و يا امية بن خلف، و يا أبا جهل (و هكذا عدد من كان منهم في القليب) هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا، فإنني قد وجدت ما وعدني ربي حقا».

فقال له بعض أصحابه: يا رسول الله أ تنادي قوما موتى؟

فقال صلى الله عليه وآله:

«ما أنتم بأسمع لما أقول منهم و لكنهم لا يستطيعون أن يجيبوني».

و كتب ابن هشام يقول: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال يوم هذه المقالة:

«يا أهل القليب بئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم كذبتوني و صدقتني الناس، و أخرجتموني و آواني الناس، و قاتلتموني و نصرني الناس، (ثم قال:) هل وجدتم ما وعدكم ربي حقا؟» «١».

(١)

الشعر يخلد هذه القصة:

سيد المرسلين ج ٢ ٨٣ الشعر يخلد هذه القصة: ص : ٨٣

تبر هذا الموضوع من القضايا الثابتة و المسلمة في التاريخ الاسلامي، فقد ذكره جميع المحققين و المؤرخين من الشيعة و السنة، و قد ذكرنا طائفة من مصادره في الهامش.

وقد كان من دأب حسان بن ثابت شاعر عصر الرسالة ان ينشد أبياتا في كل واقعة من وقائع الاسلام البارزة و بذلك يقوى من عزيمة المسلمين و يشد من أزرهم لأن الشعر يجلى البطولات و يكرم المواقف و يخلد الامجاد و يحافظ على المفاخر و يكسبها طابعا أبديا و لهذا يعد وسيلة جيدة لتقوية المعنويات، و إبطال مفعول الحرب الباردة و النفسية التي يقوم بها العدو.

وقد طبع ديوان «حسان» لحسن الحظ، و يمكن لنا أن نقف على الكثير من ايام الإسلام و امجاده من خلال قصائده، و ابياته المدرجة فيه.

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ٦٣٩، السيرة الحلبية: ج ٢ ص ١٧٩ و ١٨٠ و غيرهما.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٨٤

(١) وقد أنشد حسان قصيدة باثنية رائعة حول وقعة بدر الكبرى يشير في بعض ابياتها الى هذه الحقيقة اعنى قصة القلب إذ يقول:

يناديهم رسول الله لما قد فأنهم كباكب في القلب

ألم تجدوا كلامي كان حقاً أمر الله يأخذ بالقلوب؟

فما نطقوا و لو نطقوا لقالوا صدقت و كنت ذا رأى مصيب! على أنه لا توجد عبارة اشد صراحة من ما قاله رسول الله صلى الله عليه و آله في المقام حيث قال: «ما أنتم بأسمع منهم».

(٢) و ليس ثمة بيان أكثر إيضاحاً و أشدّ تقريراً لهذه الحقيقة من مخاطبة النبي صلى الله عليه و آله لواحد واحد من أهل القلب، و مناداتهم بأسمائهم و تكليمهم كما لو كانوا على قيد الحياة.

فلا- يحق لأي مسلم مؤمن بالرسالة و الرسول أن يسارع الى إنكار هذه القضية التاريخية الاسلامية المسلمة، و يبادر قبل التحقيق و يقول: إن هذه القضية غير صحيحة لانها لا تنطبق على موازين عقلي المادى المحدود.

وقد نقلنا هنا نص هذا الحوار، لكي يرى المسلمون الناطقون باللغة العربية كيف أن حديث النبي صلى الله عليه و آله يصرح بهذه الحقيقة بحيث لا توجد فوقه عبارة في الصراحة، و الدلالة على هذه الحقيقة.

و من أراد الوقوف على مصادر هذه القصة فعليه أن يراجع ما ذكرناه في الهامش ادناه «١».

(١) إن تكلم رسول الله صلى الله عليه و آله مع رءوس الشرك الموتى الذين القيت اجسادهم في البئر من مسلمات التاريخ و الحديث، و قد اشار الى هذا من بين المحدثين و المؤرخين:

صحيح البخارى: ج ٥ في معركة بدر ص ٧٦ و ٧٧-٨٦ و ٨٧، صحيح مسلم: ج ٨ كتاب الجنة باب مقعد الميت ص ١٦٣، سنن النسائي ج ٤ باب أرواح المؤمنين ص ٨٩ و ٩٠، مسند الامام أحمد: ج ٢ ص ١٣١، السيرة النبوية: ج ١ ص ٦٣٩، المغازي: ج ١ غزوة بدر ص ١١٢، بحار الأنوار:

ج ١٩ ص ٣٤٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٨٥

(١)

بعد معركة بدر:

يعتقد كثير من المؤرخين المسلمين أن المبارزات الفردية و من بعدها القتال الجمعي في غزوة بدر استمر حتى زالت الشمس و انتهت المعركة بفرار المشركين و أسر جماعة منهم. ثم بعد أن فرغ رسول الله صلى الله عليه و آله و أصحابه من دفن شهداء المسلمين صلى

بالناس العصر في بدر ثم غادر ارض بدر قبل غروب الشمس من ذلك اليوم، هذا وقد كلف رسول الله صلى الله عليه وآله اشخاصا بجمع الغنائم من أيدي الناس.

وهنا واجه رسول الله صلى الله عليه وآله اول اختلاف بين أصحابه في كيفية تقسيم الغنائم، فقد كان كل فريق يرى نفسه أولى من غيره بها، نظرا لدوره في تلك المعركة.

فالذين كانوا يحرسون عريش رسول الله صلى الله عليه وآله مخافة أن يكرّ عليه العدو كانوا يرون أن عملهم لا يدانيه في الأهمية أي عمل آخر، لأنهم كانوا يحرسون القائد، و يحافظون على مقر القيادة.

و بينما كان الذين جمعوا الغنائم يرون أنهم الأحق لأنهم جمعوها، فيما كان الذين قاتلوا العدو و لا حقوه و طاردوه يقولون: و الله لو لا نحن ما أصبتموه، إنا لنحن الذين شغلنا عنكم القوم حتى أصبتم ما أصبتم «١».

(٢) و لا ريب أن أسوأ ما يصيب أي جيش هو أن يدب الخلاف بين قطعاته و أفراده، فينفرط عقده و تتلاشى وحدته.

من هنا بادر رسول الله صلى الله عليه وآله للقضاء على هذه الآمال و المطامع المادية و بغية اسكات كل تلك الاصوات إلى إيكال جمع الغنائم و حملها، و المحافظة عليها إلى «عبد الله بن كعب المازني» و أمر جماعة من أصحابه أن يعينوه ريثما يفكر في طريقة تقسيمها. لقد كان قانون العدل و الإنصاف يقضى بأن

(١) المغازي: ج ١ ص ٩٨ و ٩٩.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٨٦

يشارك جميع أفراد ذلك الجيش في تلك الغنائم، لأنهم ساهموا بجمعهم في تلك المعركة، و كان لكل منهم دور و مسئولية فيها، فما كان لفريق أن يحرز نجاحا من دون أن يقوم الآخرون بأدوارهم.

من هنا قسم رسول الله صلى الله عليه وآله الغنائم بينهم- في أثناء الطريق- على قدم المساواة، و فرز لذوي الشهداء أسهما منها.

(١) و لقد أثار طريقة النبي صلى الله عليه وآله في تقسيم الغنائم (و ذلك بقسمتها على جميع المشاركين معه في معركة بدر بالتساوي) سخط «سعد بن أبي وقاص» فقال: يا رسول الله أ يعطى فارس القوم الذي يحميهم مثل ما يعطى الضعيف؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله: «ثكلتك أمك، و هل تنصرون إلّا بضعفائكم» «١».

و هو صلى الله عليه وآله يقصد أن هذه الحرب لم تكن إلّا لأجل الدفاع عن الضعفاء، و رفع الحيف عنهم، و انه صلى الله عليه وآله لم يبعث إلّا لإزالة هذه الفوارق و الامتيازات الظالمة، و إلّا لاجل اقرار المساواة في الحقوق بين الناس.

(٢) هذا و رغم أن خمس الغنيمه هي بنص آية الخمس «٢» لله و لرسوله و لذى القربى و اليتامى و ابن السبيل من أهل بيته صلى الله عليه وآله و آله إلّا أنه صلى الله عليه وآله لم يخمس غنائم «بدر» بل وزع الخمس على المشاركين في بدر أيضا.

على أنه يمكن أن تكون آية الخمس لم تنزل آنذاك بعد، أو أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يتمتع باختيارات خاصة، فصرف النظر عن أخذ الخمس لنفسه و قرباه، تكثيرا لأسهم المجاهدين، و ذلك و لا-ريب خطوة حكيمة جدا و خاصة في أول مواجهه عسكرية مع العدو «٣».

(١) المغازي: ج ١ ص ٩٩.

(٢) الانفال: ١.

(٣) و جاء في بعض المصادر التاريخية ان النبي صلى الله عليه وآله ضرب من الغنائم أسهما لاشخاص لم يحضروا بدر و لم يشتركوا في القتال مع رغبتهم في ذلك و ذلك إما لامور أصابتهم عند الخروج

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٨٧

(١)

قتل أسيرين في أثناء الطريق:

و لما كان رسول الله صلى الله عليه وآله في «الصفراء» (١) و هي أحد المنازل على طريق بدر- المدينة عرض عليه الاسرى فأمر بقتل النضر بن الحارث و كان من أعداء المسلمين الالداء.

و أمر بأن يضرب عتق عقبه بن أبي معيط إذ كان بعرق الظبية.

و هنا ينطرح سؤال و هو: إن حكم الاسلام في أسرى الحرب هو أنهم عبيد للمسلمين و المجاهدين، يباعون و يشترون باثمان مناسبة فلما ذا حكم رسول الله صلى الله عليه وآله في شأن هذين الأسيرين بحكم آخر؟.

ثم إن النبي صلى الله عليه وآله الذي خاطب المسلمين في «بدر» في الأسرى الذين بأيديهم و أوصاهم بهم خيرا قائلا: «استوصوا بالاسارى خيرا».

كيف اتخذ مثل هذا القرار في حق بعضهم؟

(٢) يقول أبو عزيز، و كان صاحب لواء في جيش قريش: كنت أسيرا في أيدي رهط من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر فكانوا إذا قدّموا غداءهم و عشاءهم خصّوني بالخبز، و أكلوا التمر و الخبز عندهم قليل و التمر زادهم، و ذلك لوصية رسول الله صلى الله عليه وآله و آله اياهم بنا، ما تقع في يد رجل منهم كسرة خبز إلّا نفحنى بها فاستحى فاردّها على أحدهم فيردّها على، و كانوا يحملوننا و يمشون!! (٢)!!

مع ملاحظة هذه الامور لا بدّ من الاذعان بأن قتل هذين الأسيرين كان مما تقتضيه المصالح الاسلاميه العامه، لا أنه كان بدافع الانتقام، فقد كان ذانك الأسيران من رءوس الكفر، و من مخططي الخطط الجهنميّة ضد الاسلام

إلى بدر او لقيامهم بمهمات، تتعلق بامور مراقبة العدو في الطرق او للقيام بمهمات اداريه داخل المدينة.

(١) المغازى: ج ١ ص ٦.

(٢) السيرة النبوية: ج ١ ص ٦٤٥، المغازى: ج ١ ص ١١٩.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٨٨

و المسلمين، و ضدّ الرسالة و الرسول، و كانا ممن يؤلبون القبائل ضدّ رسول الاسلام، فلعله لو كان النبي صلى الله عليه وآله يفرج عنهم و يطلق سراحهم عادوا الى تدبير المؤمرات ضدّ الاسلام، و المسلمين، و عملا على تخطيط الخطط، و تأليب القبائل، فلم يكن بد من تصفيتهم و القضاء عليهم.

(١)

بشائر النبي الى المدينة:

كلّف رسول الله صلى الله عليه وآله «عبد الله بن رواحه»، و «زيد بن حارثة» بأن يسبقاه الى المدينة، ليبشّرا المسلمين بما حققه رسول الله صلى الله عليه وآله و آله و أصحابه في بدر من الانتصار الكاسح و الفتح المبين، و يخبرا أهلها بمصرع رءوس الكفر و الشرك كعتبة و شيبه و أبي جهل و أبي البخترى و أمية، و نبيه و منبه و .. و ..

فما قدم المبعوثان الى المدينة الا و المسلمون عائدون من دفن ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله و آله زوجة عثمان بن عفان فامتزجت

الافراح بالاخزان، و اختلط السرور بانتصار النبي و أصحابه بالحزن على موت ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله. و قد أربع المشركون و اليهود و المنافقون بخير انتصار المسلمين الساحق على قريش، و راحوا يحاولون تكذيبه، و تفنيده حتى إذا دخل رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة و دخل بعده أسرى قريش أصبح الخبر قطيعا مسلما، فباءت محاولات المنافقين بالفشل.

(٢)

المكيون يعرفون بمقتل أسيادهم:

كان «الحيسمان الخزاعي» أول من قدم مكة و اخبر الناس باحداث «بدر» الدامية و بمصرع طائفة كبيرة من سادة قريش على أيدي المسلمين.

يقول أبو رافع الذي كان غلاما للعباس بن عبد المطلب آنذاك ثم أصبح من أصحاب النبي و على فيما بعد: كنت غلاما للعباس، و كان الاسلام قد دخلنا

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٨٩

أهل البيت، فأسلم العباس و أسلمت أم الفضل و أسلمت، و كان العباس يهاب قومه و يكره خلافهم و كان يكتنم إسلامه، و كان ذا مال كثير متفرق في قومه، و كان أبو لهب قد تخلف عن بدر، فلما جاءه الخبر عن مصاب أصحاب بدر من قريش كبتة الله و أخزاه، و وجدنا في أنفسنا قوة و عزة.

و قد كنت رجلا ضعيفا و كنت أصنع السهام و النبال أنحتها في حجرة زمزم فو الله بينما أنا جالس فيها أنحت سهامى و عندي أم الفضل جالسة و قد سرتنا ما جاءنا من الخبر عن هزيمة قريش، إذ أقبل أبو لهب يجزّ رجله بشرّ حتى جلس عند طنّب «١» الحجرة فكان ظهره إلى ظهري، فبينما هو جالس إذ قال الناس:

هذا أبو سفيان فقال أبو لهب: هلّم إليّ فعندك لعمرى الخبر.

فجلس إليه و الناس قيام عليه فقال: يا ابن أخي أخبرنى كيف كان أمر الناس؟

قال أبو سفيان: و الله ما هو إلّا أن لقينا القوم فمناحهم أكتافنا يقودوننا كيف شاءوا، و يأسروننا كيف شاءوا، و أيم الله مع ذلك ما لمت الناس، لقينا رجلا بيضا على خيل بلق بين السماء و الأرض، و الله ما تبقى شيئا و لا يقوم لها شيء.

يقول أبو رافع: فرفعت طنّب الحجرة، ثم قلت: تلك و الله الملائكة.

فرفع أبو لهب يده فضرب بها وجهى ضربة شديدة «٢».

(١)

اشتراك العباس عم النبي في بدر:

يبقى أن نعرف أن مسألة اشتراك العباس عم النبي في غزوة بدر من مشكلات التاريخ و غوامضه، فهو من الذين اسرهم المسلمون في بدر فهو من جانب يشارك في الحرب، و من جانب آخر يحضر في بيعة العقبة، و يدعو أهل المدينة إلى حماية النبي صلى الله عليه وآله و نصرته.

(١) الطنب: الطرف.

(٢) السيرة النبوية: ج ١ ص ٦٤٦ و ٦٤٧.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٩٠

فكيف يكون هذا؟

إن الحل يكمن في ما قاله أبو رافع غلام العباس نفسه: كان العباس قد أسلم ولكنه كان يهاب قومه و يكره خلافهم و يكتم اسلامه، مثل أخيه أبي طالب لاقتضاء المصالح الاسلامية ذلك، و من هذا الطريق كان يساعد النبي صلى الله عليه وآله و يخبره بمخططات العدو و نواياه و تحركاته و استعداداته كما فعل ذلك في معركة «احد» أيضا «١». فقد كان أول من أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله و آله بتحريك قريش و خططهم و استعداداتهم.

و قد أفجع مقتل سبعين رجلا- من رجال مكة و فتیان قريش أكثر البيوت و العوائل في مكة، و سلبهم البهجة و الفرح، و النشاط و الحركة، و تحولت مكة برمتها الى ماتم كبير، و ناحت قريش على قتلاها «٢».

(١)

المنع من النوح و البكاء في مكة:

غير أن أبا سفيان عمدا- لا بقاء أهل مكة على حالة الحنق و الغضب- الى منع النوح و البكاء على القتلى و حث الناس باستمرار على الاستعداد للثأر و الانتقام من محمد و أصحابه فقال: يا معشر قريش لا تبكوا على قتلاكم، و لا تنح عليهم نائحة و لا يبكمهم شاعر، و اظهروا الجلد و العزاء فانكم إذا نحتم عليهم و بكيتموهم بالشعر أذهب ذلك غيظكم، فأكلكم ذلك عن عداوة محمد و أصحابه .. و لعلمكم تدركون ثأركم.

و لكي يلهب أبو سفيان مشاعر الناس أكثر فأكثر أو يبقى على سخونتها على الأقل، قال: و الدهن و النساء على حرام حتى أغزو محمدا.

و كان «الأسود بن المطلب» اصيب له ثلاثة من ولده: زمعة و عقيل و الحارث بن زمعة، فكان يجب أن يبكي على قتلاه، ولكنه ما كان يستطيع

(١) السيرة الحلبية: ج ٢ ص ٢١٧.

(٢) المغازي: ج ١ ص ١٢٢. قال: لم تبق دار بمكة إلا فيها نوح.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٩١

ذلك لمنع أبي سفيان من النوح و البكاء على القتلى.

(١) فبينما هو كذلك إذ سمع نائحة من الليل فقال لغلामه- و قد ذهب بصره و عمى:- هل بكت قريش على قتلاها لعلي أبكي على زمعة، فان جوفى قد احترق.

فذهب الغلام و رجع إليه فقال: إنما هي امرأة تبكي على بعيرها قد أضلته، فأنشد الأسود بن المطلب حينها يقول:

أ تبكى أن يفضل لها بعير و يمنعها من النوم السهود

فلا تبكى على بكر «١» و لكن على بدر تقاصرت الجودود

على بدر سراة بنى هصيص و مخزوم و رهط أبي الوليد

و بكي ان بكي على عقيل و بكي حارثا اسد الاسود «٢»

(٢)

القرار الأخير حول مصير الاسارى:

في هذه المعركة بالذات أعلن رسول الله صلى الله عليه وآله عن قرار تاريخي عظيم ورائع هو: أن من علم من الأسرى عشرة من صبيان الغلمان و الصبيان من أولاد الأنصار الكتابة و القراءة كان ذلك فداؤه و خلى عن سبيله من غير أن يؤخذ منه مال «٣». و ان من دفع فدية قدرها أربعة آلاف درهم إلى ألف درهم خلى سبيله و ان من كان فقيرا لا مال له افرج عنه دون فداء. فأحدث هذا النبأ في مكة لدى عوائل الأسرى حركة عجيبة و دفعهم الى التفكير في تقديم الفداء الى المسلمين، و اطلاق اسراهم. فهياً كل واحد منهم ما استطاع و قدم المدينة يفدى اسيره. و عند ما افرج عن سهيل بن عمرو لقاء فدية قال عمر بن الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله: يا رسول الله دعني أنزع ثنيتي سهيل بن عمرو (أى أسنانه

(١) البكر: الفتى من الابل.

(٢) السيرة النبوية: ج ١ ص ٦٤٨.

(٣) السيرة الحلبية: ج ٢ ص ١٩٣.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٩٢

الامامية) و يدلح لسانه فلا يقوم عليك خطيبا في موطن أبدا.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا امثل به فيمثل الله بي و ان كنت نبيا» «١».

و تلك لفته انسانية أخرى من لفتات النبي العظيم الكثيرة في المعارك.

(١) و قد كان في الاسارى أبو العاص بن الربيع زوج ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله: زينب.

و كان أبو العاص من رجال مكة المعدودين مالا و أمانة و تجارة، و قد تزوج بزینب ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله في الجاهلية.

و لما جاء الاسلام آمنت خديجة برسول الله صلى الله عليه وآله و آمنت بناته، (و منهن زينب) كذلك و شهدن أن ما جاء به الحق،

و دنّ بدينه، و ثبت أبو العاص على شركه، و كان رسول الله صلى الله عليه وآله لا يقدر على أن يفترق بينهما.

و قد اشترك أبو العاص هذا في معركة بدر مع قريش، و أسر بأيدي المسلمين.

فلما بعث أهل مكة في فداء أسراهم بعثت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وآله في فداء أبي العاص بن الربيع بمال و بعثت فيه

بقلادة لها كانت خديجة قد أهدتها إليها ليلة دخول أبي العاص بها (ليلة زفافها).

(٢) فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله تلك القلادة تذكر زوجته الوفيّة خديجة عليها السلام و ما اسدته الى الاسلام من

خدمات و قدمته من تضحيات، و بكى بكاء شديدا.

فالتفت الى المسلمين و قال: إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها، و تردوا عليها

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ٦٤٩، و المغازي: ج ١ ص ١٠٧ يقول صاحب المغازي في صفحة ١٠٥ من نفس الجزء: كان عمر (رض)

يحض على قتل الاسرى لا يرى أحدا في يديه أسير إلا امر بقتله!!

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٩٣

ما لها فافعلوا.

فقالوا: نعم يا رسول الله، نفديك بأنفسنا و أموالنا.

فأطلقوه، و ردوا عليها الذى لها و بذلك احترم رسول الله صلى الله عليه وآله حقوق المسلمين و ما يرجع إليهم من أموال بل أنها و

الله أعظم مظهر من مظاهر الديمقراطية، (ان صح التعبير) فالنبي مع أن له ما له من الولاية على المسلمين يقترح عليهم الافراج عن زوج

زينب و يترك الامر لاختيارهم.

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله أخذ على أبي العاص الميثاق بأن يخلي سبيل زينب، و يعثها الى المدينة.

ف فعل أبو العاص ما تعهد به، و بعث زينب الى المدينة.

ثم إن أبا العاص نفسه أسلم أيضا و قدم المدينة، و ردّ عليه رسول الله صلى الله عليه وآله زينب بالنكاح الاول أو بنكاح جديد «١»

رسول الاسلام و مكافحة الامية:

كما أنه يتبين من قصة الاسرى الذين اطلق سراحهم لقاء تعليم أولاد المسلمين الكتابة و القراءة مدى اهتمام الاسلام بالثقافة و التثقيف، و الوعي و النوعية، فان معرفة القراءة و الكتابة بداية التثقيف و النوعية.

و لا بدّ أن نقول هنا أيضا أن اطلاق الاسارى العارفين بالقراءة و الكتابة لقاء تعليم صبيان المسلمين تعد أول عملية لمكافحة الامية التى اهتم بها العالم الحاضر.

ففى الوقت الذى كانت الكثير من الدول فى عصر الاسلام الاول تمنع من تثقيف أبنائها و رعاياها- كما مرّ عليك فى دراسة أوضاع الامبراطوريتين الفارسية و الرومية- أعلن رسول الاسلام ان من لم يكن معه فداء و هو يحسن الكتابة دفع إليه عشرة من غلمان المدينة (أى صبيانها) يعلمهم الكتابة فاذا تعلموا كان ذلك فداء.. و ما أعظمها من خطوة ثقافية و حضارية.

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ٦٥١-٦٥٩، بحار الأنوار: ج ١٩ ص ٣٤٨ و ٣٤٩.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٩٤

(١)

كلام لابن أبى الحديد فى المقام:

يقول العلامة ابن أبى الحديد: قرأت على (استاذى) النقيب أبى جعفر البصرى العلوى هذا الخبر، فصدّقه و قال: أ ترى أبا بكر و عمر لم يشهدا هذا المشهد؟ أم ما كان يقتضى التكريم و الاحسان أن يطبّيا قلب فاطمة عليها السلام، و يستوهب لها من المسلمين (أى يستوهب فدكا من المسلمين و يرده عليها)؟

أ تقصر منزلتها عند رسول الله صلى الله عليه وآله من منزلة زينب أختها و هى سيدة نساء العالمين؟!

هذا إذا لم يثبت لها حق لا بالنحلة و لا بالارث؟

فقلت له: فدك بموجب الخبر الذى رواه أبو بكر قد صار حقا من حقوق المسلمين، فلم يجز له أن يأخذه منهم.

فقال: و فداء أبى العاص قد صار حقا من حقوق المسلمين، و قد أخذه رسول الله صلى الله عليه وآله منهم.

فقلت: رسول الله صلى الله عليه وآله صاحب الشريعة، و الحكم حكمه، و ليس أبو بكر كذلك.

(٢) فقال: ما قلت هلا أخذه أبو بكر من المسلمين قهرا فدفعه إلى فاطمة عليها السلام و إنما قلت: هلا استنزل المسلمين عنه، و استوهبه

منهم لها، كما استوهب رسول الله صلى الله عليه وآله فداء أبى العاص؟ أ تراه لو قال: هذه بنت نبيكم صلى الله عليه وآله قد

حضرت لطلب هذه النخلات افطيطيون عنها نفسا؟ كانوا منعوها ذلك؟!

فقلت له: قد قال قاضى القضاة أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد نحو ذلك.

قال: إنهما لم ياتيا بحسن فى شرع التكريم، و ان كان ما أتياه حسنا فى الدين!!

أى ان ما فعلاه و ان كان يوافق موازين الدين - حسب تصور القاضى - و لكنه لا يناسب شأن فاطمة و تكريمها لمقامها و لمكانها من

أبيها رسول الله صلى الله عليه

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٩٥

و آله «١».

هذا وقد أمر الله نبيه الكريم بأن يعلن للأسرى بأن الباب مفتوح على وجوههم لينضموا الى صفوف المسلمين، فينعموا بالاسلام فيعيد الله عليهم أفضل مما أخذ منهم و يغفر لهم ذنوبهم، إذ يقول تعالى:

«يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنَّ يَٰعَلَمَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ»
«٢»

و بذلك فتح الاسلام باب الأمل أمام الاسارى، و كشف عن نزعته الانسانية، و أيضا عن رغبته الصادقة في هداية البشرية، و نجاتها. كما ضرب بذلك مثلا في الحكمة و حسن السياسة لم يسبق له مثل.

على انه هدّد الاسرى من ناحية اخرى إذا أساءوا، و عادوا بعد الخلاص من الاسر إلى التآمر ضد الإسلام. إذ قال:

«وَ إِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» «٣»
و بذلك جمع بين الحزم و الحكمة، و اللين الحكيم و الشدة المعقولة.

القرآن يتحدث عن بدر:

و لقد ذكّر القرآن الكريم المسلمين، و لا يزال يذكرهم بالانتصار الكبير الذي تحقّق للمؤمنين في بدر بفضل ثبات المقاتلين و نصر الله و تأييده الغيبي إذ قال:

«إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدُوِّ الدُّنْيَا وَ هُمْ بِالْعُدُوِّ الْقُصْوَى وَ الرِّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَ لَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتِلَافْتُمْ فِي الْمِيْعَادِ وَ لَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٣ ص ٣٣٤-٣٥٢ و لابن أبي الحديد كلام آخر يشبه هذا في اهدار من أسقط جنين زينب فراجع.

(٢) و (٣) الانفال: ٧٠ و ٧١.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٩٦

هَلَكَ عَنْ بَيْنِهِ وَ يَحْيَىٰ مِنْ حَيٍّ عَنْ بَيْنِهِ وَ إِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ. إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَايِكَ قَلِيلًا وَ لَوْ أَرَاكُهُمْ كَثِيرًا لَفَشَلْتُمْ وَ لَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَ لَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ. وَ إِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّفَيْتُمُ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَ يُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا، وَ إِلَى اللَّهِ تَرْجَعُ الْأُمُورُ» «١».

و قال تعالى:

«قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الثَّقَاتِ فَبِتُّ فَمَا تَلُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ أُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأَى الْعَيْنِ وَ اللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ» «٢».

و قال تعالى أيضا:

«إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ» «٣».

و قوله تعالى:

«إِذْ يُغَشِّبِكُمُ النَّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُم رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ. إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ» (٤٢)». (٤).

وقال سبحانه أيضا:

«وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ. إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمَدِّدَ كُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ. بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ، هَذَا يُمَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ. وَمَا جَعَلَ اللَّهُ إِلَّا بَشْرَى لَكُمْ وَتَتَطَّمَنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ. لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ

(١) الانفال: ٤٢ و ٤٤.

(٢) آل عمران: ١٣.

(٣) الانفال: ٩.

(٤) الانفال: ١١-١٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٩٧

كَفَرُوا أَوْ يَكْتَبَتُهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ» (١).

و في هذه الآيات تصريحات واضحة بما كان عليه المسلمون في معركة بدر من حيث قلة العدة و العدد، و بأبرز الامدادات الغيبية الإلهية التي ساعدت المسلمين على الانتصار على أعدائهم المشركين، الذين كانوا يفوقونهم في العدة و العدد و السلاح و الرجال مع التأكيد على أن ذلك الانتصار العظيم جاء نتيجة ثبات المسلمين و استقامتهم، و صبرهم و إخلاصهم. و أبرز تلك الامدادات الغيبية هي:

١- مع أن الأعداء كانوا متمركزين في العدو العاليا و هي أعلى الوادي و المسلمين في أسفل الوادي، و كان ذلك من شأنه أن يعزز موقع الكفار لإمكان مراقبة المسلمين من مكان مرتفع كما كان من شأنه أن يجعل هجوم المسلمين على الكفار أمرا صعبا، و لكن كفة الحرب رجحت مع ذلك لصالح المسلمين.

٢- إنهم لو كانوا على ميعاد مع العدو، و مع العلم التفصيلي بحجم امكانياته البشرية و القتالية لامتنع عامة المسلمين عن مقابلة المشركين، و لكن شاء الله أن لا يعرف المسلمون شيئا مفصلا عن المشركين، مسبقا، بل يواجه المسلمون الأمر الواقع، فيتحقق ما أراد الله من الانتصار على قريش. و الى هذا اشار سبحانه بقوله:

«وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتِلَافْتُمْ فِي الْمِيعَادِ».

٣- تقليل عدد المسلمين في أعين المشركين و تقليل عدد المشركين في أعين المسلمين في أول القتال لكي يستقل الأعداء قوة المسلمين، و لكي لا يهاب المسلمون الأعداء و يستعظمو عددهم، و إليه يشير تعالى بقوله:

«إِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ».

٤- تكبير عدد المسلمين في أعين الكفار في أثناء القتال و إليه يشير تعالى بقوله:

(١) آل عمران: ١٢٣-١٢٧.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٩٨.

«يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَى الْعَيْنِ».

- ٥- الإمداد بالملائكة المردفين المسؤمين.
- ٦- النعاس الذى ألقاه الله على المسلمين فجدد نشاطهم، و ضاعف من قوتهم.
- ٧- نزول المطر عليهم و الذى طهرهم من الاقذار و مكنتهم من الاغتسال عما أصاب بعضهم من حدث، و ثبت الأرض الرملية تحت أقدامهم، و قد أشار سبحانه إلى كل ذلك فى الآية ١١ من سورة الانفال.
- ٨- تثبيت قلوب المؤمنين بواسطة الملائكة.
- ٩- القاء الرعب فى قلوب الكفار و الى هذين النوعين من الإمداد الغيبى أشار بقوله: «فثبتوا الذين آمنوا سألنى فى قلوب الذين كفروا الرعب».
- كما و يشير القرآن الكريم فى هذا السياق إلى دور الشيطان فى هزيمة الكفار فهو الذى يغرى و هو الذى يخذل عند اللقاء يقول سبحانه:
- «وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا- غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِتْنَانَ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ» (١).
- كما أن القرآن يتحدث أيضا عن حالة المشركين عند ما أتوا إلى بدر لمواجهة المسلمين و ما كانت تنطوى عليه نفوسهم فيقول:
- «وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ» (٢).
- كما و يعزى هزيمتهم إلى سبب رئيسى و حقيقى و هو مشاققة الله و رسوله إذ يقول:
- «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ» (٣).

(١) الانفال: ٤٨.

(٢) الانفال: ٤٧.

(٣) الانفال: ١٣.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٩٩

و ينبغي الاشارة فى ختام هذا العرض التفصيلى- نوعا ما- لوقعة بدر إلى تكتيكات النبى صلى الله عليه وآله الحربية، و إلى أساليبه الحكيمه فى تقوية معنويات المسلمين و إلى جانب تنظيم صفوفهم، مما لا يسع المجال لذكره على وجه التفصيل الكامل.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٠٠

(١)

٣٠ زواج سيدة النساء فاطمة بنت رسول الله «١»

إشارة

إن الرغبة الجنسية حالة تظهر عند البلوغ لدى كل انسان، و ربما تنحرف بالشباب و تهوى به فى أحضان الفساد و السقوط الاخلاقى إذا لم تتوفر له أجواء التربية الصحيحة و لم تتح له الفرصة المناسبة، و المسير الصحيح لتنفيذ تلك الرغبة، و الاستجابة لها بصورة صحيحة. و ان خير وسيلة للحفاظ على العفة الفردية و الحياء العام، و تجنب الفرد و المجتمع مفسد و أخطار الانحراف الجنسى هو الزواج. فان الاسلام يحتم على الرجل و المرأة- تأكيداً لحكم الفطرة و تمشياً مع ناموس الطبيعة البشرية- أن يتزوجا طبقاً لضوابط خاصية تضمن سلامة الزيجة و دوامها.

وقد جاء هذا التأكيد، والحديث في الكتاب العزيز، والسنة الشريفة بمختلف الصور، وتحت مختلف العناوين:

فقد جاء في الكتاب العزيز:

«وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ» (٢).

(١) كان زواج فاطمة بعد وقعة بدر، راجع بحار الأنوار: ج ٤٣ ص ٧٩ و ١١١.

(٢) النور: ٣٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٠١

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله في هذا الصدد:

«تزوجوا فإني مكاثر بكم الامم غدا في القيامة» (١).

وقال أيضا:

«من أحب أن يلقي الله طاهرا مطهرا فليلقه بزوجه» (٢).

(١)

مشاكل الزواج في العصر الحاضر:

على أن مشاكل الزواج في عصرنا الحاضر لا تنحصر - وللاسف - في مشكلة واحدة أو مشكلتين.

فالرجال والنساء اليوم يقدمون على الزواج - غالبا - في ظروف صعبة، وأوضاع رديئة، وتنتهي أكثر الزيجات بسبب تلك الظروف والأوضاع وبسبب، ما يلبسها من مستلزمات قاسية وثقيلة بالطلاق والافتراق بعد سلسلة من الخلافات والمنازعات. فتلك هي صحف البلاد تحمل في أبوابها الاجتماعية كل يوم عشرات الانباء والأخبار عن الجرائم الزوجية وتعالج عشرات المشاكل في مجال العائلة.

ولكن أكثر هذه المشاكل والمصائب تدور حول قضية واحدة، وهي أن الفتيان والفتيات في مجتمعاتنا الحاضرة ليسوا بصدد تشكيل عائلة تضمن سعادتهم الواقعية.

فالبعض يهتم من الزواج أن يصل عن طريق إلى المناصب الراقية الحساسة.

والبعض الآخر يهتم من الزواج الحصول على الثروة والمال.

(٢) وقلما يفكر المقدمون على الزواج، وتأسيس العائلة في امور هامة وجوهرية كالعفة والطهر، وإذا لوحظ هذا الجانب فإنما يلاحظ بصورة هامشية، لا أساسية.

ويدل على ذلك أن الشباب يتنافس غالبا على التزوج بفتيات من العوائل المعروفة ذات المكانة والشهرة الاجتماعية والمالية، والحال أنه يمكن أن تكون

(١) و (٢) وسائل الشيعة: ج ١٤ ص ٣ و ٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٠٢

تلك الفتيات غير متصفات بالاخلاق النبيلة، ولا يكن من حيث الجانب المعنوي بالنوع الجيد، الجدير بالاهتمام، الصالح للاقتران به.

فما أكثرهن الفتيات الفاضلات، الطيبات هنا وهناك في زوايا المجتمع اللاتي لا يهتم بهن الشباب، لفقرن، وقلّة ذات ايديهن. او لعدم شهرة عوائلهن.

على أن الأسوأ من ذلك كله ما أصبح يكلفه الزواج في عصرنا الحاضر من نفقات باهضة نتيجة تزايد التقاليد المبتدعة في مجال إقامة الاعراس و حفلات القران و الزواج، الأمر الذى أصبح يرهق كاهل الزوجين، و يتعب عائلتهما، مثل مشكلة المهور الباهضة، و ما شابه ذلك مما هو فى تصاعد مستمر فى بلادنا، الأمر الذى دفع بالبعض الى ترك الزواج، و اشباع غرائزهم الجنسية بالوسائل غير المشروعة، و من ثم شيوع اللاباليه، و الاباحية فى المجتمعات.

(١)

رسول الاسلام يكافح هذه المشاكل عملياً:

إشارة

تلك طائفة من المشاكل الاجتماعية التى كانت و لا تزال موجودة فى كل مجتمع بنسب خاصة. و لم تكن الفترة التى عاصرها رسول الاسلام بمستثناء من هذا الأمر فقد كانت هناك فى المجتمع فى عصر النبى صلى الله عليه وآله مشاكل مماثلة فى الزواج. فقد كان أشرف العرب لا يزوجون بناتهم إلا لمن كان من قبيلة ذات مال و شوكة، و مكانة و قوة، و يردون كل خاطب لبناتهن يكون على غير هذه الصفة.

و قد كان الأشراف، يصرون- تبعاً لتلك العادة- على أن يتزوجوا بابنة رسول الله صلى الله عليه وآله السيدة فاطمة لانهم كانوا يتصورون أن النبى لن يتشدد فى هذا الأمر، بل يكفيه أنهم ذو ثروة و مكانة اجتماعية مرموقة. و كانوا يتصورون أنهم يمتلكون كل ما يهّم الفتاة و أباهما من الامكانيات المادية، كيف لا و النبى صلى الله عليه وآله لم يتشدد فى زواج ابنته الاولىين:

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٠٣

زينب و رقية.

و لكنهم غفلوا عن أن هذه الفتاة (أى فاطمة الزهراء سلام الله عليها) تختلف عن اختيها السابقين. إنها- كما تدل عليه آية المباهلة- «١» ذات مقام رفيع، و شأن كبير.

(١) لقد أخطأ خطاب فاطمة عليها السلام فى هذا التصور، و ما كانوا يعلمون أن زوج فاطمة و قرينها لا يمكن أن يكون إلا كفؤها فى التقوى و الفضل، و الايمان و الاخلاص، فاذا كانت فاطمة- بحكم آية التطهير- معصومة من الذنب و جب أن يكون زوجها هو الآخر معصوماً و الا لم يكن كفؤها المناسب.

و ليس المال و ليست الثروة ملاك هذا التكافؤ.

لقد قال الاسلام: «إذا خطب إليكم كفؤ فرؤوه».

و يفسر هذا التكافؤ بالمماثلة و التكافؤ فى الايمان و التقوى، و الطهارة و العفاف، لا فى المال و الثروة «٢».

و لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله مأموراً من جانب الله تعالى أن يقول لكل من خطب إليه «فاطمة» من اولئك الرجال: «أمرها بيد الله» و هو بهذه الاجابة يكشف القناع عن الحقيقة إلى درجة ما.

(٢) و لقد أدرك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أن زواج «فاطمة» ليس أمراً سهلاً و بسيطاً، و أنه ليس لمن كان من الرجال و ان بلغ من الثراء، و المكانة الاجتماعية أن يحظى بالزواج منها، فان زواج «فاطمة» ليس إلا من يشابهها من حيث الأخلاق و الفضائل، و الصدق و الايمان، و الطهر، و الاخلاص، بل و يلى رسول الله صلى الله عليه وآله فى السجيا الكريمة و الصفات الرفيعة،

(١) آل عمران: ٦١.

في قضية المباهلة اصطحب رسول الله صلى الله عليه وآله عليا والحسن والحسين وفاطمة دون غيرها من النساء وسيأتي مفصل هذه القصة.

(٢) راجع الوسائل: ج ١٤ ص ٥٠-٥٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٠٤

والخلق العظيم.

ولا تجتمع هذه الصفات والمواصفات إلا في «علي» عليه السلام لا سواه.

وللتأكد من هذه الحقيقة اقترح بعض الصحابة علي (علي) عليه السلام أن يخطب الى النبي فاطمة صلوات الله عليهما «١».

وكان علي عليه السلام يريد ذلك في نفسه، ويرغب إليه من كل قلبه إلا أنه كان ينتظر الفرصة المناسبة ليقدم على هذا الأمر.

(١) فاتى علي عليه السلام بنفسه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ولما رآه رسول الله قال: ما جاء بك يا أبا الحسن، حاجتك.

فمنع الخجل عليا من البوح بمطلبه وسكت، وأطرق برأسه الى الارض، حياء من النبي صلى الله عليه وآله.

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: لعلك جئت تخطب فاطمة؟

فأجاب علي عليه السلام بكلمات ضمنها رغبته في الزواج من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله.

ولقد كان هذا النمط من الخطبة علامة واضحة لما كان بين رسول الله صلى الله عليه وآله وبين علي عليه السلام، من الاخوة و

الصفاء، ولما تحلى به الجانبان من اخلاص وود. وما أروعها من ظاهرة. حقا ان المبادئ والانظمة التربوية لم تستطع أن تعلم الشباب

الذين يقدمون على الخطبة الى أحد مثل هذه الحريه، المقرونة بالتقوى، والايمان والاخلاص.

(٢) لقد وافق رسول الله صلى الله عليه وآله علي طلب علي عليه السلام وقال:

«يا علي أنه لقد ذكرها قبلك رجال فذكرت ذلك لها فرأيت الكراهة في وجهها، ولكن علي رسلك حتى أخرج إليك».

ثم دخل صلى الله عليه وآله علي فاطمة، فذكر لها الأمر، وأن عليا عليه السلام خطبها إليه قائلاً:

(١) بحار الأنوار: ج ٤٣ ص ٩٣.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٠٥

«إن علي بن أبي طالب من قد عرفت قرابته، وفضله و اسلامه، و اني قد سألت ربي أن يزوجهك خير خلقه، و أحبهم إليه، و قد ذكر

من أمرك شيئاً فما ترين؟».

فسكتت فاطمة سلام الله عليها، ولم ير رسول الله صلى الله عليه وآله في وجهها كراهة فقام وهو يقول:

«الله أكبر، سكوتها إقرارها» (١).

(١) ولكن عليا عليه السلام لم يكن يملك آنذاك إلا سيفاً، و درعا فقط.

فأمره رسول الله صلى الله عليه وآله بأن يبيع درعه، و يهبى بثمانه عدة الزواج و جهاز العروس، فباع علي عليه السلام درعه، و أتى

بثمانه الى النبي صلى الله عليه وآله و سكب المال بين يديه «٢».

فقبض صلى الله عليه وآله قبضة الدراهم، و دعا بلالا فأعطاه فقال:

«ابتع لفاطمة طيباً».

ثم أعطى صلى الله عليه وآله بقية تلك الدراهم إلى أبي بكر و عمار بن ياسر و أمرهما أن يتاعا لفاطمة ما يصلحها من ثياب و أثاث

البيت، و ما شاكل ذلك من احتياجات العروسين.
ففعلا ذلك و اشترى ما أمرهما به رسول الله صَلَّى الله عليه وآله فكان جهاز فاطمة كالتالى:
(٢)

جهاز فاطمة:

١- قميص بسبعة دراهم.

٢- خمار «٣» بأربعة دراهم.

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) و فى رواية عن عليّ عليه السلام: فسكبت الدراهم فى حجره فلم يسألنى كم هى و لا أنا أخبرته.

(٣) الخمار: مقنعة.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٠٦

٣- قطيفة سوداء لا تكفى لتغطية كلّ البدن.

٤- سرير مزمل بشریط (أى مصنوع من جريد النخل و اليافه).

٥- فراشان من خيش «١» مصر، حشو أحد هماليف، و حشو الآخر من صوف الغنم.

٦- اربع مرافق «٢» اثنان من الصوف و اثنان من الليف.

٧- ستر.

٨- حصير هجرى.

٩- رحي لليد.

١٠- مخضب «٣» من نحاس.

١١- سقاء من آدم.

١٢- قعب للبن.

١٣- شنّ «٤» للماء.

١٤- مطهرة مزفته «٥».

١٥- جرّة خضراء.

١٦- كيزان خزف.

(١) فلما عرض المتاع على رسول الله صَلَّى الله عليه وآله جعل يقلّبه بيده و يقول:

«اللهم بارك لقوم جلّ آنتهم الخزف» «٦».

إن فى مهر فاطمة امورا تدعو إلى التأمل حقا، أبرزها مقدار ذلك المهر.

فمهرها هو مهر السنّة و هو خمسمائة درهم «٧».

إن هذه الزيجة- فى الحقيقة- خير درس للآخرين، للفتيان و الفتيات الذين يثنون من ثقل المهر و بهاضته و ربما يثنون من قيود الزواج و شروطه.

- (١) الخيش: نسيج خشن من الكتان.
- (٢) المرفقة: الوسادة.
- (٣) المخضب: اناء للمسك والطيب.
- (٤) الشن: القربة.
- (٥) مطلية بالزفت.
- (٦) بحار الأنوار: ج ٤٣ ص ٩٤، كشف الغمة: ج ١ ص ٣٥٩.
- (٧) وسائل الشيعة: ج ٥ ص ١٨.
- سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٠٧
- (١) ان البيئة الزوجية يجب أن تكون- أساسا- بيئة دفاء و حنان، بيئة اخلاص مودة. بيئة سلام و وفاق فهذا هو ما يسعد الحياة الزوجية و يوفر للزوجين عيشا هانئا محببا.
- أما المهور الثقيلة، و النفقات الباهضة و الجهاز المكلف فلا- تؤدي إلما إلى تعكير صفو الحياة الزوجية، و التقليل من بريق الرابطة العائلي، و بالتالي لا تضمن مستقبل الزواج و دوامه، و المحافظة عليه من الهزات.
- إن أولياء الفتيات- في عصرنا الحاضر يعمدون بغية دعم مكانة فتياتهم و تقوية مركزهن و ضمان مستقبلهن إلى فرض سلسلة طويلة و ثقيلة من الشروط و القيود و منها المهر الباهض على العريس حتى لا يستطيع أن يقوم بطلاق زوجته تحت دوافع الهوى و الشهوة، أو كلما سولت له نفسه ذلك، على حين أن هذا الاجراء لا يضمن بقاء الرابطة الزوجية، و دوامها بل العلاج الحقيقي و الناجع هو اصلاح الوضع الاخلاقي للشباب، و رفع مستواهم المعنوي.
- يجب أن تكون بيئتنا الثقافية و الاجتماعية من الطهر و النقاوة بحيث لا يوجد في رحابها امثال هذه النوازع الشريرة عند شبابنا، و الا لبلغ الأمر إلى نقطة تستعد فيه الفتاة الى بذل مهرها للنجاة بنفسها من البيت الزوجي.
- (٢)

مراسم الزواج تقام ببساطة:

ثم بعد أن عقد رسول الله صلى الله عليه وآله و آله لعلى عليه السلام على فاطمة عليها السلام فى رحاب مسجده على مرأى و مسمع من المسلمين و فى جو يسوده الفرح و الابتهاج و السرور قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلى عليه السلام هتئى منزلا- حتى تحوّل فاطمة إليه، فأخذوا منزل أحد الصحابة بصورة مؤقتة، و حوّلت فاطمة إلى على عليه السلام فى منزل ذلك الصحابى الجليل، فى زفاف جميل مبارك و قد صنع على طعاما من لحم و تمر و سمن و اطعم المسلمون جميعا تقريبا، و ساد الناس فرح عظيم لم يشهد له نظير.

عن ابن بابويه: أمر النبى صلى الله عليه وآله بنات عبد المطلب و نساء

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٠٨

المهاجرين و الأنصار أن يمضين فى صحبة فاطمة سلام الله عليها و ان يفرحن، و يرجزن و يكبرن و يحمدن و لا يقولن ما لا يرضى الله.

قال جابر: فأركبها على ناقته- و فى رواية على بغلته الشهباء- و أخذ سلمان زمامها و النبى و حمزة و عقييل و جعفر و أهل البيت يمشون خلفها مشهرين سيوفهم و نساء النبى صلى الله عليه وآله قدامها يرجزن، فانشأت أم سلمة تقول:

سرن بعون الله جاراتي و اشكرنه فى كل حالات

و اذكرن ما أنعم رب العلى من كشف مكروه و آفات

فقد هدانا بعد كفر و قدانعشنا رب السماوات

و سرن مع خير نساء الورى تفدى بعمات و خالات ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله لما دخلوا الدار أنفذ إلى على عليه السلام ثم دعا فاطمة سلام الله عليها فأخذ يدها و قد علاها الاستحياء و تصبب منها العرق خجلا، بل و قد تعثرت من شدة خجلها فقال لها رسول الله: «أقالك الله العثرة» (١).

و وضعها في يده و قال:

«بارك الله في ابنه رسول الله يا على نعم الزوجة فاطمة، و يا فاطمة نعم الزوج على».

ثم أخذ بيده اناء فيه ماء و صب منه على رأس فاطمة و بدنها و دعا لهما قائلا:

«اللهم اجمع شملهما، و ألف بين قلوبهما، و اجعلهما و ذريتهما من ورثة جنه النعيم و ارزقهما ذرية طاهرة طيبة مباركة، و اجعل في ذريتهما البركة، و اجعلهم أئمة يهدون بأمرك إلى طاعتك، و يأمرن بما يرضيك.

اللهم أنهما أحب خلقك إلي، فاجبهما و اجعل عليهما منك حافظا، و أنى اعيدهما بك و ذريتهما من الشيطان الرجيم» (٢).

(١) بحار الأنوار: ج ٤٣ ص ٩٦.

(٢) بحار الأنوار: ج ٤٣ ص ١١٤-١١٨.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٠٩.

(١) و بذلك أبدى رسول الله صلى الله عليه وآله من نفسه في تلك الليلة صفاء و اخلاصا لم يعرف له نظير حتى في مجتمعاتنا الحاضرة رغم ما حققته من تكامل و رشد.

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله عدد لفاطمة فضائل على كما ذكر لعللى فضائل فاطمة و انها «لو لم يخلق على لما كان لها كفؤ» (١). ثم ذكر لهما وظائفهما و واجباتهما العائلية فأوكل إلى فاطمة ما هو في داخل البيت من شئون و أوكل إلى على ما هو من شئون الخارج.

و لا بد أن نذكر هنا قصة هامة أداء لحق فاطمة، و بيانا لمقامها.

(٢) يقول أنس بن مالك: إن النبي صلى الله عليه وآله كان يمر ببيت فاطمة ستة أشهر إذا خرج إلى الفجر فيقول:

«الصلاة يا أهل البيت، انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا» (٢).

هذا و قد كانت هذه الزيجة أفضل زيجة في الاسلام و أكثرها بركة و خيرا، فقد عاش هذان القرينان الطاهران جنبا إلى جنب في وئام و وداد، في حياة زوجية طاهرة يسودها الاحترام المتقابل، و الاخلاص الكامل من بدايتها إلى نهايتها.

و قد أنجبا أفضل الاولاد و البنات أبرزهم: الامام الحسن و الامام الحسين عليهما السلام سبطا رسول الله صلى الله عليه وآله الاثيران لديه، و المقربان إليه، و زينب بنت على التي رافقت أخاها في وقعة كربلاء الدامية و كان لها مواقف عظيمة و مشرفة في الرعاية للحق و العدل، و نصره الاسلام، و غيرهم من الاولاد ذكورا و اناثا.

و قد بقى كلا الزوجين (على و فاطمة) حتى آخر اللحظات عارفين بمكانة

(١) مسند احمد بن حنبل: ج ٢ ص ٢٥٩.

(٢) الدر المنثور: ج ٥ ص ١٩٩.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١١٠.

الآخر، فكلاهما من أهل البيت الذين اذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا، و كلاهما من القربى الذين أمر بمودتهم و لهذا لم

يتزوج على عليه السلام على الزهراء امرأة اخرى الا- بعد وفاتها، كما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله بالنسبة إلى خديجة، وفاء لحقها، واحتراما لمقامها.

لكن بعض الايادي دسّت- مع الأسف- في التاريخ أباطيل للتقليل من شأن هذين الزوجين الطاهرين، و الحط من مكانتهما، فنسبت إليهما التنازع، و التشاجر، أو نسبت إلى فاطمة شكايه علي عليه السلام الى رسول الله صلى الله عليه وآله و أوردت في هذه المجال روايات مختلفة، لا أساس لها من الصحة، تفندھا أخلاق علي و فاطمة و تقواهما و زهدهما، و تكذبها ما جاء في شأنهما و جلالة قدرهما من الآيات القرآنية و الاحاديث النبوية.

و قد استند أعداء الاسلام التقليديين إلى امثال هذه الروايات لمسخ صورة الاسلام الحنيف و تشويه سمعة رجاله العظماء و نساءه الخالدات الطيبات.

فهذا هو المستشرق النصراني الحاقد الاستاذ اميل درمنغم في كتابه الملئء بالباطيل: «حياة محمد» ترجمه الاستاذ محمد عادل زعير بعد ان يلصق برسول السلام تهما عجيبة و يصفه بالدويّ الحمس، يقع في علي و فاطمة عليهما السلام!!

فتارة يقول: إن فاطمة كانت عابسة دون رقيه جمالا، و دون زينب ذكاء، و إنها لم تكن ترغب في علي لانها كانت تعدّ عليا دميما محدودا مع عظيم شجاعته!! و ان عليا كان غير بهيّ الوجه .. و .. مع أنه كان تقيا شجاعا صادقا وفيا مخلصا صالحا مع توان و تردد!! و كان إذا عاد إلى منزله من العمل بشيء من القوت قال لزوجته فاطمة عابسا: كلي و اطعمي الاولاد!! و أن عليا كان يجرّد بعد كل منافرة و يذهب لينام في المسجد و كان حموه يرتبه علي كتفه و يعظه و يوفّق بينه و بين فاطمة إلى حين، و ممّا حدث أن رأى النبي ابنته في بيته ذات مرة و هي تبكي من لكم علي لها!!

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١١١

ثم يقول: إن محمدا- مع امتداحه قدم علي في الاسلام ارضاء لابنته- كان قليل الالتفات إليه و كان صهر النبي الامويان: عثمان الكريم و أبو العاصي أكثر مداراة للنبي من علي، و كان علي يألم من عدم عمل النبي علي سعادة ابنته و من عدّ النبي له غير قوام بجليل الأعمال فالنبي و ان كان يفوض إليه ضرب الرقاب كان يتجنب تسليم قيادة إليه!! «١»

إلى غير ذلك من الترهات و السخافات التي الصقها تارة إلى رسول الله الاكرم محمد صلى الله عليه وآله، و اخرى إلى حبيبه و ابن عمه و وصيه الامام علي بن أبي طالب عليه السلام.

إن أفضل اجابه على هذه الافتعالات هو ما كتبه العلامة الاميني حيث يقول:

كلّ ما في الكتاب من تلكم الأقوال المختلفة، و النسب المفتعلة إن هي إلّا كلم الطائش، تخالف التاريخ الصحيح، و تضادّ ما أصفقت عليه الامّة الإسلاميّة، و ما أخبر به نبيها الأقدس.

هل تناسب تقولاته في فاطمة مع قول أبيها صلى الله عليه وآله: فاطمة حوراء إنسيّة كلما اشتقت إلى الجنة قبلتها؟! «٢»

أو قوله صلى الله عليه وآله: ابنتي فاطمة حوراء آدميّة؟! «٣»

أو قوله صلى الله عليه وآله: فاطمة هي الزهرة؟! «٤»

أو قول أمّ أنس بن مالك؟! كانت فاطمة كالقمر ليلة البدر أو الشمس كفر غماما، إذا خرج من السحاب بيضاء مشربة حمرة، لها شعر أسود، من أشدّ الناس برسول الله صلى الله عليه وآله و آله شبها، و الله كما قال الشاعر:

بيضاء تسحب من قيام شعرها و تغيب فيه و هو جثل أسحم «٥»

(١) هذه المقتطفات اخذت من كتاب حياة محمد: ص ١٩٧-١٩٩.

(٢) تاريخ الخطيب البغدادي: ج ٥ ص ٨٦.

(٣) الصواعق: ص ٩٦، اسعاف الراغبين: ص ١٧٢ نقلا عن النسائي.

(٤) نزهة المجالس: ج ٢ ص ٢٢٢.

(٥) جثل الشعر: كثر و التف و اسود فهو جثل: سحم فهو اسحم: اسود.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١١٢ فكأنها فيه نهار مشرقو كأنه ليل عليها مظلم «١» و لقبها الزهراء المتسالم عليه يكشف عن جليلة الحال. و هل يساعد تلك التحكمات في ذكاء فاطمة و خلقها قول أم المؤمنين خديجة رضى الله عنها: كانت فاطمة تحدث في بطن أمها، و لما ولدت فوقعت حين وقعت على الأرض ساجدة رافعة اصبعها؟! «٢».

أو يلائمها قول عائشة: ما رأيت أحدا أشبه سمتا و دلا و هديا و حديثا برسول الله في قيامه و قعوده من فاطمة، و كانت إذا دخلت على رسول الله قام إليها فقبلها و رحب بها، و أخذ بيدها و أجلسها في مجلسه؟! «٣»

و في لفظ البيهقي في السنن ج ٧ ص ١٠١: ما رأيت أحدا أشبه كلاما و حديثا من فاطمة برسول الله صلى الله عليه و آله الحديث. و هل توافق مخاريفه في الامام على صلوات الله عليه، و عدم بهاء وجهه، و عد فاطمة له دميما و كونه عابسا مع ما جاء في جماله البهي: أنه كان حسن الوجه كأنه قمر ليلة البدر، و كأن عنقه إبريق فضة «٤» ضحوك السن «٥» فإن تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم؟! «٦».

و أين هي من قول أبي الأسود الدؤلي من أبيات له!؟:

إذا استقبلت وجهه أبي تراب رأيت البدر حار الناظرينا «٧»

(١) مستدرک الحاكم: ج ٣ ص ١٦١.

(٢) سيرة الملا، ذخائر العقبي: ص ٤٥، نزهة المجالس: ج ٢ ص ٢٢٧.

(٣) اخرج الحافظ ابن حبان كما في ذخائر العقبي ٤٠ م، و الحافظ الترمذى و حسنه، و الحافظ العراقي في التقريب كما في شرحه له و لابنه ج ١ ص ١٥٠، و ابن عبد ربه في العقد الفريد: ج ٢ ص ٣، و ابن طلحة في مطالب السؤل: ص ٧، اسعاف الراغبين: ص ١٧١.

(٤) كتاب صفين: ص ٢٦٢، الاستيعاب: ج ٢ ص ٤٦٩، الرياض النضرة: ج ٢ ص ١٥٥، نزهة المجالس: ج ٢ ص ٢٠٤.

(٥) تهذيب الاسماء و اللغات للامام النووي.

(٦) حلية الأولياء: ج ١ ص ٨٤، تاريخ ابن عساكر: ج ٧ ص ٣٥، المحاسن و المساوى: ج ١ ص ٣٢.

(٧) تذكرة السبط: ص ١٠٤.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١١٣.

نعم:

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا فضله فالناس أعداء له و خصوم

كضرائر الحسناء قلن لوجهها حسدا و بغضا: إنه لدميم أو يخبرك ضميرك الحرّ في على ما سلقه الرجل به من (التواني و التردد)؟! و على ذلك المتقحم في الأحوال، و الضارب في الأوساط و الأعراض في المغازى و الحروب؛ و هو الذى كشف الكرب عن وجه رسول الله في كل نازله و كارسه منذ صدع بالدين الحنيف، إلى أن بات على فراشه و فداه بنفسه، إلى أن سكن مقرّه الأخير. أليس علىّ هو ذلك المجاهد الوحيد الذى نزل فيه قوله تعالى: «أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَ عِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ جَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ».

و قوله تعالى: «وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ». «١».

فمتى خلى علىّ عن مقارعة الرجال و الذبّ عن قدس صاحب الرسالة حتى يصحّ أن يعزى إليه توان أو تردد في أمر من الامور؟! غير

ان القول الباطل لا حد له ولا امد.

و هل يتصور في أمير المؤمنين تلك العشرة السيئة مع حليلته الطاهرة؟! و النبي يقول له: أشبهت خلقى و خلقى و أنت من شجرتى التى أنا منها «٢».

و كيف يراه النبي صلى الله عليه و آله أفضل أمته أعظمهم حلما، و أحسنهم خلقا، و يقول: على خير أمتى أعلمهم علما و أفضلهم حلما؟! «٣».

و يقول لفاطمة: إنى زوجتك أقدم أمتى سلما، و أكثرهم علما، و أعظمهم حلما؟! «٤».

(١) راجع الجزء الثالث من «الغدِير»: ص ٤٧، ٥٣ ط ثانى.

(٢) تاريخ بغداد للخطيب: ج ١١ ص ١٧١.

(٣) الطبرى، الخطيب، الدولابى. كما فى كتر العمال: ج ٦ ص ١٥٣ و ٣٩٢ و ٣٩٨.

(٤) مسند احمد: ج ٥ ص ٢٦، الرياض النضرة: ج ٢ ص ١٩٤، ذخائر العقبى: ص ٧٨، مجمع الزوائد: ج ٩ ص ١٠١، ١١٤ و صححه و وثق رجاله.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١١٤

و يقول لها: زوجتك أقدمهم سلما، و أحسنهم خلقا؟! «١».

يقول هذه كلها و عشرته تلك كانت بمرأى منه و مسمع، أفك الدجالون، كان على عليه السلام كما أخبر به النبي الصادق الأمين.

و هل يقبل شعورك ما قذف به الرجل [فض الله فاه] علينا بلکم فاطمة بضعة المصطفى؟! و على هو ذاك المقتص أثر الرسول و ملأ مسامعه قوله صلى الله عليه و آله و سلم لفاطمة: إن الله يغضب لغضبك، و يرضى لرضاك «٢».

و قوله صلى الله عليه و آله و سلم و هو آخذ بيدها: من عرف هذه فقد عرفها، و من لم يعرفها فهى بضعة منى، هى قلبى و روحى التى بين جنبي، فمن آذاها فقد آذانى «٣».

و قوله صلى الله عليه و آله و سلم: فاطمة بضعة منى، يرينى ما رابها، و يؤذيني ما آذاها «٤».

و قوله صلى الله عليه و آله و سلم: فاطمة بضعة منى، فمن أغضبها فقد أغضبني «٥».

و قوله صلى الله عليه و آله و سلم: فاطمة بضعة منى، يقبضنى ما يقبضها، و يبسطنى ما يبسطها «٦».

(١) أخرجه أبو الخير الحاكمى كما فى الرياض النضرة: ج ٢ ص ١٨٢.

(٢) مستدرک الحاكم: ج ٣ ص ١٥٤ و صححه، ذخائر العقبى: ص ٣٩، تذكرة السبط: ص ١٧٥ مقتل الخوارزمى: ج ١ ص ٥٢، كفاية

الطالب: ص ٢١٩، شرح المواهب للزرقانى: ج ٣ ص ٢٠٢، كنوز الدقائق للمناوى: ص ٣٠، أخبار الدول للقرمانى هامش الكامل: ج ١

ص ١٨٥، كتر العمال: ج ٧ ص ١١١ عن الحاكم و ابن النجار، تهذيب التهذيب: ج ١٢ ص ٤٤٣، الاصابة: ج ٤ ص ٣٧٨، الصواعق:

ص ١٠٥، الاسعاف: ص ١٧١ عن الطبرانى، يتابع المودة: ص ١٧٣.

(٣) الفصول المهمة: ص ١٥٠، نزهة المجالس: ج ٢ ص ٢٢٨، نور الابصار: ص ٤٥.

(٤) صحاح البخارى و مسلم و الترمذى، مسند أحمد: ج ٤ ص ٣٢٨، الخصائص للنسائى: ص ٣٥، الاصابة: ج ٤ ص ٣٧٨.

(٥) صحيح البخارى، خصائص النسائى: ص ٣٥.

(٦) مسند أحمد: ج ٤ ص ٣٢٣ و ٣٢٢، الصواعق: ص ١١٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١١٥

و هل يقصر امتداح النبى عليا بقدم إسلامه؟! حتى يتفلسف فى سرّه و يكون ذلك إرضاء لابنته، على أن امتداحه بذلك لو كان لتلك المزعمه لكان يقتصر صلى الله عليه وآله و سلم على قوله لفاطمه فى ذلك و كان يتأتى الغرض به، فلما ذا كان يأخذ صلى الله عليه وآله و سلم بيد علي فى الملاء الصحابى تارة و يقول: إن هذا أول من آمن بى، و هذا أول من يصفحنى يوم القيامة؟ و لما ذا كان يخاطب أصحابه اخرى بقوله: أولكم و اردا على الحوض أولكم اسلاما على بن أبى طالب؟!

و كيف خفى هذا السرّ المختلق على الصحابة الحضور و التابعين لهم باحسان فطفقوا يمدحونه عليه السلام بهذه الاثارة كما يروى عن سلمان الفارسى، أنس بن مالك، زيد بن أرقم، عبد الله بن عباس، عبد الله بن حجل، هاشم بن عتب، مالك الاشر، عبد الله بن هاشم، محمد بن أبى بكر، عمرو بن الحمق، أبو عمره عدى بن حاتم، أبو رافع، بريدة، جندب بن زهير، أم الخير بنت الحريش.

و هل القول بقلة التفات النبى إلى على يساعده القرآن الناطق بأنه نفس النبى الطاهر؟! او جعل موذته أجر رسالته؟! أو قوله صلى الله عليه وآله و سلم فى حديث الطير المشوى الصحيح المروى فى الصحاح و المسانيد: اللهم ائتني بأحب خلقك إليك ليأكل معى؟!!

أو قوله صلى الله عليه وآله و سلم لعائشه: إن عليا أحب الرجال إليّ، و أكرمهم عليّ، فاعرفى له حقّه و أكرمى مثواه؟! «١»
 أو قوله صلى الله عليه وآله و سلم: أحب الناس إليّ من الرجال عليّ؟! «٢»
 أو قوله صلى الله عليه وآله و سلم: عليّ خير من أتركه بعدى؟! «٣»
 أو قوله صلى الله عليه وآله و سلم: خير رجالكم عليّ بن أبى طالب، و خير

(١) أخرجه الحافظ الخجندى كما فى الرياض: ج ٢ ص ١٦١، و ذخائر العقبى: ص ٦٢.

(٢) و فى لفظ: أحب أهلى، من حديث اسامه.

(٣) مواقف الايجى: ج ٣ ص ٢٧٦، مجمع الزوائد: ج ٩ ص ١١٣.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١١٦

نساء كم فاطمه بنت محمد؟! «١»

أو قوله صلى الله عليه وآله و سلم: عليّ خير البشر فمن أبى فقد كفر «٢»

أو قوله صلى الله عليه وآله و سلم: من لم يقل عليّ خير الناس فقد كفر؟! «٣»

أو قوله صلى الله عليه وآله و سلم: فى حديث الراية المتفق عليه: لاعطينّ الراية غدا رجلا يحبّه الله و رسوله و يحبّ الله و رسوله؟

أو قوله صلى الله عليه وآله و سلم: عليّ منى بمنزلة الرأس (رأسى) من بدنى أو جسدى؟! «٤»

أو قوله صلى الله عليه وآله و سلم: عليّ منى بمنزلة منى من ربّى؟! «٥»

أو قوله صلى الله عليه وآله و سلم: عليّ أحبهم إليّ و أحبهم إلى الله «٦».

أو قوله صلى الله عليه وآله و سلم لعليّ: أنا منك و أنت منى. أو: أنت منى و أنا منك؟! «٧»

أو قوله صلى الله عليه وآله و سلم: عليّ منى و أنا منه، و هو وليّ كلّ مؤمن بعدى؟! «٨»

أو قوله صلى الله عليه وآله و سلم فى حديث البعث بسورة البراءة المجمع على

(١) تاريخ بغداد للخطيب: ج ٤ ص ٣٩٢.

(٢) تاريخ الخطيب عن جابر، كنوز الحقائق هامش الجامع الصغير: ج ٢ ص ١٦، كنز العمال: ج ٦ ص ١٥٩

(٣) تاريخ الخطيب البغدادي: ج ٣ ص ١٩٢ عن ابن مسعود، كنز العمال: ج ٦ ص ١٥٩.

- (٤) تاريخ الخطيب: ج ٧ ص ١٢، الرياض النضرة: ج ٢ ص ١٦٢، الصواعق: ص ٧٥ م- الجامع الصغير للسيوطي، شرح العزيزي: ج ٢ ص ٤١٧، فيض القدير: ج ٤ ص ٣٥٧، نور الأبصار: ص ٨٠، مصباح الظلام: ج ٢ ص ٥٦.
- (٥) الرياض النضرة: ج ٢ ص ١٦٣، السيرة الحلبية: ج ٣ ص ٣٩١.
- (٦) تاريخ الخطيب: ج ١ ص ١٦٠.
- (٧) مسند أحمد: ج ٥ ص ٢٠٤، خصائص النسائي: ص ٣٦ و ٥١.
- (٨) مسند أحمد: ج ٥ ص ٣٥٦ وأخرجه جمع من الحفاظ باسناد صحيح سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١١٧
- صحته: لا يذهب بها إلّا رجل منّي وأنا منه «١»
- أو قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: لحمك لحمي و دمك دمي و الحقّ معك؟ «٢»
- أو قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ما من نبيّ إلّا وله نظير في أمته و عليّ نظيري؟ «٣»
- أو ما صحّحه الحاكم و أخرجه الطبراني عن أم سلمة قالت: كان رسول الله إذا أغضب لم يجترئ أحد أن يكلمه غير عليّ؟ «٤»
- أو قول عائشة: و الله ما رأيت أحدا أحبّ إليّ رسول الله من عليّ و لا في الأرض امرأة كانت أحبّ إليه من امرأته؟ «٥»
- أو قول بريدة و أبيّ: أحبّ الناس إليّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من النساء فاطمة و من الرجال عليّ؟! «٦»
- أو حديث جميع بن عمير قال: دخلت مع عمّتي عليّ عائشة فسألت أيّ الناس أحبّ إليّ رسول الله؟! قالت: فاطمة. فقيل: من الرجال؟ قالت:

زوجها، إن كان ما علمت صوّاما قوّاما؟ «٧»

و كيف كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقدّم الغير على عليّ في الالتفات إليه؟! و هو أوّل رجل اختاره الله بعده من أهل الأرض لما أطلع

- (١) خصائص النسائي: ج ٨.
- (٢) المحاسن و المساوي: ج ١ ص ٣١، كفاية الطالب: ص ١٣٥، مناقب الخوارزمي: ص ٧٦ و ٨٣ و ٨٧، فرائد السمطين: في الباب ٢ و ٢٧.
- (٣) الرياض النضرة: ج ٢ ص ١٦٤.
- (٤) مستدرك الحاكم: ج ٣ ص ١٣٠، الصواعق: ص ٧٣، تاريخ الخلفاء للسيوطي: ص ١١٦.
- (٥) مستدرك الحاكم: ج ٣ ص ١٥٤ و صححه، العقد الفريد: ج ٢ ص ٢٧٥، خصائص النسائي: ص ٢٩، الرياض النضرة: ج ٢ ص ١٦١.
- (٦) خصائص النسائي: ص ٢٩، مستدرك الحاكم: ج ٣ ص ١٥٥ صححه و هو و الذهبي، جامع الترمذي: ج ٢ ص ٢٢٧.
- (٧) جامع الترمذي: ج ٢ ص ٢٢٧ ط هند، مستدرك الحاكم: ج ٣ ص ١٥٧، و جمع آخر.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١١٨

عليهم كما أخبر به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لفاطمة بقوله: إنّ الله أطلع على أهل الأرض فاختر منه أباك فبعثه نبيا، ثمّ أطلع الثانية فاختر بعلك فأوحى إليّ فأنكحته و اتّخذته وصيّا «١».

و بقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ اخْتَارَ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ رَجُلَيْنِ أَحَدَهُمَا أَبُوكَ وَالْآخَرُ زَوْجُكَ «٢».

وَإِنِّي لَا يَسَعُنِي الْمَجَالُ لِتَحْلِيلِ كَلِمَةِ الرَّجُلِ: وَكَانَ صَهْرًا لِلنَّبِيِّ الْأَمْوِيَّانِ.

إلخ: وَحَسْبُكَ فِي مَدَارَاةِ عَثْمَانَ الْكَرِيمِ حَدِيثُ أَنَسٍ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ لَمَّا شَهِدَ دَفْنَ رَقِيَّةَ ابْنَتِهِ الْعَزِيزَةَ وَقَعَدَ عَلَى قَبْرِهَا وَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ فَقَالَ: أَيُّكُمْ لَمْ يَقَارِفِ اللَّيْلَةَ أَهْلَهُ؟ فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَنَا. فَأَمَرَهُ أَنْ يَنْزَلَ فِي قَبْرِهَا.

قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ: أَرَادَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَحْرِمَ عَثْمَانَ النَّزُولَ فِي قَبْرِهَا وَقَدْ كَانَ أَحَقَّ النَّاسِ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ بَعْلِهَا وَفَقَدَ مِنْهَا عُلُقًا لَا عَوْضَ مِنْهُ لِأَنَّهُ حِينَ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَيُّكُمْ لَمْ يَقَارِفِ اللَّيْلَةَ أَهْلَهُ؟! سَكَتَ عَثْمَانُ وَ لَمْ يَقُلْ: أَنَا. لِأَنَّهُ قَدْ قَارَفَ لَيْلَةَ مَاتَتْ بَعْضُ نِسَائِهِ، وَ لَمْ يَشْغَلْهُ الْهَمُّ بِالْمَصِيبَةِ وَانْقِطَاعِ صَهْرِهِ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْمَقَارَفَةِ فَحَرَّمَ بِذَلِكَ مَا كَانَ حَقًّا لَهُ وَكَانَ أَوْلَى بِهِ مِنْ أَبِي طَلْحَةَ وَغَيْرِهِ. وَ هَذَا بَيِّنٌ فِي مَعْنَى الْحَدِيثِ وَ لَعَلَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَدْ كَانَ عَلِمَ ذَلِكَ بِالْوَحْيِ فَلَمْ يَقُلْ لَهُ شَيْئًا لِأَنَّهُ فَعَلَ فِعْلًا حَلَالًا غَيْرَ أَنَّ الْمَصِيبَةَ لَمْ تَبْلُغْ مِنْهُ مَبْلَغًا يَشْغَلُهُ حَتَّى حَرَّمَ مَا حَرَّمَ مِنْ ذَلِكَ بِتَعْرِيزٍ غَيْرِ صَرِيحٍ «٣».

وَ مَا عَسَانِي أَنْ أَقُولَ فِي أَبِي الْعَاصِ الَّذِي كَانَ عَلَى شِرْكَهِ إِلَى عَامِ الْحَدِيثِيِّ، وَ اسْرَعَ مَعَ الْمُشْرِكِينَ مَرَّتَيْنِ، وَ فَرَّقَ الْإِسْلَامَ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ زَوْجَتِهِ زَيْنَبَ بِنْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ سِتِّ سِنِينَ، وَ هَاجَرَتْ مُسْلِمَةً وَ تَرَكْتَهُ لِشِرْكَهِ، وَ لَمْ تَرُدْ

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ عَنِ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ كَمَا فِي اكْتِمَالِ كَنْزِ الْعَمَالِ: ج ٦ ص ١٥٣، وَ أَخْرَجَهُ الْهَيْثَمِيُّ فِي مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ: ج ٩ ص ١٦٥ عَنِ عَلِيِّ الْهَلَالِيِّ.

(٢) الْمَوَاقِفُ لِلْإِيْجِيِّ: ص ٨

(٣) الرُّوضُ الْإِنْفِ: ج ٢ ص ١٠٧.

سَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ، ج ٢، ص: ١١٩

قَطَّ بَعْدَ إِسْلَامِهِ كَلِمَةً تَعْرَبُ عَنْ صَلَاتِهِ مَعَ النَّبِيِّ وَ مَدَارَاتِهِ لَهُ فَضْلًا عَنِ مَقَابِسَتِهِ بَعْلَى أَبِي ذَرِّيَّتِهِ وَ سَيِّدِ عَتْرَتِهِ.

وَ قَدْ أَتَاهُمُ الرَّجُلُ نَبِيَّ الْإِسْلَامِ بَعْدَ الْعَمَلِ عَلَى سَعَادَةِ ابْنَتِهِ الطَّاهِرَةِ الْمُطَهَّرَةَ بِنَصِّ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ، وَ يَقْذِفُ عَلَيْنَا بِالتَّأَلُّمِ مِنْ ذَلِكَ، وَ كَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَصْبَحَ أَتَى بَابَ عَلِيٍّ وَ فَاطِمَةَ وَ هُوَ يَقُولُ: يَرْحَمُكُمْ اللَّهُ إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيَذْهَبَ عَنْكُمْ الرَّجْسُ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يَطَهَّرَكُمْ تَطْهِيرًا. وَ كَانَ لَمْ يَزَلْ يَقُولُ: فَاطِمَةُ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ.

وَ يَقُولُ: أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ مِنَ النِّسَاءِ فَاطِمَةُ.

وَ يَقُولُ: أَحَبُّ أَهْلِي إِلَيَّ فَاطِمَةُ.

وَ كَانَ عَمْرٌ يَقُولُ لِفَاطِمَةَ: وَ اللَّهُ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَحَبَّ إِلَيَّ رَسُولَ اللَّهِ مِنْكَ «١».

وَ مَا أَقْبَحَ الرَّجُلُ فِي تَقْوَلِهِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بَعْدَهُ لَعَلِّيْ غَيْرَ قَوَامِ بِجَلِيلِ الْأَعْمَالِ. وَ قَدْ وَازَرَهُ وَ نَاصَرَهُ وَ عَاضَدَهُ بِتَمَامِ مَعْنَى الْكَلِمَةِ بِكُلِّ حَوْلٍ وَ طَوْلٍ مِنْ بَدَأَ دَعْوَتَهُ إِلَى آخِرِ نَفْسِ لَفْظِهِ، فَصَارَ بِذَلِكَ لَهُ نَفْسًا وَ أَخَا وَ وَزِيرًا وَ وَصِيًّا وَ خَلِيفَةً وَ وَارِثًا وَ وُلِيًّا بَعْدَهُ، وَ كَانَ قَائِدَهُ الْوَحِيدَ فِي حُرُوبِهِ وَ مَغَازِيهِ، وَ هُوَ ذَلِكَ الْمَلَقَّبُ بِقَائِدِ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ وَ حَيَا مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ فِي لَيْلَةِ أُسْرَى بَنِيهِ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى «٢».

وَ مِمَّا يَعْجَبُ بِلِ وَ يُؤَسَفُ أَنْ نَجِدَ الْعَقَادَ كَاتِبَ النَّيْلِ الْكَبِيرِ يَذْهَبُ هَذَا الْمَذْهَبَ، وَ يَنْحُو هَذَا الْمَنْحَى ذَاتَهُ مِنْ سَيِّدَةِ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ أُمَّ الْإِمَامِينَ الْهَمَامِينَ الْحَسَنِ وَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فَيَسْطُرُ فِي كِتَابِهِ «فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ وَ الْفَاطِمِيَّونَ» «٣» شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْعِبَارَاتِ وَ الْمَقَالَاتِ التَّافَهُةِ الَّتِي لَا يَلِيقُ بِكَاتِبِ مِثْلِهِ عَرَفَ بِالتَّحْقِيقِ وَ الْفَهْمِ، إِنْ يَدْرِجُهَا فِي مَوْفَعِهِ.

(١) مستدرك الحاكم: ج ٣ ص ١٥٠ و صححه.

(٢) مستدرك الحاكم: ج ٣ ص ١٣٨ و صححه، الرياض النضرة: ج ٢ ص ١٧٧، شمس الاخبار:

ص ٣٩، أسد الغابة: ج ١ ص ٦٩، مجمع الزوائد: ج ٩ ص ١٢١.

(٣) راجع ص ٣٢ و ٣٣.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٢٠

و لا يجاب على ما كتبه العقاد و من حذى حذوه إلا بما مرّ في كلام العلامة و المحقق الخبير الامينى رحمه الله. ففيه كفاية لمن تحزى الحقيقة عن أهل البيت عليهم السلام.

هذا و ينبغي ان نذكر القارئ الكريم بنفس ما كتبه العقاد فى كتابه و مما يعتبر شهادة دامغة تفند ما بدر منه من قول غير لائق فى شأن على و الزهراء، فهو يقول: فى كل دين صورة للانوثة الكاملة المقدسة يتخضع بتقليدها المؤمنون كأنما هى آية الله فيما خلق من ذكر و انثى.

فاذا تقدست فى المسيحية مريم العذراء فى الاسلام لا جرم تتقدس صورة فاطمة البتول.

ثم يقول: من الواضح البين ان الزهراء اخذت مكانها الرفيع بين اعلام النساء فى التاريخ لانها بنت نبى و زوجة امام و أم شهداء «١».

فاذا كانت هذه هى صورة الزهراء البتول، فكيف يصدق العقل ما حاكته أيدى الدسّ فى تاريخ هاتين القمتين الطاهرتين من قمم الاسلام الشامخة؟!

(١) راجع: ص ٥١ و ٥٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٢١

(١)

٣١ جرائم «بنى قينقاع»

إشارة

كانت معركة «بدر» بمثابة طوفان شديد ضد الوثنية فى قلب شبه الجزيرة العربية.

طوفان اقتلع بعض جذور الوثنية العريقة، فقد قتل طائفة من صناديد قريش، و اسرت اخرى و هرب الباقون بمنتهى الذل و الصغار، و انتشر خبر هزيمة جيش قريش المتغترس فى جميع أنحاء و ربوع الجزيرة العربية.

و لكن ساد بعد هذا الطوفان المرعب، شىء من الهدوء و المقرون بالاضطراب و القلق. هدوء كان منشؤه التفكير فى مستقبل شبه الجزيرة العام و ما تخبئه الايام القادمة لسكانها على أثر التحول الجديد.

(٢) و كانت مخاوف القبائل الوثنية، و يهود يثرب الاثرياء و يهود خيبر و وادى القرى تزداد يوما بعد يوم من تقدم الاسلام المطرد، و تعاضم شوكتهم، و اشتداد أمر حكومتهم الفتية، و كان جميع هؤلاء يجدون مستقبلهم مهددا بخطر جدى، بعد أن كانوا لا يتصورون أن يكسب رسول الله صلى الله عليه و آله المهاجر من مكة كل هذه النجاحات الباهرة، و أن يبلغ من القوة ذلك المبلغ، بحيث يقهر بقواه المحدودة قوة قريش الكبرى و يكسر شوكتها العريقة!!

(٣) و كان يهود بنى قينقاع الذين يقطنون داخل المدينة، و يمسكون بخيوط اقتصادها، أشدّ خوفا من غيرهم، و اكثر قلقا على مستقبل أمرهم، لأنهم كانوا يخالطون المسلمين مخالطة كاملة و كان وضعهم يختلف عن وضع يهود خيبر و وادى القرى الذين كانوا يعيشون

خارج المدينة بعيدا عن مركز قوة المسلمين و منطقة حاكميتهم!!

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٢٢

من هنا بدأ يهود بنى قينقاع قبل غيرهم من طوائف اليهود العائشة فى تلك الديار بتدبير المؤامرات، و ممارسة الأعمال الإيدائية ضد المسلمين و القيام بالحرب الباردة (الإعلامية) ضدّهم، و ذلك بنشر الأكاذيب و بثّ المعلومات الكاذبة، و اطلاق الشعارات القبيحة، و انشاد القصائد التى من شأنها الاساءة الى المسلمين و تحقيرهم، و تخريب معنوياتهم.

و بهذا يكون اليهود قد بدءوا عمليا بنقض معاهدة التعايش السلمى التى ذكرناها سلفا، و التى عقدها رسول الله صلى الله عليه وآله معهم فى إبان قدومه المدينة.

(١) و لم تكن هذه الحرب الباردة الشريرة لتبرر تصدى القوى الاسلاميه لها بالحرب الساخنة، و استعمال السلاح، لأن ما يمكن حله بسلاح المنطق لا يجذب أن يعالج بمنطق السلاح، و خاصة أن الرد الساخن و المسلح يؤدى إلى زعزعة الأمن و الاستقرار فى المدينة، و الحال أن المحافظة على الوحدة السياسية، و استتباب الأمن و الاستقرار فى المدينة كان مما يهّم النبى صلى الله عليه وآله جدا و هو يواجه أعداء أشداء من الخارج.

فلم يكن من مصلحة الاسلام و المسلمين تفجير الموقف فى عاصمة الاسلام، يومئذ.

و لهذا- و بغية اتمام الحجة على يهود بنى قينقاع- وقف رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم فى سوقهم بعد أن جمعهم فيه ثم قال لهم:

«يا معشر يهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النعمة، و أسلموا، فانكم قد عرفتم أنى رسول الله (أو أنى نبى مرسل) تجدون ذلك فى كتابكم و عهد الله إليكم».

و هنا نزل قول الله تعالى:

«قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتُّغْلِبُونَ وَ تُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَ بئْسَ الْمِهَادُ. قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ أُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَى الْعَيْنِ وَ اللَّهُ

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٢٣

يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ» (١).

(١) و لكن اليهود المغرورين المتكبرين لم يشكروا نصيحة النبى هذه أو يسكتوا حسب، بل ردوا عليه بعناد و لجاج و صلافة قائلين: يا محمّد انك ترى انا قومك لا يغرتك أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب، فاصبت منهم فرصة، إنا و الله و لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس (أو أنا و الله أصحاب الحرب، و لئن قاتلنا لتعلمن أنك لم تقا تلنا)!! (٢)

فلم تترك كلمات يهود «بنى قينقاع» الجوفاء، و تشدقهم الفارغ بقوتهم و قدرتهم على القتال و المواجهة أدنى اثر فى نفوس المسلمين.

و لكن النبى صلى الله عليه وآله قد أتم عليهم الحجة، فلم يعودوا معذورين حسب السياسة الاسلاميه، و قد أصبح ساعتئذ من اللازم الاحتكام إلى منطق السلاح بعد أن لم ينجح سلاح المنطق، و لم يقنع اليهود بضرورة تغيير مواقفهم، و التخلّى عن مؤامراتهم و خططهم الايدائية ضد النبى صلى الله عليه وآله و المسلمين.

أجل لا بد من استخدام القوة مع هؤلاء اليهود الصلفين المتعنتين و الّا ازدادوا صلافة، و كثرت اعتداءاتهم.

و لهذا أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله ينتظر الفرصة المناسبة لتأديب تلك الجماعة المتعنتة الوقحة.

(٢)

لهيب الحرب يبدأ من شرارة:

قد تجر بعض الحوادث الصغيرة إلى سلسلة من التحولات و الاحداث فى الاجتماعات الكبرى. يعنى أن تتسبب حادثة جزئية فى انفجار الحوادث الكبرى، فيصفي كل من طرفى النزاع حسابه مع الطرف الآخر، انطلاقا من علل و اسباب اخرى، و ليست تلك الحادثة الجزئية.

(١) آل عمران: ١٢ و ١٣.

(٢) المغازى: ج ١ ص ١٧٥ و ١٧٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٢٤

فللمثال نشأت الحرب العالمية الأولى و هى إحدى اكبر الحوادث التاريخية فى حياة البشر من حادثة صغيرة تذرعت بها الدول الكبرى، و تلك الحادثة الصغيرة التى اشعلت فتيل الحرب العالمية الأولى هى اغتيال «الارشيدوق فرانسيز فريديناند» ولى عهد النمافى سرايفو.

فقد وقعت هذه الحادثة فى ٢٨ من شهر يونيو عام ١٩١٤ و بعد شهر و عدة أيام بدأت الحرب العالمية الأولى بهجوم الالمان على بلجيكا، و افرزت هذه الحرب المدمرة الشاملة عن مقتل عشرة ملايين و جرح عشرين مليوناً من البشر «١».

(١) و لقد انزعج المسلمون من صلافة يهود بنى قينقاع، و ردهم الوقح على رسول الله صلى الله عليه و آله و هو يخاطبهم بأدب ينصحهم، و كانوا يتوقعون أن يقوم اليهود بعمل عدائى ليثوروا ضدهم، و يؤدبهم.

و بيناهم على هذه الحال إذ تعرضت امرأة من العرب لاعتداء من اليهود فاشعل هذا الحادث الموقف.

و إليك مفصل تلك الحادثة:

(٢) جاءت امرأة من العرب الى سوق بنى قينقاع فجلست عند صائغ تباع حلينا لها أو تشتري، و كانت تبالغ فى ستر وجهها عن اليهود، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها، فأبت فعمد رجل من يهود بنى قينقاع إليها و جلس من ورائها، و هى لا تشعر فعقد أسفل ثوبها إلى ظهرها، فلما قامت المرأة بدت عورتها، فضحكوا منها فصاحت، فوثب رجل من المسلمين الى ذلك الرجل اليهودى فقتله، فاجتمعت بنو قينقاع، و شدوا على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم القتل المسلمين على اليهود، فغضب المسلمون غضبا شديدا.

(٣) و لقد كان من الطبيعى أن يثب الرجل المسلم على ذلك اليهودى الوقح الشرير الذى فعل بالمرأة العربية ذلك الصنع، فان قضية «الأعراض» قضية حياتية و حساسة فى أى مجتمع، فهى قضية شرف، و قد كان هذا الأمر يحظى فى المجتمع

(١) الموسوعة العربية الميسرة: ص ٧٠٠.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٢٥

العربى خاصة بأهمية كبرى، و خاصة عند البدو الرحل منهم، فكم من دماء جرت لعدوان على عرض ديس أو تعرض للتحرش. من هنا أزعج وضع تلك المرأة الغريبة و حالها المؤلم و اضطرابها الرجل المسلم، و أشعل غيرته فوثب على اليهودى المعتدى و قتله. و كان من الطبيعى أيضا أن لا يمر هذا العمل دون رد من اليهود فيثب اليهود بأجمعهم على ذلك المسلم الغيور و يقتلوه، و يريقوا دمه بأجمعهم.

نحن هنا لا يهمننا أن نعرف أن قتل ذلك الرجل اليهودى لازدرائه بامرأة كان أمرا صحيحا منطقيا يتفق مع الموازين أم لا ينطبق. و لكنّه ما من شك فى أن و ثوب مئات من الرجال و اجتماعهم على قتل رجل مسلم واحد، و إراقه دمه، عمل بالغ الشناعة و القبح. من هنا تسبب انتشار هذا الخبر (أى مقتل رجل مسلم واحد على أيدي مجموعة كبيرة من الرجال بصورة مفاجئة) فى إثارة المسلمين و

نفاذ صبرهم، و دفعهم إلى العزم على حسم الموقف حسما كاملا و بالتالى هدم قلعة الفساد على رؤوس أصحابها القتلة.

(١) فاحس «بنو قينقاع» بخطر الموقف، و أدركوا انه لم يعد من الصالح أن يبقوا فى أسواقهم، و يواصلوا البيع و الشراء، و قد تلبد الجوّ بالغيوم الداكنة على أثر العمل الفضيع و الجنائية الكبرى التى ارتكبوها.

من هنا تركوا أسواقهم بسرعة، و عادوا إلى قلاعهم المحصّنة، و تحصّينوا فيها، و كان ذلك منهم انسحابا خانعا بعد ذلك التشدّد الصلف!!

و لقد أخطئوا هذه المرة أيضا إذ ظنوا انهم مانعتهم حصونهم، من انتقام الله.

و لو أنهم اعتذروا لخطئهم، و أظهروا الندامة لكانوا يجلبون رضا المسلمين، و يحصلون على عفو النبى صلى الله عليه وآله و هم يعرفون خلقه العظيم؛ و صفحة الكريم.

إلا أن تحصّينهم كان آية عنادهم، و اعلانهم الحرب، و نصبهم العدااء الصريح للاسلام و النبى و المسلمين.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٢٦

(١) فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله و آله بمحاصرتهم، و منع من دخول أى امداد إليهم، كما منع من اتصالهم بأى أحد خارج حصونهم.

فحصروهم فى حصونهم خمس عشرة ليلة أشدّ الحصار، حتى قذف الله فى قلوبهم الرعب، و فقدوا القدرة على المقاومة، و رضوا بأن ينزلوا عند حكم النبى صلى الله عليه وآله و آله فيهم!!

و أراد رسول الله صلى الله عليه وآله أن يؤدب تلك الجماعة التى كانت أول من نقض العهد و نبذ الميثاق تأديبا قاسيا، يكون عقابا لهم و عبرة لغيرهم.

و لكن «عبد الله بن أبى بن سلول» الذى كان من منافقى المدينة و يتظاهر بالاسلام، أصرّ على رسول الله صلى الله عليه وآله بأن يحسن معاملتهم، و لا- يأخذهم بما فعلوا لحلف و مودة كانت بينه و بين يهود من السابق، فانصرف النبى صلى الله عليه وآله عن ما كان يريد من تأديبهم الشديد، و عقوبتهم على كره منه «١» و لكن أمر بأن يجلبوا من المدينة، و لا- يبقوا فيها شريطة أن يتركوا أسلحتهم، و أموالهم، و دروعهم.

(٢) فنزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وآله و آله و كآف رسول الله صلى الله عليه وآله أحد المسلمين بقبض أموالهم و أسلحتهم، و كلف «عبادة بن الصامت» باجلانهم من حصونهم فعجل عبادة فى ترحيلهم و إجلانهم.

فخرجوا من المدينة و لحقوا بمنطقة تدعى «أذرعات» و هى بلد فى اطراف الشام.

(١) هذا مع العلم ان القرآن الكريم ندّد بمثل هذه الوساطة الذى قام بها ذلك الرجل المنافق رغم تخفيف النبى صلى الله عليه وآله و آله معاقبة اليهود و رسم للمسلمين منهجا فى التعامل مع اليهود و النصارى إذ قال:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ، وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَبِإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ. فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ، يَقُولُونَ نَحْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ، فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ، فَيُضْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ. وَ يَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا، أ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَلْمَمْنَا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ» (المائدة: ٥١-٥٣).

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٢٧

و باجلاء «بنى قينقاع» عادت الوحدة السياسية الى المجتمع فى المدينة.

و كانت الوحدة السياسية هذه المرة مقرونة بالوحدة الدينية إذ كان المسلمون يشكلون الاغلبية الساحقة فى المدينة فلم يكن لغيرهم

فيها شأن يذكر «١».

(١)

تقارير جديدة تصل الى المدينة:

من المعلوم أن الاخبار تنتشر بين الناس بسرعة في المناطق الصغيرة، على العادة. سيد المرسلين ج ٢ ١٢٧ تقارير جديدة تصل الى المدينة: ص : ١٢٧

هنا فان انباء أكثر المؤامرات و التحركات المعادية للإسلام التي كانت تقع في المناطق المختلفة من شبه الجزيرة كانت تصل بسرعة- و عبر المسافرين المحايدين أو الاصدقاء المترصدين- الى مركز القيادة الاسلامية في المدينة.

هذا مضافا الى أن هذا النوع من المعلومات كان يحظى لدى رسول الاسلام باهمية كبرى، فيرصد لها من يأتي بها أولا بأول، ولهذا كانت اكثر التحركات و المؤامرات يقضى عليها في مهدها بفضل الرد السريع و المناسب الذي كانت القيادة الاسلامية تقوم به في ضوء المعلومات الواردة إليها، أو التي حصلت عليها.

فبمجرد أن تتضمن هذه المعلومات، إلى النبي صلى الله عليه وآله خبرا مفاده أن إحدى القبائل تعد قوة، و تستعد للهجوم على المدينة كان صلى الله عليه وآله يبادر الى بعث سرية أو يقود هو بنفسه مجموعة مناسبة لمحاصرة تلك القبيلة، و افشال مؤامرتها، و ابطال تديرها قبل أن تستطيع فعل شيء، و كان هذا هو اسلوب المباغته الذي استطاع به رسول الله صلى الله عليه وآله أن يقضى على كثير من التحركات المعادية في مهدها.

و إليك مختصرا عن بعض تلك الغزوات التي وقعت في السنة الثانية من الهجرة:

(١) المغازي: ج ١ ص ١٧٧، الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ٢٨ و ٢٩.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٢٨

(١)

١- غزوة قرقرة الكدر «١»:

كانت المنطقة التي تتمركز فيها قبيلة «بنى سلم» تدعى «الكدر».

وقد بلغ النبي صلى الله عليه وآله أن القبيلة المذكورة تهيئ، و تعدّ العدة للهجوم على مركز الاسلام و عاصمته (المدينة). فخرج رسول الله بنفسه من المدينة بعد أن استخلف عليها أحد أصحابه و أوكل إليه إدارة المدينة في غيابه، و كان الذي استخلفه هذه المرة «ابن أم مكتوم»، و خرج على رأس قوة عسكرية إلى مركز تلك القبيلة فلما سمعوا بمسير القوى الاسلامية إليهم تفرقوا، و عاد رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة من غير قتال.

ثم بعث سرية بقيادة فارس من فرسانه يدعى «غالب بن عبد الله» إلى نفس تلك المنطقة، فوقع بينه و بينهم قتال محدود و عاد «غالب» الى المدينة ظافرا بعد أن استشهد ثلاثة من رجاله.

(٢)

٢- غزوة السويق:

كان عرب الجاهلية إذا نذروا يندرون نذورا غريبة.

فقد نذر أبو سفيان بعد معركة بدر أن لا يقارب زوجته ما لم يثار «٢» من المسلمين لقتلى بدر فكان عليه أن يقوم بهجوم على المدينة، و يقاتل النبي و أصحابه ليفي بنذره!!

فخرج من مكة في مائتي راكب فجاء بنى النضير ليلا، يطلب مشورة من أحبار اليهود.

فلما كان في وقت السحر خرج فمر بالعريض فوجد رجلا من الانصار مع أجير له فقتل الأنصارى، و قتل أجيده، و حرق بيتا و حرثا لهم بارشاد من كبير اليهود «سلام بن مشكم» و رأى أن يمينه قد حلت، ثم ذهب هاربا، و خاف

(١) قرقره الكدر: ناحية بين المعدن و بين المدينة، (الطبقات).

(٢) المغازى: ج ١ ص ١٨٢، الطبقات: ج ٢ ص ٣٠.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٢٩

ملاحقة المسلمين له.

فعرف به النبي صلى الله عليه وآله فندب أصحابه فخرجوا في أثره، و جعل أبو سفيان و أصحابه يتخفون فيلقون أكياس السويق (و هو القمح المقلّى المطحون الملتوت بالسمن أو العسل)، و هى عامه زادهم، فجعل المسلمون يمرّون بها فيأخذونها.

فسميت تلك الغزوة بغزوة السويق لهذا الشأن.

(١)

٣- غزوة ذى أمر:

بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله أن قبيلة غطفان تجمع أفرادها، و تتأهب للعدوان على المدينة المنورة، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله على رأس أربع مائة و خمسين رجلا.

فلما سمع العدو بمسير رسول الله صلى الله عليه وآله إليهم خافوا خوفا شديدا فهربوا إلى رءوس الجبال، فرارا من النبي و المسلمين.

فخرج النبي صلى الله عليه وآله إليهم يبحث عنهم فلم يلاق أحدا منهم، و قد غيبوا سرهم و ذراريهم فى ذرى الجبال خوفا و فرقا.

(٢) فنزل رسول الله صلى الله عليه وآله «ذا أمر» «١» و عسكر معسكره هناك، فأصابهم مطر كثير، فذهب رسول الله صلى الله عليه وآله

آله ناحية ليقضى حاجة، فأصابه ذلك المطر قبل ثوبه، و قد جعل رسول الله صلى الله عليه وآله و آله وادى «ذى أمر» بينه و بين أصحابه،

ثم نزع ثيابه فنشرها لتجف، و ألقاها على شجرة، ثم اضطجع تحتها، و الأعراب ينظرون الى كل ما يفعل.

فقال الأعراب لدعثور و كان سيدها و أشجعها: قد أمكنك محمد، و قد انفرد من أصحابه، حيث إن غوث أصحابه لم يغث حتى

تقتله.

فاختار سيفاً من سيوفهم صارما ثم أقبل مشتتلا على السيف حتى قام على

(١) واد بطريق فيد إلى المدينة. وفاء الوفاء: ج ٢ ص ٢٤٩.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٣٠

رأس النبي صلى الله عليه وآله بالسيف مشهورا، و رسول الله صلى الله عليه وآله مستلق على قفاه.

(١) فقال بنبرة خشنه مهددة: ما يمنعك منى اليوم؟ قال النبي صلى الله عليه وآله: الله.

فكان لهذه الكلمة أثر عجيب فى نفس دعثور بحيث اربعب، و وقع السيف من يده، فأخذه رسول الله صلى الله عليه وآله و قام به

على رأسه، فقال: و من يمنعك منى اليوم.

فقال: لا أحد.

ثم قال: فأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، والله لا أكثر عليك جمعا أبداً.

فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وآله سيفه ثم أدبر، ثم أقبل بوجهه على النبي صلى الله عليه وآله وقال: أما والله لانت خير مني. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا أحق بذلك منك.

فأتى قومه، وقص عليهم ما جرى له مع النبي، وأنه أسلم، ودعا قومه إلى الإسلام.

(٢) أجل يكتب المؤرخون في هذا المقام أن الرجل أسلم من فوره، ويجب أن نعلم أنه لم يسلم خوفاً و فرقا و تحت بارقة السيف لأنه بقي ثابتاً و مستمراً في إسلامه بعد ذلك و أخذ يدعو قومه كما أسلفنا و هذا يدل على أنه أسلم عن طواعية و رغبة. و ان إسلامه كان لتبته فطرته، و يقظة وجدانه، فإن فشله غير المتوقع، و نجاه رسول الله صلى الله عليه وآله التي تمت بطريقة خارقة للعادة جعلته ينتبه إلى عالم آخر، و عرف بأن لرسول الله صلى الله عليه وآله و آله ارتباطاً بعالم آخر، و أنه مؤيد بالتالي بقوة عليا، وراء هذا العالم المادي. و لهذا السبب- و ليس لسواه- أسلم، و قبل رسول الله صلى الله عليه وآله و آله إسلامه، و بعد أن مشى خطوات ردّ إلى النبي سيفه الذي أعاده إليه النبي قبل ذلك و اعتذر إليه.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٣١

و قال: أنت أولى بهذا السيف لأنك قائد هذه السرية المصلحة. (١)

(١)

قريش تغير مسير تجارتها:

تعرضت سواحل البحر الأحمر للخطر من قبل عناصر الجيش الإسلامي و حلفائهم، و لم يعد من الممكن مواصلة التجارة و ارسال القوافل التجارية عبرها.

من هنا تشاورت قريش فيما بينها، و درست أوضاعها في ظل هذه المستجدات، و اتفقت على أنه لو تركت التجارة لهلكت رءوس أموالها و فنيت، و كان عليها أن تسلّم للمسلمين.

و ان واصلت التجارة لم تحرز في هذا المجال نجاحاً ما دامت الطريق غير آمنة، و ما دام يمكن أن تتعرض أموالها للمصادرة على أيدي المسلمين كلما عثروا عليها.

فاقترح أحدهم التجارة إلى الشام عن طريق العراق فاستحسنوا رأيه جميعاً، و تهيأت القافلة للحركة في الخط الجديد و تولى أبو سفيان و صفوان بنفسيهما مهمة الاشراف على تلك القافلة و ادارتها، و استخدموا رجلاً من بني بكر يدعى «فراة ابن حيان» ليدلّهما على الطريق.

(٢) قال المقرئ في امتاع الاسماع: سمع رجل من المدينة (و هو سليط بن النعمان) يخبر خروج صفوان بن أمية في غيره و ما معهم من الاموال فخرج من ساعته و أخبر النبي صلى الله عليه وآله فأرسل زيد بن حارثة في مائة راكب فاصابوا العير، و أفلت أعيان القوم، فقدموا بالعير فخمّسها رسول الله صلى الله عليه وآله و آله فبلغ الخمس عشرين ألف درهم، و قسّم ما بقي على أهل السرية، و كان فيمن اسر فراة بن حيان فأسلم «٢».

(١) المناقب: ج ١ ص ١٦٤، المغازي: ج ١ ص ١٩٤-١٩٦.

(٢) الإمتاع الاسماع: ج ١ ص ١١٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٣٢

(١)

حوادث السنة الثالثة من الهجرة ٣٢ الدفاع عن الحرية

إشارة

(٢)

غزوة احد أو الدفاع عن الحرية عند جبل احد:

إشارة

لم تكن السنة الهجرية الثالثة بأقل من السنة الثانية من حيث وقوع الحوادث و الوقائع الملفتة للنظر فيها. فاذا وقعت في السنة الثانية من الهجرة غزوة «بدر» فقد وقعت في السنة الثالثة منها غزوة «احد» و هما من أعظم معارك الاسلام و غزواته.

على أن غزوة «احد» لم تكن الغزوة الوحيدة التي وقعت في السنة الثالثة، بل وقعت أيضا غزوات اخرى «١» الى جنب طائفة من السرايا، التي اخترنا منها سرية واحدة و غزوتين فقط.

(٣)

١- سرية محمد بن مسلمة:

لقد وصل نبأ انتصار المسلمين في معركة «بدر» عن طريق رجلين من المسلمين. ولم يكن الجيش الاسلامي الظافر قد وصل الى المدينة بعد، عند ما انزعج «كعب بن الاشرف»- الذي كانت أمه من يهود «بنى النضير» و كان شاعرا قويا، و خطيبا بارعا- من الفتح الذي أصابه النبي صلى الله عليه وآله و المسلمون في «بدر» فقال: و الله لئن كان محمد أصاب أشراف العرب و ملوك الناس (و يعنى سادة قريش و صناديدهم الذين قتلوا في بدر على أيدي المسلمين لبطن

(١) مثل غزوة بحران و غزوة حمراء الأسد.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٣٣

الأرض خير من ظهرها!! و بدأ يبث الأكاذيب و الشائعات في المدينة و مضى يشكك في انتصارات المسلمين في بدر.

(١) و قد كان يسىء الى رسول الله صلى الله عليه وآله في قصائده حتى قبل معركة «بدر» و يحرض الناس على المسلمين.

ثم إنه لما تيقن الخبر خرج حتى قدم مكة و جعل يحرض قريشا على رسول الله صلى الله عليه وآله، و قد أنشد في هذا المجال أشعارا يبكى فيها أصحاب القلب من قريش و قد ذكرتها المصادر التاريخية «١».

ثم رجع كعب هذا الى المدينة فشبب «٢» بنساء المسلمين حتى آذاهم!!

و لا شك أنه بهذه المواقف المعادية كان من أظهر مصاديق المفسد في الارض، الأمر الذي آل إلى أن يقرّر رسول الله صلى الله عليه وآله و آله التلخص منه، و كفاية المسلمين شره، و قد أوكل هذه المهمة الصعبة الى «محمد بن مسلمة».

و قد خطّط «ابن مسلمة» للتخلص من «كعب» خطة رائعة، و ألّف لتنفيذها فريقا كان من بينهم «أبو نائلة» الأخ الرضاعي لكعب بن الأشرف، ليتمكن من هذا الطريق التمويه على كعب و تنفيذ الخطة المذكورة.

(٢) فخرج أبو نائلة إلى كعب و جلسا يتحادثان، و يتبادلان الشعر.

ثم إن أبا نائلة قال لكعب- بعد ان طلب منه أن يخرج كل من كان هناك من ذويه و أهله-: إني قد جئتكم في حاجة إليك أريد ذكرها لك فآتم عني، و إني كرهت ان يسمع القوم كلامنا، فيظنون! لقد كان قدوم هذا الرجل (يعني رسول الله) علينا من البلاء، و حاربنا العرب، و رمتنا عن قوس واحدة، و قطعت السبل عنا حتى جهدت الانفس، و ضاع العيال، أخذنا بالصدقة و لا نجد ما نأكل. فقال كعب: قد و الله كنت احدثك بهذا يا ابن سلامة إن الامر سيصير الى ما أقول.

(١) المغازي: ج ٢ ص ١٢١-١٢٢.

(٢) راجع السيرة النبوية: ج ٢ ص ٥٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٣٤

فقال أبو نائلة: إن معي رجالا من أصحابي على مثل رأيي، و قد أردت أن آتيك بهم فنبتاع منك طعاما، أو تمرا و تحسن في ذلك إلينا، و نرهنك ما يكون لك فيه ثقة.

(١) فقال كعب: و ما ذا ترهنوني يا أبا نائلة، أبناءكم و نساءكم؟؟!

فقال أبو نائلة: لقد أردت أن تفضحنا و تظهر أمرنا، و لكننا نرهنك من الحلقة (أى السلاح) ما ترضى به.

فرضى كعب بن الاشرف بذلك.

و إنما قال أبو نائلة هذا القول لابن الاشرف حتى لا يستغرب إذا رأى السلاح بيد الرجال الذين سيأتون معه.

ثم خرج أبو نائلة من عند ابن الاشرف على ميعاد، فأتى أصحابه، فأخبرهم بما دار بينه و بين كعب، فأجمعوا أمرهم على أن يأتوه إذا أمسى لميعاده، ثم أتوا الى رسول الله صلى الله عليه و آله عشاء و أخبروه، فمشى معهم حتى اتى البقيع، ثم وجههم، ثم قال: «امضوا على بركة الله و عون الله أعينهم».

(٢) فمضوا حتى أتوا ابن الاشرف، فلما انتهوا إلى حصنه هتف به أبو نائلة، و كان ابن الاشرف حديث عهد بعرس، فوثب من فراشه، فأخذت امرأته بناحية ملحفته و قالت: أين تذهب، إنك رجل محارب، و لا ينزل مثلك في هذه الساعة؟؟ فقال ابن الاشرف: ميعاد، إنما هو أخي أبو نائلة.

ثم نزل إليهم فحيّاهم، ثم جلسوا فتحدثوا ساعة حتى اطمأن إليهم.

ثم قالوا له: يا ابن الاشرف: هل لك أن تتمشى الى شعب العجوز (و هو موضع قرب المدينة) فتحدث فيه بقيه ليلتنا.

فخرجوا يتماشون حتى ابتعدوا عن حصنه، و بينما هم كذلك إذ أدخل أبو نائلة يده في رأس كعب ثم شم يده فقال: ويحك ما أطيب عطرِكَ هذا يا ابن الاشرف، ثم مشى ساعة، ثم كرر هذا العمل ثانية حتى اطمأن ثم مشى ساعة

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٣٥

ثم عاد لمثلها فأخذ بفود رأسه و قال: اضربوا عدو الله، فضرّبوه بسيوفهم، و طعنه أبو نائلة بخنجر في بطنه، و صاح صيحة ثم وقع على الارض و لم تنفعه استغاثاته.

ثم عاد هذا الفريق الفدائي إلى المدينة من فورهم و لما بلغوا «بقيع الغرقد» كبروا، و قد قام رسول الله صلى الله عليه و آله تلك الليلة يصلى، فلما سمع رسول الله صلى الله عليه و آله تكبيرهم بالبقيع كبر، و عرف أنهم قد قتلوه.

و بهذا أعلنوا عن نجاح عمليتهم الفدائية الجريئة التي أراحت رسول الله صلى الله عليه و آله و أصحابه من شرّ ذلك المفسد الخطير الذى لم يفتأ عن إيذاء النبي صلى الله عليه و آله و تناول أعراض المسلمين فى أشعاره ... «١».

اغتيال مفسد آخر:

و كان أبو رافع سلام بن أبي الحقيق اليهودي يظهر كعب بن الأشرف على رسول الله صلى الله عليه وآله و يقوم بنفس الدور الخبيث الذي كان يقوم به ابن الأشرف من الايذاء و الازعاج للنبي صلى الله عليه وآله و المسلمين. فقام فريق فدائي آخر من المسلمين باغتياله على غرار اغتيال صاحبه في عملية فدايئة جسورة على نحو ما رواه ابن الأثير في كتابه: الكامل في التاريخ بصورة مفصلة (٢).

و قد كانت هاتان العمليتان و امور اخرى من أسباب اندلاع معركة «أحد».

و قد حان الأوان الآن أن نستعرض تفاصيل هذه الواقعة الكبرى!

(٢)

قريش تتكفل نفقات الحرب:

كانت بذور الرغبة في الانتقام و الثأر من المسلمين قد بذرت في مكة من زمان و قد ساعدت خطة المنع من البكاء و النياحة على القتل على اذكاء روح الانتقام هذه لدى قريش.

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٥١-٥٦، المغازي: ج ١ ص ١٨٤-١٩٠.

(٢) الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ١٠١.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٣٦

كما أن تعذر مرور قافلتها التجارية عبر طريق مكة- المدينة- الشام، و اضطرارها الى سلوك طريق العراق للسفر الى الشام زاد هو الآخر من سخطها و انزعاجها.

و لقد أوجع مقتل «كعب بن الأشرف» من أوار هذا الحقد، و أوقد لهيبه في النفوس.

من هنا اقترح «صفوان بن أمية» و «عكرمة بن أبي جهل» على أبي سفيان و من كانت له في قافلة قريش التجارية مشاركة، أن يدفع كل واحد منهم مبلغا من المال لتسديد نفقات الحرب قائلين: يا معشر قريش إن محمدا قد وترككم، و قتل خياركم، فأعينونا بهذا المال على حربه، فلعلنا ندرك منه ثأرنا بمن أصاب منا.

(١) و لقد لقي هذا الاقتراح قبولا من أبي سفيان و تقرّر الإعداد للحرب فاجتمعت قريش لحرب رسول الله صلى الله عليه وآله حتى فعل أبو سفيان ذلك.

و قد أشار القرآن الكريم إلى هذا الموضوع كما ذكر كيف أن قريشا لم تحصد من هذا الإنفاق الا الخيبة و الخسران اذ قال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصِدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسِيرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ» (١).

و حيث إن زعماء قريش كانوا يعرفون بقوة المسلمين و قد رأوا من كتب استقامتهم و ثباتهم في معركة «بدر» لهذا قرروا أن يتألف جيشهم هذه المرة من صناديد أكثر القبائل العربية و شجعانها البارزين و أبطالها المعروفين.

(٢) فكلمف «عمرو بن العاص» و عدة أشخاص آخرين بأن يؤلبوا العرب على رسول الله صلى الله عليه وآله و يجمعوا أبطالها و صناديدها، للمشاركة في الجيش الكثيف و المنظم الذي اعترمت قريش على تسييره لقتال رسول الله صلى الله عليه وآله و المسلمين، و غزوهم و بأن يخبروهم بأن قريشا قد تكفلت نفقات هذه المعركة.

وقد أثمرت نشاطات «عمرو» ورفاقه في هذا السبيل.

(١) الانفال: ٣٦، وراجع السيرة النبوية: ج ٢ ص ٦٠، مجمع البيان: ج ٢ ص ٥٤١، السيرة الحلبية: ج ٢ ص ٢١٧.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٣٧

فقد استطاعوا بعد محاولات واسعة أن يضموا إلى جيش قريش أبطالاً و صناديد من بني كنانة و تهامة، فخرجت قريش و هم أربعة آلاف بمن انضم إلى صفوفهم من تلك القبائل «١».

(١) وقد كان هذا هو عدد الرجال الذين شاركوا في هذه المعركة، و لو أضفنا إليهم عدد النساء اللواتي شاركن فيها لتجاوز العدد ما ذكرناه.

على أنه لم يكن من عادة العرب أن يشركوا نساءهم في الغزو و يخرجوهن معهم إلى القتال، و لكن نساء مكة الوثنيات شاركن مع رجالهن في هذه المعركة على خلاف عادة العرب، و كان الهدف من أخذهن هو أن يحرضن الرجال على القتال و الصمود، و يمنعن المقاتلين من الفرار، و يذكرن بقتلى بدر، و يشعلن الحماس في النفوس بدق الدفوف، و إنشاد الأشعار المثيرة للهمم و الداعية إلى الثأر و لأن فرار الرجال كان يعنى أن تقع النسوة في الأسر، و هو ما كان يباهه العربي آنذاك. فتكون الغيرة و الحمية على العرض سبباً للمقاومة و الصمود.

كما أنه اشترك في هذه المعركة طائفة من العبيد و الرقيق طمعا في العتق الذي و عدوا به إن نصرُوا أسيادهم و قاتلوا بين أيديهم، و ذلك مثل «وحشى» و كان غلاماً حبشياً لمطعم بن جبير يقذف بحربة له قذف الحبشة قلماً يخطئ بها فقال له سيده: أخرج مع الناس فإن نلت محمداً أو علياً أو حمزة فأنت عتيق «٢».

و على أية حال استطاعت قريش أن تجهز بعد جهد كبير جيشاً كبيراً قوياً يتألف من سبعمائه دارع، و ثلاثة آلاف فارس، و مشاة كثيرين، و قد خرجوا بعده و سلاح كثير.

(٢)

الاستخبارات ترفع تقريراً إلى النبي:

فلما اجتمعت قريش على المسير كتب العباس بن عبد المطلب «٣» كتاباً يضم

(١) اختلف علماء التفسير و التاريخ كعلي بن ابراهيم و الشيخ الطبرسي في إعلام الوري، و ابن هشام و الواقدي في عدد المشركين و الكفار في هذه المعركة، و ما ذكرناه هو الاقرب الى الحقيقة.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٩٦.

(٣) و كان العباس كما أسلفنا ممن أسلم و آمن برسول الله صلى الله عليه و آله في مكة و لكنه ظلّ يكتُم

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٣٨

تقريراً مفصلاً عن نوايا و استعدادات قريش، و ختمه و استأجر رجلاً من بني غفار و اشترط عليه أن يقطع الطريق إلى المدينة في ثلاثة أيام و يوصل تلك الرسالة إلى رسول الله صلى الله عليه و آله.

فقدم الغفاري المدينة فلم يجد رسول الله صلى الله عليه و آله و انما وجده في بستان خارجها فدفع إليه كتاب العباس المختوم، فقرأه رسول الله صلى الله عليه و آله و اطلع على ما فيه، و لكنه كتم محتواها عن أصحابه «١».

روى العلامة المجلسي عن الامام ابي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال:

كان مما منّ الله عزّ وجلّ على رسوله صلّى الله عليه وآله أنه كان لا يقرأ ولا يكتب، فلما توجه أبو سفيان الى «أحد» كتب العباس إلى النبيّ صلّى الله عليه وآله فجاءه الكتاب وهو في بعض حيطان المدينة فقرأه ولم يخبر أصحابه، وأمرهم أن يدخلوا المدينة فلما دخلوا المدينة أخبرهم «٢».

(١)

جيش قريش يتحرك باتجاه المدينة:

تحرك جيش قريش باتجاه المدينة، وبعد قطع مسافة معينة وصلت طلائعه إلى ابواء، وهي المنطقة التي دفنت فيها والد النبيّ صلّى الله عليه وآله السيدة «آمنة بنت وهب» فقال فتية من قريش: تعالوا ننبش قبر أم محمد، فإن النساء عورة، فان يصب من نسائك أحد قلمت هذه رمه أمك، فان كان بزأ بأمه كما يزعم فلعمري ليفادينكم برمّة أمه، وان لم يظفر بأحد من نسائكم فلعمري ليفدين رمه أمه بمال كثير إن كان بها بزأ.

إيمانه ليتمكن من البقاء بين قريش و رصد تحركاتهم و اخبار النبيّ صلّى الله عليه وآله بنواياهم.

راجع السيرة الحلبية: ج ١٠ ص ١٩٨.

(١) المغازي: ج ١ ص ٢٠٣، ويرى بعض المؤرخين أن مبعوث العباس قدم بالرسالة المدينة و كان النبيّ ساعته في المسجد فأعطى النبيّ الرسالة إلى أبي بن كعب فقرأها عليه، وقد روى الواقدي هذا الوجه أيضا (ج ١ ص ٢٠٤) و مع أن النبيّ لم يعهد منه أن قرأ رسالة فيكون الوجه الاول أقرب الى الحقيقة.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ١١١.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٣٩

و استشار أبو سفيان أهل الرأي من قريش في ذلك فاستقبحوه و شجبهه بشدة و قالوا:

لو فعلنا ذلك نبشت بنو بكر و خزاعة (و هم أعداء قريش) موتانا «١».

(١) و بعث النبيّ صلّى الله عليه وآله ليلة الخميس الخامس من شهر شوال، السنة الثالثة من الهجرة، «أنسا» و «مونسا» ابني «فضالة» للتجسس على قريش خارج المدينة، و اخباره صلّى الله عليه وآله بتحركاتهم، فأخبرا رسول الله صلّى الله عليه وآله باقتراب جيش المشركين إلى المدينة، و انهم قد سرحوا إبلهم و خيولهم ترعى في مراعى المدينة.

كما أخبر «الحباب بن المنذر» هو الآخر باقتراب جيش المشركين إلى المدينة، و ان طلائع ذلك الجيش قد استقر على مقربة من جبل أحد، و كان رسول الله صلّى الله عليه وآله قد بعث الحباب سرا و قال له: لا تخبرني بين أحد من المسلمين إلّا أن ترى قله.

و بخبر الحباب تأكد ما أخبر به ابنا فضالة.

و حيث إن المسلمين كانوا يخافون على رسول الله صلّى الله عليه وآله من العدو، أن يهاجموه ليلا، لذلك باتت وجوه الأوس و الخزرج (الانصار) ليلة الجمعة و عليهم السلاح في المسجد بباب النبيّ صلّى الله عليه وآله يحرسونه، و حرس المدينة تلك الليلة حتى أصبحوا.

(٢)

منطقة «أحد»:

كان الوادي الطويل الكبير الذي يصل طريق الشام التجارية باليمن يسمى آنذاك ب «وادي القرى»، و كانت القبائل العربية من اليهود

و غير اليهود تقطن في كل منطقة تتوفر فيها ظروف المعيشة و مستلزمات الحياة، و لهذا نشأت على طول هذا الخط «قرى» بسبب وجود مناطق خصبة فيه و قد سورت بأسوار من الحجارة،

(١) المغازي: ج ١ ص ٢٠٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٤٠

و كانت يثرب مركز هذه القرى و امها و هي التي سميت في ما بعد بمدينة الرسول، و من ثم «المدينة» تخفيفا و اختصارا. و كان على كل قادم من مكة إلى المدينة، أن يدخل من جنوب يثرب و حيث إن أرض هذه المنطقة ذات طبيعة صخرية لذلك يكون عبور الجيش من خلالها أمرا عسيرا و في غاية الصعوبة.

(١) من هنا عمدت قريش - عند ما وصل جيشها الى مشارف المدينة - تحاشت هذه المنطقة، و دخلت من شمال المدينة، و استقرت في وادي العقيق في سفوح جبل «احد»، و قد كانت هذه المنطقة لعدم وجود نخيل فيها، و لسهولة أرضها، أفضل مكان للعمليات العسكرية، و خير ميدان للقتال و الحرب.

و قد كانت المدينة عرضة للخطر من هذه الناحية لأنه قلما كان المرء يرى فيها موانع طبيعية.

نزلت قوى المشركين عصر يوم الخميس في الخامس من شوال من السنة الثالثة من الهجرة عند جبل «احد».

و بقي النبي ذلك اليوم و ليلته في المدينة، و في يوم الجمعة أقدم رسول الله صلى الله عليه وآله على عقد شوري عسكرية، و استشار قادة جيشه و أهل الخبرة و الرأي من أصحابه في كيفية مواجهة العدو، و التكتيك الذي يجب أن يتبعه المسلمون «١».

(٢)

المشاوره في كيفية الدفاع:

كان النبي صلى الله عليه وآله قد امر من جانب الله تعالى أن يشاور أصحابه في الامور العسكرية و ما يشابهها و يشركهم في قراراته و خططه التي يتخذها في المجالات المذكورة، ليعطى بذلك درسا كبيرا للمسلمين، و يوجد بين أصحابه و أتباعه روح الديمقراطية (الصحيحة) و تحرى الحق، و الموضوعية.

(١) لم تكن هذه هي المرة الأولى و الأخيرة التي شاور النبي فيها أصحابه و قد ذكرنا عدة موارد من هذا النوع من التشاور و الهدف منه في كتابنا: معالم الحكومه الاسلاميه.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٤١

و لكن هل كان رسول الله صلى الله عليه وآله نفسه يستفيد من هذه المشاوره؟

و ينتفع بأرائهم و نظرياتهم، و مقترحاتهم، أم لا؟.

لقد أجاب علماء العقيدة و رواد علم الكلام الاسلامي من مختلف الطوائف على هذا السؤال في مؤلفاتهم و دراساتهم، و للقارئ الكريم إذا أراد الوقوف على الجواب أن يراجع تلك المصنفات.

لكن الذي لا يمكن انكاره في المقام هو: أن هذه المشاورات سيرة حيه تركها رسول الله صلى الله عليه وآله من بعده، و لقد كانت هذه السيرة مؤثرة جدا بحيث استخدم الخلفاء و الأمراء من بعده من اسلوب التشاور و الشورى، و كانوا يستفيدون على هذا الاساس من آراء الامام على عليه السلام و نظرياته السامية في الامور العسكريه، و المشكلات الاجتماعيه التي كانت تطرأ على حياة المسلمين.

(١)

المشاورات العسكرية:

لما سمع رسول الله صلى الله عليه وآله باقتراب قريش الى المدينة وقف في تلك الشورى التي كانت جمعا كبيرا من صناديد أصحابه، وقادة جيشه وجنوده وقال بصوت عال: «أشيروا عليّ» (١). وهو يطلب بذلك من اولئك الجنود والقادة أن يدلوا بأرائهم في كيفية مواجهته العدو، وطريقه الدفاع عن حوزة الاسلام و صرح التوحيد المهدهة من قبل قريش و المتحالفين معهم من أحزاب الشرك، و أتباع الوثنية. فقام «عبد الله بن ابي بن سلول» و كان من منافقي المدينة، و طرح فكرة التحصن في داخل المدينة، و القتال فيها على غرار حرب الشوارع. و ذلك بأن لا يخرج المسلمون من المدينة بل يبقوا داخلها، و يستخدموا أبراجها و سطوحها لمقاتلة العدو و دفعه فترمي النساء العدو بالأحجار من السطوح، و يقاتل الرجال أفراده في الشوارع و الأزقة قائلا: يا رسول الله كنا نقاتل في الجاهلية فيها، و نجعل النساء

(١) راجع الخطبة ١٣٤ من نهج البلاغة.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٤٢

و الذراري في هذه الصياصي و نجعل معهم الحجارة، و نشبك المدينة بالبنيان فتكون كالحصن من كل ناحية و ترمي المرأة و الصبي من فوق الصياصي و الآطام، و نقاتل بأسيافا في السكك (أى الطرقات). (١) يا رسول الله إن مدينتنا عذراء ما فضت علينا قط، و ما خرجنا إلى عدو قط إلا أصاب منا. فانهم ان أقاموا أقاموا بشر محبس، و ان رجعوا رجعوا خائين مغلوبين. و كان هذا رأى الأكاير من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله من المهاجرين و الأنصار، إلا أن الفتيان من المسلمين و بخاصة من لم يشهد منهم بدرا و كانوا يشكلون الاغلبية شجبوا هذا الرأى بشدة، و رفضوه بقوة و طلبوا من رسول الله الخروج إلى العدو، و رغبوا في الشهادة، و أحبوا لقاء العدو. و قالوا: إنا نخشى يا رسول الله أن يظن عدونا أننا كرهنا الخروج إليهم جبنا عن لقائهم فيكون هذا جرأه منهم علينا، و قد كنت يوم بدر في ثلاثمائة رجل فظفرك الله عليهم، و نحن اليوم بشر كثير، قد كنا نتمنى هذا اليوم و ندعوا الله به فقد ساقه الله إلينا في ساحتنا. و قال «حمزة» بطل الاسلام العظيم: لا أطمع اليوم طعاما حتى اجالدهم بسيفي خارجا من المدينة (١). (٢)

الاقتراع من أجل الشهادة!!:

و قام خيثمة أبو سعد بن خيثمة- و هو شيخ يقظ البصيرة- و قال: ان قريشا مكثت حولا تجمع الجموع، و تستجلب العرب في بواديها، و من تبعها من أحابيشها، ثم جاءونا قد قادوا الخيل و امتطوا الابل، حتى نزلوا بساحتنا فيحصرونا في بيوتنا، و صياصينا، ثم يرجعون وافرين لم يكلموا، فيجزئهم ذلك علينا حتى يشنوا الغارات علينا، و يصيبوا أطرافنا، و يضعوا العيون و الارصاد علينا، مع ما قد صنعوا بحروثنا،

(١) المغازى ج ١ ص ٢١١ و بحار الانوار ج ١٢٥ من المعلوم أن نظرية عبد الله بن ابي لم تخلو من الخطر، إذ لم يكن من البعيد ان يستفيد العدو بعد دخوله في المدينة من بيوت المنافقين. و أن يتعاون معهم يهود المدينة أيضا فتكون حينئذ الضربة القاضية للاسلام و

المسلمين.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٤٣

و يجترئ علينا العرب حولنا، حتى يطمعوا فينا إذا رأونا لم نخرج إليهم، فنذبهم عن جوارنا، و عسى الله أن يظفرنا بهم، فتلك عادة الله عندنا، أو تكون الاخرى:

الشهادة.

لقد أخطأتني وقعة بدر، و قد كنت عليها حريصا، لقد بلغ من حرصى أن ساهمت «١» ابني على الخروج فخرج سهمه فرزق الشهادة، و قد كنت حريصا على الشهادة و قد رأيت ابني البارحة في النوم في أحسن صورة يسرح في ثمار الجنة و أنهارها، و هو يقول: الحق بنا ترافقتنا في الجنة، فقد وجدت ما وعدني ربي حقا.

و قد و الله يا رسول الله أصبحت مشتاقا الى مرافقته في الجنة، و قد كبرت سنى و رق عظمى، و أحببت لقاء ربى فادع الله يا رسول الله أن يرزقنى الشهادة و مرافقة سعد فى الجنة!!! «٢».

(١) إن هذا الذى ذكرناه ليس سوى نموذج واحد من مواقف كثيرة تجدها أيها القارئ الكريم فى صفحات التاريخ الاسلامى المشرقة فهناك الكثير من هؤلاء الفدائين المخلصين الذين آلوا على أنفسهم أن يدافعوا عن حياض العقيدة و شرف الدين، و رزقوا الشهادة فى نهاية المطاف.

إن الايديولوجية التى لا تعتمد على اسس الايمان بالله و اليوم الآخر قلما تنتج جنديا فدائيا مخلصا مثل خيشمة، و من شاكله. إن روح الفداء و التفانى و الايثار بالنفس و التضحية بالعالى و الرخيص، التى تدفع بالجندي إلى أن يطلب الشهادة فى سبيل إعلاء كلمة الحق، و إعزاز التوحيد باصرار و شوق لا توجد إلا فى مدرسة الأنبياء و المرسلين، و لا تحصل إلا فى ضوء تربيتهم. و اما فى المجتمعات المادية كالمجتمعات الحاضرة التى تهتم أكبر اهتمام بتحسين أحوال العسكريين حيث إن الهدف من الحروب و المعارك لم يكن قط إلا الحصول على وضع معيشى أفضل، فإنه لا يهم الجنود فيها إلا الحفاظ على أرواحهم و حياتهم

(١) اى اجريت القرعة بينى و بين ولدى.

(٢) المغازى: ج ١ ص ٢١٢ و ٢١٣.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٤٤

فذلك هو أكبر هدف لديهم، و من هنا تندر عندهم روح التفانى و التضحية.

و أما فى مدرسة الأنبياء فان المعارك و الحروب لا يهدف منها إلا ابتغاء رضا الله سبحانه، فلو انحصر ذلك فى الشهادة أقدم عليها الجندي المسلم من دون خوف أو وجل، و عرض نفسه لجميع الاخطار من دون تلوؤ أو ابطاء.

(١)

حصيلة الشورى:

لقد أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله برأى الاكثرية التى كانت ترجح الخروج من المدينة لمقاتلة العدو، و رجح هو صلى الله عليه وآله و آله البقاء فى المدينة و قتال العدو داخلها، إذ لم يكن من الصالح - بعد ما اقترحه قادة جيشه البارزين مثل حمزة، و سعد بن عباد و نظرائهم، و أصروا عليه - أن يأخذ برأى عبد الله بن أبى بن سلول المنافق.

هذا مضافا الى أن حرب الشوارع و المدن غير المنظم فى داخل سكك المدينة و أزقتها الضيقة، و اشتراك النسوة فى الأمور الدفاعية، و الجلوس فى البيت، و السماح للعدو بأن يفعل ما يريد آية العجز، و الوهن، و هو أمر لا يليق بالمسلمين، و لا يتلاءم مع الانتصار

العظيم الذي كسبه في معركة «بدر»، و هزموا به عدوهم الغاشم القوي.

إن محاصرة المدينة و سيطرة العدو على مداخلها و طرقاتها، و سكوت جنود الاسلام على ذلك من شأن أن يقتل الروح القتالية، و الفروسية في أبناء الاسلام المجاهدين.

و يمكن أن يكون «عبد الله بن أبي بن سلول» قد أضمر في نفسه نية سيئة ضد رسول الله صلى الله عليه وآله و أنه بهذا الاقتراح (أى البقاء في المدينة و عدم الخروج لمجابهة العدو، و مواجهته بشجاعة) كان يريد- في الحقيقة- أن يوجه ضربه الى النبي صلى الله عليه وآله!!

(٢)

النبي يلبس لامة الحرب:

بعد أن تعينت كيفية مواجهة العدو و الدفاع، دخل رسول الله صلى الله عليه وآله

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٤٥

و آله بيته و لبس لامة، و قد لبس الدرع فأظهرها و حزم وسطه بمنطقه من حمائل سيف من آدم و اعتم و تقلد السيف، و خرج من بيته.

فأثار هذا المشهد المسلمين و هزمهم بشده و تصور بعضهم بأن إصرارهم على النبي صلى الله عليه وآله بالخروج من المدينة لم يكن فيه للنبي رضا، و خشوا أنهم قد استكروه على هذا الأمر، فندموا على ذلك، و قالوا معتذرين: يا رسول الله ما كان لنا أن نخالفك فاصنع ما بدا لك (أو: ما كان لنا أن نستكروهك و الأمر الى الله ثم إليك).

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«ما ينبغي لنبي إذا لبس لامة أن يضعها حتى يقاتل» (١).

(١)

النبي يخرج من المدينة:

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله بالناس الجمعة و خرج على رأس ما يزيد على ألف مقاتل قاصدا احد، و ذلك بعد أن قال لهم:

«انظروا إلى ما أمرتكم به فاتبعوه امضوا على بركة الله فلکم النصر ما صبرتم» (٢).

و قد أجاز رسول الله صلى الله عليه وآله و آله يومئذ لمن لم يبلغوا الحلم بأن يخرجوا معه كسمره و رافع و كان راميا جيدا، ورد اسامة بن زيد و عبد الله بن عمر بن الخطاب (٣).

ثم إن جماعة من اليهود كانوا متحالفين مع عبد الله بن ابي بن سلول قزروا أن يشتركوا في هذه المعركة و يخرجوا مع المسلمين، و لكن النبي صلى الله عليه وآله لم يسمح بذلك لأسباب خاصة.

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٢٣، المغازي: ج ١ ص ٢١٤، الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ٣٨.

(٢) المغازي: ج ١ ص ٢١٤.

(٣) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٦٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٤٦

(١) و سار النبي و أصحابه حتى اذا كانوا بمنطقة بين المدينة و احد تسمى «الشوط» انعزل عنه «عبد الله بن أبي بن سلول» و عاد بثلاث الناس كلهم من الأوس المتحالفين معه إلى المدينة بحجة أن رسول الله صلى الله عليه وآله أخذ برأى الفتية و الشباب، و رفض اقتراحه و هو البقاء في المدينة.

و من هنا لم يشترك في هذه المعركة لا اليهود و لا حزب النفاق.

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله و أصحابه كانوا يرغبون في أن يسلكوا أقرب الطرق إلى معسكرهم من هنا اضطروا إلى أن يمروا عبر بستان لمنافق من منافقي المدينة يدعى «مربع بن قيطي» و كان ضريراً، فامتنع من ذلك، و اساء بالقول إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فابتدره أصحاب النبي ليقتلوه فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا تقتلوه، فهذا الأعمى أعمى القلب، أعمى البصر» (١).

(٢)

جنديان فدائيان:

استعرض رسول الله صلى الله عليه وآله جيشه في منطقة تدعى بالشيخين (٢)، و كانت الوجوه المشتاقه إلى الجهاد تلمع كما تلمع أشعة السيوف، و تعكس إصرارا كبيرا على قتال الكفار، و مجاهدة المشركين.

و لقد كان جيش رسول الله صلى الله عليه وآله الذي خرج بهم لمجابهة قريش عند جبل احد يتألف من مقاتلين يتفاوتون في الأعمار تفاوتاً كبيراً.

ففيهم الشيخ الكبير الطاعن في السن و فيهم الشاب الفدائي الذي لم يتجاوز الخامسة عشرة.

و لقد كان الدافع الذي يحرك الجميع إلى ذلك هو تعشق الكمال الذي

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٦٥، المغازي: ج ٢ ص ٢١٨.

(٢) و لقد كان من عادة النبي صلى الله عليه وآله و اسلوبه في جميع المعارك استعراض جيشه على الدوام، و عدّهم، و تسريح بعض العناصر الضعيفة أحياناً.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٤٧

ما كان ليتوفر إلّا في ظلّ الدفاع عن صرح التوحيد المقدس، ليس إلّا.

(١) و لإثبات هذه الحقيقة نشير هنا إلى قصة شيخ كبير السن، و شاب لم يمض من عرسه إلّا ليلة واحدة!!

(٢) ١- كان «عمرو بن الجموح» رجلاً شيخاً أعرج شديد العرج و قد أصيب في رجله في حادثه. و كان له بنون أربعة مثل الاسود، يشهدون مع رسول الله صلى الله عليه وآله المشاهد، فلما كان يوم «احد» أراد ان يخرج مع النبي صلى الله عليه وآله و قد أبت نفسه أن تفوته الشهادة، و أن يجلس في بيته و لا يشترك مع رسول الله في تلك المعركة، و إن اشترك بنوه الأربعة فيها.

فأراد أهله و بنوه حبسه و قالوا له: إن الله عزّ و جل قد عذرك، و لم يقتنع بمقاتلتهم، و أتى رسول الله صلى الله عليه وآله و قال: إن بنى يريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه و الخروج معك فيه، فوالله إنى لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله له:

«أما أنت فقد عذرك الله و لا جهاد عليك» (١).

ثم قال صلى الله عليه وآله و آل له و قومه:

«لا عليكم أن لا تمنعوه، لعلّ الله يرزقه الشهادة».

فخلّوا عنه، و خرج و هو يقول: اللهم ارزقني الشهادة و لا تردني الى أهلي.

و قد كان موقف هذا المجاهد الأعرج من مشاهد معركة «احد» العظيمة، و من قصصها الرائعة، فقد كان يحمل - و هو على ما هو عليه من العرج - على الاعداء و يقول: «أنا و الله مشتاق إلى الجنة» و ابنه يعدو في أثره حتى قتلا جميعا «٢».

(١) لقول الله تعالى: «لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ» (الفتح: ١٧).

(٢) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٩٠ و ٩١، المغازي: ج ١ ص ٢٦٥.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٤٨

(١) ٢- «حظلة» و هو شاب لم يكن قد جاوز الرابعة و العشرين من عمره آنذاك. و هو ابن «أبي عامر» عدو رسول الله صلى الله عليه و آله و الذي كان مصداقا لقول الله تعالى «يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ».

فقد اشترك والده أبو عامر الفاسق في معركة «احد» إلى جانب قريش ضد رسول الله صلى الله عليه و آله و كان ممن يكيدون للاسلام و ممن حرّض قريشا ضد النبي صلى الله عليه و آله و استمرّ في معاداة الاسلام حتى النفس الأخير، و لم يأل جهدا في هذا السبيل.

و قد كان أبو عامر هذا هو السبب الرئيسي وراء حادثه مسجد «ضرار» التي سيأتي تفصيلها في حوادث السنة التاسعة من الهجرة.

غير أن علاقة الابوة و البنوة و ما يتبعها من احساس لم تصرف حظلة عن الاشتراك في حرب ضد أبيه، ما دام أبوه على باطل و هو (أى حظلة) على الحق فيوم خرج النبي مع أصحابه الى «احد» لمواجهة قريش كان حظلة يريد البناء بزوجه ليلته، فقد تزوج بابنة «عبد الله بن ابي بن سلول» و كان عليه أن يقيم مراسم الزفاف و العرس في الليلة التي خرج رسول الله صلى الله عليه و آله إلى «احد» في صبيحتها المنصرمة.

(٢) و لكنه عند ما سمع مؤذن الجهاد، و دوى نداؤه في اذنه بحير في ما يجب أن يفعله، فلم يجد مناصا من أن يستأذن من رسول الله صلى الله عليه و آله بان يتوقف في المدينة ليلة واحدة لاجراء مراسم العرس و يقيم عند عروسته ثم يلتحق بالمعسكر الاسلامي صبيحة الغد من تلك الليلة.

و قد نزل في هذا الشأن - على رواية العلامة المجلسي - قوله تعالى:

«إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ إِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ» «١».

(١) النور: ٦٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٤٩

فأذن له رسول الله صلى الله عليه و آله «١».

فبات حظلة عند عروسته تلك الليلة و دخل بها، و لما اصبح خرج من فوره و توجه إلى «احد» و هو جنب.

(١) و لكنه حينما اراد أن يخرج من منزله بعثت امرأته الى أربعة نفر من الأنصار، و اشهدت عليه أنه قد واقعها.

فقيل لها: لم فعلت ذلك؟

قالت: رأيت هذه الليلة في نومي كأن السماء قد انفرجت فوقع فيها حظلة، ثم انضمت فعلمت أنها الشهادة، فكرهت أن لا اشهد عليه.

و لما حضر حظلة القتال نظر إلى أبي سفيان على فرس يجول بين العسكر، فحمل عليه، فضرب عرقوب فرسه، فاكسعت الفرس و سقط أبو سفيان إلى الأرض، و صاح: يا معشر قريش أنا أبو سفيان، و هذا حظلة يريد قتلي، و عدا أبو سفيان، و جرى حظلة في طلبه،

فعرض له رجل من المشركين قطعته، فمشى الى ذلك المشرك فطعنه فضربه و قتله، و سقط حنظلة الى الأرض بين حمزة و عمرو بن الجموح و عبد الله بن حزام و جماعة من الأنصار، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «رأيت الملائكة تغسل حنظلة بين السماء و الأرض بماء المزن في صحائف من ذهب» (٢). فكان يسمى غسيل الملائكة أو حنظلة الغسيل. و كانت الأوس تعد حنظلة من مفاخرها فكانت تقول: «و منا حنظلة غسيل الملائكة». و كان أبو سفيان يقول: حنظلة بحنظلة و يقصد بالأول حنظلة غسيل الملائكة و بالثاني ابنه حنظلة الذي قتل يوم بدر (٣).

(١) بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٥٧.

(٢) و (٣) اسد الغابة: ج ٢ ص ٥٩ و ٦٠، بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٥٧ و غيرهما.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٥٠

(١) إنه حقا عجب أمر هذين العروسين (الزوجين) فبينما كانا هما في أعلى درجات التفانى في سبيل الحق كان والداهما، من اعداء رسول الله صلى الله عليه وآله و خصومه الالداء. فبعد الله بن أبي بن سلول (والد العروس) كان رأس المنافقين في المدينة، و كان أبو عامر الفاسق والد العريس الذي كان يسمى في الجاهلية بالراهب معاديا أشد العدا لرسول الله صلى الله عليه وآله و قد التحق بالمشركين في مكة، كما حرض «هرقل» لضرب الحكومة الإسلامية الفتية في المدينة، ثم اشترك في معركة احد ضد رسول الله صلى الله عليه وآله و قاتل المسلمين قتالا شديدا (١).

(٢)

العسكران يصطفان:

في صبيحة اليوم السابع من شهر شوال من السنة الثالثة للهجرة اصطفت قوى الاسلام أمام قوى الشرك المعتدية، و كان جيش التوحيد قد جعل ظهره الى احد كمانع طبيعي يحفظ الجيش من الخلف. و قد كان في جبل احد ثغرة كان من الممكن أن يتسلل منها العدو و يباغت المسلمين من الخلف، و يوجه إليهم ضربة قاضية.

و لهذا عمل رسول الله صلى الله عليه وآله إلى وضع جماعة من الرماة عند تلك الثغرة، و أمر عليهم «عبد الله بن جبير» و قال: انضح الخيل عنا بالنبل، و احموا لنا ظهورنا، لا- يأتونا من خلفنا، و الزموا مكانكم لا تبرحوا منه، إن كانت لنا أو علينا، فلا تفارقوا مكانكم».

و لقد أثبتت حوادث «احد» التي وقعت في ما بعد أهمية هذه الثغرة عسكريا، فقد كانت هزيمة المسلمين بعد انتصارهم في بداية المعركة نتيجة تجاهل الرماة لأمر النبي و اخلاء ذلك الموقع الإستراتيجي، الأمر الذي سمح للعدو بأن يباغت المسلمين في حركة التفافية سريعة، و يحمل عليهم، و يوجه عليهم ضربة قوية!!

(١) أسد الغابة: ج ٢ ص ٥٩ و ٦٠، بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٥٧ و غيرهما.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٥١

(١) إن أمر النبي المؤكد و المشدد للرماة بأن لا يخلوا أماكنهم في الجبل حيث الثغرة المذكورة يكشف عن معرفته الكاملة بقواعد القتال و قوانين الحرب، و بما يصطلح عليه اليوم بالتكتيك العسكري.

بيد أن نبوغ القائد العسكري لا يكفي وحده لإحراز الانتصار إذا كان الجنود يعانون من عدم الانضباطية، و عدم التقيد بأوامر القائد.

و لقد أشار القرآن الكريم إلى الترتيبات الميدانية التي قام بها رسول الله صَلَّى الله عليه وآله عند استقرار جنود الإسلام في أرض المعركة بأحد، و تعيينه لمكان كل قطعة من قطعات الجيش الإسلامي إذ قال: «و إذ غدوت من أهلك تبؤئ المؤمنين مقاعد للقتال و الله سميع عليم» (١).

(٢)

رفع معنويات الجنود و تقوية عزائمهم:

لم يكن النبي صَلَّى الله عليه وآله ليغفل في المعارك و الحروب عن تقوية العنصر الروحي لدى الجنود، و ما يصطلح عليه الآن بالروح المعنوية، أو المعنويات العسكرية.

ففي هذه المرة أيضا لما اصطفَّ سبعمائة مقاتل مسلم أمام ثلاثة آلاف من المقاتلين المشركين المدججين بالسلاح، خطب رسول الله صَلَّى الله عليه وآله في المسلمين خطبة رفع بها من معنويات المسلمين، و ذلك بعد ان نظم صفوفهم و سواها. فلقد كتب «الواقدي» المؤرخ الاسلامي الكبير في هذا الصدد ما يلي:

جعل رسول الله صَلَّى الله عليه وآله الرماة خمسين رجلا على «عينين» عليهم «عبد الله بن جبير»، و جعل «احدا» خلف ظهره، و استقبل المدينة، ثم جعل صَلَّى الله عليه وآله يمشى على رجليه يسوى تلك الصفوف، و يبؤئ أصحابه

(١) مجمع البيان: ج ٤ ص ٤٩٥، الكشاف: ج ١، ص ٣٤٦-٣٤٧.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٥٢

للقتال يقول تقدم يا فلان، و تأخر يا فلان، حتى أنه ليرى منكب الرجل خارجا فيؤخره، فهو يقوّمهم كأنما يقوم بهم القداح.

(١) ثم قام صَلَّى الله عليه وآله فخطب الناس فقال:

«يا أيها الناس، أوصيكم بما أوصاني الله في كتابه من العمل بطاعته، و التناهي عن محارمه، ثم إنكم اليوم بمنزل أجر و ذخر. لمن ذكر الذي عليه، ثم و طّن نفسه له على الصبر و اليقين و الجدّ و النشاط فإنّ جهاد العدو شديد، شديد كربه، قليل من يصبر عليه، إلّا من عزم الله رشده، فإن الله مع من أطاعه، و إنّ الشيطان مع من عصاه، فافتحوا أعمالكم بالصبر على الجهاد، و التمسوا بذلك ما وعدكم الله، و عليكم بالذي أمركم به، فأتى حريص على رشدكم فإن الاختلاف و التنازع و التشييط من أمر العجز و الضعف ممّا لا يحبّ الله، و لا يعطى عليه النصر و لا الظفر.

و إنّه قد نفث في روعى الروح الأمين إنّه لن تموت نفس حتّى تستوفى أقصى رزقها، و لا ينقص منه شيء و أن ابطأ عنها ... المؤمن من المؤمنين كالرأس من الجسد اذا اشتكى تداعى عليه سائر الجسد و السلام عليكم» (١).

(٢)

العدو ينظم صفوفه:

نظم أبو سفيان قائد المشركين صفوف جنوده و قسّمهم إلى ثلاثة أقسام:

الرماة، و جعلهم في الوسط، و الميمنة و استعمل عليهم خالد بن الوليد، و الميسرة، و استعمل عليهم عكرمة بن أبي جهل. و قدّم جماعة فيهم حملة الألوية و الرايات.

ثم قال لأصحاب الرايات و كانوا جميعا من بنى عبد الدار: إنا إنما اتينا يوم بدر من اللواء، و إنّما يؤتى القوم من قبل لوائهم، فالزموا لواءكم و حافظوا عليه، أو خلوا بيننا و بينه فانا قوم مستميتون متورون، نطلب ثارا حديث العهد.

(١) المغازى: ج ١ ص ٢٢١-٢٢٣.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٥٣

فشقّ هذا الكلام على «طلحة بن أبى طلحة» و كان شجاعا، و هو أوّل من حمل راية لقريش، فاندفع من فوره الى ساحة القتال، و طلب المبارزة، متحديا بذلك أبى سفيان.

(١)

الإثارة النفسية و إلهاب الحماس:

قبل أن يبدأ القتال أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله سيفا بيده و قال:

- و هو يثير بذلك همم جنوده-

«من يأخذ هذا السيف بحقه؟ فقام إليه رجال، فأمسكه عنهم حتى قام إليه أبو دجانة الأنصارى، فقال: و ما حقه يا رسول الله؟

قال: «أن تشرب به العدو حتى ينحنى».

قال: أنا آخذه يا رسول الله بحقه.

فأعطاه إياه، و كان أبو دجانة رجلا شجاعا، يختال عند الحرب اذا كانت، و كان اذا أعلم، أعلم بعصاة له حمراء، فاعتصب بها علم أنه سيقاتل، فلما أخذ السيف من يد رسول الله صلى الله عليه وآله أخرج عصابته تلك فعصّب بها رأسه، و جعل يتبختر بين الصّفين. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «انها لمشيئة يبغضها الله إلّا فى هذا الموطن» (١).

(٢) حقا إن مثل هذه الاثارة النفسية، و هذا التحريك القوى للهمم أمر ضرورى لجيش يقاتل دفاعا عن الحق و القيم، و لا يدفعه إلى ذلك سوى العقيدة، و حب الكمال.

إنّ النبىّ صلى الله عليه وآله لم يهدف بعمله إثارة أبى دجانة وحده، بل كان صلى الله عليه وآله يهدف بذلك إثارة الآخرين، و إلهامهم بأن عليهم أن يبلغوا فى الشجاعة و البطولة، و الجرأة و الإقدام هذا المبلغ.

(٣) يقول «الزبير بن العوام» و هو كذلك رجل شجاع: وجدت فى نفسى حين

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٦٦ و ٦٧.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٥٤

سألت رسول الله صلى الله عليه وآله و آله السيف فمنعني، و أعطاه أبى دجانة و قلت:

أنا ابن صفيّة عمته، و من قريش و قد قمت إليه فسألته إياه، فأعطاه إياه و تركنى! و الله لانظرنّ ما يصنع. فأتبعتة فأخرج عصابه له حمراء، فعصّب بها رأسه، فقالت الانصار: أخرج أبو دجانة عصابه الموت، و هكذا كانت تقول له اذا تعصّب بها.

فخرج و هو يقول:

أنا الذى عاهدنى خليلى و نحن بالسفح لدى النخيل

ألا أقوم الدهر فى الكيول (١) «أضرب بسيف الله و الرسول فجعل لا يلقى أحدا إلّا قتله، و كان من المشركين رجل لا يدع لنا جريحا إلّا ذفّف عليه، فجعل كلّ واحد منهما يدنو من صاحبه، فدعوت الله أن يجمع بينهما، فالتقيا، فاختلعا ضربتين، فضرب المشرك أبى دجانة، فاتقاه بدرقته، فعضت بسيفه، و ضربه أبو دجانة، فقتله، ثم رأيتة قد حمل السيف على مفرق «هند بنت عتبة» ثم عدل السيف عنها، فقلت: الله و رسوله أعلم.

ثم إن أبا دجانة أوضح عمله هذا فقال: رأيت انسانا يخمش الناس خمشا شديدا فصمدت له، فلما حملت عليه السيف ولول فاذا امرأة، فأكرمت سيف رسول الله صلى الله عليه وآله أن أضرب به امرأة «٢».

(١)

القتال يبدأ:

بدأ القتال بما فعله أبو عامر الفاسق الذي كان قد هرب من المدينة مباعدا لرسول الله صلى الله عليه وآله كما أسلفنا، وكان من الأوس، وقد فرّ معه خمسة عشر رجلا من الأوس بسبب معارضته للإسلام. وقد تصوّر أبو عامر هذا أن الأوس إذا رأوا يوم احد تركوا نصره رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما التقى العسكران يومئذ نادى أبو عامر: يا معشر الأوس، أنا أبو عامر.

(١) الكيول: آخر الصفوف في الحرب.

(٢) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٦٨ و ٦٩.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٥٥

قالوا: فلا أنعم الله بك عينا يا فاسق. فلما سمع ردّ الأوس تركهم، واعتزل الحرب بعد قليل «١».

(١) ثم إن هناك مواقف و تضحيات عظيمة قام بها رجال معدودون في معركة احد معروفة بين المؤرخين، أبرزها، وأجدرها بالاجلال تضحيات على عليه السلام و مواقفه الكبرى في ذلك اليوم. فهو صاحب اللواء و الراية في هذه الموقعة الكبرى.

قال الشيخ المفيد في الارشاد: تلت بدرا غزاة احد و كانت راية رسول الله صلى الله عليه وآله بيد أمير المؤمنين عليه السلام فيها و مما يدل على ذلك ما رواه يحيى بن عماره قال: حدثني الحسن بن موسى بن رباح مولى الانصار قال حدثني أبو البختری القرشي، قال: كانت راية قريش و لواؤها جميعا بيد قصي ثم لم تزل الراية في يد ولد عبد المطلب يحملها منهم من حضر الحرب حتى بعث الله رسوله صلى الله عليه وآله فصارت راية قريش و غيرها الى النبي صلى الله عليه وآله، فأقرها في بني هاشم فأعطاها رسول الله صلى الله عليه وآله و آله إلى علي بن أبي طالب عليه السلام في غزاة ودان و هي أول غزاة حمل فيها راية في الاسلام مع النبي ثم لم تزل معه في المشاهد بدر و هي البطشة الكبرى في يوم احد و كان اللواء يومئذ في بني عبد الدار فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وآله مصعب بن عمير فاستشهد و وقع اللواء من يده فتشوفته القبائل فأخذته رسول الله صلى الله عليه وآله فدفعه إلى علي بن أبي طالب عليه السلام فجمع له يومئذ الراية و اللواء «٢».

وقد ورد عن ابن عباس ما يؤيد ذلك فقد روى أنه قال: لعلي أربع خصال ليس لأحد من العرب غيره (هو) أول عربي و عجمي صلى مع النبي صلى الله عليه وآله و هو الذي كان لواؤه معه في كل زحف ... «٣».

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٦٧.

(٢) الارشاد: ص ٤٣، بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٨٠.

(٣) ترجمة الامام علي بن أبي طالب من تاريخ مدينة دمشق المعروف بتاريخ ابن عساكر: ج ١ ص ١٤٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٥٦

كما عن قتادة: ان علي بن ابي طالب كان صاحب لواء رسول الله يوم بدر و في كل مشهد «١».

(١) ثم إنه كانت راية قريش مع طلحة بن أبي طلحة العبدري (و كان يدعى كبش الكتبية) فبرز و نادى: يا محمد تزعمون أنكم تجهزوننا بأسيافكم الى النار، و تجهزكم بأسيافنا الى الجنة، فمن شاء أن يلحق بجنته فليبرز إلى فبرز إليه على (عليه السلام) و هو يقول: يا طلح إن كنتم كما تقول لكم خيول و لنا نصول فاثبت لننظر آيتنا المقتول و آيتنا أولى بما تقول فقد أتاك الأسد المسئول بصارم ليس به الفلول ينصره القاهر و الرسول ثم تصاولا بعض الوقت قتل بعده طلحة بضربة على (عليه السلام) القاضية. فأخذ الراية اخوان آخران لطلحة فخرجا لقتال على عليه السلام على التناوب فقتلا جميعا على يديه (عليه السلام). هذا و يستفاد من كلام لعلي عليه السلام قاله في أيام الشورى التي انعقدت بعد موت الخليفة الثاني. (٢) فقد قال الامام عليه السلام في مجلس ضم كبار الصحابة في تلك المناسبة: «نشدتكم بالله هل فيكم أحد قتل من بنى عبد الدار تسعة مبارزة كلهم يأخذ اللواء، ثم جاء صواب الحبشى مولاهم و هو يقول لا أقتل بسادتي إلا محمدا، قد ازبد شذاه، و احمرت عيناه، فاتقتموه، و حدثم عنه، و خرجت إليه، فلما أقبل كأنه قبه مبتية فاختلفت أنا و هو ضربتين، فقطعتة بنصفين و بقيت عجزه و فخذاه قائمه على الأرض ينظر إليه المسلمون و يضحكون منه». قالوا: اللهم لا (٢).

(١) ترجمة الامام على بن أبى طالب من تاريخ مدينة دمشق المعروف بتاريخ ابن عساكر: ج ٩ ص ١٤٢.

(٢) الخصال: ص ٥٦٠.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٥٧

أجل ان قريشا كانت قد ادخرت لحمل الراية تسعة رجال من شجعان بنى الدار و قد قتلوا جميعا على يد الامام على عليه السلام على التوالى فبرز غلامهم و قتل هو أيضا «١». (١)

المقاتلون بدافع الشهوة!!

من الأبيات التي كانت تتغنى بها «هند بنت عتبة» زوجة أبى سفيان و من كان معها من النساء فى تحريض رجال قريش و حثهم على القتال و اراقه الدماء و المقاومة، و يضربن معها الدفوف و الطبول يتبين ان تلك الفئة لم تكن تقاتل من أجل القيم الرفيعة كالطهر و الحرية، و الخلق الانسانى بل كانت تقاتل بدافع الشهوة الجنسية و من أجل الوصول إلى المآرب الرخيصة. فقد كانت الأغاني و الأبيات التي ترددها تلك النساء اللائى كنّ يضربن بالدفوف خلف الرجال على نحو خاص هي: نحن بنات طارق نمشى على النمارق

إن تقبلوا نعانق أو تدبروا نفارق (٢) و لا شك أن الفئة التي تقاتل من أجل الشهوات، و يكون دافعها الى الحرب و القتال هو الجنس و اللذة، و بالتالى لا تهدف سوى الوصول إلى المآرب الرخيصة فان حالها تختلف اختلافا بينا و كبيرا عن حال الفئة التي تقاتل من أجل هدف مقدس كإقرار الحرية، و رفع مستوى الفكر، و تحرير البشرية من براثن الجهل و أسر الخضوع للاوثان. و لا شك أن لكل واحدة من تلك الدوافع آثارها المناسبة فى روح المقاتل و سلوكه.

و لهذا لم يمض زمان طويل إلا و وضعت قريش أسلحتها على الارض و وكت هاربة من أرض المعركة بعد أن اصيبت باصابات قوية بفضل صمود و تضحيات رجال مؤمنين شجعان كعلى و حمزة و أبى دجانة و الزبير و ... مخلفة وراءها غنائم

(١) وقد ذكر المجلسي قصة مصرع هؤلاء في البحار: ج ٢٠ ص ٨١-٨٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٥٨

و أموالا كثيرة، و أحرز المسلمون بذلك انتصارا عظيما على عدوهم القوي في تجهيزاته، الكثير في افراده «١».

(١)

الهزيمة بعد الانتصار:

قد يتساءل سائل: لما ذا انتصر المسلمون اولاً؟

لقد انتصروا لأنهم كانوا يقاتلون، و لا يحدوهم في ذلك شيء حتى لحظة الانتصار إلّا الرغبة في مرضاة الله، و نشر عقيدة التوحيد، و إزالة الموانع عن طريقها، فلم يكن لهم أي دافع ماديّ يشدّهم إلى نفسه.

و قد يتساءل: و لما ذا انهزموا أخيراً؟

لقد انهزموا لأن أهداف أكثر المسلمين و نواياهم قد تغيّرت بعد تحقيق الانتصار، فقد توجهت أنظارهم الى الغنائم التي تركها قريش في أرض المعركة، و فروا منهزمين. لقد خولط اخلاص عدد كبير من المسلمين، و نسوا على أثره أوامر النبيّ صلى الله عليه وآله، و تعاليمه، فغفلوا عن ظروف الحرب.

و إليك فيما يأتي تفصيل الحادث:

(٢) لقد ذكرنا عند بيان الأوضاع الجغرافية لمنطقة احد أنه كان في «جبل احد» شعب (ثغرة) و قد كلف رسول الله صلى الله عليه وآله خمسة عشر رجلاً من الرماة بمراقبة ذلك الشعب، و حماية ظهر الجيش الاسلامي، و أمر عليهم «عبد الله بن جبير»، و كان قد أمر قائدهم بأن ينضحوا الخيل و يدفعوها عن المسلمين بالنبل و يمنعوا عناصر العدو من التسلل من خلالها و لا يغادروا ذلك المكان انتصر المسلمون او انهزموا، غلبوا أو غلبوا.

و فعل الرماة ذلك فقد كانوا في أثناء المعركة يحمون ظهور المسلمين، و يرشقون خيل المشركين بالنبل فتولّى هاربة، حتى إذا ظفر النبيّ و أصحابه، و انكشف المشركون منهزمين، لا يلوون على شيء، و قد تركوا على أرض المعركة

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٦٨، تاريخ الطبري: ج ٢ ص ١٩٤.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٥٩

غنائم و أموالاً كثيرة، و قد تبعهم بعض رجال المسلمين ممن بايع رسول الله صلى الله عليه وآله على بذل النفس في سبيل الله و مضوا يضعون السلاح فيهم حتى أجهضوهم عن العسكر أما أكثر المسلمين فقد وقعوا ينتهبون العسكر و يجمعون الغنائم تاركين ملاحقة العدو و قد اغمدوا السيوف، و نزلوا عن الخيول ظناً بأن الأمر قد انتهى.

(١) فلما رأى الرماة المسئولون عن مراقبة الشعب ذلك قالوا لأنفسهم: و لم نقيم هنا من غير شيء و قد هزم الله العدو فلنذهب و نغتم مع إخواننا.

فقال لهم أميرهم (عبد الله بن جبير): أ لم تعلموا أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لكم: احموا ظهورنا فلا تبرحوا مكانكم، و إن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا، و إن رأيتمونا غنمنا فلا تتركونا احموا ظهورنا؟

و لكن أكثر الرماة خالفوا أمر قائدهم هذا و قالوا: لم يرد رسول الله هذا، و قد أذلّ الله المشركين و هزمهم.

و لهذا نزل أربعون رجلاً من الرماة من الجبل و دخلوا في عسكر المشركين ينتهبون مع غيرهم من المسلمين الاموال و قد تركوا

موضعهم الإستراتيجي في الجبل، و لم يبق مع عبد الله بن جبير إلا عشرة رجال!!

(٢) و هنا استغل «خالد بن الوليد» الذي كان مقاتلا شجاعا، قلة الرماة في ثغرة الجبل، و كان قد حاول مرارا أن يتسلل منها و لكنه كان يقابل في كل مرة نبال الرماة، فحمل بمن معه من الرجال على الرماة في حملة التفافية و بعد أن قاتل من بقى عند الثغرة و قتلهم بأجمعهم انحدر من الجبل و هاجم المسلمين الذين كانوا منشغلين بجمع الغنائم، و غافلين عما جرى فوق الجبل، و وقعوا في المسلمين ضربا بالسيوف و طعنا بالرماح، و رميا بالنبال، و رضخا بالحجارة، و هم يصيحون تقوية لجنود المشركين.

فتفرقت جموع المسلمين، و عادت فلول قريش تساعد خالدا و جماعته، و أحاطوا جميعا بالمسلمين من الأمام و الخلف، و جعل المسلمون يقاتلون حتى قتل منهم سبعون رجلا.

إن هذه النكسة تعود إلى مخالفة الرماة لأوامر النبي صلى الله عليه وآله تحت تأثير المطامع المادية و تركهم ذلك المكان الإستراتيجي عسكريا و الذي اهتم به القائد الاعلى صلى الله عليه وآله، و أكد بشدة على المحافظة عليه، و دفع أي

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٦٠

هجوم من قبل العدو عليه. و بذلك فتحوا الطريق- من حيث لا يشعرون- للعدو بحيث هاجمهم الخيل بقيادة خالد بن الوليد، فدخل إلى أرض المعركة من ظهر الجيش الاسلامي، و وجه الى المسلمين تلك الضربة النكراء!!

(١) و لقد ساعد خالدا في هذا «عكرمة بن أبي جهل» الذي حمل هو الآخر بمن كان معه من الرجال على المسلمين، و ساد على صفوف المسلمين في هذه الحال الهرج و المرج، و عمت فوضى لا نظير لها ساحة المعركة، و لم ير المسلمون مناصا من أن يدافعوا عن أنفسهم متفرقين، و لكن عقد القيادة لما قد انفرط بسبب هذه المباغته العسكرية لم يستطع المسلمون إحراز أي نجاح في الدفاع، بل تحمّلوا- كما أسلفنا- خسائر كبرى في الأرواح، و قتل عدد من المسلمين على أيدي اخوانهم من المسلمين خطأ و من دون قصد. و لقد صعّدت حملات خالد و عكرمة من معنويات المشركين، و نفخت فيهم روحا جديدة فعادت قواتهم الهاربة المنهزمة قبل قليل، و دخلت ساحة المعركة ثانية، و ساعدت جماعة منهم خالدا و عكرمة و حاصروا المسلمين من كل ناحية و قتل جمع كبير من المسلمين بسبب ذلك!!

(٢)

شائعة مقتل النبي:

و في هذا الأثناء حمل «الليثي» (١) و كان من صناديد قريش و أبطالها على مصعب بن عمير حامل لواء الاسلام في تلك المعركة و هو يظن أنه رسول الله صلى الله عليه وآله و تبودلت بينهما طعنات و ضربات حتى قتل «مصعب» بضربه قاضيته من الليثي، و كان المسلمون يومئذ ملثمون، ثم صاح: قتلت محمدا، أو قال ألا قد قتل محمد، ألا قد قتل محمد.

فانتشر هذا الخبر في جموع المسلمين كالنار في الهشيم و علمت قريش بذلك فسروا بذلك سرورا عظيما، و ارتفعت الاصوات في ساحة القتال تنادى: ألا قد

(١) هو عبد الله بن قمنه الليثي.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٦١

قتل محمد، ألا قد قتل محمد.

(١) و لقد زاد هذا الخبر الكاذب من جرأة العدو فتحرّكت جحافل و أفرادة نحو المسلمين يسعى كل واحد منهم أن يقتطع من جسم رسول الله صلى الله عليه وآله عضوا، و بذلك ينال فخرا في أوساط المشركين!!

و بقدر ما ترك هذا الخبر الكاذب من أثر ايجابي في نفوس المشركين، ترك أثرا سيئا جدا في نفوس المسلمين، و أضعف معنوياتهم بشدة بحيث تخلى عدد كبير من المسلمين عن القتال، و لجئوا إلى الجبل فرارا بأنفسهم، و لم يثبت إلا عدد قليل لا يتجاوز أصابع اليد من الرجال.

(٢)

هل يمكن أن ينكر أحد فرار البعض؟

لا- يمكن أبدا أن ينكر أحد فرار أصحاب النبي صلى الله عليه وآله إلما من يعدون بالأصابع في تلك المعركة، و لا يمنع كونهم صحابة، أو كونهم أصبحوا في ما بعد ذوى مكانة أو مناصب في المجتمع الإسلامى فى ما بعد، من القبول بهذه الحقيقة التاريخية المرّة.

فهذا هو ابن هشام المؤرخ الاسلامى الكبير يكتب فى هذا الصدد قائلا:

انتهى أنس بن النضر عم أنس بن مالك إلى عمر بن الخطاب و طلحة بن عبيد الله فى رجال من المهاجرين و الأنصار، و قد ألقوا بأيديهم «١» فقال:

ما يجلسكم؟ (أى ما يقعدكم عن القتال و المقاومة).

قالوا: قتل رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال: فما ذا تصنعون بالحياة بعده؟ فموتوا على ما مات عليه رسول الله صلى الله عليه وآله.

ثم عاد الى المشركين فقاتلهم حتى قتل.

أو قال: حسب رواية كثير من المؤرخين:- ان كان محمد قد قتل فان رب محمد لم يقتل، و ما تصنعون بالحياة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله فقاتلوا على

(١) اى استسلموا.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٦٢

ما قاتل عليه رسول الله، و موتوا على ما مات عليه ثم قال: اللهم إني اعتذر إليك مما يقوله هؤلاء، و أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء ثم شد بسيفه على الكفار فقاتل حتى قتل.

(١) و يروى ابن هشام عن أنس بن مالك (ابن أخ انس بن النضر) لقد وجدنا بأنس بن النضر يومئذ سبعين جراحة فما عرفه إلا اخته عرفته ببنايه «١».

و كتب الواقدي فى مغازيه يقول:

حدثني ابن أبى سبرة عن أبى بكر بن عبد الله بن أبى جهم و اسم أبى جهم عبيد قال: كان خالد بن الوليد يحدث و هو بالشام يقول: الحمد لله الذى هدانى للإسلام، لقد رأيتنى و رأيت عمر بن الخطاب حين جالوا و انهزموا يوم احد و ما معه أحد و أنى لفى كتيبة خشنة فما عرفه منهم أحد غيرى فنكبت عنه و خشيت إن أغريت به من معى أن يصمدوا له فنظرت إليه موجها إلى الشعب «٢».

و قد بلغ الانهزام و الضعف النفسى ببعض الصحابة فى هذه المعركة بحيث أخذ يفكر فى التبرى من الاسلام لينجو بنفسه فقال: ليت لنا رسولا إلى عبد الله بن أبى فيأخذ لنا أمانا من أبى سفيان!! «٣».

(٢)

القرآن يكشف عن بعض الحقائق:

إن الآيات القرآنية تمزق كل حجب الجهل والتعصب التي اسدلت على هذه المسألة، وتفيد بوضوح أن طائفة من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله اعتقدوا بأن ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وآله من الظفر، والنصر لا أساس له من الصحة، فإن الله تعالى يقول في هذا الصدد:

«وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ» (٤).

وفي إمكانك أيها القارئ الكريم أن تحصل على الحقائق المكتومة في هذا

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٨٣ راجع تفسير المنار: ج ٤ ص ١٠٢.

(٢) المغازي: ج ١ ص ٢٣٧.

(٣) بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٢٧.

(٤) آل عمران: ١٥٤.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٦٣.

المجال بالتمعن في آيات من سورة آل عمران «١».

فهذه الآيات تكشف بصورة كاملة عن عقيدة الشيعة حول أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله.

(١) فإن الشيعة تعتقد بأنه لم يكن جميع صحابة النبي صلى الله عليه وآله أوفياء لعقيدة التوحيد، متفانين في سبيله، بل كان منهم الضعيف في إيمانه و المناق، والمتردد، ومع ذلك لم يكن المؤمنون الأتقياء والصالحون الأبرار قلة أيضا. ومن العجيب والمؤسف أن يسعى بعض الكتاب من أهل السنة اليوم إلى التغطية على كثير من المواقف والاعمال المشينة التي بدرت من بعض الصحابة كالذي مرّ عليك في معركة احد، ويحاول تجاوزها بنوع من التبرير البعيد عن روح الحقيقة كمحاولة للمحافظة على شأن جميع الصحابة، ومكانتهم على حين أن هذه التبريرات الفجة، وهذا التعصب اللامنطقي لا يمكنها أن تمنع من رؤية الحقيقة كما هي.

فأى كاتب يستطيع إنكار مفاد هذه الآية التي تصرح قائلة:

«إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ» (٢).

(٢) إن هذه الآية تقصد أولئك الذين رأهم أنس بن النضر، ومن شابههم من الذين تركوا ساحة المعركة، ولجئوا إلى الجبل، و جلسوا يفكرون في نجاة أنفسهم!!

و الأوضح من الآية السابقة قول الله تعالى:

«إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ» (٣).

إن الله تعالى يعاتب ويوبخ الذين تذرّعوا- لفرارهم من المعركة- بنيا مقتل رسول الله صلى الله عليه وآله على يد العدو، وراحوا يفكرون في الحصول على أمان من أبي سفيان بواسطة عبد الله بن أبي اذ يقول:

«وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ» (٤).

(١) الآيات: ١٢١-١٨٠.

(٢) آل عمران: ١٥٣.

(٣) و (٤) آل عمران: ١٥٥ و ١٤٤.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٦٤

(١)

التجارب المرة:

إن في أحداث معركة «احد» وقائعها تجارب مرة و اخرى حلوة فهذه الحوادث و الوقائع تثبت بجلاء صمود و استقامه جماعة، و ضعف و هزيمة آخرين.

كما أنه يستفاد من ملاحظة الحوادث التاريخية أنه لا يمكن اعتبار جميع المسلمين الذين عاصروا رسول الله صلى الله عليه وآله أتقياء عدولا بحجة أنهم صحبوا النبي صلى الله عليه وآله، لأن الذين أخذوا مراكزهم على الجبل، يوم احد و عصوا أمر النبي صلى الله عليه وآله في تلك اللحظات الخطيرة، و جزوا بفعلهم على المسلمين تلك المحنة الكبرى، كانوا أيضا ممن صحبوا النبي صلى الله عليه وآله.

(٢) يقول المؤرخ الاسلامي الكبير الواقدي في هذا الصدد: «بايع رسول الله صلى الله عليه وآله يوم احد ثمانية على الموت: ثلاثة من المهاجرين على و طلحة و الزبير، و خمسة من الأنصار» فثبتوا و هرب الآخرون «١».

و كتب العلامة ابن أبي الحديد المعتزلي أيضا: حضرت عند محمد بن معد العلوي الموسوي الفقيه على رأى الشيعة الإمامية رحمه الله في داره بدرج الدواب ببغداد في سنة ٦٠٨ هجرية، و قارئ يقرأ عنده مغازي الواقدي، فقرا: حدثنا الواقدي عن ابن أبي سبرة عن خالد بن رباح عن أبي سفيان مولى ابن أبي أحمد عن محمد بن مسلمة قال: سمعت اذناي، و أبصرت عيناى رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم احد، و قد انكشف الناس الى الجبل و هو يدعوهم و هم لا يلوون عليه، سمعته يقول: «إلى يا فلان، إلى يا فلان أنا رسول الله».

فما عرج عليه واحد منهما، و مضيا!! فأشار ابن معد إلى أى اسمع.

فقلت: و ما فى هذا؟ قال: هذه كناية عنهما. (أى اللذين تستما مسند الخلافة

(١) المغازي: ج ٢ ص ٢٤٠.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٦٥

بعد النبي صلى الله عليه وآله)

فقلت: و يجوز أن لا يكون عنهما لعله عن غيرهما.

قال: ليس فى الصحابة من يحتشم من ذكره بالفرار، و ما شابهه من العيب، فيضطر القائل إلى الكناية إلاًهما.

قلت له: هذا ممنوع.

فقال: دعنا من جدلك و منعك، ثم حلف أنه ما عنى الواقدي غيرهما، و أنه لو كان غيرهما لذكرهما صريحا «١».

(١) كما أن العلامة ابن أبي الحديد ذكر فى شرحه لنهج البلاغة أيضا اتفاق الرواة كافة على أن عثمان لم يثبت فى تلك اللحظات الحساسة يوم احد «٢».

و ستقرأ فى الصفحات القادمة ما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله عن امرأة مجاهدة متفانية فى سبيل الرسالة الاسلامية تدعى «نسيبة المازنية» دافعت عن رسول الله صلى الله عليه وآله يوم احد.

فقد لمح رسول الله صلى الله عليه وآله فى كلامه عنها و عن موقفها العظيم يومذاك، إلى ما يقلل من شأن الذين فرّوا من المعركة.

نحن لا نريد هنا الاساءة إلى أى واحد من صحابة النبي صلى الله عليه وآله، بل غاية ما نتوخاه هو الكشف عن الحقيقة، وإماتة اللثام عن الواقع، فبقدر ما نستنكر، ونقبح فرار من فز، نكبر صمود من صمد و ثبات من ثبت ممن سنأتى على ذكرهم فى الصفحات القادمة، وهذا هو ما تمليه علينا روح التحليل الصادق أو تقتضيه أمانة النقل، و ما يسمى بالامانة التاريخية على الأقل.

(٢)

خمسة يتحالفون على قتل النبي:

فى تلك اللحظات التى تشتت فيها جيش المسلمين، و انفرط عقده، و فى الوقت الذى تركزت فيه أن حملات المشركين من كل ناحية على رسول الله صلى

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد ج ١٥ ص ٢٣ و ٢٤.

(٢) المغازى: ج ١ ص ٢٧٨ و ٢٧٩.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٦٦

الله عليه وآله تعاهد خمسة أنفار من صناديد قريش المعروفين أن يضعوا نهاية لحياة النبي الاكرم صلى الله عليه وآله و يقضوا عليها مهما كلفهم من الثمن «١».

(١) و هؤلاء هم:

١- عبد الله بن شهاب الذى جرح جبهة النبي صلى الله عليه وآله.

٢- عتبة بن أبى وقاص الذى رمى رسول الله صلى الله عليه وآله بأربعة أحجار فكسر ربايعته صلى الله عليه وآله، و جرح باطنها، من الجهة اليمنى.

٣- ابن قميئة الليثى الذى رمى و جنتى رسول الله صلى الله عليه وآله و جرحهما بحيث غاب حلق المغفر فى وجنته صلى الله عليه وآله و آله فأخرجها أبو عبيدة الجراح بأسنانه فكسرت ثناياه العليا و السفلى.

٤- عبد الله بن حميد الذى قتل على يد بطل الإسلام أبى دجانة و هو يحمل على النبي صلى الله عليه وآله.

٥- أبى بن خلف و كان من الذين قتلوا بيد رسول الله صلى الله عليه وآله نفسه.

فهو واجه رسول الله صلى الله عليه وآله و آله عند ما وصل صلى الله عليه وآله إلى الشعب، و قد عرفه بعض أصحابه و أحاطوا به، فجعل يصيح بأعلى صوته:

يا محمد لا- نجوت ان نجوت، و حمل على النبي صلى الله عليه وآله و لما دنا تناول رسول الله صلى الله عليه وآله و آله الحربة من

«الحارث بن الصمة»، ثم انتفض انتفاضة شديدة و طعن «اييا» بالحربة فى عنقه، و هو على فرسه، فجعل ابى يخور كما يخور الثور!

(٢) و مع أن ما أصاب اييا من جراحة كان يبدو بسيطا، إلا أنه تملكه رعب و خوف شديداً إذ لم ينفعه معهما تطمينات رفاقه، و لم يذهب عنه الروع بكلامهم، و كان يقول: و اللات و العزى لو كان الذى بى بأهل ذى المجاز «٢» لماتوا أجمعون.

(١) المغازى: ج ١ ص ٢٤٣.

(٢) كان ذو المجاز سوقا من أسواق العرب و هو عن يمين الموقف بعرفة قريبا من كيبك (معجم ما استعجم على ما فى حواشى المغازى: ص ٥٠٨).

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٦٧

أليس قال: (أى النبى يوم كان بمكة) أنا أقتلك إن شاء الله، قتلنى و الله محمّد!!

وقد فعلت الطعنة، وكذا خوفه فعلتهما فمات فى منطقة تدعى سرف (و هو موضع على ستة أميال من مكة) فيما كانت قريش قافلة من احد الى مكة «١».

(١) حقا إن هذا ينم عن منتهى الدناءة والخسة فى خلق قريش و موقفها، فمع أنها كانت تعرف صدق رسول الله صلى الله عليه وآله و تعترف به، و تنكر أن يكون قد صدر منه كذب فى قول، أو خلف فى وعد، كانت تعاديه أشدّ العدا، و تمدّ نحوه يد العدوان، و تبغى مصرعه، و تسعى إلى اراقه دمه!!

كما أنه من جهة اخرى يدل على شجاعة رسول الاسلام صلى الله عليه وآله و بطولته و مقدرته الروحية الكبرى، من ناحية اخرى، و ثباته فى عمله من ناحية ثالثة.

أجل لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يدافع عن رسالته السماوية، و عن حياض عقيدته التوحيدية العظمى، و يصمد لاعداء صمود الجبال الرواسخ مع أنه ربما دنا من الموت و كان منه قاب قوسين أو أدنى.

و مع أنه كان صلى الله عليه وآله يرى أن كل همّ المشركين و كل حملاتهم موجهة نحوه بشخصه، إلّا أنه لم يشهد أحد منه أى قول أو فعل يشعر بتوجسه و اضطرابه، و لقد صرح المؤرخون بهذا الأمر فقد كتب المقرئى و نادى المشركون بشعارهم [يا للعزى، يا لهبل] فارجعوا فى المسلمين قتلا ذريعا، و نالوا من رسول الله صلى الله عليه وآله ما نالوا. و لم يزل صلى الله عليه وآله شبرا واحدا بل وقف فى وجه العدو، و أصحابه تثوب إليه مرة طائفة و تفرق عنه مرة، و هو يرمى عن قوسه أو بحجر حتى تحاجزوا «٢».

(٢) نعم غاية ما سمع من صلى الله عليه وآله هو ما قاله عند ما كان يمسح الدم

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٨٤، المغازى: ج ١ ص ٢٥١.

(٢) امتاع الاسماع: ج ١ ص ١٣١، المغازى: ج ٢ ص ٢٤٠.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٦٨

عن وجهه المبارك اذ قال:

«كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم و هو يدعوهم إلى الله؟!» «١».

إن هذه العبارة الخالدة تكشف عن عمق رحمة النبى صلى الله عليه وآله و عاطفته حتى بالنسبة إلى اعدائه الألداء.

(١) بينما تكشف كلمة قالها على عليه السلام عن شجاعته صلى الله عليه وآله الفائقة إذ قال:

«كنا إذا احمر البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وآله فلم يكن احد أقرب منا إلى العدو منه» «٢».

من هنا فان سلامة النبى الاكرم صلى الله عليه وآله فى الحروب تعود فى أكثر أسبابها إلى حسن دفاعه عن دينه، و عن نفسه، و الى شجاعته فى المعارك.

و لقد كانت ثمة علل و أسباب صانت هى الاخرى حياة رسول الله صلى الله عليه وآله من أن يلحقها خطر أو ضرر، الا و هو تضحية و تفانى تلك القلة القليلة من أصحابه الأوفياء الذين بذلوا غاية جهدهم للحفاظ على حياة رسول الاسلام العظيم صلى الله عليه وآله و بذلك أبقوا على هذا المشعل الوقاد، و هذا السراج المنير.

لقد قاتل رسول الله صلى الله عليه وآله يوم احد قتالا شديدا، فرمى بالنبل حتى فنى نبله و انكسرت سية قوسه، و انقطع وتره «٣».

(٢) على أن الذين دافعوا عن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يتجاوز عددهم عدد أصابع اليد «٤»، و حتى هذه القلة القليلة المدافعة ثباتهم معه جميعا غير مقطوع به من منظار علم التاريخ، و من زاوية التحقيق التاريخى.

نعم ما هو متفق عليه بين المؤرخين، و أرباب السير هو ثبات أفراد قلائل نعمد هنا إلى ذكر أسمائهم و مواقفهم بشيء من التفصيل.

- (١) بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ١٠٢.
- (٢) نهج البلاغة: فصل في غريب كلامه رقم ٩.
- (٣) الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ١٠٧.
- (٤) شرح نهج البلاغة: ج ١٥ ص ٢٠ و ٢١.
- سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٦٩
- (١)

الدفاع الموفق أو النصر المجدد:

لو أننا أسميننا هذه المرحلة من تاريخ الاسلام بمرحلة النصر المجدد لما قلنا جزافا، فان المقصود من هذا الانتصار هو أن المسلمين استطاعوا- و خلافا لتوقعات العدو الحاقدا- أن يصونوا رسول الله صلى الله عليه وآله من خطر الموت الذي كاد أن يكون محققا، و هذا هو انتصار مجدّد أصابه جند الاسلام.

أما إذا عزونا هذا الانتصار إلى جيش الاسلام برّمته فان ذلك انما هو لأجل تعظيم مقام المجاهدين المسلمين، و إلّا فان ثقل هذا الانتصار العظيم وقع على عاتق عدد معدود جدا من رجال الاسلام الذين صانوا حياة الرسول الاكرم عن طريق المخاطرة بحياتهم، و تعريضها للخطر الجدى.

و فى الحقيقة فإنّ بقاء الدولة الاسلامية، و بقاء جذوة هذا الدين المبارك مشتعلة إنما هو نتيجة تضحيات تلكم القلة القليلة المتفانية فى سبيل الله و رسوله.

و إليك فيما يلى استعراضا إجماليا لتضحيات اولئك الرجال المتفانين فى سبيل العقيدة و الدين:

(٢) ١- إن أول و أبرز الرجال الصامدين الثابتين على طريق الجهاد و التضحية فى هذه الواقعة هو شاب بطل لم يتجاوز ربيعه السادس و العشرين من عمره ...، هو الذى رافق رسول الله صلى الله عليه وآله من سنى صغره و بدايات حياته و حتى لحظة وفاة الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله.

إن بطل الاسلام الاكبر و ان ذلك الفدائى الواقعى هو الامام «علّى بن أبى طالب» عليه السلام الذى تحفظ ذاكرة التاريخ الاسلامى عنه الكثير الكثير من مواقف التضحية و الفداء فى سبيل نشر الاسلام و الدفاع عن حوزة التوحيد، و ارساء دعائمه.

و فى الاساس ان هذا الانتصار المجدد- على غرار الانتصار الأول- إنما جاء نتيجة لبسالة و بطولته هذا المجاهد المتفانى فى سبيل الاسلام ذلك لأن السبب الجوهرى فى هزيمة قريش و فرارها فى بداية المعركة كان هو سقوط لوائها بعد

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٧٠

مقتل كل حملة اللواء على يد الامام على عليه السلام، و بالتالى نتيجة للربع الذى القى فى قلوبهم لما رأوا من تساقط صنائدهم الواحد تلو الآخر، الأمر الذى سلبهم القدرة على المقاومة.

(١) إن الكتياب المصرين المعاصرين الذين تناولوا حوادث التاريخ الاسلامى بالتحليل و الدراسة، لم يعطوا عليا عليه السلام- و للأسف- حقه فى هذه الموقعة، أو على الأقل لم يذكروا ما اتفق عليه المؤرخون، و تطابقت فى اثباته التواريخ، بل جعلوا تضحيات الإمام على عليه السلام و مواقفه الشجاعة و العملاقة فى عداد مواقف الآخرين، و فى مستواها.

من هنا ينبغى أن نسلط بعض الضوء على تضحيات ذلك الفدائى الواقعى، و ذلك البطل الشجاع الذى شهدت له ساحات الوغى مواقف لا نظير لها فى العظمة، و السمو.

(٢) ١- يقول ابن الاثير فى تاريخه «١»: كان الذى قتل أصحاب اللواء على - قاله ابو رافع -، (قال) فلما قتلهم أبصر رسول الله صلى الله عليه وآله جماعة من المشركين فقال لعليّ: احمل عليهم، فحمل عليهم ففرّقتهم، و قتل منهم، ثم أبصر جماعة اخرى فقال له: احمل عليهم، فحمل عليهم و فرّقتهم و قتل منهم، فقال جبرئيل: يا رسول الله هذه المواساة، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله إنه منى و أنا منه، فقال جبرئيل: و أنا منكما قال: فسمعوا صوتا: «لا سيف إلّا ذو الفقار و لا فتى إلّا على» «٢».

(٣) و قد شرح ابن أبى الحديد هذه القضية بتفصيل أكثر اذ كتب فى شرحه لنهج البلاغة يقول: لما فرّ معظم أصحاب النبى صلى الله عليه وآله يوم احد كثرت عليه كتائب المشركين و قصدته كتيبة من بنى كنانة، ثم من بنى عبد مناة بن

(١) الكامل: ج ٢ ص ١٠٧.

(٢) و مثله فى تاريخ الطبرى: ج ٢ ص ١٩٧، ميزان الاعتدال: ج ٣ ص ٣٢٤، لسان الميزان: ج ٤ ص ٤٠٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٧١

كنانة فيها بنو سفيان بن عوفيف، و هم خالد بن ثعلب و أبو الشعثاء بن سفيان و أبو الحمراء بن سفيان و غراب بن سفيان، و انها لتقارب خمسين فارسا و هو (أى على عليه السلام) راجل، فما زال يضربها بالسيف تتفرق عنه، ثم تجتمع عليه هكذا مرارا حتى قتل بنى سفيان بن عوفيف الأربعة و تمام العشرة منها ممن لا يعرف اسماءهم.

ثم نقل ما قاله جبرئيل، ثم كتب يقول: قلت و قد روى هذا الخبر جماعة من المحدثين و هو من الاخبار المشهورة و قفت عليه فى بعض نسخ مغازى محمد بن اسحاق و رايت بعضها خاليا عنها، و سألت شيخى عبد الوهاب بن سكينه عن هذا الخبر، فقال: خبر صحيح.

فقلت له: فما بال الصحاح (أى مثل صحيح البخارى و مسلم و ما شاكلهما) لم تشتمل عليه؟

قال: أو كل ما كان صحيحا تشتمل عليه كتب الصحاح؟ كم قد أهمل جامعوا الصحاح من الأخبار الصحيحة؟! «١».

(١) ٢- و لقد اشار الامام على عليه السلام نفسه فى كلام مفصل له مع رأس اليهود إلى هذا الموقف اذ قال:

«ذهب النبى صلى الله عليه وآله و آله و عسكر بأصحابه فى سد احد و اقبل المشركون إلينا فحملوا علينا حملة رجل واحد و استشهد من المسلمين من استشهد، و كان ممن بقى من الهزيمة، و بقيت مع رسول الله صلى الله عليه وآله و مضى المهاجرون و الانصار الى منازلهم من المدينة كلّ يقول قتل النبى صلى الله عليه وآله و آله و قتل أصحابه، ثم ضرب الله عزّ و جلّ وجوه المشركين، و قد جرحت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله نيفا و سبعين جراحه، منها هذه، و هذه».

ثم انه عليه السلام ألقى رداءه، و أمرّ يده على جراحاته، و قال:

«و كان منى فى ذلك ما على الله عزّ و جلّ ثوابه إن شاء الله» «٢».

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج ١٤ ص ٢٥٠ و ٢٥١.

(٢) الخصال: ص ٣٦٨.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٧٢

(١) و قد بلغ على عليه السلام - حسب رواية علل الشرائع - من كثرة ضربه لطوائف المشركين الذين كانوا يحملون على رسول الله صلى الله عليه وآله و آله يوم احد، ان انكسر سيفه، فجاء الى النبى صلى الله عليه وآله و قال: يا رسول الله إن الرجل يقاتل بسلاحه و قد انكسر سيفى، فأعطاه عليه السلام سيفه ذا الفقار فما زال يدفع به عن رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال جبرئيل فى حقه و فى سيفه

ما مرّ (١).

وقد اشار ابن هشام في سيرته إلى العبارة التي نادى بها جبرئيل إذ قال:

وحدثني بعض أهل العلم ان ابن أبي نجیح قال: نادى مناد يوم احد: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا عليّ (٢).

(٢) كما عد ابن هشام في سيرته «٣» القتلى من المشركين في احد (٢٢) رجلا، وقد ذكر أسماءهم واحدا واحدا و ذكر قبائلهم، و غير ذلك من خصوصياتهم، و قد قتل منهم (١٢) رجلا بيد علي عليه السلام، و قتل البقية بأيدي المسلمين، و نحن نعرض هنا عن ذكر اسماء اولئك المقتولين رعايته للاختصار.

هذا و نحن نعترف بأننا لم نستطع بيان كل ما قام به علي عليه السلام من خدمات كبرى في هذه الصفحات القلائل علي نحو ما جاء في كتب الفريقين السنة و الشيعة و بخاصة في موسوعة بحار الأنوار.

إن ما نستفيدة من مطالعة الروايات و الأخبار الثابتة و المتعددة في هذا المجال هو انه لم يثبت أحد في معركة «احد» كما ثبت علي عليه السلام (٤).

(٣) ٢- أبو دجانة، و هو البطل المسلم الثاني بعد الامام علي عليه السلام في الصمود، و التضحية، و البسالة و الفداء دفاعا عن حياة النبي الأكرم صلى الله عليه و آله.

فقد بلغ من حرصه علي حياة النبي صلى الله عليه و آله و دفاعه عنه أن

(١) علل الشرائع: ص ٧، بحار الانوار: ج ٢٠ ص ٧١.

(٢) السيرة النبوية: ج ٢ ص ١٠٠.

(٣) السيرة النبوية: ج ٢ ص ١٢٧ و ١٢٨.

(٤) بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٨٤.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٧٣

جعل من نفسه ترسا يقى النبي صلى الله عليه و آله من سيوف الكفار و رماحهم، و سهامهم و أحجارهم، و قد وقعت سهام كثيرة في ظهره و لكنه ظل مترسا بجسمه دون النبي، و بذلك حافظ علي حياته الشريفة (١).

(١) و قد جاء أن رسول الله صلى الله عليه و آله قال له يوم «احد» بعد ان فرّ و انهزم أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و حاصره الكفار من كل جانب يا أبا دجانة أما ترى قومك، قال: بلى، قال:

«الحق بقومك و أنت في حل من بيعتي، أما عليّ فهو أنا و أنا هو».

فبكى أبو دجانة بكاء مرا و قال:

لا- و الله، لا- جعلت نفسي في حل من بيعتي إني بايعتك، فالي من أنصرف يا رسول الله الى زوجة تموت، أو ولد يموت، أو دار تخرب، أو مال يفنى، أو أجل قد اقترب؟

فرّق له النبي صلى الله عليه و آله فلم يزل يقاتل حتى ائحنته الجراحة و هو في وجه و «عليّ» في وجه، فلما سقط احتمله علي عليه السلام فجاء به إلى النبي صلى الله عليه و آله فوضعه عنده فقال: يا رسول الله أوفيت ببيعتي؟ قال: سيد المرسلين ج ٢ ١٧٣ الدفاع

الموفق أو النصر المجدد: ص : ١٦٩

م (٢).

(٢) و قد ذكر في كتب التاريخ أشخاص آخرون كعاصم بن ثابت، و سهل بن حنيف، و طلحة بن عبيد الله، و غيرهم ممن يبلغ- حسب بعض الكتب- ٣٦ شخصا ادعى أنهم ثبتوا و لم يفروا، إلا أن ما هو مسلم به تاريخيا هو ثبات علي عليه السلام و أبي دجانة، و

حمزة و امرأة تدعى أم عامر، و أما ثبات غير هؤلاء الأربعة فامر مظنون بل و مشكوك في بعضهم.

(٣) ٣- حمزة بن عبد المطلب، عم رسول الله صلى الله عليه وآله و كان من شجعان العرب و من المعروفين ببطولاته في الاسلام، و هو الذي أصرّ على أن

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٨٢.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ١٠٧ و ١٠٨ عن روضة الكافي: ص ٣١٨-٣٢٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٧٤

يخرج المسلمون من المدينة و يقاتلوا قريشا خارجها.

و لقد دأب حمزة على حماية رسول الله صلى الله عليه وآله من أذى المشركين و الوليين في اللحظات الخطيرة، و الظروف القاسية من بدء الدعوة المحمدية بمكة.

و قد ردّ على أبي جهل الذي كان قد أذى رسول الله صلى الله عليه وآله بشدة، و ضربه ضربه شح بها رأسه في جمع من قادة قريش و لم يجرأ احد على مقابله.

(١) لقد كان حمزة مسلما مجاهدا و بطلا فدائيا متفانيا في سبيل الاسلام، فهو الذي قتل «شيبه» و شيبه من كبار صناديد قريش و ابطالها، في بدر كما قتل آخرين، و لم يهدف إلّا نصره الحق، و الفضيلة، و إقرار الحرية في حياة الشعوب و الامم.

و لقد كانت هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان تحقد عليه أشدّ الحقد، و قد عزمت على أن تنتقم من المسلمين لأبيها مهما كلف الثمن. فأمرت «وحشيا» و هو غلام حبشى لجبير بن مطعم الذي قتل هو الآخر عمه في بدر بأن يحقق غرضها، و أملها كيفما استطاع، و قالت له: لئن قتلت محمدا أو عليا أو حمزة لأعطينك رضاك.

فقال وحشى لها: أمّا محمد فلا أقدر عليه، و أما على فوجدته رجلا حذرا كثير الالتفات فلا أطمع فيه، و أما حمزة فاني أطمع فيه لأنه اذا غضب لم يبصر بين يديه.

(٢) يقول وحشى: و لما كان يوم احد كمنت لحمزة في أصل شجرة ليدنونا مني، و كان حمزة يومئذ قد أعلم بريشة نعامة في صدره، فو الله إنى لأنظر إليه يهدّ الناس بسيفه هدا ما يقوم له شيء، فهزرت حربتي - و كان ماهرا في رمي الحراب - حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه، فوقع في ثنته (و هي أسفل البطن) حتى خرجت من بين رجله، و ذهب لينوء نحوى، فغلب، و تركته و اياها حتى مات، ثم أتيت فأخذت حربتي ثم رجعت الى العسكر فقعدت فيه، و لم يكن لى بغيره حاجة، و انما قتلته لأعتق.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٧٥

(١) فلما قدمت الى مكة اعتقت ثم اقامت حتى إذا افتتح رسول الله صلى الله عليه وآله مكة هربت الى الطائف فمكثت بها. فلما خرج وفد الطائف إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ليسلموا تعيت على المذاهب، فقلت: ألحق بالشام أو اليمن، أو ببعض البلاد، فو الله إنى لفى ذلك من همى إذ قال لى رجل: ويحك إنه و الله ما يقتل أحدا من الناس دخل في دينه، و تشهد شهادته.

فلما قال لى ذلك، خرجت حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة، فلم يرعه إلّا بى قائما على رأسه أتشهد بشهادة الحق، فلما رآنى قال: أو حشى؟!

قلت: نعم يا رسول الله.

قال: اقعد فحدّثنى كيف قتلت حمزة، فحدثته بما جرى له معه، فلما فرغت من حديثى قال: ويحك! غيب عنى وجهك فلا أرينك.

(٢) أجل هذه هي الروح النبوية الكبرى، و تلك هي سعة الصدر التي وهبها الله تعالى لنبية صلى الله عليه وآله قائد الاسلام الأعلى، و معلم البشرية الاكبر، تراه عفى عن قاتل عمه، مع أنّه كان في مقدوره أن يعدمه بمائة حجة و حجة!!

يقول وحشى: فكنت أتنبك رسول الله صلى الله عليه وآله حيث كان لثا يرانى، حتى قبضه الله صلى الله عليه وآله. فلما خرج المسلمون الى قتال مسيلمة الكذاب خرجت معهم، وأخذت حربتي التى قتلت بها حمزة، فلما التقى الناس رايت مسيلمة الكذاب قائما فى يده السيف، و ما أعرفه، فتهيأت له، و تهيأت له رجل من الأنصار من الناحية الاخرى، كلانا يريد فهدرت حربتي حتى إذا رضيت منها دفعتها إليه، فوقع فيه، و شد عليه الأنصارى فضربه بالسيف. هذا هو ما ادعاه وحشى، بيد أن هشام قال فى سيرته: بلغنى أن وحشيا لم يزل يحد فى الخمر حتى خلع من الديوان فكان عمر بن الخطاب يقول: قد علمت أن الله تعالى لم يكن ليدع قاتل حمزة «١».

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٧٢ و ٧٣.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٧٦

(١)

٤- أمّ عماره:

لا- ريب أن الجهاد الابتدائى مرفوع عن المرأة ساقط عنها فى نظر الاسلام، و لهذا عند ما أوفدت نساء المدينة امرأة الى رسول الله صلى الله عليه وآله لتتحدث معه حول الحرمان من هذه العبادة الكبرى، فجاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وقالت: يا رسول الله نحن نقوم بكل ما يحتاج إليه الرجال فى حياتهم، ليجاهدوا ببال فارغ، فلم حرمانا نحن من هذه الفضيلة؟! فأجابها رسول الله صلى الله عليه وآله قائلاً: «إن حسن التبعل يعدل ذلك كله»، و هو صلى الله عليه وآله يشير إلى أن لهذا المنع أسبابه الطبيعية و الوظيفية فى طبيعة المرأة و خلقتها، و ليس هو بالتالى يعنى حرمانها من شىء فان قيامها على الوجه الصحيح بخدمة زوجها و تربية أولادها تعدل الجهاد فى سبيل الله «١».

(٢) بيد أن بعض النسوة المجربيات ربما كن يخرجن من المدينة لمساعدة جنود الاسلام كسقى العطاشى، و غسل ثياب المقاتلين، و تضييد الجرحى. و بذلك كنّ يقدمن خدمة مؤثرة فى نصره المسلمين و دعمهم.

تقول أمّ عماره (نسيبة المازنية): خرجت أول النهار الى «احد» و أنا أنظر ما يصنع الناس، و معى سقاء فيه ماء، فانتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وآله و هو فى الصحابة، و الدولة و الريح للمسلمين.

فلما انهزم المسلمون انحزت الى رسول الله صلى الله عليه وآله فجعلت أباشر القتال و أذب عن رسول الله صلى الله عليه وآله بالسيف، و أرمى بالقوس حتى خلصت إلى الجراح.

(تقول راوية هذا الكلام) فرأيت على عاتقها جرحاً أجوف له غور، فقلت:

يا أمّ عماره من أصابك بهذا؟.

(٣) قالت: أقبل ابن قميئه و قد ولّى الناس عن رسول الله، يصيح: دلونى على

(١) اسد الغابة: ج ٥ ص ٣٩٨.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٧٧

محمد، لا نجوت إن نجا. فاعترض له مصعب بن عمير و ناس معه، فكنت فيهم فضربنى هذه الضربة، و لقد ضربته على ذاك ضربات، و لكنّ عدوّ الله كان عليه درعان. هذا و النبى صلى الله عليه وآله ينظر إلى، فنظر الى جرح على عاتقى، فصاح بأحد اولادى و قال: «أمك أمك اعصب جرحها». فعاوننى عليه.

(١) ثم إنها رأت أن ابنها جرح فاقبلت إليه و معها عصائب في حقويها قد أعدتها للجراح فربطت جرحه و النبي صلى الله عليه وآله ينظر، ثم قالت لولدها: انهض يا بني فضارب القوم.

فأعجب رسول الله صلى الله عليه وآله باستقامتها و ثباتها و ايمانها و قال:

«و من يطيق ما تطيقين يا أم عماره؟!»

و في الأثناء اقبل الرجل الذي ضرب ولدها فقال رسول الله صلى الله عليه وآله هذا ضارب ابنك فاعترضت له، و حملت عليه كالأسد المغضب و ضربت ساقه فبرك.

فازداد رسول الله صلى الله عليه وآله إعجابا بشجاعته و تبسم حتى بدت نواجذه و قال:

«استقدت يا أم عماره الحمد لله الذي ظفرك و أقر عينك من عدوك».

(٢) و عند ما نادى منادى منادى النبي صلى الله عليه وآله إلى حمراء الأسد، بعد معركة احد، و طلب من الجرحى أن يخرجوا لملاحقه جيش المشركين، شدت عليها ثيابها و قد كان بها جراح عديده أعظمها الجرح الذي على عاتقها فما استطاعت بسبب نزف الدم، فأرادت أن تخرج مع العسكر منعته جراحها الباهضة من ذلك، فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وآله من غزوة حمراء الاسد ما وصل إلى بيته حتى أرسل إليها عبد الله بن كعب المازني يسأل عنها فرجع إليه يخبره بسلامتها، فسر النبي بذلك.

(٣) و لقد أثار موقف هذه المرأة البطلة الثابتة على درب الايمان سرور النبي و اعجابه فقال في حقها مشيدا بموقفها البطل و معرضا بفرار من فتر و هروب من هرب في معركة احد:

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٧٨

«لمقام نسيبه بنت كعب اليوم خير من فلان و فلان».

و كانت نسيبه قد طلبت من النبي صلى الله عليه وآله يوم احد بعد أن أشاد النبي صلى الله عليه وآله بصلابتها و مواقفها أن يدعو لها بمرافقة في الجنة فقال النبي صلى الله عليه وآله داعيا لها و لأهل بيتها:

«بارك الله عليكم من أهل بيت رحمكم الله. اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة».

(١) و قال ابن أبي الحديد معلقا على عبارة رسول الله صلى الله عليه وآله: «لمقام نسيبه اليوم خير من مقام فلان و فلان» قلت: ليت الراوي لم يكن هذا الكناية، و كان يذكر من هما بأسمائهما حتى لا يرمى الظنون إلى امور مشتبهه، و من أمانة الحديث أن يذكر الحديث على وجهه و لا يكتف منه شيئا فما باله كتم اسم هذين الرجلين «١».

و لكننا نعتقد أن الرجلين هما من الشخصيات التي تسنمت مراكز القيادة العليا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله و قد أحجم الراوي عن التصريح بأسمائهما إما احتراما أو تقيها و خوفا.

(٢)

بقية واقعة «احد»:

لقد آلت توضيحات ثلة قليلة و معدودة من رجال الاسلام المتفانين و بسالتهم الى الابقاء على حياة رسول الله صلى الله عليه وآله و حفظها من الخطر القطعي الحتمي.

و من حسن الحظ أن أكثر أفراد العدو قد تصوروا يومئذ أن النبي صلى الله عليه وآله قد قتل، و مضوا يفتشون عن جسده بين القتلى، و دفعت الحملات التي كان يقوم بها أقلية من المشركين على رسول الله صلى الله عليه وآله قد ردت على

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد: ج ١٤ ص ٢٦٥-٢٦٧، المغازي: ج ١ ص ٢٦٩ و ٢٧٠، بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ١٣٤.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٧٩

اعقابها بفضل ثبات على عليه السلام و أبى دجانة و أنفار آخرين (احتمالا) و قد رأى النبي صلى الله عليه و آله أن من الصالح فى تلك اللحظات أن لا ينتشر تكذيب شائعة مقتل النبي صلى الله عليه و آله لكى لا يصير العدو على البقاء فى أرض المعركة مع ما كان عليه المسلمون من التشتت و التفرق، و المحنة، و من هنا صعد هو و بعض أصحابه إلى الشعب فى جبل احد.

(١) و فى خلال ذلك سقط رسول الله صلى الله عليه و آله فى حفيرة فى الجبل حفرها أبو عمار الفاسق للمسلمين، فأخذ على عليه السلام بيد النبي صلى الله عليه و آله و أخرجه منها، و كان أول من عرف رسول الله صلى الله عليه و آله من المسلمين، «كعب بن مالك» و قد رأى عينه صلى الله عليه و آله تزهقان من تحت المغفر فنادى بأعلى صوته: يا معشر المسلمين، أبشروا هذا رسول الله صلى الله عليه و آله فأشار إليه رسول الله صلى الله عليه و آله أن أنصت.

و ذلك لأن انتشار خبر سلامة النبي صلى الله عليه و آله كان من شأنه أن يدفع المشركين - كما قلنا- الى مواصلة حملاتهم على المسلمين، بهدف استئصال شأفتهم و لهذا أمر النبي صلى الله عليه و آله كعبا بالسكوت، فسكت كعب.

و أخيرا وصل رسول الله صلى الله عليه و آله الى فم الشعب، و لما عرف المسلمون بحياته صلى الله عليه و آله سروا بذلك و أخذوا يتجمعون عنده، و هم يظهرون الندامة من تركه بين الاعداء، و الفرار بأنفسهم الى الجبل، و أخرج أبو عبيدة الجراح حلقتى المغفر من وجه رسول الله صلى الله عليه و آله و جاء على عليه السلام بماء فى درقته فغسل رسول الله صلى الله عليه و آله به الدم عن وجهه و صب منه على رأسه و قال:

«اشتد غضب الله على من دمى وجه نبيه» (١).

(٢)

العدو يحاول استغلال الفرصة:

فى الوقت الذى واجه المسلمون فيه هزيمة كبرى انهارت بها الكثير من

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٨٣.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٨٠

المعنويات اغتتم العدو الفرصة للترويج عن معتقداته، فأطلق شعارات متعددة ضد عقيدة التوحيد، كان من شأنها أن تغرى البسطاء، و الضعفاء فى الايمان و تؤثر فيهم، و تزلزل إيمانهم. فليست هناك حالة لبث العقائد و تسريبها إلى النفوس أفضل من حالة الانهزام و النكسة، و البلاء و المصيبة، ففى حالة كهذه يبلغ الضعف النفسى لدى المصاب و المنكوب حدًا يفقد معه العقل سيطرته على الانسان بحيث يفقد على أثر ذلك قدرة التمييز بين الحق و الباطل و فى هذه الصورة تصبح مسألة بث الدعايات السيئة و زرعها فى النفوس و استثمارها مسألة بسيطة، اذ يكون الانسان فى هذه الحالة أكثر تقبلا و أيسر قبولا.

من هنا عمد أبو سفيان و عكرمة فرعا أصناما كبيرة على الايدى بعد الحاق الهزيمة بالمسلمين، و أظهروا الفرح و السرور و أخذوا ينادون بأعلى أصواتهم - مستغلين هذه الفرصة - : «اعل هبل، اعل هبل»!!

(١) و يعنون بذلك الشعار أن الانتصار الذى أحرزه المشركون إنما هو بفضل الصنم: هبل، و بالتالى بفضل الوثنية التى تدين بها أهل مكة. و لو كان ثمة إله سواه، و كانت عقيدة التوحيد على حق لانتصر المسلمون، و لما خلاص إليهم من المحنة ما خلاص

فادرك رسول الله صلى الله عليه و آله عمق الخطر الذى يكمن فى الاسلوب الذى أخذ العدو يمارسه فى مثل هذه اللحظة الحساسة، و ما ستركه ذلك من أثر سيئ فى النفوس، و بخاصة الضعيفة منها. و لهذا تناسى كل أوجاعه و مصاعبه و أمر علينا و المسلمين فوراً

بأن يجيبوا منادى الشرك بشعار مضاد قوى، فقال:

قولوا:

«الله أعلى وأجل، الله أعلى وأجل».

أى أن هذه الهزيمة ليست نابعة من عقيدة التوحيد، بل هي ناشئة من انحراف بعض الجنود عن أوامر القائد و تعليماته العسكرية الحكيمة.

و بيد أن أبا سفيان لم يكف عن اطلاق شعاراته، و المضى في الدعاية لمعتقد الباطل فقال: نحن لنا العزى و لا عزى لكم!!

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٨١

(١) فأمر النبي صلى الله عليه وآله بأن ينادى المسلمون بشعار مضاد لشعار أبى سفيان، مشابه له فى الوزن و السجع فقال: قولوا: «الله مولانا و لا مولى لكم».

أى اذا كنتم تعتمدون على صنم مصنوع من الحجر و الخشب، فاننا نعتد على الله الخالق، القادر و العلى الاعلى.

فنادى منادى الشرك ثالثا: يوم بيوم بدر. فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله بان يجيبه المسلمون.

«لا سواء قتالنا فى الجنة، و قتالكم فى النار».

فكان لشعارات المسلمين القوية الرادعة التى كان يرددها المئات، أثرها العجيب فى نفس رأس الشرك أبى سفيان الذى بدأ هذه الحملة النفسية و الحرب الباردة بغية تحطيم ايمان المسلمين، و رأى كيف ارتد كيده إلى نحره و لهذا انزعج بشدة و قال: ألا إن موعدكم بدر للعام القابل.

ثم انصرف إلى أصحابه، و غادروا جميعا أرض المعركة راجعين إلى مكة «١».

و كان على المسلمين الآن- و فيهم مئات الجرحى و المصابين و سبعون قتيلًا- أن يصلوا الظهر و العصر فصلى بهم رسول الله صلى الله عليه وآله معه جلوسا، و صلوا معه جلوسا، لما أصابهم من الضعف، ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وآله بدفن الشهداء، و مواراتهم الثرى عند جبل احد.

(٢)

نهاية المعركة:

وضعت الحرب أوزارها، و تباعد الجانبان، و قد تحمّل المسلمون من الخسائر فى الارواح ثلاثة أضعاف ما تحمّله المشركون. و كان عليهم أن يبادروا إلى دفن الشهداء على النحو الذى أمرهم به الدين. و لكنهم فوجئوا بأمر فضيع، فقد اغتنمت نسوة من قريش و فى طبيعتهن هند

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٩٤.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٨٢

زوجه ابى سفيان فرصة انشغال المقاتلين المسلمين و ارتكبن بحق الشهداء الابرار، جنائى فظيعة لم يعرف لها تاريخ البشرية مثيلا، فهن لم يكتفين بالانتصار الظاهرى بل عمدن إلى التمثيل بشهداء المسلمين، تمثيلا مروعا فخمشن وجوههم، و قطعن الأنوف، و جدعن الاذان، و سملن العيون، و قطعن أصابع الأيدي و الأرجل، و المذاكير، و صنعن منها القلائد و الاساور، نكايه بالمسلمين، و اطفاء للحقد الدفين، و بذلك الحقن بهنّ و بأولياهنّ عارا لا ينسى.

(١) فان جميع الامم و الشعوب- متفقه على أن الميت الذى لا يستطيع دفاعا عن نفسه، و لا يتوقع منه ضرر يجب احترامه، و يحرم

اهانته و ان كان عدوا. و لكن هنداً زوجةً أبى سفيان و من كان برفقتها من نساء المشركين مثلاً بأجساد القتلى شر تمثيل، و صنعن مما قَطَّعن منها الاساور و القلائد، و بقرت «هند» بالذات صدر حمزة بطل الاسلام الفدائى، و أخرجت كبده، و لاكته بين أسنانها و لكنها لفظته و لم تستطع أكله.

و قد بلغ هذا العمل من القبح، و السوء أن تبرأ منه أبو سفيان و قال: «فى قتلاكم مثله لم أمر بها» (١).

و قد عرفت هند بسبب فعلتها الشنيعة هذه بأكله الاكباد، و دعى أبنائها فى ما بعد بنى آكلة الاكباد.

و لما أبصر رسول الله صلى الله عليه وآله حمزة بن عبد المطلب، ببطن الوادى و قد بقر بطنه عن كبده، و مثل به فجذع أنفه و اذناه، حزن حزناً شديداً و غاضه تمثيلهم به فقال:

«ما وقفت موقفاً قط أغيظ إلى من هذا!».

(٢) ثم إن المؤرخين يتفقون على أن المسلمين تعاهدوا فى ذلك الموقف (و ربما نسب هذا إلى النبى نفسه) لئن أظفرهم الله بالمشركين يوماً أن يمثلوا بهم مثله لم يمثلها أحد من العرب أو يمثلوا بدل الواحد ثلاثين.

(١) السيرة الحلبية: ج ٢ ص ٢٤٤.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٨٣

و لم يمض زمان حتى نزل جبرئيل بقوله تعالى:

«وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ» (١).

(١) و لقد كشف الاسلام مرةً اخرى و من خلال هذه الآية- التى تتضمن أصلاً اسلامياً فى مجال القضاء مسلماً به- عن وجهه الانسانى العاطفى، و أظهر للجميع بأن الدين الاسلامى ليس شريعة انتقام، و ثار، فهو يعلم أتباعه بأن لا يغفلوا فى أشد اللحظات و الحالات النفسية هياجاً و غضباً عن قانون العدالة، و الحق، و بهذا يكون الاسلام قد راعى مبادئ العدالة و الانصاف على الدوام، و صانها من الانهيار، و السقوط.

و لقد أصرت صفية أخت حمزة أن ترى جثمان أخيها، إلا أن النبى صلى الله عليه وآله أمر ابنها الزبير أن يحبسها و يصرفها عن ذلك لكى لا ترى ما بأخيها فلا تحتلم الصدمة.

فقلت صفية: قد بلغنى أن قد مثل بأخى و ذلك فى الله، فما أرضانا بما كان من ذلك! لاحتسبن و لأصبرن إن شاء الله.

فأخبر الزبير رسول الله صلى الله عليه وآله و آله بمقالتها فقال صلى الله عليه وآله: خل سبيلها، فأتته، فنظرت إليه فصلت عليه، و استرجعت، و استغفرت له، ثم أمر به رسول الله صلى الله عليه وآله فدفن (٢).

(٢) حقا أن قوة الإيمان أعظم القوى، فهى تحبس الانسان و تحفظه فى أصعب الحالات، و تفيض على صاحبه حالة من السكينة و الوقار.

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله و آله صلى على شهداء أحد الأبرار، و أمر بدفنهم واحداً واحداً أو اثنين اثنين، و أمر بأن يدفن «عمرو بن الجموح» و «عبد الله بن عمرو» فى قبر واحد.

(١) النحل: ١٢٦.

(٢) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٩٧.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٨٤

قائلاً:

«ادفنوا هذين المتحابين في قبر واحد» (١).

(١)

آخر ما نطق به سعد بن الربيع:

كان سعد بن الربيع من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله الأوفياء، وكان رجلاً مؤمناً مخلصاً، عظيم الوفاء وحب رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد أصيب في «احد» اثنتا عشرة إصابة قاضية فسقط على الأرض.

فمرّ عليه رجل يدعى مالك بن الدخشم فقال له: أما علمت أن محمداً قد قتل؟ فقال سعد: أشهد أن محمداً قد بلغ رسالته ربه، فقاتل أنت عن دينك فان الله حي لا يموت (٢).

ثم إنه قد مرّ عليه رجل من الانصار وهو في هذه الحال وبعد أن وضعت الحرب أوزارها فقال لسعد: إن رسول الله صلى الله عليه وآله أمرني أن أنظر أفي الأحياء أنت أم في الأموات؟ فقال سعد: أنا في الأموات فابلق رسول الله صلى الله عليه وآله عني السلام، وقل له: إن سعد بن الربيع يقول لك جزاك الله عنا خيراً ما جرى نبيا عن امته وأبلغ قومك عني السلام، وقل لهم: إن سعد بن الربيع يقول لكم: إنه لا عذر لكم عند الله إن خلت الي نبيكم صلى الله عليه وآله ومنكم عين تطرف.

ثم لم يبرح ذلك الانصاري حتى قضى سعد بن الربيع نجه، فجاء الأنصاري الى رسول الله صلى الله عليه وآله وأخبره بما قال. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«رحم الله سعدا نصرنا حيا و اوصى بنا ميتا» (٣).

(٢) إن حب الانسان لنفسه، أو ما يصطلح عليه العلماء بحب الذات من الغرائز

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٩٨، بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ١٣١.

(٢) و (٣) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٩٥، بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ١٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٨٥

القوية المتأصلة في كيان الانسان بحيث لا يمكن لأي أحد أن يغفل عنها مهما كانت الظروف و هي بالتالي من القوة و الهيمنة على وجود الانسان بحيث يضحى في سبيلها بكل شيء.

ولكن قوة الايمان و حب الانسان للعقيدة، و تعشقه للمعنويات أقوى و أشد تأثيراً من ذلك، فهذا الجندى الشجاع لم يكن بين - حسب ما تفيده النصوص التاريخية - و بين الموت في ذلك الوقت سوى لحظات، و مع ذلك نجده ينسى نفسه، و يفكر في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله الذي كان يعتبره أقوى سبب لبقاء الدين، و دوام الشريعة، و هذا هو الهدف المقدس الذي قاتل من أجله سعد البطل، و لهذا لا يحمل ذلك الرجل الأنصاري سوى رسالة واحدة إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يحثهم فيها على السهر على حياة النبي صلى الله عليه وآله و العمل معه على تحقيق أهدافه، في ارساء دعائم التوحيد.

(١)

النبي يعود الى المدينة:

كانت الشمس تميل نحو المغرب و كانت تستعد للملئة أشعتها الذهبية من صفحة الكون، و كان السكون و الصمت يخيم على كل مكان من الأرض.

في مثل هذه اللحظات كان على المسلمين المقاتلين أن يعودوا بجراحهم الى منازلهم في المدينة ليستعيدوا قواهم، و يجددوا نشاطهم،

و يضمّدوا جرحاهم.

ولهذا صدرت أوامر من جانب النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بالتوجه نحو المدينة.

فلما كانوا بأصل الحرّة قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: اصطفوا فثنى على الله، فاصطف الرجال صفيين خلفهم النساء ثم دعا فقال:

اللّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ، اللّهُمَّ لَا- قَابِضَ لِمَا بَسَطْتَ، وَلَا بَاسِطَ لِمَا قَبَضْتَ، وَلَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ وَلَا مُعْطَى لِمَا مَنَعْتَ وَلَا هَادِيَ لِمَنْ أَضَلَلْتَ وَلَا مُضِلَّ لِمَنْ هَدَيْتَ، وَلَا مُقَرَّبَ بَاعَدْتَ وَلَا مُبَاعَدَ لِمَا قَرَّبْتَ.

اللّهُمَّ أَنْتَ أَسْأَلُكَ مِنْ بَرَكَتِكَ، وَرَحْمَتِكَ وَفَضْلِكَ وَعَافِيَتِكَ.

اللّهُمَّ أَنْتَ أَسْأَلُكَ النِّعِيمَ الْمُقِيمَ الَّذِي لَا يَحُولُ وَلَا يَزُولُ.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٨٦

اللّهُمَّ أَنْتَ أَسْأَلُكَ الْأَمْنَ يَوْمَ الْخَوْفِ وَالْغَنَى يَوْمَ الْفَاقَةِ عَائِذَا بِكَ.

اللّهُمَّ مِنْ شَرِّ مَا أَنْطَيْتَنَا وَشَرِّ مَا مَنَعْتَ مِنَّا.

اللّهُمَّ تَوْفِنَا مُسْلِمِينَ.

اللّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ، وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا، وَكِرِّهِ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ.

اللّهُمَّ عَذِّبْ كُفْرَةَ أَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ رَسُولَكَ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِكَ.

اللّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْهِمْ رَجْسَكَ وَعَذَابَكَ إِلَهَ الْحَقِّ. آمِينَ «١».

وقد كان هذا العمل خطوة مهمة جدا من الناحية النفسية فقد أمدّ هذا الدعاء نفوس المسلمين المصابين بطاقة روحية ضخمة مما كان من شأنه تخفيف وطأة الهزيمة وتقوية عزائم المسلمين، كما علمهم أن يلجئوا إلى الله تعالى في كلّ حال.

فدخل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ومعهم أصحابه من الانصار والمهاجرين الذين شاركوا في تلك المعركة المدينة.

و كانت أكثر بيوت المدينة قد تحوّلت الى مناجات و مآتم، يرتفع منها أصوات بكاء الامهات و الازواج و البنات اللاتي أصبن في رجلهنّ و أوليائهنّ، و آبائهنّ.

(١) و لما مرّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ على منازل بني عبد الاشهل و سمع ندبة النساء، و بكاءهنّ حزن و انحدرت دموعه على خديه و قال:

«لَكِنَّ حَمْرَةَ لَا بَوَاكِي لَهَا» «٢».

فلما عرف سعد بن معاذ و اسيد بن حضير بذلك أمرا جماعة من نسائهم بأن يذهبن فيبكين على عمّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

فلما سمع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بكاءهنّ على حمزة خرج عليهنّ و هنّ على باب مسجده يبكين عليه فقال:

(١) امتاع الاسماع: ج ١ ص ١٦٢ و ١٦٣.

(٢) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٩٩.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٨٧

«ارجعن يرحمك الله فقد آسيتن بأنفسكن».

وقيل لما سمع صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بكاءهنّ قال:

«رحم الله الأنصار، فإنّ المواساة منهم ما علمت لقديمة .. مروهنّ فلينصرفن» «١».

(١)

إن للنسوة المؤمنات صفحات مشرقة، و عجيبة في تاريخ الاسلام، لأننا قلما نجد لها نظيرا في عالم المرأة اليوم. و من تلك النسوة المؤمنات ذوات المواقف الرائعة و العجيبة في صدر الاسلام المرأة الدينارية، التي اصيب زوجها و أخوها و أبوها مع رسول الله صلى الله عليه وآله باحد. فأنها لما نعو لها مصرع رجالها قالت: فما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قالوا: خيرا يا أم فلان، هو بحمد الله كما تحبين. قالت: أرونيه حتى أنظر إليه؟ فاشير لها إليه حتى إذا رآته قالت: كل مصيبة بعدك جليل (اي صغيرة) (٢). ما أعظم تلك الاستقامة، و ما أعظم ذلك الايمان الذي يجعل من الانسان طودا راسخا ثابتا في وجه العواصف و الاعاصير. (٢)

نموذج آخر من النسوة المجاهدات:

لقد أشرنا في الصفحات الماضية بصورة إجمالية إلى قضية «عمرو بن الجموح» الذي آلى على نفسه أن يشارك في الجهاد مع ما كان به من العرج

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٩٩، امتاع الاسماع: ج ١ ص ١٦٣ و ١٦٤.

(٢) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٩٩.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٨٨

الموجب لسقوط الجهاد كما عرفت.

فقد شارك هذا المسلم الصادق و المؤمن المجاهد في معركة احد، و مضى يقاتل في الصف الاول من المجاهدين، و شارك ابنه «خلاد بن عمرو بن الجموح» و أخو زوجته «عبد الله بن عمرو» «١» في هذا الجهاد المقدس، و استشهدوا جميعا في تلك المعركة أيضا.

(١) فخرجت «هند» زوجته و هي بنت عمرو بن حزام، عمه جابر بن عبد الله الأنصاري الي «احد» و حملت أجسادهم على بعير و توجهت بها نحو المدينة، بمنتهى الجلادة، و رباطة الجأشى.

و عند ما فشى في المدينة أن رسول الله صلى الله عليه وآله قتل باحد خرجت النسوة، يتأكدن من هذا النبأ، فالتقت هند ببعض نساء النبي صلى الله عليه وآله و هي عائدة من احد- فسألنهن عن النبي صلى الله عليه وآله فقالت: خيرا، أما رسول الله فصالح، و كل مصيبة بعده جليل، و اتخذ الله من المؤمنين شهداء، و قرأت قول الله تعالى: «وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا...!!»

(٢) فسألوا: من هؤلاء؟

قالت: أختي، و ابني خلاد، و زوجي عمرو بن الجموح!!

فقلن لها: فأين تذهبين بهم؟

قالت: إلى المدينة اقبهم بها .. ثم زجرت بعيرها تحته على السير قائلة:

حل .. حل في نبرة صامدة.

و مرة اخرى يظهر في هذه الصفحة الناصعة من تاريخ الاسلام نموذج حي آخر من مشاهد الثبات و الصمود، و الاستقامة، و تجاوز

المصائب، و تحمّل الآلام و الشدائد فى سبيل الهدف المقدّس، و كلّ ذلك من فعل الايمان، و نتائجه. إن المذاهب المادية لا و لن تستطيع تربية أمثال هذه النسوة و الرجال المتفانين فى سبيل العقيدة، بمثل هذا التفانى العظيم.

(١) و هو عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام الأنصارى.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٨٩

على أن هؤلاء لم يقاتلوا من أجل المآرب المادية، و انما قاتلوا من أجل الهدف، و هو إعلاء كلمة الدين و اقامة صرح التوحيد، و محو الوثنية و الشرك.

(١) هذا و فى بقية هذه القصة ما هو أعجب من اولها، و هو أمر، لا يمكن أن يدرك بالمقاييس المادية، و الأسس التى ينطلق منها أصحاب الاتجاه المادى فى تحليل القضايا التاريخية. و انما يهضمها- فقط- من يؤمن بعالم آخر وراء العالم المادى الصرف، و يصدّق بتأثيره فى هذا العالم، و بالتالى لا يقبل بها إلّا من يصدّق بقضية الإعجاز و المعجزة، و يذعن لها و يعترف بصحتها من غير تلكؤ و ابطاء.

و إليك هذه البقية:

لما زجرت هند بعيرها لتدخل به المدينة برك البعير فى مكانه.

فقلت النسوة التى كنّ هناك: لعلّه برك لما عليه.

فقلت هند: ما ذاك به، لربما حمل ما يحمل البعيران، و لكنتى أراه لغير ذلك.

فزجرته ثانية، فقام، فلما وجّهت به إلى المدينة برك، فوجهته راجعاً الى احد فاسرع.

فرجعت إلى النبىّ صلى الله عليه و آله فأخبرته بذلك، فقال رسول الله صلى الله عليه و آله: فإنّ الجمل مأمور. هل قال (يعنى: عمرو

بن الجموح) شيئاً؟

(٢) قالت: إنّ عمرا لما وجّه إلى احد استقبال القبلة، و قال: اللهم لا تردنى إلى أهلى خزياء، و ارزقنى الشهادة!!

قال رسول الله صلى الله عليه و آله: «فلذلك الجمل لا يمضى. إنّ منكم يا معشر الأنصار من لو أقسم على الله لأبره، منهم عمرو بن الجموح، يا هند ما زالت الملائكة مظلّة على أخيك من لدن قتل إلى الساعة ينظرون أين يدفن»، ثم مكث رسول الله صلى الله عليه و آله حتى قبرهم، ثم قال: «يا هند قد ترافقوا فى الجنة جميعاً، عمرو بن الجموح، و ابنك خلاد، و أخوك عبد الله».

قالت هند: يا رسول الله فادع لى عسى أن يجعلنى معهم «١».

(١) امتاع الاسماع: ج ١ ص ١٤٦-١٤٨.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٩٠

(١) ثمّ إنّ رسول الله صلى الله عليه و آله دخل بيته فلما أبصرت به بنته العزيزة «فاطمة» و رأت ما أصابه من الجراح ذرفت عيناها بالدموع، فأعطى رسول الله سيفه لابنته (الزهاء) حتى تغسله.

و قال الاربلى المؤرخ الشيعى المعروف الذى كان يعيش فى القرن السابع الهجرى: كان على يجىء بالماء فى ترسه، و فاطمة تغسل الدم و أخذ حصيراً فاحرقه وحشى به جرحه «١».

و فى الامتاع لما رأت فاطمة الدم لا يرقأ- و هى تغسله و على يصب الماء عليها بالمجرّ- أخذت قطعة حصير فأحرقته حتى صار رمادا ثم الصقته بالجرح فاستمسك الدم و يقال: داوته بصوفة محترقة «٢».

(٢)

لابد من ملاحقة العدو:

لقد كانت الليلة التي استقرّ فيها المسلمون في منازلهم بالمدينة بعد يوم احد ليلةً جدًّا خطيرةً و حساسةً. فالمنافقون و اليهود و أتباع عبد الله بن أبي قد سزوا لما أصاب رسول الله صلى الله عليه وآله و أصحابه سرورا كبيرا، و أظهروا القول السيئ، و قالوا: ما اصيب نبي هكذا قط. و كان أنين الجرحى و المكولمين و بكاء الموتورين في رجالهم و نياحهم يسمع من أكثر بيوت المدينة. و الأخطر من كل هذا هو التخوف من أن يقوم المنافقون و اليهود بعملية خيانية ضد الاسلام و المسلمين في تلك الظروف. أو أن يعرضوا وضع العاصمة الاسلامية الثابت، و الوحدة السياسية القائمة في المدينة للخطر بايجاد الاختلاف و التشتت على الاقل. إن ضرر الاختلافات الداخليّة أشد بكثير من حملات العدو الخارجي، و ان

(١) كشف الغمّة: ج ١ ص ١٨٩.

(٢) امتاع الاسماع: ج ١ ص ١٣٧ و ١٣٨.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٩١

انهيار الوحدة و الانسجام في الجبهة الداخليّة أخطر بكثير من تعرّض البلاد لهجوم من الخارج. (١) من هنا كان يتعيّن على النبي صلى الله عليه وآله أن يهرب العدو الداخلي، و يفهمه بأن قوى التوحيد لم تفقد انسجامها و تماسكها و ان أيّة خطوة أو نشاط معاد يهدّد أساس الاسلام للخطر سيسحق بشدة في اللحظة الأولى. و لهذا أمر رسول الله صلى الله عليه وآله بأن يخرج في نفس الليلة لملاحقة العدو (أى مشركى مكة). فكلف النبي صلى الله عليه وآله رجلا بأن ينادى في كل مناطق المدينة: «ألا عصابة تشدّد لأمر الله تطلب عدوّها، فأنها أنكأ للعدوّ و أبعد للسمع. ألا لا يخرجن معنا إلا من حضر يومنا بالامس».

أو قال: «يا معشر المهاجرين و الأنصار من كانت به جراحة فليخرج، و من لم يكن به جراحة فليقم».

و انما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله كما أسلفنا ليرهب العدو و ليبلغهم أنه خارج في طلبهم فيظنوا به قوّة، و أن الذى أصابهم لم يوهنهم عن عدوّهم (١).

(٢) على أن لهذا التقييد، و لهذا النهى عن خروج غير الجرحى، أو من لم يشترك في احد، عللا- أو حكما لا- تخفى على العارفين بالسياسة، و الرموز العسكريّة. و يمكن الاشارة الى بعضها:

(٣) أولا: إنّ هذا التحديد، و بالتالى الاقتصار على من شارك في معركة احد هو نوع من التعريض بمن امتنع من المشاركة في تلك المعركة، و في الحقيقة هو نوع من تجريدهم من صلاحية المشاركة في الدفاع المقدّس.

(٤) ثانيا: إنّ هذا التحديد هو نوع من عقاب المشاركين في معركة احد، لأنهم بتجاهلهم لتعاليم القيادة، و انصرافهم بسرعة الى المطامع المادية، و الغفلة عن ملاحقة العدو في حينه تسببوا في توجيه تلكم الضربة النكراء الى الاسلام،

(١) مجمع البيان للطبرسى: ج ٢ ص ٥٣٥-٥٤١.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٩٢

ولذلك يجب عليهم انفسهم ملافاة تلك الخسارة، و ترميم ذلك العطب، لكيلا يعودوا إلى مثل ذلك، و لا يتجاهلوا أوامر القيادة، و نحن نعلم أن الانضباطية و التقيد الكامل بالأوامر هو أهم عنصر في نجاح الامور العسكرية «١».

بلغ نداء مؤذن النبي صلى الله عليه و آله مسامع شاب من بنى الاشهل كان قد شهد احدا مع رسول الله، فخرج هو و أخوه و هما جريحان مع رسول الله لطلب العدو، و قد قال أحدهما للآخر: أتفوتنا غزوة مع رسول الله.

و قد خرجا دون أن تكون لهما دابة يركبانهما و كلاهما مصابان بجروح ثقيلة، فكان الأيسر منهما يحمل الآخر مسافة، فاذا تعب مشيا مسافة، ثم عاد الى حمله حتى انتهى الى ما انتهى إليه المسلمون «٢».

(١)

حمراء الأسد «٣»:

خرج رسول الله صلى الله عليه و آله بأصحابه الى حمراء الاسد (و هي تبعد عن المدينة بثمانية أميال) و قد استخلف على المدينة «ابن أم مكتوم».

و هناك مرّ به «معبد بن أبي معبد الخزاعي» رئيس بنى خزاعة، و كانت خزاعة مسلمهم و مشركهم يومذاك ذات علاقات طيبة جدا مع رسول الله صلى الله عليه و آله و المسلمين و كانوا لا يخفون عن النبي شيئا.

فتقدم معبد رئيسهم و عزى رسول الله صلى الله عليه و آله بما أصابه، و هو يومئذ مشرك قائلا: يا محمد أما و الله لقد عزّ علينا ما أصابك، و لوددنا أن الله عافاك فيهم.

ثم خرج معبد حتى لقي أبا سفيان و من معه بمنطقه تدعى بالروحاء و قد

(١) كلا- هذين الوجهين يستقيمان إذا قلنا بان النبي خرج بكل من شارك في احد لا أنه اقتصر على الجرحى، كما تصرح به بعض النصوص التاريخية.

(٢) امتاع الاسماع: ج ١ ص ١٦٨، السيرة النبوية: ج ٢ ص ١٠١.

(٣) لقد عدّ البعض خروج رسول الله صلى الله عليه و آله الى حمراء الاسد لملاحقة العدو غزوة مستقلة، و ذكرها البعض الآخر في ذيل معركة احد.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٩٣

عزموا على الرجوع الى رسول الله صلى الله عليه و آله و أصحابه للكرة عليهم، و استئصالهم، و القضاء عليهم بالمرّة.

فلما رأى أبو سفيان معبدا (و كان معبد قد استهدف من خروجه الى أبي سفيان و جماعة المشركين القيام بخدمة لصالح النبي صلى الله عليه و آله و أصحابه) قال: ما وراءك يا معبد، و ما ذا عندك من الاخبار؟

(١) فقال معبد:- و هو يريد إرعاب قريش و صرفهم عن الرجوع الى المدينة- محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم ار مثله قط، يتحرّقون عليكم تحرقا قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم، و ندموا على ما صنعوا، فيهم من الحق و شدة الغيظ عليكم شيء لم ار مثله قط!!

فقال أبو سفيان:- و قد أربب بشدة من هذا النبأ- ويحك ما ذا تقول؟

قال معبد: و الله ما أرى ان ترتحل حتى أرى نواصي الخيل.

قال أبو سفيان: فو الله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم!

قال معبد: فاني أنهاك عن ذلك.

وقد تركت كلمات معبد، و وصفه لقوة المسلمين و عزمهم الشديد على توجيه ضربة الى الكفار أثرها في نفس أبي سفيان الذي تملكه خوف شديد، دعاه إلى الانصراف عن الرجوع الى المدينة ثانية، و العزم على القبول الى مكة «١».

و مضى رسول الله صلى الله عليه وآله بأصحابه حتى عسكروا ليلا بحمراء الاسد، فامر بأن يوقد المسلمون النيران فأوقدوا خمسمائة نار حتى ترى من المكان البعيد، و ذهب صوت معسكرهم و نيرانهم في كل وجه، و تصور العدو أن النبي جاءهم في جيش عظيم، فتشاوروا حول الرجوع الى المدينة فنهاهم صفوان عن ذلك، فانصرفوا «٢».

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ١٠٢، امتاع الاسماع: ج ١ ص ١٦٩ و ١٧٠.

(٢) الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ٤٩.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٩٤

(١)

لا يخدع مؤمن مرتين:

هذا هو معنى قول النبي الاكرم صلى الله عليه وآله:

«المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين».

و لقد قاله رسول الله صلى الله عليه وآله عند ما أشر المسلمون أبو عزة الجمحي في طريق عودتهم من حمراء الاسد على نحو الصدفة، و أراد النبي ضرب عنقه فاستقال رسول الله صلى الله عليه وآله و طلب منه العفو و كان قد أسر ببدر قبل ذلك، ثم من عليه النبي و أطلق سراحه مشروطا عليه أن يكف عن المؤامرة ضد النبي و المشاركة في قتاله، و لكنه عاد الى مكة، و شارك في قتال النبي مرة اخرى في احد.

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله، لما طلب العفو ثانية:

«و الله لا تمسح عارضيك بمكة بعدها و تقول: خدعت محمدا مرتين، إن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين».

ثم أمر بضرب عنقه، و ضرب عنقه «١».

(٢) و أخيرا انتهت معركة احد و قد قدم المسلمون فيها سبعين، أو اربعة و سبعين، أو واحدا و ثمانين شهيدا على روايات مختلفة، بينما لم يتجاوز عدد قتلى قريش اثنين و عشرين.

و قد نشأت هذه النكسة المرة بسبب تجاهل الرماة لتعليمات الرسول القائد على النحو الذي قرأت.

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ١٠٤، نلفت نظر القارئ الكريم الى أننا قد ذكرنا في الهوامش مصادر أهم الحوادث في معركة احد و في إمكان القارئ الكريم لو أراد التوسع ان يراجع المصادر التالية التي اعتمد عليها المؤلف: و هي: الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ٢ ص ٣٦-٤٩، المغازي: ج ١ ص ١٩٩-٣٤٠، شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد: ج ١٤ ص ١٤-٢١٨ و ج ٥ ص ٦٠، و بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ١٤-١٤٦، و امتاع الاسماع: ج ١ ص ١١٣-١٦٦، السيرة النبوية: ج ٢ ص ٦٠-١٦٨.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٩٥

و قد وقعت معركة احد يوم السبت السابع من شهر شوال من السنة الثالثة للهجرة النبوية الشريفة، هذا مضافا الى غزوة حمراء الاسد التي استمرت إلى يوم الجمعة من ذلك الاسبوع نفسه، فتكون قضايا و وقائع هذه الغزوة في الرابع عشر من شهر شوال من نفس تلك السنة.

ميلاد الامام الحسن السبط:

(١) هذا وقد ولد في هذه السنة (اي السنة الثالثة من الهجرة) سبط رسول الله صلى الله عليه وآله الاكبر الامام الحسن بن علي عليه السلام في منتصف شهر رمضان من تلك السنة، و اجرى له رسول الله صلى الله عليه وآله مراسيم ولادة خاصة ذكرها أصحاب الحديث و تجد تفصيلها في سيرة الائمة من أهل البيت النبوي الطاهرين.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٩٦

(١)

حوادث السنة الرابعة من الهجرة ٣٣

فاجعة فريق المبلّغين «١»

اشارة

لقد ظهرت الآثار السياسية لنكسة المسلمين في معركة «احد» بصورة واضحة بعد الحرب. فمع أن المسلمين أظهروا مقاومة رائعة أمام العدو المنتصر و منعوا من رجعه الى المدينة و تحقيق أهدافه الخطيرة في استئصال المسلمين إلا أن التحريكات الداخلية و الخارجية ضد الاسلام بهدف القضاء على هذا الدين، و رجاله قد تصاعد مدها في أعقاب حادثه «احد».

و قد تجرأ منافقو المدينة، و يهودها و المشركون المتواجدون في شتى النقاط البعيدة خارج المدينة على أثر ذلك، و بدءوا يحيكون المؤامرات ضد الاسلام و المسلمين و يجمعون الاسلحة و الرجال لشن الحروب و الغارات على المدينة.

(٢) و قد استطاع رسول الله صلى الله عليه وآله و آله و بمهارة كبيرة إطفاء كل تلك التحريكات، كما و استطاع قمع تحركات القبائل القاطنة خارج المدينة التي كانت تنوى الهجوم على المدينة و ذلك بارسال السرايا و المجموعات القوية من المجاهدين. و في هذا الاثناء بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله و آله نبأ مفاده أن قبيلة بنى أسد تنوى الهجوم على المدينة و تسخيرها، و قتل المسلمين، و نهب أموالهم، فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله و آله من فوره جماعة من المقاتلين يبلغ عددهم (١٥٠)

(١) وقعت حادثه قتل المبلّغين في الشهر السادس.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٩٧

رجلا بقيادة «أبي سلمة» الى منطقة تجمع المتآمرين.

ثم إنه صلى الله عليه وآله أوصاهم بأن يخفوا مقصدهم الأصلي، و يسلكوا طريقا آخر غير الطريق المتعارف، و يقيموا نهارا و يسيروا ليلا، ليعتموا على القوم.

و قد فعل «أبو سلمة» و جماعته ما أوصاهم به رسول الله صلى الله عليه وآله فكانوا يسرون الليل، و يكتمون النهار، حتى وردوا المنطقة فاحاطوا ببني أسد في عماية الصبح، و قضاوا على المؤامرة في مهدها، و عادوا غانمين موفورين إلى المدينة، و قد وقعت هذه الحادثة في شهر المحرم على رأس خمسة و ثلاثين شهرا من الهجرة «١».

(١)

خطه ما كره للفتك بالمبلّغين:

كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُومُ بِإِفْشَالِ بَارِسَالِ السَّرَايَا وَالمَجْمُوعَاتِ العَسْكَرِيَّةِ جَمِيعِ مَؤَامِرَاتِ المَتَّامِرِينَ ضِدَّ الإِسْلَامِ، كَمَا أَنَّهُ كَانَ يَقُومُ إِلَى جَانِبِ ذَلِكَ بِبَعْثِ المَجْمُوعَاتِ التَّبْلِغِيَّةِ إِلَى القَبَائِلِ، وَالجَمَاعَاتِ وَبِذَلِكَ يَجْلِبُ قُلُوبَ المَحَايِدِينَ مِنْهُمُ نَحْوَ العُقَاثِدِ الإِسْلَامِيَّةِ.

وَكَانَ المَبْلُغُونَ وَالدَّعَاةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قِرَاءَةِ القُرْآنِ الكَرِيمِ، وَ مِنْ المَلْمِينِ بِالإِحْكَامِ الإِسْلَامِيَّةِ وَ التَّعَالِيمِ النُّبُوَّةِ يَبْدُونَ اسْتِعْدَادًا عَجِيبًا لِلْقِيَامِ بِهَذِهِ المَهْمَةِ الصَّعْبَةِ وَ لَوْ كَلَّفَتْ حَيَاتِهِمْ فَكَانُوا يَنْقَلِبُونَ تَعَالِيمَ الإِسْلَامِ إِلَى النَّاسِ فِي المَنَاطِقِ النَّائِيَّةِ، وَ الإِمَاكِنِ البَعِيدَةِ بِأَوْضَحِ بَيَانٍ وَ أَوْضَحِ اسْلُوبٍ.

وَ لَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِبَعْثِهِ لِلْمَجْمُوعَاتِ العَسْكَرِيَّةِ مِنْ جَانِبٍ، وَ ارْسَالِهِ لِلْفِرْقِ التَّبْلِغِيَّةِ مِنْ جَانِبٍ آخَرَ يَقُومُ - فِي الحَقِيقَةِ - بِوُضُوفَتَيْنِ هَامَتَيْنِ مِنْ وَضَائِفِ المَنْصَبِ النُّبُوِيِّ.

(١) المَغَازِي: ج ١ ص ٣٤٠، وَ اِمْتَاعُ الاسْمَاعِ: ج ١ ص ١٧٠، وَ لَا يَدَّ أَنْكَ أَيُّهَا القَارِئُ الكَرِيمُ تَتَذَكَّرُ أَنَّ السَّنَةَ الثَّلَاثَةَ لِلهَجْرَةِ تَنْتَهِي عِنْدَ انْتِهَاءِ الشَّهْرِ الرَّابِعِ وَ الثَّلَاثِينَ، وَ تَكُونُ حَوَادِثُ الشَّهْرِ الخَامِسِ وَ الثَّلَاثِينَ مُتَعَلِّقَةً بِالسَّنَةِ الرَّابِعَةِ مِنَ الهَجْرَةِ.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٩٨

(١) فَهُوَ بِبَعْثِهِ لِلسَّرَايَا وَ المَجْمُوعَاتِ العَسْكَرِيَّةِ كَانَ يَقْصِدُ فِي الحَقِيقَةِ القَضَاءَ عَلَى مَحَاوِلَاتِ التَّمَرُّدِ، وَ التَّأْمَرِ الَّتِي كَانَتْ فِي مَرْحَلَةِ التَّحْقِيقِ وَ التَّكْوُنِ لِكَيْ يَتَسَنَّى لِلْمَجْمُوعَاتِ التَّبْلِغِيَّةِ فِي ظِلِّ الأَمْنِ وَ الحُرِيَّةِ الدَّعْوَةَ إِلَى الإِسْلَامِ، وَ القِيَامَ بِوُضُوفَتِهَا الإِسْلَامِيَّةِ أَلَا وَ هِيَ ارْسَاءُ دَعَائِمِ الحُكُومَةِ الإِسْلَامِيَّةِ فِي القُلُوبِ، وَ تَنْوِيرِ الافْكَارِ، وَ اِيْقَاطِ العُقُولِ.

وَ لَكِنْ بَعْضُ القَبَائِلِ المَتَوَحَّشَةِ، وَ المُنْحَطَّةِ أخْلَاقِيًا وَ فِكْرِيًّا كَانَتْ تَتَحَايَلُ عَلَى المَجْمُوعَاتِ التَّبْلِغِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ تَمَثِّلُ القُوَى المَعْنَوِيَّةَ لِلإِسْلَامِ، وَ الَّتِي لَمْ يَكُنْ لَهَا هَدَفٌ سِوَى نَشْرِ التَّوْحِيدِ، وَ اقْتِلَاعِ جُذُورِ الكُفْرِ وَ الوَثْنِيَّةِ، وَ كَانُوا يَقْتُلُونَهُمْ بِصُورَةٍ فَضِيعَةٍ وَ مَفْجَعَةٍ. وَ فِيمَا يَلِي نَلَفَتْ نَظْرَ القَارِئِ الكَرِيمِ إِلَى قِصَّةِ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الدَّعَاةِ وَ المَبْلُغِينَ الَّذِينَ لَقُوا هَذَا المَصِيرَ وَ كَانَ عِدَدُهُمْ يَبْلُغُ سِتَّةَ أَشْخَاصٍ حَسَبَ رِوَايَةِ ابْنِ هِشَامٍ «١»، أَوْ عَشْرَةَ أَشْخَاصٍ حَسَبَ رِوَايَةِ ابْنِ سَعْدٍ «٢».

(٢)

الفخر بالدعوة إلى الإسلام و قتلهم:

لَقَدْ مَشَتْ جَمَاعَةٌ مِنَ قَبِيلَتِي «عُضَلَى» وَ «القَارَةُ» إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ قَالُوا - وَ هُمْ يَضْمُرُونَ المَكْرَ - يَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِنْ فِينَا إِسْلَامًا فَاشْيَا فَابْعَثْ مَعَنَا نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِنَا يَقْرءُونَنا القُرْآنَ، وَ يَفْقَهُونَا فِي الإِسْلَامِ. فَرَأَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَّ مِنْ وَاجِبِهِ الاسْتِجَابَةُ لِمَطْلَبِ تِلْكَ الجَمَاعَةِ الَّتِي كَانَتْ تَمَثِّلُ قَبَائِلَ كَبِيرَى، وَ كَمَا رَأَى المَسْلُمُونَ أَيْضًا أَنَّ مِنْ وَاجِبِهِمْ أَنْ يَسْتَفِيدُوا مِنْ هَذِهِ الفُرْصَةِ مَهْمَا كَلَّفَ الثَّمَنُ. مِنْ هُنَا بَعَثَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ جَمَاعَةً بِقِيَادَةِ «مَرْتَدِ بْنِ أَبِي مَرْتَدٍ».

(١) السِّيْرَةُ النُّبُوَّةُ: ج ٢ ص ١٦٩، وَ قَالَ فِي اِمْتَاعِ الاسْمَاعِ: ج ١ ص ١٧٤ انْهَمُ سَبْعَةُ أَشْخَاصٍ.

(٢) الطَّبَقَاتُ الكَبِيرَى: ج ٢ ص ٥٥.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٩٩

الغَنَوِيُّ» مَعَ تِلْكَ الجَمَاعَةِ إِلَى القَبَائِلِ المَذْكُورَةِ.

(١) فَخَرَجَ هُوَ لَمَّا المَبْلُغُونَ وَ وَفَدَ القَبِيلَتَيْنِ مِنَ المَدِينَةِ مُتَوَجِّهِينَ إِلَى حَيْثُ تَتَوَاجَدُ «عُضَلَى» وَ «قَارَةُ»، وَ لَمَّا كَانُوا بِمَاءِ يَسْمَى الرِّجِيعَ

تقطن عنده قبيلة تدعى «هذيل» كشف مندوبو القبيلتين عن نواياهم الشريرة، واستصرخوا هذيلًا وكمينا من رجالهم، وكانوا مائة رام و بأيديهم السيوف فحاطوا بالدعاء يريدون أسرهم ثم قتلهم و ابادتهم!!

فلم ير المبلعون بدًا- وهم محاطون بتلك الجماعات المسلحة- من اللجوء الى سيوفهم و الدفاع عن أنفسهم.

و لكن العدو قال: ما نريد قتالكم، و ما نريد إلّا ان نصيب منكم من أهل مكة ثمنًا، و لكم عهد الله و ميثاقه لا نقتلكم!!

(٢) فظنر الدعاء بعضهم الى بعض، و قرر أكثرهم المقاومة و عدم الرضوخ لهذا العرض الغادر، و الخطئة الماكرة، و قال أحدهم: إنى نذرت أن لا أقبل جوار مشرك «١» ثم جعلوا يقاتلون القوم قتال الرجال الابطال، حتى قتلوا إلّا ثلاث هم: «زيد بن دثنة»، و «خبيب بن عدى»، و «عبد الله بن طارق البلوى» فقد أعمد هؤلاء سيوفهم و سلّموا، فأخذوا و وثّقوا بأوتار قسيهم، و لكن «عبد الله» ندم على فعله، فنزع يده من رباطه ثم أخذ سيفه، و راح يقاتلهم حتى قتلوه رميا بالحجارة، و قد انحازوا عنه و هو يشدّ فيهم و يفرجون عنه، و دفن في مر الظهران.

ثم أخذوا الأسيرين الآخرين «خبيب» و «زيد» و قدموا بهما مكة فباعوهما لأهل مكة!!

فأمّا زيد بن الدثنة فقد اشتراه «صفوان بن أمية» و قتله ثأرا لابييه، و لقتله قصة عجيبة سطر فيها أروع آيات المقاومة و الوفاء الاخلاص.

(٣) فقد اشتراه «صفوان بن أمية» كما أسلفنا ليقبله بأبيه، و قد حبسه صفوان في الحديد، و كان يتهجّد بالليل و يصوم بالنهار، و لا يأكل شيئا مما اتى به من

(١) أو قالوا: و الله لا نقبل من مشرك عهدا و لا عقدا أبدا (السيرة النبوية: ج ٢ ص ١٧٠).

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٠٠

الذبايح، و هو في الاسر و الحبس.

ثم إنه اخرج إلى «التنعيم» «١» ليصلب على مرأى حشد كبير من الناس.

فرفعوا له جذعا، فقال: دعوني أصلى ركعتين، فصلّى ركعتين، ثم حملوه على الخشبة ثم جعلوا يقولون له: يا زيد ارجع عن دينك المحدث، و اتبع ديننا، و نرسلك فيقول: و الله لا افارق ديني أبدا.

(١) فقال له أبو سفيان فرعون مكة و أشد المتآمرين على الاسلام و مدبر أغلب الحروب ضد رسول الله، و المسلمين: أنشدك بالله يا زيد أيسرك أن محمدا في أيدينا مكانك و أنت في بيتك؟. فقال زيد بشجاعه و وفاء عظيمين: ما يسرنى أن محمدا اشيك بشوكه و انى في بيتى، و جالس في أهلى!!!

و قد كان لهذه الكلمة أثر الصاعقة في نفس طاغية مكة أبى سفيان فقال:

ما رأينا أصحاب رجل قط أشدّ حبا من أصحاب محمّد بمحمّد!!

و لم تمض لحظات إلّا و صار «زيد» على خشبة الاعدام و طارت روحه الى خالقها، و مضى ذلك المسلم الوفى، و المؤمن الشجاع شهيد الثبات فى طريق العقيدة، و الدفاع عن حياض الدين «٢».

(٢) و اما «خبيب» فقد حبس مدة من الزمان حتى قرّر ندوة مكة قتله، فخرجوا به الى التنعيم ليصلبوه و خرج معه النساء و الصبيان و العبيد و جماعة من أهل مكة، فقال لهم: إن رأيتم ان تدعوني حتى أركع ركعتين فافعلوا، فقالوا دونك فاركع.

فركع ركعتين أتمهما و أحسنهما ثم اقبل على القوم و قال: أما و الله لو لا- أن تظنوا أنّى إنما طوّلت جزعا من القتل لاستكثرت من الصلاة!!

ثم رفعوه على خشبة ثم وجّهوه الى المدينة، و أوثقوه رباطا، ثم قالوا له: ارجع عن الاسلام، نخلّ سبيلك.

(١) التنعيم ابتداء الحرم و منها يحرم المعتمرون للعمرة المفردة.

(٢) السيرة النبوية: ج ٢ ص ١٧٢، المغازي: ج ٢ ص ٣٦٢، امتاع الاسماع: ج ١ ص ١٧٤ و ١٧٥.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٠١

قال: لا والله ما أحب أتى رجعت عن الاسلام و أن لى ما فى الأرض جميعا.

فقالوا: أما و اللات و العزى لئن لم تفعل لنقتلنك!

فقال: إن قتلى فى الله لقليل، فلما أبى عليهم و قد جعلوا وجهه من حيث جاء (أى نحو المدينة)، قال: أما صرفكم وجهى عن القبلة، فإن الله يقول:

«فَأَيُّمَّا تَوَلَّوْا فَنَمَّ وَجْهُ اللَّهِ» ثم قال: اللهم إنى لا أرى إلّا وجه عدوّ، اللهم أنه ليس هاهنا أحد يبلغ رسولك السلام عني فبلغه أنت عني السلام.

ثم دعا على القوم و قال: اللهم أحصهم عددا و اقتلهم بددا، و لا تغادر منهم أحدا.

ثم دعوا أبناء من أبناء من قتل بيد فوجدوهم أربعين غلاما، فأعطوا كل غلام رمحا، ثم قالوا هذا الذى قتل آباءكم، فطعنوه برماحهم طعنا خفيفا فاضطرب على الخشبة فانقلب، فصار وجهه الى الكعبة، فقال: الحمد لله الذى جعل وجهى نحو قبلته التى رضى لنفسه و لنبيه و للمؤمنين!!

(١) فأتارت روحانيته الكبرى، و طمأنينته العظيمة غيض أحد المشركين الحاضرين، و هو «عقبه بن الحارث» و تملكه غضب شديد من إخلاصه للاسلام فأخذ حربته و طعن بها خبيبا طعنة قاضية، قتلته، و هو يوحد الله و يشهد أن محمدا رسول الله.

و يروى ابن هشام أن خبيبا أنشد قبل مقتله أبياتا عظيمة نذكر هنا بعضها:

إلى الله أشكو غربتى ثم كربتى و ما أرصد الأحزاب لى عند مصرعى

فذا العرش صبرنى على ما يراد بى فقد بضعوا لحمى و قد ياس مطمعى

و ذلك فى ذات الاله و أن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزّع

و قد خيرونى الكفر و الموت دونه و قد هملت عيناي من غير مجزع

و ما بى حذار الموت أنى لميت و لكن حذارى جحيم نار ملفع

فو الله ما أرجو إذا متّ مسلما على أى جنب كان فى الله مصرعى

فلست بمبد للعدوّ تخشعا و لا جزعا إنى إلى الله مرجعى

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٠٢

و قد أحزنت هذه الحادثة الاليمة رسول الله صلى الله عليه وآله، و كذا جميع المسلمين.

(١) و أنشد فيهم «حسان بن ثابت» أبياتا ذكرها ابن هشام فى سيرته، كما أنه هجا هذيلا فى أبيات اخرى لارتكابهم هذه الجريمة النكراء «١».

و لقد خشى رسول الله صلى الله عليه وآله أن تتكرر مثل هذه الجريمة النكراء، و بذلك يواجه رجال التبليغ و الدعوة الذين كان يعدهم بصعوبة بالغة مصاعب فى سبيلهم، و يتعرضوا لخسائر لا تجبر، و عمليات غدر و اغتيال اخرى.

و قد بقى جثمان هذا المسلم المجاهد على الخشبة مدة من الزمن، يحرسه جماعة من المشركين حتى قام رجلان قويان شجاعان من المسلمين بانزاله من فوق الصليب ليلا، و من ثم دفنه بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله «٢».

جريمة بئر معونة:

و في شهر صفر من السنة الرابعة و قبل أن يصل نبا مصرع الدعاء المذكورين و استشهداهم على أيدي المشركين في منطقة الرجيع الى النبي صلى الله عليه و آله، قدم أبو براء العامري المدينة فدعاه رسول الله صلى الله عليه و آله الى الاسلام فلم يسلم و لكنه قال للنبي صلى الله عليه و آله يا محمّد إني ارى أمرك حسنا، فلو بعثت رجالا من أصحابك إلى أهل «نجد» فدعوهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبيوا لك فان هم اتبعوك فما أعز أمرك.

فقال رسول الله صلى الله عليه و آله: إني اخشى عليهم أهل نجد.

قال أبو براء: لا تخف، أنا لهم جار، فابعثهم فليدعو الناس الى أمرك.

(٣) فبعث رسول الله صلى الله عليه و آله أربعين رجلا من خيار المسلمين من أصحابه ممن حفظوا القرآن و عرفوا احكام الاسلام، و أمر عليهم «المنذر بن

(١) المغازي: ج ١ ص ٣٥٤-٣٦٢، السيرة النبوية: ج ٢ ص ١٦٩.

(٢) سفينة البحار: ج ١ ص ٣٧٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٠٣

عمرو»، فساروا حتى نزلوا ببئر معونة و هي بين أرض بني عامر و حرّة بني سليم و هم يحملون من رسول الله صلى الله عليه و آله كتابا إلى عامر بن الطفيل أحد زعماء «نجد»، و كلف أحد المسلمين بايصال ذلك الكتاب إلى عامر، فلما أتاه الكتاب لم ينظر فيه حتى عدا على الرجل (حامل الكتاب) فقتله، ثم استصرخ بني عامر على المبلّغين، فأبوا أن يجيبوه إلى ما دعاهم إليه، و قالوا: لن نقض عهد أبي براء، و قد عقد لهم عقدا و جوارا.

(١) فاستصرخ عليهم قبائل بني سليم فأجابوه إلى ذلك فخرجوا حتى نزلوا حيث نزل جماعة الدعاء، فأحاطوا بهم في رحالهم، فلما رأوهم أخذوا سيوفهم، ثم قاتلوهم حتى قتلوا عن آخرهم بعد أن أبدوا مقاومة كبرى، و بسالة عظيمة، و لم يكن يتوقع منهم غير ذلك.

فانّ مبعوثي النبي صلى الله عليه و آله لم يكونوا مجرد رجال فكر و علم فقط، بل كانوا رجال حروب، و أبطال معارك، و لذا رفضوا الاستسلام للمعتدين، و اعتبروا ذلك عارا لا يليق بالمسلم الحرّ الأبّي، فقاتلوهم حتى استشهدوا جميعا، إلّا كعب بن زيد، فانه جرح فعاد بجراحه الى المدينة، و أخبر رسول الله صلى الله عليه و آله بما جرى لأصحابه على أيدي قبائل بني سليم المشركّة الغدرّة.

فحزن رسول الله و المسلمون جميعا لهاتين الحادثتين، المفجعتين اشدّ الحزن بل و لم يجد على قتلى مثل ما وجد عليهم، و بقى رسول الله يذكر شهداء بئر معونة ردحا من الزمان «١»

هذا و لقد كانت هاتان الحادثتان المؤسفتان المؤلمتان جميعا من نتائج النكسة التي أصابت المسلمين في «احد» و التي جرّأت القبائل خارج المدينة على قتل رجال المسلمين و دعاهم غدرا و مكرًا.

(٢)

كيد المستشرقين و جفاؤهم:

إن المستشرقين الذين دأبوا على نقد أبسط سوء يتعرض له مشرك على أيدي

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ١٨٣-١٨٧ امتاع الاسماع: ج ١ ص ١٧٠-١٧٣.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٠٤

المسلمين فينالون من الاسلام والمسلمين أشد نيل، و يصرون على أن يؤكّدوا على أن الاسلام لم ينتشر إلّا بالسيف والقهر، التزموا صمتا عجيبا تجاه هاتين الحادثتين المؤلمتين المفجعتين، و لم ينبسوا في هذا المقام ببنت شفه أبدا، و كأن شيئا من هذا لم يقع، و كأن ما وقع لا يستأهل اهتماما و حديثا.

ترى أى نظام من أنظمة العالم القديم و الجديد يجيز أن يقتل الدعاة و المبشرون و رجال العلم و الفكر، و التعليم و الثقيف. إذا كان الاسلام قد تقدّم بالسيف- كما يدعى رجال الاستشراق- فلما ذا تخاطر جماعات التبليغ و الدعوة هذه بأنفسها و تزهق أرواحها في سبيل نشر الاسلام، و الدعوة السلمية الفكرية إليه.

إنّ هاتين الحادثتين تنطويان على نقاط حيوية، و عبر مفيدة جدا، فان قوة الايمان لدى تلك الجماعات، و عمق تفانيها، و تضحيتها، و بسالتها تستحق إعجاب المسلمين، و اكبارهم. كما و تعتبر من أفضل الدروس و ابلغها لهم.

(١)

المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين:

لقد أثارت حادثتا «الرجيع» و «بئر معونة» المفجعتان اللتان جرتا إلى مصرع مجموعة كبيرة من خيرة الدعاة و المبلّغين موجة من الحزن و الأسى في المسلمين و تركت أثرا مؤلما في أوساطهم.

و هنا يتساءل القارئ: لما ذا أقدم النبي صلى الله عليه و آله على إرسال المجموعة الثانية من المبلّغين الى «نجد» مع أنه حصل على تجربة مرّة؟! ألم يقل رسول الله صلى الله عليه و آله: «لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين».

إن الإجابة على هذا السؤال تتضح من خلال مراجعة النصوص التاريخية لأن المجموعة الثانية قد بعثت في جوار من أبى براء (عامر بن مالك بن جعفر) و الذى كان رئيسا لقبيلة بنى عامر، و لم تفعل قبيلته ما خالف جوار رئيسهم و لم يشتركوا في تلك الجريمة و قد بقى أبو براء نفسه في المدينة تأكيدا لجواره، ريثما

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٠٥

يرجع فريق التبليغ إلى المدينة.

(١) لقد كانت خطة رسول الله صلى الله عليه و آله خطية مدروسة و صحيحة لأن جماعة المبلّغين الثانية لم تقتل على يد قبيلة أبى براء، و مع أن ابن عامر بن الطفيل قد استصرخ قبيلة أبى براء التي كانت قبيلته أيضا، ضد جماعة المبلّغين إلّا أن قبيلة أبى براء أبت أن تنفر معه، و لم يستجب لندائه أحد منهم بل قالوا:

لن يخفر جوار أبى براء. و لما أيس منهم استصرخ قبيلة اخرى لا تمت إلى قبيلة أبى براء بصلة، فاقدمت تلك القبائل على محاصرة الدعاة الأربعين و مقاتلتهم.

ثم إن جماعة المبلّغين المذكورة كانت قد بعثت عند مغادرتها المدينة و توجهها الى منطقة أبى براء رجلين من رجالها هما: عمرو بن أمية و «حارث بن الصمة» (١) ليرعيا إبل الجماعة و يحافظا عليها، و بينما كان الرجلان يقومان بواجبهما اذ أغار عليهما «عامر بن الطفيل». فقتل حارث بن الصمة، و اطلق سراح عمرو بن أمية.

(٢) فعاد عامر الى المدينة، في اثناء الطريق التقى رجلين من العامريين فراقبهما و أمهلهما حتى اذا ناما و ثب عليهما فقتلتهما، و هو يرى بأنه انتقم لزملائه من المسلمين من بنى عامر، و قد أخطأ في تصويره هذا لأن بنى عامر لم تخفر جوار سيدها أبى براء و لم تنقض أمانة

كما أسلفنا، و لم يشترك في جريمة قتل الدعاة الأربعين.

فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وآله وأخبره الخبر، حزن رسول الله صلى الله عليه وآله لذلك وقال لعمرو:

«بئس ما صنعت، قتلت رجلين كان لهما منى وأمان وجوار، لا دفعت ديتهما».

و لكن الاجابة الاكثر وضوحا على هذا الاعتراض (او السؤال) هو ما يذكره ابن سعد صاحب الطبقات إذ يقول: وجاء رسول الله صلى الله عليه وآله خبر أهل بئر معونة، وجاءه تلك الليلة أيضا مصاب خبيب بن عديّ و مرثد بن أبي مرثد «٢».

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ١٦٨ و صاحب السيرة يرى انه المنذر بن محمد.

(٢) الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ٥٢ و ٥٣.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٠٦

(١)

٣٤ غزوة «بنى النضير»

إشارة

لقد فرح منافقو المدينة و يهودها بانتكاسة المسلمين في معركة «أحد» كما فرحوا أيضا بمصرع رجال التبليغ و الدعوة، فرحا بالغا و باتوا يتحتمون الفرصة لإثارة القلاقل و الفتن في المدينة لإفهام القبائل خارجها بأنه لا توجد أية وحدة سياسية و انسجام اجتماعي في مركز الاسلام، و عاصمة الحكومة الاسلامية، و أن في مقدور الأعداء الخارجيين أن يجهزوا على حكومة الاسلام الفتية، و يقضوا عليها بسهولة!!

و لكي يقف رسول الله صلى الله عليه وآله على نوايا و دخائل يهود بنى النضير مشى في جماعة من أصحابه إلى حصنهم.

على أن الهدف الظاهري المعلن عنه كان هو الاستعانة بهم في دية العامريين اللذين قتلوا خطأ على يد «عمرو بن أمية» كما أسلفنا، و ذلك بموجب الاتفاقية المعقودة بين رسول الله صلى الله عليه وآله و بين اليهود و كذا بنى عامر و غيرهم و القاضية بالتعاون معا في تسديد الديّة في مثل هذه الموارد.

(٢) فلما وصل رسول الله صلى الله عليه وآله إلى حيث يسكن بنو النضير، و كلمهم في أن يعينوه في تلك الديّة، رحبوا به ظاهرا، و وعدوا بأن يلبوا مطلبه، ثم إنهم خاطبوه قائلين: يا أبا القاسم نعينك على ما احببت. ثم دعوه إلى أن يدخل في بيوتهم، و يقضى يومه فيها، قائلين: قد آن لك أن تزورنا، و أن تأتينا، اجلس حتى نطعمك، فلم يقبل رسول الله صلى الله عليه وآله بتلبية مطلبهم، بل

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٠٧

جلس مستندا الى جدار بيت من بيوتهم و اخذ يكلمهم «١».

(١) ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله احسّ بشرّ من ذلك الترحيب الحارّ الذي قابلته به رجال بنى النضير، و الذي رافق حركات مشبوهة منهم!!

هذا مضافا إلى أنه صلى الله عليه وآله شاهدتهم و قد خلا بعضهم إلى بعض يتناجون و يتهامون الأمر الذي يدعو إلى الشك، و يورث سوء الظن!!

و قد كان سوء الظن هذا في محله، فقد قرر سادة يهود- لما أتاهم رسول الله صلى الله عليه وآله في رهط قليل من أصحابه- أن يتخلصوا منه باغتياله و الغدر به على حين غفلة منه صلى الله عليه وآله، فانتدبوا أحدهم و هو «عمرو بن جحاش» لتنفيذ هذه الجريمة،

و ذلك بأن يعلو على البيت الذي استند رسول الله صلى الله عليه وآله إلى جداره فيلقى عليه صخرة تقتله.
(٢) إلا أن هذه المؤامرة انكشفت- و لحسن الحظ- قبل تنفيذها، إما من خلال حركات اولئك اليهود الخبثاء، المشبوهة، أو بخبر أتى رسول الله صلى الله عليه وآله من السماء، كما يروى ابن هشام و الواقدي في مؤلفيهما.
فنهض رسول الله صلى الله عليه وآله سريعا، كأنه يريد حاجة، و توجه من توه إلى المدينة دون أن يخبر أصحابه الذين أتوا معه، بقصده.

و بقى أصحابه هناك ينتظرون عودته من حاجته دون جدوى.

و ندمت يهود على ما صنعت، و اضطربت لذلك اضطرابا شديدا، و اصابتها حيرة شديدة فيما يجب أن تقوم به.
فمن جهة خشيت أن يكون رسول الله صلى الله عليه وآله قد علم بمؤامرتهم و تواطئهم، فيقدم على تأديبهم لنقضهم ميثاق التعايش السلمى، و لتواطئهم القبيح، و مكرهم السيئ.
(٣) و من ناحية اخرى أخذت تفكر فى أن تنتقم من أصحابه الموجودين هنا إن هو فاتهم، و لكنها خشيت أن يؤدي ذلك إلى مزيد من تأزم الموقف، و ان ينتقم

(١) يقول صاحب المغازى: إن النبى جاء بنى النضير فى ناديبهم ج ١ ص ٣٦٤.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٠٨

رسول الله صلى الله عليه وآله حينئذ منهم قطعاً و يقينا.

و فيما هم فى هذه الحالة من الاضطراب و التحير قرر أصحاب النبى صلى الله عليه وآله العودة إلى المدينة بعد أن يسوا من رجعتهم إليهم من حاجته، فلقوا رجلا مقبلا من المدينة فسأله عن رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: رأيت داخل المدينة، فأقبلوا حتى انتهوا إليه صلى الله عليه وآله و عرفوا بمؤامرة اليهود إذ قال رسول الله صلى الله عليه وآله لهم لما قالوا: يا رسول الله قمت و لم نشعر: «همت اليهود بالغدر بى، فأخبرنى الله بذلك فقامت» (١).

(١)

بما ذا يجب أن تقابل هذه الجريمة؟

و الآن ما ذا يجب أن يقوم به رسول الله صلى الله عليه وآله تجاه هذه الزمرة الخائنة المتآمرة؟ تلك الزمرة التى تنعم بما وفرتها لهم الحكومة الاسلامية من أمن و حرية، و يحافظ جنود الاسلام على أنفسهم و أموالهم و أعراضهم، كما يفعلون الفعل ذاته بالنسبة إلى أنفسهم و أموالهم و أعراضهم على حد سواء.

تلك الزمرة التى كانت ترى كل آثار النبوة و دلائلها فى حياة رسول الله صلى الله عليه وآله و أعماله، و أقواله تماما على نحو ما قرأت عنه فى كتبها و أسفارها، و لكنها بدل أن ترد الجميل بالجميل و تقابل الاحسان بالاحسان، و بدل أن تحسن ضيافته و قد نزل عليهم ضيفا تتأمر لقتله غيلة و غدرا دون ما خجل و لا حياء!!

ما هو ترى ما تقتضيه العدالة فى هذا الصعيد و فى هذه الحال؟

و ما ذا يجب أن يفعل المرء حتى يمنع من تكرار مثل هذه الحوادث، و يستأصل جذور مثل هذه الجرائم؟

(٢) إن الطريق المنطقى هو ما اختاره رسول الله صلى الله عليه وآله و فعله.

فقد أمر رسول الله صلى الله عليه وآله المسلمين بالتهيؤ لحربهم، و السير إليهم،

(١) الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ٥٧، امتاع الاسماع: ج ١ ص ١٧٨.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٠٩

ثم دعا محمد بن مسلمة وأمره بأن يذهب إلى بني النضير، و يبلغ سادتهم، من قبله رسالة.

فخرج محمد بن مسلمة الأنصاري الأوسي «١» إلى بني النضير وقال لسادتهم:

«إن رسول الله صلى الله عليه وآله أرسلني إليكم يقول:

«قد نقضتم العهد الذي جعلت لكم بما همتم به من الغدر بي.

أخرجوا من بلادى فقد أجتكم عشرا فمن رثى بعد ذلك ضربت عنقه».

(١) فأحدثت هذه الرسالة الشديدة اللهجة والساخنة المضمون انكسارا عجيبا في يهود بني النضير، وأخذوا يتلاومون، وأخذ يحمل

كل واحد منهم الآخر مسئولية هذه القضية.

فاقتراح عليهم أحد سادتهم أن يعتنقوا الاسلام، و يؤمنوا برسول الله صلى الله عليه وآله، و لكن عنادهم منعهم من القبول بهذا

الاقتراح. و عمتهم حالة يرثى لها من الحيرة، و الانقطاع، فقالوا لمبعوث النبي صلى الله عليه وآله: يا محمّد ما كنّا نرى أن يأتي بهذا

رجل من الأوس.

و يقصدون أنه كان بيننا و بين الأوس حلف فما بالك تريد حربنا الآن.

فقال محمد بن مسلمة: تغيّرت القلوب.

(٢) و قد كان هذا الاجراء متطابقا مع ما جاء في ميثاق التعايش الذي عقده رسول الله صلى الله عليه وآله مع يهود يثرب ابان دخوله

المدينة، و قد وقع عليه عن اليهود بني النضير حبي بن أخطب، و قد نقلنا في ما سبق النص الكامل لهذا الميثاق و ها نحن ندرج هنا

قسما منه ليتضح ما ذكرناه.

جاء في أحد بنود الميثاق (العهد):

«ألا يعينوا (أى بنو النضير و بنو قريظة و بنو قينقاع) على رسول الله صلى الله عليه وآله و لا على أحد من أصحابه بلسان و لا يد و لا

بسلاح و لا بكرع فى السرّ و العلانية لا لبيل و لا بنهار و الله بذلك عليهم شهيد، فان فعلوا فرسول الله فى حل

(١) المغازى: ج ١ ص ٣٦٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢١٠

من سفك دمائهم، و سبى ذراريهم، و نسائهم، و أخذ أموالهم» «١».

(١)

المستشرقون و دموع التماسيح:

لقد أبدى المستشرقون حزنهم و أسفهم لما جرى فى هذه القضية، و ذرفوا دموع تماسيح، و أبدوا دقة و شفقة أكثر مما تبديه والدة

تجاه وليدها، على اليهود الخونة الناقضين العهد، التاكثين للايمان، و اعتبروا الاجراء الذى اتخذه النبي صلى الله عليه وآله بحقهم

بعيدا عن روح الانصاف و سنن العدل!!

و الحق أن هذه الاعتراضات و الانتقادات لا تنبع من منطق السعى لمعرفة الحقيقة، لأننا عند مراجعتنا لنص الميثاق الذى أدرجناه

للقارئ الكريم نرى الحقيقة على غير ما يتصورون و يصورون فاننا نعرف أن الجزاء الذى جازى به رسول الله صلى الله عليه وآله بني النضير هو فى

الحقيقة أقل من الجزاء المنصوص عليه فى ذلك الميثاق بدرجات.

إن هناك اليوم مئات الجرائم و المظالم التي يرتكبها أسياد هؤلاء المستشرقين في الشرق و الغرب دون أن يعترض عليها أى واحد من هؤلاء المستشرقين الرحماء، أدعياء الدفاع عن حقوق الانسان!!!

أما عند ما يقوم رسول الاسلام بتنفيذ عقوبة- هي في الحقيقة- اقل بكثير من ما هو منصوص عليه في الميثاق بحق زمرة خائنة متآمرة ناقضة للعهد تتعالى أصوات حفته من الكتاب المدفوعين بأغراض معينة و دوافع خاصة بالاعتراض، و الانتقاد.

(٢)

دور حزب النفاق أيضا:

كان خطر المنافقين- و كما أسلفنا- أكبر من خطر اليهود لأن المنافق يطعن من الخلف و تحت غطاء من الصداقة، و يتستر وراء قناع الصحة و الزمالة.

(١) بحار الأنوار: ج ١٩ ص ١١١.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢١١

و قد كان رأس هذا الحزب هو «عبد الله بن أبي» و «مالك بن أبي» و .. و ..

و لما سمع هؤلاء المنافقون بما يلقاه بنو النضير من رسول الله صلى الله عليه و آله أرسلوا إليهم من يقول لهم: لا تخرجوا من دياركم و أموالكم، و أقيموا في حصونكم، فان معي ألفين من قومي و غيرهم من العرب، يدخلون معكم حصونكم فيموتون من آخرهم قبل أن يوصل إليكم و تمدكم قريظة فانه لن يخذلونكم، و يمدكم حلفاؤكم من غطفان؟!!

و لقد جرات هذه الوعود بنى النضير، فانصرفوا عن فكرة الرضوخ لمطلب النبي صلى الله عليه و آله فأغلقوا أبواب حصونهم، و أعدوا عدة الحرب، و عزموا على أن يقاوموا رسول الله صلى الله عليه و آله مهما كلف الثمن، و لا يسمحوا للمسلمين بأن يسيطروا على بساتينهم و ممتلكاتهم دون عوض.

(١) فنصحهم أحد كبارهم و هو «سلام بن مشكم» و شكك في وعود عبد الله بن أبي، و اعتبرها وعودا جوفاء، و قال: ليس رأى ابن أبي بشيء، فهو و الله جلاؤنا من أرضنا، و ذهاب أموالنا، أو سباء ذرارينا مع قتل مقاتلينا.

إلا أن «حبي بن أخطب» أبى إلا محاربة رسول الله صلى الله عليه و آله و حث الناس على المقاومة و الصمود، و أرسل الى رسول الله صلى الله عليه و آله:

إنا لا نبرح من دارنا و أموالنا فاصنع ما أنت صانع!!

(٢) فعرف رسول الله صلى الله عليه و آله برسالة «عبد الله بن أبي» إلى بنى النضير، و وعوده لهم، فاستخلف ابن أم مكتوم على المدينة، و سار صلى الله عليه و آله في أصحابه مكبرا لمحاصرة بنى النضير فصلى صلاة العصر بفضائهم و استقر في الطريق بين «بنى النضير» و بين «بنى قريظة» ليقطع بذلك سبيل الاتصال بين هذين الفريقين، و حاصر بنى النضير ست ليال- حسب رواية ابن هشام- «١» أو خمسة عشر يوما حسب روايات آخرين، و لكن اليهود تحصنوا منه في الحصون، و أظهروا المقاومة، و الإصرار على الامتناع، فأمر رسول الله صلى الله عليه و آله

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ١٩١، و هذا من التكتيكات العسكرية التي كان النبي صلى الله عليه و آله يستعملها ليقطع خطوط الارتباط بين الجماعات المتعاونة.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢١٢

بقطع النخيل المحيطة بتلك الحصون، وإلقاء النار لبياس اليهود من البقاء فى تلك المنطقة ما دامت بساتينهم أعدمت، و أفنيت.
(١) فتعالى نداءات اليهود تقول: يا محمد، قد كنت تنهى عن الفساد، و تعيبه على من صنعه، فما بال قطع النخل و تحريقها؟! فردّ الله تعالى عليهم بقوله:

«مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْتِهِ أَوْ تَرَكَتُمْهَا قَائِمَةً عَلَى أَسْوَئِهَا فَيَاذَنْ لِلَّهِ وَ لِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ» (١).

هذا من جهة و من جهة اخرى خذلهم عبد الله بن أبى، فلم يأتوهم، كما اعترلتهم قريظة فلم تمنهم سلاح و لا رجال.
و قد ذكر القرآن الكريم هذا الخذلان إذ قال تعالى:

«أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَ لَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَ اللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ. لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَ لَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَ لَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُولَّيْنَّ الْأَذْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصُرُونَ. لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ. لَا يِقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ» (٢).

و قد كشفت الآيات الحاضرة- إلى جانب ما ذكر- عن نفسية اليهود الجبانة، و التى انهارت أيضا بسبب معنويات المسلمين القوية حتى أنهم رغم اجتماعهم و عددهم الكبير يخافون من مواجهة المسلمين فلا يقاتلونهم إلا من وراء أسوار الحصون، و جدران القلاع القوية خائفين مذعورين، و مرعوبين، و هم الى جانب كل ذلك يعانون من اضطراب و قلق و تفرق كلمة فى الواقع.
و أخيرا رضخ اليهود لمطلب رسول الله صلى الله عليه وآله و سألوه أن يجليهم، و يكفّ عن دمائهم على أن يكون لهم ما حملت الابل من أموالهم إلا السلاح

(١) الحشر: ٥.

(٢) الحشر: ١١-١٤.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢١٣

و الدروع، فرضى رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك.

فاحتملوا من أموالهم أكبر قدر ممكن، حتى أن الرجل منهم يقطع باب بيته فيضعه على ظهر بعيره، ثم يخرب بيته بيديه!!
فخرج جماعة منهم إلى خيبر، و سارت جماعة اخرى منهم الى الشام.

و قد خرجت تلك الزمرة الذليلة المسكينه و هم يضربون بالدفوف، و يزمرن بالمزامير، و قد البسوا نساءهم الثياب الراقية، و حلى الذهب، مظهرين بذلك تجلدا ليغطوا على هزيمتهم، و يروا المسلمين أنهم غير منزعين من مغادرتهم تلك الديار!!

(١)

مزارع بنى النضير تقسم بين المهاجرين فقط:

إن ما يغنمه جنود الاسلام دون قتال و هو ما يسمى بالفى يعود أمره الى رسول الله صلى الله عليه وآله خاصة يضعه حيث يشاء و يصرفه فيما يرى من مصالح الاسلام لقوله تعالى:

«مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِي الْقُرْبَى وَ الْيَتَامَى وَ الْمَسَاكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ» (١).

و قد رأى النبى صلى الله عليه وآله أن من الصالح أن يقسم المزارع و الممتلكات التى غنمها من بنى النضير على المهاجرين دون الأنصار، لحرمانهم من ممتلكاتهم و ثروتهم فى مكة بسبب الهجرة منها الى المدينة، و كانوا فى الحقيقة ضيوفا على الأنصار طوال هذه المدة، و قد أريد «سعد بن معاذ» و «سعد بن عباد» هذا الرأى، و من هنا قسم رسول الله صلى الله عليه وآله جميع تلك المزارع و

الممتلكات على المهاجرين خاصية، و لم يصب أحد من الأنصار منها شيئاً الا رجلاً كانا محتاجين هما: «سهل بن حنيف»، و «أبو دجانه»، الانصاريين و حصل بذلك انفراج في أحوال المسلمين عامة، و أعطى «سعد بن معاذ» سيف

(١) الحشر: ٧.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢١٤

رجل من زعماء بنى النضير و كان سيفاً معروفاً.

يقول المقرئى:

فلما غنم رسول الله صلى الله عليه وآله من بنى النضير بعث ثابت بن قيس بن شماس فدعا الانصار كلها- الاوس و الخزرج- فحمد لله و أتى عليه، و ذكر الانصار و ما صنعوا بالمهاجرين و انزالهم اياهم فى منازلهم، و آثرتهم على أنفسهم ثم قال صلى الله عليه وآله: «أله:

«ان أحببتهم قسمت بينكم و بين المهاجرين ما أفاء الله على من بنى النضير و كان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى فى مساكنكم و أموالكم، و ان أحببتهم أعطيتهم و خرجوا من دوركم؟» فقال سعد بن عباد و سعد بن معاذ: رضينا و سلمنا يا رسول الله.

فقسم رسول الله ما أفاء الله عليه، على المهاجرين دون الانصار إلا رجلين كانا محتاجين .. الخ «١».

و قد وقعت هذه الحادثة فى شهر ربيع الأول فى السنة الرابعة من الهجرة و نزلت سورة الحشر فى هذا الشأن، و التى جاء فى مطلعها قوله تعالى:

«هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ» (٢).

هذا و يعتقد أكثر المؤرخين المسلمين أنه لم يفسك فى هذه الحادثة، أى دم، و لكن المرحوم الشيخ المفيد يكتب فى ارشاده: انه وقع ليلة فتح حصون بنى النضير قتال محدود قتل فيه عشرة من اليهود و كان ذلك هو السبب فى فتح تلك الحصون «٣».

(١) امتاع الاسماع: ج ١ ص ١٨٢ و ١٨٣.

(٢) الحشر: ٢.

(٣) الارشاد: ص ٤٧ و ٤٨.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢١٥

و قال المقرئى: و فقد على رضى الله عنه فى بعض الليالى فقال النبى صلى الله عليه وآله: انه فى بعض شأنكم، فعن قليل جاء برأس «عزوك» و قد كمن له حتى خرج فى نفر من اليهود يطلب غزاة من المسلمين و كان شجاعاً رامياً فشد عليه على رضى الله عنه، فقتله و فر اليهود «١».

(١) امتاع الاسماع: ج ١ ص ١٨٠.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢١٦

(١)

١- تحريم الخمر:

إشارة

كانت الخمر، و على العموم جميع المسكرات و لا تزال من أشد الاوبئة الاجتماعية التي تهدد أمن و سلامة المجتمعات البشرية و تجر إليها أكبر الأخطار و يكفي في خطورة هذا السم القاتل أنه يعادى أكبر ما يميز البشر عن ما سواه من الاحياء، ذلكم هو العقل، فان الخمر هو العدو الأول لهذه الموهبة الالهية التي في سلامتها ضمان سعادة الانسان.

إن الفارق بين الانسان و بين سائر الاحياء هو القوة العاقلة التي يمتلكها الانسان دون غيره، و تكون المسكرات من أعدى أعداء هذه القوة، من هنا كان المنع من تعاطي الخمر و المسكرات من أبرز البرامج التي جاء بها الأنبياء، و كانت الخمر محرمة في جميع الشرائع السماوية «١».

(١) عام ١٣٣٩ هجرى زار الدكتور آرشه تونك رئيس منظمة مكافحة الخمر ايران، و قد سرّ لما سمع أن الاسلام يحرم تعاطي المسكرات.

و قد كان يحب أن يلتقى بزعيم المذهب الشيعى يومئذ: (آية الله السيد البروجردى) ليتعرف على رأى الاسلام فى الخمر و المسكرات، فاصطحبه أحد الدكاترة المعروفين فى طهران إلى منزل السيد البروجردى فى مدينة «قم»، و بعد الاستئذان تشرف بقاء السيد، و قد حضر العلامة الطباطبائى فى ذلك المجلس و كنت أنا و والدى حاضرين هناك كذلك.

فكان أول سؤال طرحه الدكتور هو: لما ذا حرم الاسلام المسكرات؟

فقال الامام البروجردى: يكفي أن أشير لك من بين العلل الكثيرة إلى علة واحدة و هى أن الخمر تحطم العقل الذى به يمتاز الانسان عن سائر الاحياء، و يتميز عليهم. كما اوضحناه اعلاه.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢١٧

(١) و لقد كانت معاقرة الخمر من الآفات التي كانت متفشية و متجذرة فى المجتمع العربى فى شبه الجزيرة العربية بحيث كانت معالجتها تحتاج الى وقت طويل، و اسلوب مدروس، و لم تكن الظروف و الاحوال فى ذلك العهد لتسمح بأن يعلن رسول الاسلام عن تحريم الخمر دفعة واحدة و من دون آية مقدمات، و موهبات لذلك، بل كان يتحتم عليه أن يعالج هذا الوباء الاجتماعى من خلال إعداد الناس لمرحلة التحريم النهائى و القطعى تماما كما يفعل الطبيب بالنسبة إلى المرضى الذين طال بهم المرض، و تجذر. من هنا حرمت الخمر فى أربع مراحل تدريجية ضمن آيات أربع أظهرت الاستياء من الخمر لكن لا على نمط واحد، بل بدأت من مرحلة مخففة حتى انتهت إلى مرحلة الاعلان عن التحريم القطعى.

(٢) إنّ التمعن فى هذه الآيات تكشف لنا عن كيفية الاسلوب النبوى فى التبليغ و الإرشاد، و الدعوة و الهداية، و ينبغى للخطباء، و الكتاب أن يتبعوا هذا الاسلوب المؤثر و المفيد فى معالجة الأدواء الاجتماعية المزمنة، و يكافحها بهذا الشكل حتى يحصلوا على أفضل النتائج.

إن الشرط الاساسى لمكافحة ناجحة لأي خلق و سلوك فاسد هو إيقاظ المجتمع و إيقافه أولاً على أضرار ذلك السلوك، و مفاصله، و تذكيره بآثاره السيئة ليحصل لدى المجتمع - بذلك - الاستعداد الروحى بل و الدافع الباطنى إلى خوض معركة أساسية و جذرية ضد ذلك السلوك الفاسد، و الخلق الذميم، و يكون الناس هم الضمانة لا- نجاح هذه المهمة. و ذلك لأن رد المعتاد عن عادته كالمعجز كما فى الحديث الشريف «١».

كيف والعرب كانوا يعشقون الخمر حتى أن الرجل منهم ربما كان يوصى بأن يدفن الى جنب كرمه لتسقى عظامه بالخمر. يقول أحدهم:

(١) مفاتيح الغيب: ج ٢ ص ٢٦٣.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢١٨ إذا مت فادفني الى جنب كرمه تروى عظامى بعد موتى عروقتها «١» من هنا اعتبر القرآن الكريم اتخاذ الخمر من التمور والاعناب- فى مجتمع كان تعاطى الخمر جزء أساسيا من حياته- مخالفا للرزق الحسن، وبذلك ايقظ العقول العافية، إذ قال:

«وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا» (٢).

(١) إن القرآن أعلن- فى المرحلة الاولى من مراحل النهى عن تعاطى الخمر- أن اتخاذ المسكر من التمر والعنب لا يعد من الارتزاق الحسن بل الارتزاق الحسن هو تناول التمر والعنب على حالتها الطبيعية.

إن هذه الآية: أعطت هزة ذكية للعقول و هيأت الطبائع المنحرفة لمرحلة أقوى فى مسيرة تحريم الخمر حتى يتسنى لرسول الله صلى الله عليه وآله أن يشدد من نبرته، ويعلن عن طريق آية اخرى أن النفع المادى القليل، الذى تعود به الخمر و يأتى به القمار، ليس بشيء بالقياس الى أضرارهما الكبرى و أخطارهما العظيمة، و قد تم الكشف عن هذه الحقيقة فى قوله تعالى:

«يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا» (٣).

(٢) ولا ريب أن مجرد المقارنة بين النفع والضرر، و كذا الوقوف على زيادة الضرر على النفع كاف لايجاد النفور والاشمئزاز لدى العقلاء، و الداعين من الخمر و ما شاكلها، و شابهها.

إلا أن جماهير الناس و عامتهم لن يقلعوا عن هذه العادة الشريرة المتجذرة ما لم يسمعوا نهيا صريحا و قاطعا عنها.

فها هو عبد الرحمن بن عوف رغم نزول هذه الآية قد استضاف جماعة من الصحابة و أحضر على المائدة خمرًا، فأكلوا، و شربوا الخمر، ثم قاموا الى الصلاة، فأخطأ أحدهم فى القراءة و هو سكران خطأ غير من مراد الله تعالى فى ما قرأ من

(١) أى ما يسكر.

(٢) النحل: ٦٧.

(٣) البقرة: ٢١٩.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢١٩

الآية، فقد تلا سورة «الكافرون»، و بدل أن يقول: «لا أعبد ما تعبدون» قرأ:

«أعبد ما تعبدون». فاضطربت تلك الجماعة لهذا الأمر، و خشيت أن تكون ارتكبت بذلك أمرا عظيما!!

(١) و قد هتأ هذا الحادث الناس ليحرم تعاطى الخمر فى ظروف و حالات خاصة على الاقل.

من هنا جاء الاعلان عن حرمة تعاطى الخمر قبل الصلاة، و أعلن القرآن الكريم بصراحة أنه لا يجوز لمسلم أن يصلّى فى حالة السكر، و قد أعلن عن هذا التشريع الالهى فى قول الله تعالى:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَ أَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ» (١).

و لقد بلغ من تأثير هذه الآية، و فاعليتها أن هجر جماعة من المسلمين تعاطى الخمر بالمرّة بحجة أن ما يضرّ بالصلاة يجب ان يطرد من حياة المسلم نهائيا.

و لكن البعض بقى يتعاطاها حتى أن رجلا من الأنصار دعا جماعة الى مائدة أحضر فيها الخمر- رغم نزول الآية الحاضرة- فلما شربوا

و أسكروا حمل بعضهم على بعض، و جرح بعضهم بعضا فشكوا أمرهم إلى النبي صلى الله عليه وآله، و كان الخليفة الثاني لم يزل يشرب الخمر إلى ذلك معتقدا عدم كفاية الآية الحاضرة في التحريم القطعي لها و لهذا رفع يديه إلى السماء و قال: اللهم بين لنا بيانا شافيا في الخمر.

(٢) و لا يخفى أن هذه الحوادث و الوقائع المؤسفة قد هيأت الارضية بشكل رائع لتقبل مسألة تحريم الخمر تحريما كاملا و قاطعا، من هنا نزل قوله تعالى يعلن عن هذه الحرمة القطعية:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» (٢).

(١) النساء: ٤٣.

(٢) المائدة: ٩٠.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٢٠

و قد دفع هذا البيان البليغ القاطع أن يقلع عن الخمر نهائيا من كان يشربها حتى تلك الساعة بحجة عدم وجود نهى صريح و قاطع عنها.

و قد جاء في كتب السنة و الشيعة أن الخليفة الثاني قال بعد سماع هذه الآية: انتهينا يا ربّ «(١)!!»

(١)

وقفه عند «البيان الشافي»:

قلنا إن الخليفة الثاني لم يقتنع بعد سماع الآيات الثلاث بحرمة الخمر، بل بقي ينتظر بيانا شافيا يكشف عن التحريم القطعي، حتى اقنعه الآية الرابعة بحرمة الخمر و المسكرات، و قد كان حكم الله تعالى في هذه الآية هو: أن الخمر «رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون» و لكن المتغربين، و هواة المادية الغربية في عصرنا لم تقنعهم كل هذه الآيات بحرمة الخمر، حتى الآية الرابعة الصريحة في هذا الأمر، فيقولون لا بد أن يعلن عن هذا التحريم بلفظة:

حرام أو حرمت، و ألا لم يمكن القطع بحرمة الخمر!!

إن هذه الزمرة التابعة لأهوائها، الأسيرة لشهواتها الحرام، لا تريد في الحقيقة إلا أن تظل عاكفة على الخمر أبدا، و من هنا تطرح مثل المعاذير و تتوسل بمثل هذه التحججات الجوفاء.

على أن القرآن الكريم قد استعمل لفظ الحرام بشكل ما في شأن الخمر إذ قال: «و إثمهما أكبر من نفعهما» (٢).

و قد حرّم تعالى جميع أنواع الإثم في آية أخرى إذ قال:

«قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَ مَا بَطَّنَ وَ الْإِثْمَ» (٣).

و بعبارة أخرى: لقد بين الله تعالى في آية أخرى الموضوع، و هو أن الخمر (التي تسمى إثما أيضا) قد حرمت.

(١) مستدرک الوسائل: ج ٤ ص ١٤٣، روح المعاني: ج ٧ ص ١٥.

(٢) البقرة: ٢١٩.

(٣) الاعراف: ٣٣.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٢١

فهل ينتظر هواة الغرب بعد هذا البيان الواضح و التحريم الصريح بيانا كافيا شافيا!؟

(١) و في الحقيقة نحن لا نحتاج إلى مثل هذا الاستدلال أبداً فالآيات الأربع المتقدمة التي وصفت الخمر بأنها «رجس» و أنها نظير «الميسر»، و أنها «عمل شيطاني»، مناقض للفلاح، و سبب «للعداوة» و «البغضاء»، قد أعلنت عن حرمتها بصورة واضحة لا إبهام فيها، و لا غموض، و هي بالتالي أقوى بيان لمن تدبر و أنصف، و تجرد عن الاهواء و الأعراض المريضة.

و هنا لا بد أن نذكر بنقطة هامة و هي أن النبي الاكرم صلى الله عليه و آله استطاع ان يطهر في هدى هذه الآيات الأربع، بيته و مجتمعه من أدران هذه العادة الشريرة، و يقوم المؤمنون أنفسهم بتنفيذ هذا الحكم من دون قهر أو إجبار، بينما لم يستطع العالم الغربي رغم كل ما يملك من الإمكانيات المادية العريضة، و أجهزة الدعاية الواسعة أن يخطو خطوة ناجحة في هذا الطريق، فقد اخفقت كل خطته، أمام هذا السم القاتل، و الفشل الذي أصاب الولايات المتحدة في مكافحة المشروبات الروحية في أعوام ١٩٣٣-١٩٣٥ أمر معروف للجميع، و له قصة عجيبة يمكن أن يقف عليها القارئ الكريم في مصادرها «١».

رواية مختلقة:

و من عجيب الأمر أن يروى بعض المفسرين عند تفسير قوله تعالى:

«و لا تقربوا الصلاة و انتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون» رواية جاء فيها أن امام المتقين على بن أبي طالب عليه السلام كان ضمن جماعة شربوا الخمر ثم قاموا الى الصلاة فقرأ أمامهم غلطا: «اعبد ما تعبدون» فانزل الله تعالى هذه الآية:

«لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَ أَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ».

نقول إن من العجيب أن تنسب إلى الامام على عليه السلام مثل هذه

(١) راجع ما ذا خسر العالم بانحطاط المسلمين: ص ٨٠ و غيره.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٢٢

النسبة و هو الطاهر المطهر بحكم آية التطهر «١» و هو الذي نشأ و ترعرع في احضان سيد المرسلين صلى الله عليه و آله الذي كان يتجنب الخمر، حتى قبل نزول النهي الصريح عنها، هذا و على عليه السلام المعروف بحكمته و فهمه و علمه عارف بما للمسكر من تبعات خطيرة.

نعم من العجيب أن نصدق بأن عليا عليه السلام شرب الخمر، و هناك في الجاهلية (و قبل الاسلام) من حرّم الخمر على نفسه لكونه يذهب بالعقل، و يؤول بالمرء الى ما لا يحمد. سيد المرسلين ج ٢ ٢٢٢ رواية مختلقة: ص : ٢٢١

في السيرة الحلبية كان عبد الله بن جدعان من جملة من حرّم الخمر على نفسه في الجاهلية أي بعد ما كان مغرما بها و سبب ذلك أنه سكر ليلة فصار يمدّ يده على ضوء القمر ليمسكه فضحك منه جلساؤه ثم اخبروه بذلك حين صحا فحلف أن لا يشربها أبدا.

و كان عثمان بن مظعون ممن حرّم الخمر على نفسه في الجاهلية أيضا و قال:

لا أشرب شيئا يذهب عقلي، و يضحك بي من هو أدنى مني، و يحملني على أن انكح كريمتي من لا اريد «٢».

و ورد عن الامام محمد الباقر عليه السلام قال: أوحى الله تعالى إلى رسول الله صلى الله عليه و آله اني أشكر لجعفر بن أبي طالب عليه السلام أربع خصال.

فدعاه النبي صلى الله عليه و آله فأخبره فقال: لو لا أن الله تبارك و تعالى أخبرك ما أخبرتك:

ما شربت خمرا قط لاني لو شربتها زال عقلي.

و ما كذبت قط لان الكذب ينقص المروءة.

و ما زينت قط لأنني خفت إذا عملت عمل بي.

(١) الاحزاب: ٣٣، راجع تفاسير الفريقين و مجاميعهم الحديثية.

(٢) السيرة الحلبية: ج ١ ص ١٣٠.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٢٣

و ما عبت صنما قط لأنى علمت أنه لا يضر و لا ينفع.

فضرب النبي صلى الله عليه وآله على عاتقه و قال: «حق لله تعالى أن يجعل لك جناحين تطير بهما مع الملائكة فى الجنة» (١).

نعم هذا هو موقف من هو أقل مرتبة و منزلة من الإمام على عليه السلام من الخمر، و لو فى العهد الجاهلى، و قبل تحريمها فى الاسلام.

لكن يد الوضع و الدس أبت إلا أن تختلق رواية فى المقام، فقد جاءت فى جامع البيان للطبرى روايتان نذكرهما سنداً و متناً ليكشف القارئ على ما تعانين من مأخذ:

١- حدثنا محمد بن بشار قال حدثنا عبد الرحمن قال حدثنا سفيان عن عطاء بن السائب عن أبى عبد الرحمن عن على أنه كان هو و عبد الرحمن و رجل آخر شربوا الخمر فصلى بهم عبد الرحمن فقرأ: يا أيها الكافرون فخلط فيها فنزلت: لا تقربوا الصلاة و انتم سكارى.

٢- حدثنى المثنى قال حدثنا الحجاج بن المنهال قال حدثنا حماد عن عطاء بن السائب عن عبد الله بن حبيب أن عبد الرحمن بن عوف صنع طعاماً و شراباً فدعا نفرًا من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله فأكلوا و شربوا حتى تملأوا فقدموا علياً يصلى بهم المغرب فقرأ: قل يا أيها الكافرون اعبدوا ما تعبدون و أنتم عابدون ما أعبد و أنا عابد ما عبدتم. لكم دينكم و لى دين. فأنزل الله تبارك و تعالى هذه الآية: «لا تقربوا الصلاة و أنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون» (٢).

و الروايتان- مضافاً إلى ما يرد عليهما من الاشكال- تعانين من مؤاخذات متعددة أبرزها الاشكال فى سندهما، فكلتا الروايتان تنتهيان إلى عطاء بن السائب، و هو مطعون فى وثاقته و ديانته، و فى حفظه و حديثه، و إليك ما قال عنه أئمة علم الرجال:

(١) الدرجات الرفيعة: ص ٧٠ نقلاً عن الامالى لابن بابويه.

(٢) جامع البيان فى تفسير القرآن للطبرى: ج ٥ ص ٦١.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٢٤

قال عنه الذهبي: عطاء بن السائب أحد علماء التابعين، تغير بأخرة و ساء حفظه.

قال عنه أحمد: من سمع منه قديماً فهو صحيح، و من سمع منه حديثاً لم يكن بشيء.

و قال عنه يحيى بن معين: لا يحتج به.

و قال أحمد بن أبى خيثمة عن يحيى: حديثه ضعيف.

و قال عنه أبو حاتم: محلّه الصدق قبل أن يخلط.

و قال النسائي: ثقّه فى حديثه القديم لكنه تغير.

و قال ابن عثية: قدم علينا عطاء بن السائب البصرة، فكنّا نسأله، فكان يتوهم، فنقول له: من؟ فيقول: اشياخنا ميسرة، و زاذان، و فلان.

و قال الحميدى، حدثنا سفيان، قال: كنت سمعت من عطاء بن السائب قديماً، ثم قدم علينا قدمه فسمعتة يحدث ببعض ما كنت سمعت، فخلط فيه، فاتقته و اعتزلته.

و اضاف الذهبي: «و من مناكير عطاء ...» (١).

أجل هذا هو عطاء في منظار علماء الرجال، انه سيئ الحفظ، ضعيف مخلط له مناكير، يتوهم، تغير بأخرة، وقد ظهرت آثار الوهم و سوء الحفظ و التخليط هذا في روايته هاتين. فهو تارة يقول أن عليا عليه السلام كان مأموما في هذه القصة (كما في الرواية الاولى) و تارة يقول كان عليه السلام إماما للجماعة.

و هذه الرواية من مناكيره، و أوهامه بلا ريب، إذ كيف يصح أن ينسب إلى رجل لازم رسول الله صلى الله عليه وآله الطيب الطاهر منذ نعومة أظفاره، شرب الخمر، و الائتمام برجل دونه في الفضل، أو إمامته للجماعة و تخليطه في قراءة سورة عظيمه من سور القرآن الكريم؟!

و لنستمع معا إلى ما يقوله إمام المتقين على بن أبي طالب عليه السلام عن

(١) ميزان الاعتدال: ج ٣ ص ٧٠-٧٣.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٢٥

فترة صباه في كنف رسول الله صلى الله عليه وآله فانه أفضل رد على هذه الرواية و نظائرها: قال عليه السلام:

«قد علمتم موضعى من رسول الله صلى الله عليه وآله بالقراءة القريبة، و المنزلة الخصيصة، و وضعى فى حجره و أنا ولد يضمنى الى صدره، و يكنفنى فى فراشه، و يمسنى جسده و يشمنى عرفه، و كان يمضغ الشىء فيلقمنيه و ما وجد لى كذبة فى قول، و لا خطلة فى فعل، و لقد قرن الله به صلى الله عليه وآله من لدن كان فطيما أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم، و محاسن أخلاق العالم، ليله و نهاره، و لقد كنت اتبعه إتباع الفصيل أثر أمه، يرفع لى فى كل يوم من أخلاقه علما، و يأمرنى بالاعتداء به» (١).

هذا و أغلب الظن ان الذين اختلقوا هذه الرواية لما وجدوا أمثال هذه القبائح فى حياة بعض الصحابة أرادوا ان يساووا بين الامام على عليه السلام و غيره، فاختلقوا هذه الفرية الوقحة.

و مما يثير الاستغراب أن يقع بعض الكتاب و المفكرين المعاصرين فى نفس ما وقع القدامى من الخطأ فى هذا المجال، و يذكر هاتين الروايتين فى تفسيره للقرآن الكريم، مع كل هذه المؤاخذات عليهما حتى فى صورة النقل، كما فعل سيد قطب فى تفسيره «فى ظلال القرآن» (٢)، إذ ليس كل ما هو مذكور فى كتب الاقدمين يصح نقله، و يجوز تكراره. و بخاصة من دون تعليق و تكذيب.

(١)

غزوة ذات الرقاع:

إشارة

قيل إنما سميت هذه الغزوة، و هذا الجهاد المقدس بالرقاع، لأن المسلمين مروا بأرض بقع سود، و بقع بيض كأنها مرقعة برقاع مختلفة. و ربما قيل لأن الحجارة أو هنت أقدام المجاهدين فكانوا يلقون على أرجلهم

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم ١٩٢.

(٢) عند تفسير قوله تعالى: «لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَ أَنْتُمْ سُكَارَى».

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٢٦

الخرق، و الرقاع فسميت هذه الغزوة بذات الرقاع (١).

و على كل حال فان هذه الغزوة لم تكن ابتدائية تماما مثل بقية الغزوات، بل كانت لإطفاء شرارة كانت على شرف الاشتعال، و

الانفجار، وبالضبط جاءت لتقضى على تحركات واستعدادات عدائية كان يقوم بها بنو محارب و بنو ثعلبة و كلاهما من قبائل غطفان.

(١) وقد كان من دأب النبي و سياسته أن يبتأ أشخاصا أذكيا إلى المناطق المختلفة ليأتوا له بالأخبار عن كل ما يستجد على ساحة الجزيرة العربية، و في أوساط القبائل.

فأتاه الخبر ذات مرة أن القبيلتين المذكورتين تنويان جمع الاسلحة و الرجال لاجتياح المدينة و غزوها، فسار إليهم رسول الله صلى الله عليه و آله على رأس مجموعة من رجاله و أصحابه حتى نزل نخلا بنجد قريبة من مكان العدو «٢».

فدفعت سوابق المسلمين الجهادية، و ما سطروه في المعارك و المواقف من قصص المقاومة و الصمود و البسالة و الاستقامة، و ما حققوه من انتصارات ساحقة حيرت سكان الجزيرة العربية من أقصاها إلى أقصاها.

لقد دفعت كل هذا العدو إلى الانسحاب، و اللجوء إلى رءوس الجبال، و قد خافوا ألما يبرح رسول الله صلى الله عليه و آله حتى يستأصلهم.

و قد صلى رسول الله صلى الله عليه و آله بالمسلمين في هذه الغزوة صلاة الخوف، التي بين الله تعالى كيفيتها في سورة النساء الآية ١٠٢.

و أغلب الظن أن العدو كان في هذه الغزوة قويا في تجهيزاته و قواه، و ان الاوضاع العسكرية قد وصلت إلى مرحلة خطيرة مما سبب الخوف، و لكن الانتصار كان في المآل من نصيب المسلمين.

(١) السيرة النبوية، الهوامش: ج ٢ ص ٢٠٤.

(٢) امتاع الاسماع: ج ١ ص ١٨٨.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٢٧

(١)

مواقف خالدة في هذه الغزوة:

إشارة

يروى المؤرخون و المفسرون المسلمون كابن هشام «١» و أمين الاسلام الطبرسي «٢» قصصا عجيبة، و حوادث مثيرة للاعجاب وقعت في هذه الغزوة تكشف عن عمق مروءة النبي صلى الله عليه و آله مع أعدائه، و قد نقلنا نظير هذا في غزوة ذي أمر، من هنا نحجم عن ذكر ذلك في هذه الدراسة رعاية للاختصار، و لكن نلفت نظر القارئ الكريم إلى القصة التالية التي تكشف عن صمود المسلمين و اخلاصهم لدينهم.

(٢)

الحراس الصامدون:

مع أن جيش الاسلام قد عاد إلى المدينة من هذه الغزوة من دون قتال و لكنّه أصاب مع ذلك بعض الغنائم، و استراح في شعب في

أثناء الطريق، و بات ليلته هناك، ثم كلف رسول الله صلى الله عليه وآله رجلين بحراسة الجيش ليلا يدعيان: «عباد» و «عمار»، فقسم الرجلان الليل بينهما، فنام أحدهما و سهر الآخر يحرس الجيش، و كان الذي سهر أول الليل هو «عباد».

ثم إن رجلا من العدو خرج في أثر المسلمين، و كان يقصد أن يريق دما أو يصيب شيئا و يعود الى محله.

و قام «عباد» يصلى، و أقبل ذلك الرجل يطلب غزاة فلما رأى «عباد» سواده من قريب قال ذلك الرجل في نفسه: نعلم الله أن هذا لطبيعة القوم، و حرسهم ففوق له سهما و رماه به فأصاب عبادا و لكن عبادا نزع السهم و وضعه، و ثبت قائما يصلى فرماه العدو بسهم آخر، فأصابه فانترعه و ثبت قائما فرماه بثالث فنزعه، فلما غلب عليه الدم ركع و سجد، ثم قال لصاحبه: اجلس فقد اصبت، فجلس عمار، فلما رأى الاعرابي أن عمارا قد قام علم أنهما قد علما

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٢٠٥-٢٠٩.

(٢) مجمع البيان: ج ٣ ص ١٠٣.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٢٨

به، فقال عمار: أى أخى ما منعك أن توقظنى به فى أول سهم رمى به؟!

قال: كنت فى سورة أقرأها و هى سورة الكهف، فكرهت أن أقطعها حتى أفرغ منها، و لو لا أنى خشيت أن اضيغ ثغرا أمرنى به رسول الله صلى الله عليه وآله ما انصرفت و لو أتى على نفسى «١».

و هكذا صمد هذا المسلم و استمر فى صلاته غير مبال بما اصابته من السهام.

(١)

بدر الثانية:

إشارة

لما أراد أبو سفيان أن ينصرف يوم «أحد» نادى: موعدا و موعداكم بدر الصفراء العام القابل نلتقى فيه فنقتل.

و لهذا أمر رسول الله صلى الله عليه وآله المسلمين بأن يتهيئوا للدفاع على أنفسهم و قد مر على وقعة «أحد» عام واحد.

و كان أبو سفيان الذى كان يرأس قريش آنذاك يواجه فى ذلك الوقت مشاكل داخلية مختلفة فكره الخروج الى رسول الله فى الموعد الذى ضربه لمقاتلة المسلمين، و اتفق أن قدم مكة فى تلك الايام «نعيم بن مسعود» الذى كانت بينه و بين أبى سفيان علاقات صداقة خاصة، فجاءه أبو سفيان و قال له: إئتى وعدت محمدا و أصحابه يوم «أحد» أن نلتقى نحن و هو ببدر الصفراء على رأس الحول، و قد جاء ذلك، و لا يصلح أن نخرج إليه العام.

فقال نعيم: ما أقدمنى إلّا ما رأيت محمدا و أصحابه يصنعون من إعداد السلاح و الكراع، و قد تجلبب إليه حلفاء الأوس، فتركت المدينة أمس و هى كالرمانة.

فزاد ذلك من مخاوف أبى سفيان، و ضاعف من كراهته للخروج الى رسول الله صلى الله عليه وآله. و تقرر بالتالى أن يعود نعيم إلى المدينة و يحذر المسلمين من الخروج للموعد، و يخذلهم.

(٢) و عاد «نعيم» إلى المدينة، و راح يرعب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٢٠٨، المغازى: ج ١ ص ٣٩٧.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٢٩

و آله و يخوفهم من الخروج إلى أبي سفيان إلا أن كلامه لم يترك أى أثر فى نفس رسول الله صلى الله عليه وآله، فخرج صلى الله عليه وآله فى ألف و خمسمائة مقاتل من أصحابه، و قد خرجوا ببضائع لهم، و تجارات حتى انتهوا الى «بدر» و قام السوق السنوى هناك فباعوا و اشتروا فى موسم بدر و ربحوا كثيرا ثم تفرق الناس، و لكن النبى و أصحابه بقوا هناك ثمانية أيام ينتظرون أبا سفيان و جيشه.

و قد كان هذا الاجراء اجراء عسكريا حكيما و رائعا إذ أظهر قوة النبى و عزمته و قوة أصحابه و عزمته، و لهذا كان له أثر قوى فى نفوس الاعداء.

فلما بلغت أنباء خروج رسول الله صلى الله عليه وآله و أصحابه الى بدر، لم ير حكام مكة المشركون بدا من الخروج إلى بدر حفاظا على ماء الوجه، فخرج أبو سفيان و المشركون بتجهيزات كافية إلى مّر الظهران، و لكنهم عادوا من منتصف الطريق إلى مكة بحجة الغلاء و القحط، فاعترض صفوان بن امية على أبي سفيان و قال: قد و الله نهيتك يومئذ أن تعد القوم، و قد اجترءوا علينا، و رأوا انا قد أخلفناهم، و انما خلفنا الضعف عنهم «١».

ولادة السبط الأصغر لرسول الله:

(١) و فى الثالث من شهر شعبان من هذه السنة (الرابعة من الهجرة) ولد السبط الثانى لرسول الله صلى الله عليه وآله الامام الحسين بن على «٢»، كما توفيت «فاطمة بنت أسد» والدة الإمام على عليه السلام «٣». و فى هذا العام بالذات أمر رسول الله صلى الله عليه وآله زيد بن حارثة أن يتعلم السريانية من اليهود «٤».

(١) المغازى: ج ١ ص ٣٨٤ - ٣٩٠، و قد وقعت هذه الحادثة فى الشهر الخامس و الاربعين بعد الهجرة. و تسمى هذه الغزوة «بدر الموعد».

(٢) و (٣) تاريخ الخميس: ج ١ ص ٤٦٧.

(٤) إمتاع الاسماع: ص ١٨٧، تاريخ الخميس: ج ١ ص ٤٦٤.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٣٠

(١)

حوادث السنة الخامسة من الهجرة «١»

٣٦ من أجل تحطيم التقاليد الخاطئة

إشارة

تعتبر معركة «الاحزاب»، و قصة بنى قريظة، و زواج رسول الله صلى الله عليه وآله بزینب بنت جحش من أروع الحوادث التاريخية التى وقعت فى السنة الخامسة من الهجرة.

و أول هذه الحوادث - كما عليه المؤرخون المسلمون - هو زواج رسول الله صلى الله عليه وآله بالمرأة المذكورة.

و قد ذكر القرآن الكريم تفاصيل هذه القضية ضمن الآيات (٤، ٦، ٣٦، الى ٤٠) من سورة «الاحزاب»، و لا- يبقى - حينئذ- مجال للأكاذيب المستشرقين و دسائسهم و مختلفاتهم الواهية.

و نحن هنا ندرس هذه القضية على ضوء أصح المصادر و الينابيع التاريخية الاسلامية التي لم تطلها أيدي العبث و التحريف، و المسخ، و التشويه، ألا و هو القرآن الكريم، ثم بعد ذلك نتحدث حول ما قاله المستشرقون و من لف لفهم،

(١) يرى مؤلف كتاب تاريخ الخميس أن هذه الحادثة وقعت في شهر ذى القعدة من السنة الخامسة للهجرة و لكن هذا الرأي يبدو غير صحيح من وجهة نظر المحاسبة الاجتماعية، لأن رسول الله صلى الله عليه وآله كان منشغلا بغزوة «الاحزاب»، و «بنى قريظة» من ٢٤ شهر شوال من السنة الخامسة الى ١٩ من شهر ذى الحجة من نفس السنة فيكون تحقق مثل هذا الزواج في مثل هذه الظروف أمرا مستبعدا جدا، و اذا كان الزواج من زينب يعدّ من حوادث السنة الخامسة لزم ان يكون قد تحقق قبل الحادثتين المذكورتين، و لهذا عمدنا الى ذكر هذه الحادثة قبل تينيك الواقعتين.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٣١

و نحى منحاهم في التعامل مع تاريخ السيرة النبوية.

(١)

من هو زيد بن حارثة؟

كان زيد شابا سرقه قطاع الطرق من الأعراب و هو صغير من قافلة، و باعوه عبدا في سوق عكاظ، و قد اشتراه حكيم بن حزام لعمة خديجة بنت خويلد، و قد أهدته خديجة لرسول الله صلى الله عليه وآله بعد زواجها منه.

و لقد دفعت سيرة النبي صلى الله عليه وآله و آله الحسنه، و أخلاقه الفاضلة و سجاياه النبيلة زيدا هذا في أن يحب رسول الله صلى الله عليه وآله حبا شديدا، حتى أنه عند ما جاء أبوه الى مكة يبحث عنه، و علم بوجوده عند النبي صلى الله عليه وآله مشى الى رسول الله صلى الله عليه وآله و طلب منه أن يعتقه، و يعيده إليه، ليعيده بدوره الى أمه و يلحقه بأقربائه، فابى زيد إلا البقاء عند رسول الله صلى الله عليه وآله و فضل ذلك على المضى مع أبيه، و العودة الى وطنه، و عشيرته، و قد خيره رسول الله صلى الله عليه وآله في المكث عنده أو الرحيل مع أبيه الى وطنه.

(٢) على أن ذلك الانجذاب و الحب كان متبادلا بين زيد و رسول الله صلى الله عليه وآله فكما أن زيدا كان يحب رسول الله صلى الله عليه وآله و يحب أخلاقه و خصاله، كان رسول الله صلى الله عليه وآله يحب زيدا كذلك لنباهته و أدبه حتى أنه أعتقه و تبناه، فكان الناس يدعونه زيد بن محمد بدل زيد بن حارثة، و لكي يتأكد ذلك وقف رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم و قال لقريش:

«يا من حضر اشهدوا أن زيدا هذا ابني» (١).

و قد بقى هذا الحب المتبادل بين زيد، و بين رسول الله صلى الله عليه وآله و آله الى أن استشهد هذا المسلم الصادق و المؤمن المجاهد في معركة مؤته، فحزن رسول الله صلى الله عليه وآله و آله لمصرعه كما حزن لولد من أولاده.

(١) اسد الغابة: ج ٢ ص ٢٣٥ و كذا الاستيعاب و الإصابة مادة: زيد.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٣٢

(١)

زيد يتزوج بابنة عمه النبي:

لقد كان من أهداف رسول الاسلام العظيم صلى الله عليه وآله هو أن يخفف من الفواصل بين طبقات المجتمع و فئاته، و يقارب بينها قدر الامكان، ليعيش البشر جميعا تحت لواء الانسانية و التقوى إخوة متحابين لا تبعد بعضهم عن بعض مقاييس الثروة و النسب، بل يكون الملاك في التفاضل هو الأخلاق الفاضلة و السجايا الانسانية.

من هنا كان يجب التعجيل في ازالة التقاليد العربية البالية التي كانت تقضى بأن لا يتزوج بنات السادة و الاشراف بأبناء الطبقات الضعيفة و الفقيرة.

و أى وسيلة لضرب هذا التقليد القبيح الظالم و تحقيق المساواة الكاملة أفضل من أن يبدأ النبي صلى الله عليه وآله في تحطيم هذا التقليد بأقربائه و ذويه ليقدم بذلك درسا عمليا للامة في هذا المجال، فقام بتزويج عتيقه «زيد بن حارثة» من شريفة من بنى هاشم و هى ابنة عمته زينب بنت جحش حفيده عبد المطلب ليعلم الناس أنه يجب عليهم الاقلاع عن تلك التقاليد الجاهلية الظالمة بسرعة، و يعرفوا أن النبي صلى الله عليه وآله هو أول من نعد في حق ذويه ما كان يردده من قوله: «لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى» و «إن المؤمن كفؤ المؤمن».

(٢) و لأجل تحطيم ذلك التقليد الجاهلي الخاطي ذهب رسول الله بنفسه إلى منزل زينب، و خطبها لزيد، فلم تبد زينب و أخوها رغبة في هذا الأمر في الوهلة الاولى لأن الأفكار الجاهلية كانت لا تزال مترسبة في قلوبهم، و من ناحية اخرى كان الرد على النبي صلى الله عليه وآله و آله أمرا صعبا و لهذا تذرعا بعبودية «زيد» السابقة و حاولا بذلك التخلص من مطلب النبي صلى الله عليه وآله.

فلم يلبثا أن نزل قوله تعالى يشجب رد زينب و أخيها لطلب النبي صلى الله عليه وآله:

«وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٣٣

مِنْ أَمْرِهِمْ، وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا» (١).

فتلاها رسول الله صلى الله عليه وآله عليهم فورا فدفع إيمان زينب و أخيها الصادق برسول الله صلى الله عليه وآله و أهدافه المقدسة إلى أن تبادر زينب إلى الاعلان عن رضاها و رضا أخيها بهذا الزواج، فتزوجت ابنة شريف قوم «زينب» بعتيق رسول الله صلى الله عليه وآله و آله زيد و بذلك طبّق رسول الله صلى الله عليه وآله و آله واحدا من أعظم مناهج الاسلام الحية، و آدابه الانسانية الرفيعة، و حطّم عمليا واحدة من أفبح السنن الجاهلية، و أكثرها تخلفا و اجحافا.

(١)

زيد يطلق زوجته:

إلا أن هذا الزواج لم يدم طويلا، فقد آل إلى الطلاق، و الافتراق و يعزى البعض ذلك إلى نفسيته «زينب» و سلوكها الحاد حيث كانت ربما تذكر لزيد دنوّ حسبه، و علوّ حسبها، و بذلك كانت تمرّ في ذائقته طعم الحياة و تسبب انزعاجه.

و لكن يحتمل أن السبب وراء هذا الطلاق كان هو زيد نفسه، فان تاريخ حياته يشهد بأنه كان يعاني من روح العزلة، و عدم الالفه، فقد اتخذ أزواجا متعددة و طلقهنّ (إلا الاخيرة منهن حيث استشهد عنها و هى فى حبالته) فيكون هذه الطلاقات المتعددة دليلا على عدم القدرة على الانسجام مع زوجاته، لحالة نفسيته كان يعاني منها.

و يشهد بذلك أيضا خطاب رسول الله صلى الله عليه وآله و آله الحاد، له، فان النبي صلى الله عليه وآله لّمّا عرف بأن زيدا يبغى طلاق زوجته زينب غضب و قال: «أمسك عليك زوجك و اتق الله» (٢).

و لو كان الذنب كلّ ذنب زوجته زينب لما كان يعدّ تطبيقها عملا مخالفا للتقوى.

(١) الاحزاب: ٣٦.

(٢) الاحزاب: ٣٧.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٣٤

و مهما يكن فقد طلق زيد زينبا و افترقا، ثم تزوج بها النبي صلى الله عليه وآله بعد ذلك.

(١)

زواج النبي بمطلقة متبناه لابطال سنة جاهلية اخرى:**اشارة**

و لكن قبل أن ندرس العلة الاساسية لهذا الزواج لا بد أن نلقى نظرة فاحصة إلى مسألة النسب الذي يعد مقوما مهما من مقومات المجتمع الصحيح.

و بعبارة اخرى و أكثر تحديدا لا بد أن ندرس الفرق الجوهرى بين الولد الحقيقى، و بين المتبنى.

و توضيحا لهذا الأمر نقول:

كان يوجد فى المجتمع العربى الجاهلى أبناء لا يعرف لهم آباء أو لهم آباء معروفون، و كان الرجل يعجبه أحد هؤلاء فيتبناه و يدعوه ابنه، و يلحقه بنسبه و تصير له حقوق النبوة و ملحقاتها.

و لما كان هذا شذوذا عن الاساس الطبيعى للاسرة أبطله الاسلام و ذلك لأن الولد الحقيقى ينتمى إلى أبية بجذور تكوينية، فالوالد هو- فى الحقيقة- المنشأ المادى لوجود ابنه، و يرث الولد من والده و والدته الكثير من صفاتهما الجسمية و الروحية، و بذلك يكون امتدادا طبيعيا لوالديه.

(٢) و على أساس هذه الوحدة الطبيعية، و وحدة الدم يتوارث الآباء و الأبناء، و تترتب أحكام خاصة فى مجال الزواج و الطلاق، و التحليل و التحريم.

و بناء على هذا فان مثل هذا الموضوع الذى ينشأ من جذور تكوينية واقعية، لا يوجد أبدا باللفظ و اللسان.

و لهذا قال الله سبحانه فى الكتاب العزيز فى معرض الرد على من يتصور المتبنى ولدا حقيقيا لمجرد ادعاء النبوة:

«وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ. ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَ مَوَالِيكُمْ وَ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَ لَكِنْ

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٣٥

مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَ كَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً» (١).

فلا يكون الابن المتبنى و الولد الحقيقى فى صعيد الموضوع سياتن أبدا، فكيف فى صعيد الاحكام كالتوارث، و الزواج و الطلاق و ما شابه ذلك.

فاذا ورث الولد الحقيقى من ابيه او بالعكس أو حرمت زوجته الولد الحقيقى على ابيه بعد طلاقها من زوجها لا يمكن أن نقول أن الابن المتبنى يشبهه و يشترك معه فى هذه الاحكام أبدا.

(١) و من المسلم به أن مثل هذا التشريك فى الحقوق و الشؤون مضافا إلى كونه لا يستند الى أساس معقول و صحيح هو نوع من العبث بعامل النسب، و هو العنصر المهم فى المجتمع السليم الصحيح.

و على هذا الاساس إذا كان التبنى بدافع العاطفة أمرا مستحسنا و مقبولا، إلما أنه إذا كان بهدف إشراكه فى سلسلة من الأحكام

الاجتماعية التي هي من شئون الولد الحقيقي و حقوقه يعد أمرا بعيدا و غريبا جدا عن المحاسبات العلمية، و الاسس الموضوعية. و لقد كان المجتمع العربي - كما اسلفنا - يعد الابن بالتبني كالولد الحقيقي دون فرق، و قد كلف رسول الله صلى الله عليه وآله من جانب الله تعالى بأن يقضى على هذا التقليد الجاهلي و السنة الخاطئة باجراء عملي صارخ و ذلك بالتزوج بزينة مطلقة متبناه «زيد»، و يمحي من حياة المجتمع العربي هذا التقليد القبيح بالعمل الذي يفوق القول، و وضع القانون، في التأثير، و الفاعلية. و لم يكن لهذه الزيجة غير هذا السبب.

(٢) لقد كان هذا التقليد أمرا مقدسا في المجتمع العربي بشكل كبير جدا بحيث لم يكن أحد ليجرأ على نقضه و مخالفته و التزوج بمطلقة دعيه «٢» لقبحه في نظر العرب لذلك دعا الله سبحانه نبيه الى القيام بهذا العمل الخطير، إذ قال:

(١) الأحزاب: ٤ و ٥، راجع تفسير الميزان: ج ١٦ ص ٢٩٠ و ٢٩١.

(٢) الدعوى هو الابن المتبنى و جمعه أدياء.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٣٦

«وَ إِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَ اتَّقِ اللَّهَ وَ تَخْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَ تَخْشَى النَّاسَ وَ اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَ كَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا» (١).

(١) إن هذا الزواج مضافا إلى كونه استهدف منه تحطيم سنة جاهلية مقيته (سنة عدم الزواج بمطلقة المتبنى) و إعادة العلاقات العائلية الى وضعها الصحيح يعتبر من أقوى مظاهر المساواة في الإسلام، لأن النبي الاكرم صلى الله عليه وآله تزوج بمطلقة عتيقه و قد كان مثل هذا العمل مخالفا لشؤون المجتمع يومذاك.

و لقد أثار هذا الاقدام الشجاع موجة من الاعتراض و النقد من جانب المنافقين، و أصحاب العقول الضيقة، فقد طرحت هذه المسألة في الاوساط و النوادي و أخذوا يشنعون بها على رسول الله صلى الله عليه وآله و يقولون: لقد تزوج محمد بمطلقة دعيه. فأنزل الله تعالى في الرد على تلكم الافكار و الاقوال الباطلة قوله:

«مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَ لَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَ كَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا» (٢).

(٢) على أن القرآن لم يكتف بهذا البيان بل امتدح نبيه الذي نفذ حكم الله بشجاعته كاملة بقوله:

«مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سِوَةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَ كَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا. الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَ لَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَ كَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا» (٣).

و خلاصة المفاد لهاتين الآيتين هي أن رسول الله صلى الله عليه وآله كغيره من الأنبياء يبلغ رسالات الله و لا يخاف لوم اللائمين، و كيد المنافقين، و إرجاف المرجفين.

(١) الأحزاب: ٣٧.

(٢) الأحزاب: ٤٠.

(٣) الأحزاب: ٣٨ و ٣٩.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٣٧

هذه هي فلسفة تزوج رسول الله صلى الله عليه وآله بزينب بنت جحش مطلقة دعيه و متبناه و عتيقه زيد بن حارثة في ضوء القرآن الكريم.

(١)

المستشرقون و قضية تزوج النبي بزینب:

إشارة

إن زواج رسول الله صلى الله عليه وآله بزینب مطلقاً زيد بن حارثة - كما لاحظت - قضية بسيطة خالية عن أي إبهام أو غموض. ولكن جماعة من المستشرقين تذرّعوا بها لإغراء البسطاء و من شاكلهم غير الملمين بالتاريخ الاسلامي و أرادوا بذلك إضعاف إيمان الذين لا يعرفون السيرة النبوية حق المعرفة، فأننا يجب أن ندرس ما قالوه في هذا المجال، و نكشف للقارئ الكريم عن مواطن الدس و التحريف فيه.

و لا يخفى أن الاستعمار البغيض لم يكتف للسيطرة على بلادنا باستخدام القوة العسكرية، و السلاح الاقتصادي بل ربما دخلها متسترا بقناع العلم و التحقيق، فقد سعى - و لم يزل - لفرض أسوأ هيمنة فكرية شاملة و تبعية ثقافية مقبته على شعوبنا وفق تخطيط دقيق و مدروس و هذا هو ما يسمّى بالاستعمار الفكري، و الثقافي.

و في الحقيقة فإن المستشرق هو طليعه ذلك الاستعمار، بل و جيشه المتفجع بقناع العلم و المعرفة الذي ينفذ إلى أعماق المجتمع، و يتسلل إلى اوساط المفكرين و المثقفين و ينفث سمومه القاتلة، و يحذر العقول، و يمهد النفوس للاستعمار السافر، و المكشوف.

(٢) و يمكن أن لا يرتضى كثير من الكتاب و عشاق القلم و الثقافة في الغرب منطقنا هذا فيعمدوا الى رمينا بالتحجر، و العصبية و التخلف و يتصوروا باننا نقول ما نقوله بدافع العصبية القومية أو الدينية، و لكن كتابات المستشرقين و إخفاءهم المتعمد و الكثير للحقائق، و تحريفهم و دسهم المكشوف في تاريخ الاسلام حينا و الخفي حينا آخر يشهد بوضوح أن دافعهم في كثير مما كتبوا ليس حب العلم و تحري المعرفة، فان أكثر ما كتبه ممزوج بطائفه من أفكارهم المعادية للاسلام، و لرسول

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٣٨

الله و المسلمين «١».

(١) و يشهد على هذه النزعة - بجلاء و وضوح - موقفهم من زواج رسول الله صلى الله عليه وآله بزینب بنت جحش و ما نسجوه من قضايا خيالية حول هذه القضية، التي وقعت بهدف إبطال سنة باطله، فأعطوها صبغة قصص الحب و أساطير الغرام على طريقة القصصين و الروائيين و ديدنهم، و عمدوا إلى حكاية تاريخية مختلقة و ضخموها و نفخوا فيها و نسبوه إلى أظهر إنسان عرفه العالم البشري.

و على كل حال فان أساس هذه الاسطورة عبارات نقلها ابن الأثير «٢» و من قبله الطبري «٣» و بعض المفسرين، و هي أنه: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله يريد زيدا و على الباب ستر من شعر فرفعته الريح فرآها و هي حاسرة فأعجبته!!!

و لكن المستشرقين بدل أن يتحققوا من سند هذه الأقوال، لم يكتفوا بنص ما ذكره اولئك المؤرخون و المفسرون، بل الصقوا به الكثير الكثير حتى تحوّلت تلك الجمل العابرة إلى قصة تشبه أقاصيص ألف ليلة و ليلة.

(٢) إن من المؤكد أن الذين يعرفون سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله الطاهرة يدركون أن هذا التاريخ إنما هو في أصله و فرعه من نسج الخيال، و صنع الأوهام، و انها تخالف ما في صفحات التاريخ النبوي الوضاعة النقية مخالفة كاملة، الى درجة أن علماء معروفين كالغفر الرازي و الألوסי كذبوا هذه القصة بشكلها الذي ذكرها ابن الأثير و الطبري بصراحة كاملة و قالوا: إن هذه الرواية رواية باطله زورها و اختلقها أعداء الاسلام، و راجت في كتب المؤلفين المسلمين «٤».

فكيف يمكن القول بأن هذه القصة و بهذه الكيفية كانت مما يعتقد بصحته

(١) للتأكد الأكثر من هذا الأمر (راجع كتاب المستشرقون).

(٢) و (٣) الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ١٢١، جامع البيان في تفسير القرآن: ج ٢٢ ص ١٠.

(٤) مفاتيح الغيب: ج ٢٥ ص ٢١٢، روح المعاني: ج ٢٢ ص ٢٣ و ٢٤.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٣٩

ابن الأثير، و الطبري في حين أن هناك العشرات ممن نقلوا خلافها و برأوا ساحة النبي العظيم صلى الله عليه وآله من هذه المساوي. و على أية حال فإننا نشير في الصفحات التالية لدلائل اختلاق هذا القسم من التاريخ، و نعتقد أن القضية في واقعها و حقيقتها واضحة جدا، و اغنى من ان ندافع عنها.

و إليك أدلتنا:

(١) أولا- ان التاريخ المذكور يخالف المصدر الاسلامي الاصيل و هو (القرآن الكريم) لأن القرآن بشهادة الآية (٣٧) من سورة الأحزاب تصرّح بأنّ زواج رسول الله صلى الله عليه وآله من زينب كان لأجل إبطال سنة جاهلية باطلة و هي السنّة القاضية بأنه لا يحق لأحد أن يتزوج مطلقه دعيته، خاصة و أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله فعل ذلك بأمر الله سبحانه و ليس بدافع من الرغبة الشخصية، و الحب الشخصي، و لم يكذب ذلك أحد في صدر الاسلام.

فاذا كان ما قاله القرآن الكريم مخالفا للحقيقة لسارع اليهود و النصارى و المنافقون الى نقده و تفنيده، و لأحدثوا ضجة بسبب ذلك، في حين أنّ مثل هذا لم يؤثر من أعداء الاسلام الذين كانوا يتحينون الفرص للايقاع برسول الله صلى الله عليه وآله، و تلوّث سمعته. (٢) ثانيا- أن «زينب بنت جحش» هي تلك المرأة التي اقترحت على رسول الله صلى الله عليه وآله الزواج بها قبل أن يتزوج بها «زيد» و لكن رسول الله صلى الله عليه وآله أصرّ على ان تتزوج غلامه المعتق زيدا رغم رغبتها في الزواج من رسول الله صلى الله عليه وآله.

فلو كان رسول الله صلى الله عليه وآله يحبّ الزواج بها- و هو يعرفها طبعاً- لما وجد مانعا من ذلك عند ما طلبت منه الزواج بها، فلما ذا لم يتزوج بها؟ و لما رفض طلبها؟.

أجل، انه لم يتزوج بها و لم يجب مطلبها بل ألحّ عليها أن تتزوج بشخص آخر رغم أنه أحسّ برغبة شديدة لدى زينب في الزواج منه لا من غيره.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٤٠

(١) و بعد تكذيب هذا القسم المحرّف من التاريخ الاسلامي لا يبقى مجال لتعليقات و أوهام جنود الاستعمار و طلائعه المغرضين. إننا نبزئ ساحة رسول الاسلام العظيم صلى الله عليه وآله من أمثال هذه الترهات و النسب الرخيصة و نرى أن ساحته المقدسة أجلّ من أن ننقل كلمات هذا الفريق من الكتاب المغرضين الحاقدين في حقّ نبيّ بقى مكتفيا بزوجة تكبره بثمانية عشر عاما، الى أن بلغ سن الخمسين.

من هنا نعرض عن ذكر أقوالهم.

و لا بأس بأن نذكر هنا ما كتبه جماعة من المحققين المصريين الذين أشرفوا على طباعة «التاريخ الكامل» لابن الأثير تعليقا على ما أدرجه في هذا المجال:

هذه رواية باطلة زورها الملاحدة، و اختلقها أذهان أعداء الدين الاسلامي ليطعنوا في نبي الاسلام عليه و على آله الصلاة و السلام، و هل يعقل: انه لا يعرف ابنة عمته التي كان ولي زوجها إلى مولاه زيد؟ و انما دسائس الزنادقة، و مبشري المسيحية قد تغلغت في

نفوس العلماء من حيث لا يعلمون، فافتكروا في رواية الخبر، فاتخذوه أساسا، وأعرضوا عن كتاب الله وعن قول الله تعالى من أن الله أعلمه بأنها صارت زوجه قبل أن استشاره زيد في طلاقها.

والعجيب أن ابن الأثير مع جلاله قدره ينقل هذه الرواية المزيفة التي هي طعن صريح في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد قلّد في روايته هذه ابن جرير قبله، وكلاهما وقع في هوة الضلالة من حيث لا يشعر، ولو عرضت كل رواية على كتاب الله تعالى لما أقدم أحد على مثل هذا الإفك العظيم!!

إن زينب هي وهبت نفسها لرسول الله فزوجها من مولاه، ثم تزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «كى لا- يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا»، فاذن كان الزواج لأجل التشريع، وكان عمليا، لشدة نفرة أهل الجاهلية من هذا الزواج من النبي صلى الله عليه وآله، لانهم يعدّون المتبني ولدا صريحا أو في مرتبته.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٤١

قال الفخر الرازي: وفيه إشارة إلى أن التزويج من النبي صلى الله عليه وآله لم يكن لقضاء شهوة النبي صلى الله عليه وآله بل لبيان الشريعة بفعله، انتهى.

ونحن نعتب عليه أيضا إذ جعله إشارة و لم يجعله صريحا و بما أن روح التقليد الأعمى قد اشتد بين المسلمين منذ زمن بعيد فالحكاية التي أوردها المؤلف نقلها كثير من المفسرين غير مفكرين بما فيها من طعن في الدين لإفادتها أن الشريعة الإسلامية عبارة عن إتباع أهواء أو تنفيذ شهوات تنزهت عن ذلك كله، و يرحم الله السيد الآلوسى حيث قال في تفسيره: و حاصل العتاب: لم قلت «امسك عليك زوجك»، و قد أعلمتك أنها ستكون من أزواجك و هو مطابق للتلاوة، لأن الله أعلم أنه مبدئ ما أخفاه عليه الصلاة والسلام و لم يظهر غير تزويجها منه فقال: «زوّجناكها» فلو كان الضمير محبتها و ارادة طلاقها، و نحو ذلك لأظهره جلّ و علا، و للقصاص في هذه القصة كلام لا ينبغي أن يجعل في حيز القبول، انتهى.

ثم أورد الروايات المزيفة التي تشبه ما أورده المؤلف (أى ابن الأثير) محذرا الناس منها و من أمثالها التي لا تروج إلّا على الحمقى و المغفلين انتهى. راجع هامش الكامل فى التاريخ ج ٢ ص ١٢١. طبعه القاهرة ادارة الطباعة المنيرية عام ١٣٤٩ هـ.

(١)

توضيح عبارتين:

هذا و استكمالا للبحث، و اتماما للفائدة ندرج نص الآية التي نزلت في هذا المجال، و التي تسببت جملتان منها في إثارة الشكوك لدى بعض الجاهلين بحقائق السيرة النبوية الزكية، و نعطي بعض التوضيحات اللازمة حولهما: و إليك نص الآية أولا:

«وَ إِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَ اتَّقِ اللَّهَ».

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٤٢

و فيما يلي الجملتان اللتان تحتاجان الى التوضيح:

«و تخفى في نفسك ما الله مبديه».

(١) فما ذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله يخفى في نفسه و قد أظهره الله و أبداه بعد كل تلك النصيحة التي نصح بها صلى الله عليه وآله و آله زيدا؟

ربما يتصور أحد أن الأمر الذى كان يخفيه رسول الله صلى الله عليه وآله هو رغبة النبي صلى الله عليه وآله في تطليق زيد زوجته زينب أى أنه و ان كان رسول الله صلى الله عليه وآله ينهى زيدا فى الظاهر عن تطليق زينب، إلا أنه كان فى سرّه يرضى بذلك بل يرغب فيه ليتسنى له بعد ذلك أن يتزوجها هو.

ولا شك أن هذا الاحتمال غير صحيح مطلقاً لأن النبي صلى الله عليه وآله إذا كان يظن مثل هذا الأمر، فلما ذا لم يبد الله سبحانه نيته هذه بآيات أخرى، في حين أنه سبحانه وعد في هذه الجملة بأن يظهر ما كان يخفيه رسول الله في نفسه إذ قال تعالى: «مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ»!

(٢) ولهذا قال المفسرون: إن المقصود مما كان يخفيه هو الوحي الالهي الذي أنزله الله عليه، و توضيح ذلك هو: أن الله تعالى أوحى إليه بأن زيدا سيطلق زوجته رغم نصيحة النبي، وأنه صلى الله عليه وآله سيتزوج بها من بعده لإبطال سنه جاهلية مقيته (وهي حرمة الزواج بمطلقة الدعوى).

ومن هنا كان رسول الله صلى الله عليه وآله حين نصيحته لزيد ونهيه عن تطليق زينب زوجته ملتفتاً ومنتبهاً إلى هذا الوحي الالهي أيضاً، ولكنه أخفى هذا الوحي عن زيد وغيره، ولكن الله تعالى أخبر النبي في نفس تلك الجملة بأنه تعالى سيبدى للناس ما يخفيه رسول الله صلى الله عليه وآله في قلبه، وأن الأمر لن يبقى خافياً على أحد بإخفائه صلى الله عليه وآله له.

ويشهد بهذا المعنى أن القرآن الكريم أظهر الأمر في ذيل نفس هذه الآية إذ قال:

«فَلَمَّا قُضِيَ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٤٣

فِي أَزْوَاجٍ أُدْعِيَتْهُمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا» (١).

فمن هذا التعقيب يستفاد أن ما كان يخفيه رسول الله صلى الله عليه وآله هو الوحي الالهي، بأنه عليه أن يتزوج بزوجه دعيه بعد طلاقها لإبطال سنه جاهلية خاطئه.

(١) ٢- واما الجملة الثانية التي هي بحاجة الى التوضيح فهي قوله تعالى: «وَتَخَشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ». غير أن هذا القسم من الآية هي الجملة الثانية الأقل إبهاماً وغموضاً من الجملة السابقة بدرجات، لأن تجاهل سنه عريقه متجذره في بيئه منحرفه (وهي الزواج بمطلقة الدعوى) يقترن - بطبيعته الحال وحتماً - بحرج نفسى يزول و يرتفع لدى الأنبياء بتوجههم إلى الأمر الالهي ..

و اذا كان النبي صلى الله عليه وآله يعاني من حرج نفسى شديد من هذه القضية فانما هو لأجل أنه صلى الله عليه وآله كان يتصور أن جماعة العرب الذين لم يكن عهدهم بالإسلام طويلاً، لم يمر على انقطاعهم عن عاداتهم و تقاليدهم الجاهلية سوى زمن قصير سيقولون: إن النبي ارتكب عملاً سيئاً، و الحال أن الأمر ليس كما يعتقدون.

قال العلامة الطباطبائي في هذا الصدد: قوله: «لكي لا- يكون على المؤمنين حرج في ازواج أدعيائهم لَمَّا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا» تعليل للترويج و بيان مصلحه للحكم. وقوله: و «كان أمر الله مفعولاً» مشير الى تحقق الوقوع و تأكيد للحكم.

و من ذلك يظهر أن الذي كان النبي صلى الله عليه وآله يخفيه في نفسه هو ما فرض الله له أن يتزوجها لا هواها، و حبه الشديد لها و هي بعد مزوجة كما ذكره جمع من المفسرين، و اعتذروا بأنها حالة جبلية لا يكاد يسلم منها البشر فإن فيه أولاً: منع أن يكون بحيث يقوى عليه التربية الإلهية. و ثانياً: أنه لا معنى حينئذ للعتاب على كتمانها و إخفائه في نفسه فلا مجوز في الإسلام لذكر حلائل الناس

(١) الاحزاب: ٣٧.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٤٤

و التشبب بهن (١).

و لما كانت المسألة مسألة وضع قانون جديد لهذا مضى القرآن الكريم يؤكدها و يزيل عنصر الغرابة عنها فقال تعالى: «مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سِنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَ لَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ، وَ كَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا. مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَ لَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَ كَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ

عَلِيمًا. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا. وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا. هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا. تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا. يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا. وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا. وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا. وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعَا أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا» (٢).

ففي هذه الآيات اشارة إلى:

١- أن ما قام به النبي من التزوج بزینب كان بأمر الله، و كان على سبيل سنّ قانون و تشريع سنه و لكن بصورة عمليه، و إن ذلك القانون علم الله ضرورتها و قدرها و زمانها و مكانها.

٢- أن زيدا ليس ابن محمّد صلى الله عليه وآله انما هو متبناه و دعیه بل هو ابن والده حارثه واقعا و حقيقه و ليس ذلك إلا تقرير و تأكيد للحقيقه التي سبقت الاشارة إليها في قوله تعالى: «وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ».

٣- أن ما قام به رسول الله صلى الله عليه وآله من التزوج بمطلقة متبناه هو جزء من تشريعه الذي يشّعه بأمر الله و إذنه تعالى لتسير عليه البشريه، وفق آخر رساله السماء الى الأرض، لا أنه أمر واقع بدافع شخصي.

(١) تفسير الميزان: ج ١٦ ص ٣٤٣.

(٢) الاحزاب: ٣٨-٤٨.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٤٥

٤- إن الله هو الذي يعلم ما يصلح لهذه البشريه و ما يصلحها و هو الذي فرض على النبي ما فرض ليحل للناس ازواج ادعيائهم اذا ما قضاوا منهن وطرا و انتهت حاجتهم منهن و اطلقوا سراجهن. قضى الله هذا وفق علمه بكل شيء، و معرفته بالاصحح و الاوفق من النظم و الشرائع.

٥- إن ما سنّه الله للمسلمين و ما اختاره تعالى للامه الاسلاميه في مجال العلاقات العائليه يريد بها الخير و الخروج من الظلمات إلى النور، فعليهم ان يذكروه و يشكروه أبدا و دائما، فانه سيكون لهم لو أطاعوه و سبّحوه و ذكروه شأن في الملاء الاعلى فهو يصلى عليهم و ملائكته، و يذكّرهم هناك بالخير، و انما يفعل كل هذا من منطلق الرحمه و العنايه بهم.

٦- أن وظيفه النبي صلى الله عليه وآله في المسلمين هي (الشهادة) عليهم، فليحسنوا العمل، و هي (التبشير) لهم بما ينتظر العاملين من رحمه و غفران، و (الانذار) للغافلين المسيئين بما ينتظرهم من عذاب و نكال، و (الدعوة الى الله) لا إلى دنيا أو مجد أو عزه قوميه أو عصبيّه جاهليه، و ذلك باذن الله فما هو بمبتدع، و لا بقائل من عنده شيئا.

٧- ان على النبي صلى الله عليه وآله أن يبشّر المؤمنين المطيعين لاوامر الله بأن لهم فضلا كبيرا، و لا يطيع الكافرين، و المنافقين، و ألا يحفل أذاهم له و للمؤمنين، و ان يتوكل على الله وحده و هو بنصره كفيل، و هو يوحى بأن المنافقين أرجفوا بالنبي صلى الله عليه وآله في هذه القضيه، ارجافا عظيما.

و كل هذه الامور توحى بأن تغيير تلك السنه الجاهليه (عدم الزواج بمطلقة المتبني) كانت عمليه صعبه فاحتاجت إلى كل هذا التعقيب، و بالتالي تثبيت الله للنفوس فيه، كي تتلقى ذلك الأمر بالرضى و القبول و التسليم، و هذا هو الحال عند سنّ القوانين المهمه و الخطيره.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٤٦

(١) ٣٧

غزوة الاحزاب «١» لقد قاد رسول الله صلى الله عليه وآله في السنه الخامسه مجموعه من الغزوات، كما و بعث سلسله من السرايا

لافشال المؤامرات التي كانت في طور الانعقاد أو التكوين أو التي كانت محتملة من جانب العدو.

و إليك فيما يأتي بعض غزوات السنة الخامسة:

(٢) ١- غزوة دومة الجندل «٢»: بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله أن بدومة الجندل جمعا كثيرا وأنهم يظلمون من مَرَّ بهم من المسافرين والتجار، وأنهم يريدون أن يدنوا من المدينة، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله في ألف من المسلمين، فكان يسير الليل و يكمن النهار أخذ بعنصر الاستتار والسريه على عادته.

ولما دنا رسول الله صلى الله عليه وآله من دومة الجندل وعرف به تلك الجماعة تفرقوا من فورهم فلم يجد صلى الله عليه وآله بها أحدا، فأقام بها أياما و بثّ السرايا والدوريات و فرّقها حتى غابوا عنه يوما ثم رجعوا إليه، و لم يصادفوا من

(١) ذكر ابن هشام في سيرته أن هذه الغزوة وقعت في شهر شوال من السنة الخامسة للهجرة، و حيث إن غزوة الأحزاب انتهت في الرابع و العشرين من شهر ذي القعدة، و طالت محاصرة المدينة شهرا واحدا لذلك يجب أن نقول إن هذه المعركة بدأت منذ الرابع و العشرين من شهر شوال تقريبا.

(٢) المغازي: ج ١ ص ٤٠٢، السيرة النبوية: ج ٣ ص ٢١٣ و دومة الجندل منطقة بين دمشق و المدينة (الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ٤٤).

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٤٧

تلك الجماعة أحدا.

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله عاد إلى المدينة في العشرين من شهر ربيع الثاني، من دون أن يقاتل «١».

(١)

٢- غزوة الخندق (الأحزاب):

إشارة

أجلى رسول الله صلى الله عليه وآله يهود بني النضير في السنة الرابعة من الهجرة كما قلنا بسبب نقضهم للميثاق، و سيطر على قسم من أموالهم و ممتلكاتهم، و اضطرت بنو النضير إلى أن تذهب إلى «خيبر» و تسكن هناك، أو تسير إلى الشام. و قد كان إجراء النبي صلى الله عليه وآله و آله هذا متطابقا مع ما جاء في الميثاق المعقود بينه و بين يهود يثرب.

و قد دفع هذا الإجراء بسادة بني النضير و زعمائهم إلى التآمر ضد الإسلام، فقدموا مكة، و حرضوا قريشا على حرب رسول الله صلى الله عليه وآله و آله و إليك مفصل هذه الغزوة:

عبأ المشركون العرب، و اليهود قواهم في هذه المعركة ضد الإسلام.

(٢) فقد شكّلوا اتحادا نظاميا قويا و حاصروا المدينة مدة شهر واحد، و بما أن أحزابا مختلفه اشتركت في هذه المعركة سميت هذه المعركة بمعركة الأحزاب، و ربما سميت بمعركة «الخندق» لأن المسلمين احتفروا خندقا حول المدينة عظيما، دفاعا عنها، و منعا للكفار عن اجتياحها.

و لقد كان زعماء بني النضير و بني وائل - كما أسلفنا- هم المحرّكون الأصليون لهذه الحرب، و المشعلون الرئيسيون لفتيلها.

(١) امتاع الاسماع: ج ١ ص ١٩٣ و ١٩٤.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٤٨

فانّ الضربة القوية التي تلقاها يهود بنى النضير من المسلمين، و التي اضطرّوا على أثرها الى مغادرة المدينة، فسكن بعضهم خيبر، دفعهم إلى ان يخططوا بصورة جهنمية و دقيقة لاستئصال شأفة الاسلام، و القضاء عليه. و انها لخطة عجيبة حقا، فقد جعلوا المسلمين يواجهون طوائف متعددة و أحزاب مختلفة لم يعرف لها تاريخ العرب مثيلا!!

(١) كما أن في هذه الخطة كان اليهود هم أنفسهم الممولون الاساسيون لطوائف العرب العديدة، فقد أمدهم بأموال كبيرة، و هبثوا كل ما يحتاجون إليه من حاجات و معدات!!

و كانت الخطة كالتالى: قدم جماعة من سادة بنى النضير مثل «سلام بن أبى الحقيق» و «حبي بن أخطب» فى نفر من بنى النضير على قريش مكة، فدعوهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وآله و قالوا: إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله، فلقد جئنا لخالقكم على عداوة محمد و قتاله.

و قال حبي بن أخطب: إن محمدا قد وتركم و وترنا و أجلانا من المدينة من ديارنا و أموالنا، و أجلا بنى عمنا بنى قينقاع فسيروا فى الأرض، و اجمعوا حلفاءكم و غيرهم حتى نسير إليهم، فقد بقى من قومي يثرب سبعمائة مقاتل و هم بنو قريظة، و بينهم و بين محمد عهد و ميثاق و أنا أحملهم على نقض العهد بينهم و بين محمد و يكونون معنا عليهم، فتأتونه انتم من فوق و هم من أسفل.

فأثرت كلمات اليهود و ما قاله «حبي بن أخطب» فى نفوس المشركين الحانقين على رسول الله، و اصحابه، و استحسنا خطتهم، و ابدوا استعدادهم للخروج إلى رسول الله صلى الله عليه وآله و قتاله. و لكنهم قبل أن يوافقوا اليهود على ذلك الرأى سألوهم قائلين: يا معشر اليهود انكم أهل الكتاب الأول، و العلم، أخبرونا عما اصبحتنا نحن فيه و محمد، ا فدينا خير أم دين محمد؟

(٢) و يجب أن نرى الآن بما أجابت هذه الطائفة (التي كانت و لا تزال تعد نفسها حامل لواء التوحيد، الوحيد فى العالم) اولئك المشركين الجهلة الذين

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٤٩

وصفوا اليهود بالعلم و المعرفة، و طلبوا منهم حل مشكلتهم؟! «أجل لقد قال اليهود بوقاحة كبيرة: بل دينكم خير من دينه، و أنتم أولى بالحق، إنكم لتعظّمون هذا البيت، و تقومون على السقاية، و تنحرون البدن، و تعبدون ما كان عليه آباؤكم، فانتم أولى بالحق منه!!!» (١).

و لقد أضافت اليهود بهذه الاجابة الوقحة و صمّة عار اخرى الى سجلهم الاسود، و زادوا تاريخهم المشؤوم سوادا، و سوء. و لقد كانت هذه الغلطة فضيعة، و قبيحة الى درجة أن الكتاب اليهود تأسفوا لوقوعها، فى ما بعد.

(١) فهذا هو الدكتور اسرائيل يكتب فى كتابه: (تاريخ اليهود فى بلاد العرب) حول هذا الموقف المشين جدا قائلا: «كان من واجب هؤلاء الألا- يتورطوا فى مثل هذا الخطأ الفاحش، و الا يصرحوا امام زعماء قريش بأن عبادة الاصنام أفضل من التوحيد الاسلامى و لو أدى بهم الأمر الى عدم اجابة مطالبهم كان من واجبهم أن يضخّوا بحياتهم و كل عزيز لديهم فى سبيل ان يخذلوا المشركين، هذا فضلا عن أنهم بالتجائهم إلى عبدة الاصنام انما كانوا يحاربون أنفسهم و يناقضون تعاليم التوراة» (٢).

(٢) و فى الحقيقة أن هذا المنطق هو الذى يتوسّل به الساسة الماديون اليوم لإنجاح مقاصدهم، و تحقيق مآربهم. فهم يعتقدون- بكل جدّ- أن عليهم- لتحقيق أهدافهم- التوسل بكل وسيلة ممكنة مشروعة كانت أو غير مشروعة، و هذا هو مقولة «الغاية تبرر الوسيلة» التى طرحها ميكافيلى، و بالتالى فان «الاخلاق» فى منظور هذه الجماعة هو ما يخدم مصالحهم و يحقق أغراضهم ليس إلّا.

إن القرآن الكريم يتحدث عن هذه الواقعة المرة فيقول:

«أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيْبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَ

(٢) حياة محمد: ص ٣٢٩.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٥٠

يَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا. أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ، وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ نَجِدَ لَهُ نَصِيرًا» (١).

(١) ولقد ترك كلام أدياء العلم والدين هؤلاء، أثرا عجيبا في نفوس المشركين و عبدة الاوثان، فأظهروا موافقتهم على خطة اليهود الجهنمية و هو تأليف جيش من قبائل متعددة لمقاتلة المسلمين و حددوا معهم موعدا للتوجه الى المدينة، لتحقيق ذلك الغرض المشؤوم.

فخرج مثيرو الفتنة و مشعلو الحرب (اليهود) من مكة بقلوب مملوءة سرورا، و غبطة، و ساروا الى نجد، ليتصلوا بقبيلة غطفان- و كانت من اعدى اعداء الاسلام- فاستجلبوا موافقة قبائل غطفان: بنى فزار، و بنى مزة، و بنى اشجع، شريطة أن يعطونهم تمر خبير، لمدة سنة، بعد الانتصار على المسلمين، و لكن تحركات قريش في مجال ضم القبائل الى ذلك الجيش لم ينته الى هذا الحد فقد راسلت قريش حلفاءها من بنى سليم و راسلت غطفان حلفاءها من بنى اسد، و دعوهم إلى المشاركة في هذه الحرب، فاستجابت لهم تلك القبائل، و تحركت جميع هذه الفئات و الاحزاب في جيش كبير هائل قدمت عناصره من مختلف نقاط الجزيرة، نحو المدينة في يوم معين و هي تبغى اجتياح مركز الاسلام، و استئصال شأفته!! (٢).

(٢)

استخبارات المسلمين ترفع تقريرا للقيادة:

منذ أن سكن رسول الله صلى الله عليه وآله في المدينة كان يبعث بجواسيسه و عيونہ النشطين الاذكياء الى مختلف مناطق الجزيرة، لتقصي الأخبار، و مراقبة الأوضاع، و إخبار النبي صلى الله عليه وآله بكل ما يحصلون عليه في هذا المجال أولا بأول. فقدم أحدهم على رسول الله صلى الله عليه وآله و أخبره بخروج تلك القوة

(١) النساء: ٥١ و ٥٢.

(٢) المغازي: ج ٢ ص ٤٤٣.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٥١

الكبيرة و مسيرها إلى المدينة، و بهدفها، و تاريخ خروجها، و وصولها إلى مشارف يثرب.

فرعا رسول الله صلى الله عليه وآله أصحابه فورا و أخبرهم خبر عدوهم، و شاورهم في الامر، ليستفيدوا من تجارب «احد»، فاقترح جماعة منهم اسلوب التحصن، و القيام بالدفاع من داخل القلاع و الحصون، و لكن هذا العمل لم يكن كافيا لأن جيش العدو كان كثيفا و كبيرا جدا و كان من المحتمل بقوة أن تقوم عناصره الكثيرة، الكبيرة في عددها بهدم الحصون و القلاع، و القضاء على المسلمين، فلا بد اذن من اتخاذ وسيلة تمنع العدو من الاقتراب الى المدينة أصلا.

(١) فقال سلمان الفارسي الذي كان عارفا بفنون القتال عند الفرس معرفة كاملة: يا رسول الله إنا اذا كنا بأرض فارس، و تخوفنا الخيل، خندقنا حولنا، فهل لك يا رسول الله أن تخندق؟ (١)

و في رواية اخرى أنه قال: يا رسول الله نحفر خندقا يكون بيننا و بينهم حجابا، فلا- يمكنهم أن يأتونا من كل وجه، فانا كنا معاشر العجم في بلاد فارس اذا دهمنا دهم من عدونا نحفر الخنادق فيكون الحرب من مواضع معروفة (٢)، (أي محدودة).

فاعجب رأى سلمان المسلمين جميعا، و كان لهذا التكتيك أثر جوهري و بارز جدا في حفظ الاسلام و صيانة المسلمين.

(٢) و من الجدير بالذكر أن النبي صلى الله عليه وآله خرج بنفسه يدرس المنطقه ميدانيا و لكي يحدّد المنطقه التي يمكن ان ينفذ

من خلالها العدو فقرر ان يحفروا الخندق من ناحية «احد» الى «راتج» و كان سائر المدينة مشبك بالبنيان و النخيل لا يتمكن العدو منها، و علم الموضوع الذى يجب ان يحفر بخط خطه على

(١) المغازى: ج ٢ ص ٤٤٥، تاريخ الطبرى: ج ٢ ص ٢٣٤.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٢١٨.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٥٢.

الأرض.

و لكى يتم هذا الامر بنظام و سرعه جعل على كل عشرين خطوة، و ثلاثين خطوة جماعة من المهاجرين و الانصار يحفرونه، فحملت المساحى و المعاول، و بدأ رسول الله صلى الله عليه وآله نفسه و أخذ معولا فحفر فى موضع المهاجرين بنفسه، و على عليه السلام ينقل التراب من الحفرة حتى عرق رسول الله صلى الله عليه وآله و عبي «١» و هو يقول:

«لا عيش إلا عيش الآخرة، اللهم اغفر للأنصار و المهاجرة».

(١) و قد كشف رسول الله صلى الله عليه وآله بعمله هذا عن جانب من نهج الاسلام و اسلوبه، و فى ذلك تنشيط الامه و تقوية لعزائمهم فى مجال القيادة و اخلاق القائد، و أفهم المجتمع الاسلامى أن على القائد الاسلامى، و على إمام الامه أن يشارك الناس فى آلامهم كما يشاركهم فى آمالهم و يسعى أبدا الى التخفيف عن كاهلهم بمشاركته العملية فى الأعمال، و لهذا لما نظر الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يحفر نشطوا و اجتهدوا فى الحفر، و نقلوا التراب، و لما كان اليوم الثانى بكرروا فى العمل، و كان ذلك النشاط العظيم عاملا فى أن يندفع يهود بنى قريظة أيضا إلى مساعدتهم فأعاروهم المساحى و الفؤوس و الأوعية الكبيرة لنقل التراب «٢».

و كان المسلمون يومئذ يعانون من نقص و ضيق شديدين فى المواد الغذائية، و مع ذلك كان أصحاب المكنة و الثراء من المسلمين يمدونهم بالطعام و غيره «٣».

و ربما عرضت للمسلمين و هم يحفرون فى الخندق صخرة عظيمة عجزوا عن كسرها و إزالتها، فأخبروا رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك فأخذ معولا فكسرها و أزالها.

(١) و جاء فى تاريخ الخميس: ج ١ ص ٤٨٩ انه (ص) كان ينقل التراب حتى اغبر بطنه.

(٢) السيرة الحلبية: ج ١ ص ٣١١.

(٣) السيرة الحلبية: ج ١ ص ٣١٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٥٣.

(١) أما طول الخندق فكان بالنظر الى عدد العاملين فى حفرها- و قد كان المسلمون يومئذ ثلاثة آلاف حسب المشهور، و كان كل عشرة يحفرون (٤٠) ذراعا- هو (١٢٠٠٠) ذراعا أى ما يقارب خمس كيلومترات و نصف الكيلومتر، و أما العرض فكان بحيث لا يقدر الفرسان الماهرون من عبوره بالقفز بأفراسهم، فيكون عرضه بطبيعته الحال ما يقارب خمسة أمتار و عمقه خمسة أمتار أيضا.

(٢)

القول النبوي الخالدة فى شأن سلمان:

عند ما قسم رسول الله صلى الله عليه وآله المهاجرين و الانصار جماعات جماعات، و أوكل الى كل جماعة حفر موضع من الخندق،

تنافس الناس يومئذ في سلمان الفارسي و أراد كل أن يضمه الى صفه، فقال المهاجرون: سلمان منا و قالت الأنصار: سلمان منا و نحن أحق به!!

فبلغ رسول الله صلى الله عليه وآله قولهم فقال قولته الخالدة في شأن سلمان يومذاك:
«سلمان منا أهل البيت» (١).

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله بقي الى جانب الخندق ستة ليال بآيامها حتى فرغ المسلمون من عمل الخندق غير أن المنافقين تخاذلوا في هذه القضية و كانوا يتذرعون بأعذار مختلفة ليلمصوا من العمل في الخندق، و ربما كانوا يذهبون إلى منازلهم من دون أن يستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وآله.

أما المؤمنون الصادقون فكانوا يعملون باستمرار، و اذا ما احتاجوا إلى الذهاب إلى منازلهم أحيانا، أو جد لهم عذر استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وآله فأذن لهم ثم عادوا الى الخندق فور أن يرتفع عذرهم، و قد ذكر القرآن الكريم هذه القضية في سورة النور في الآيات ٦٢ و ٦٣ اذ يقول تعالى:

(١) المغازی: ج ٢ ص ٤٤٦، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ١٢٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٥٤

«إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ. لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ».

(١)

مقاتلوا العرب و اليهود يحاصرون المدينة:

و تابعت أرتال الجيش العربي على منطقة «احد» و على مقربة من الخندق الذي كان قد تم انجازه قبل ستة أيام و قد كان الكفار و من لف لفهم يتوقعون أن يلتقوا جنود الإسلام عند جبل «احد»، و لكنهم لم يلقوا أحدا منهم هناك فتقدموا نحو المدينة حتى وصلوا الى الخندق، فلما نظروا الى الخندق الذي كان أشبه بحصن منيع يحفظ المدينة من الخطر، فوجئوا به و قالوا: هذه مكيدة ما كانت العرب تعرفها قبل ذلك ان هذا من تدبير الفارسي الذي معه.

(٢)

العدد الدقيق لقوات الطرفين:

كان جيش العرب لا يتجاوز في عدده عشرة آلاف، و قد استقروا خلف الخندق و سيوفهم تلمع و هي تخطف بلمعانها الابصار! و كان عدد المشاركين في هذه الجيش من قريش وحدها- على رواية المقریزی في الامتاع- (٤ آلاف) مقاتل، معهم (٣٠٠) فرس و (١٥٠٠) بعير.

و قد التحق بهم بنو سليم- و هم من حلفاء قريش- في (٧٠٠) رجل في مر الظهران و كان من قبيلة بنى فزارة (١٠٠٠) مقاتل و من قبائل اخرى. مثل اشجع و بنى مرة كل واحد منهما (٤٠٠) مقاتل، و الباقي و هم ما يقارب (٣٥٠٠) مقاتل من بقیة القبائل، و على هذا الاساس لم يكن المجموع ليتجاوز عشرة

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٥٥

آلاف، وقد استقروا جميعا فى مكان آخر.

(١) وأما عدد المسلمين فكان لا يتجاوز ثلاثة آلاف، وقد نزلوا فى سفح جبل سلع و هو موضع مرتفع، مشرف على الخندق و خارجه، إشرافا كاملا بحيث يمكن معه مراقبة جميع تحركات العدو و نشاطاته منه.

وقد و كل النبى صلى الله عليه وآله جماعة من أصحابه بحفظ الممرات و نقاط العبور على الخندق و مراقبة تحركات العدو، و رصد عناصره. و بذلك كان المسلمون يملكون متراسا قويا طبيعيا، و غير طبيعى، اذ أن سائر المدينة كان مشبكا بالبنيان، و النخيل كما أسلفنا.

لقد حاصر الكفار «المدينة» ما يقرب من شهر واحد، و مكثوا خلف الخندق متحيزين، و لم يستطع أن يعبر منهم الخندق إلا أفراد معدودون، فمن كان يفكر فى العبور رماه المسلمون بالحجارة، فولى هاربا!!

و للمسلمين فى هذه الفترة قصص جميلة و مواقف رائعة مع عناصر الجيش العربى المعتدى ذكرتها صحائف التاريخ الاسلامى فى مواضعها (١).

(٢)

خطر البرد، و تناقص الغذاء و العلف:

صادفت غزوة الخندق فصل الشتاء و كانت المدينة قد أصيبت فى تلك السنة بقله الغيث، و لذلك كانت تعاني من نقص فى الطعام. كما أن طعام المشركين لم يكن هو الآخر يكفى لمدة طويلة، و لم يكن أحد منهم يتصور أن عليه أن يمكث خلف الخندق مدة شهر واحد، بل كان المشركون- جميعا- يرون- بادئ الامر- أنهم سيقضون بهجوم واحد واسع، على جنود الاسلام، و يجتاحون المدينة، و يستأصلون المسلمين!!

و لقد أدرك مثيرو هذه الحرب العدوانية (اليهود) هذه المشكله بعد أيام،

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٢٢٥-٢٢٨.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٥٦

فقد عرفوا بأن مضى الزمان سيقفل من مقدره سادة الجيش العربى و قادته على مقاومة القر، و قلة العلف و تناقص الطعام، و من هنا فكروا فى الاستعانة بيهود بنى قريظة داخل المدينة، ليشعروا فتيل الحرب من داخل المدينة، و بذلك يمهدوا السبيل لجيش العرب لغزو المدينة، و اجتياحها من الخارج!!

(١)

حيى بن أخطب يدخل حصن بنى قريظة:

كان بنو قريظة الطائفة اليهودية الوحيدة التى بقيت فى المدينة تعايش المسلمين فى سلام و أمن، و كانوا يحترمون الميثاق الذى عقده مع النبى صلى الله عليه وآله، احتراما كاملا.

فرأى «حيى بن أخطب» أن طريق الانتصار يتوقف على الاستعانة بمن فى داخل المدينة لصالح المعتدين العرب و ذلك بأن يدعو يهود بنى قريظة الى نقض العهد الذى عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وآله به. ليشعل بذلك حربا بين المسلمين و يهود بنى قريظة و يشغل المسلمين بفتنة داخلية، و بذلك يمهد لانتصار المشركين الذين يحاصرون المسلمين خلف الخندق.

وانطلاقاً من هذه الفكرة أتى «حيي» الى حصن بنى قريظة و دق عليهم الباب و عزّف نفسه، فأمر رئيس بنى قريظة «كعب بن الاسد» بان لا يفتحوا له الباب و لكنه أصر، و قال: ما يمنعك من فتح الباب إلا جشيتك (أى خبزك) الذى فى التنور تخاف أن اشاركك فيها فافتح فانك آمن من ذلك. فأثارت تلك الكلمات الجارحة حمية كعب فأمر بأن يفتحوا له باب الحصن، ففتحوا له، فدخل مثير الحرب المشؤوم «حيي» و قال لكعب: يا كعب لقد جئتك بعزّ الدهر، هذه قريش فى قاداتها و ساداتها مع حلفائهم من كنانة، و هذه فزارة مع قاداتها و ساداتها، و هذه سليم و غيرهم، و لا يفلت محمّد و أصحابه من هذا الجمع أبداً و قد تعاقدوا و تعاهدوا ألا يرجعوا حتى يستأصلوا محمّداً و من معه، فانقضّ العهد بينك و بين محمّد، و لا تردّ رأبى.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٥٧

(١) فأجابه كعب قائلاً: لقد جئتني - و الله - بذلّ الدهر، و بسحاب يبرق و يردد و ليس فيه شيء، و أنا فى بحر لجى لا أقدر على أن أرى دارى و مالى معى، و الصبيان و النساء، انى لم أر من محمّد إلا صدقا و وفاء فارجع عنى، فانه لا حاجة لى فيما جئتني به. و لكن حيي بن أخطب لم يزل يراوض كعبا و يخاتله و يلحّ عليه كما يفعل صاحب الإبل الجامع الذى يستصعب عليه، حتى اقنعه بنقض عهد رسول الله صلى الله عليه و آله و هيا لذلك، فقال: أنا أخشى أن لا يقتل محمّد و تنصرف قريش إلى بلادها، فما ذا نفعل حينذاك؟ فوعده حبي أن يدخل معه حصنه ليصيبه ما أصابه ان لم يقتل محمّد صلى الله عليه و آله. فقال كعب: دعنى اشاور رؤساء اليهود فدعا رؤساء اليهود و شيوخهم، و خبرهم الخبر، و حياي حاضر، و قال لهم كعب: ما ترون؟ فقالوا: أنت سيدنا، و المطاع فينا، و صاحب عهدنا و عقدنا فان نقضت نقضنا معك و إن أقمنا أقمنا معك، و إن خرجت خرجنا معك.

(٢) فقال «الزبير بن باطا» و كان شيخا كبيرا مجزّبا قد ذهب بصره: قد قرأت فى التوراة التى أنزلها الله فى سفرنا يبعث نبيا فى آخر الزمان، يكون مخرجه بمكة، و مهاجره فى هذه البحيرة ... يبلغ سلطانه منقطع الخفّ و الحافر فان كان هذا (أى محمّد) هو فلا يهولته هؤلاء و لا جمعهم، و لو ناوى على هذه الجبال الرواسى لغلبها.

فقال أخطب من فوره: ليس هذا ذاك، ذلك النبى من بنى إسرائيل، و هذا من العرب من ولد اسماعيل، و لا يكونوا بنو اسرائيل أتباعا لولد اسماعيل أبداً، لأنّ الله فضّلهم على الناس جميعا و جعل فيهم النبوة و الملك، و ليس مع محمّد آية، و إنّما جمعهم جمعا و سحرهم!!

و لم يزل يقنّع بهم، و يقلّبهم عن رأيهم، و يلحّ عليهم حتى أجابوه، و رضوا بأن ينقضوا العهد الذى بينهم و بين رسول الله صلى الله عليه و آله.

فقال: أخرجوا الكتاب الذى بينكم و بين محمّد، فأخرجوه، فأخذه و مزقه،

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٥٨

و قال: قد وقع الأمر، فتجهّزوا و تهيّأوا للقتال، و بذلك جعلهم أمام الامر الواقع الذى ظنوا أنه لا مفرّ منه!! «١»

(١)

النبى يعرف بنقض بنى قريظة للعهد:

بلغ رسول الله صلى الله عليه و آله عن طريق جواسيسه الاذكياء نقض بنى قريظة للعهد، فى مثل ذلك الظرف الحساس، فغمه غما شديداً. فأمر من فوره «سعد بن معاذ» و «سعد بن عباد» - و كانا من خيرة رجاله الشجعان و من قادة جيشه الممتازين، كما أنهما كانا رئيسى الأوس و الخزرج - بأن يحصّيا له على معلومات دقيقة عن هذا الحادث، و أسبابه و ملبساته، و أنه اذا كان هناك خيانة و نقض للعهد فعلا أن يخبراه وحده فقط و لا يخبرا أحداً به و يقولوا: عضل و القارة لكيلا لا يفتر ذلك أعضاد المسلمين و لا يضعف

من معنوياتهم، و أما إذا لم تكن هناك خيانة، فيكذب الأمر بصراحة.

فذهب الرجلان، و اقتربا إلى حصن بنى قريظة، فأشرف عليهما كعب من داخل الحصن، فشم سعدة و شتم رسول الله صلى الله عليه و آله، و بذلك أظهر نقضه للعهد و الميثاق فأجابه سعد - بالهام غيبي -: إنما أنت ثعلب فى جحر، لتولين قريش، و ليحاصرئك رسول الله صلى الله عليه و آله و لينزلنك على الصغار و الذلل و ليضربن عنقك.

ثم رجعا إلى رسول الله صلى الله عليه و آله فقالا له: عضل و القارة. فكبر رسول الله صلى الله عليه و آله قائلاً برفيع صوته: «الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين بالفتح» (٢).

و هذه العبارات تكشف عن مبلغ شجاعة رسول الله صلى الله عليه و آله

(١) المغازى: ج ٢ ص ٤٥٦، بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٢٢٢ و ٢٢٣.

(٢) المغازى: ج ٢ ص ٤٥٩.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٥٩

و عمق سياسته، فقد قالها لكى لا تضعف معنوية المسلمين، و لا يتملكهم الخوف إذا سمعوا بنقض بنى قريظة للعهد، و هم فى تلك الظروف الحرجة الشديدة أحوج ما يكونون إلى المعنويات العالية، و الاحساس بروح النصر.

(١)

تجاوزات بنى قريظة الاولى:

كانت الخطئة المبدئية لبنى قريظة تقضى بأن يبدءوا عملهم الخياني بالاغارة على المدينة، و إرعاب النساء و الاطفال الموجودين فى البيوت و المنازل، و قد نفذت مراحل من هذه الخطئة تدريجاً!!

فقد أخذ بعض صناديد بنى قريظة يحومون حول بيوت المسلمين التى فيها اطفالهم و نساؤهم بصورة مشبوهة!!

(٢) تقول «صفية بنت عبد المطلب» عمه النبى صلى الله عليه و آله: كنت فى فارغ، حصن حسان بن ثابت و كان حسان بن ثابت معنا فيه، مع النساء و الصبيان، فمّر بنا رجل من يهود. فجعل يطيف بالحصن، و قد حاربت بنو قريظة، و قطعت ما بينها و بين رسول الله صلى الله عليه و آله، و ليس بيننا و بينهم أحد يدفع عنا، و رسول الله صلى الله عليه و آله و المسلمون فى نحور عدوّهم، لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا إن أتانا آت، فقلت لحسان: إن هذا اليهودى كما ترى يطيف بالحصن، و إنى و الله ما آمنه أن يدل علينا من وراءه من يهود، و قد شغل عنا رسول الله صلى الله عليه و آله، و أصحابه، فانزل إليه فاقتله، قال: يغفر الله لك يا ابنة عبد المطلب و الله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا، فلما قال لى ذلك احتجرت (١) «أى شددت وسطى» ثم أخذت عموداً، ثم نزلت من الحصن إليه فضربته بالعمود حتى قتله، فلما فرغت منه رجعت الى الحصن فقلت: يا حسان انزل إليه فاسلبه فانه لم يمنعنى من سلبه، إلّا أنه رجل فقال حسان: ما لى بسلبه

(١) و فى رواية: اعتجرت.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٦٠

حاجة يا ابنة عبد المطلب!! (١).

(١) و لما بلغ رسول الله صلى الله عليه و آله عن طريق عيونهم نقضوا ما بينه و بينهم من العهد و انهم طلبوا من قريش

الف رجل و من غطفان ألف رجل ليغيروا على المدينة عبر حصن اليهود، و كان ذلك فى ما كان المسلمون منشغلين بحراسة

الخنديق، فعظم بهذا الخبر البلاء و صار الخوف على الذراري أشد من الخوف على أهل الخندق، بعث النبي صَلَّى الله عليه وآله مسلمة بن أسلم و زيد بن حارثة في خمسمائة رجل يحرسون المدينة و يظهرون التكبير تحفظا على الجوارى من بنى قريظة «٢».

(٢)

الإيمان في مواجهة الكفر:

لقد خاض المشركون حروبا عديدة ضد رسول الله صَلَّى الله عليه وآله قبل معركة الأحزاب، و لكن العدو في جميع تلك المعارك و الحروب كان من طائفة أو قبيلة واحدة، و لم يكن من عموم الجزيرة العربية، و من عموم القبائل، أى الاسلام لم يواجه في تلك الحروب و الوقائع عدوانا شاملا من سكان الجزيرة.

و حيث إن أعداء الاسلام رغم الجهود الكبيرة لم ينجحوا في القضاء على الحكومة الاسلامية الفتيية، قرروا هذه المرة أن يستأصلوا الاسلام عن طريق اتحاد عسكري عريض، يضم كل قبائل الجزيرة العربية المشركه، و يرموا المسلمين بأخر سهم في جعبتهم، من هنا عمدوا الى تعبئة أكبر قدر من المقاتلين، و استصرخوا أكبر قدر من القبائل و تحركوا في جمع لم يعرف له تاريخ العرب و الجزيرة من نظير نحو المدينة لتحقيق ذلك الهدف المشؤوم. و لولا تدبير المسلمين للدفاع عن المدينة لحقق العدو الحاقدا أهدافه.

(٣) و لهذا جلب أعداء الاسلام معهم أكبر صناديد من صناديد العرب، و أشهر

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٢٢٨.

(٢) السيرة الحلبية: ج ١ ص ٣١٥.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٦١

بطل من أبطالهم و رأسه عليهم، و هو عمرو بن عبد ود العامري ليشدوا به أزهرهم، و يحققوا بسببه ما كانوا يأملونه من الظفر. و على هذا الاساس كانت معركة الأحزاب مواجهة كاملة بين كل الكفر و كل الايمان، و خاصة عند ما تبارز بطل الاسلام و بطل الكفر و تواجهها في ساحة القتال.

(١) و لقد كان الخندق الذى احتفزه المسلمون سلفا من عوامل إخفاق المشركين، و كان العدو يحاول أن يعبر هذا الخندق فتطيف فرسانهم به ليل نهار و لكن دون جدوى، لانهم كانوا يواجهون في كل مرة سهام الحرس الذى و كلهم رسول الله صَلَّى الله عليه وآله بحراسة الخندق، و رصد محاولات العدو لاجتيازه و افشالها فورا، و أيضا بفضل تدابير النبي القائد نفسه.

كان الشتاء و برده القارص في تلك السنة و تناقص الطعام، و العلف يهدد جيش المشركين، و أنعامهم، و خيولهم فاستقرض حبي بن أخطب من بنى قريظة عشرين بعيرا محملة شعيرا و تمرا و تبنا تقوية لقريش، و لكن دوريه من المسلمين صادفتها في أثناء الطريق فصادرتها و أتوا بها الى النبي صَلَّى الله عليه وآله فتوسع بها أهل الخندق «١».

(٢) و ذات يوم من أيام الانتظار وراء الخندق كتب أبو سفيان الى رسول الله صَلَّى الله عليه وآله كتابا يقول فيه: إنى احلف بالللات و العزى لقد سرت إليك في جمعنا و إننا نريد ألا نعود إليك أبدا حتى نستأصلكم فرأيتك قد كرهت لقاءنا، و جعلت مضايق و خنادق، فليت شعري من علمك هذا؟ فان نرجع عنكم فلکم منا يوم كيوم احد تبقر فيه النساء «٢».

(٣) فكتب إليه رسول الله صَلَّى الله عليه وآله: «من محمد رسول الله إلى أبى سفيان بن حرب ... أما بعد فقد فيما غرك بالله الغرور، أما ما ذكرت أنك سرت

(١) السيرة الحلبية: ج ٢ ص ٣٢٣.

(٢) المغازي: ج ٢ ص ٤٩٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٦٢

إلينا في جمعكم، و انك لا تريد أن تعود حتى تستأصلنا فذلك أمر الله يحول بينك وبينه، و يجعل لنا العاقبة و ليأتينّ عليك يوم تدافعني بالراح، و ليأتينّ عليك يوم أكسر فيه اللات و العزى و اساف، و نائله، و هبل حتى اذكرك ذلك» (١).

(١) و لقد وقعت إجابة الرسول الا-كرم صلى الله عليه و آله التي كانت تنبئ عن قوة إرادته و شدة عزمته، و تصميمه القاطع موقع السهم في قلب زعيم المشركين، و حيث إن قريش كانت تعتقد بصدق رسول الله صلى الله عليه و آله فأنها اصيبت بهذا الرد الحاسم في عزميتها و نفسيتها، و لكنها مع ذلك لم تكف عن مواصلة عدوانها.

و ذات ليلة عزم «خالد بن الوليد» على أن يعبر بجماعته الخندق و لكنه اضطرّ الى التراجع عند ما واجه مقاومة شجاعة من مائتين من المسلمين بامر «اسيد بن حضير» و قد كلفهم رسول الله صلى الله عليه و آله بالقيام على شفير الخندق، و دفع المشركين و منعهم من العبور!!

ثم ان رسول الله صلى الله عليه و آله لم يكن ليغفل عن تقوية عزائم المقاتلين المسلمين و رفع معنوياتهم، و لهذا كان يهينهم بخطبه الحماسية، و كلماته المشجعة، الحائثة على الجهاد و الاستقامة و الدفاع عن حياض العقيدة و الايمان، و الذود عن صرح الحرية، و العدل.

فقد وقف ذات يوم خطيباً في اجتماع كبير من المسلمين و قال- بعد أن حمد الله و أثنى عليه-

«أيها الناس إذا لقيتم العدو فاصبروا و اعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف» (٢).

(٢)

أبطال من العرب يعبرون الخندق:

لبس خمسة من شجعان المشركين هم: «عمرو بن عبد ود العامري»، «عكرمة

(١) امتاع الاسماع: ج ١ ص ٢٣٩ و ٢٤٠.

(٢) السيرة الحلبية: ج ٢ ص ٣٢٣.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٦٣

بن أبي جهل»، «هيرة بن وهب»، «نوفل بن عبد الله»، و «ضرار بن الخطاب» لامه الحرب، و وقفوا أمام بنى كنانة في غرور عجيب، و قالوا: تهيأوا يا بنى كنانة للحرب، فستعلمون من الفرسان اليوم؟

ثم ضربوا خيولهم فعبرت بهم الخندق من مكان ضيق قد أغفله المسلمون، و لكنهم بادروا إلى محاصرة تلك الثغرة و منع غيرهم من العبور.

و كان الموضع الذي وقف فيه اولئك الشجعان الخمسة الذي عبروا الخندق للمبارزة يقع بين الخندق و جبل سلع حيث تمرركز جنود الاسلام (١).

ثم أخذوا يدعون المسلمين إلى البراز، في كبرياء و غرور كبيرين، و هم يقطعون ذلك الموضع جيئة و ذهاباً بخيولهم!!

(١) بيد أن أشجع اولئك الخمسة و أجرأهم و أعرفهم بفنون القتال و هو: «عمرو بن عبد ود العامري» تقدم، و أخذ يرتجز داعياً المسلمين الى النزال و البراز قائلاً:

و لقد بححت من النداء بجمعكم هل من مبارز

ووقفت إذ جبن المشجع موقف البطل المناجز

إنني كذلك لم أزل متسرعا نحو الهزاهز

إن السماحة والشجاعة في الفتى خير الغرائز فأحدثت نداءات عمرو الرهيبة حالة من الرعب، والوجل الشديدين في معسكر المسلمين، وسكت الجميع، ولم ينبسوا ببنت شفه رهبة وخوفا منه.

(٢) فقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«أيكم يبرز إلى عمرو أضمن له الجنة؟»

وقد قالها رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاث مرات، وفي كل مرة يقوم علي عليه السلام ويقول: انا له يا رسول الله، والقوم ناكسوا رؤوسهم «٢» أو كأن المسلمين يومئذ على رؤوسهم الطير لمكان عمرو وشجاعته، كما يقول الواقدي «٣».

(١) تاريخ الطبري: ج ٢ ص ٢٣٩، الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ٢٨.

(٢) تاريخ الخميس: ج ١ ص ٤٨٦.

(٣) المغازي: ج ٢ ص ٤٧٠.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٦٤

(١) ولا بد أن تحل هذه المشكلة بيد علي عليه السلام فارس ميادين الحرب المقدام، وكان كذلك، فلما أبدى علي عليه السلام استعداد الكمال لمقاتلة عمرو أعطاه رسول الله صلى الله عليه وآله سيفه وعمه بيده، ووجهه صوب عمرو وقد دعا له قائلا: اللهم أعنه عليه. وقال أيضا:

«اللهم إنك أخذت مني عبيدة بن الحارث يوم بدر، وحمزة بن عبد المطلب يوم احد، وهذا أخي علي بن أبي طالب رب لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين» «١».

فبرز علي عليه السلام إلى عمرو يهرول في مشيته، مبادرا إليه دون ابطاء، وهنا قال رسول الله صلى الله عليه وآله كلمته الخالدة في تلك المواجهة:

«برز الإيمان كله إلى الشرك كله» «٢» وارتجز عليه السلام قائلا:

لا تعجلن فقد أتاك مجيب صوتك غير عاجز

ذو نية وبصيرة والصدق منجى كل فائر

إنني لأرجو أن اقيم عليك نائحة الجنائر

من ضربة نجلاء يبقى ذكرها عند الهزاهز (٢) وقد كان علي عليه السلام مسربلا بالحديد لا يرى منه إلا عيناه من تحت المغفر، فأراد عمرو أن يعرف من برز إليه فقال: من أنت؟

قال: أنا علي بن أبي طالب.

فقال عمرو: إنني أكره أن اريق دمك، والله إن أباك كان لي صديقا ونديفا، ما أمن ابن عمك حين بعثك إلي أن اختطفك برمحي هذا فأتر كك شائلا بين السماء والأرض لا حي ولا ميت.

فقال علي عليه السلام: لكنني ما أكره والله أن أهرق دمك، وقد علم ابن

(١) كنز الفوائد: ص ١٣٧.

(٢) تاريخ الخميس: ج ١ ص ٤٨٦ و ٤٨٧، بحار الأنوار، ج ٢٠ ص ٢١٥.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٦٥

عمى أنك إن قتلتني دخلت الجنة، و أنت في النار، و إن قتلتك فانت في النار و أنا في الجنة.

فضحك عمرو و قال مستهزئا: كلاتهما لك يا على، تلك إذا قسمه ضيزى.

(أى ناقصة جائزة).

(١) يقول ابن أبي الحديد: كان شيخنا أبو الخير يقول اذا مررنا فى القراءة عليه بهذا الموضع: و الله ما أمر عمرو بن عبد ود عليا (عليه السلام) بالرجوع إبقاء عليه، بل خوفا منه، فقد عرف قتلاه ببدر و احد، و علم أنه إن ناهصه قتله، فاستحيا أن يظهر الفشل فأظهر الإبقاء، و إنه لكاذب فيه «١».

ثم إن عليا عليه السلام ذكر عمرا بعهد قطعه على نفسه فقال له:

يا عمرو إنك كنت تقول فى الجاهلية: لا يدعونى أحد الى واحدة من ثلاث خصال إلا أجبته إلى واحدة منها و أنا أعرض عليك ثلاث خصال فأجبنى إلى واحدة.

قال عمرو: أجل، فهاتها يا على.

قال: تشهد أن لا إله إلا الله، و أن محمدا رسول الله، و تسلم لرب العالمين.

فقال عمرو: نَح عنى هذا.

قال على عليه السلام: فالثانية أن ترجع إلى بلادك، فان يك محمدا صادقا فأنتم أعلى به عينا و ان يك غير ذلك كفتكم ذؤبان العرب أمره.

(٢) فقال عمرو فى غرور عجيب: اذا تتحدث نساء قريش بذلك، و ينشد الشعراء فى أشعارها انى جنت، و رجعت على عقبى فى الحرب، و خذلت قوما رأسونى عليه.

فقال له على عليه السلام: فالثالثة أن تنزل إلى فانك راكب و أنا راجل، حتى انا بذلك.

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٩ ص ٢٠.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٦٦

فقال عمرو: هذه خصلة ما ظننت أن أحدا من العرب يسومنى عليها، ثم وثب عن فرسه، و لكى يرب عليا عليه السلام عرقب قوائم فرسه على عادة العرب فى الجاهلية «١».

(١)

تساؤل البطلين:

و هنا بدأ تساؤل شديد بين البطلين، و ارتفعت بينهما عجاجة حجبت الرؤية، و انما كان الناس يسمعون فقط صوت اصطكاك السيوف و الدروع الحديدية و غيرها، و بعد فترة من التناول بين ذينك البطلين العملاقين ضرب «عمرو» «أمير المؤمنين عليا» عليه السلام بالسيف على رأسه، فاتقاه على عليه السلام بالدرفة فقطعها، و شجبت الضربة رأسه ففاجأ على عليه السلام بضربة قوية على ساقه فقطعها جميعا، ثم انكشفت العجاجة فنظر المسلمون فاذا على عليه السلام على صدر عدو الله يريد أن يذبحه. و ارتفع صوت على بالتكبير من بين العجاجة يعلن عن انتصاره، و مقتل عمرو.

فألقي هلاك فارس العرب الاكبر «عمرو بن عبد ود» رعبا عجيبا فى نفوس بقية الابطال و الشجعان الذين عبروا معه الخندق، فهربوا راجعين الى معسكرهم، إلا «نوفل» الذى سقط فرسه فى الخندق، و هوى هو إلى الارض بشدة، فرماه حرس الخندق بالحجارة فقال:

قتله أجمل من هذا، ينزل إليّ بعضكم فأقاتله، فنزل إليه عليّ عليه السّلام فضربه حتى قتله في الخندق «٢». فهيمن الخوف و الرعب على كل أرجاء المعسكر العربي المشرك، و بهت أبو سفيان أكثر من غيره. ثم إنه كان يتصور أن المسلمين سيمثّلون بجسد «نوفل» انتقاما لحمزة الذي

(١) المغازي: ج ٢ ص ٤٧٠ و ٤٧١.

(٢) بحار الأنوار، ج ٢٠ ص ٢٥٦، تاريخ الطبري: ج ٢ ص ٢٤٠.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٦٧

مثل به في احد، فبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وآله من يشترى جثته بعشرة آلاف فقال النبي صلى الله عليه وآله. «هو لكم، لا ناكل ثمن الموتى» «١».

(١)

قيمة هذه الضربة:

لقد قتل عليّ عليه السّلام - حسب الظاهر - رجلا شجاعا لا أكثر، بيد أنه بضربته لعمر و بقتله إياه أحياء - في الحقيقة - كل من أرعبته نداءات عمرو المهدّدة، من المسلمين، و القى رعبا كبيرا في نفوس جيش قوامه (١٠ / ١٠٠٠) رجل تعاهدوا و تعاقدوا على محو الاسلام و استئصال الحكومة الاسلامية الفتية. و لو أن الانتصار كان يحالف عمرا لعرفنا حينئذ قيمة هذه التضحية الكبرى التي قام بها عليّ عليه السّلام.

و عند ما عاد عليّ عليه السّلام ظافرا منتصرا قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«ضربة على يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين».

وقيل إنه قال:

«لو وزن اليوم عملك بعمل جميع امه محمد لرجح عملك على عملهم و ذاك أنه لم يبق بيت من المشركين إلا و قد دخله ذل بقتل عمرو، و لم يبق بيت من المسلمين إلا و قد دخله عز بقتل عمرو» «٢».

و بذلك كشف عن أهمية الضربة التي أوقعها عليّ عليه السّلام بعمر و في تلك الواقعة.

لما ذا التنكر لهذا الموقف؟

و يحق لنا هنا أن نستغرب تنكر بعض المؤرخين أو تجاهلهم لهذا الموقف

(١) بحار الأنوار، ج ٢٠ ص ٢٠٥.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٢١٦، مستدرک الحاكم: ج ٣ ص ٣٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٦٨

العظيم الذي أدى إلى هزيمة المشركين، و الاحزاب في معركة الخندق هزيمة نكراء، كل واحد بشكل من الاشكال و صورة من الصور:

فهذا ابن هشام رغم اسبابه في بعض الامور التاريخية مما لا قيمة له بعد أن يذكر مقتل «عمرو» على يد بطل الاسلام الخالد عليّ عليه السّلام من دون أن يذكر ما قاله النبي صلى الله عليه وآله عند مطالبه عمرو بالمنازل و المبارز، ذكر آياتا قالها عليّ عليه في المقام ثم

يشكك في نسبتها إليه عليه السلام «١».

وهكذا ابن الاثير رغم اهتمامه بالدقائق التاريخية و وصفه لكتابه بالكامل نجده يحاول التقليل من أهمية هذا الموقف بصورة اخرى و هو أن عليا خرج ضمن مجموعة لمقاتلة عمرو و ليس وحده.

و لكن المعلّنين على الطبعة المنيرية للكامل و التي أشرف عليها فضيلة الاستاذ عبد الوهاب النجار لم يرق لهم هذا الصنيع، و أبت عليهم ضمائرهم الحرّة أن يتركوا الرواية على حالها فقالوا في الهامش: و روى السهيلي عن ابن اسحاق أن عمرا دعا المسلمين للمبارزة و عرض رسول الله صلى الله عليه و آله الأمر ثلاث مرات و لا- يقوم إلّا على كرم الله وجهه، و في الثالثة قال له: انه عمرو قال: و ان كان عمرا، فنزل إليه، و قتله و كبر فكبر المسلمون فرحا بقتله «٢».

و هذا ابن تيمية يحاول التنقيص من هذه الفضيلة و لكن بالضرب على وتر آخر حيث قال ان قول النبي صلى الله عليه و آله في شأن علي عليه السلام لما قتل عمرا: «قتل علي لعمر بن ود أفضل من عبادة الثقلين» من الاحاديث الموضوعه التي لم ترد في شيء من الكتب التي يعتمد عليها بسند ضعيف، و كيف يكون قاتل كافر أفضل من عبادة الثقلين ... ثم قال: بل ان عمرو بن ود لم يعرف له ذكر إلّا في هذه الغزوة.

فهو يحاول التقليل من شأن عمرو، و الايحاء بأنه لم يكن شيئا، فلا يكون

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٢٢٥.

(٢) الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ١٢٤.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٦٩

لقتله أهمية.

و لكن صاحب السيرة الحلبيه الذي ينقل كل هذه العبارات عن ابن تيمية يرد عليه قائلا: و يرد قوله: «ان عمرو بن ود هذا لم يعرف له ذكر إلّا في هذه الغزوة» قول الأصل: و كان عمرو بن عبد و قد قاتل يوم بدر حتى اثبتته الجراحة فلم يشهد يوم احد فلما كان يوم الخندق خرج معلما (أى جعل له علامة) ليعرف مكانه و يرى.

و يرد أيضا ما تقدم من أنه نذر أن لا يمس رأسه دهنا حتى يقتل محمدا صلى الله عليه و آله.

و استدلاله: و كيف يكون إلى آخره، فيه نظر لان قتل هذا كان فيه نصره للدين و خذلان الكافرين «١».

و ما قاله صاحب السيرة الحلبيه عن مشاركة عمرو في معركة بدر يوافق ما جاء في الكامل لابن الاثير الجزء ٢ الصفحة ١٢٤ و يوافق أيضا ما جاء في السيرة النبوية الجزء ٢ الصفحة ٢٢٥.

(١)

مروءة علي عليه السلام و شهامته:

و لقد أحجم علي عليه السلام عن سلب «عمرو بن عبد و» درعه، و كان درعا غالية الثمن ليس للعرب، درع خير منها، و قد فعل ذلك مروءة، و ترفعا، فاعترض عليه بعض، حتى أن عمر بن الخطاب قال له: هلا استلبته درعه فانه ليس في العرب درع مثلها؟ «٢».

و لما عرفت اخت عمرو بمقتله سألت عن قتله، فاخبروها بأن عليا عليه السلام هو الذي قتله فقالت لم يعد موته إلّا على يد كفؤ كريم، لا رقأت دمعتي إن هرقتها عليه، قتل الابطال، و بارز الاقران، و كانت منيته على يد كفؤ

(١) السيرة الحلبيه: ج ٢ ص ٣٢٠.

(٢) السيرة الحلبية: ج ٢ ص ٣٢٠.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٧٠

كريم من قومه ما سمعت بأفخر من هذا يا بنى عامر.

ثم انشأت تقول:

لو كان قاتل عمرو غير قاتله لكنت أبكى عليه آخر الأبد

لكن قاتل عمرو لا يعاب به من كان يدعى قديماً بيضة البلد «١» وقد ذكر عليّ عليه السلام صنيعة هذا في أبيات أنشأها يوم الخندق إذ قال:

أ عليّ تقتحم الفوارس هكذا؟ عنيّ و عنها خبّروا أصحابي

أرديت عمرا إذ طغى بمهند صافى الحديد مجرب قصاب

فصدت حين تركته متجدلاً كالجدع بين دكادك و روابي

و عفتت عن أثوابه و لو أنتى كنت المقطر بزنى أثوابي «٢» و الآن حان أن نرى إلى أى مصير آل أمر معسكر المشركين بعد مقتل فارس العرب و شجاعها البارز.

(١)

جيش العرب يتفرق في موقفه:

لم يكن دافع جيش العرب و من عاونهم و مالأهم من اليهود الى محاربة الاسلام واحداً، فاليهود كانوا يخشون من اتساع رقعة الحكومة الاسلامية الفتية، المتزائد، و اما دافع قريش فكان هو العداة القديم للاسلام و المسلمين. و أما قبائل «غطفان» و «فزارة» و غيرها من القبائل فلم يحركها إلا الطمع فى محاصيل «خير» التى وعدهم بها اليهود.

فعلى هذا الاساس لم يكن محرّك «الأحزاب» المشاركة فى جيش الشرك أمرا واحداً، فقد كان محرّك الطوائف الأخيرة أمرا ماديا، و لو أنّ هذا الهدف تحقّق عن طريق المسلمين لعادت هذه القبائل إلى أوطانها مسرورة راضية، و خاصية أن البرد، و قلّة الطعام، و العلف، و طول مدّة المحاصرة قد أوجدت فى

(١) مستدرک الحاكم: ج ٣ ص ٣٣.

(٢) المستدرک على الصحيحين: ج ٣ ص ٣٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٧١

نفوسهم كلاً و مللاً، من جهة، و عرضت أنعامهم لخطر الهلاك و الفناء من ناحية اخرى.

(١) من هنا كلّف رسول الله صلّى الله عليه و آله جماعةً بأن يتصلوا بهذه القبائل (الأخيرة) و يذكروا لهم بأن المسلمين مستعدّون لإعطائهم ثلث تمر المدينة إن هم تركوا قريشا و عادوا إلى ديارهم، فأعدّوا عهداً و جاءوا به إلى رسول الله صلّى الله عليه و آله ليمضيه، و لكنه شاور فيه سعد بن معاذ، و سعد بن عبادة قبل أن يمضيه، فقالا: يا رسول الله إن كان أمرا من السماء فامض له، و ان كان أمرا لم تؤمر فيه فان الرأى عندنا هو السيف، فإنهم ما طمعوا بهذا ممّا قطّ فى الجاهلية أن يأخذوا تمرة، الا بشرى أو قرى، فحين أتانا الله تعالى بك، و أكرمنا بك، و هدانا بك نعطي الدتية؟ لا نعطيهم أبداً إلا السيف؟

(٢) فقال رسول الله صلّى الله عليه و آله مبيّنا علة إقدامه على مثل هذا الصلح:

«إنى رأيت العرب رمتكم عن قوس واحدة، فقلت ارضيهم و لا- أقاتلهم، الآن قد عرفت ما عندكم فكونوا على ما أنتم عليه، فان الله

تعالى لن يخذل نبيّه، و لن يسلمه حتى ينجز له ما وعده» (١).

فمحي سعد بن معاذ ما فى الصحيفة باذن رسول الله صلى الله عليه وآله و قال: ليجهدوا علينا (٢).

و بهذا كشف رسول الله صلى الله عليه وآله عن صفحة اخرى من سياسته الحكيمه، فقد كان إقدامه على ثنى القبائل المتحالفه مع قريش فى جيش الاحزاب باعطاء بعض التنازلات الماديّه (لا المعنويّه) و تحييدها خطوه سياسيه و عسكريه صحيحه، و رائعه، و كان مشورته مع أصحابه من الانصار (خاصه) عملا حكيما أيضا لانه استشار بذلك همهم، و شد من عزائمهم، فوعدوا

(١) السيره النبويه: ج ٢ ص ٢٢٣، بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٢٥٢.

(٢) امتاع الاسماع: ج ١ ص ٢٣٦ و جاء فيه انه (ص) استشار سعد بن معاذ و سعد بن عباده خفيّه.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٧٢

بالصمود و المقاومه فى ذلك الطرف العصيب و عدم تقديم ايه تنازلات و لهذا انصرف رسول الله صلى الله عليه وآله عن ما اراد أولا، فكان مجموع هذه الخطوات عملا حكيما جدا، يكشف عن حنكه سياسيه عظيمه، و درايه عسكريه عميقه.

(١)

العوامل التى فرقت كلمه «الاحزاب»:

هناك عوامل عديده تسببت فى تفرق الجيش العربى الذى زحف إلى المدينه لاجتياحها، و انقسام الاحزاب على أنفسهم، و إليك أبرزها:

(٢) ١- إن أول عامل من تلك العوامل هو تكلم مبعوثى رسول الله صلى الله عليه وآله مع سادة غطفان و فزاره، لأن هذه المعاهده و إن لم توقع إلما أنها لم تنقض، فتسبب ذلك فى أن يختلفوا مع قريش فى الرأى، أى اجتياح المدينه و بشكل من الاشكال و ان لا يقدموا على أى إجراء عسكري مع غيرهم انتظارا للتوقيع على تلك المعاهده، و لهذا كلما طلبت القيادة القرشيه منهم الهجوم الشامل اعتذروا ببعض الاعذار تملصا من ذلك الطلب.

(٣) ٢- مصرع «عمرو بن عبد ود» فارس العرب الأ-كبر الذى كان الأغلبيه فى ذلك الجيش يعلقون عليه آمالهم فى الانتصار على المسلمين. فلما قتل تملك الجميع رعب غريب و انهارت آمالهم، و بخاصه عند ما هرب زملاؤه الشجعان من وجه على عليه السلام خوفا، و رهبه.

(٤) ٣- ما لعبه «نعيم بن مسعود» الذى أسلم حديثا، من دور فى إلقاء روح الشك و الفرقة بين يهود بنى قريظه و جيش «الاحزاب»، فقد قام بهذا الدور بشكل رائع، تماما كما يفعله الجواسيس المنظمون فى عصرنا الحاضر، بل كان ما فعله أفضل و أكبر تأثيرا و عطاء. فقد أتى «نعيم» هذا رسول الله صلى الله عليه وآله و قال يا رسول الله؛ قد أسلمت، و إن قومى لم يعلموا باسلامى، فمرنى بما شئت.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٧٣

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله «إنما أنت فىنا رجل واحد، فخذلنا ما استطعت (أى ادخل بين القوم حتى يخذل بعضهم بعضا). فان الحرب خدعه».

(١) فخرج نعيم حتى أتى بنى قريظه، و كان لهم نديما فى الجاهليّه، فقال: يا بنى قريظه قد عرفتم ودى، و خاصه ما بينى و بينكم. قالوا: صدقت، لست عندنا بمتهم.

فقال: إن قريشا و غطفان ليسوا كأنتم، البلد بلدكم، فيه أموالكم و أبناؤكم و نساؤكم، لا تقدرتون على أن تحولوا منه إلى غيره، و ان قريشا و غطفان قد جاءوا لحرب محمّد و أصحابه، و قد ظاهرتموهم عليه، و بلدهم و أموالهم و نساؤهم بغيره، فليسوا كأنتم، فان رأوا

نهزة أصابوها، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم، و خلّوا بينكم وبين محمّد، و لا طاقة لكم به. إن خلا بكم فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرفهم يكونون بأيديكم ثقة لكم، على أن تقاتلوا معهم محمّدا حتى تنجزوه. فقالوا: لقد أشرت بالرأى.

(٢) ثم خرج حتى أتى قريشا، فقال لأبى سفيان بن حرب و من معه من رجال قريش: قد عرفتم ودى لكم، و فراقى لمحمّد، و انه قد بلغنى أمر قد رأيت علىّ حقا أن أبلغكموه، نصحا لكم فاكتموا عنى. فقالوا: نفع.

قال: اعلّموا أنّ معشر اليهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم و بين محمّد، و قد أرسلوا إليه إنا قد ندمنا على ما فعلنا، فهل يرضيك أن نأخذ من القبيلتين، من قريش و غطفان رجالا. من أشرفهم فنعطيكم فتضرب أعناقهم، ثم نكون معك على من يبقى منهم حتى نستأصلهم؟ فأرسل إليهم: أن نعم، فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رهنا من رجالكم، فلا تدفعوا إليهم منكم رجلا واحدا.

(٣) ثم خرج حتى أتى غطفان فقال: يا معشر غطفان، إنكم أصلى و عشيرتى، و أحب الناس إليّ، و لا أراكم تتهمونى، قالوا: صدقت ما أنت عندنا بمتهم، قال

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٧٤

فاكتموا عنى، قالوا: نفعل فما أمرك، ثم قال لهم مثل ما قال لقريش و حذرهم ما حذرهم.

و هكذا أذى «نعيم» وظيفته بأحسن صورة ثم دخل سرا فى جيش المسلمين، و اشاع بين المسلمين أن بنى قريظة تنوى أخذ رجال من المشركين لتسليمهم الى النبى و المسلمين.

و قد كان يقصد من اشاعه هذا النبأ أن يبلغ مسامع رؤساء العرب و قادتهم.

(١)

مبعوثو قريش يمشون إلى بنى قريظة:

و لما كانت ليلة السبت قرّر أبو سفيان ان يحسم الموقف بشكل من الأشكال فأرسل إلى بنى قريظة جماعة من سادة قريش و غطفان فقالوا لهم: إنا لسنا بدار مقام قد هلك الخف و الحافر، فاعدوا للقتال حتى نناجز محمّدا، و نفرغ ممّا بيننا و بينه.

فأرسل بنو قريظة إليهم: إن اليوم يوم السبت، و هو يوم لا نعمل فيه شيئا، و قد كان أحدث فيه بعضنا حدثا فأصابه ما لم يخف عليكم، و لسنا مع ذلك بالذى نقاتل معكم محمّدا حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمّدا، فاننا نخشى إن ضرستكم الحرب، و اشتدّ عليكم القتال أن تسرعوا إلى بلادكم و تتركونا، و الرجل فى بلدنا و لا طاقة لنا بذلك منه.

فلما رجعت الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش و غطفان: و الله إن الذى حدّثكم نعيم بن مسعود لحق.

فأرسلوا إلى بنى قريظة من يقول لهم: إنا و الله لا ندفع إليكم رجلا واحدا، فان كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا.

فقال بنو قريظة- حين انتهت الرسل إليهم بهذا: إن الذى ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق، ما يريد القوم إلّا أن يقاتلوا فان رأوا فرصة انتهزوها، و ان كان

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٧٥

غير ذلك أسرعوا إلى بلادهم و خلّوا بيننا و بين محمّد. فى بلدنا «١».

و هكذا انسحبت بنو قريظة من الأحزاب و أوقع الله التخاذل بينهم، و تفرّقوا، و تمزق شملهم، و كان ذلك من عوامل فشل الأحزاب، و تقهقرهم و رجوعهم خائبين.

(١)

آخر العوامل لهزيمة الكفار:

لقد انضمت العوامل المذكورة إلى عامل آخر يمكن تسميته - في الحقيقة - بالامداد الغيبي ففرقت جماعة الاحزاب، وشتت جماعتهم وذلك العامل هو أن الله تعالى بعث عليهم فجاءه الريح والعاصف، واشتد البرد، وكان اشتداد الريح كبيرا بحيث أكفأ قدورهم، و اقتلع خيامهم ومضاربهم، وأطفأ أضواءهم، وأوجد حريقا في الصحراء.

وهنا أمر رسول الله صلى الله عليه وآله حذيفة أن يعبر الخندق، ويأتيه بخبر عن أحوال المشركين ومن مالأهم من الاحزاب. يقول حذيفة: فذهبت فدخلت في القوم والريح وجنود الله تفعل ما تفعل بهم لا تقر لهم قدرا، ولا نارا ولا بناء، فسمعت أبا سفيان يقول، وقد قام في جماعة من قريش: يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكراع والخف، وأخلفتنا بنو قريظة ولقينا من شدة الريح ما ترون ما تظمن لنا قدر، ولا تقوم لنا نار، ولا يستمسك لنا بناء، فارتحلوا إني مرتحل. ثم قام إلى جملة - وهو معقول - فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث، فوالله ما أطلق مقاله إلا وهو قائم من شدة الدهش والخوف!!

ولم يسفر الصبح إلا وأسرت قريش وغطفان عائدين إلى بلادهم يجزون أذيال الخيبة، ولم يبق منهم أحد هناك.

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٣٣٩ - ٣٣١، تاريخ الطبري: ج ٢ ص ٢٤٢ و ٢٤٣.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٧٦

وهكذا انتهت معركة الاحزاب في الرابع والعشرين من شهر ذي القعدة من السنة الخامسة للهجرة (١).

القرآن الكريم ومعركة الاحزاب

ولقد أشار القرآن الكريم إلى أبرز النقاط في معركة الأحزاب (الخندق) ضمن سبع عشرة آية وها نحن ندرجها برمتها ونشير باختصار إلى ما تضمنته من حقائق:

«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا. إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا. هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا. وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مَقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا. وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَأَتَوْهَا وَمَا تَلْبَثُوا فِيهَا إِلَّا سِيرًا وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ الدُّبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا. قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِيكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا. أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يُنْظَرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا يَحْسِبُونَ سِيدَ الْمُرْسَلِينَ ج ٢ ٢٧٦ القرآن الكريم ومعركة الاحزاب ص : ٢٧٦

(١) تاريخ الطبري: ج ٢ ص ٢٤٤، امتاع الاسماع: ج ١ ص ٢٣٩.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٧٧

الأحزاب لم يذهبوا وإن أتت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون في الأعراب يسئلون عن أنبيائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا. لقد كان

لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا. وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا. «١».

ويمكن تقسيم هذه الآيات الى ثلاثة أقسام:

القسم الاول و هي الآيات التي ترسم الوضع العام للمسلمين عند ما أتتهم عساكر الاحزاب.

القسم الثاني و هي الآيات التي تتعرض لذكر موقف المنافقين و ضعاف الايمان.

القسم الثالث و هي الآيات التي تتعرض لذكر موقف المؤمنين الصادقين.

و إليك بيانا لمفاد هذه الآيات على وجه الاختصار.

١- تبدأ هذه المجموعة من الآيات بتذكير المؤمنين- في الآية الاولى- بنعمة الله عليهم أن ردّ عنهم الجيش الذي قصد استئصالهم لو لا- عناية الله و مدده العظيم، و في هذا إشعار قوى بأن الله هو الذي يحمي القائمين على دعوته و منهجه من عدوان الكافرين و المتأمرين.

٢- ثم تشرح الآية الثانية الحالة العسكرية الخطيرة التي كان يواجهها المسلمون، فهم محاصرون من قبل الاعداء و المتواطئين معهم من كل جهة محاصرة

(١) الأحزاب: ٩-٢٥.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٧٨

ألقت الرعب في قلوب الكثيرين من أهل المدينة فزاغت الابصار هولاً، و بلغ القلوب الحناجر خوفاً، و ظنّ البعض أن ما أعطاهم الله و رسوله من الوعد بالتأييد و النصر لم يكن صحيحاً.

٣- ثم تحدثت الآية الثالثة عن الابتلاء و الاختبار الذي أفرزه هذا الوضع الخطير، فقد ابتلى المسلمون في هذه الواقعة، و تملكهم خوف شديد.

٤- و لكن المنافقين، و الذين في قلوبهم مرض كانوا أشد هولاً و خوفاً حتى أن ذلك الكرب و الهول أخرج خبيثه نفوسهم، فشككوا في وعود الله الصادقة، و قالوا: ما وعدنا الله إلّا غروراً، فهو خدعنا إذ وعدنا بالغلبة على أعدائنا.

٥- و لم يكتف المنافقون باشاعة هذه التشكيكات بين المسلمين بل دعوا أهل المدينة إلى الانسحاب من الميدان إلى داخل المدينة، و بالتالي حرّضوهم على ترك الصفوف. و احتجوا لذلك بالخوف على النساء و الصبيان من كيد الاعداء قائلين: «بيوتنا عورة» و هم لا يريدون إلّا الفرار جنباً و خوفاً.

٦- ثم تكشف الآية السادسة و السابعة عن حقيقة ما في نفوس اولئك المنافقين، فهم لا- يريدون الانسحاب إلى داخل المدينة للمحافظة على الذراري و الصبيان، انما هو نقض العهد، و خلف الوعد و فقدان الايمان القلبي فهم اذا دخل عليهم العدو المدينة و طلبوا منهم الرجوع عن الاسلام لرجعوا إلى الكفر دون تأخير. و لكن الله سيسألهم عن العهد الذي أعطوه من قبل بأن يثبتوا امام العدو، و كان عهد الله مسؤلاً.

٧- ثم إن الله تعالى يوبخهم- في الآية في الآيات اللاحقة- على موقفهم المتخاذل هذا، و يقول لهم: بأن الفرار و الانسحاب لن ينجيهم من الموت ان كان مقدراً عليهم، و حتى لو عاشوا أياماً فلن يعيشوها في خير و أمان.

كما و يقول لهم: بأن الله لا يخفى عليه ما يقومون به من تخذيل و عرقلة لمسيرة الاسلام الصاعدة، و لا تخفى عليه سبحانه مواقفهم

فى أوقات المحنة، من كف الايدى عن مساعدة المؤمنين، أو سلقهم بألستهم و تحميلهم عوامل المحنة و الشدة،

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٧٩

حتى بعد الانتصار.

و هنا يبدو و يبرز دور المنافقين، و تظهر حالاتهم العجيبة فى الحرب و السلم.

فهم يخافون خوفا شديدا، و هم يظنون بالله ظن السوء و هم يشيعون الخوف و روح الهزيمة فى الناس و هم ينسحبون و يدعون إلى الانسحاب من الصفوف و هم مستعدون فى كل وقت للارتداد و الرجوع عن الاسلام الى الكفر، و هم بالتالى اشحء بخلاء، فى نفوسهم كزازة على المسلمين كزازة بالجهد و كزازة بالمال و كزازة بالعواطف و المشاعر على السواء.

٨- إنهم لكونهم لم تخالط قلوبهم بشاشة الايمان و لم يهتدوا بنوره يفتقدون الشجاعة و القوة حتى بعد ذهاب عوامل الخوف و الهول. فهم ما يزالون يرتعشون، و يتخاذلون، و يأبون أن يصدقوا أن الاحزاب قد ذهبت و ولت مهزومة. و يودون لو أن الاحزاب دخلت المدينة أن لا يكونوا فيها مبالغة فى النجاء من الأهوال!!

٩- و لكن فى مقابلة هذا الفريق المتخاذل الجبان يرسم القرآن الكريم فى الآيات ٢١ إلى ٢٥ صورة المؤمنين الصادقين و فى مقدمتهم رسول الله صلى الله عليه و آله القدوة الحسنة لجميع المسلمين فى جميع الحالات و الظروف.

فان هذه الجماعة المؤمنة الصادقة لما رأت الاحزاب قالت: هذا ما وعدنا الله و رسوله، هذا الهول لا بد أن يجيء فيه النصر فهو وعد الله الصادق المحقق.

فصمدوا و صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فجزاهم الله بصدقهم إذ ردّ الذين كفروا بغيظهم، لم ينالوا خيرا و كفى الله المؤمنين القتال، و كان الله قويا عزيزا خلافا لما ظنه المنافقون، و توهموه.

و قد كانت هذه الواقعة فى منظور القرآن الكريم امتحانا عظيما، و اختبارا دقيقا للنفوس و القلوب و هو امتحان لا بد منه حتى يتميز الصادق عن المنافق، و الموفون بعهدهم و الناقضون له.

كما أن هذه الواقعة و ما جاء حولها من الآيات كشفت عن أن وعود الله

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٨٠

صادقة و محققة اذا توفرت شرائطها، و مقدماتها، و منها استخدام الوسائل الطبيعية المناسبة، و الاتكال على الله و استمداد العون منه. و فى هذه الآيات إشارة إلى دور ما يسمى الآن بالطابور الخامس و إلى خطورة الشائعات السيئة فى المجتمع، و بخاصة فى ظروف الحرب.

كما أن فيها إشارة إلى كيفية مواجهة هذه الشائعات و التعامل مع فعاليات هذا الفريق الخطر.

و لقد لا- حظنا خلال ما مضى من السيرة كيف أن رسول الله صلى الله عليه و آله كان يبطل بتكتيكاته العسكرية مفعول تلك النشاطات التخريبية و المضرة.

فقد كان يعتمد اسلوب الدعاء، و الذكر، و التشجيع، و التكبير، و ارسال الدوريات العسكرية و العمل المباشر و المشاركة الفعلية فى عمليات الدفاع و الحراسة و ما شاكل ذلك ممّا ذكرناه و ممّا لم تسع هذه الدراسة لذكره.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٨١

حوادث السنة الخامسة من الهجرة (١)

٣٨ سقوط آخر أوكار الفساد و المؤامرة

أقدم رسول الله صلى الله عليه وآله في السنة الأولى من هجرته إلى المدينة، على تنظيم و عقد ميثاق تعايش بين سكان المدينة و ما حولها، بغية إنهاء جميع أشكال الاختلاف، و التنازع، و الصراع الداخلي.

و قد تعهد الأوسيون و الخزرجيون، عامّة و اليهود من تينك القبيلتين أن يدافعوا عن المدينة و ما حولها، و قد مرّ النص الكامل لهذا الميثاق على القارئ الكريم فيما سبق «١».

هذا من ناحية.

(٢) و من ناحية أخرى عقد رسول الله صلى الله عليه وآله بينه و بين يهود المدينة ميثاقاً آخر ينصّ على أنّ مختلف الطوائف اليهودية تتعهد بأن لا تلحق أى ضرر و أذى برسول الله و أصحابه، و لا تمدّ أعداءهم بالخيل و السلاح، و أنها لو فعلت شيئاً من ذلك يكون لرسول الله صلى الله عليه وآله الحق في أن يقتلهم، و يسبي نساءهم و أبناءهم.

إلا أنّ جميع الطوائف اليهودية الثلاث نقضت الميثاق المذكور بشتى العناوين و الصور، و تجاهلت بنوده، و مواده!

فقد قتل «بنو قينقاع» مسلماً، و خطّطت «بنو النضير» لاغتيال رسول الله

(١) راجع صفحة ٢١ من هذا الجزء.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٨٢

صلى الله عليه وآله، و أجبرهم على الجلاء من المدينة و أخرجهم من البيئه الاسلاميه.

و تعاونت «بنو قريظة» مع جيش المشركين لضرب المسلمين، و طعنهم من الخلف، و الآن يجب أن نرى كيف يوبخ رسول الله بنى قريظة على نقضهم للميثاق.

قوات الاسلام تحاصر بنى قريظة:

(١) لم يكن الصبح قد أسفر بعد عند ما غادرت آخر مجموعة من جنود «الأحزاب» أرض المدينة قافلة إلى بلادها مرعوبة فزعة للغاية.

كما أن آثار التعب و الارهاق لم تكن قد فارقت بعد ملامح المسلمين، و مع ذلك فقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وآله بأن يعالج قضية «بنى قريظة» بصورة نهائية، فأذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وآله و صلى النبي صلى الله عليه وآله بالمسلمين صلاة الظهر، ثم نادى منادى النبي صلى الله عليه وآله في الناس:

من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا بنى قريظة!

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله قدّم «علي بن أبي طالب» برأيه «١»، و خرج معه جنود الإسلام الشجعان، فحاصروا حصون «بنى قريظة»، فأخبرهم ديرانهم بنشاط المسلمين، فبادروا إلى اغلاق أبواب الحصون، و التحصن في داخلها، و نشبت الحرب بين بنى قريظة و المسلمين من اللحظات الأولى فقد أخذ اليهود يشتمون رسول الله صلى الله عليه وآله و قالوا فيه مقالة قبيحة فرجع علي عليه السلام بالمسلمين فالتقى رسول الله صلى الله عليه وآله في الطريق و قد كره أن يسمع النبي صلى الله عليه وآله أذاهم و شتمهم و حاول أن يثنى رسول الله صلى الله عليه وآله و آله من الاقتراب إلى حصن بنى قريظة قائلاً: لا عليك أن تدنو

(١) زاد المعاد: ج ٢ ص ٧٣، و امتاع الاسماع: ج ١ ص ٢٤٣.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٨٣

من هؤلاء الاخابث.

فلما عرف رسول الله صلى الله عليه وآله و آله بسبب ذلك قال: لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئاً فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وآله

من حصونهم قال لهم:

«هل أخزاكم الله و أنزل عليكم نعمته؟»

وقد كانت ردة فعل رسول الله صلى الله عليه وآله الشديدة غير متوقعة لليهود، و من هنا قالوا: يا أبا القاسم ما كنت جهولا .. و هم يريدون بذلك إطفاء مشاعره الملتهبة ضدّهم «١».

فأثارت كلمتهم هذه عاطفة رسول الله صلى الله عليه وآله بحيث رجع من غير اختيار، و سقط رداؤه من كتفه.

(١)

اليهود يتشاورون حول الموقف:

تشاور يهود بنو قريظة و هم معتصمون بحصونهم في الموقف، و قد شارك فيه «حبي بن أخطب» مثير معركة الأحزاب، فانه لم يذهب إلى خيبر بعد أن وضعت الحرب - في معركة الأحزاب - أوزارها و ولى العرب المشركون بل دخل في حصون بنى قريظة.

هذا و قد طرح زعيم بنى قريظة ثلاثة اقتراحات و طلب من الجميع أن يتفقوا على واحدة منها لمعالجة الموقف:

(٢) ١- أن يؤمنوا برسول الله، و يصدّقونه لأنه قد تبين لهم أنه نبي مرسل، و أنه الذي يجدونه في كتابهم، و بذلك يأمنون على دمائهم و أموالهم و نسائهم و أبنائهم.

(٣) ٢- أن يقتلوا أبناءهم و نساءهم ثم يخرجوا إلى محمّد و أصحابه يقاتلونهم، فإذا هلكوا، هلكوا و لم يتركوا وراءهم نسلا يخشى عليه، و إن انتصروا تزوجوا

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٢٣٤، تاريخ الطبري: ج ٢ ص ٢٤٥ و ٢٤٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٨٤

من جديد، و وجدوا أبناء.

(١) ٣- ان الليلة هي ليلة السبت، و انه عسى أن يكون محمّد و أصحابه قد منوهم فيها، لعلمهم بأن اليهود لا يقاتلون في السبت، فليزولوا من الحصون لعلهم يصيبون من محمّد و أصحابه على حين غفلة.

و لكن المشاورين رفضوا جميع هذه الطروحات و قالوا: لا- نفارق حكم التوراة أبدا، و لا نستبدل به غيره، و قالوا: ان نقتل أبناءنا و نساءنا فما خير العيش بعدهم، و قالوا: لا نقاتل ليلة ليلة السبت، محمّد و أصحابه نفسنا سبتنا علينا، و نحدث فيه ما لم يحدث من كان قبلنا إلّا من قد علمت، فأصابه ما لم يخف عليك من المسخ «١».

إن هذا الحوار يساعدنا على فهم نفسية تلك الجماعة (و نعى اليهود)، و خصالهم و أخلاقهم الفاسدة.

فإن رفض الاقتراح يكشف عن أنهم كانوا جماعة معاندة، لجوجة، لأنهم إذا كانوا حقا يعرفون صدق نبوة رسول الله صلى الله عليه وآله و آله - كما قال زعيمهم - لم يكن لوقوفهم سبب الا العناد و العتوّ، و اللجاج.

(٢) و اما الاقتراح الثاني و ما دار حوله من كلام فيشهد - بجلاء - على أن تلك الطائفة كانت جماعة قاسية، لا تعرف للرحمة و الحنان معنى، لان قتل الاطفال و النساء الابرياء لا يمكن من دون قسوة شديدة.

هذا مضافا إلى أن المشاورين آنذاك رفضوا هذا المقترح لا بدافع الرحمة و الشفقة على الاطفال و النساء، بل لأن الحياة لا تعود لذيدة بعد فقدهم هذا هو ما قالوه. و لم يقل أى واحد منهم: و ما ذا جنى الاطفال و النساء حتى نقتلهم و نذبحهم، و لو أن رسول الله صلى الله عليه وآله و آله - تمكن منهم - لم يقتلهم، فكيف نعد نحن (الأبناء الرحماء) إلى ارتكاب مثل هذه الجريمة بحقهم. فنفسك

دماءهم

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٢٣٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٨٥

من غير جرم ولا جناية؟

(١) وأما الاقتراح الثالث فيكشف عن أنهم لم يكونوا يعرفون جيدا مدى علم رسول الاسلام صَلَّى الله عليه وآله بفنون القتال، و الدفاع و كانوا يتصورون أن القائد الأعلى للاسلام لا يراعى قواعد الحذر و الاحتياط ليلئ السبب و يومه، و خاصة في مواجهة أعداء خونه، أخوان غدر و مكر، أمثال اليهود الناقضين للعهود، الناكثين للمواثيق.

ان دراسة و تقييم معركة «الاحزاب» تثبت ندره وجود الاذكياء و الفطنين بين هذه الجماعة، و ألا لكانوا يتمكنون من حفظ كيانهم حتى من الناحية السياسية في تلك الظروف من دون أن ينحازوا إلى أي واحد من طرفي الصراع (الاسلام و الشرك).

أي أنه كان من الممكن أن يتخذوا جانب الحياد الكامل، و يبقوا متفرجين لما يدور بين محمّدي، و جيش المشركين، و بهذا يبقوا محافظين على كيانهم و وجودهم، انتصر من انتصر و غلب من غلب.

(٢) و لكنهم خدعوا بتسويات «حبي بن أخطب» و وسوساته و انحازوا الى جيش العرب المشركين فتورطوا في مثل تلك الورطة، و هي أن يتخلوا- في النهاية- عن مساعدة قريش بعد شهر كامل من التعاون معهم، و الرضوخ لخطه «نعيم بن مسعود»، و إخبار قريش

بأنهم لن يتعاونوا معهم ضد رسول الاسلام ما لم تسلّم قريش بعض شخصياتها إليهم، لغرض الاحتفاظ بهم في حصونهم كوثيقة!!

لقد غاب عن تلك الزمرة المعاندة اللجوجة أنهم قد تعاونوا ضد رسول الاسلام في بداية الأمر، فاذا قطعوا علاقاتهم مع قريش، و ترك جيش المشركين ساحة المعركة إذا أحس بالعجز عن تحقيق أي انتصار، و عاد الى بلاده، فان بنى قريظة بأجمعهم سيكونون حينئذ في قبضة المسلمين.

(٣) فلو كانوا يملكون شيئا من الرؤية السياسية الصحيحة لكان عليهم أن يعلنوا لرسول الله صَلَّى الله عليه وآله - فور قطع العلاقات مع

قريش- عن ندامتهم على

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٨٦

نقض الميثاق الذي عقده من قبل مع النبي صَلَّى الله عليه وآله و يعتذروا إليه ممّا بدر منهم لينجوا من الخطر- في صورة انتصار المسلمين على الكفار- و لكن الشقاء أصابهم عند ما قطعوا العلاقات مع جيش قريش، و لم يلتحقوا بالمسلمين، و لم يعتذروا إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وآله.

على أنه لم يكن في مقدور النبي صَلَّى الله عليه وآله أن يترك بنى قريظة- بعد هزيمة جيش العرب- على حالهم، و يغض النظر عن موقفهم إذ لم يكن من المستبعد، أن يفكر العرب في مناسبة اخرى في تسيير جيش ضخم و منظم آخر لاجتياح المدينة، و يتمكنوا مع مساعدة بنى قريظة من استئصال الاسلام.

فكان يهود بنى قريظة يعتبرون- في الحقيقة- العدو الداخلي الذي يهدّد كيان الاسلام من الداخل، و على هذا كان من الواجب معالجة الامر مع بنى قريظة، و حلّ هذه المسألة الخطيرة بالنسبة الى المسلمين من الاساس.

(١)

خيانة أبي لبابة:

لقد طلب يهود بنى قريظة بعد محاصرة النبي صَلَّى الله عليه وآله لهم، أن يبعث إليهم «أبا لبابة» الأوسى ليتشاوروا معه في الموقف، و قد كان أبو لبابة حليفا لليهود قبلي دخول الاسلام إلى المدينة، فأرسله رسول الله صَلَّى الله عليه وآله إليهم، فلما رأوه قام إليه الرجال

و جهش إليه النساء و الصبيان يبكون في وجهه و قالوا: يا أبا لبابة أ ترى أن نزل على حكم محمد؟

قال: نعم- و أشار بيده إلى حلقة- يريد أنهم سوف يقتلهم و لن يحقن دماءهم، لو سلموا.

لقد كان أبو لبابة يعلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله لن يوافق على بقاء هذه الزمرة الشريرة الخائنة الخطرة على دين التوحيد، إلا أن أبا لبابة قد خان بفعله هذا المسلمين، و مصالح الاسلام العليا، و أفسى سرًا كان عليه أن يكتمه قبل وقوعه، و لهذا ندم على فعله ندما شديدًا، فخرج من حصن بنى قريظة و هو

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٨٧

يرتجف و يقول: إني خنت الله و رسوله صلى الله عليه وآله، و انطلق على وجهه، و لم يأت رسول الله صلى الله عليه وآله و آله و المسلمين و هم ينتظرون رجوعه إليهم- و ربط نفسه في المسجد بعمود من أعمدته، و قال لا أبرح مكاني هذا حتى يتوب الله علي ما صنعت!!

(١) و يقول المفسرون: فنزل في خيانه أبي لبابة قول الله تعالى:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ» (١).

فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله خبر أبي لبابة، و كان قد استبطأه قال:

أما أنه لو جاءني لاستغفرت له، فأما إذ قد فعل ما فعل فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه.

و بقي أبو لبابة مرتبطًا بالأسطوانة، و كانت ابنته أو زوجته تأتيه في مواعيد الصلاة، و تحل رباطه، فيصلي ثم تعيد الرباط.

فلما كان السحر من اليوم السابع نزلت توبه أبي لبابة بواسطة ملك الوحي- على رسول الله و هو في بيت أم سلمة، و الآية التي نزلت في توبته هي قوله تعالى:

«وَآخِرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» (٢).

(٢) فلما نظرت أم سلمة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله و آله و هو مستبشر يضحك قال صلى الله عليه وآله لها:

«لقد تيب على أبي لبابة إن شئت فبشيره».

فقامت إليه و هو مرتبط بالجدع في المسجد و قالت له: يا أبا لبابة أبشر فقد تاب الله عليك.

فلما عرف الناس بذلك أرادوا أن يطلقوه فقال: لا و الله حتى يكون رسول الله

(١) الأنفال: ٢٧.

(٢) التوبة: ١٠٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٨٨

صلى الله عليه وآله هو الذي يطلقني.

فلما مر عليه رسول الله صلى الله عليه وآله خارجًا إلى صلاة الصبح أطلقه (١).

(١) و لا شك إن زلته أبي لبابة كانت بسبب عواطفه تجاه يهود بنى قريظة، فقد سلبه بكاء رجالهم و نسائهم، و صبيانهم و استغاثتهم العاطفية القدرة على ضبط النفس، فكشف سرًا من أسرار المسلمين كان عليه أن يكتمه، و لكن قوة الايمان بالله و الخشية من عذابه أكبر و أعلى من كل شيء الى درجة أنها دفعت بابي لبابة إلى أن يندم على فعله ذلك الندم العجيب، و يعمد- لجبران تلك الخيانة- الى ما فعل من الانابة، و الاستغفار، الأمر الذي تكون نتيجته أن لا تراود مثل هذه الفكرة نفسه مرة اخرى قط.

(٢)

خرج «شأس بن قيس» اليهودي من الحصن ليتحدث مع رسول الله صلى الله عليه وآله نيابة عن بني قريظة، فطلب من رسول الله صلى الله عليه وآله ان يسمح لليهود بني قريظة بأن يحملوا معهم أموالهم ويخرجوا من المدينة كما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله مع بني النضير، فأبى رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: «لا، إلا أن تنزلوا على حكمي». فقال شأس: لك الأموال والسلاح وتحقق دماءنا، فابى النبي صلى الله عليه وآله ورفض هذا الاقتراح أيضا. وهنا يطرح السؤال التالي نفسه وهو: لما ذا رفض رسول الاسلام صلى الله عليه وآله مقترحات مندوب بني قريظة؟! إن السبب واضح، فانه لم يكن من المستبعد أن تقدم هذه الزمرة - بعد

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٢٣٧ و ٢٣٨.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٨٩

خروجها من قبضة المسلمين - على تحريك العرب المشركين الوثنيين ضد الاسلام والمسلمين على نحو ما فعلت بنو النضير، و تعرض المجتمع الاسلامي والدولة الاسلامية الفتية لأخطار كبرى جدا، و تسبب في سفك دماء كثيرة. (١) ولهذا لم يوافق رسول الله صلى الله عليه وآله على اقتراحات مندوب بني قريظة، و عاد شأس إلى الحصن، و اخبر قومه بمقالة رسول الله عليه وآله، و رفضه لمقترحاته.

فقرر بنو قريظة التسليم للمسلمين من دون أى قيد أو شرط.

أو الرضا بما يحكم به سعد بن معاذ الأوسى - و كان حليفا لهم - فى حقهم.

ولهذا عمدوا الى فتح باب الحصن، و دخل على عليه السلام على رأس كتيبة خاصة من المسلمين الحصن و جردوا بني قريظة من السلاح، و حبسواهم فى منازل «بنى النجار» ليتقرر مصيرهم فيما بعد.

(٢) و حيث إن يهود بنى قينقاع قد اسروا على أيدي جنود الاسلام، ثم عفى عنهم بوساطة من الخزرج و بخاصة «عبد الله بن ابي»، و انصرف النبي صلى الله عليه وآله عن إهراق دمهم فيما مضى، لذا ضغط الأوسيون المتحالفون مع بني قريظة على رسول الله صلى الله عليه وآله و أصروا عليه اصرارا شديدا بأن يعفو عن بني قريظة الذين كانوا متحالفين مع الأوس من قبل أن يقدم رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة، و ذلك منافسة للخزرج، و لكن رسول الله صلى الله عليه وآله قاوم هذا الطلب، و قال لهم:

«ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم؟»

قالوا: بلى.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله فذاك إلى «سعد بن معاذ» فهو يحكم فيهم.

(٣) و الطريف أن اليهود قد قبلوا هم أيضا بما يحكم به سعد بن معاذ فقد بعث بنو قريظة الى رسول الله صلى الله عليه وآله - كما

يروى ابن هشام «١» و الشيخ

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٢٤٠.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٩٠

المفيد «١» - يا محمد نزل على حكم سعد بن معاذ.

(١) و كان سعد آنذاك يتداوى فى خيمته لامرأة تدعى «رفيدة» من سهم أصابه فى معركة الخندق، و كانت رفيده تداوى الجرحى فى سبيل الله، و كان رسول الله صلى الله عليه وآله يعود سعدا بين الحين و الآخر، فلما حكّمه فى بني قريظة أتاه فتيان الأوس، و حملوه

على حمار و قد وطئوا له بوسادة من آدم و كان رجلا جسيما جميلا، ثم أقبلوا معه الى رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما طلع سعد على رسول الله و الناس حوله صلى الله عليه وآله جلوس، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «قوموا إلى سيدكم».

فقام الناس على أرجلهم صنفين احتراماً لسعد، و حيّاه كل واحد منهم، حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، و قد طلب منه رجال قومه مرارا أن يحسن الحكم في حلفائهم: يهود بنى قريظة، و يخلصهم من خطر الموت و القتل قائلين: يا سعد أجمل إلى مواليك فأحسن فيهم فان رسول الله صلى الله عليه وآله قد حكّمك فيهم لتحسن فيهم. و لكن سعدا حكم في ذلك المجلس - رغم كل ذلك الالجاج، و الضغط - بأن يقتل رجال اليهود، و تقسم أموالهم، و تسبى ذراريهم و نساؤهم (٢).

(٢)

تقييم ما استند إليه سعد في حكمه:

ليس من شك في أنه اذا غلبت عواطف القاضى و أحاسيسه على عقله، تعرض جهاز القضاء للفوضى و الاختلال، و انتهى الى تمزق المجتمع و سقوطه،

(١) الارشاد: ص ٥٠ و أيضا راجع زاد المعاد: ج ٢ ص ٧٣، امتاع الاسماع: ج ١ ص ٢٤٦.

(٢) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٢٤٠، المغازى: ج ٢ ص ٥١٠، زاد المعاد: ج ٢ ص ٧٣ و ٧٤.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٩١

و انهيار كل شيء، لارتباط كل شيء بالعدالة و ارتباط العدالة بالقضاء و المؤسسة القضائية.

إن العواطف تشبه الى حد بعيد الشهية الكاذبة التي تزين في نظر صاحبها كل مضر مهلك في حين إذا غلبت هذه العواطف و المشاعر العقل سحقت مصالح الفرد و المجتمع، أو أضرت به أشدّ و أبلغ إضرار.

(١) إن عواطف سعد و أحاسيسه و مشاعره، و منظر صبيان و نساء بنى قريظة المحزن، و أوضاع رجالهم التي كانت تثير الاشفاق و هم في الحبس، و ملاحظة رأى العام في قبيلة الأوسيين الذين كانوا يلجئون على سعد أن يحسن الحكم و رأى في بنى قريظة، كل هذه الاعتبارات كان من شأنها أن تجعل القاضى فريسة العاطفة، فيصدر حكمه على أساس من تقديم مصالح أقلية خائنة مشاغبة على مصالح الاكثرية (أى عامة المسلمين) و يبرئ بنى قريظة الجناء الخونة، أو يخفف عن عقوبتهم أكبر قدر ممكن، على الأقل، أو يسلم لإحدى المقترحات السابقة.

إلا أن منطق العقل، و حرية القاضى و استقلاله فى الحكم و القضاء و مراعاة المصالح العامة كل ذلك قاد سعدا إلى ناحية اخرى، فحكم بأن يقتل رجال تلك الزمرة المتآمرة الخائنة، و تصادر أموالهم، و تسبى نساؤهم و أطفالهم.

(٢) و قد استند هذا الحاكم فى حكمه هذا إلى الامور التالية:

(٣) ١- أن يهود بنى قريظة قد تعهدوا للنبي صلى الله عليه وآله قبل مده بأنهم لو تآمروا ضد الإسلام، و المسلمين، و ناصرُوا أعداء التوحيد، و اثاروا الفتن و القلاقل، و ألجوا على المسلمين كان للمسلمين الحق فى قتلهم و مصادرة أموالهم و سبى نساؤهم «١».

و قد رأى بأنه لو حكم بمعاقبة اليهود حسب هذا الميثاق لم يصدر حكما مخالفا

(١) و لقد مرّ عليك نص هذا الميثاق الذى وقع عليه كعب بن الاسد رئيس بنى قريظة.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٩٢

للعادلة، و لم يرتكب ظلما.

(١) ٢- إن هذه الزمرة الناقضة للميثاق أخلت بأمن المدينة في ظل حراب القوى المشتركة، فترة من الزمن، و هاجمت منازل المسلمين، و لو لا مراقبة النبي صلى الله عليه وآله للاوضاع و حراسه من عيّنهم من جنود الاسلام للحفاظ على أمن المدينة، لفعلت تلك الزمرة الأفاعيل و لارتكبت أسوأ الفضائع و الفجائع، و لو أتيح لهم أن يسيطروا على المدينة لقتلوا رجال المسلمين و صادروا أموالهم، و سبوا نساءهم و أطفالهم.

و من هنا رأى سعد بن معاذ في نفسه بأنه لو قضى فيهم بمثل هذا القضاء لما خالف الحق و أطفالهم.

(٢) ٣- من المحتمل جدا أن سعد بن معاذ رئيس الأوس الحلفاء ليهود بنى قريظة، و الذين كانت بينهم علاقات ودّ و محبة كان مطلقا على قوانين اليهود، الجزائية في هذا المجال، فإن التوراة تنص بما يلي: «حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح. فان اجابتك إلى الصلح و فتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير، و يستعبد لك. و ان لم تسالمك بل عملت معك حربا فحاصرها. و اذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحدّ السيف، و اما النساء و الأطفال و البهائم و كل ما في المدينة كل غنيمتها فتغنمها لنفسك» (١).

و لعلّ سعدا فكر في نفسه بأن القاضى المرضي و المقبول لدى الجانبين لو عاقب المعتدين حسب شريعتهم ما فعل إلا ما يقتضيه العدل و الانصاف.

(٣) ٤- و الذي نتصوره هو أن أكبر أسباب هذا الحكم هو أن «سعد بن معاذ» رأى بام عينيه أن رسول الله صلى الله عليه وآله عفا عن بنى قينقاع المعتدين بناء على طلب من الخزرجيين، و اكتفى - من عقابهم - باخراجهم من المدينة، و اجلائهم

(١) التوراة: سفر التثنية الفصل العشرون ١٠-١٤.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٩٣

عنها و لكن تلك الزمرة التي شملها عفو النبي لم تكن تغادر أراضي الاسلام حتى بدأت بالمشاغبة و المؤامرة الدنيئة ضدّ الاسلام، فذهب كعب بن الأشرف الى مكة، و أخذ يتباكي - دجلا و خداعا - على قتلى بدر، و يذرف عليهم دموع التماسيح، و لم يفتأ عن تأليب قريش ضد رسول الاسلام و أصحابه حتى عزم قريش على تسيير جيشها نحو المدينة، و كانت واقعة «احد» التي استشهد فيها اثنان و سبعون من خيرة أبناء الاسلام، و رجاله.

(١) و هكذا فعلت بنو النضير المتآمرون الخونة، الذين عفا عنهم رسول الله صلى الله عليه وآله و آله و اكتفى من عقابهم بمجرد اجلائهم عن المدينة، و لكنهم قابلوا هذا الموقف الانساني، بتأليب القبائل العربية المشتركة ضدّ الاسلام، و المسلمين، و كوّنوا اتحادا نظاميا بينها، و ألفوا منها جيشا قويا ساروا به الى عاصمة الاسلام (المدينة)، فكانت وقعة (الاحزاب) التي لو لا حنكة رسول الله صلى الله عليه وآله و آله، و خطه حفر الخندق لقضى على الاسلام بسببها منذ الايام الاولى، و لما بقى من ذلك الدين خبر و لا أثر و لقتل آلاف الناس.

(٢) لقد لاحظ سعد بن معاذ كل هذه الاعتبارات، فلم تسمح له التجارة الماضية بأن يستسلم لعواطفه، و يضحي بمصالح الآلاف في سبيل الحفاظ على مصالح أقلية لأنه كان من المسلم به أن هذا الفريق سيقوم في المستقبل بايجاد تحالف عسكري أوسع، و سيثير و يؤلب قوى العرب ضد الاسلام، و يعرض مركز الاسلام، و محوره الاساسي للخطر من خلال تدبير مؤامرات اخرى.

و على هذه الأساس رأى بأن وجود هذه الزمرة يضمر المجتمع الاسلامي مائة بالمائة و أيقن بأن هذه الزمرة لو أتيح لها أن تخرج من قبضة المسلمين لما فتأت لحظة عن المؤامرة و لواجه المسلمون بسببها أخطارا كبرى.

(٣) و من المحقق أنه اذا لم تكن في المقام هذه الجهات و الاعتبارات لكان إرضاء الرغبة العامة في الابقاء على بنى قريظة أو

التخفيف في عقابهم أمراً في غاية الأهمية بالنسبة إلى سعد بن معاذ، فإن رئيس أى قوم، أو جماعة أحوج ما يكون

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٩٤

إلى تأييد قومه وجماعته و كسب رضاهم و دعمهم، و لا ريب أن عدم الاستجابة لمطلبهم، و تجاهل توصياتهم يوجه أكبر ضربة لسيد القوم و رئيسهم، و لكن سعدا (رئيس الأوس) أدرك أن جميع هذه التوصيات و الوساطات تخالف مصالح الآلاف من المسلمين، من هنا أثر عدم الحياد عن حكم العقل، و المنطق، على رضا قومه عنه.

هذا و إن الذى يشهد بدقه نظر سعد، و صواب رأيه، و صحه تشخيصه و تقديره للأمر أنه عند ما اتى بحى بن أخطب ليضرب عنقه فوقت عينه على رسول الله صلى الله عليه و آله قال: ما لمت نفسى فى عداوتك، و لكنه من يخذل الله يخذل. أى لو لا خذلان الله لليهود لاستمروا فى معاداة رسول الله صلى الله عليه و آله و تدبير المؤامرات ضده.

ثم أقبل على الناس فقال: يا أيها الناس لا بأس بأمر الله، ملحمه كتبها الله على بنى إسرائيل.

(١) ثم إنه قتل فى هذه الواقعة من النساء امرأة واحدة لأنها ألفت برحى من فوق الحصن فقتلت به أحد المسلمين، فقتلت قصاصا.

و كان بين المحكوم عليهم بالقتل رجل اسمه «الزبير بن باطا» شفع له رجل من المسلمين يدعى ثابت بن قيس، فلم يقتل، و اخلى سبيل زوجته و أولاده، و اعيدت إليه أمواله، و أسلم أربعة من بنى قريظة، و قسّمت غنائم العدو بين المسلمين بعد إخراج الخمس منها، و اخرج ما يرتبط بالامور الادارية الاسلامية العامة.

و قد اعطى للفارس سهمان، و للراجل سهم واحد، و سلم رسول الله صلى الله عليه و آله أموال «الخمس» إلى زيد بن حارثة ليذهب بها إلى نجد و يشتري بها العتاد، و السلاح، و الخيل، و غيرها من أدوات الحرب «١».

(١) تاريخ الطبرى: ج ٢ ص ٢٥٠، السيرة النبوية: ج ٢ ص ٢٤١، زاد المعاد: ج ٢ ص ٧٤.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٩٥

(١) و هكذا انتهت مشكلة بنى قريظة فى التاسع عشر من شهر ذى الحجة من السنة الخامسة للهجرة، و قد نزلت فى شأن هذه الواقعة الآيات ٢٦-٢٧ من سورة الاحزاب اذ يقول سبحانه:

«وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَ تَأْسِرُونَ فَرِيقًا. وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَ دِيَارَهُمْ وَ أَمْوَالَهُمْ وَ أَرْضاً لَمْ تَطَّوُّهَا وَ كَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا».

و قد استشهد «سعد بن معاذ» الذى سبق أن جرح فى معركة الخندق بعد حادثه بنى قريظة هذه «١»

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٢٥٠-٢٥٤.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٩٦

(١)

حوادث السنة السادسة من الهجرة

٣٩ أعداء الاسلام تحت المراقبة المشددة «١»

إشارة

لم تنقض السنة الهجرية الخامسة إلّا و قد انتهت فتنة «الاحزاب» و «بنى قريظة»، و قضى عليهما بالكامل، و أصبحت المدينة و ضواحيها

برمتها في قبضة المسلمين و تحت سيطرتهم، و ازدادت قواعد الحكومة الإسلامية الفتية رسوخا و ثباتا، و ساد هدوء نسبي في المنطقة التي تخضع للحكومة الإسلامية، غير أن هذا الهدوء كان هدوء مؤقتا، و كان على قائد المسلمين الأعلى أن يراقب أحوال العدو و أوضاعه، و تحركاته ليقضي في المهدد على كل مؤامرة ضد الإسلام بما أوتي من قوى و إمكانيات.

(٢) و لقد سمح الهدوء الذي ساد المنطقة للنبي صلى الله عليه وآله بأن يجمع بعض مشعلى فتنة «الأحزاب» الذين هربوا من قبضة المسلمين بعد رحيل «الأحزاب».

فلقد قتل «حبي بن أخطب» الذي كان من مشعلى معركة الأحزاب، في غزوة بنى قريظة، و لكن رفيقه «سلام بن أبي الحقيق» كان لا يزال يعيش في خيبر، و لا شك في أن هذا العنصر الخطر لم يكن ليفتأ لحظة واحدة عن إثارة و تأليب «الأحزاب» مرة أخرى ضد الإسلام، و خاصة أن العرب الوثنيين كانوا

(١) يستفاد من السيرة النبوية: ج ٣ ص ٢٩١ ط ١٣٥٥ أن خطة اغتيال «سلام» كانت قبل نهاية السنة الهجرية الخامسة، و لكن بالنظر إلى أن قضية بنى قريظة حدثت في التاسع عشر من شهر ذى الحجة يستبعد هذا الرأي.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٩٧

مستعدين لشن حرب على الإسلام، و كان من المحتمل إذا نوفرت هناك جهة تتكفل نفقات الحرب، أن تتكرر قضية الأحزاب مرة أخرى.

(١) على أساس هذه المحاسبات كلف رسول الله صلى الله عليه وآله مجموعة من شجعان الخزرج و فوارسهم بأن يصفوا هذا العنصر الخطر، الجريء و الحاقد، بشرط أن لا يتعرضوا لأحد من أبنائه و زوجته.

فخرجوا حتى قدموا خيبر، فدخلوا خيبر ليلا و لم يدعوا بابا في الدار الا أغلقوه على أهله حتى لا يحس بهم أحد إذا صاح و استغاث بأحد، ثم تسللوا إلى غرفته و كانت في الطابق الاعلى، فطرقوا باب حجرته، فخرجت إليهم امرأته و قالت:

من أنتم؟ قالوا: ناس من العرب نلتمس الميرة، ففتحت الباب و سمحت لهم بالدخول عليه من دون التحقق من أمرهم، فدخلوا في غرفته و ابتدروه و هو على فراشه بأسياقهم بعد أن أغلقوا باب الغرفة على أنفسهم، و قضا على ذلك المفسد الشرير الذي طالما أزعج المسلمين بفتنه و مؤامراته، ثم خرجوا، و انحدروا من الدرج و اختبئوا في ممر مائي من خارج الحصن الى داخله، فصاحت زوجته، و استغاثت بالجيران، فأوقد اليهود النيران، و اشتدوا في طلب تلك الجماعة الفدائية المسلمة، و لكن من دون جدوى، و عند ما يسوا من القبض عليهم رجعوا الى صاحبهم المقتول، و قد بلغ من جرأة المسلمين أن بعثوا أحدهم ليدخل بين اليهود في خيبر و يأتي لهم بخبر ابن أبي الحقيق، لأنهم كانوا يظنون بأنه لا يزال على قيد الحياة.

(٢) فدخل ذلك الرجل بين اليهود فوجدهم و امرأته حول ابن أبي الحقيق، و فى يدها المصباح تنظر فى وجهه، و تحدثهم، و تقص عليهم ما جرى، ثم أقبلت عليه

(١) إن السبب أو الحكمة فى تكليف رسول الله صلى الله عليه وآله الخزرج بهذه المهمة هو أن الاوس قاموا بعملية مشابهة فى حق «كعب بن الأشرف» اليهودى الخطر فأراد رسول الله صلى الله عليه وآله إقامة توازن فى كسب المفازر بين تينك القبيلتين و لذلك أوكل مهمة تصفية هذا اليهودى المفسد إلى رجال الخزرج.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٩٨

تنظر فى وجهه ثم قالت: فاظ (أى مات) و إله يهود.

فعاد إلى رفاقه و أخبرهم بنجاح عمليتهم و هلاك عدو الله: «سلام بن أبي الحقيق» على أيديهم، فخرجوا فى تلك الليلة من مخبأهم و

عادوا إلى المدينة وأخبروا رسول الله صلى الله عليه وآله بما جرى «١».

(١)

أهل الرأي من قريش يهاجرون إلى الحبشة:

توجه جماعة من أهل الرأي في قريش الذين أخافهم تقدم الإسلام، وانتشاره المطرد بشدة، إلى البلاط الحبشي ليقطنوا و يقيموا في الحبشة فقد قالوا: الرأي أن نلحق بالنجاشي فنكون عنده، فإن ظهر «محمد» على قومنا كنا عند النجاشي، فإننا أن نكون تحت يديه أحب إلينا من أن نكون تحت يدي محمد و إن ظهر قومنا فنحن من عرفوا فلن يأتينا منهم إلا خير.

و خرجت هذه الجماعة و فيهم «عمرو بن العاص» بهدايا كثيرة من الحجاز قاصدة أرض الحبشة، و بلاط النجاشي بالذات.

(٢) و صادف دخولهم على «النجاشي» و روى «عمرو بن أمية الضمري» مبعوث رسول الله صلى الله عليه وآله و حامل كتابه إلى النجاشي يوصيه فيه بجعفر بن أبي طالب، و المهاجرين الآخرين من رفقاءه.

فقال «عمرو بن العاص»: لو دخلت على «النجاشي» بالهدايا و سألته عمرو بن أمية فاعطانيه، فضربت عنقه.

فدخل «عمرو بن العاصي» على «النجاشي»، و سجد له - على النحو الذي كان متبعاً - فسأله النجاشي عن حاله، ثم قال: هل أهديت إلي من بلادك شيئاً؟

قال ابن العاص: نعم أيها الملك، قد أهديت إليك ادماً كثيراً، ثم قال: أيها

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٢٧٤ و ٢٧٥.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٩٩

الملك انى قد رأيت رجلاً - خرج من عندك (و يقصد مبعوث رسول الله) و هو رسول عدو لنا، فاعطنيه لأقتله، فإنه قد أصاب من أشرفنا و خيارنا.

(١) فغضب النجاشي لمقالة ابن العاص غضباً شديداً فصفعه صفعه كادت أن تكسر أنفه، ثم قال: أتسألني أن اعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذى كان يأتي موسى لتقتله. ويحك يا عمرو أتعنى و اتبعه فانه و الله لعلى الحق، و ليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون و جنوده، ثم قال: أفتبايعنى له على الاسلام؟

يقول عمرو بن العاص: فقلت نعم، فبسط يده فبايعته على الاسلام، ثم خرجت إلى أصحابي، و قد حال رأيي عما كان عليه، و كتبت أصحابي إسلامي «١».

(٢)

الوقاية من تكرار التجارب المرة:

تركت حادثة «الرجيع» المرة التى قتل فيها جماعة من قبائل «عضل» و «القارة» من بنى لحيان ثلث من دعاة الاسلام غدرا و من دون رحمة، بل و سلمت رجلين منهم بقوا على قيد الحياة إلى قريش فصلبتهم قريش صبرا انتقاما من رسول الله و المسلمين.

لقد تركت هذه الفاجعة المأساوية المؤلمة ألماً شديداً فى نفوس المسلمين، و أحدثت جرحاً عميقاً فى ضمائرهم و أدت إلى توقف حركة الارشاد و التبليغ و الدعوة.

و لكن فى الظروف المستجدة التى استطاع الاسلام أن يزيل - بعد الأحزاب و بنى قريظة - كل العراقيل و العقبات عن سبيل المسلمين رأى رسول الله صلى الله عليه وآله أن من الضرورى تأديب بنى لحيان لتعتبر بقيّة القبائل، فلا يؤذوا بعد ذلك فرق الدعوة و بعثات

التبليغ الاسلامي.

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٢٧٦ و ٢٧٧.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٠٠

(١) فاستخلف مكانه لإدارة شئون المدينة «ابن أم مكتوم» في الشهر الخامس من السنة الهجرية السادسة و لم يظهر لأحد ما يقصده، بل خرج يظهر أنه يريد الشام ليصيب «بنى لحيان» على غفلة منهم، فلما وصل الى طريق مكة عرّج حتى نزل بمنطقه تدعى غراب و هي منازل بنى لحيان، و قد كان بنو لحيان قد عرفوا بمسير النبي إليهم فحذروه، و تمنعوا في رءوس الجبال. و كان غزو المسلمين هذا، و جبن العدو قد تركا أثرا نفسيا قويا، فأحدث رعبا في قلوب أعداء الإسلام.

و استكمالا لهذا الهدف العسكري الهامّ عمد رسول الله صلى الله عليه وآله إلى القيام بسلسلة من المناورات العسكرية، و استعراض القوة القتالية في جنوده ليرهب أعداء الله القريب منهم و البعيد و لتسمع بهم قريش خاصة فيذعرهم، فنزل في مائتي راكب من أصحابه حتى نزل عسفان على مقربة من مكة و قد قال من قبل:

«لو هبطنا عسفان لرأى أهل مكة أنا قد جئنا مكة».

ثم بعث فارسين من أصحابه حتى بلغا كراع الغميم (و هو موضع بناحية الحجاز بين مكة و المدينة و هو واد أمام عسفان بثمانية أميال). ثم عاد مع أصحابه إلى المدينة «١».

هذا و كان جابر بن عبد الله الأنصاري يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول حين رجوعه من هذه الغزوة:

«... أعوذ بالله من وعشاء السفر و كآبة المنقلب و سوء المنظر في الأهل و المال» «٢».

(٢) غزوة ذي قرد:

لم يقم رسول الله صلى الله عليه وآله في المدينة بعد عودته من الغزوة

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٢٧٩ و ٢٨٠.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٢ ص ٢٥٤، المغازي: ج ٢ ص ٥٣٥، إمتاع الاسماع: ج ١ ص ٢٥٩ و ٢٦٠.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٠١

السابقة إلما ليالى قلائل حتى أغار «عينه من حصن الفزاري» بمساعدة بنى غطفان، على إبل لرسول الله صلى الله عليه وآله كانت ترعى في منطقة تدعى الغابة (و هي موضع قرب المدينة من ناحية الشام) كانت مرعى أهل المدينة، و كان فيها آنذاك رجل من بنى غفار، و امرأة مسلمة له، و قتلوا الرجل، و أخذوا معهم المرأة و الإبل.

(١) و كان أول من أخبر الناس بذلك رجل يدعى سلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمي و كان قد غدا يريد الغابة متوشحا سيفه و قوسه و نبله، يريد الصيد، حتى إذا علا «ثنية الوداع» نظر إلى بعض خيول المغيرين، فصعد على تلمة سلع و صرخ مستغيثا و مستنجدا: و صباحاه،

ثم خرج يشتد في آثار القوم (المغيرين) فجعل يردّهم بالنبل، و لكن المعتدين لا ذوا بالفرار.

و كان رسول الله صلى الله عليه وآله أول من سمع صراخ ابن الأكوع و استغاثاته، فصرخ صلى الله عليه وآله هو مستغيثا: الفزع، الفزع. فأسرع جماعة من الفرسان برسول الله صلى الله عليه وآله، فلما اجتمعوا عنده أمر عليهم «سعد بن زيد الأشهلي» و قال له:

«اخرج في طلب القوم، حتى الحقك في الناس».

فخرج الفرسان المسلمون في طلب القوم، و خرج رسول الله صلى الله عليه وآله من ورائهم، حتى أدركوا القوم في ذي قرد، فوقع بين

المسلمين، و بين المغيرين قتال قليل قتل فيه من المسلمين رجلا، و من المعتدين ثلاثة، و استنقذت المرأة، و بعض الابل المسروقة، و لكن العدو لجأ إلى غطفان، فأقام رسول الله صلى الله عليه وآله في تلك المنطقة يوما و ليلة، تخويفا للعدو، و لم ير من الصالح ملاحقة العدو رغم إصرار بعض المسلمين على ملاحقتهم، و استنقاذ بقية السرح (الابل).

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٠٢

ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وآله قافلا حتى قدم المدينة «١» و كانت هذه الغزوة في الثالث من ربيع الأول من السنة السادسة من الهجرة «٢».

(١)

النذر غير المشروع

و اقبلت المرأة الغفارية المسلمة التي استنقذت من أيدي المغيرين على ناقه من ابل رسول الله صلى الله عليه وآله حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وآله و أخبرته بما جرى ثم قالت: يا رسول الله إني قد نذرت إن نجاني الله على هذه الناقه، أن أنحرها فأكل كبدها و سنامها.

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وآله و قال:

«بئس ما جزيتها أن حملك الله عليها و نجاك ثم تنحرينها، انه لا نذر في معصية، و لا فيما لا تملكين إنما هي ناقه من إبلى فارجعي إلى أهلك على بركة الله» «٣».

و بذلك بين رسول الله صلى الله عليه وآله حكمة في مجال النذر، و هو أن النذر لا يصح في مال الغير، فلا نذر إلا في ملك. و القصة إلى جانب ذلك تكشف عن الخلق العظيم الذي كان يتحلى به قائد الاسلام الأعلى رسول الله صلى الله عليه وآله، و لطفه بأصحابه و اتباعه، حيث جابه المرأة المذكورة برفق و لطف، و بصّرها بما لها و ما عليها في منتهى التواضع و الشفقة.

(١) تاريخ الطبري: ج ٢ ص ٢٥٥، المغازي: ج ٢ ص ٥٣٧ و ٥٤٩.

(٢) امتاع الاسماع: ج ١ ص ٢٦٠ و ٢٦١.

(٣) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٣٨١-٢٨٩، الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ١٣٣، امتاع الاسماع: ج ١ ص ٢٦٣ قال صاحب الامتاع: و كانت الناقه هي القصواء، و القصواء اسم ناقه رسول الله صلى الله عليه وآله.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٠٣

حوادث السنة السادسة من الهجرة (١)

٤٠ تمرّد بنى المصطلق

إشارة

لقد بلغت قوة المسلمين العسكرية في السنة الهجرية السادسة حدا ملفتا للنظر، بحيث تمكن جماعة خاصة منهم أن يترددوا على المناطق القريبة من مكة بمنتهى الحرية، و من دون خوف، بيد أن هذه القوة العسكرية لم تكن كافية للسيطرة على المناطق التي كان يتواجد فيها القبائل المشركه، و مصادرة أموالهم و ممتلكاتهم.

و اذا كان المشركون لا ينتزعون المسلمين حريتهم، و كانوا يسمحون لأن تجرى النشاطات التبليغية من دون منع أو معارضة لما كان

رسول الاسلام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يُقَدِّمُ عَلَى شِرَاءِ الْإِسْلَامِ، وَبَعَثَ السَّرَايَا، وَالمَجْمُوعَاتِ العَسْكَرِيَّةِ، وَ لَكِنْ حَيْثُ انْ نَشَاطَاتِ الْمُسْلِمِينَ التَّبْلِيغِيَّةِ، وَ مَجْمُوعَاتِ الْإِرْشَادِ وَ الدَّعْوَةِ كَانَتْ تَتَعَرَّضُ بِاسْتِمْرَارٍ لِلْمُضَايِقَةِ، وَ الْإِذْيِ، بَلْ وَ الْإِغْتِيَالِ مِنْ قَبْلِ الْعَدُوِّ، لِذَلِكَ كَانَتْ رِسُولَ الْإِسْلَامِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مُضْطَرًا بِحُكْمِ الْعَقْلِ وَ الْفِطْرَةِ أَنْ يَقْوَى مِنْ قَدْرَاتِ الْإِسْلَامِ الدَّفَاعِيَّةِ.

(٢) لَقَدْ كَانَتْ الْعِلَلُ وَ الْأَسْبَابُ الْوَاقِعِيَّةُ لِأَكْثَرِ الْحُرُوبِ الَّتِي وَقَعَتْ إِلَى السَّنَةِ الْهَجْرِيَّةِ السَّادِسَةِ بَلْ حَتَّى آخِرِ لِحْظَةٍ مِنْ حَيَاةِ رِسُولِ الْإِسْلَامِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ تَتَلَخَّصُ فِي إِحْدَى الْأُمُورِ التَّالِيَةِ:

(٣) ١- الرَّدُّ عَلَى اعْتِدَاءَاتِ الْمُشْرِكِينَ الْغَادِرَةِ، مِثْلَ مَعْرَكَةِ «بَدْرٍ» وَ «أَحَدٍ» وَ

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٠٤

«الخندق».

(١) ٢- تَأْدِيبُ وَ عِقَابُ الظَّالِمِينَ الَّذِينَ قَتَلُوا رِجَالًا أُبْرِيَاءَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، أَوْ قَتَلُوا جَمَاعَاتِ الدَّعْوَةِ وَ التَّبْلِيغِ فِي الْبَرَارِيِّ وَ الْفَقَارِ النَّائِيَّةِ، أَوْ عَرَّضُوا كِيَانَ الْإِسْلَامِ لِلْخَطَرِ بِنَقْضِهِمْ عَهْدَهُمْ، وَ تَتَمَثَّلُ هَذِهِ الْحُرُوبُ فِي الْغَزَوَاتِ الثَّلَاثَةِ ضِدَّ الطَّوَائِفِ الْيَهُودِيَّةِ الثَّلَاثِ (بَنِي قَيْنِقَاعِ، بَنِي النَّضِيرِ، بَنِي قَرِيظَةَ) وَ بَنِي لِحْيَانَ.

(٢) ٣- إِفْشَالُ وَ إِجْبَاطُ الْمُؤَامَرَاتِ، أَوْ مَحَاوَلَاتِ التَّمْرُدِ الَّتِي كَانَتْ عَلَى شَرَفِ الْإِنْعِقَادِ فِي الْقَبَائِلِ الَّتِي كَانَتْ تَتَوَى بِجَمِيعِ الرِّجَالِ وَ الْإِسْلَامِ غَزْوِ الْمَدِينَةِ، وَ اكْتِسَاحِ عَاصِمَةِ الْإِسْلَامِ، وَ اسْتِئْصَالِ الْمُسْلِمِينَ، وَ كَانَتْ أَكْثَرَ الْحُرُوبِ الصَّغِيرَةِ وَ الْمَنَاوَشَاتِ الْعَابِرَةِ نَاشِئَةً مِنْ هَذَا الْعَامِلِ الْآخِيرِ.

(٣)

غزوة بني المصطلق:

كَانَ بَنُو الْمِصْطَلِقِ مِنْ قَبَائِلِ «خَزَاعَةَ» الْمُتَحَالِفَةِ مَعَ قَرِيشٍ.

وَ قَدْ بَلَغَ رِسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ أَبِي ضَرَّارٍ زَعِيمَهَا يَعِدُّ الْعَدَّةَ، وَ يَجْمَعُ الرِّجَالَ الْمُقَاتِلِينَ لِمَحَاصِرَةِ الْمَدِينَةِ وَ غَزْوِهَا، فَقَرَّرَ رِسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِأَنْ يَقْضَى عَلَى هَذِهِ الْمُؤَامَرَةِ فِي مَهْدِهَا كَمَا كَانَ يَفْعَلُ دَائِمًا. وَ لِهَذَا أَرْسَلَ أَحَدَ أَصْحَابِهِ وَ هُوَ: «بَرِيدَةَ» إِلَى أَرْضِ بَنِي الْمِصْطَلِقِ لِيَأْتِيَ بِأَخْبَارِهِمْ، فَذَهَبَ بِرِيدَةَ، وَ دَخَلَ فِيهِمْ وَ تَحَادَثَ- فِي هَيْئَةٍ مُتَنَكِّرَةٍ- مَعَ رِئِيسِهِمْ وَ عَرَفَ بَنِيئَهُ، ثُمَّ عَادَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَ أَخْبَرَ رِسُولَ الْإِسْلَامِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِمَا رَأَاهُ وَ سَمِعَهُ، وَ أَنَّ بَنِي الْمِصْطَلِقِ عَازِمُونَ عَلَى الْمَسِيرِ إِلَى رِسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِمَحَاصِرَةِ الْمَدِينَةِ.

فَخَرَجَ رِسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي جَمْعٍ مِنْ أَصْحَابِهِ حَتَّى لَقِيَهُمْ عِنْدَ مَاءِ يَدْعَى «الْمَرِيْسِيْعِ»، وَ نَشَبَتِ الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَ لَكِنْ صَمُودَ الْمُسْلِمِينَ وَ بَسَالَتِهِمُ الَّتِي كَانَتْ قَدْ أَرَعَبَتْ قُلُوبَ قَبَائِلِ الْعَرَبِ تَسَبَّبَ فِي أَنْ

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٠٥

لَا يَطُولُ الْقِتَالُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَ بَيْنَ «بَنِي الْمِصْطَلِقِ» فَتَفَرَّقَ جَيْشُ الْعَدُوِّ بِأَنْ قَتَلَ مِنْهُمْ عَشْرَةَ رِجَالٍ، كَمَا وَ قَتَلَ رَجُلًا مُسْلِمًا خَطَأً، فَأَصَابَ الْمُسْلِمُونَ غَنَائِمَ كَثِيرَةً وَ سَبَّوْا جَمَاعَةً كَبِيرَةً مِنْ نِسَاءِ بَنِي الْمِصْطَلِقِ «١».

(١) هَذَا وَ انْ النِّقَاطُ وَ الدَّرُوسُ الْمَفِيدَةُ فِي هَذِهِ الْوَاقِعَةِ تَتَمَثَّلُ فِي السِّيَاسَةِ الْحَكِيمَةِ الَّتِي مَارَسَهَا رِسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي حَوَادِثِ هَذِهِ الْغَزْوَةِ، مِمَّا سَنَذَكُرُ بَعْضَهَا عَمَّا قَرِيبَ.

وَ قَدْ شَبَّ فِي هَذِهِ الْمَنْطِقَةِ وَ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ خِلَافٌ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ، كَادَ أَنْ يَأْتِيَ بِنَتَائِجٍ مَرُوعَةٍ أَسْطَهَا أَنْ تَوَجَّهَ ضَرْبُهُ قَوِيَّةً إِلَى الْإِتِّحَادِ الْحَاصِلِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ نَتِيجَةً هَوَى الْبَعْضُ وَ هُوَ سَهْمٌ لَوْ لَا تَدْبِيرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ حُكْمَتِهِ، الرَّشِيدَةِ الَّتِي أَنْهَتْ كُلَّ شَيْءٍ، وَ ابْقَتْ عَلَى رُوحِ التَّآخِيِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ.

و تعود جذور هذه الحادثة إلى تراحم رجلين من المسلمين على البئر بعد ان وضعت الحرب أوزارها. فقد ازدحم «جهجاه بن مسعود» و هو من المهاجرين و «سنان بن وبر الجهني» و هو من الأنصار على الماء فاقتتلا، فصرخ الجهني - مستغيثا بقبيلته على عادة الجاهليين -: يا معشر الأنصار، و صرخ جهجاه: يا معشر المهاجرين، و كاد أن يتقاتل المسلمون من الفريقين فيما بينهم في هذه الحادثة، و في هذا المكان البعيد عن عاصمة الاسلام و مركزه، و يتعرض بذلك كيانهم للسقوط و الانهيار، لأنهم تواعدوا على القتال كل فريق انتصارا الصريحة.

فلما عرف رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك قال:

«دعوها فإنها منتنة» (٢).

أى أن هذا النوع من الاستغائة و لمثل هذا الدافع ما هو إلا من دعوى

(١) تاريخ الطبرى: ج ٢ ص ٢٦٠، امتاع الاسماع: ج ١ ص ١٩٥ و ١٩٦.

(٢) السيرة النبوية: ج ١ ص ٢٩٠ (الهامش).

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٠٦

الجاهلية، و قد جعل الله المؤمنين إخوة و حزبا واحدا، فانما ينبغي أن تكون الدعوة للمسلمين، و إلا كانت جاهلية، لا قيمة لها في الإسلام (١).

و بذلك قضى النبي الحكيم على الفتنة في مهدها، و جنب المسلمين أخطارها.

(١)

مناقح حاول إشعال الموقف:

أجل لقد استطاع رسول الله صلى الله عليه وآله بهذا الاستنكار الشديد أن يطفى نار الاختلاف و التنازع فكيف الفريقان (القبيلتان) عن استئناف التنازع و التقاتل.

إلا أن «عبد الله بن ابي» رئيس حزب المنافقين بالمدينة، و الذى كان يكنّ حقا كبيرا على الإسلام و قد شارك في تلك الغزوة طمعا في الغنيمه، أظهر - في هذه الحادثة - حقه، و ضغينته على الإسلام، و قال لرهط من أهل المدينة كانوا عنده آنذاك: هذا ما فعلتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم، و قاسمتموهم أموالكم أما و الله لو أمسكتهم عنهم ما بأيديكم لتحولوا الى غير داركم، لقد نافرونا (أى المهاجرين) و كاثرونا في بلادنا، و الله ما أعدنا و جلايب قريش إلا كما قال الأول: سمن كلبك يأكلك، أما و الله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعز منها الأذل (و يقصد بالأذل المهاجرين)!!!

(٢) فتركت كلمات «ابن ابي» أمام تلك الجماعة التى كانت لا تزال تعاني من بقايا عصبية جاهلية، أثرها في نفوسهم، و كادت توجه ضربة قاضية إلى صرح الوحدة الاسلامية، و الاخوة الايمانية التى كانت تشد المسلمين - أنصارا و مهاجرين - بعضهم ببعض كالبنيان المرصوص.

و من حسن الحظ أن فتى غيورا من فتيان المسلمين هو زيد بن الارقم

(١) راجع هوامش السيرة النبوية: ج ٢ ص ٢٩٠.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٠٧

لما سمع بهذه الكلمات المثيرة للشغب و الفتنة رد على «ابن ابي» بكلمات قوية شجاعة اذ قال: أنت و الله الذليل القليل المبعض في

قومك، و محمد في عز من الرحمن، و مودة من المسلمين، و الله لا احبك بعد هذا أبدا.

(١) ثم نهض و مشى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله و أخبره الخبر، فرده رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاث مرات حفظا للظاهر، قائلا: لعنك و همت يا غلام، لعنك غضبت عليه، لعله سفه عليك.
و لكن زيدا كان يؤكد على صحة ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وآله من مقالة المنافق الخبيث «عبد الله بن ابي»، و تحريكه للناس ضد رسول الله صلى الله عليه وآله.

و هنا طلب عمر بن الخطاب من رسول الله صلى الله عليه وآله أن يقتل «ابن ابي» قائلا: مر به عبّاد بن بشر فليقتله «١». و لكن رسول الله صلى الله عليه وآله أجاب عمر بقوله:
«فكيف يا عمر إذا تحدّث الناس أن محمدا يقتل أصحابه، لا» «٢».

(٢) و لقد مشى «عبد الله بن ابي» إلى رسول الله صلى الله عليه وآله حين بلغه أن «زيد بن الارقم» قد بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله و آله ما سمع منه، فحلف

(١) تثبت دراسة حياة الخليفة الثاني أنه لم يبد في أية معركة من معارك الاسلام قوة و بسالة، بل كان في صف المتقاعدین دائما. و لكن كلما أسر المسلمون أحدا كان هو اول من يقترح على رسول الله صلى الله عليه وآله بقتله و نذكر للمثال ما يلي:
أ- هذا المورد الذي طلب فيه من رسول الله أن يقتل ابن ابي.

ب- طلبه من النبي بأن يقتل حاطب بن أبي بلتعة الذي تجسس لصالح المشركين من أهل مكة في فتح مكة.

ج- طلبه من رسول الله صلى الله عليه وآله بقتل أبي سفيان الذي جاء به العباس عم النبي صلى الله عليه وآله إلى خيمة رسول الله صلى الله عليه وآله و آله قبيل فتح مكة، و غير ذلك من الموارد التي سبقت أو التي تأتي.

(٢) امتاع الاسماع: ج ١ ص ٢٠٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٠٨

بالله: ما قلت ما قال، و قال بعض من حضر من أهل الرأي من أصحابه دفاعا عن ابن ابي: يا رسول الله عسى أن يكون الغلام قد اوهم في حديثه و لم يحفظ ما قال الرجل.

(١) و لكن الامر لم ينته إلى هذا، فقد كان هذا نوعا من الهدوء المؤقت تماما كالهدوء الذي يسبق العاصفة، الذي لا يمكن الاطمئنان إليه.

فقد كان يتوجب على قائد المسلمين الأعلى أن يقوم فوراً بما يؤدي إلى أن ينسى الطرفان هذه القصة نهائياً، و لهذا أمر بالرحيل في ساعة من النهار لم يكن صلى الله عليه وآله يرتحل فيها عادة.

فجاءه «اسيد بن حضير»، و قال: يا رسول الله لقد رحت في ساعة منكراً ما كنت تروح في مثلها؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله:

«أو ما بلغك ما قال صاحبكم؟ زعم أنه إن رجع إلى المدينة أخرج الاعز منها الاذل؟»

فقال اسيد: فأنت و الله يا رسول الله تخرجه إن شئت، هو و الله الذليل، و أنت العزيز، ارفق به يا رسول الله، فو الله لقد جاء الله بك و ان قومه لينظّمون له الخرز ليتّوجّه، و أنه ليرى أنك قد استلبته ملكا.

(٢) ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وآله بالرحيل فارتحل الناس، و سار بهم النبي صلى الله عليه وآله و آله يومهم ذاك حتى أمسى، و ليلتهم تلك حتى أصبح، من دون أن يسمح لهم بالنزول و الاستراحة، إلّا للصلاة، و سار بهم في اليوم هكذا حتى آذتهم الشمس و سلبوا القدرة على مواصلة السير فأذن لهم بالاستراحة، فنزل الناس، و لم يلبثوا ان وجدوا مسّ الارض فوقوا نياما من شدة التعب، و قد

نسوا كل شيء من تلك الذكريات المرّة، و كان هذا هو ما يريده النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فقد سار بهم ليل نهار من دون توقف ليشغلهم عن الحديث الذي كان من سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٠٩ «عبد الله بن ابي» المنافق المفتن (١)

صراع بين الايمان و العاطفة:

كان عبد الله ابن «عبد الله بن ابي» من فتیان الإسلام الشجعان، و من فرسانه البواسل، و كان- كما تقتضيه تعاليم الإسلام- يبر بأبيه المنافق أكثر من غيره، و لكنه عند ما عرف بما تفوّه به أبوه في شأن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَظَنَّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ سَيَقْتُلُ أَبَاهُ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّكَ تَرِيدُ قَتْلَ «عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي»، فِيمَا بَلَغَكَ عَنْهُ فَإِنْ كُنْتَ لَا بَدَّ فَاعِلًا فَمُرْنِي بِهِ فَأَنَا أَحْمِلُ إِلَيْكَ رَأْسَهُ، فَوَاللهُ لَقَدْ عَلِمْتُ الْخَرْجَ مَا كَانَ لَهَا مِنْ رَجُلٍ أَبْرَ بِوَالِدِهِ مِنِّي، وَ إِنِّي أَخْشَى أَنْ تَامِرَ بِهِ غَيْرِي، فَيَقْتُلُهُ فَلَا- تَدْعُنِي نَفْسِي أَنْظُرَ إِلَى قَاتِلِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي يَمْشِي فِي النَّاسِ فَاقْتُلُهُ، فَأَقْتُلُ (رجلا) مؤمنا بكافر فأدخل النار!!

(٢) إن حديث هذا الفتى يعكس- في الحقيقة- أعظم تجليات الإيمان و آثاره في النفس، و الروح الانسانية. لما ذا لم يطلب من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنْ يَعْفوَ عَنْ أَبِيهِ؟! لِأَنَّهُ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ مَا يَفْعَلُهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِنَّمَا هُوَ بِأَمْرِ اللهِ تَعَالَى، وَ لَكِنْ ابْنُ عَبْدِ اللهِ كَانَ يَرَى نَفْسَهُ فِي صِرَاعٍ رُوحِيٍّ حَادٍ. فمن جانب كانت تدعوه عواطف النبوة و الابوة و الأخلاق العربية أن ينتقم ممن يقتل أباه، و يسفك بالتالي دم مسلم. و من جانب آخر توجب عوامل أخرى مثل ضرورة استتباب الأمن و الطمأنينة في البيئة الإسلامية أن يقتل رأس المنافقين «ابن أبي»، انه صورة من صور الصراع بين مقتضى الايمان، و مقتضى العاطفة.

(١) تاريخ الطبري: ج ٢ ص ٢٦١ و ٢٦٢، مجمع البيان: ج ١٠ ص ٢٩٢-٢٩٥.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣١٠

(١) و لقد اختار عبد الله بن عبد الله بن ابي طريقا ثالثا في هذا الصراع، يضمن مصالح الإسلام من جهة، و يحافظ على مشاعره من أن تجرح على أيدي الآخرين من جهة أخرى، و ذلك بأن يكون هو الذي ينفذ حكم الاعداء في أبيه المنافق المشاغب. و هذا العمل و ان كان شاقا مؤلما إلا أن قوة الايمان بالله و التسليم لأمره سبحانه كانت تفيض عليه قدرا كبيرا من الطمأنينة و السكون. و لكن النبي الرحيم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ ردا على سؤال و اقتراح عبد الله بن عبد الله بن أبي: «بل نترفق به و نحسن صحبته ما بقي معنا!!!»

(٢) و هذا الكلام الذي يكشف عن سمو أخلاق النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ مَبْلَغِ رَحْمَتِهِ، أَدْهَشَ الْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا فَتَوَجَّهُوا بِاللُّومِ وَ الْعِتَابِ الْحَادِّ إِلَى الْمَنَافِقِ «عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي»، وَ لِحَقِّهِ بِسَبَبِ ذَلِكَ ذَلَّ شَدِيدًا بَيْنَ النَّاسِ مَا وَرَاءَهُ ذَلٌّ، وَ هَوَانٌ مَا وَرَاءَهُ هَوَانٌ، وَ احْتَقَرَهُ النَّاسُ حَتَّى إِنَّهُ لَمْ يَعُدْ أَحَدًا يَعْأُ بِهِ، وَ يَقِيمُ لَهُ وَزْنَ. لقد علم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الْمُسْلِمِينَ فِي هَذِهِ الْحَوَادِثِ دُرُوسًا مَفِيدَةً جَدًّا، وَ أَظْهَرَ جَانِبًا مِنْ سِيَاسَةِ الْإِسْلَامِ الْحَكْمِيَّةِ، وَ الرِّشِيدَةِ.

فقد تحطم «عبد الله بن أبي» رئيس المنافقين بعد هذه الحادثة، و لم يعد له أي دور، بل عاش بقیة حياته مهانا محتقرا بين الناس بعد

أن رأى الناس إيذاءه المستمر لرسول الله، و عفو النبي صلى الله عليه وآله عنه، و اغضاه عن مساوئه.
و قد قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعمر بن الخطاب ذات يوم حين بلغه احتقار الناس لابن ابي ذلك الاحتقار، و سقوط محله
فى القلوب:

«كيف ترى يا عمر، أما و الله لو قتلته يوم قلت لى: اقتله، لارعدت له انف، لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته».
فقال عمر: قد و الله علمت لأمر رسول الله صلى الله عليه وآله أعظم بركة

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣١١

من أمرى «١».

(١)

الزواج المبارك:

كانت «جويرية» بنت الحارث بن أبى ضرار رئيس بنى المصطلق من جملة السبايا التى وقعت فى أيدي المسلمين فى غزوة بنى
المصطلق، فأقبل أبوها الحارث بفداء ابنته إلى المدينة فلما كان فى وادى العقيق نظر إلى الإبل التى جاء بها لفداء ابنته فرغب فى
بعيرين منها فغيبها فى شعب من شعاب العقيق، ثم أتى إلى النبي صلى الله عليه وآله و قال: يا محمد أصبتم ابنتى و هذا فداؤها، فقال
رسول الله صلى الله عليه وآله.

«فأين البعيران اللذان غيبتهما بالعقيق فى شعب كذا و كذا»!

(٢) فلما سمع الحارث بهذا الخبر الغيبى على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله آمن هو و والده به، و أسلم اناس آخرون من قومه
كانوا معه، و أرسل إلى البعيرين فجاء بهما، فدفع الإبل إلى رسول الله و دفعت إليه ابنته «جويرية» فأسلمت هى أيضا.
ثم خطبها رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أبيها، فزوجها إياها، و أصدقها أربعمائه درهم.

فلما بلغ الناس أن رسول الله صلى الله عليه وآله تزوج جويرية بنت الحارث و كان بأيديهم بعض الاسرى من بنى المصطلق قالوا:
أصهار رسول الله صلى الله عليه وآله فأطلقوا ما كان بأيديهم من اولئك الاسرى و كانوا مائة عائلة، فما علم امرأة اعظم بركة على
قومها منها، فقد اعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بنى

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٢٩٢ و ٢٩٣ و فى السيرة الحلبية: ج ٢ ص ٢٩١: لأرعدت له أنوف، و تعنى هذه القولة النبوية الشريفة: ان
النبي لو كان يأخذ باقتراح عمر بقتل عبد الله بن أبى لدافع عنه اناس حمية و عصبية، و لكنه اليوم و بعد أن خذله الناس أنفسهم لو أمر
النبي اولئك المدافعين بقتله. لقتلوه دون إبطاء.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣١٢

المصطلق.

و هكذا اطلق جميع أسرى بنى المصطلق الذين كانوا بأيدي المسلمين رجالا و نساء بفضل ذلك الزواج المبارك، أو قل بفضل هذه
السياسة الاجتماعية الحكيمة، و عادوا الى قبيلتهم «١».

(١)

الفاسق يفتضح:

كان إسلام بنى المصطلق اسلاما نابعا من قناعة و رغبة لأنهم لم يجدوا من المسلمين خلال مدة الأسر إلا حسن المعاملة و الإحسان و

العفو حتى أنه تم اطلاق جميع الأسرى ببعض الذرائع و عادوا إلى قبيلتهم و أهليهم.

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله أرسل إليهم «وليد بن عقبة بن أبي معيط» لجباية زكاتهم، فلما سمعوا بقدومه خرجوا إليه راكبين ليكرموه و ليؤدوا إليه ما عليهم من الزكاة، فلما سمع بهم هابهم، فرجع إلى رسول الله مسرعاً فأخبره بأن القوم هموا بقتله، و أنهم منعوه ما قبلهم من صدقتهم، فطلب المسلمون غزوهم، و في الاثناء قدم وفد من بنى المصطلق على رسول الله صلى الله عليه وآله و قالوا:

يا رسول الله سمعنا برسولك حين بعثته إلينا فخرجنا إليه لنكرمه، و نؤدى إليه ما قبلنا من الصدقة فأسرع راجعاً فبلغنا أنه زعم لرسول الله صلى الله عليه وآله أننا خرجنا إليه لنقتله و والله ما جئنا لذلك. فنزلت في هذا الشأن الآية السادسة من سورة الحجرات تؤيد مقالة بنى المصطلق و تصف الوليد بالفسق، اذ يقول تعالى:

«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ» (٢).

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٢٩٥، امتاع الاسماع: ج ١ ص ١٩٨ و ١٩٩.

(٢) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٢٩٦ و ٢٩٧.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣١٣

(١)

٤١ قصة الإفك

إشارة

بقى رئيس حزب النفاق عبد الله بن ابى يواصل تجارته بالجوارى، و الإمام و يضعهن تحت تصرف الرجال للزنا بهن، ليجنى من هذا الطريق أرباحاً طائلة.

حتى بعد دخول الاسلام فى المدينة.

فعند ما نزلت آيات تحريم الزنا كان ذلك الفاسق يمارس حرفته القذرة، حتى أن إمامه ضقن بهذا العمل الفاجر ذرعاً، فشكى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله و قالت إحداهن: إن سيدى يكرهنى على البغاء.

فنزله تعالى فى شجب هذا العمل الدنىء: «وَلَا تُكْرَهُوا قِيَامَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَعُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» (١) «٢».

و لقد أراد رجل يعبث بعفاف النساء كهذا، أن يسىء إلى امرأة ذات مكانة و شخصيئة فى المجتمع الاسلامى «٣»، و يتهمها بالزنا نكايئة بالمؤمنين، و المؤمنات، و بغيا و حسداً.

(١) النور: ٣٣.

(٢) مجمع البيان: ج ٤ ص ١٤١، الدر المنثور: ج ٥ ص ٤٦.

(٣) اخترنا هذا التعبير لورود نوعين من شأن النزول فى المقام بحيث لم يتأكد للمؤلف من هى المقصودة هنا، و ستقرأ فى الصفحات القادمة أدلة عدم ثبوت من عينه البعض.

إن ما يستفاد من الآيات و الروايات المرتبطة بهذه القصة تفيد إجمالاً أن امرأة ذات مكانة فى المجتمع الاسلامى آنذاك تعرضت لاتهام المنافقين لها، و أما من هى تلك المرأة على وجه التعيين فذلك ما لا يمكن البت فيه، على وجه القطع و اليقين.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣١٤

(١) حقا إن معاداة النفاق للإيمان من أشد أنواع المعاداة، فإن العدو المشرك والكافر يعمد دائما إلى إشفاء غيظه واطفاء غضبه وحقنه باستخدام عداته في جميع الموارد والاقوات.

ولكن المنافق الذي يتظاهر بالإيمان، ويتستر بالاسلام حيث انه لا يمكنه التظاهر بعدائه، فان عداؤه الباطني يتراكم ويتصاعد حتى يصل أحيانا إلى حد الانفجار، لهذا ينطلق المنافق في كيل التهم من دون حساب أو ميزان تماما كما يفعل المجانين. ونرى مثل هذه الحالة في عبد الله بن ابي.

ولقد ظهرت ذلّة «عبد الله بن ابي» رئيس حزب النفاق في واقعة بنى المصطلق، وقد منعه ابنه من دخول المدينة، ولم يسمح له بدخولها إلا بوساطة من النبي صلى الله عليه وآله، وهكذا آل مصير رجل كان يحلم بالملوكية والسلطان الى أن يمنعه أخص أقربائه عن الدخول إلى مسقط رأسه، فيما كان يطلب هو من رسول الله صلى الله عليه وآله أن يكف عنه ولده.

(٢) إن من الطبيعي أن يعمد رجل مثل هذا إلى فعل كل ما يشفى غليله ويذهب غيظه، ومن ذلك ترويج الشائعات الكاذبة انتقاما من المجتمع الاسلامي.

فعند ما يعجز العدو عن المواجهة المباشرة يعمد إلى حبك الشائعات، وترويجها و اشاعتها ليستطيع من خلال ذلك، توجيه ضربة نفسية إلى المجتمع، وكذا بلبلة الرأي العام، وإشغاله بالتوافه و صرفه عن القضايا المهمة والمصيرية. إن سلاح الشائعات من الأسلحة المدمرة التي يمكن أن تستخدم في تشويه سمعة الأفراد الصالحين، و ابعاد الناس عنهم.

(٣)

المنافقون يهتمون شخصا تقى الجيب:

إشارة

يستفاد من الآيات النازلة في قضية «الإفك» أن المنافقين اتهموا شخصا

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣١٥

بريثا كان يتمتع في المجتمع الاسلامي آنذاك بتهمة الزنا، تحقيقا لمآربهم الدنيئة، و اضراارا بالمجتمع الاسلامي، و قد ردّهم القرآن و شجب عملهم بشدة قل نظيرها، و أبطل خطتهم.

فمن هو- ترى- ذلك البريء؟ ان في ذلك خلافا بين المفسرين، فالآخرون على أنها «عائشة» زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله، و يرى الآخرون أنها «مارية» القبطية أم إبراهيم و زوجة رسول الله أيضا لقد ذكروا أسبابا مختلفة لنزول هذه الآيات لا تخلو من عن إشكال. و ها نحن ندرس القول الذي يذهب إلى أن المراد في هذه الآيات هو: «عائشة» و توضيح ما يصحح و ما لا يصح في هذا المجال:

(١)

دراسة القول الأول:

يرى المحلّثون و المفسرون من أهل السنة أن نزول آيات «الإفك» يرتبط بعائشة، و يذكرون في هذا المجال رواية مفصلة لا يتلاءم بعضها مع عصمة رسول الله صلى الله عليه وآله و من هنا لا يمكن القبول بهذا القول على اطلاقه.

و ها نحن نذكر ما يتلاءم من هذه القصة مع عصمة النبي صلى الله عليه وآله ثم نستعرض آيات الإفك، ثم نشير إلى القسم الذي يخالف عصمته صلى الله عليه وآله في هذا القول.

إن اسناد هذه الرواية تنتهي برمتها إلى «عائشة» (١) نفسها، فهي تقول:

كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه، فأَيُّهن خرج سهمها خرج بها معه، فلما كانت غزوة بني المصطلق أقرع بين نسائه كما كان يصنع عادةً فخرج سهمي عليهن معه فخرج بي رسول الله صلى الله عليه وآله فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وآله من سفره ذلك وجه قافلاً حتى إذا كان قريباً من المدينة نزل منزلاً، فبات به بعض الليل، ثم أذن في الناس بالرحيل، فارتحل

(١) راجع الدر المنثور: ج ٥ ص ٢٤-٣٤.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣١٦

الناس و خرجت لبعض حاجتي، و في عنقي عقد لي، فيه جزع ظفار، (أى خرز يمني) (١) فلما فرغت انسل من عنقي و لا أدري فلما رجعت إلى الرحل ذهبت التمسه في عنقي فلم أجده، و قد أخذ الناس في الرحيل، فرجعت إلى مكاني الذي ذهبت إليه، فالتمسته حتى وجدته، و جاء القوم خلا- في الذين كانوا يرحلون لي البعير، و قد فرغوا من رحلته، فأخذوا اليهودج، و هم يظنون أني فيه كما كنت أصنع، فاحتملوه، فشدوه على البعير و لم يشكوا أني فيه، ثم أخذوا رأس البعير، فانطلقوا به، فرجعت إلى العسكر و ما فيه من داع و لا مجيب، قد انطلق الناس.

فتلففت بجلبابي، ثم اضطجعت في مكاني، و عرفت أن لو قد افتقدت لرجع إليّ. فو الله إنني لمضطجعه (٢) اذ مر بي صفوان السلمى (و هو من فرسان الاسلام) و قد كان تخلف عن العسكر لبعض حاجته، فلم يبت مع الناس، فرأى سوادى، فأقبل حتى وقف و قد كان يرانى قبل أن يضرب علينا الحجاب، فلما رآنى قال:

إنا لله و إنا إليه راجعون ظعينة رسول الله صلى الله عليه وآله، و أنا متلففة في ثيابي. قال: ما خلفك يرحمك الله. فما كلمته، ثم قرّب البعير فقال: اركبي، و استأخر عني فركبت، و أخذ برأس البعير، فانطلق سريعاً يطلب الناس، فو الله ما أدركنا الناس، و ما افتقدت حتى أصبحت، و نزل الناس فلما اطمأنوا طلع الرجل يقود بي، فقال أهل الإفك ما قالوا؛ و ارتعج العسكر (أى شكوا في) و و الله ما اعلم بشيء من ذلك. حتى نزلت آيات «الإفك» تبرئني مما اتهمني به المنافقون.

هذا القسم من شأن النزول الذي لخصناه لك من قصة مفصلة يمكن تطبيقها مع آيات «الإفك»، و ليس فيه ما ينافي عصمة رسول الله صلى الله عليه وآله.

و إليك الآيات التي نزلت في هذا المجال:

إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣١٧

عَظِيمٌ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ. لَوْلَا جَاءَ عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ وَ لَوْ لَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ. إِذْ تَلَقَوْهُ بِاللَّسْتِ تَكْتُمُونَ وَ تَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَ تَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَ هُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ. وَ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (١).

(١)

أبرز النقاط في آيات «الإفك»:

يستفاد من القرائن أن هذه التهمة كانت نابعة أساسا من المنافقين أى أنه من كيدهم، وإليك هذه القرائن:

(٢) ١- يقال: إن المراد من قوله سبحانه: «وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ» هو «عبد الله بن ابي» رئيس المنافقين، و كبيرهم.

(٣) ٢- لقد عبر تعالى فى الآية الحادية عشرة عن الذين اتهموا المرأة بلفظ:

«عصبه» وهذه العبارة تستعمل فى الجماعة المنظمة، التى يربطها هدف واحد و تحذوها غاية واحدة و تفيد أنهم كانوا متعاونين و متعاضدين فى المؤامرة و لم يكن مثل هذه الجماعة بين المسلمين إلا المنافقون.

(٤) ٣- إن «عبد الله بن ابي» بسبب منعه من الدخول إلى المدينة، بقى عند مدخل المدينة، فلما شاهد عائشة و هى راكبة بعير صفوان استغل الفرصة للايقاع برسول الله صلى الله عليه وآله اشفاء لغيظه، فبادر إلى استعمال سلاح التهمة و البهتان، و قال إن زوجة النبى صلى الله عليه وآله باتت مع اجنبى فى تلك الليلة و والله ما نجا منهما من الإثم أحد.

(١) النور: ١١-١٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣١٨

(١) ٤- إنه تعالى يقول فى نفس الآية (أى الحادية عشرة): «لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ».

و الآن يجب أن نرى كيف لا يكون اتّهام مؤمن طاهر الجيب شرا للمؤمنين بل يكون خيرا لهم؟

إن سبب ذلك هو أن هذه القصة كشفت الفناع عن نوايا المنافقين و مقاصدهم الشريرة و افترضوا برمتهم، هذا مضافا إلى أن المسلمين أخذوا من هذه القضية دروسا مفيدة، مذكورة فى محلها.

(٢)

الزوائد فى هذه القصة:

إشارة

هذا القدر من القصة يمكن تطبيقه مع القرآن الكريم، و لا يتنافى مع عصمة رسول الله صلى الله عليه وآله و لكن البخارى روى بين ثنايا هذه القصة امورا- نقلها عنه الآخرون فى الاغلب- تعانى من إشكالين أساسيين هما:

(٣)

١- منافاتها لمقام النبوة و العصمة صلى الله عليه وآله:

فقد روى البخارى عن عائشة نفسها قولها:

لما قدمنا المدينة لم ألبث أن اشتكيت شكوى شديدة (أى مرضت) و لا يبلغنى من ذلك شىء و قد انتهى الحديث الى رسول الله صلى الله عليه وآله و إلى أبوى لا يذكر لى منه قليلا و لا كثيرا إلا أنى قد أنكرت من رسول الله صلى الله عليه وآله بعض لطفه بى، و كنت إذا اشتكيت رحمنى و لطف بى، فلم يفعل ذلك بى فى شكواى تلك، فأنكرت ذلك منه، كان إذا دخل على و عندى أمى تمرضنى قال: كيف تيكم، لا يزيد على ذلك. حتى اذا نهت من وجعى بلغنى ما قاله المنافقون فى، فمرضت مرة اخرى فقلت يا رسول الله لو أذنت لى فانتقلت إلى أمى فمرضتنى، فقال: لا- عليك، فانتقلت إلى أمى، فقلت لأمى: يغفر الله لك تحدّث الناس بما تحدّثوا به، و لا تذكرين لى من ذلك شيئا، فقالت: أى بتيه هونى

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣١٩

عليك الشأن فوالله لقلما كانت امرأة حسناء عند رجل لها ضرائر إلا كثرن، وكثر الناس عليها. (١)

(١) ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله شاور «اسامة بن زيد» في الأمر، فأثنى على خيرا وقاله، ثم قال: يا رسول الله أهلك ولا نعلم منهم إلا خيرا، وهذا الكذب والباطل!!

وشاور عليا فقال: يا رسول الله إن النساء لكثير، وأنتك لقادر على أن تستخلف، و سل الجارية، فأنها ستصدقك (إى جارية عائشة) فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله بريرة ليسألها، فقالت: والله ما أعلم إلا خيرا، وما كنت اعيب على عائشة شيئا.

إن هذا القسم من الرواية يتنافى بقوة مع عصمة النبي صلى الله عليه وآله لأنه يكشف عن أن النبي وقع فريسة بأيدي الشائعات الكاذبة إلى درجة أنه غير سلوكه مع عائشة، وشاور أصحابه فيها!!

إن مثل هذا الموقف مع شخص برىء لا يوجد على تهمته أى دليل ليس فقط يتنافى مع مقام العصمة النبوية، بل يتنافى حتى مع مقام مؤمن عادى لأنه من المؤمنين ليس من الجائر أبدا أن تغير الشائعات سلوكك مسلم عادى تجاه شخص منهم، وحتى لو تركت تلك الشائعات تأثيرا فى نفس المسلم، فليس من الجائر أن تحدث مثل ذلك التغيير والانقلاب فى نظرتك وسلوكه.

(٢) إن القرآن الكريم يوبخ فى الآية ١٢ و ١٤ من سورة النور أولئك الذين وقعوا فريسة الشائعات وظنوا الظن السوء إذ يقول تعالى: «لَوْ لَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ!؟»

(١) صحيح البخارى: ج ٦ تفسير سورة النور ص ١٠٢ و ١٠٣ وكذا الجزء ٥ ص ١١٨ السيرة النبوية:

ج ٢ ص ٢٩٩

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٢٠

«وَلَوْ لَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ!؟» (١).

فاذا صح هذا القسم من الرواية المذكورة فى شأن النزول لزم أن نقول: ان هذا العتاب الشديد وهذا التوبيخ الصارخ كان يعم رسول الله صلى الله عليه وآله أيضا، والحال أن مقام النبوة الذى يلزم العصمة لا يسمح لنا بأن نقول بأن هذا الخطاب والتوبيخ موجّهين إلى رسول الله صلى الله عليه وآله.

من هنا لا مناص من رفض كل هذه الرواية المذكورة فى شأن النزول الذى يتنافى مع عصمة رسول الله صلى الله عليه وآله أو القبول بالقسم الذى لا يتنافى منها مع عصمة النبي صلى الله عليه وآله و رفض ما يتنافى معها.

(١)

٢- سعد بن معاذ توفى قبل حادثة «الإفك»:

ويروى البخارى فى صحيحه فى ذيل شأن النزول عن عائشة نفسها: بعد أن سأل رسول الله صلى الله عليه وآله بريرة عن أمرى، فقالت فى خيرا و صعد رسول الله صلى الله عليه وآله المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال: «من يعذرني ممن يؤذيني فى أهلى (أى من يؤذبه) ويقولون لرجل، والله ما علمت على ذلك الرجل إلا خيرا، وما كان يدخل بيتا من بيوتى إلا معى ويقولون عليه غير الحق».

فقام «سعد بن معاذ» وقال: أنا اعذرک منه يا رسول الله إن يك من الأوس آتک برأسه، وإن يك من إخواننا من الخزرج فمرنا بأمرک نمضى لک.

فثقل هذا الكلام على «سعد بن عباد» و غضب منه، فقام وقال:

كذبت لعمر الله، لا تقتله ولا تقدر على قتله «٢».

(١) أى لما ذا- عند ما سمعتم بهذا الافتراء- لم تظنوا بأنفسكم خيرا و قلتم: هذا إفك، و لما ذا- عند ما سمعتم بهذا الكلام- لم تقولوا هذا بهتان لا يجوز ان نتكلم به.

(٢) كان «سعد بن معاذ» رئيس الأوس و «سعد بن عباد» رئيس الخزرج، و كانت بين هاتين-

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٢١

(١) فقام اسيد بن حضير- و هو ابن عم سعد بن معاذ- و قال: كذبت و الله لنقتلنه و أنفك راغم. فانك منافق تجادل عن المنافقين، و الله لو نعلم ما يهوى رسول الله من ذلك فى رهطى الأذنين ما رام رسول الله صلى الله عليه و آله مكانه حتى آتيك برأسه، و لكنى لا أدرى ما يهوى رسول الله.

ثم تغالطوا، و قام آل الخزرج من جانب، و آل الأوس من جانب آخر، و كادوا أن يشتبكوا و رسول الله صلى الله عليه و آله على المنبر، فأشار رسول الله إلى الحيين جميعا أن اسكتوا، و نزل عن المنبر فهذاهم و خفضهم حتى انصرفوا ...

هذا القسم من القصة المذكورة فى رواية البخارى غير صحيح، و لا يتلاءم مع التاريخ الثابت الصحيح لأن «سعد بن معاذ» كان قد مات بعد إصدار حكمه فى بنى قريظة متأثرا بجرح أصابه فى معركة «الاحزاب»، و قد وقعت حادثة «الإفك» بعد واقعة بنى قريظة، و قد صرح البخارى نفسه بهذا فى صحيحه (ج ٥ ص ١١٣) فى باب «معركة الاحزاب و بنى قريظة»، فكيف يمكن و الحال هذه أن يحضر

مجلس رسول الله صلى الله عليه و آله و يجادل سعد بن عباد فى قصة الإفك التى وقعت بعد واقعة بنى قريظة بعدة شهور؟! «١»

(٢) لقد ذهب المؤرخون الى أن معركة الخندق ثم واقعة بنى قريظة وقعتا فى شهر شوال من السنة الخامسة للهجرة، فتكون النتيجة ان قضية بنى قريظة انتهت فى التاسع عشر من شهر ذى الحجة، و قد توفى سعد بن معاذ فى أعقاب هذه الحادثة مباشرة لما انفجر به جرحه «٢» فى حين وقعت غزوة بنى المصطلق فى شهر شوال

القبيلتين منافسة قديمة، و كان «عبد الله بن أبى» خزرجيا، فاعتبر «سعد بن عباد» كلام «سعد بن معاذ» تعريضا بالخزرج و حطا من شأنهم.

(١) نفس المصدر السابق، و الجدير بالذكر أن ابن هشام لم يذكر فى سيرته «سعد بن معاذ»، و لكنه روى جدال اسيد مع سعد بن عباد راجع السيرة النبوية: ج ٢ ص ٣٠٠، و هكذا فعل ابن الاثير فى الكامل فى التاريخ: ج ٢ ص ١٣٤، و لكن المغازى ذكر القصة كاملة، و اتى باسم سعد بن معاذ راجع: ج ٢ ص ٤٣١.

(٢) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٢٥٠.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٢٢

من السنة السادسة «١».

أجل إن ما هو مهم فى المقام هو أن نعرف أن حزب النفاق حاول أن يزلزل النفوس، و يبلبلها ببهت امرأة صالحة ذات مكانة فى المجتمع الاسلامى يومذاك.

و قد فسر قوله: «الذى تولى كبره» أى الذى تحمل القسط الاكبر من هذه العملية الخبيثة بعبد الله بن أبى، فهو الذى قاد هذه العملية الرخيصة و الخطرة كما صرحت بذلك عائشة نفسها أيضا.

(١)

الرواية الاخرى فى سب النزول:

و تقول هذه الرواية أن الآيات الحاضرة نزلت في «مارية القبطية» زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله و والدته إبراهيم. فان هذه الرواية تقول: لما مات إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وآله حزن عليه حزنا شديدا، فقالت عائشة: ما الذى يحزنك عليه؟ ما هو إلا ابن جريح، فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله عليا صلوات الله عليه و أمره بقتله، فذهب على صلوات الله عليه و معه السيف، و كان جريح القبطى فى حائط (أى بستان)، فضرب «على» باب البستان، فأقبل جريح له ليفتح الباب، فلما رأى عليا صلوات الله عليه، عرف فى وجهه الغضب، فأدبر راجعا و لم يفتح باب البستان، فوثب على عليه السلام على الحائط و نزل إلى البستان، و أتبعه، و ولّى جريح مدبرا، فلما خشى أن يرهقه (أى يدركه) صعد فى نخلة و صعد «على» فى أثره، فلما دنا منه رمى بنفسه من فوق النخلة، فبدت عورته، فاذا ليس له ما للرجال و لا له ما للنساء، فانصرف على عليه السلام إلى النبی صلى الله عليه وآله

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٢٩٧، و لعل فطن ابن هشام لهذه الناحية فترك ذكر سعد بن معاذ، بينما غفل عنها البخارى فى صحيحه، راجع شروح البخارى منها: فتح البارى شرح صحيح البخارى لابن حجر: ج ٨ ص ٤٧١ و ٤٧٢ للوقوف على اضطراب الشرح فى معالجة هذا التناقض.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٢٣

فقال له: يا رسول الله إذا بعثتنى فى الأمر أكون كالمسمار المحمى فى الوبر أم أتثبت؟
قال: لا بل تثبت.

قال: و الذى بعثك بالحق ما له ما للرجال و ما له ما للنساء.

فقال: الحمد لله الذى صرف عنا سوء أهل البيت.

و هذه الرواية التى نقلها «المحدث البحرانى» فى «تفسير البرهان» ج ٢ ص ١٢٦-١٢٧ و «الحويزى» فى تفسير «نور الثقلين» ج ٣ ص ٥٨١-٥٨٢ ضعيفة و غير مستقيمة من حيث المفاد، و هو ضعف ظاهر لا يحتاج الى البيان و لذلك.
و من هنا لا يمكن القبول بها فى شأن نزول هذه الآيات.

فالمهم هو وقوع أصل هذه الحادثة، كان من كان المتهم فى هذه الحادثة.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٢٤

(١)

٤٢ رحلة سياسية دينية [قصة الحديدية]

إشارة

كانت السنة الهجرية السادسة بكل حوادثها المرة و الحلوة تقترب من نهايتها عند ما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله فى المنام أنه دخل البيت (الكعبة) و حلق رأسه، و أخذ مفتاح البيت، و عزف مع المعرفين، فقصص صلى الله عليه وآله هذه الرؤيا على أصحابه و تفاعل به خيرا «١».

و لم يلبث أن أمر أصحابه بالتهيؤ للعمرة، و دعا القبائل المجاورة التى كانت لا تزال على شركها و كفرها الى مرافقة المسلمين فى هذه السفرة، و لهذا شاع فى جميع أنحاء الجزيرة العربية أن المسلمين سيتجهون فى شهر ذى القعدة صوب مكة يريدون العمرة. و لقد كانت هذه السفرة الروحانية تنطوى- مضافا إلى العطاء الروحاني و المعنوي- على مصالح اجتماعية و أهداف سياسية، فقد عززت مكانة المسلمين فى شبه الجزيرة العربية، و تسببت فى انتشار دين التوحيد فى أوساط المجتمع العربى آنذاك، و ذلك:

(٢) أولاً: لأن القبائل العربية المشركة كانت تتصور أن النبي الا-كرم صلى الله عليه وآله يخالف كل عقائد العرب، و تقاليدهم الشعبية، و الدينية حتى فريضة الحج، و العمرة التي كانت تعد من ذكريات الاسلاف و مواريتهم.

(١) مجمع البيان: ج ٩ ص ١٢٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٢٥

من هنا كانوا يخافون رسول الله صلى الله عليه وآله و يتوجسون خيفة من دينه، و عقيدته، و لكن رسول الله صلى الله عليه وآله استطاع في هذه المناسبة- باشتراكه، و اشتراك أصحابه في مراسيم العمرة أن يخفف هذا الخوف لدى القبائل المشركة إلى حد كبير، و أن يوضح بعمله أن رسول الإسلام لا يعارض زيارة بيت الله الحرام، و الفريضة المذكورة التي تعد من طقوسهم الدينية، و تقاليدهم المذهبية، بل يعتبرها فريضة مقدسة، فهو مثل والد العرب الاكبر «إسماعيل بن إبراهيم الخليل» عليهما السلام يعمل على المحافظة على هذه التقاليد الدينية، و بهذا استطاع رسول الله صلى الله عليه وآله أن يستقطب قلوب من كان يتوهم أن رساله «محمد» و دعوته، و دينه يعارض جميع شئونهم و تقاليدهم و أعرفهم الدينية، و الشعبية، و يخالفها مخالفة مطلقة، و يقلل من خوفهم، و استيحا شهم.

(١) ثانياً: إذا استطاع المسلمون أن يحرزوا في هذا السبيل نجاحاً، و يؤدوا مناسك العمرة في المسجد الحرام بحرية، أمام أعين الآلاف من المشركين، فان عملهم هذا بنفسه سيكون تليغا ناجحاً للإسلام، لأن أخبار المسلمين ستنتشر بواسطة المشركين الذين قدموا مكة من جميع المناطق لاداء مناسك العمرة، فسيحملون أبناء ما رأوه و شاهدوه من أفعال المسلمين الرشيدة، و أخلاقهم الفاضلة، إلى أوطانهم لدى عودتهم من مكة إلى بلادهم، و بهذا ينتشر نداء الإسلام في تلك المناطق التي لم يستطع رسول الله صلى الله عليه وآله أن يبعث إليها الدعاة و المبلغين حتى ذلك الحين، و يترك هذا الأمر أثره المطلوب.

(٢) ثالثاً: إن رسول الله صلى الله عليه وآله ذكر الناس في المدينة بحرمه الأشهر الحرم و قال صلى الله عليه وآله: و أمر المسلمين بأن لا يحملوا معهم من الاسلحة شيئاً إلا السيف الذي يحمله كل مسافر معه.

و لقد جلب هذا الامر عواطف كثير من الغرباء عن الإسلام نحو هذا الدين، و غير من نظرتهم السلبية تجاه دعوة الإسلام، لأنهم شاهدوا بام أعينهم أن رسول الله صلى الله عليه وآله يحرم القتال في هذه الاشهر، و يدافع بنفسه عن

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٢٦

هذه السنة الدينية القديمة و يدعو إلى رعايتها خلافاً لكل الدعايات التي كانت تبثها قريش عن أن الاسلام لا يحترم هذه الاشهر، و يجيز الاقتتال و سفك الدماء فيها.

(١) لقد فكر القائل الاسلامي مع نفسه بانه لو أصاب المسلمون في هذا السبيل أي نجاح، فانهم يكونون قد حققوا أملاً قديماً من آمالهم التي طالما تشوقوا إلى تحقيقها.

كما أنه سوف يستطيع المهاجرون الذي طال بعدهم عن وطنهم، و أهليهم، أن يزوروا ذويهم و أقربائهم. هذا إذا سمحت قريش لهم بدخول مكة.

و أما إذا منعتهم قريش عن الدخول في الحرم فان مكانة قريش ستعرض - حينئذ - لخطر السقوط في العالم العربي، و سيلومهم العرب على ذلك، لأن جميع ممثلي القبائل العربية المحايدة ستري كيف عاملت قريش جماعة مسالمة أرادت دخول مكة لأداء مراسيم العمرة، و زيارة الكعبة المعظمة، و لا تحمل معها أي سلاح إلا ما يحمله المسافر في سفره عادة، في حين يرتبط المسجد الحرام بالعرب كافة، و انما تقوم قريش بمجرّد سدانتها، و ادارة شئونه.

(٢) و هنا تتجلى حقانية المسلمين بشكل واضح، و يتضح عدوان قريش و ينكشف للجميع بطلان مواقفها، فلا تستطيع قريش بعد ذلك أن تواصل تأليبها للقبائل العربية ضد الإسلام، و عقد تحالفات عسكرية و اتحاد نظامي مع قواها المحاربة المسلمين لانها قد

منعت الزوّار المسلمين أمام أعين الآلاف من الحجيج و الزائرين من حقهم المشروع.
لقد لاحظ رسول الله صلى الله عليه وآله كل هذه الجوانب و غيرها فامر المسلمين بالتوجه نحو مكة، و أحرم الف و اربعمائه «١» أو الف و ستمائة «٢» أو الف و ثمانمائة «٣» في «ذى الحليفة» و قد سبعتين بدنه (بعيرا) و بهذا أعلن عن هدفه من تلك الرحلة.

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٣٠٩.

(٢) مجمع البيان: ج ٢ ص ٢٨٨.

(٣) روضة الكافي: ص ٣٢٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٢٧

و لقد أرسل رسول الله صلى الله عليه وآله عينا له ليخبره عن قريش إذا وجدهم في أثناء الطريق.

(١) و لما كان رسول الله بعسفان (و هي منطقة بين الجحفة و مكة) أتاه رجل خزاعي كان يتقصى الاخبار لرسول الله صلى الله عليه وآله و قال: يا رسول الله هذه قريش قد سمعت بمسيرك، فاعهدوا الله أن لا تدخلها أبدا و هذا «خالد بن الوليد» في خيلهم (و كانوا مائتين) قد قدموها الى كراع الغميم. (و هي موضع بين مكة و المدينة أمام عسفان بشمانية أميال).

فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وآله بعزم قريش على منعه و منع اصحابه من العمرة قال:

«يا ويح قريش، لقد أكلتهم الحرب ما ذا عليهم لو خلّوا بيني و بين سائر العرب، فان هم أصابوني كان الذي أرادوا، و إن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين، و إن لم يفعلوا قاتلوا و بهم قوة، فما تظنّ قريش، فو الله لا أزال اجاهد على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله به، أو تنفرد هذه السالفه «١» (أى أقتل أو أموت).

(٢) ثم طلب رسول الله صلى الله عليه وآله من يده على طريق آخر غير الطريق الذي هم بها لكي يتجنب مواجهة طليعة قريش بقيادة «خالد بن الوليد».

فتعهد رجل من بني أسلم بذلك فسلك برسول الله صلى الله عليه وآله و أصحابه طريقا وعرا كثيرة الحجارة بين شعاب حتى انتهوا إلى منطقة سهلة تدعى بالحديبية، فبركت هناك ناقة رسول الله صلى الله عليه وآله فقال صلى الله عليه وآله: «ما هذا لها عادة، و لكن حبسها حابس الفيل بمكة» «٢».

ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وآله الناس أن ينزلوا في ذلك المكان فنزلوا.

(١) السالفه: صفحة العنق، و كنى بهذه الجملة عن الموت لأنها لا تنفرد عما يليها إلا بالموت.

(٢) بحار الانوار: ج ٢٠ ص ٣٢٩ وغيره. و قد أشار بهذا الكلام إلى واقعة الفيل.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٢٨

(١) و لما علمت طليعة قريش بمسير رسول الله صلى الله عليه وآله، لحقت به، حتى اقتربت منه و حاصرت موكبه و رجاله فكان على النبي صلى الله عليه وآله إذا أراد أن يواصل سيره باتجاه مكة ان يخترق صفوف رجال قريش، فيسفك دماءهم، و يعبر على أجسادهم، و حينئذ كان الجميع يرى أن رسول الله صلى الله عليه وآله لا يهدف العمرة و الزيارة بل يريد الحرب و القتال، فكان مثل هذا العمل يسىء إلى سمعة النبي صلى الله عليه وآله و يضر بهدفه السلمى.

ثم إن قتل هؤلاء نفر من طليعة قريش لا يزيل جميع الموانع من طريقه، لأن قريشا كانت تبعث بإمدادات مستمرة، و لم يكن لينته إلى هذا الحد.

هذا مضافا إلى أن المسلمين ما كانوا يحملون معهم حينذاك - إلا ما يحمله المسافر العادى من السلاح، و مع هذه الحال لم يكن

القتال أمرا صحيحا، و حكيمًا بل كان يجب ان تحل المشكلة عن طريق التفاوض.
 (٢) و لهذا عند ما نزل رسول الله صلى الله عليه وآله في تلك المنطقة قال:
 «لا تدعوني قريش اليوم إلى خطّة يسألونني فيها صلّة الرحم إلّا أعطيتهم إياها» (١).
 و لقد بلغ كلام رسول الله صلى الله عليه وآله هذا مسمع الناس، و كان من الطبيعي أن يسمع به العدو أيضا، و لهذا بعثوا برجال من شخصياتهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ليتعرفوا على هدفه الاصلى من هذا السفر.
 (٣)

مندوبو قريش عند النبي صلى الله عليه وآله:

بعثت قريش بعدة مندوبين إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ليتعرفوا على مقصده و هدفه في هذا السفر.
 و كان أول أولئك المبعوثين هو: «بديل بن ورقاء الخزاعي» الذي أتى

(١) تاريخ الطبري: ج ٢ ص ٢٧٠-٢٧٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٢٩

رسول الله صلى الله عليه وآله في رجال من خزاعة فكلموه نيابة عن قريش و سألوه: ما الذي جاء به؟ فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله:

«إنّا لم نجى لقتال أحد، و لكنّا جئنا معتمرين».

فرجعوا إلى قريش و أخبروهم بأن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يات لقتال و إنما جاء معتمرا زائرا لبيت الله، و لكن قريشا لم يصدقوهم و قالوا: و إن كان جاء و لا يريد قتالا فو الله لا يدخلها علينا عنوة أبدا، و لا تحدّث بذلك عنّا العرب.

(١) ثم بعثوا «مكرز بن حفص» فسمع من النبي صلى الله عليه وآله ما سمعه سابقه، فعاد و صدّق ما أخبر بديل قريشا به، و لكن قريشا لم تصدق مكرزا أيضا كما لم تصدّق سابقه.

فبعثت في المرة الثالثة الحليس بن علقمة (١) و كبير رماة العرب، لحسم الموقف، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وآله مقبلا قال:

«إن هذا من قوم يتألّهون (أى يعظمون أمر الله) فابعثوا الهدى في وجهه حتى يراه».

(٢) فلما رأى الحليس، الهدى يسيل عليه من عرض الوادي في قلائده، و قد أكل أوباره من طول الحبس عن محلّه، رجع إلى قريش، و لم يصل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله إعظاما لما رأى، فقال لهم: يا معشر قريش و الله ما على هذا حالناكم، و لا على هذا البذى عاقدناكم، أ يصدّ عن بيت الله من جاء معظما له و قد ساق الهدى معكوبا إلى محلّه؟!، و الذى نفس الحليس بيده لتخلنّ بين محمّد و ما جاء له، أو لأنقرن بالأحابيش نفره رجل واحد، و هكذا امتنع الحليس من مواجهة رسول الله بالقوة و استخدام العنف معه لصدّه، و قد لاحظ بأم عينيه ان النبي صلى الله عليه وآله و المسلمون لا يريدون إلّا العمرة و الزيارة لا القتال

(١) لقد جاء الحليس إلى النبي بعد عروة الثقفي حسب رواية الطبري في تاريخه: ج ٢ ص ٢٧٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٣٠

و الحرب، بل عاد يهدد قريشا اذا هي أرادت صدّه عن ذلك.

فشق هذا الكلام و هذا التهديد على قريش و خافوا من مخالفته، فقالوا: مه، كفّ عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به.

(١) ثمّ بعثوا أخيرا «عروة بن مسعود الثقفي» و كان رجلا- لبيبا تظمنن قريش إلى درايته و حكمته و خيره و كان لا- يحب أن يمثّل

قريشا في هذه المفاوضات لما رآه من معاملتهم مع الممثلين السابقين، و لكن قريشا تعهدت له بان تقبل بما تقول، و أعلنت له عن ثقتها الكاملة به، و بما سيخبر به، و بأنه غير متهم عندهم.

فخرج من عندهم حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وآله فجلس بين يديه ثم قال: يا محمد جمعت أو شاب الناس (أى أخلاطهم) ثم جئت بهم إلى أهلك و قبيلتك، إنها قريش قد خرجت معها العوذ المطافيل، قد لبسوا جلود النمر، يعاهدون الله لا تدخلها عليهم عنوة أبدا، و أيم الله لكأني بهؤلاء قد انكشفوا عنك غدا، (أو قال: أن يفروا عنك و يدعوك).

(٢) و عند ما بلغ ابن مسعود في كلامه إلى هذا قال له أبو بكر و كان جالسا خلف رسول الله صلى الله عليه وآله: أ نحن ننكشف عنه، و ندعه؟

لقد كان «عروة» كأى دبلوماسى ماكر، يحاول إضعاف معنويات أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله بكلامه، و روغانه. و أخيرا انتهت المباحثات دون جدوى. و هنا جعل «عروة» يتناول لحيه رسول الله صلى الله عليه وآله و آله ازدراء به صلى الله عليه وآله، و المغيرة بن شعبه- و كان واقفا على رأس رسول الله صلى الله عليه وآله و آله- يقرع يده إذا تناول لحيه النبي صلى الله عليه وآله و يقول اكفف يدك عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله قبل أن لا تصل إليك.

فسأل عروة: يا محمد من هذا؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله: هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبه (و يبدو أن جميع من كان حول النبي آنذاك أو بعضهم كانوا مقنعين رعاية للظروف الأمنية).

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٣١

(١) فغضب عروة و قال: «أى غدر، و هل غسلت سوءتك إلّا بالأمس» و كان المغيرة قد قتل قبل إسلامه ثلاثة عشر رجلا من بنى مالك من ثقيف فودى عروة المقتولين و أصلح الأمر.

فقطع رسول الله صلى الله عليه وآله الكلام على عروة و قال له مثل ما قال لبديل و رفيقه، و أنه لم يات يريد حربا، بل جاء يريد العمرة، و لاجل أن يرى عروة مكاتته بين أصحابه و أتباعه، قام صلى الله عليه وآله و آله و تواضأ أمامه، فرأى عروة بام عينيه كيف أنه لا يتواضأ إلّا و تسابق أصحابه على التقاط القطرات المتناثرة من وضوئه، فرجع إلى قريش و قال لهم: يا معشر قريش إنى قد جئت كسرى فى ملكه، و قيصر فى ملكه، و النجاشى فى ملكه، و إنى و الله ما رأيت ملكا فى قوم قط مثل محمد فى أصحابه، و لقد رأيت قوما لا يسلمونه لشيء قط فروا رأيكم «١».

(٢)

رسول الله يبعث مندوبا الى قريش:

لم تثمر الاتصالات التى جرت بين مبعوثى قريش، و بين رسول الله صلى الله عليه وآله، فكان من الطبيعى أن يتصور رسول الله صلى الله عليه وآله و آله أن مبعوثى قريش لم يستطيعوا نقل هدفه إلى قريش، و إسماعهم الحقيقة، و أن اتهامهم لهم بالجبن و الكذب منعهم من قبول ما قد أخبروا به، و لهذا قرّر رسول الله صلى الله عليه وآله أن يبعث هو مندوبا عنه إلى رؤوس الشرك ليوضح لهم هدف رسول الاسلام من هذا السفر، و أنه ليس إلّا زيارة بيت الله و أداء مناسك العمرة لا غير.

(٣) فاختار رجلا- لبيبا حازما من بنى خزاعة يدعى «خراش بن امية» فبعثه إلى قريش بمكة و حمله على بعير يقال له «الثعلب». ليبلغ أشرفهم عنه ما جاء له من

(١) المغازى: ج ٢ ص ٥٩٨، امتاع الاسماع: ج ١ ص ٢٨٧.

الزيارة و العمرة، فدخل مكة، و بلغ سادة قريش رسالة النبي صلى الله عليه وآله و لكن قريشا - خلافا لكل الأعراف الدولية و الاجتماعية قديما و حديثا. و القاضية بحصانة السفراء و ضرورة احترام كل مما يمت إليهم بصلة من ممتلكاتهم عمدت الى جعل رسول الله صلى الله عليه وآله الذي امتطاه سفير النبي صلى الله عليه وآله إلى مكة فعقروه عدوانا، و كادوا أن يقتلوا سفير النبي صلى الله عليه وآله نفسه، و لكن وساطة جماعة من قادة العرب ادت إلى أن تخلى قريش سبيله حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وآله.

إن هذا العمل الدنيء أثبت - بوضوح - أن قريشا لم تكن تريد السلام بل كانت دائما في صدد اشعال قتيل الحرب. (١) و لم تلبث قريش أن كلفت خمسين رجلا من فتيانها بالطواف بعسكر رسول الله صلى الله عليه وآله بغية أخذ شيء من أمواله، أو أسر بعض أصحابه لو أتيح لهم ذلك، اربعا للمسلمين و تخويفا لهم. و لكن هذه الخطة فشلت فشلا ذريعا، فان هؤلاء لم يصيبوا شيئا بل أسرهم المسلمون جميعا و أتى بهم رسول الله صلى الله عليه وآله فعفا عنهم، و خلى سبيلهم مع أنهم كانوا قد رموا في عسكر رسول الله صلى الله عليه وآله بالحجارة و النبل. و بهذا ثبت رسول الاسلام صلى الله عليه وآله مرة أخرى أنه يحب السلام و يسعى إليه، و انه جاء معتمرا لا معتديا و لا محاربا «١».

(٢)

النبي يبعث سفيرا آخر الى قريش:

رغم كل هذه الامور و رغم كل التصلب و التعصب الذي أبدته القيادة القرشية المشركة ضد الاسلام و المسلمين و ضد محاولات رسول الله صلى الله عليه وآله السلمية لم يياس رسول الله صلى الله عليه وآله من تحقيق السلام

(١) تاريخ الطبرى: ج ٢ ص ٢٧٨.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٣٣

فقد كان يريد - واقعا - أن يعالج المشكلة من طريق المفاوضات، و من طريق تغيير التصورات التي كان يحملها اشراف قريش و ساداتها المتعنتين المتصلبين عن رسول الله و دعوته.

(١) و من هنا كان يجب هذه المرة أن يختار صلى الله عليه وآله رجلا لم تخض يده في دماء قريش، و لهذا لم يصلح «على بن أبى طالب» و لا «الزبير» و لا غير هم من فرسان الاسلام و شجعانه الذين جالدوا صنناديد قريش في ميادين القتال و أردوا فريقا منهم صرعى، لمثل هذه السفارة، و هذه المهمة.

و لهذا تقرر - بعد التأمل. انتداب «عمر بن الخطاب» لهذه المهمة، أى الذهاب الى مكة، و التحدث الى سادة قريش، و رؤسائها، لأنه لم يكن قد أراق من المشركين حتى ذلك اليوم و لا قطرة دم، و لكن «عمر» اعتذر عن تحمل هذه المسئولية، و القيام بهذه المهمة المحفوفة بالمخاطر قائلا: يا رسول الله صلى الله عليه وآله؛ إنى أخاف قريشا على نفسى، و ليس بمكة من بنى عدى (و هم عشيرته) من يمنعى، و لكنى ادلك على رجل أعز بها منى، «عثمان بن عفان». (لكونه أمويا بينه و بين أبى سفيان زعيم قريش قرابة) «١».

فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله «عثمان بن عفان» فبعثه إلى «أبى سفيان» و أشراف قريش، ليخبرهم أنه لم يأت لحرب، و أنه انما جاء زائرا لهذا البيت و معظما لحرمة.

(٢) فخرج عثمان الى مكة، فلقه «أبان بن سعيد بن العاص» حين دخل مكة، أو قبل أن يدخلها فحمله بين يديه، ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وآله، فانطلق «عثمان» حتى أتى أبى سفيان و أشراف قريش فبلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله ما أرسله به، فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله صلى الله عليه وآله إليهم: إن شئت أن تطوف بالبيت فطف،

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٣١٥.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٣٤

فامتنع عثمان عن الطواف احتراماً لرسول الله صلى الله عليه وآله.

ثم إن قريشا احتبست عثمان عندها، ولعلهم فعلوا ذلك ريثما يتوصلوا إلى حلّ ثم يطلقوه ليبلغ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله رأيهم.

(١)

بيعة الرضوان:

إلا أن إبطاء مبعوث النبي صلى الله عليه وآله عن العودة من مكة أوجد قلقاً شديداً في نفوس المسلمين، خاصة وأنه شاع أن عثمان قد قتل، فثارت ثائرة المسلمين، واستعدّوا للانتقام من قريش وعمد النبي صلى الله عليه وآله أيضاً إلى مخاطبتهم قائلاً:

«لا نبرح حتى نناجز القوم».

وذلك تقوية لارادة المسلمين، وتحريكا لمشاعرهم الطاهرة.

وفي هذه اللحظات الخطيرة، وفي ما كان الخطر على الابواب، وبينما لم يكن المسلمون متهيئين للقتال قرر رسول الله صلى الله عليه وآله أن يجدد بيعته مع المسلمين.

فجلس رسول الله صلى الله عليه وآله تحت شجرة، وأخذ أصحابه يبائعونه على الاستقامة والثبات والوفاء واحداً واحداً، ويحلفون له أن لا يتخلوا عنه أبداً، وأن يدافعوا عن حياض الإسلام حتى النفس الأخير، وقد سميت هذه البيعة ببيعة «الرضوان» التي جاء ذكرها في قوله تعالى:

«لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا» (١).

(٢) فاتضح موقف المسلمين بعد هذه البيعة، فإما أن تسمح لهم قريش بدخول مكة لزيارة بيت الله المعظم، وإما أن تتصلب في موقفها الراض فيكون بينهم

(١) الفتح: ١٨.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٣٥

القتال والحرب «١». سيد المرسلين ج ٢ ٣٣٥ بيعة الرضوان: ص : ٣٣٤

بينما كان رسول الله صلى الله عليه وآله في هذه الحال اذ طلع عليهم «عثمان بن عفان»، وكان ذلك بنفسه طليعة سلام كان يريد رسول الله صلى الله عليه وآله.

فأخبر عثمان رسول الله صلى الله عليه وآله أن الذي يمنع قريشا من السماح لرسول الله صلى الله عليه وآله بدخول مكة هو اليمين التي الزموا بها انفسهم أن لا يدعوه يدخل مكة هذا العام وانهم سيبعثون إليه من يتفاوض معه بهذا الشأن.

(١)

سهيل بن عمرو يفاوض رسول الله:

بعثت قريش - في المرة الخامسة - «سهيل بن عمرو» إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وقد كلفته بانهاء المشكلة ضمن شروط خاصة

سنقرؤها في ما يأتي.

فأقبل «سهيل بن عمرو» على رسول الله صلى الله عليه وآله ولما رآه النبي صلى الله عليه وآله قال: قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل.

فلما انتهى «سهيل» إلى رسول الله صلى الله عليه وآله تكلم في المسألة كما يتكلم أي دبلوماسي بارع، فقال وهو يحاول إثارة عواطف النبي صلى الله عليه وآله وأحاسيسه:

يا أبا القاسم إن مكة حرمنا وعزنا، وقد تسامعت العرب بك إنك قد غزوتنا ومتى ما تدخل علينا مكة عنوة تطمع فينا فنتخطف، وإنا لنذكرك الحرم، فان مكة بيضتك التي تفلقت عن رأسك.
فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «فما تريد؟»

(١) ولقد كان لهذه البيعة في نفسها أثرا سياسيا مهما في نفس العدو، يقول الواقدي: فلما رأت عيون قريش سرعة الناس إلى البيعة وشميرهم إلى الحرب اشتد رعبهم وخوفهم وأسرعوا إلى القضية (ج ٢ ص ٦٠٤). وراجع امتاع الاسماع: ج ١ ص ٢٩١ أيضا.
سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٣٦

قال: اريد أن أكتب بيني وبينك هدنة على أن اخلّيها لك في قابل «١» فدخلها، ولا تدخلها بخوف ولا فزع، ولا سلاح إلا سلاح الراكب، السيف في القراب.
فقبل رسول الله صلى الله عليه وآله بعقد مثل هذا الصلح.

(١) وهكذا أدت مفاوضات «سهيل» مع رسول الله صلى الله عليه وآله إلى عقد صلح شامل و واسع بين قريش وبين المسلمين.
ولقد تشدد «سهيل» في شروط هذا الصلح كثيرا، حتى كاد أن ينتهي هذا التشدد إلى قطع المفاوضات أحيانا، ولكن حيث إن الطرفين كانا يرغبان في الصلح والموادعة، لهذا كانا يستأنفان التفاوض والتفاوض مرة أخرى، بعد كل أزمة تطرأ على المباحثات.
وأخيرا انتهت مفاوضات الجانبين - رغم كل ما أبداه مندوب قريش من التصلب - إلى عقد وثيقة موادعة وهدنة نظمت في نسختين و وقع عليها الجانبان.

(٢) و يروى كأفة المؤرخين و أرباب السير أن رسول الله صلى الله عليه وآله استدعى عليا (عليه السلام)، و امره أن يكتب تلك الوثيقة قائلا له: اكتب «بسم الله الرحمن الرحيم» فكتب «علي» ذلك فقال سهيل: لا أعرف هذا، ولكن أكتب: باسمك اللهم!!
فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: اكتب: باسمك اللهم وامح ما كتبت.
ففعل «علي» ذلك.

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «هذا ما صالح عليه رسول الله سهيل بن عمرو».
فقال سهيل، لو أجبته في الكتاب إلى هذا لأقررت لك بالنبوة فامح هذا الاسم و اكتب: محمد بن عبد الله (أو قال: لو شهدت انك رسول الله لم اقاتلك).

(١) أي افرغ لك مكة في العام القادم لتدخلها.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٣٧

ولكن أكتب اسمك و اسم ابيك).

(١) و لم يرض بعض من حضر من المسلمين في هذه النقطة بأن يرضخ رسول الله صلى الله عليه وآله لمطالب «سهيل» الى هذه الدرجة، و لكن رسول الله صلى الله عليه وآله الذي كان يلاحظ مصالح عليا غفل عنها ذلك البعض كما سنذكرها فيما بعد رضى

بمطلب «سهيل»، و قال لعلّي (عليه السلام): امحها يا عليّ.

فقال عليّ (عليه السلام) بأدب بالغ: يا رسول الله إن يدّي لا تنطق لمحو اسمك من النبوة.

فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: فضع يدى عليها، فمحي رسول الله صلّى الله عليه وآله بيده كلمة: رسول الله نزولا عند رغبة «سهيل» مفاوض قريش (١).

ان التسامح الذى أبداه رسول الله صلى الله عليه وآله فى تنظيم وثيقة الصلح هذه لا يعرف له نظير فى تاريخ العالم كله، لأنه اظهر بجلاء أن رسول الله صلّى الله عليه وآله لم يقع فريسة بيد الالهواء و الاغراض الشخصية و العواطف و الاحاسيس العابرة، و كان يعلم أن الحقائق لا تتبدل و لا تتغير بالكتابة و المحو، من هنا تسامح مع مفاوض قريش «سهيل» الذى تصلّب فى مطالبه غير المشروعة كثيرا، حفاظا على أصل الصلح. و حرصا على السلام.

(٢)

التاريخ يعيد نفسه:

و لقد ابتلى على (عليه السلام) تلميذ النبى الأول بمثل هذه التجربة المرّة بعد

(١) الارشاد: ص ٦٠، اعلام الورى: ١٠٦، بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٣٦٨ و قد اخطأ الطبرى فى هذا المقام اذ قال: فى احدى رواياته لهذه الحادثة: قال لعلّي عليه السلام: امح «رسول الله»، قال:

لا و الله لا أمحاك أبدا فأخذه رسول الله صلّى الله عليه وآله و ليس يحسن يكتب فكتب مكان «رسول الله»: محمّد. و هكذا نسب الكتابة إلى شخص رسول الله صلّى الله عليه وآله و نحن نعلم انه أمى لا يحسن الكتابة، و قد حققنا هذه المسألة فى المجلد الثالث من موسوعة مفاهيم القرآن ٣١٩-٣٧٤.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٣٨

رسول الله صلّى الله عليه وآله.

فيوم امتنع على عليه السلام عن محو كلمة رسول الله صلّى الله عليه وآله عن اسم النبى صلّى الله عليه وآله قال له النبى صلّى الله عليه وآله:

يا عليّ إنك أبيت أن تمحو اسمى من النبوة فوالذى بعثنى بالحق نبيا لتجيبن أبناءهم إلى مثلها و أنت مضيض مضطهد» (١)

(١) و لقد بقيت هذه القضية فى ذاكرة عليّ عليه السلام، حتى إذا كان يوم «صفين» و خدع أصحاب الامام عليّ عليه السلام بالاسلوب الماكر الذى اتبعه جيش الشام الذى قاتل عليا (عليه السلام) بقيادة معاوية بن أبى سفيان و مساعدة عمرو بن العاص، و أجبروا الامام عليه السلام على عقد الصلح مع معاوية فشكّل الجانبان لجنة لتنظيم وثيقة ذلك الصلح، كلّف «عبيد الله بن رافع» كاتب الامام من جانب الامام عليّ عليه السلام بأن يكتب وثيقة الصلح، فكتب:

«هذا ما تقاضى عليه أمير المؤمنين علي» قال عمرو بن العاص ممثل معاوية فى تلك المفاوضات: لو علمنا أنك أمير المؤمنين لم ننازعك!!

و هكذا طالب عمرو بن العاص بحذف عبارة أمير المؤمنين.

و طال الكلام و التشاجر فى هذا الموضوع، و لم يكن الامام على يريد ان يعطى حجة للبسطاء من أصحابه، و لهذا لم يرضخ لهذا المطلب، و لكنه بعد إلحاح من أحد قادة جيشه سمح بأن يمحي لقب «أمير المؤمنين» من اسمه ثم قال:

«الله اكبر سنة بسنة».

و هو بذلك يشير إلى حديث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَهُ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ «٢».

- (١) الكامل فى التاريخ: ج ٢ ص ١٣٨، بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٣٥٣.
- (٢) الكامل فى التاريخ: ج ٣ ص ١٦٢، راجع المصدر لتقف على القصة بكاملها و لتقف على ما دار بين الامام و ابن العاص.
سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٣٩
- (١)

نص صلح الحديبية:

- و أخيرا عقدت اتفاقية صلح و هدنة بين رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ قُرَيْشٍ تَضَمَّنَتِ الْمَوَادَّ وَ الشَّرُوطَ التَّالِيَةَ:
- (٢) ١- تعهد المسلمون، و قريش بترك الحرب عشر سنين يأمن فيهن الناس، و يكف بعضهم عن بعض.
- (٣) ٢- من أتى محمدا من قريش بغير إذن وليه ردّه عليهم، و من جاء قريشا ممن مع محمّد لم يردّوه عليه.
- (٤) ٣- من أحبّ أن يدخل فى عقد محمّد و عهده (أى يتحالف معه) دخل فيه و من أحبّ أن يدخل فى عقد قريش و عهدهم دخل فيه.
- (٥) ٤- انّ محمدا يرجع بأصحابه إلى المدينة عامه هذا و لا يدخل مكة، و انما يدخل مكة فى العام القابل فى أصحابه فيقيم فيها ثلاثة أيام، لا يدخل فيها بسلاح إلّا سلاح المسافر، السيوف فى القرب «١».
- (٦) ٥- أن لا يستكره أحد على ترك دينه و يعبد المسلمون الله بمكة علانية و بحرية، و ان يكون الاسلام ظاهرا بمكة و ان لا يؤذى أحد و لا يعير «٢».
- (٧) ٦- لا إسلال (سرقه) و لا إغلال (خيانه) بل يحترم الطرفان أموال الطرف الآخر، فلا يخونه و لا يسرق منه «٣».
- (٨) ٧- أن لا تعين قريش على محمّد و أصحابه أحدا بنفس و لا سلاح «٤».
- هذا هو نص وثيقة «صلح الحديبية»، و قد جمعنا بنوده من المصادر المتنوعة

- (١) السيرة الحلبية: ج ٣ ص ٢١.
- (٢) بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٣٥٢.
- (٣) مجمع البيان: ج ٩ ص ١١٧ أو: «من قدم مكة من أصحاب محمّد حاجا أو معتمرا أو يتغى من فضل الله فهو آمن على دمه و ماله، و من قدم المدينة من قريش مجتازا إلى مصر أو الشام فهو آمن على دمه و ماله».
- (٤) بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٣٥٢.
- سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٤٠
- التي أشرنا الى بعضها فى الهامش، و قد كتبت هذه الوثيقة فى نسختين، ثم وقع عليها جماعة من شخصيات قريش، و المسلمين و شهدوا عليها و اعطيت نسخة الى «سهيل بن عمرو» ممثل قريش، و تركت نسخة عند رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.
- (١)

نشيد الحرية:

لقد كان كل عاقل لبيب يحسن تقدير الامور يسمع نشيد الحرية من ثنايا هذا الصلح التاريخي، و مع أن كل بنود هذه المعاهدة جديرة

بالاهتمام والاكبار، إلا أن النقطة التي تستحق الاهتمام والتقدير أكثر من سواها هي المادة الثانية في هذا الصلح، وهي المادة التي أزعجت بعض الصحابة يوم انعقاد تلك المعاهدة.

فقد انزعج صحابة النبي صلى الله عليه وآله من هذا التمييز الصارخ، وقالوا حول قرار القيادة الحكيمة المتمثلة في قائد محنك كرسول الله صلى الله عليه وآله ما كان ينبغي أن لا يقولوه، في حين تعتبر هذه المادة من أعظم بنود الوثيقة إذ تعكس نظرة رسول الاسلام، وتفكيره حول كيفية تبليغ الاسلام، وإشاعته ونشره، فانه يظهر منها- وبجلاء- مدى احترام رسول الاسلام لمبدأ الحرية. (٢) ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله في معرض الاجابة على من اعترض من صحابته على البند القاضى بتسليم كل مسلم فز من قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وآله والمسلمين إلى قريش، دون العكس قائلاً: «من جاءهم مَنًا فأبعده الله و من جاءنا منهم رددناه إليهم فلو علم الله الاسلام من قلبه جعل له مخرجاً».

وأراد رسول الله صلى الله عليه وآله أن الذي يهرب من جماعة المسلمين و يلجأ إلى المشركين فلا قيمة لإيمانه وإسلامه، إذ أن ذلك يدل على أنه لم يؤمن بهذه الدين حق الإيمان فلا داعي لأن يعاد إلى رسول الله صلى الله عليه وآله إذ سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٤١

لا اكراه في الدين و أما من هرب من المشركين الى المسلمين فلو علم الله منه الصدق لنجاه حتما. (١) ولقد كانت نظرية النبي صلى الله عليه وآله و رأيه متطابقا كل التطابق مع موازين العقل والمنطق السليم، و قد تجلت صوابيته و حقانيته مع مضي الزمن في ما بعد، لانه لم يمض زمن طويل إلا و قريش- و بعد سلسلة من الحوادث المؤسفة- طلبت بنفسها إلغاء هذه المادة كما سيأتى بيانه في ما بعد.

إن هذه المادة تعد ردا قاطعا على تقولات و تحزصات المستشرقين المغرضين الذين يصرون على القول بأن الاسلام انتشر بالسيف. إنهم حيث لا يتحملون رؤية هذا الامتياز العظيم الذى كسبه الاسلام الحنيف، حيث انتشر في مدة قصيرة جدا فى شتى نقاط العالم و بقاعه، حتى كاد أن يعم المعمورة كلها، و لهذا اضطروا إلى إعزاء انتشار الاسلام الى عامل استخدام القوة، و قالوا: ان الاسلام انتشر بالقوة، ليشوهوا بذلك ملامح الاسلام، و يخفوا الحقيقة خلف غطاء من الارجيف، فى حين أن هذا الميثاق الذى عقد فى الجزيرة العربية أمام اعين المثات من المسلمين و غير المسلمين يعكس بجلاء روح الاسلام و حقيقة تعاليمه السامية، و مع هذا يكون من مجانية الواقع القول بأن الاسلام انتشر بقوة السيف. لا بالدعوة الحرة، و التبليغ و الارشاد.

هذا و لقد تحالفت قبيلة خزاعة- مع المسلمين فى ضوء المادة الثالثة من الميثاق، بينما تحالفت قبيلة بنى كنانة- و كانوا أعداء تقليديين لخزاعة مع قريش.

(٢)

آخر الجهود للحفاظ على عملية الصلح:

كانت مقدمات الميثاق المذكور، و بنوده توحى بصورة جلية و كاملة بأن أكثرها قد فرضت فرضا على المسلمين، فلو أن رسول الاسلام صلى الله عليه وآله قبل بامحاء كلمة «رسول الله» من اسمه، و بدأ الميثاق بعبارة «باسمك اللهم» على عادة الجاهليين بدل البسملة الكاملة فان غايته من ذلك كانت هى الحفاظ على

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٤٢

الصلح، و اقرار الأمن فى الجزيرة العربية.

و لو ان رسول الله صلى الله عليه وآله رضى بأن يسلم المسلمين الهاريين من قبضة المشركين الى جماعة المسلمين، و يعيدهم الى القيادة الوثنية فى مكة فان بعض ذلك كان بسبب تصلب سهيل ممثل قريش و تعنته، و لو أن رسول الله صلى الله عليه وآله ما كان

يرضخ لهذا الشرط (استجابة لرغبة الرأي العام الاسلامى الذى كان مخالفا لمثل هذا الشرط و معارضا لاعادة المسلمين الهاربين من مكة إلى قريش، و حفاظا على حقوق اولئك الأشخاص الهاربين) لتعطلت عملية السلام، و لما تحقق الصلح، و لفاتت المسلمين هذه النعمة الكبرى التى انطوت على آثار عظيمة فى المستقبل كما أثبتت الوقائع فى ما بعد.

من هنا قاوم رسول الله صلى الله عليه وآله كل الضغوط من جهة، و تحمل عملية فرض هذا الشرط من جهة اخرى، ليصل الى المقصد الأعلى و الهدف الاكبر الذى تتضاءل تجاهه هذه المتاعب.

و لو كان رسول الله صلى الله عليه وآله يراعى الرأي العام و يلاحظ حقوق هذه الجماعة، لكان «سهيل» يتسبب- بسبب تصلبه الارعن- فى اشتعال نائرة الحرب.

و القصة التالية تشهد بما نقول:

(١) حينما انتهت مفاوضات السلام، و بينما كان الامام على (عليه السلام) يكتب وثيقة المودعة و الصلح دخل أبو جندل بن سهيل فى مجلس النبى صلى الله عليه وآله و هو يرسف فى الحديد.

فتعجب الجميع من حضوره هناك، اذ كان محبوسا فى سجن أبيه سهيل (المفاوض) مدة طويلة.

و لم يكن لابي جندل من ذنب إلا أنه اختار التوحيد عقيدة، و الاسلام ديناً، و رفض الوثنية و الشرك و كان يحب رسول الله صلى الله عليه وآله حبا شديدا فحبسه أبوه.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٤٣

(١) و كان أبو جندل قد بلغه أمر المفاوضات هذه، فهرب من محبسه و انفلت الى رسول الله صلى الله عليه وآله سالكا إليه طرقا و عرة فى الشعاب، و الوديان.

فلما رأى «سهيل» ابنه أبا جندل و قد هرب من سجنه، و لجأ إلى النبى صلى الله عليه وآله قام إليه فضرب وجهه، و اخذ بتلابيه ثم قال: يا محمد لقد تمت القضية بينى و بينك قبل أن يأتيك هذا، و هذا يا محمد أول من أقاضيك عليه أن ترده.

و لا- شك أن كلام «سهيل» كان باطلا و لا- مبرر لطلبه، لأن الميثاق لم تتم كتابته على الورق، و لم يوقع عليه الطرفان، و لم ينته- بالتالى- من مراحل النهائية و الأخيرة بعد، فكيف يمكن الاستناد إليه، و لهذا أجابه رسول الله صلى الله عليه وآله قائلا:

«إنا لم نرض (نقض) بالكتاب بعد» (١)

(٢) فقال سهيل: إذا و الله لا اصالحك على شىء أبدا، حتى ترده إلى، و لم يزل يصر على كلامه و رفضه هذا حتى أزعج اثنان ممن رافقه من شخصيات قريش هما مكرز و حويطب من تصلب سهيل و تشدده.

ثم قاما و أخذوا أبا جندل من أبيه و أدخلاه خيمة و قالوا: نحن نجيره.

و لقد فعلا- ذلك حتى ينهيا ذلك التنازع، و الجدل، و لكن إصرار سهيل على موقفه، أبطل تدبيرهما اذ قال: يا محمد لقد لجت القضية بينى و بينك قبل ان يأتيك هذا (٢).

فاضطر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أن يقوم بآخر سعى فى طريق الحفاظ على الهدنة و الصلح الذى كان له أثر عظيم فى انتشار الاسلام، و لهذا رضى بردّ أبى جندل إلى والده، لإعادته الى مكة، ثم قال لذلك المسلم الاسير تطيبا لخاطره:

(١) بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٣٣٤.

(٢) السيرة الحلبية: ج ٣ ص ٢١ لجت: و جبت و تمت.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٤٤

(١) «يا أبا جندل، اصبر واحتسب، فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا، وأعطيناهم على ذلك، وأعطونا عهد الله، وإنا لا نغدر بهم».

وانتهت جلسة المفاوضات، وتم التوقيع على نسختي الميثاق، وعاد سهيل ورفاقه إلى مكة، ومعهم «أبو جندل» ابن سهيل في جوار مكرز وحويطب، ونحر رسول الله صلى الله عليه وآله ما كان معه من الهدى «١» في نفس ذلك المكان وخلق فنحر جماعة من المسلمين وخلقوا «٢».

(٢)

تقييم عاجل لصلح الحديبية:

بعد أن فرغ رسول الله صلى الله عليه وآله من عقد صلح الحديبية بينه وبين رءوس الشرك، وبعد أن توقف في أرض الحديبية مدة ١٩ يوما عاد هو وأصحابه إلى المدينة، وعاد المشركون إلى مكة.

هذا وقد نشبت مشاجرات ومشادات كلامية حين تنظيم ذلك الميثاق وكتابته، بين أصحاب النبي صلى الله عليه وآله، فمنهم من كان يعتبر ذلك الصلح في صالح الإسلام، وقليل منهم كان يعدّه مضرا بمصلحة الإسلام والمسلمين. ولقد انقضى الآن أكثر من أربعة عشر قرنا على عقد ذلك الصلح التاريخي العظيم فلندرس معا تلك المعاهدة بموضوعية وتجرد، ونستعرض طرفا من تلك الاعتراضات والمجادلات لتقف على معطيات تلك العملية، ونتائجها. ان الذي نراه هو: ان هذا الصلح كان في صالح الإسلام مائة بالمائة، وانه هو الذي جعل أمر انتصار الإسلام قطعيا،

(١) أي الأبل التي ساقها معه.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٢ ص ٢٨١، بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٣٥٣، السيرة النبوية: ج ٢ ص ٣١٨. امتاع الاسماع: ج ١ ص ٣٩٤ و ٣٩٥.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٤٥

لا شك فيه، وإليك أدلة هذا الرأي:

(١) ١- إن حملات قريش المتتابة على المسلمين، والتحريكات الداخلية والخارجية التي أشرنا إليها في حوادث «أحد» و «الأحزاب» على نحو الاختصار، لم تترك للنبي صلى الله عليه وآله فرصة لنشر الإسلام بين القبائل، وفي المناطق المختلفة خارج شبه الجزيرة العربية.

من هنا كان صلى الله عليه وآله يصرف أكثر أوقاته الثمينة في الدفاع والعمل على إفشال المؤامرات الخطرة التي كان العدو الداخلي والخارجي يحيكها باستمرار.

ولكن النبي صلى الله عليه وآله فرغ باله بعد عقد صلح الحديبية مع قريش من ناحية الجنوب، فتهيأت الأرضية لانتشار الإسلام في المناطق الأخرى.

وقد ظهر أثر هذا الهدوء والاستقرار بعد سنتين من عقد تلك المعاهدة، فقد كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله في الحديبية ألف و أربعمائة ولكنه عند ما توجه إلى مكة لفتحها بعد عامين خرج معه عشرة آلاف، وكان هذا التفاوت من نتائج صلح الحديبية مباشرة، لأن بعض الناس كانوا يخشون قريشا فلا يلتحقون بالمسلمين لذلك السبب، ولكن بعد أن اعترفت قريش بالكيان الإسلامي بصورة رسمية، وأعطيت للقبائل الحرية الكاملة للانضمام إلى المسلمين زال الخوف المذكور عن كثير من القبائل، فاستطاع المسلمون أن يستغلوا تلك الفرصة و يقوموا بنشاط تبليغي ودعوة واسعة إلى الإسلام.

(٢) ٢- إن النتيجة الثانية التي حصل عليها المسلمون من هذه المعاهدة هي زوال الستار الحديبي الذي كان قد ضربه المشركون بين

الناس و بين الاسلام، فقد سمح ذلك الصلح بالسفر الى المدينة فكان الناس في سفرهم الى المدينة يحتكون بالمسلمين و يلتقون بهم، فيتعرفون على تعاليم الاسلام السامية.

و لقد أثار نظم المسلمين، و اخلاصهم، و طاعة المؤمنين الكاملة لرسول الله صلى الله عليه و آله إعجاب المشركين كما أثار نظافة المسلمين، في أوقات الصلاة خاصة، و صفوفهم المتلاحمة أثناء هذه العبادة المباركة، و خطب رسول الله سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٤٦

صلى الله عليه و آله الرائعة، و اللذيذة، و آيات القرآن الكريم البليغة، و السهلة في نفس الوقت رغبة قوية في نفوس الكفار إلى الاسلام.

(١) هذا مضافا إلى أن المسلمين استطاعوا بعد عقد ذلك الميثاق السفر إلى مكة و شتى نقاط الجزيرة بحجج مختلفة، و الاتصال بذويهم و أقاربهم، و التحدث معهم في أمر الاسلام و تعاليمه المقدسة المحببة، و قوانينه و آدابه الرائعة، و ما جاء به من حلال و حرام. و قد تسببت كل هذه الامور في أن يلتحق كثير من رءوس الشرك و الكفر كخالد بن الوليد و عمرو بن العاص بالمسلمين، و يعتنقوا ذلك الدين قبل فتح مكة، و أن تساعد هذه المعرفة بحقائق الاسلام، و الاطلاع على مزاياه و فضائله على تسهيل عملية فتح مكة، و انهيار صرح الوثنية فيها من دون أية مقاومة من أهل مكة، بحيث سيطر المسلمون عليها بسهولة و أقبلت أفواج الناس تدخل في دين الله راغبة كما ستعرف تفاصيل ذلك في حوادث السنة الثامنة.

إن هذا الانتصار العظيم كان نتيجة الاتصالات التي اجراها المسلمون مع ذويهم و أصدقائهم في مكة خلال ترددهم المتكرر بعد زوال الخوف و الحصول على الحرية في الدعوة بفضل صلح الحديبية.

(٢) ٣- إن الاتصال برءوس الشرك أثناء عقد اتفاقية السلام مع رسول الله صلى الله عليه و آله في الحديبية، ساعد على ازالته كثير من العقد النفسية التي كانوا يعانون منها تجاه رسول الله صلى الله عليه و آله، لأن أخلاق النبي الرفيعة، و حلمه و صبره أمام تعنت قادة المشركين و تصلبهم و عتوهم، و سعيه الحثيث و حرصه الصادق على تحقيق السلام، أثبت لهم بأن رسول الله صلى الله عليه و آله معدن عظيم من معادن الخلق الانساني الكريم.

فبالرغم من أنه صلى الله عليه و آله قد أصيب على أيدي قريش بخسائر فادحة، و ناله منهم أذى كثير، إلا أن فؤاده كان طافحا بمشاعر اللطف، و الحب و الحنان على الناس.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٤٧

(١) لقد رأت قريش بام عينها كيف أنه صلى الله عليه و آله خالف في عقد ميثاق الصلح آراء جماعة من أصحابه، المعارضة لبعض بنود الاتفاقية رغبة منه في تحقيق السلام، و كيف آثر الحفاظ على حرمة المسجد الحرام على هواه، و رغبته الشخصية.

إن هذا النوع من السلوك أبطل مفعول جميع الدعايات السيئة التي كانت تروج ضد رسول الله صلى الله عليه و آله و مواقفه و خلقه، و أفكاره و اثبتت للجميع أنه حقا رجل سلام، و داعية خير للبشرية، و أنه حتى لو سيطر على مقاليد الجزيرة العربية، لما عامل أعداءه ألا بالحسنى و اللطف، لأنه لم يكن مشكوكا فيه بأنه لو كان رسول الله صلى الله عليه و آله يخوض حربا ضد قريش في ذلك اليوم لغلبها و هزمها شر هزيمة كما يصرح بذلك القرآن الكريم أيضا اذ يقول:

«وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَذْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا» (١).

(٢) و مع ذلك أبدى رسول الله صلى الله عليه و آله تسامحا كبيرا، و أعلن عن عطفه، و حنانه للمجتمع العربي، و بذلك أبطل كل الدعايات التي كانت تروج ضده، و ضد دعوته العظيمة المباركة.

من هنا نهتدى إلى مغزى ما قاله الامام الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام عن أهمية هذا الصلح حيث قال:

«و ما كان قضية أعظم بركة منها» (٢).

إن الحوادث اللاحقة أثبتت أن اعتراض عدد ضئيل من صحابة النبي صلى الله عليه وآله وفي مقدمتهم عمر بن الخطاب على هذا الصلح كان باطلا ولا مبرر له.

وقد أدرج أرباب السير والتاريخ جميع هذه الاعتراضات، كما تنقل رد النبي صلى الله عليه وآله عليها، ويمكن للوقوف عليها مراجعة السيرة النبوية

(١) الفتح: ٢٢.

(٢) الكافي: ج ٨ ص ٣٢٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٤٨

لابن هشام، وامتاع الاسماع وغيرهما ان قيمة هذه المعاهدة تتجلى من ان النبي صلى الله عليه وآله لم يصل الى المدينة حتى نزلت سورة الفتح التي وعدت المسلمين وبشورتهم بالانتصار ويمكن اعتبار هذا العمل مقدمة لفتح مكة كما يقول تعالى: «إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا» (١).

(١)

قريش تصر على إلغاء أحد بنود المعاهدة:

لم يمض زمان طويل حتى أجبرت الحوادث المرة قريشا على أن تبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وآله من يطلب منه إلغاء المادة الثانية من معاهدة صلح الحديبية، وهي المادة التي أغضبت بعض صحابة النبي صلى الله عليه وآله وأثارت سخطهم، وقبل بها رسول الله تحت إصرار من «سهيل» ممثل قريش في مفاوضات الحديبية.

تلك المادة التي تقول: على الحكومة الإسلامية أن تعيد كل مسلم هارب من مكة إلى حكومته مكة، ولكن لا يجب على قريش أن تعيد كل هارب من المسلمين إلى مكة، إلى رسول الله صلى الله عليه وآله.

وقد أثارت هذه المادة- المجحفة في الظاهر- سخط البعض واعتراضهم، ولكن النبي صلى الله عليه وآله قال لابي جندل في وقته: «إن الله جاعل لك وللمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا».

(٢) ثم إن مسلما آخر يدعى «أبو بصير» كان قد حبسه المشركون ردحا طويلا- من الزمن استطاع أن يفتر من محبسه و يصل الى المدينة، وقد وصلها سعيا على قدميه، فكتب شخصيتان من شخصيات قريش هما: «أزهر» و «الأخنس» كتابا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يطلبان منه إعادة أبي بصير إلى قريش

(١) بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٢٦٣ نقلا عن اعلام الوري، و زاد المعاد في هدى خير العباد: ج ٢ ص ١٢٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٤٩

و يذكر انه بالمعاهدة و أرسلاه مع رجل من بنى عامر يرافقه غلامه، فدفع رسول الله صلى الله عليه وآله «أبا بصير» إلى الرجلين عملا بالمعاهدة قائلا:

«يا أبا بصير إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت (أى من العهد) ولا تصلح لنا فى ديننا الغدر و إن الله جاعل لك وللمن معك من المسلمين فرجا ومخرجا» (١).

(١) فقال أبو بصير: يا رسول الله تردنى إلى المشركين؟!

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله ثانية:

«انطلق يا أبا بصير، فان الله سيجعل لك مخرجا».

ثم دفعه إلى العامريّ و صاحبه فخرج معهما باتجاه مكة.

فلما كانوا بذي الحليفة (و هي قرية تبعد عن المدينة بستة أميال يحج منها بعض أهل المدينة) صَلَّى أبو بصير ركعتين صلاة المسافر ثم مال إلى أصل جدار فاتكأ عليه، و وضع زاده الذي كان يحمله و جعل يتغذى و قال لصاحبيه في لهجة الصديق: ادنوا فكلوا؟ فأكلا معه ثم آنسهم ثم قال للعامري: ناولني سيفك انظر إليه إن شئت أ صارم هو أم لا؟ فناوله العامري سيفه و كان أقرب إلى السيف من أبي بصير، فجزد أبو بصير السيف و قتل به العامريّ في اللحظة، فهرب الغلام يعدو نحو المدينة خوفاً، و سبق أبو بصير إلى المدينة، و أخبر رسول الله صَلَّى الله عليه و آله بما جرى لسيد العامريّ، فبينما رسول الله صَلَّى الله عليه و آله جالس في أصحابه و الغلام عنده يقص عليه ما جرى إذ طلع أبو بصير، فدخل على رسول الله صَلَّى الله عليه و آله في المسجد و قال: وفّت ذمتك، و أدّى الله عنك، و قد أسلمتني بيد العدو، و قد امتنعت بديني من أن افتن.

ثم إن أبو بصير بعد أن قال هذا الكلام خرج من عند رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و غادر المدينة، و نزل ناحية على ساحل البحر، على طريق قافلة قريش

(١) المغازي: ج ٢ ص ٦٢٥.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٥٠

إلى الشام، تسمى «العيص».

(١) و عرف المسلمون الذين حبسوا بمكة بهذا التطور، ففرّ منهم سبعون رجلاً، و انضمّوا إلى أبي بصير و كانوا ممن نالهم على يد قريش أشدّ العذاب و العنت، فلا حياة و لا حرية لهم.

من هنا قرّروا أن يتعرضوا لقافلة قريش التجارية و يغيروا عليها، أو يقتلوا كل من وقعت يدهم عليه من قريش.

و قد لعبت هذه الجماعة دورها بصورة رائعة جدا بحيث أقلقت بال قريش، و سلبت منها الرقاد إلى درجة أنهم كتبوا إلى رسول الله صَلَّى الله عليه و آله يطلبون منه إلغاء هذه المادة (أى المادة الثانية). بموافقة الطرفين و قد أعلنوا موافقتهم على إلغائها، و إعادة أبي بصير و جماعته إلى المدينة و الكف عن التعرض لتجارة قريش.

فوافق رسول الله صَلَّى الله عليه و آله على إلغاء تلك المادة، و طلب من المسلمين في منطقة «العيص» القدوم إلى المدينة.

و بهذا توفرت فرصة طيبة لجميع المسلمين، كما عرفت قريش أنها لا تستطيع سجن المؤمن، و حبسه في القيد، و ان تقيده و حبسه أخطر بكثير من إطلاق سراحه، لأنه سيفرّ ذات يوم و هو يحمل روح الانتقام على سجانة.

(٢)

النساء المسلمات لا يسلمن إلى قريش:

بعد أن تم الاتفاق و التوقيع على معاهدة صلح الحديبية هاجرت «أمّ كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط» في تلك المدة، فخرج أخوها «عمارة» و «الوليد» ابنا عقبة حتى قدما على رسول الله صَلَّى الله عليه و آله يسألانه أن يرّد اختهما عليهما بالعهد الذي بينه و بين قريش في الحديبية، فلم يفعل ذلك رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و قال لهما:

«إن الله نقض العهد في النساء» (١).

(١) المغازي: ج ٢ ص ٦٣١، السيرة النبوية: ج ٢ ص ٣٢٣.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٥١

و قد نزل قوله تعالى يوضح حكم هذا الامر:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَاْمْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُنَّ مَا أَنْفَقُوا» (١).

كانت هذه قصة «الحديبية»، وقد استطاع رسول الله صلى الله عليه وآله في ظل الهدوء والأمن اللذين تحققا بسبب معاهدة الحديبية أن يرأس قادة العالم وزعماءه، وأن يبلغ نبا دعوته إلى مسامع شعوبهم، وستقف على مفصل هذا القسم من تاريخ الاسلام المشرق في الفصل القادم.

(١) الممتحنة: ١٠.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٥٢

(١)

حوادث السنة السابعة من الهجرة

٤٣ النبي يعلن عن رسالته العالمية

إشارة

لقد أراحت معاهدة الحديبية بال رسول الاسلام صلى الله عليه وآله من ناحية الجنوب (أى مكة)، وقد آمن برسول الله صلى الله عليه وآله و لئى دعوته فى ظل الهدوء والأمن والاستقرار الحاصل بسبب هذا الصلح جماعة من زعماء العرب. و رجالها البارزين. و اغتتم رسول الله صلى الله عليه وآله هذه الفرصة ففتح على ملوك العالم و زعماء القبائل، و رجال الدين المسيحي يومذاك باب المراسلة، فكاتبهم و وجه إليهم رسائل كثيرة عبر رسله و سفرائه، و قد عرض فيها عليهم رسالته و دعوته التى كانت يومذاك لا تخرج عن صورة العقيدة البسيطة و كان فى مقدورها أن تضم تحت لواء التوحيد، و فى اطار التعاليم الاخلاقية و الانسانية كل البشرية. و قد كانت هذه هى الخطوة الاولى التى خطاها رسول الله صلى الله عليه وآله بعد ١٩ عاما من الصراع مع قريش العاتية.

(٢) و لو أن الاعداء الداخليين لم يشغلوه بالصراعات و الحروب لاستطاع رسول الاسلام ان يقوم بتوجيه دعوته الى شعوب العالم آنذاك قبل هذا الوقت، و لكن الحملات الظالمة و المضايقات الشديدة التى قام بها العرب الوثنيون الجهلة طوال ما يقرب من عقدين من عمر الرسالة أجبرت رسول الاسلام صلى الله عليه وآله على أن يصرف قسما عظيما من أوقاته الغالية فى ترتيب شئون الدفاع عن حياض الاسلام و كيان المسلمين.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٥٣

(١) إن الرسائل التى وجهها رسول الله صلى الله عليه وآله الى الامراء و السلاطين، و إلى رؤساء القبائل، و الشخصيات الدينية و السياسية البارزة داخل الجزيرة العربية و خارجها لدعوتهم إلى الاسلام تكشف عن طريقته فى الدعوة و التبليغ، و الارشاد و الهداية. و بين أيدينا الآن نصوص ١٨٥ «١» رساله و كتاب من مكاتيب رسول الله صلى الله عليه وآله و رسائله التى دعا فيها من أرسلها إليهم، إلى الإسلام، أو كتبه التى تشكل معاهداته و موثيقه صلى الله عليه وآله التى أعطاها أو عقدها مع الاطراف المختلفة و قد جمعها، و ضبطها أرباب السير و كتاب التاريخ و هى تكشف برمتها عن أن اسلوب الاسلام فى الدعوة و التبليغ يعتمد على المنطق و البرهان، لا على السيف و القهر و على الاقناع لا الاكراه.

فيوم اطمأن بال رسول الله صلى الله عليه وآله و آمن جانب قريش و حلفائها، ووجه ندائه الالهى إلى مسامع البشرية فى العالم و ذلك عن طريق ارسال الرسائل، أو بعث المبلغين و الدعاء إلى شتى أنحاء العالم.

(٢) إن نصوص هذه الرسائل، و الاشارات الموجودة فى خلالها، و نصائحه التى كان يوجهها صلى الله عليه وآله إلى الناس، و التسامح الذى كان يبديه من نفسه خلال عقد الاتفاقيات و إبرام المعاهدات مع الاجانب، تشكّل برمتها شواهد قاطعة، و دامغة ضدّ نظرية المستشرقين الذين أرادوا مسخ وجه الاسلام

(١) لقد اجتهد علماء الاسلام فى جمع و احصاء رسائل النبى الاكرم صلى الله عليه وآله و كتبه قدر المستطاع، و إن أكمل المصادر الحاضرة من حيث الاستقصاء و سعة التبع كتابان يتسمان بأهمية كبرى فى هذا المجال و هما:
أ- الوثائق السياسية تأليف البرفيسور محمّد حميد الله حيدر آبادى، الاستاذ بجامعة باريس.
ب- مكاتيب الرسول تأليف العلامة المحقق المحترم الشيخ على الاحمدى.
و الكتاب الأخير يمتاز بتحقيقات و تحليلات أدبية، و تاريخيه و سياسيه إسلاميه فى غاية الأهمية.
سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٥٤

المشرق، بكيال الاتهامات الباطلة له، و الزعم بأن تقدّم الاسلام و انتشاره كان بفعل القهر، و بقوة السيف، و تحت عامل الفرض و الاجبار و اننا لنأمل أن نوفّق ذات يوم لدراسة و تقييم تلك الرسائل و الكتب و استجلاء هذه النقاط المذكورة و استخراج خطوط السياسة النبوية و معالم الدعوة المحمدية. من ثانياً تلكم الرسائل و الكتب التاريخية الخالدة لنستطيع من خلال هذا العمل بيان اسلوب الاسلام فى نشر دينه فى شتى نقاط العالم.
(١)

الرسالة المحمدية كانت عالمية: «١»

إشارة

ينظر بعض الجهلة إلى مسألة عالمية الرسالة المحمدية بنظر الشك و التردد، و هم يتبعون فى مثل هذه النظرة الجاهلة ما يروّجه بعض الكتاب العملاء، و فى مقدمه هؤلاء المغرضين مستشرق معاد للإسلام هو «السير و يليم موير» الذى يقول: إن موضوع عالمية الرسالة المحمدية قد ظهر و تبلور فى ما بعد، و أن محمّد اقتصر فى دعوته من بدء رسالته إلى لحظة وفاته على العرب، و لم يكن «محمّد» يعرف أى مكان غير الجزيرة العربية.

و لقد اتّبع هذا المستشرق نهج أسلافه الإنجليز، و حاول التعقيم على الحقيقة فى مقابلة الآيات الكثيرة التى تشهد- بجلاء- بأن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يدعو البشر عامة إلى التوحيد و الاعتقاد برسالته و قال: إنّ محمّداً كان يقتصر فى دعوته على العرب خاصة.

(٢) و نحن هنا ندرج بعض الآيات التى تشهد بأن رسالة الاسلام، و أن الدعوة المحمدية كانت منذ بداية ظهورها دعوة عالمية، و يمكن مراجعتها كتب التفسير و العقائد للوقوف على المزيد من التوضيح فى هذا المجال.

(١) هاهنا مسألتان يجب التمييز بينهما:

أ- عالمية الرسالة المحمدية.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٥٥

آيات تدل على عالمية الرسالة المحمدية:

١- «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا» (١).

٢- «وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ» (٢).

٣- «لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا» (٣).

٤- «هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ» (٤).

(١) و الآن نسأل هذا الكاتب الإنجليزي: كيف تقول- مع هذه الدعوة العالمية- أن موضوع عالمية الرسالة الاسلامية قد ظهر و تبلور في ما بعد.

فهل مع وجود هذه الآيات و نظائرها و مع وجود سفراء رسول الله و مبعوثيه الى المناطق النائية، و البلاد البعيدة، و إلى نصوص الرسائل التي بقيت مسجلة في صفحات التاريخ عن رسول الإسلام صلى الله عليه و آله و خاصة ما بقي منها محفوظا بعينه الى الآن في المتاحف العالمية الكبرى يبقى مجال لأن يشك أحد في عالمية رسالته.

(٢) و العجيب أن الكاتب المذكور يكتب بكل وقاحة قائلا: ان محمدا لم يكن

ب- خاتمية الرسالة المحمدية.

و في الاولى تعالج مسألة عالمية رسالة النبي محمدا، و عدم عالميتها و انه صلى الله عليه و آله هل كان مبعوثا لخصوص سكان الجزيرة العربية أم لعموم البشر، و للناس كافة، في حين أن المحور في المسألة الثانية هو أنه صلى الله عليه و آله هل هو آخر نبي أو لا على انه يمكن ان يقول البعض ان دينه كان عالميا إلا أن نبوته لم تكن خاتمة النبوات بل سيأتي بعده نبي آخر و شريعة اخرى. من هنا لا بد من البحث- في النبوة الخاصة- حول كلتي المسألتين بصورة مستقلة، و قد بحثنا المسألتين في الجزء الثالث من مفاهيم القرآن بصورة موسعة.

(١) سبأ: ٢٨.

(٢) القلم: ٥٢.

(٣) يس: ٧٠.

(٤) التوبة: ٣٣.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٥٦

يعرف غير الحجاز، في حين أن رسول الله صلى الله عليه و آله سافر يوم كان في ربيعه السادس عشر مع عمه أبي طالب الى الشام كما سافر الى الشام في تجارة خديجة في سن الخامسة و العشرين، مع قافلة قريش التجارية.

حقا ان من العجيب العجيب أننا كلما قرأنا في التاريخ أن شابا يونانيا (هو الاسكندر المقدوني) كان يريد أن يسيطر على العالم، أو نسمع أن نابليون بونابرت كان يفكر في أن يكون امبراطور العالم الوحيد لم يبعثنا كل ذلك على الاستغراب و الدهشة و لكن كلما يسمع فريق من المستشرقين بأن قائد المسلمين الأعلى و وجه دعوة الاسلام- و بأمر الله- الى زعماء عصره العالميين الذين كان بينهم و بين قومه علاقات تجارية عريقة انكروا ذلك و بوقاحة، و اعتبروه أمرا محالا.

(١)

رسل الاسلام الى المناطق النائية:

إشارة

طرح رسول الاسلام قضية دعوة الملوك و الامراء الى الاسلام على شورى كبيرة من أصحابه كغيرها من المسائل المهمة فقال: «أيها الناس ان الله قد بعثني رحمة و كافة فلا تختلفوا علي كما اختلف الحواريون على عيسى بن مريم». فقال أصحابه: و كيف اختلف الحواريون يا رسول الله؟ قال:

«دعاهم إلى الذي دعوتكم إليه، فأما من بعثه مبعثاً قريباً فرضى و سلم و اما من بعثه مبعثاً بعيداً فكره وجهه و ثقّل». ثم إن رسول الله صلى الله عليه و آله اختار ستة أشخاص من خيرة أصحابه و كتب معهم كتباً إلى الملوك تضمنت دعوته العالمية، و بعثهم إلى مختلف نقاط الأرض.

و هكذا توجه سفراء الهداية و رسل الدعوة المحمدية في يوم واحد إلى إيران، و الروم، و الحبشة، و مصر و اليمامة، و البحرين، و الحيرة، (الأردن) و سوف نقرأ معا

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٥٧

مفصل ما احتوته رسائله صلى الله عليه و آله «١».

(١) و عند ما فرغ من كتابة الرسائل المذكورة قال بعض ذوى الاطلاع و العلم بأحوال بلاطات الملوك آنذاك قالوا لرسول الله صلى الله عليه و آله يا رسول الله:

إن الملوك لا- يقرءون كتاباً إلّا مختوماً، فاتخذ رسول الله صلى الله عليه و آله يومئذ خاتماً من فضة، فصّه منه، نقشه ثلاثة أسطر: محمد رسول الله، في الاعلى لفظة الجلالة و تليه كلمة رسول ثم يليه اسمه الشريف، و ختم به الكتب.

و لم يكتب بهذا بل ختم تلك الرسائل بالشمع أو الطين إمعاناً في السرية، و الحفاظ عليها من التزوير «٢».

(٢)

أوضاع العالم أيام إبلاغ الرسالة العالمية:

كانت الامبراطوريتان (الرومية و الفارسية) تقسمان آنذاك قيادة العالم، و كانت الحروب قائمة بين ذينك المعسكرين على قدم و ساق، و منذ زمن بعيد.

فلقد بدأ الصراع على النفوذ بين إيران و الروم منذ عهد الهخامنشيين، و استمر حتى عصر الساسانيين ملوك ايران.

فكان الشرق تحت النفوذ الايرانى، كما كانت العراق و اليمن و شىء من آسيا الصغرى تعدد من توابع الامبراطورية الإيرانية و مستعمراتها.

و أما الامبراطورية الرومية فقد كانت منقسمة يومذاك إلى معسكرين شرقى و غربى لأن «ثيودوز الكبير» امبراطور الروم قسم بلاده في سنة (٣٩٥) ميلادية بين ولديه، و من هنا ظهرت الروم الشرقية و الروم الغربية.

(٣) و قد انقضت الروم الغربية على أيدي متوحشى و برابرة شمال اوربا، و لكن

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٦٠٦، الطبقات الكبرى: ج ١ ص ٢٦٤، السيرة الحلبية: ج ٣ ص ٢٤١-٢٤٢، بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٣٨٢.

(٢) السيرة الحلبية: ج ٣ ص ٢٤٠ و ٢٤١.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٥٨

الروم الشرقية التي كان مركزها يومذاك «القسطنطينية» وكانت تسيطر على الشام و مصر، فكانت تسيطر أبان ظهور الاسلام على قدر كبير من مقاليد السياسة العالمية إلى أن فتحت القسطنطينية عام (١٤٥٣) على يد السلطان محمد الثاني «محمد الفاتح»، وبذلك غربت شمس دولة الروم الشرقية، و اضمحلت نهائيا.

(١) وقد كانت أرض الحجاز محاصرة بين هذين القطبين و محاطة بهاتين القوتين العظيمتين، و لكن حيث أن أراضي الحجاز لم تكن أراض خصبة، و كان أهلها في الأغلب من الرخيل المتفرقين في البرارى و القفار، لذلك لم تبد كلتا الامبراطوريتين رغبتهما في الاستيلاء على تلك الأراضي، فقد كانت النخوة و الظلم، و الحروب التي اتسمت بها طبيعة و حياة تينك الدولتين تمنعهما من الاطلاع على أى تغيير اجتماعى أو تحول سياسى يقع فى هذه المنطقه من العالم.

فهم لم يكونوا يتصورون قط أن يتمكن شعب- كان بعيدا عن روح الحضارة و المدنية- من وضع نهاية لامبراطوريتهم، بفضل ما أوتوا من ايمان، و إنارة النقاط التي كانت ترزح فى ظلام جور السلطات الرومية و ظلمها بنور الإسلام المشرق، و لو كانوا يعرفون شيئا عن هذه النهضة المشرقة و هذا الانفجار المعنوى العظيم فى بدء حدوثه لقضوا عليه فى أول الأمر، و لم يتركوه يمتد إلى ملكهم، و يقبل كل شىء رأسا على عقب.

(٢)

رسول النبي صلى الله عليه وآله فى أرض الروم:

إشارة

كان قيصر الروم قد عاهد الله إذا غلب الفرس أن يسير الى بيت المقدس من عاصمته: «القسطنطينية» مشيا على القدم للزيارة، شكرا لله، و قد وفى بنذره هذا بعد انتصاره على إيران، و سار مشيا على القدم إلى بيت المقدس.

فكلف «دحية الكلبي» بإيصال كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله الى قيصر، و كان دحية قد سافر مرارا الى الشام، و كان عارفا بمناطقها و عاداتها معرفة كاملة، و كان إلى ذلك جميل الصورة حسن السيرة، و لهذا كان جديرا بتحمل هذه

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٥٩

المسئولية الخطيرة لانتقا لها.

(١) و قد توجه إلى «القسطنطينية» رأسا بعد أن كلفه رسول الله صلى الله عليه وآله و آله بايصال كتابه إلى قيصر، و لكنه ما أن وصل إلى بصرى (من مدن الشام) إلّا و بلغه أن قيصر قد فارقه قاصدا بيت المقدس و لهذا بادر الى الاتصال بحاكم بصرى «١»: «الحارث بن أبى شمر» و اخبره بالمهمة الخطيرة التي جاء من اجلها.

يقول مؤلف الطبقات الكبرى: بعث رسول الله صلى الله عليه وآله دحية بن خليفة الكلبي الى قيصر يدعوه إلى الاسلام، و كتب معه كتابا، و أمره أن يدفعه إلى عظيم بصرى ليدفعه إلى قيصر، (و لعل النبي صلى الله عليه وآله كان يعرف بمغادرة قيصر لعاصمة ملكه أو لعل ذلك الأمر كان مراعاة لامكانيات دحية المحدودة، و كون السفر الى قسطنطينية كان يتطلب جهدا كبيرا أو لا يخلو من محاذير).

فدفعه عظيم بصرى إليه و هو يومئذ بحمص، و ذلك بان استدعى عدى بن حاتم و وجهه مع سفير النبي صلى الله عليه وآله ليوصل كتابه إلى قيصر، فذهب به إليه، و لما أراد الدخول على قيصر قال قومه لدحية: اذا رأيت الملك فاسجد له، ثم لا ترفع رأسك حتى

يأذن لك.

فقال دحية: لا افعل هذا أبدا، ولا أسجد لغير الله! (أى اننى قد جئت لتحطيم هذه السنن الجاهلية المقيته فكيف أخضع لها، انما جئتكم من قبل نبي لا بلّغ ملككم بأن عهد عبادة البشر قد انقضى و انتهى و أنه لا يحق السجود إلّا لله وحده، فكيف يمكننى ذلك و أنا أحمل هذه الرسالة التوحيدية إليكم؟! «٢».

(٢) و لقد أعجب قوم قيصر بمنطق دحية القوى، و موقفه الصلب، فقال له رجل منهم: أنا أدلك على أمر يؤخذ فيه كتابك، و لا تسجد له، ضع صحيفتك تجاه

(١) كانت بصرى مركز محافظة حوران التى كانت تعدّ من مستعمرات قيصر. و كان الحارث بن أبى شمر- و بصورة عامة- جميع ملوك بنى غسان، من ولاة قيصر على تلك المناطق.

(٢) الطبقات الكبرى، ج ١ ص ٢٥٩.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٦٠

المنبر فان أحدا لا يحركها حتى يأخذها هو، ثم يدعو صاحبها فشكر دحية الرجل، و أخذ بنصيحته، و فعل ما اشار به.

فلما أخذ قيصر الكتاب وجد عليه عنوان كتاب العرب فدعا الترجمان الذى يقرأ بالعربية فاذا فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم. من محمّد بن عبد الله إلى هرقل عظيم الرّوم سلام على من اتبع الهدى.

أما بعد فأنى أدعوك بدعاية الاسلام أسلم تسلم يؤتتك الله اجرک مرّتين.

فإن تولّيت فإنما عليك إثم الأريسيين «١» و يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا و بينكم، ألّا نعبد إلّا الله و لا نشرك به شيئا و لا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله، فإن تولّوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون محمّد رسول الله».

(١)

قيصر يحقّق حول النبى:

احتمل حاكم الروم اللبيب أن يكون كاتب هذه الرسالة هو: «احمد الموعود» الذى بشرت به الانجيل و التوراه، و لهذا قرّر أن يحقّق حول شخصيته، و يتعرف على خصوصيات حياته، الدقيقة.

فبعث أحدا إلى الشام فوراً ليأتى له بقريب لمحمّد، أو من يعرف شيئا عنه.

حتى يسأله عن شخصيّة رسول الاسلام صلى الله عليه و آله فاتفق أن كان أبو سفيان بن حرب يومذاك بالشام للتجارة فى ركب من قريش، فأخذهم

(١) بين العلماء فى تفسير هذه اللفظة خلاف، فيقول ابن الاثير: قيل هم الخدم و الخول و قال بعض:

هم الاكّارون (أى الفلاحون) لأن اكثر الناس يومذاك كانوا من الفلاحين، و هم اطوع الناس للحاكم.

و يؤيد هذا الرأى الاخير أنه جاء فى بعض النسخ (الكامل: ج ٢ ص ١٤٥) كلمة الأكارين بدل الاريسيين و الاكار هو المزارع، و احتمل البعض أن يكون الاريسيون طائفة كانت تعيش فى الروم.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٦١

صاحب شرطة «قيصر» إلى بيت المقدس، فادخلهم على «قيصر» فى مجلسه و حوله عظماء الروم.

فقال قيصر: أيكم أقرب نسبا بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟.

فقال أبو سفيان: أنا أقربهم نسبا.

فقال قيصر: أدنوه مني، وقرّبوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره، ثم قال لترجمانه:

قل لهم: إني سائل هذا عن هذا الرجل، فان كذّبتني فكذّبوه.

(١) ثم طرح قيصر على أبي سفيان الاسئلة التالية:

١- كيف نسب محمّد فيكم؟

هو فينا ذو نسب.

٢- فهل قال هذا القول منكم أحد قبله؟

لا.

٣- فهل كان في آباءه من ملك؟

لا.

٤- فأشرف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟

بل ضعفاؤهم.

٥- أ يزيدون أم ينقصون؟

بل يزيدون.

٦- فهل يرتدّ منهم أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟

لا.

٧- فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟

لا.

٨- فهل يغدر؟

لا.

٩- فهل قاتلتموه؟

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٦٢

نعم.

١٠- فكيف كان قتالكم إياه؟

الحرب بيننا وبينه سجال، ينال منا، و ننال منه.

١١- فما ذا يأمركم؟

اعبدوا الله وحده، و لا تشرکوا به شيئا، و اتركوا ما يقول آباؤكم، و يأمرنا بالصلاة و الصدقة و العفاف و الصلوة، و يأمرنا بالوفاء بالعهد و أداء الأمانة.

(١) فقال قيصر للترجمان قل لأبي سفيان و من معه: إن كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمي هاتين فهذه صفة نبي، و قد كنت

اعلم أنه خارج لم اكن أظنه منكم، فلو أنّي أعلم أنّي أخلص إليه لتجشمت لقاءه، و لو كنت عنده لغسلت قدميه!!

فاعترض ابن أخي قيصر على كتاب رسول الله و قال لعمه: قد ابتدأ بنفسه و سَمّاك صاحب الروم.

فقال قيصر: و الله انك لضعيف الرأي. أ ترى أرمى بكتاب رجل يأتيه الناموس الاكبر، و هو أحق أن يبدأ بنفسه، و لقد صدق أنا

صاحب الروم، والله مالكي، مالكة.
 (٢) قال أبو سفيان: فلما فرغ من قراءة الكتاب ارتفعت الاصوات عنده، وكثر اللغط، فأمر بنا فاخرجنا قال: قلت لأصحابي حين خرجنا: لقد أمر أمر ابن أبي كبشة، أنه ليخافه ملك بني الأصفر.
 و روى أيضا أن أبا سفيان قال: لما سألت قيصر عن رسول الله جعلت ازهد له شأنه، و اصغر له أمره و اقول له: أيها الملك، ما يهّمك من أمره، إن شأنه دون ما يبلغك، و جعل قيصر لا يلتفت إلى ذلك، ثم قال: أنبئني عما أسألك من شأنه «١».

(١) بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٣٨٤-٣٨٦، تاريخ الطبري: ج ٢ ص ٢٩٠ و ٢٩١.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٦٣

(١)

أثر رسالة النبي إلى قيصر:

لم يكتف قيصر بالمعلومات التي حصلها من أبي سفيان حول رسول الاسلام صَلَّى الله عليه وآله بل كتب إلى أحد علماء الروم و أسأفتهم يسألهم عن هذا الأمر.
 فأجابه ذلك الاسقف: هذا النبي الذي كنا ننتظره، بشرنا به عيسى بن مريم.
 فعمد قيصر إلى خطة ليحسّ بها نبض قومه، و يختبرهم و يعرف ما اذا كانوا يرضون باسلامه أولا، فجمع عظماءهم في صومعة له بحمص فقال: يا معشر الروم هل لكم في الفلاح و الرشده، و ان يثبت لكم ملككم و تتبعون ما قال عيسى بن مريم.
 فقالت الروم: و ما ذاك أيها الملك؟
 قال: تتبعون هذا النبي العربي.
 فثاروا في وجهه، و رفعوا الصليب، فلما رأى منهم ذلك يئس من اسلامهم و خافهم على نفسه و ملكه، فسكنهم ثم قال: إنما قلت لكم ما قلت اختبركم لأنظر كيف صلابتكم في دينكم، فقد رأيت منكم الذي احبّ. فسكنوا و رضوا عنه.
 ثم أمر باكرام دحية، و كتب جوابا على رسالة النبي صَلَّى الله عليه وآله و أرسله مع دحية و ارسل بهدية الى النبي صَلَّى الله عليه وآله «١».

(٢)

سفير النبي في البلاط الإيراني:

إشارة

يوم توجه سفير رسول الله صَلَّى الله عليه وآله بكتابه إلى البلاط الإيراني

(١) الطبقات الكبرى: ج ١ ص ٢٥٩-٢٦٠، السيرة الحلبية: ج ٣ ص ٢٤٥-٢٤٦، الكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٤٤، بحار الأنوار: ج ٢٠

ص ٣٧٩

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٦٤

كان الملك الذي يحكم هذه الأرض الواسعة هو «خسروا برويز» ثاني ملك بعد انوشيروان، الذي جلس على العرش الملكي الإيراني مدة ٣٢ عاما قبل الهجرة النبوية المباركة.

وقد واجهت حكومته هذا الملك خلال مدة سلطانه أنواعا عديدة من الحوادث المرة والحلوة، وكانت مكانة إيران في عهده تعاني من الاضطراب، وعدم الاستقرار بشكل ملحوظ.

(١) وقد امتد النفوذ الإيراني ذات يوم حتى شمل آسيا الصغرى، وامتد إلى مشارف القسطنطينية، وأتى بصليب عيسى الذي كان أقدس شيء عند النصارى إلى طيسفون (المدائن)، فطلب سلطان الروم الصلح وبعث سفيرا من قبله إلى البلاط الإيراني لعقد معاهدة الصلح.

بيد أن سوء تدبير الملوك في تلك الدولة العظمى، وانغماسهم في اللذة والمجون أكثر من المتعارف تسبب في أن تصبح إيران على حافة السقوط والانهيار في أواخر العهد الساساني، فقد خرجت المستعمرات من تحت النفوذ الإيراني الواحدة تلو الأخرى، واجتاح العدو الرومي الأراضي الإيرانية إلى الأعماق، ووصل الأمر بخسروبرويز امبراطور إيران إلى أن يهرب من وجه الروم الغزاة، وقد أثار هذا الهروب الخانع وهذه الهزيمة المنكرة سخط الشعب يومذاك، فقتل بيد ابنه «شرويه».

(٢) ويعزى محللوا التاريخ القديم تخلف إيران وضياع قوتها إلى غرور قادتها وحكامها وميلهم إلى البذخ والترف، وبلهنية العيش ورغد الحياة، والزينة واللذة. ولو كان ذلك الملك يتلقى رسالة السلام التي عرضها الاسلام بالصورة اللائقة لبقيت عظمة إيران على حالها في ظل هذا السلام دون أن يصيبها ما أصابها.

ولو أن رسالة رسول الاسلام لم تترك أثرا حسنا في نفس «خسروا برويز» يومذاك فان ذلك لم يكن لتقصير أو عيب في تلك الرسالة أو في سلوك حاملها

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٦٥

إلى البلاط الإيراني، بل كان لنفسية ذلك الحاكم المغرور، المنحرفة، وأنانيته الطاغية، التي لم تسمح له بالتفكير بعض اللحظات في كتاب رسول الاسلام صلى الله عليه وآله كما فعل «قيصر»، أو غيره. بل لم يمهل المترجم حتى ينتهي من قراءة كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله، إنما صاح به في تلك الاثناء، وأخذ منه رسالة النبي صلى الله عليه وآله ومزّقاها بوقاحة بالغة، واسلوب بالغ في الجفاف، وسوء الادب.

وإليك تفصيل الحادث:

(١) في مطلع السنة الهجرية السابعة بعث رسول الله صلى الله عليه وآله أحد فرسانه الشجعان وهو «عبد الله بن حذافة السهمي»، إلى إيران وكتب معه كتاب إلى «خسروا برويز» ملك إيران يومذاك يدعوه فيه إلى الاسلام وامره أن يدفع الكتاب إلى كسرى نفسه وإليك نص هذه الرسالة:

«بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس.

سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله، واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله. أدعوك بدعاية الله، فإنني أنا رسول الله كافة لا نذر من كان حيا، ويحق القول على الكافرين أسلم تسلم، فان أبيت فعليكم اثم المجوس».

(٢) فلما دخل سفير النبي صلى الله عليه وآله على «خسروا برويز» أمر بأن يؤخذ منه كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله ولكن عبد الله بن حذافة قال: لا حتى أدفعه إليك كما امرني رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم دنا وسلم الكتاب فدعى كسرى بترجمه ليقرأ الكتاب، فلما قرأه، فاذا فيه: من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس أغضبه حين بدأ رسول الله بنفسه، وصاح، وأخذ الكتاب فمزقه قبل أن يعلم ما فيه وقال: يكتب إلي بهذا.

ثم أمر باخراج حامل الكتاب من قصره، فاخرج عبد الله بن حذافه السلمى، و لما رأى ذلك قعد على راحلته و سار حتى وصل إلى
النبي صلى الله

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٦٦

عليه وآله، فاخبره الخبر، فغضب النبي صلى الله عليه وآله من موقف كسرى فدعا عليه قائلاً: اللهم مزق ملكه «١».
(١)

نظريه اليقوبى:

و يختلف ابن واضح الاخبارى المعروف باليقوبى فى تاريخه- مع عامه المؤرخين-: قرأ كتاب النبي صلى الله عليه وآله ثم كتب
كتاباً إليه جعله بين سرتى حرير و جعل فيهما مسكاً، فلما دفعه الرسول إلى النبي فتحه فاخذ قبضه من المسك فشتمه، و ناوله أصحابه،
و قال: لا حاجة لنا فى هذا الحرير، ليس من لباسنا، و قال: لتدخلن فى أمرى أو لآتينك بنفسى و من معى، و أمر الله اسرع من ذلك.
(٢)

و لكن هذا رأى ينفرد به اليقوبى و لا يوافقه عليه أحد من أرباب السير إلّا احمد بن حنبل الذى يقول: أهدى كسرى لرسول الله
صلى الله عليه وآله فقبل منه «٣».
(٢)

أوامر «خسرو» إلى واليه على اليمن:

تقع أرض اليمن الخصبة فى جنوب مكه، و كان ملوكها و حكامها ولاءً منصوبين من قبل البلاط الايرانى بأجمعهم، و كان الذى
يحكم اليمن يوم مراسله النبي لقادة العالم و ملوكه رجل يدعى «باذان» فكتب طاغية ايران المغرور «خسرو» بعد أن مزق رساله النبي
إلى عامله باليمن (باذان):

بلغنى أن فى أرضك رجلاً يتتبعاً فاستتبه، فان تاب و آلا فابعث به إلى.

فبعث «باذان» رجلين من فرسانه يدعى أحدهما: «فيروز» و الآخر «خرخسره» و كتب معهما كتاباً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله
يأمره فيه أن

(١) الطبقات الكبرى: ج ١ ص ٢٦٠.

(٢) تاريخ اليقوبى: ج ١ ص ٦٦.

(٣) مسند احمد بن حنبل: ج ١ ص ٩٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٦٧

ينصرف معهما إلى كسرى أو أن يجبراه على الرجوع الى دين آباءه و ان أبى قتلوه و أرسلوا برأسه الى الملك حسب روايه ابن حجر
فى الاصابه.

(١) إن رساله كسرى إلى «باذان» يكشف عن جهل هذا الحاكم، و عدم معرفته بما كان يجرى فى بلاده و مستعمراته، فقد بلغ من
جهله أنه لم يكن يعلم أن هذا الرجل الذى يدعى النبوه «١» قد مضى على ادعائه النبوه أكثر من ١٩ عاماً.

ثم إن الذى ادعى النبوه فى منطقه نائية، و انتشر دينه، و أصبح من القوة و الشوكه بحيث يجرأ على مراسله الامبراطور، و دعوته إلى

دينه لا يمكن أخذه و احضاره إلى اليمن بواسطة رجلين. و أن الأمر - بالتالي - لن يتم بمثل هذه السهولة، و البساطة، التي تصورها. و على كل حال لما قدم مبعوثا «بازان» المدينة و دخلا على رسول الله صلى الله عليه و آله قدام رسالة «بازان» إليه صلى الله عليه و آله و قالوا: لقد بعثنا «بازان» إليك لتنتقل معنا، فان فعلت كتب فيك إلى ملك الملوك بكتاب ينفعك، و يكف عنك به، و إن أبيت فهو من قد علمت، فهو مهلكك و مهلك قومك و مخرب بلادك.

(٢) و كانا قد دخلا على رسول الله صلى الله عليه و آله و قد حلقا لحاهما و أطلقا شواربهما، فاستمع رسول الله صلى الله عليه و آله إلى كلامهما، و قبل أن يجيب على مطلبهما دعاهما إلى الاسلام، و قد كره النظر إليهما لما كانا عليه من الهيئة فقال لهما: من أمركما بهذا؟! قالوا: أمرنا بهذا ربنا (يعنيان كسرى) فقال رسول الله صلى الله عليه و آله: «لكن ربى أمرنى بإعفاء لحيتى و قص شاربى» (٢).

فأرعبتهما هيبه رسول الله صلى الله عليه و آله و جلال محضره، بحيث أخذا

(١) حسب تعبير كسرى.

(٢) الكامل فى التاريخ: ج ٢ ص ١٤٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٦٨

يرتجفان عند ما عرض رسول الله الاسلام عليهما.

ثم قال لهما رسول الله صلى الله عليه و آله:

«ارجعا حتى تأتياى غدا».

(١) و فى هذه الاثناء أتى رسول الله صلى الله عليه و آله الخبر من السماء أن الله عز و جل قد سلط على كسرى ابنه شيرويه، فقتله فى شهر كذا و كذا و كذا لكذا، و كذا من الليل.

فلما حضر الرجلان (مبعوثا بازان) عند رسول الله صلى الله عليه و آله من غد قال لهما رسول الله صلى الله عليه و آله:

«إن ربى قد قتل ربكما ليلئ كذا و كذا من شهر كذا و كذا. بعد ما مضى من الليل كذا و كذا سلط عليه شيرويه فقتله» (١)

و كانت الليلة التي ذكرها رسول الله صلى الله عليه و آله هى ليلة الثلاثاء العاشر من شهر جمادى الاولى سنة سبع من الهجرة.

فاستغرب الرجلان لخبر رسول الله صلى الله عليه و آله و قال: هل تدرى ما تقول؟ إنا قد نعمنا منك ما هو أيسر من هذا. فنكتب بها عنك و نخبر الملك (أى بازان).

فقال رسول الله صلى الله عليه و آله:

«نعم أخبراه ذلك عنى و قولاً له: إن دينى و سلطانى سيبلغ ما بلغ ملك كسرى، و ينتهى إلى منتهى الخف و الحافر، و قولاً له: إن أسلمت اعطيتك ما تحت يديك، و ملكتك على قومك».

(٢) ثم أعطى رسول الله صلى الله عليه و آله لخرخره منطقة (أى حراماً) فيها ذهب و فضة كان أهداها له بعض الملوك، فخرجا من عنده حتى قدما على بازان باليمن و أخبراه الخبر.

(١) الطبقات الكبرى: ج ١ ص ٢٦٠، بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٣٨٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٦٩

فقال بازان: و الله ما هذا بكلام ملك و إنى لأرى الرجل نيباً كما يقول، و لنظر ما قد قال، فلئن كان ما قد قال حقاً فانه لا ريب نبي مرسل، و إن لم يكن فسرى فيه رأينا.

فلم يلبث أن قدم عليه كتاب شيرويه: أما بعد فاني قد قتلت كسرى و لم اقتله إلا غضبا لفارس، لما كان استحل من قتل أشرافهم، فاذا جاءك كتابي هذا فخذ لي الطاعة ممن قبلك، و انظر الرجل الذي كان كسرى كتب إليك فيه فلا تهجه حتى يأتيك أمرى فيه. و قد تسبب كتاب «شيرويه» هذا في أن يعتنق «بازان» الاسلام هو و جميع رجال دولته و كانوا من الفرس، و كتب إلى رسول الاسلام صلى الله عليه وآله يخبره بإسلامه و اسلام أعضاء حكومته (١).

(١)

سفير النبي في أرض مصر:

إشارة

تعتبر «مصر» مهد الحضارات و المدنيات العريقة، و مركز سلطان الفراعنة، و موضع سيادة الاقباط. و يوم أشرقت شمس الاسلام على أرض الحجاز كانت «مصر» قد فقدت استقلالها، و قوتها، و كان المقوقس قد فوض إليه حكم «مصر» من قبل قيصر الروم لقاء ١٩ مليون دينار يدفعها الى قيصر. و كان «حاطب بن أبى بلتعنة»- و كان فارسا بارعا و له قصة في تاريخ الاسلام سيأتى ذكرها في حوادث السنة الثامنة- احد الستة الذين كلّفوا بابلاغ كتب رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الملوك و الرؤساء يومذاك و قد أمره رسول الله صلى الله عليه وآله بإيصال كتابه إلى المقوقس حاكم «مصر». و إليك نص كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المقوقس:

(١) بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٣٩١.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٧٠

(١) «بسم الله الرحمن الرحيم من محمّد بن عبد الله إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى. أما بعد فإني أدعوك بدعاية الاسلام، أسلم تسلم، و أسلم يؤتتك الله أجرك مرّتين، فإن تولّيت فإنما عليك إثم القبط (و يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا و بينكم أن لا نعبد إلا الله و لا نشرك به شيئا و لا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون)» (١).

فخرج «حاطب» بكتاب رسول الله صلى الله عليه وآله حتى قدم «مصر»، و أراد الدخول على حاكمها، «المقوقس» علم بأنه يسكن في أحد قصوره الشامخة على ضفاف النهر، في الإسكندرية، فركب زورقا، نقله إلى قصر «المقوقس».

(٢) فلما وصل «حاطب» إلى قصر «المقوقس» أكرمه و أخذ كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله و قرأه، و فكّر في مضمونه بعض الوقت، ثم قال لسفير النبي صلى الله عليه وآله: ما منعه إن كان نبيا أن يدعو على من خالفه (أى من قومه) و أخرجوه من بلده إلى غيرها أن يسلم عليهم.

فقال حاطب و كان حكيما فهيمًا: أ لست تشهد أن عيسى بن مريم رسول الله؟

فماله حيث أخذه قومه فأرادوا أن يقتلوه أن لا يكون دعا عليهم أن يهلكهم الله تعالى حتى رفعه الله إليه؟

فأعجب المقوقس- الذى لم يكن يتوقع أن يجابه بهذا المنطق القوى المفحم- برد حاطب و قال له: أحسنت، أنت حكيم جاء من عند حكيم (٢).

(٣) فتجراً حاطب لما رأى هذا الموقف الخاضع من ملك مصر وقال: إنه كان قبلك رجل يزعم أنه الرب الأعلى (يعنى فرعون) فأخذته الله نكال الآخرة

(١) السيرة الحلبية: ج ٣ ص ٢٤٩، الدر المنثور: ج ١ ص ٤٠، أعيان الشيعة: ج ١ ص ٢٤٤.

(٢) اسد الغابة: ج ١ ص ٣٦٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٧١

والاونى، فانتقم به، ثم انتقم منه فاعتبر بغيرك، ولا يعتبر بغيرك بك، ان هذا النبي صلى الله عليه وآله دعا الناس فكان أشدهم عليه قريش، و أعداهم له اليهود، و أقربهم منه النصرارى و لعمرى ما بشاره موسى بعبسى عليهما الصلاة و السلام إلاً كبشاره عيسى بمحمد صلى الله عليه وآله و ما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلاً كدعائك أهل التوراة إلى الانجيل، و كل نبى أدرك قوما فهم أمته، فالحق عليهم أن يطيعوه، فانت ممن أدرك هذا النبي، و لسنا ننهاك عن دين المسيح عليه السلام و لكننا نأمرك به. و هو يقصد بكلامه الأخير أن الاسلام هو الصورة الاكمل لدين المسيح.

(١) انتهى الحوار بين حاطب سفير النبي صلى الله عليه وآله و المقوقس حاكم مصر إلاً أن المقوقس لم يعطه جواباً قاطعاً فى ذلك المجلس، فكان على حاطب أن يلبث فى مصر مدة حتى يتلقى جواب كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله «١». ثم طلب المقوقس حاطباً ذات يوم و انفرد به فى قصره، و سأله عن ما جاء به رسول الله و إلى م يدعو؟ فقال له حاطب: إلى أن نعبد الله وحده، و يأمر بالصلاة، خمس صلوات فى اليوم و الليلة و يأمر بصيام رمضان، و حج البيت، و الوفاء بالعهد، و ينهى عن أكل الميتة و الدم .. و ... و ...

فقال له المقوقس: صفه لى.

قال حاطب: فوصفت فأوجزت.

فقال المقوقس: مصدقاً ما ذكره حاطب من أوصاف رسول الله صلى الله عليه وآله: هذه صفته، و كنت أعلم أن نبياً قد بقى، و كنت اظن أن مخرجه بالشام و هناك كانت تخرج الأنبياء من قبله، فأراه قد خرج فى أرض العرب، فى أرض جهد و بؤس، و القبط لا تطاوعنى فى أتباعه، و سيظهر على البلاد، و ينزل أصحابه من بعد بساحتنا هذه، حتى يظهروا على ما هاهنا.

(١) السيرة الحلبية: ج ٣ ص ٢٥٠.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٧٢

ثم طلب المقوقس من حاطب أن يكتم أمر هذا الحوار الذى دار بينه و بين حاطب عن قومه قائلا: و أنا لا أذكر للقبط من هذا حرفاً واحداً، و لا أحب أن يعلم بمحادثتى (أو بمحاورتى) إياك «١».

ثم إنه اكرم حاطباً مدة اقامته بمصر إكراماً بالغا، و أحسن قراه، و ضيافته «٢».

(١)

المقوقس يكتب كتاباً إلى النبي:

ثم إن حاكم «مصر» المقوقس دعا كاتبه العربى، و أمره أن يكتب كتاباً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله هذا نصه: بسم الله الرحمن الرحيم. لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط، سلام عليك، أما بعد فقد قرأت كتابك، و فهمت ما ذكرت

فيه، و ما تدعو إليه، و قد علمت أن نبياً قد بقي، و قد كنت أظن أنه يخرج بالشام و قد أكرمت رسولك، و بعثت إليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم، و بثياب، و أهديت إليك بغلة لتركبها و السلام عليك «٣».

إن الاحترام الذي أبداه «المقوقس» في رسالته المذكورة، و تقديم اسم النبي صلى الله عليه وآله على اسمه و كذا هداياه التي بعثها إلى رسول الاسلام صلى الله عليه وآله و تكريم سفير النبي صلى الله عليه وآله كلها تحكى عن أن المقوقس قبل دعوة النبي صلى الله عليه وآله في سرّه و لكن حبه في البقاء في السلطه منعه من التظاهر بايمانه و إسلامه، و من الانقياد العمليّ و العلنيّ للاسلام. خرج «حاطب» بصحبه جماعه من الحرس المحافظين و هو يحمل الهدايا التي بعثها المقوقس من عند المقوقس و لما وصل الى الشام أذن للمحافظين بالانصراف ثم واصل هو سفره ضمن قافله إلى المدينة، و لما قدم المدينة على رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) سيرة زيني دحلان: ج ٣ ص ٧١.

(٢) الطبقات الكبرى: ج ١ ص ٢٦٠.

(٣) الطبقات الكبرى: ج ١ ص ٢٦٠.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٧٣

الله عليه وآله سلم إليه كتاب المقوقس و هداياه قال رسول الله صلى الله عليه وآله.

«ضنّ بملكه، و لا بقاء لملكه» «١».

(١)

المغيرة بن شعبه في البلاط المصري:

توجه المغيرة بن شعبه الذي كان معروفاً بحكمه و عقله و دهائه، و الذي اصبح في ما بعد من رجال السياسة العرب و دهاتها المعروفين.

توجه في جمع من قبيلة ثقيف إلى البلاط المصري، فسألهم كبير المصريين (المقوقس):

كيف خلصتم إليّ، و بيني و بينكم محمّد و أصحابه.

فقال: لصقنا بالبحر.

قال: فكيف صنعتم فيما دعاكم إليه؟

قالوا: ما تبعه منا رجل واحد.

قال: فكيف صنع قومهم؟

قالوا: تبعه أحدانهم، و قد لاقاه من خالفه في مواطن كثيرة.

قال: فإلى ما ذا يدعو؟

قالوا: إلى أن نعبد الله وحده، و نخلع ما كان يعبد آباؤنا، و يدعو إلى الصلاة، و الزكاة، و يأمر بصله الرحم، و وفاء العهد، و تحريم الزنا، و الربا، و الخمر.

(٢) فقطعهم المقوقس قائلاً: هذا نبي مرسل إلى الناس كافة، و لو أصاب القبط، و الروم لا تبعوه، و قد أمرهم بذلك عيسى، و هذا الذي تصفون منه نعت الأنبياء من قبله، و ستكون له العاقبة حتى لا ينازعه أحد، و يظهر دينه إلى منتهى الخفّ و الحافر.

(١) الطبقات الكبرى: ج ١ ص ٢٦٠ وغيره.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٧٤

(١) فاستاء رجال ثقيف من هذا الكلام و قالوا بكل صلافة و وقاحة: لو دخل الناس كلهم معه ما دخلنا معه.

فهزّ المقوقس رأسه ساخرا بهم و قال: أنتم في اللعب «١». بيد ان هذه الرواية لا توافق بقية المصادر التاريخية لان النبي صلى الله عليه و آله كاتب ملوك العالم و قاداته في السنة السابعة من الهجرة، على حين كان المغيرة في معركة الخندق قد آمن، و كان في الحديبية في صفوف المسلمين، حتى أنه كان بينه و بين مندوب قريش المفاوض عروة بن مسعود الثقفي مشاجرة مر ذكرها عند استعراض قصة الصلح.

و على فرض صحة هذه الرواية لا بد من القول بأن المغيرة لم يكن في وفد ثقيف.

(٢) و في الختام ينبغي أن نلفت نظر القارئ الكريم إلى أن الواقدي نقل نص رسالة النبي إلى عظيم القبط بصورة اخرى.

و لكن أسلوب الرسالة و عباراتها تدل على أن هذه الصورة لا أساس لها من الصحة، لأنها تتضمن تهديدا من رسول الله صلى الله عليه و آله لعظيم القبط بالحرب و الغزو اذ جاء فيه: «و أمرني (أى الله) بالإعذار و الانذار، و مقاتلة الكفار حتى يدينوا بديني» «٢». و مما لا شك فيه أن هذا غير صحيح لأن امكانيات المسلمين في ذلك اليوم لم تكن لتسمح لهم بمقاتلة المكيين فكيف يغزو «مصر» و هي منطقة نائية جدا.

هذا مضافا إلى أن صدور مثل هذا الكلام عن النبي في أول دعوة له إلى الاسلام لا يتلاءم و نفسه و خلق ذلك الرجل العظيم الذي كان يقدر الظروف آنذاك أفضل من غيره.

(١) السيرة الدحلانية: ج ٣ ص ٧٠.

(٢) فتوح الشام: ج ٢ ص ٢٣.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٧٥

(١)

سفير النبي صلى الله عليه وآله في أرض الذكريات «الحبشة»:

إشارة

تقع «الحبشة» في آخر إفريقيا الشرقية و تبلغ مساحتها ١٨٠٠ كيلومترا مربعا، و عاصمتها اليوم: أديس أبابا.

و لقد تعرّف الشرقيون على هذه الأرض قبل ظهور الاسلام بقرن، و ذلك على أثر هجوم الجيش الايراني الذي تمّ في عهد حكومة الملك الفارسي «انوشيروان»، و بلغ هذا التعرّف و التردد ذروته في هجرة المسلمين من مكة إلى الحبشة (الهجرة الأولى و الهجرة الثانية).

و يوم قرر رسول الله صلى الله عليه و آله أن يبعث سته من خيرة رجاله الشجعان إلى نقاط مختلفة، و نائية من العالم لإبلاغ نداء رسالته العالمية كلف:

«عمرو بن امية الضميري» بأن يأخذ كتابه إلى الحبشة، و يسلمه إلى النجاشي ملكها العادل الطيب.

على أن الكتاب الذي ستقرأ نصّه قريبا ليس هو الكتاب الوحيد الذي بعثه رسول الاسلام صلى الله عليه و آله إلى النجاشي، بل سبق

أن كتب صلى الله عليه وآله قبل هذا يوصيه بالمهاجرين المسلمين، و يطلب منه فيه أن يلفظ بهم، و يراهم، و لا يزال نصّ هذين الكتابين موجودا في المصادر التاريخية الإسلامية (١).
 (٢) و ربما حصل اشتباه بين هذين الكتابين (الرسالة التي بعثها النبي لابلاغ دعوته العالمية، و الرسالة التي أوصى فيها النجاشي بالمهاجرين) فخلط بعض المؤرخين بين عبارتهما.
 و يوم قدم سفير النبي بكتاب الدعوة إلى الاسلام، الحبشة على النجاشي كان بعض المهاجرين المسلمين لا يزالون في أرض الحبشة، يعيشون في كنف

(١) تاريخ الطبري: ج ٢ ص ٢٩٤.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٧٦

النجاشي و حمايته، بينما عاد بعضهم من قبل إلى المدينة، و هم يحملون أجمل الذكريات و الخواطر عن عدل حاكمها الطيب «النجاشي»، و لطفه، و حسن وفادته.

(١) من هنا كانت أرض الحبشة في نظر المسلمين تعتبر أرض الذكريات الجميلة و الخواطر الحلوة، و كانوا يمدحون حاكمها و يصفونهم بالعدل و الاستقامة. و لو اننا لا حظنا في كتاب النبي صلى الله عليه وآله إليه نوعا من اللطف، و اللين في القول فان ذلك مردّه إلى معرفه رسول الله صلى الله عليه وآله بنفسه النجاشي و خلقه و حسن موقفه.

فانك لا تجد لتهديدات رسول الله صلى الله عليه وآله في كتبه و رسائله الاخرى إلى الملوك و الزعماء، بالعقاب الالهى إن رفضوا القبول بدعوته، و حملهم مسئولية شعوبهم في عبارات صريحة و قاطعة، أى أثر في هذا الكتاب.

(٢) فقد كتب رسول الله صلى الله عليه وآله إلى النجاشي ما يلي:

«بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة.

سلام عليك، أحمد الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، و أشهد أن عيسى بن مريم روح الله و كلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت بعيسى، حملته من روحه، و نفخه، كما خلق آدم بيده، و إنى أدعوك إلى الله وحده لا شريك له و الموالة على طاعته، و أن تتبعنى و توقن بالذى جاءنى، فإنى رسول الله صلى الله عليه وآله، و إنى أدعوك و جنودك و قد بلغت و نصحت فاقبلوا نصيحتى و السلام على من اتبع الهدى» (١).

لقد بدأ رسول الله صلى الله عليه وآله كتابه بالتسليم على حاكم الحبشة و أرسل إليه بتحياته الشخصية، و لكنه لم يفعل هذا في كتاب غيره، فلم يرسل بتحياته الشخصية الى «كسرى» و «قيصر» و «المقوقس» حكام إيران و الروم

(١) السيرة الحلبية: ج ٣ ص ٢٤٨، إعلام الورى: ص ٤٥ و ٤٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٧٧

و مصر، بل بدأ كتبه إليهم بالسلام العام حيث قال: «السلام على من اتبع الهدى».

(١) و لكنه صلى الله عليه وآله سلم في كتابه هذا، على النجاشي نفسه، و قال: «السلام عليك»، و بهذا خصّه دون غيره من الزعماء و الملوك باحترام و تكريم خاصين.

و لقد أشار صلى الله عليه وآله في هذا الكتاب الى جملة من صفات الله البارزة التي تدلّ جميعها على تنزهه سبحانه، و عظمتة و جلاله.

ثم أشار إلى مسألة ألوهية المسيح (التي هي من ولائد التفكير الكنسى المنحط) و ردّ على ذلك باستدلال قوى خاصّ مستلهم من

القرآن الكريم. حيث قايس ولادة المسيح عليه السلام بخلقه آدم، وأثبت ان ولادة شخص من دون أب لو كان دليلاً على ألوهيته، أو كونه ابناً لله، لصح ذلك في حق آدم، الذي خلق من غير أب ولا أم، ولكن لا يرى أحد فيه مثل هذا الرأي. ثم ختم صلى الله عليه وآله كتابه هذا باخراج دعوته في لباس النصح والموعظة، تجنباً من إظهار نفسه بمظهر الأمر. (٢)

محاورة سفير النبي و حاكم الحبشة:

لما مثل سفير النبي صلى الله عليه وآله أمام النجاشي قال للنجاشي: يا أصحمة إن عليّ القول، و عليك الاستماع، إنك كأنك في الرقة علينا منا، و كأننا في الثقة بك منك لأننا لم نظن بك خيراً قط إلا لناه، و لم نحفظك على شرّ قط إلا أمناه، و قد أخذنا الحجة عليك من قبل آدم، و الانجيل بيننا و بينك شاهد لا يرد، و قاض لا يجور، و في ذلك موقع الخير، و اصابه الفضل، و إلا فأنت في هذا النبي الامي كاليهود في عيسى بن مريم، و قد فرق رسله إلى الناس فرجاً كما لم يرجهم له، و أمنك على ما خافهم عليه لخير سالف، و أجر ينتظر. فقال النجاشي: أشهد بالله أنه للنبي الذي ينتظره أهل الكتاب، و إن سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٧٨

بشارة موسى براكب الحمار، كبشارة عيسى براكب الجمل، و انه ليس الخبر كالعيان، و لكن أعوانى من الحبشة قليل، فانظرني حتى أكثر الأعوان، و أئين القلوب و لو استطيع أن آتية لأتية «١». (١)

رسالة النجاشي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله:

ثم كتب كتاباً إلى النبي صلى الله عليه وآله هذا نصه: «بسم الله الرحمن الرحيم؛ إلى محمّد رسول الله من النجاشي، سلام عليك يا نبي الله و رحمته الله و بركاته، الذي لا إله إلا هو، الذي هداني إلى الإسلام. أما بعد، فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى، فو ربّ السماء و الأرض إن عيسى ما يزيد على ما ذكرت ثفروفا «٢» إنه كما قلت و قد عرفنا ما بعثت به إلينا، و قد قربنا ابن عمك و أصحابك، و أشهد أنك رسول الله صلى الله عليه وآله و قد بايعتك و بايعت ابن عمك و أسلمت على يديه لله ربّ العالمين، و قد بعثت إليك يا نبي الله فان شئت أن آتيك لفعلت يا رسول الله صلى الله عليه وآله فأني أشهد أن ما تقول حق و السلام عليك و رحمته الله و بركاته» «٣» ثم إن النجاشي بعث بهدايا خاصّة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله و كتب إليه رسول الله صلى الله عليه وآله بعد ذلك كتابين آخرين أيضاً، و كان في كلّ مرة يحترم كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله و يقبله و يضعه على عينيه. (٢)

تقييم سريع لمراسلة النبي صلى الله عليه وآله قادة العالم:

ربما تصوّر بعض العارفين بأحوال الساسة في ذلك اليوم أن دعوة رسول الله صلى الله عليه وآله لحكام و شعوب العالم يومذاك

كان أمرا خارج المؤلف و عملا

(١) السيرة الحلبية: ج ٣ ص ٢٤٨، الطبقات الكبرى: ج ١ ص ٢٥٩.

(٢) الثفروق: الاقمام التي تلزق بالبسر.

(٣) تاريخ الطبري: ج ٢ ص ٢٩٤، بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٣٩٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٧٩

غير متعارف، و لكن مضي الزمان أثبت أن ذلك العمل كان من وظائف النبي و مهامه الاساسية.

(١) أولا: ان إرسال ستة سفراء في يوم واحد إلى أنحاء العالم، محملين برسائل قوية مبرهنة أغلق كل باب للشك في وجه المخالفين في المستقبل، فلا مجال لأن يشك أحد هذا اليوم و هو يرى هذا العمل العظيم في عالمية الرسالة المحمدية، فمضافا إلى الآيات الواردة في هذا الصعيد يعد إرسال السفراء بنفسه دليلا قاطعا و كبيرا على عالمية الرسالة الاسلامية.

(٢) ثانيا: لقد تأثر جميع الزعماء و الملوك و القادة الذين راسلهم النبي صلى الله عليه وآله ما عدا «خسروا برويز» ملك إيران الذي كان طاغية مستبدا متكبيرا، برسائل النبي صلى الله عليه وآله و دعوته، و أكرموا سفراءه.

كما أن قضية ظهور النبي العربي قد أصبح حديث الاوساط و المحافل الدينية بسبب هذا العمل.

لقد أيقظت هذه الرسائل و الكتب بمحتوياتها و مضامينها القوية المبرهنة العقول الغافية، و هزت الغافلين بشدة، و أثارت مشاعر الشعوب العالمية المتحضرة، و دفعتهم إلى البحث و التحقيق حول من بشر به التوراة و الانجيل، كما تسبب في أن يجرى العلماء و الاساقفة و القساوسة غير المغرضين باتصالات بمن ينتسب إلى هذا الدين، و يقيموا ارتباطا مع هذه العقيدة بشكل و آخر.

و من هنا و لأجل هذا تسابقت أفواج و فرق كبيرة من رجال الدين من الشرائع الدينية المختلفة التي كانت سائدة آنذاك في الايام الاخيرة لحياة رسول الإسلام صلى الله عليه وآله و بعدها إلى القدوم على المدينة لدراسة أوضاع الدين الجديد، و التعرف على ماهيته و منطقته.

و لقد شرحنا في الفصول الماضية و بشكل مفصل نوع و مدى التأثير الذي تركته رسائل النبي و سفراؤه في نفوس حكام الروم و مصر و الحبشة، و ها نحن نواصل بيان بقية التأثيرات التي تركتها مراسلة النبي صلى الله عليه وآله لحاكم

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٨٠

الحبشة العادل، و ملكها البار: اصحمة النجاشي.

(١) فقد عمد النجاشي بعد تقديم الهدايا إلى سفير النبي صلى الله عليه وآله، إلى ارسال ثلاثين رجلا من القساوسة و الاساقفة الاحباش إلى أرض المدينة للتحقيق في أمر الإسلام، و نبوة محمد صلى الله عليه وآله و ليروا من كتب حياته الزاهدة البسيطة، و لا يتصوروا أنه يعيش كما كان يعيش الملوك و الجبابرة في ذلك العصر.

و لما قدم مبعوثو النجاشي المدينة على رسول الله صلى الله عليه وآله سألوه عن نظريته حول السيد المسيح عليه السلام فبين رسول الله صلى الله عليه وآله عقيدته حول ذلك النبي العظيم بقراءة الآية التالية:

«إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ التَّوْرَةَ وَ الْإِنْجِيلَ وَ إِذْ تَخَلَّقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِأَذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِأَذْنِي وَ تَبْرئُ الْأَكْمَةَ وَ الْأُبْرَصَ بِأَذْنِي وَ إِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِأَذْنِي وَ إِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ: «إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ» (١).

و قد كان لهذه الآيات أثر عجيب في نفوس اولئك القساوسة و الاساقفة حتى أنهم بكوا عند سماعها من دون اختيار.

(٢) و بعد التحقيق الدقيق في دعوة رسول الله صلى الله عليه وآله عاد هذا الفريق من علماء الدين المسيحي إلى الحبشة، و أخبروا

النجاشي بما سمعوه و شاهدوه، فبكى هو أيضا لما سمع من اولئك الرجال «٢». و قد نقل ابن الاثير في «الكامل» و «اسد الغابة» قصة هذا الوفد بصورة اخرى إذ كتب بعد ذكر ما مرّ من رسالة النجاشي باضافة قوله: «و بعثت

(١) المائدة: ١١٠.

(٢) اعلام الورى: ص ٤٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٨١

إليك بابني أرمى بن الاصحم» فخرج ابن النجاشي في ستين نفسا من الحبشة (قاصدين المدينة) في سفينة في البحر، فلما توسطوا البحر غرقوا كلهم.

و لكن وصول الرسالة التي اشار إليها ابن الاثير إلى الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله شاهد على أنه لم تحدث مثل هذه الحادثة لمبعوثي النجاشي «١».

(١)

كتاب رسول الله الى أمير الغساسنة (بالشام):

الغساسنة فرع من قبيلة «الازد» القحطانيين الذين سكنوا «اليمن» مدة طويلة، و كانت أراضيهم تسقى من سدّ مأرب، فلما انهدم ذلك السدّ اضطروا إلى الرحيل عن «اليمن» و نزلوا بالشام. فسيطروا على جزء من أراضيها و حكموا فيها، و انتهى بهم الامر الى تشكيل دولة الغساسنة. التي كانت تحكم تلك الديار تحت نفوذ قيصرة الروم و سيادتهم، فلما جاء الإسلام أزال نظامهم، و انتهت حكومتهم، بعد أن حكم منهم، اثنان و ثلاثون ملكا في مناطق «الجولان»، و «اليرموك»، و «دمشق» «٢».

و قد بعث رسول الله صلى الله عليه وآله «شجاع بن وهب» و هو أحد السفراء الستة الذين بعثهم صلى الله عليه وآله لابلاغ الرسالة الاسلامية إلى العالم - إلى أرض الغساسنة، و قد حمله كتابا إلى ملكها يومذاك «الحارث بن أبي شمر الغساني»، فخرج شجاع بكتاب النبي إلى الشام لتسليمه الى ملك الغساسنة فانتهى إليه و هو بغوطة دمشق و هو مشغول باعداد المقدمات لاستقبال «قيصر» الذي كان في طريقه إلى زيارة بيت المقدس و فاء للندر الذي نذره للانتصار على ايران كما مر.

(٢) و لهذا لم يستطع «شجاع» من الوصول إلى الأمير الغساني إلّا بعد انتظار دام

(١) اسد الغابة: ج ١ ص ٦٢، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ١٤٥.

(٢) راجع معجم البلدان، و مروج الذهب و غيرهما.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٨٢

ثلاثة أيام، فاستغلّ «شجاع» هذه الفرصة و صادق فيها حاجب الأمير الغساني فكان يحدثه عن صفة رسول الله صلى الله عليه وآله و أخلاقه و ما يدعو إليه من العقيدة الطاهرة، فأثرت كلمات «شجاع» تأثيرا عجيبا في نفس ذلك الحاجب الذي كان روميا حتى أنه رقّ و غلبه البكاء و قال: إني قرأت الإنجيل و أجد صفة هذا النبي بعينه، و أنا أومن به و اصدّقه، و أخاف من «الحارث» أن يقتلني اذا عرف باسلامي و كان يكرم سفير النبي صلى الله عليه وآله و يحسن ضيافته طوال تلك المدة، و يقول إن الحارث يخاف قيصر أيضا. (١) ثم لما خرج «الحارث» ذات يوم و جلس على عرشه أذن لسفير النبي صلى الله عليه وآله بالدخول عليه، فلما مثل بين يديه دفع إليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله و آله فقرأه و كان نصّه كالتالي:

«بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى الحارث بن أبي شمر، سلام على من اتبع الهدى، وآمن به وصدق، وإنى أدعوك أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقى ملكك».

فانزعج الحارث مِمَّا قرأ في آخر الكتاب ورمى به جانبا، وقال: من ينتزع منى ملكي؟ أنا سائر إليه، ولو كان باليمن جنته، على الناس.

و بهذا أمر بإعداد العسكر حالا ليستعرض قوته العسكرية أمام سفير النبي إرعابا وتخويفا له. ولاجل أن يظهر نفسه بمظهر المدافع عن ملك قيصر بادر إلى كتابة رسالة إلى «قيصر» يخبره فيها بما عزم عليه من غزو رسول الله صلى الله عليه وآله!!

(٢) واتفق أن وصلت رسالة الأمير الغساني إلى «قيصر» في الوقت الذي كان فيه «دحية الكلبي» سفير النبي إلى الروم في مجلس قيصر، وكان «قيصر» يحاوره، ويسأله عن رسول الله صلى الله عليه وآله وعن صفته ودينه، فانزعج «قيصر» من مبادرة الحاكم الغساني العجولة وكتب إليه يمنعه عن السير إلى رسول الإسلام طالبا منه أن يلتقى به في مدينة «إيليا».

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٨٣

فغير موقف «قيصر» الايجابي هذا موقف عميله: الحاكم الغساني السلبى تبعا للمثل القائل «الناس على دين ملوكهم» فبادر من فوره إلى إكرام سفير النبي صلى الله عليه وآله ومنحه هدايا ثمينة، ووجهه نحو المدينة معززا مكرما وقال له: «اقرأ على رسول الله صلى الله عليه وآله منى السلام».

ولكن النبي صلى الله عليه وآله لم يرض بهذا الموقف الدبلوماسى الذى لم يكن ينم عن واقع صادق فقال: باد ملكه. أى سيزول ملكه عما قريب. فمات «الحارث» فى السنة الهجرية الثامنة أى بعد عام واحد من هذه القضية «١».

(١)

سادس السفراء فى أرض اليمن:

سادس سفراء النبي هو المبعوث الى أرض اليمامة (وهى من نجد)، وهو سليط بن عمرو.

فقد خرج سليط هذا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وآله الى «هودة بن على» الحنفى ملك اليمامة يدعوه الى الإسلام و لما قدم عليه سلم الكتاب إليه وفيه.

«بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى هودة بن على. سلام على من اتبع الهدى و اعلم أن دينى سيظهر إلى منتهى الخف والحافر (أى يعم الشرق والغرب) فأسلم تسلم و اجعل لك ما تحت يديك».

(٢) و حيث أن ملك اليمامة (هودة) كان نصرانيا لذلك بعث إليه رسول الله صلى الله عليه وآله سليطا و كان ممن عاش مدة من الزمن فى أرض الحبشة عند ما هاجر إليها فريق من المسلمين فرارا من اضطهاد و فتنة قريش لهم، و عرف بتقاليد النصرى و منطقتهم، و كانت تعاليم الإسلام، و كذا اختلاطه بمختلف الفئات فى رحلاته و أسفاره قد صنعت منه رجلا شجاعا قويا و ذكيا و قد استطاع بما اوتى

(١) السيرة الحلبية: ج ٣ ص ٢٥٥ و ٢٥٦، الطبقات الكبرى: ج ١ ص ٢٦١

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٨٤

من قوة المنطق، و الشجاعة أن يقنع بكلامه و حديثه ملك اليمامة عند ما قال له: يا هودة أنه سؤدتك «١» أعظم حائلة (أى بالية) و ارواح فى النار، و انما السيد من متع بالإيمان ثم زود بالتقوى. ان قوما سعد برأيك فلا يشقون به، و إنى آمرك بخير مأمور به، و أنهاك عن شىء منهى عنه.

آمرك بعبادة الله، و أنهاك عن عبادة الشيطان، فان في عبادة الله الجنة، و في عبادة الشيطان النار، فان قبلت نلت ما رجوت و آمنت ما خفت، و ان ابيت فينا و بينك كشف الغطاء و هو المطلع.

(١) كانت ملامح ملك اليمامة المتغيرة المتأثرة توحى بحسن تأثير كلمات سليط سفير النبي في نفس ذلك الملك، و لهذا طلب من سليط أن يمهل مدة حتى يفكر في أمر النبي و دعوته، و كان من الملوك العقلاء.

و صادف أن قدم اليمامة عليه في ذلك اليوم اسقف كبير من كبار أساقفة الروم، فتحدث معه «هوذة» في قضية النبي، و دعوته، و إليك ما دار بينهما من الحوار.

قال هوذة للاسقف: جاءني كتاب من النبي يدعوني إلى الإسلام فلم اجبه.
فقال الاسقف: لم لا تجيبه.

قال هوذة: ضننت بديني و أنا أملك قومي، و لئن اتبعته لا أملك.

قال: بلى و الله لئن اتبعته ليملكنك، و ان الخير لك في اتباعه، و أنه للنبي العربي الذي بشر بن عيسى بن مريم عليه السلام. و انه لمكتوب عندنا في الانجيل:

محمد رسول الله.

(٢) فتركت نصيحة الاسقف و كلماته أثرا عميقا و قويا في نفس ملك اليمامة «هوذة» فاستدعى سفير النبي صلى الله عليه وآله و كتب إلى النبي صلى الله

(١) يقصد أنه سوده كسرى و هو في النار.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٨٥

عليه و آله كتابا هذا نصه: «ما أحسن ما تدعو إليه و أجمله، و أنا شاعر قومي و خطيبهم و العرب تهاب مكاني فاجعل إلي بعض الأمر اتبعك (أى أنه كان يطلب أن يجعله النبي خليفة له من بعده).

و لم يكتب «هوذة» بهذا بل بعث وفدا إلى رسول الله صلى الله عليه و آله بزعامه «مجاعة بن مرارة» ليبلغ إلى النبي صلى الله عليه و آله رسالته و يقول له صلى الله عليه و آله: ان جعل الأمر له من بعده أسلم و سار إليه و نصره، و إلا قصد حربته.

فلما قدم الرسول على رسول الله صلى الله عليه و آله و أخبره بما جرى و قرأ الكتاب على النبي صلى الله عليه و آله قال: «لا و لا كرامة، لو سألتني سيابة من الارض ما فعلت اللهم اكفنيه» (١). سيد المرسلين ج ٢ ٣٨٥ سادس السفراء في أرض اليمن: ص: ٣٨٣

(١)

رسائل اخرى لرسول الله صلى الله عليه وآله:

هذا و ان الرسائل و الكتب التي بعثها رسول الله لغير من ذكرناه من القادة و الزعماء و الشخصيات الدينية و السياسية أكثر من ما أدرجناه هنا، و قد استطاع العلماء المحققون أن يجمعوا و يثبتوا في كتب خاصة صورة ٢٩ رساله من رسائل الدعوة الى الاسلام التي بعثها رسول الله صلى الله عليه و آله تركنا إدراجها هنا رعاية للاختصار (٢).

(١) السيرة الحلبية: ج ٣ ص ٢٥٤، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ١٤٦، الطبقات الكبرى: ج ١ ص ٢٦٢ و سيابة من الأرض أي قطعة من الأرض.

(٢) راجع مكاتيب الرسول للعلامة الاحمدى، و غيره من المؤلفات في هذا المجال.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٨٦

(١)

٤٤ قلعة خيبر أو بؤرة الخطر [غزوة خيبر]**اشاره**

يوم طلع نجم الاسلام فى أرض المدينة حقدت اليهود على رسول الله، والمسلمين اكثر من قريش، و عملت بمختلف الطرق و الحيل من اجل القضاء على الاسلام و الإيقاع برسول الله صلى الله عليه وآله و أصحابه.

و لقد ابتلى يهود المدينة و ما حولها بمصير سيئ نتيجة أعمالهم و تصرفاتهم السيئة، فقتل فريق منهم، و اجلى آخرون مثل قبيلة بنى قينقاع و بنى النضير من أرض المدينة فسكنوا «خيبر» و «وادي القرى» أو نزلوا باذرع الشام.

و كانت خيبر منطقة واسعة و خصبة تقع على بعد اثنين و ثلاثين فرسخا من المدينة كان قد سكنها اليهود قبل بعثه النبي صلى الله عليه وآله و بنوا فيها سبع قلاع و حصون قوية لتحصنهم و تحفظهم.

و حيث إن التربة و المناخ فى تلك المنطقة كانت قد جعلت من تلك المنطقة مكانا جيدا و صالحا للزراعة جدا، لذلك كان سكانها اليهود قد حصلوا على مهارة كبرى فى امور الزراعة و جمع الثروات، و تهيئه وسائل الدفاع و القتال، و إعداد السلاح و القوة.

و كان عدد نفوسها يقارب عشرين الف نسمة بينهم عدد كبير من المقاتلين الشجعان «١».

(١) السيرة الحلبية: ج ٣ ص ٣٦، تاريخ الطبرى: ج ٢ ص ٤٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٨٧

(١) إن أكبر ذنب اقترفه يهود «خيبر» هو أنهم شجعوا جميع القبائل العربية على محاربة الحكومة الاسلامية و القضاء عليها، و استطاع جيش الاحزاب المشرك بمساعدة يهود «خيبر» أن يتحركوا فى يوم واحد من مختلف مناطق الجزيرة العربية لاجتياح المدينة و استئصال المسلمين فى أكبر تحالف عسكري و اتحاد نظامي من نوعه فى ذلك العصر كما سبق و أن عرفت فى قصة «معركة الأحزاب» و لكن هذا الجيش المعتدى الظالم تفرق بفعل تدابير رسول الاسلام الحكيمه و أصحابه بعد شهر من الانتظار خلف الخندق، و تفهقر و عادت أحزابه و من جملتهم يهود خيبر متشتتة متفرقة إلى أوطانها تجرّ أذيال الخيبة و الخسران، و استعادت عاصمته الإسلام استقرارها و أمنها.

(٢) إن خيانته، و خباثته و لؤم يهود خيبر حملت رسول الله صلى الله عليه وآله على أن يقضى على بؤرة المؤامرة و مركز الفساد و الخطر هذا، و أن يجرد سكانها جميعا من السلاح، لأنه كان يخشى أن يعود هذا الشعب المعاند الخيبيث - ببذل الأموال الطائلة - إلى تأليب العرب الوثنيين مرة اخرى ضد المسلمين و يعيدوا قصة الأحزاب مرة اخرى. و خاصة أن تعصب اليهود لدينهم و معتقدتهم كان أشد من تعصب قريش للوثنية، و لهذا التعصب كان يسلم ألف مشرك وثنى و لا يدع يهودى واحد دينه، و معتقده!!

(٣) ثم إن عاملا آخر حمل رسول الله صلى الله عليه وآله على تحطيم قدرة الخبيريين و شوكتهم، و انتزاع السلاح منهم و رصد تحريكاتهم بواسطة فرسانه و رجاله، أنه راسل الملوك و السلاطين، و دعاهم جميعا و بشكل قوى الى الاسلام، فلم يكن من المستبعد أن يستغل «كسرى» و «قيصر» يهود خيبر فيتعاونوا جميعا للقضاء على الاسلام و النهضة الاسلامية فى مهدها، أو تحرك اليهود ذينك الملكين ضد الاسلام كما حرّكت من قبل المشركين ضد هذا الدين، و تسببت فى وقوع مشاكل.

خاصة أن الشعب اليهودى كان ضليعا فى الحروب التى دارت بين الروم

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٨٨

و الفرس فى تلك العصور، و كان اليهود يتعاونون مع أحد الطرفين.

من هنا رأى رسول الله صلى الله عليه وآله ان من الحكمة بل و من الضرورة بمكان أن يطفى شرارة الخطر هذه إلى الأبد.

(١) و كانت هذه الفرصة أفضل الفرص لهذا العمل، لأن بال النبى كان قد فرغ من ناحية الجنوب (أى قريش) بعد صلح الحديبية، و كان يعلم أنه لو أقدم على عمل ضد اليهود لم تمتد يد من جانب قريش لمساعدتهم، و لكى يمنع من وصول أزيه مساعدات و امدادات لهم من ناحية قبائل الشمال مثل «غطفان» الذين كانوا أصدقاء ليهود خيبر و المتعاونين معهم فى معركة «الأحزاب» نفذ رسول الله صلى الله عليه وآله خطة سيأتى تفصيلها مستقبلا.

لهذه الاسباب و العوامل و الاعتبارات أمر رسول الله صلى الله عليه وآله المسلمين بالتهيؤ لغزو خيبر آخر مركز من مراكز اليهود فى الجزيرة العربية. و قال:

«لا تخرجوا معى إلّا راغبين فى الجهاد أما الغنيمه فلا».

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله استخلف على المدينة «نميله بن عبد الله الليثى»، و دفع رايه بيضاء الى «علي بن أبى طالب» عليه السلام و أمر بالتوجه إلى خيبر، و لكى تسرع الابل فى سيرها اذن لعامر بن الاكوع أن يحدو بالابل لان الابل تستحث بالحاء، فأخذ يرتجز قائلاً:

والله لو لا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

إننا إذا قوم بغوا علينا إن أرادوا فتنة أبينا

فأنزلن سكينه علينا وثبت الأقدام إن لاقينا (٢) و قد عكست هذه الأبيات الجميله جانباً من هدف هذه الغزوة، فهى تفيد أن اليهود ظلمونا، و أشعلوا نيران الفتنة و قد خرجنا لاطفائها، و تحملنا فى سبيل ذلك عناء هذا السفر.

و لقد سر رسول الله صلى الله عليه وآله بمضامين هذه الابيات فدعا لابن الاكوع، و قال: «يرحمك الله» و قد استشهد ابن الاكوع هذا فى هذه الغزوة.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٨٩

(١) هذا و قد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يراعى مبدأ الاستتار فى جميع تحركاته العسكرية، فقد كان يحب أن لا يعرف العدو بمسيره و مقصده حتى يفاجئ العدو و يباغته، و يحاصره قبل أن يستطيع فعل شىء، هذا مضافاً إلى ناحية اخرى و هى أن يظن حلفاء العدو الذى يقصده بأنه يقصدهم و يسير إليهم، فيغلقوا على أنفسهم أبواب منازلهم و لا ينضم بعضهم الى بعض.

و ربما تصوّر البعض فى هذه الغزوة أن رسول الله صلى الله عليه وآله يقصد منطقة الشمال (شمال المدينة) لتأديب قبائل غطفان و فزارة الذين تعاونوا مع اليهود فى معركة الاحزاب، لما وجدوه متوجها نحو الشمال.

(٢) و لكنه عند ما وصل إلى منطقة «الرجيع» عرج بجيشه صوب «خيبر» و بهذا قطع الطريق على أية إمدادات عسكرية من ناحية الشمال إلى خيبر، بقطع خط الارتباط بين قبائل غطفان و فزارة و يهود خيبر، فمع ان حصار خيبر طال مدة شهر واحد تقريباً لم تستطع القبائل المذكورة ان تمد حلفاءها اليهود بأى شىء (١).

و لقد خرج مع رسول الله صلى الله عليه وآله الى خيبر ما يقرب من ألف و ستمائة مقاتل، بينهم مائتا فارس (٢).

و عند ما أشرف رسول الله صلى الله عليه وآله على خيبر قرأ الدعاء التالى الذى يكشف عن نيته الحسنه:

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٣٣٠.

(٢) الامالى للطوسى: ص ١٦٤، يذهب ابن هشام فى سيرته: ج ٢ ص ٣٢٨ إلى ان خروج النبى صلى الله عليه وآله إلى خيبر كان فى

المحرم، و بينما ذهب ابن سعد في الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ٧٧ إلى انه كان في جمادى الثانية من السنة السابعة، و حيث ان ارسال الرسل الى الملوك و الامراء تم في شهر محرم من هذه السنة ذاتها لذلك يكون الرأى الثانى أقرب إلى الصحة، و خاصة أن مهاجرى حبشة التحقوا برسول الله صلى الله عليه وآله في خيبر بعد وصول رسالة النبي صلى الله عليه وآله إلى النجاشى بوساطة «عمرو بن أمية» لان ذهاب رسول النبي صلى الله عليه وآله إلى الحبشة و عودته مع المهاجرين الى المدينة ثم خيبر بحاجة إلى زمان، و حيث ان توجه الرسل و السفراء كان في شهر محرم لذلك يجب ان يكون قتال الخبيرين في الاشهر التالية.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٩٠

اللهم ربّ السماوات و ما اظللن

و ربّ الارضين و ما اقللن

و ربّ الشياطين و ما اضللن

و ربّ الرياح و ما أذرين

فإننا نسألك خير هذه القرية و خير أهلها، و خير ما فيها و نعوذ بك من شرها و شر أهلها و شر ما فيها».

(١) إن هذا الدعاء و ما رافقها من حالة التضرع، و ذلك أمام أعين ألف و ستمائة من الجنود الشجعان الذين كان كل واحد منهم شعله متقدة من الشوق الى القتال فى سبيل الله يكشف عن أن النبي صلى الله عليه وآله لم يكن يهدف من مسيره إلى هذه الأرض الاستعمار أو الانتقام بل جاء من أجل ان يقضى على بؤرة الخطر التى كان من المحتمل أن يتحول فى كل لحظة إلى قاعدة انطلاق للمشركين الوثنيين، حتى لا تهدد النهضة الاسلامية من هذه الناحية فيما بعد.

و سترى أنت أيها القارئ الكريم كيف أن رسول الله صلى الله عليه وآله بعد فتح القلاع و الحصون اليهودية، و انتزاع السلاح من سكانها المتآمرين المشاغبين فوض إليهم اراضيهم، و اكتفى منهم بأخذ الجزية فى مقابل المحافظة على أموالهم و أنفسهم، و بعد أن ربطهم بمعاهدة قوية ملزمة.

(٢)

احتلال النقاط و الطرق الحساسة ليلا:

كان لكل حصن من حصون خيبر السبعة اسم خاص يعرف به فهى عبارة عن: «ناعم» و «القموص» و «الكتيبة» و «النطاة»، و «شق» و «سطح»، و «ساللم»، و ربما سُمى بعض هذه الحصون باسم زعيم الحصن و سيده، مثل حصن مرحب.

كما أنه كانوا قد بنوا عند كل حصن من تلك الحصون برجاً للمراقبة، و لرصد كل التحركات خارج الحصن، و لأجل أن ينقل الحراس و المراقبون المستقرون فى هذه الأبراج الأخبار إلى داخل الحصن.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٩١

و قد كانت تلك البروج و الحصون قد شيدت بحيث يسيطر سكانها على خارج الحصن سيطرة كاملة و كانوا يستطيعون - عن طريق المجانيق «١» و غيرها من آلات الرمي - إبعاد أى عدو، و افشال أية محاولة للاقترب الى الحصن، و ذلك برميهِ بالاحجار و ما شابهها.

(١) و قد كان بين سكان هذه الحصون البالغ عددهم عشرين ألفاً، ألفان من الفرسان الشجعان و الصناديد الابطال الذين توفرت لهم كل ما يحتاجون إليه من الطعام و الشراب، و الذين اعدت لهم فى المخازن كل ما يحتاجون إليه من الاسلحة و العتاد.

و كانت هذه الحصون من الإحكام و القوة بحيث كان من المستحيل إحداث أية ثغرة فى حيطانها أيضاً، و من أراد الاقتراب إليها رمى بالاحجار فجرح بها أو قتل، فكانت تعدّ هذه الحصون - فى الحقيقة - متاريس قوية لمقاتلى اليهود.

لقد واجه المسلمون فى هذه الغزوة مثل هذا العدو المسلح، المتمنع بمثل هذه المتاريس القوية، فكان لا بدّ لفتح هذه القلاع من

استخدام تكتيك عسكري دقيق.

ولهذا فان أول عمل قام به رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه في هذا السبيل هو احتلال كل النقاط والطرق الحساسة ليلا. وقد تم هذا العمل بسريّة وسرعة بالغة جدا بحيث لم يعرف به حتى مراقبو الابراج اليقظون أيضا.

(٢) ولما كان صبيحة تلك الليلة خرج عمّال خبير غادين إلى مزارعهم و بساتينهم و هم يحملون مساحيمهم و مكاتيلهم و اذا بهم يفاجئون بجنود الاسلام الابطال و قد احتلوا بقوة الايمان جميع النقاط الحساسة و سدّوا جميع الطرق عليهم بحيث لو قدّموا شبرا لقبض عليهم، فأفزعهم ذلك و خافوا خوفا شديدا، فأدبروا

(١) و هي أجهزة حديدية بدائية تقذف الحجر او الحديد.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٩٢

هرابا و هم يقولون: محمّد و الجيش معه. و بادروا فورا إلى إغلاق أبواب الحصون و إحكامها، و عقدوا شورى عسكرية في داخل حصنهم المركزي.

(١) و عند ما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله مساحي اليهود و مكاتيلهم و غيرها من أدوات الهدم قال متفائلا:

«الله أكبر خربت خبير أنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين».

و كانت نتيجة الشورى العسكرية اليهودية في هذه الغزوة هي أن يجعلوا الأطفال و النساء في أحد الحصون، و يجعلوا الذخيرة من الطعام في حصن آخر، و يستقر المقاتلون الشجعان على الأبراج و يدافعوا عن كل قلعة و حصن بالأحجار، و يخرج الابطال الصناديد من كل حصن و يقاتلوا المسلمين خارجه.

كانت هذه هي خطة اليهود لمواجهة جنود الاسلام، و قد أصروا على تنفيذها حتى آخر لحظة من القتال و لهذا استطاعوا أن يقاوموا في وجه الجيش الاسلامي مدة شهر واحد تقريبا بحيث كانت محاولة فتح كل حصن من تلك الحصون تستغرق عشرة أيام دون نتيجة.

(٢)

متاريس اليهود تنهاوى:

كانت هناك نقطة لا تحظى بأهمية تذكر من الناحية العسكرية و كان مقاتلو اليهود يسيطرون عليها سيطرة كاملة، و لم يكن فيها أي مانع من استهداف مخيم المسلمين و رميها من جانب العدو.

ولهذا جاء أحد المقاتلين المسلمين الى رسول الله صلى الله عليه وآله و هو «محمّد بن مسلمة» و قال له:

يا رسول الله صلى الله عليك، إنك نزلت منزلتك هذا فان كان عن أمر (الهي) امرت به فلا نتكلم فيه، و ان كان الرأي تكلمنا؟ يا رسول الله دنوت من الحصن، و إن أهل النظاة مرتفعون علينا و هو أسرع لانحطاط نبلهم فتحوّل يا رسول الله الى موضع برىء من النخل و البناء حتى لا ينالنا نبلهم.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٩٣

(١) فقال رسول الله صلى الله عليه وآله و هو يراعى واحدا من مبادئ الاسلام العظيمة (الشورى) و احترام الآخرين: «بل هو الرأي، انظر لنا منزلا بعيدا من حصونهم، بريئا من الوباء نأمن فيه بياتهم»، فطاف محمّد حتّى انتهى إلى الرجيع (و هو واد بقرب خبير) ثم رجع الى النبي صلى الله عليه وآله ليلا فقال: وجدت لك منزلا، فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله فحولت خيمة القيادة عند المساء إلى ذلك المكان الاكثر أمانا من بيات اليهود و غدرهم فكان النبي يغدو كل يوم فيقاتل أهل النظاة يومه إلى الليل ثم إذا أمسى رجع الى

الرجيع حيث غرفة القيادة، و كان يناوب بين أصحابه في حراسة الليل في مقامه بالرجيع سبعة أيام (١).
على أنه لا يمكن البتّ في تفاصيل واقعه خبير و لكن المستفاد من المصادر التاريخية هو أن جنود الاسلام حاصروا القلاع و الحصون حصنا تلو حصن، و حاولوا قطع ارتباط الحصن المحاصر ببقية الحصون تم فتحه، ثم محاصرة حصن آخر.
(٢) و لقد تم فتح هذه الحصون ببطء لأنها كانت مرتبطة ببعضها بارتباط سري، أو كان المقاتلون يدافعون عنها دفاعا مستميتا، و لكن الحصون التي كان الرعب و الخوف يسيطر على مقاتليها و حراسها، أو التي ينقطع ارتباطها بالخارج بصورة كاملة كان يتم السيطرة عليها بسهولة، و تسفك فيها دماء أقل، و يتقدم العمل فيها بسرعة أكبر.
(٣) و ان أول حصن فتح على أيدي المسلمين بعد شيء كبير من الجهد- كما يذهب إليه جمع من المؤرخين- هو حصن «ناعم». و لقد استشهد في فتح هذا الحصن أحد المقاتلين المسلمين البارزين، يدعى «محمود بن مسلمة» الانصارى، و جرح خمسون رجلا من مقاتلي الإسلام، فقد استشهد الفارس المذكور بعد أن رماه اليهود بصخرة كبيرة من فوق الحصن فقتل من فوره، و قيل إنه توفي بعد ثلاثة أيام- حسب رواية ابن الاثير في اسد الغابة (٢) و نقل الجرحى الخمسون إلى

(١) السيرة الحلبية: ج ٣ ص ٣٩.

(٢) اسد الغابة: ج ٤ ص ٣٣٤.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٩٤

منطقة اخرى من المعسكر خصصت لغرض التضميد (١)، كما انه سمح لبعض نساء بنى غفار بأن يأتين الى «خير» لمساعدة المسلمين و تضميد الجرحى و تقديم غير ذلك من الخدمات التي يليق بهن في المعسكر، و قد أظهرت تلك النسوة من أنفسهن تفانيا، و تضحية عجيبة (٢).

(١) و لقد رأت الشورى العسكرية الاسلامية أن يعمد المقاتلون المسلمون- بعد فتح حصن «ناعم» إلى فتح حصن «القموص» الذي كان يرأسه أبناء «أبي الحقيق»، و لقد فتح هذا الحصن بفضل تفاني جنود الاسلام، و أسرت منه «صفية بنت حيي بن أخطب» التي صارت فيما بعد من زوجات رسول الله صلى الله عليه وآله.

و لقد قوى هذان الانتصاران العظيمان معنوية الجنود المسلمين و ألقى رعبا شديدا في نفوس اليهود و لكن المسلمين وقعوا في مخمصة شديدة بسبب قلّة المواد الغذائية بحيث اضطروا إلى أن يأكلوا من بعض الانعام المكروهة اللحم، و قد كان هناك بين حصون اليهود حصن مملوء طعاما ألا أن المسلمين لم يظفروا به حتى ذلك الحين.

(٢)

التقوى في ظروف المخمصّة الشديدة:

في مثل هذه الحالة التي كان قد استولى فيها جوع شديد على المسلمين، اضطروا معه إلى تناول لحوم ما كره أكله من الأنعام أتى رسول الله صلى الله عليه وآله راع أجير لليهود يرعى لهم غنمهم، و رسول الله محاصر لبعض حصون خبير فقال: يا رسول الله اعرض على الاسلام، فعرضه عليه، فأسلم، و كان رسول الله لا يحقر أحدا أن يدعو إلى الاسلام و يعرضه عليه- فلما أسلم قال: يا رسول الله انى كنت أجيرا لصاحب هذه الغنم و هى أمانة عندي فكيف أصنع بها؟ فقال له رسول الله

(١) السيرة الحلبية: ج ٣ ص ٤٠.

(٢) السيرة النبوية: ج ٣ ص ٣٤٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٩٥

صلى الله عليه وآله أمام عيون المئات من جنوده الجياع:

«أخرجها من العسكر ثم صح بها و ارمها بحصيات فإن الله عزّ و جلّ سيؤدّي عنك أمانتك».

ف فعل الراعى ما أمره به رسول الله صلى الله عليه وآله و خرجت الغنم إلى صاحبها حتى دخلت الحصن كأنّ سائقا يسوقها، و قد قاتل ذلك اليهودى إلى جانب المسلمين حتى استشهد «١».

(١) أجل لم يكتسب رسول الله صلى الله عليه وآله لقب «الامين» من قومه فى فترة شبابه فقط بل كان أمينا فى جميع الحالات و الظروف و هو القاتل:

«ما من شىء كان فى الجاهلية إلّا هو تحت قدمى إلا الامانة فانها مؤداة إلى البر و الفاجر» «٢»، و قد بقى تردد القطعان حرا طوال مدة الحصار و لم يفكر و لا واحد من المسلمين بأخذ غنم منها لأنهم تعلّموا الأمانة و التقوى و الصدق و الورع من معلّمهم الاكبر «محمّد» الصادق الأمين صلى الله عليه وآله.

نعم غلب الجوع الشديد على العسكر ذات يوم حتى كادوا أن يهلكوا فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله بأن تؤخذ شاتان من غنم اليهود اضطرارا، و اطلق البقية لتدخل الحصن بامان «٣»، و لو لا ذلك الاضطرار الذى يباح معه المحذور بقدره لما سمح رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك، و لما رأى جوع أصحابه و تصوّرهم من شدّة السغب دعا قائلا:

«اللهم انك قد عرفت حالهم و ان ليست بهم قوة، و ان ليس بيدى شىء اعطهم إياه فافتح عليهم أعظم حصونها عنهم غناء، و أكثرها طعاما» «٤».

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٣٤٤ و ٣٤٥. امتاع الاسماع: ج ١ ص ٣١٢-٣١٣.

(٢) مجمع البيان: عند تفسير قول الله تعالى: «وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ...».

(٣) السيرة النبوية: ج ١ ص ٣٣٥-٣٣٦.

(٤) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٣٢٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٩٦

و لم يكن يأذن لاحد من المسلمين بأن يأخذ شيئا من اموال الناس ابداء.

(١) فى ضوء كل هذا تتضح دسائس جماعة من المستشرقين فى تاريخنا المعاصر فهم يصرون على القول بأن غزوات الاسلام و معاركه كانت للإغارة و جمع الغنائم و مصادرة الأموال و السيطرة عليها و ان جنوده لم يكونوا يتقيدون خلال تلك المعارك بمبادئ العدالة و الامانة، و ذلك كيد منهم للاسلام، و محاولة بغية للحط من قيمة الاهداف الاسلامية العليا، و تشويهها.

و لكن النموذج المذكور هنا، و أمثاله ممّا يعدّ بالعشرات فى صفحات التاريخ الاسلامى تشهد بكذبهم، فإن النبى صلى الله عليه وآله لم يأذن و هو فى أشدّ الظروف و أصعبها و جنوده الاوفياء قد غلبهم الجوع و دنوا من الهلاك، بأن يخون راع فى أغنام كان يراها ليهودى، بل أمره بردها إلى صاحبه و هو فى قتال مع اليهود على حين كان يمكنه مصادرتها جملة واحدة.

(٢)

فتح الحصون الواحد تلو الآخر:

بعد فتح القلاع المذكورة حمل جنود الإسلام على حصن الوطيح، و سلاط، و لكنهم واجهوا مقاومة عنيفة من اليهود الذين كانوا يدافعون عنها خارجها، من هنا لم يستطع جنود الاسلام الأبطال رغم كل التضحيات التى ذكرها كاتب السيرة المعروف ابن هشام فى

موضع خاص من سيرته- ان يحرزوا انتصارا بل ظلوا يجالدون مقاتلى اليهود أكثر من عشرة أيام، و لكنهم كانوا يعودون فى كل يوم إلى مقرهم من دون نتيجة.

و ذات يوم بعث رسول الله صلى الله عليه وآله أبا بكر و اعطاه رايته البيضاء على رأس جماعة من المقاتلين المسلمين لفتح بعض حصون خيبر، و لكنه رجع و لم يكن فتح و كل من الامير و الجنود يلقي باللوم على الآخر، و يتهمه بالجبن و الفرار.

(٣) فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله فى يوم آخر «عمر بن الخطاب» على

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٩٧

رأس جماعة اخرى فكان كرفيقه إذ رجع و لم يحقق فتحا، بل عاد- حسب ما يروى الطبرى- «١» فزعا مرعوبا و هو يصف شجاعة مرحب و قوته البالغة، فأغضب هذا العمل رسول الله صلى الله عليه وآله و فرسان الاسلام الابطال و قادة الجيش الاسلامى، فجمع رسول الله صناديد جيشه و قال:

«لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله و رسوله و يحبه الله و رسوله يفتح على يديه ليس بفزار» أو: «كرار غير فرار» حسب نقل الطبرى و الحلبى «٢».

(١) و قد أثارت هذه الجملة الخالدة الحاكية عن فضيلة و شجاعته و تفوق ذلك الفارس الذى قدر أن يكون الفتح على يديه و تميزه المعنوى على غيره موجة من الفرح الممزوج بالاضطراب بين أفراد الجيش و قادته الشجعان.

فقد بات كل واحد منهم يتمنى أن يكون هو صاحب هذا النوط الخالد و العظيم، و ان تصيب القرعة اسمه.

و لما بلغ عليا عليه السلام مقالة النبى صلى الله عليه وآله هذه و هو فى خيمته قال:

«اللهم لا معطى لما منعت و لا مانع لما أعطيت» «٣».

(٢) غطى ظلام الليل كل مكان، و ذهب جنود الاسلام إلى أماكن نومهم، و بينما بقى الحراس يتحارسون طوال الليل، و يرصدون أوضاع العدو الغادر

(١) تاريخ الطبرى: ج ٢ ص ٣٠٠.

(٢) مجمع البيان: ج ٩ ص ١٢٠، السيرة الحلبية: ج ٢ ص ٣٧، السيرة النبوية: ج ٣ ص ٣٣٤ أمتاع الاسماع: ج ١ ص ٣١٤ و لقد انزعج

المؤرخ الاسلامى المعروف ابن أبى الحديد من فرار هاتين الشخصيتين فقال فى ضمن قصيدة له:

و ما أنس لا أنس اللذين تقدما و فرهما و الفر قد علما حوب

و للراية العظمى و قد ذهبها بهاملابس ذل فوقها و جلايب

يشلها من آل موسى شمر دل طويل نجاد السيف أجيد يعبوب (الغدیر: ج ٧ ص ٢٠١ اقتباسا من القصائد العلويات).

(٣) السيرة الحلبية: ج ٢ ص ٣٥.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٩٨

و تحركاته.

و عند الصباح و مع طلوع الشمس التى شقت بأشعتها رداء الظلام، و أضاءت السهل و الجبل، تجمّع قادة الجيش الاسلامى و صناديده و أبطاله و غيرهم من الرجال و فيهم الاميران المنهزمان بالأمس حول رسول الله صلى الله عليه وآله و هم يريدون بشوق بالغ أن يعرفوا من سيعطيه الراية اليوم، و قد تناول لها أبو بكر و عمر «١».

(١) و لم يطل هذا الانتظار، فقد كسر رسول الله صلى الله عليه وآله جدار الصمت هذا عند ما قال: «ابن على؟!!

فقيل يا رسول الله به رمد، و هو راقد بناحية.

فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ:

«أتتوني بعليّ» (٢)

إنّ هذه العبارة تكشف عن أن ما أصاب عليا عليه السلام من الرمد كان من الشدة بحيث سلبه القدرة على المشي، و عاقه عن الحركة. فأمر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يده الشريفه على عيني علي عليه السلام و دعا له بخير، فعوفى من ساعته، و استعادت عيناه عليه السلام سلامتها افضل ممّا كانت بحيث لم يرمد عليه السلام حتى آخر حياته بفضل تلك المسحة النبوية المباركة.

(٢) ثم دفع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ اللّواء إلى عليّ عليه السلام و دعا له بالنصر كما أنه أمره بأن يبعث إلى اليهود قبل قتالهم من يدعو رؤساء الحصون الى الاسلام، فإن أبوا اعتناق الاسلام أخبرهم بوظائفهم في ظل الحكومة الاسلامية و أن عليهم أن يسلموا أسلحتهم إلى الحكومة الاسلامية، و يعيشوا بحرية و أمان

(١) هذه هي عبارة الطبري: ج ٢ ص ٣٠٠، كنز العمال: ج ٦.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٢٨ و ٢٩، تاريخ الخميس: ج ٢ ص ٤٩.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٩٩

تحت ظل هذه الحكومة شريطة أن يدفعوا الجزية (١).

و اذا رفضوا ذاك و هذا قاتلهم، ثم قال لعلي الذي أوكل إليه قيادة تلك المجموعة:

«لئن يهدى الله بك رجلا واحدا خيرا من أن يكون لك حمر النعم» (٢).

أجل إن النبي الاكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يفكر في هداية الناس حتى في أشد لحظات الحرب، و هذا يفيد بأن جميع حروب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كانت لهداية الناس لا غير.

(١)

الانتصار الكبير في خيبر:

عند ما كلف عليّ (عليه السلام) من جانب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بفتح قلعتي سلالم و الوطيح (و هما الحصنان اللذان عجز عن فتحهما الأميران السابقان و وجها بفرارهما ضربة لا تجبر إلى شرف الجيش الاسلامي)، ارتدى درعا قويا و حمل معه سيفه الخاص ذا الفقار و راح يهرول بشجاعة منقطعة النظير نحو القلعتين المذكورتين، و الجند خلفه، حتى ركز الراية التي أعطاها له رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ على الأرض تحت الحصن.

و لما رأى اليهود انه دنا من الحصن خرج إليه كبار صناديدهم.

و كان أول من خرج إليه أخو مرحب و يدعى «الحارث» فتقدم إلى عليّ و صوته يدوي في ساحة القتال بحيث تأخر من كان خلف عليّ من شدة الفزع (٣).

و لكن لم يمض زمان حتى سقط الحارث على الارض جثته هادمة بضربة قاضية من علي عليه السلام.

(١) صحيح مسلم: ج ٥ ص ١٩٥، صحيح البخاري: ج ٥ ص ١٨.

(٢) السيرة الحلبية: ج ٢ ص ٣٧.

(٣) امتاع الاسماع: ج ١ ص ٣١٤ قال: فانكشف المسلمون و ثبت علي.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٠٠

(١) فغضب مرحب بطل خيبر المعروف لمقتل أخيه الحارث و خرج من الحصن و هو غارق في السلاح، فقد لبس درعا يمانيا، و وضع على رأسه خوذة منحوتة من حجارة خاصة، و تقدم الى علي عليه السلام كالفحل الصؤول يرتجز و يقول:

قد علمت خيبر أني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب

إن غلب الدهر فاني أغلب و القرن عندي بالدماء مخضب «١» فأجابه علي عليه السلام مرتجزا و قد أظهر للعدو شخصيته العسكرية في رجزه:

أنا الذي سمّنتي أمي حيدرة ضرغام آجام و ليث قسورة

عبل الذراعين غليظ القيصره كليث غابات كرية المنظره «٢» و بعد أن انتهى الطرفان من إنشاد رجزهما تبادلوا الضربات بالسيوف و الرماح، فألقت قعقعة السيوف و صوت الرماح رعبا عجيبا في قلوب المشاهدين، و فجأه هبط سيف بطل الاسلام القاطع على المفرق من رأس «مرحب» بطل اليهود قدّت خوذته نصفين و نزلت على رأسه و شقته نصفين الى أسنانه!!

و لقد كانت هذه الضربة من القوة بحيث افرعت أكثر من خرج مع «مرحب» من أبطال اليهود و صناديدهم ففروا من فورهم، و لجئوا إلى الحصن، و بقي جماعة فقاتلوا عليا منازل فقاتلهم حتى قتلهم جميعا، ثم لاحق الفارين منهم حتى باب الحصن، فضربه عند الحصن رجل من اليهود فطاح ترسه من يده فتناول عليه السلام بابا كان على الحصن و انتزعه من مكانه، فترس به عن نفسه فلم يزل ذلك الباب في يده و هو يقاتل حتى فتح الله على يديه ثم القاه من يده حين فرغ، و قد حاول ثمانية من أبطال الاسلام و منهم أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله أن يقلبوا ذلك الباب أو يحركوه من مكانه فلم يقدرُوا على ذلك «٢».

(١) يروي ابن هشام في سيرته أشعار مرحب بصورة أخرى: ج ٢ ص ٣٣٢.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٢ ص ٩٤، سيرة ابن هشام: ج ٢ ص ٣٤٩، تاريخ الخميس: ج ٢ ص ٤٧-٥٠.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٠١

و هكذا فتحت القلعة التي عجز عن فتحها المسلمون عشرة أيام، في مدة قصيرة على يد بطل الاسلام الأول «علي بن أبي طالب» عليه السلام.

(١) و يقول اليعقوبي في تاريخه: ان الباب الذي قلعه علي عليه السلام كان من الصخر و كان طوله أربعة أذرع و عرضه ذراعين «١».

و يقول الشيخ المفيد في ارشاده بسند خاص عن امير المؤمنين قصة قلعه ذلك الباب:

«لما عالجت باب خيبر جعلته مجننا لي فقاتلتهم به، فلما أخزاهم الله وضعت الباب على حصنهم طريقا ثم رميت به في خندقهم، و لما قال له رجل: لقد حملت منه ثقلا قال عليه السلام:

«ما كان إلّا مثل جنّتي التي في يدي في غير ذلك المقام» «٢».

و قد نقل المؤرخون قضايا عجيبة حول قلع باب خيبر هذا و خصوصياته و مواصفاته، و عن بطولات علي عليه السلام في فتح هذا الحصن، و جميعها لا تتمشى و لا تتيسر مع القدرة البشرية المتعارفة، و لا يمكن أن تصدر منها.

و يقول علي عليه السلام نفسه في هذا الصدد ما يرفع كل شك و إبهام قد يعترض المرء في هذا المجال:

«ما قلعتها بقوة بشرية و لكن قلعتها بقوة إلهية و نفس بلقاء ربها مطمئنة رضية» «٣».

(٢)

تحريف الحقائق:

لو أننا أردنا أن نلتزم بحدود الحق و الانصاف لوجب أن نقول ان «ابن هشام» في سيرته و «الطبري» في تاريخه ذكرا قصة مبارزة علي

عليه السلام في يوم

(١) تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ٤٦.

(٢) الارشاد: ص ٦٢-٦٥.

(٣) بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٤٠.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٠٢

خيبر بصورة مفصلة، و نقلوا تفاصيلها بصورة دقيقة، و لكنهما ذكرا في نهاية بحثهما التاريخي قصة خيالية لا أساس لها و هي و ان مرحبا قتل على يدى «محمد بن مسلمة» و قالوا: و يرى البعض أن مرحبا اليهودى قتله محمد بن مسلمة انتقاما لأخيه الذى قتل عند فتح حصن «ناعم» على أيدي اليهود، فقد كلفه رسول الله صلى الله عليه و آله بقتال مرحب فبرز إليه، فقتله.

إن هذا الاحتمال من الوهن و البطالان بحيث لا- يقاوم التاريخ الاسلامى المسلم و المتواتر، (١) هذا مضافا إلى أن هذه الاسطورة التاريخية تعانى من اشكالات، و مؤاخذات نذكرها للقارئ الكريم:

(٢) ١- ان محمد بن مسلمة لم يكن بذلك الرجل الشجاع، و البطل الصنديد الذى تؤهله شجاعته لأن يكون فاتح خيبر و قاتل بطلها الاكبر، فإن التاريخ لا يذكر عنه نموذجا بارزا من بطولته و شجاعته، إنما كلف في السنة الثالثة من جانب النبي صلى الله عليه و آله فقط بأن يغتال «كعب بن الاشرف» الذى حرك المشركين و الهم ضد الاسلام و المسلمين بعد معركة بدر الكبرى، و قد بقى ثلاثة أيام بليلها لا يطعم شيئا خوفا، فأنكر عليه رسول الله صلى الله عليه و آله خوفه و سأله عن سبب ذلك فقال: يا رسول الله قلت لك قولاً لا أدري هل أفين به أم لا؟

فلما رأى رسول الله صلى الله عليه و آله منه ذلك أرسل معه أربعة رجال آخرين ليعينوه في هذه المهمة، و يتخلصوا من «كعب» الذى كان يريد إعادة القتال بين المسلمين و المشركين.

فخرجوا إليه في منتصف الليل و قتلوا عدو الله كعبا وفق خطة خاصة و لكن «محمد بن مسلمة» جرح أحد رفاقه من شدة الخوف و الوحشة التى أصابته، و لا شك أن صاحب مثل هذه النفسية لا يمكنه أن يبارز صنديد «خيبر» المعروفين و ينازلهم.

(٣) ٢- ان فاتح «خيبر» لم يقاتل مرحبا و يقتله وحده، بل قاتل بعد مصرع مرحب من كانوا قد جاءوا معه إلى ساحة القتال من شجعان اليهود فلاحق

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٠٣

الفارين، و نازل الذين بقوا و لم يفرّوا.

و إليك أسماء من بقوا في ساحة القتال و قاتلوا عليا عليه السلام بعد قتله مرحبا:

١- داود بن قابوس.

٢- ربيع ابن أبى الحقيق.

٣- أبو البات.

٤- مرة بن مروان.

٥- ياسر الخيبرى.

٦- ضحيج الخيبرى.

و كل هؤلاء كانوا من صنديد اليهود و ابطالهم، و كانوا يقاتلون خارج حصن خيبر و يمنعون من أية محاولة لفتح قلاع اليهود في هذه الواقعة.

إن هؤلاء الستة قتلوا على يد علي بن أبي طالب عليه السلام وهم يرتجزون في ساحة القتال و يطلبون المبارز و المناجز «١».

فمن يكون و الحال هذه فاتح «خير» و قاتل مرحب؟

إذا كان «محمد بن مسلمة» فانه لا يمكن أن يعود بعد قتل مرحب إلى معسكر المسلمين و يتجاهل اولئك الأبطال خلف مرحب بل لا بد أن يقاتلهم، في حين اتفقت كل السير و التواريخ على أن هؤلاء قتلوا جميعا على يد علي بن أبي طالب عليه السلام.

(١) ٣- ان هذه الاسطورة التاريخية تتنافى مع الحديث المنقول عن رسول الله صلى الله عليه وآله فانه صلى الله عليه وآله قال في حق علي عليه السلام:

«يفتح الله على يديه» مع العلم بأن المانع الاكبر من فتح خيبر كان هو مرحب الذي أجبرت شجاعته الأميرين السابقين على الفرار، فاذا كان قاتل مرحب هو

(١) ناسخ التواريخ: ج ٢ ص ٢٨٢-٢٨٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٠٤

«محمد بن مسلمة» لزم أن يقول رسول الله صلى الله عليه وآله جملة هذه في حق «محمد بن مسلمة» لا في حق «علي» عليه السلام الذي أعطاه الراية بعد أن قال تلك الجملة: «يفتح الله على يديه».

(١) يقول الحلبي كاتب السيرة المعروف: قيل: القاتل له (اي لمرحب) علي كرم الله وجهه و به جزم مسلم رحمه الله في صحيحه. قال بعضهم: و الاخبار متواترة به و قال ابن الاثير: الصحيح الذي عليه أهل السير و الحديث أن عليا قاتله كرم الله وجهه «١».

و لقد وقع الطبرى في تاريخه، و ابن هشام في سيرته في شىء من الاضطراب و الفوضى و كتب قصة هزيمة و رجوع الرجلين اللذين كلفا قبل علي عليه السلام بفتح قلاع اليهود بصورة لا تتفق مع مفهوم الجملة التي قالها رسول الله صلى الله عليه وآله في حق علي عليه السلام.

فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حقه: «و ليس بفزار» «٢» يعنى أن الذي سوف يعطيه الراية لا يفر أبدا، و مفهوم هذه الجملة هو أن عليا عليه السلام لا يفر و لا يجبن أمام العدو كما فر القائدان السابقان، و هذا يعنى أن القائدين السابقين فرّا أمام العدو، و أخليا الساحة، في حين أن الكاتبين المذكورين لا يذكران مسألة فرار القائدين المذكورين، و إنما يكتبان رجوعهما كما لو أنهما قد أذيا وظيفتهما القتالية و العسكرية على الوجه الكامل، و لكنهما لم يوفقا للفتح «٣».

(٢)

ثلاث نقاط مشرقة في حياة علي عليه السلام:

و نختم هذا البحث بذكر ثلاث فضائل لفاتح خيبر ذكرها أحد خصومه لها ارتباط بموقفه عليه السلام في خيبر:

(١) السيرة الحلبية: ج ٣ ص ٣٨، و راجع زاد المعاد: ج ٢ ص ١٣٤ و ١٣٥.

(٢) المغازي: ج ٢ ص ٦٥٣.

(٣) السيرة النبوية: ج ٣ ص ٣٤٩.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٠٥

أمر معاوية سعد بن أبي وقاص يوما فقال: ما منعك ان تسبّ أبا التراب؟

فقال: أما ما ذكرت ثلاثا قالهنّ له رسول الله صلى الله عليه وآله فلن أسبه لأن تكون لى واحدة منهنّ أحبّ إلى من حمر النعم.

ثم أخذ سعد في عدّ تلك المناقب فقال:

(١) ١- سمعت رسول الله صلى الله عليه [و آله] و سلم يقول له خَلْفَه في بعض مغازيه فقال له على: يا رسول الله خَلَفْتَنِي مع النساء و الصبيان؟

فقال له رسول الله صلى الله عليه [و آله] و سلم.

«أ ما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبوة بعدى» «١».

(٢) ٢- و سمعته يقول يوم خيبر:

لا-عطين الراية رجلا يحب الله و رسوله و يحبه الله و رسوله. قال فتناولنا لها فقال: ادعوا لى عليا. فاتى به أرمدا فبصق فى عينه، و دفع الراية إليه، ففتح الله عليه «٢».

(٣) ٣- و لما نزلت هذه الآية «فقل تعالوا ندع ابناءنا و ابناءكم و نساءنا و نساءكم و أنفسنا و أنفسكم ثم نبتهل...» دعا رسول الله صلى الله عليه [و آله] و سلم علينا و فاطمة و حسنا و حسيننا فقال:

«اللهم هؤلاء أهل بيتى» «٣» «٤».

(٤)

عوامل الانتصار:

إشارة

فتحت حصون «خيبر»، و استسلم اليهود للمسلمين بشروط خاصة، و لكن يجب أن نرى ما هى العوامل التى ادت إلى هذا الانتصار، فهذا هو فى الحقيقة

(١) و هى إشارة إلى واقعة تبوك.

(٢) و هى إشارة إلى واقعة خيبر.

(٣) و هى إشارة إلى قصة مباهلة النبى نصارى نجران.

(٤) صحيح مسلم: ج ٧ ص ١٢٠.

سيد المرسلين ، ج ٢، ص: ٤٠٦.

النقاط الهامة فى هذا القسم.

إن انتصار المسلمين الساحق فى هذه الغزوة يعود إلى عوامل يمكن الإشارة إليها على نحو الاجمال ثم شرحها بالتفصيل فى ما بعد.

١- التخطيط العسكرى و التكتيك الحربى الدقيق.

٢- تحصيل المعلومات و معرفة أسرار العدو الداخلى.

٣- تفانى الامام على بن أبى طالب، و بطولته النادرة. و هنا نحن ندرس هذه الامور الثلاثة على وجه التفصيل:

(١)

١- التخطيط و التكتيك العسكرى الدقيق:

لقد هبط الجيش الاسلامى فى منطقة قطع بها المسلمون ارتباط اليهود باصدقائهم القدامى (قبائل غطفان).

و قد كان بين قبائل غطفان فرسان كثيرين، و لو استطاعوا أن يعينوا اليهود في هذه الموقعة لما أمكن فتح حصون خيبر. فان «غطفان» لما سمعت بمسير رسول الله صلى الله عليه وآله إلى خيبر خرجوا ليظاهروا اليهود عليه، و لكنهم ما أن سمعوا الشائعة التي مفادها أن أصحاب محمّد قد قصدوهم من طريق آخر ظنوا انهم سيهاجمون أموالهم و أهلهم فرجعوا من منتصف الطريق على أعقابهم، و أقاموا في أهلهم و أموالهم و خلّوا بين رسول الله صلى الله عليه وآله و بين «خيبر».

يقول المؤرخون: إن هذه الشائعة كانت نتيجة نداء غيبي سمعه رجال غطفان فظنوا أن المسلمين داهموا أهلهم «١» و لكنه ليس من المستبعد أن تكون هذه الشائعة من فعل المسلمين المتستريين من قبائل غطفان، و الذين امرؤا بأن يتظاهروا بالكفر، و يبقوا في قبائلهم حتى يعينوا إخوانهم المسلمين في اللحظات

(١) المغازي: ج ٢ ص ٦٥١-٦٥٣.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٠٧.
المناسبة.

فخططوا لهذه الموقعة بمهارة كبيرة و كانوا في ذلك ناجحين جدا الى درجة أنه تسبب في أن تعدل إمدادات غطفان العسكرية لليهود من مواصلة مسيرها إلى «خيبر»، و العودة إلى أهلهم و ترك اليهود و شأنهم.

و قد سبق لهذا نظير في معركة «الاحزاب» يوم امتنعت قبائل غطفان عن نصره اليهود بسبب شائعة بثها بينهم رجل من المسلمين من بنى غطفان يدعى «نعيم بن مسعود»، و تفرق على أثره جماعة الاحزاب، و انفرط عقدهم.

(١)

٢- تحصيل المعلومات حول العدو:

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله كما أسلفنا مرارا يولى تحصيل المعلومات و معرفة أسرار العدو، أهمية كبيرة. و لهذا بعث قبل محاصرة «خيبر» طليعة من المسلمين و أمر عليهم «عباد بن بشر» و وجههم إلى «خيبر»، فالتقوا يهودى قرب حصون «خيبر»، و بعد التحقيق معه تبين أنه عين لليهود يتجسس لهم الاخبار فأخذوه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فسأله عن أوضاع اليهود في حصون «خيبر».

فقال: أفتؤمنى يا أبا القاسم على أن اصدقك؟ فأمنه عباد.

فقال اليهودى: القوم مرعوبون منكم خائفون و جلون لما قد صنعتهم بمن كان يشرب.

ثم قال: خرجت من حصن «النظاء» من عند قوم ليس لهم نظام تركتهم يتسللون من الحصن فى هذه الليلة إلى «الشق» و قد رعبوا منك حتى أن أفندتهم لتخفق، فاذا دخلت الحصن غدا و أنت تدخله، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن شاء الله، قال اليهودى إن شاء الله أو قفك على حصن اليهود الذى فيه منجنيق مفلكة و دبابتان و سلاح من دروع و بيض و سيوف، فانصب المنجنيق على حصن الشق و تدخل الرجال تحت الدبابتين فيحفرون الحصن فتفتحه من

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٠٨.

يومك «١».

إن النبى صلى الله عليه وآله و إن لم يستخدم هذه الادوات التخريبية إلا أن المعلومات التى وقف عليها من ذلك اليهودى الأسير كانت مهمة لأنها أوضحت نقطة الحملة غدا، و عرف النبى صلى الله عليه وآله أن التغلب على حصن «النظاء» لا يحتاج الى قوة كبيرة، و أنه لا بد من رعاية المزيد من الحيطه و الحذر عند فتح حصن «الشق».

(١) نموذج آخر: عند فتح إحدى القلاع أتى يهودى إلى النبي صلى الله عليه وآله بعد ثلاثة أيام مضت على محاصرتها وقال - و لعلّه لتخليص نفسه-: إنك لو اقامت شهرا ما بالوا، لهم جدول تحت الأرض يخرجون بالليل فيشربون بها ثم يرجعون إلى قلعتهم فيمنعون منك، فان قطعت مشربهم عليهم ضجهم.

و فى رواية أن النبي صلى الله عليه وآله لم يوافق على قطع الماء عن العدو «٢».

و فى اخرى؛ قطع عليهم مشاربهم موقتا فلم يطيقوا المقام على العطش «٣».

(٢)

٣- تقانى امير المؤمنين:

و لقد ذكرنا تغانى على بن أبى طالب، و بطولته فى هذه الموقعة بصورة مجملّة، و ها نحن ننقل عبارة قالها هو عليه السّلام عن هذه المسألة:

وردنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله خبير على رجال من اليهود و فرسانها من قريش و غيرها، فتلقونا بأمثال الجبال من الخيل و الرجال و السلاح، و هم فى أمتع دار و أكثر عدد، كل ينادى و يدعو و يبادر إلى القتال، فلم يبرز إليهم من أصحابى أحد إلا قتله حتى احمرت الحدق، و دعيت إلى النزال، و أهمت كل امرئ نفسه، و التفت بعض أصحابى إلى بعض و كل يقول: يا أبا الحسن انهض.

(١) السيرة الحلبية: ج ٣ ص ٣٥.

(٢) ناسخ التواريخ: ج ٢ ص ٢٩٩. المصدر السابق ص ٤٠.

(٣) الخصال: ص ٣٦٩.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٠٩

فأنهضنى رسول الله صلى الله عليه وآله إلى دارهم فلم يبرز إلى أحد منهم إلا قتله، و لا يثبت لى فارس إلا طحته، ثم شددت عليهم شدّة الليث على فريسته حتى أدخلتهم جوف مدينتهم مسددا عليهم فاقتلت باب حصنهم بيدي حتى دخلت عليهم مدينتهم وحدى أقتل من يظهر فيها من رجالها، و أسبى من أجد من نساؤها حتى افتتحتها وحدى و لم يكن لى فيها معاون إلا الله وحده «١».

(١)

الرحمة فى ساحة القتال:

عند ما افتتح حصن «القموص» سببت «صفية بنت حبي بن أخطب» و امرأه اخرى، فمر بهما «بلال» على القتلى فصاحت صفيّة صياحا شديدا جزعاً ممّا رأت، فكره رسول الله صلى الله عليه وآله ما صنع بلال و قال صلى الله عليه وآله: «أذهب منك الرحمة؟ تمر بجارية حديثه السنّ على القتلى؟».

فقال بلال: يا رسول الله ما ظننت أنك تكره ذلك، و أحببت أن ترى مصارع أهلها «٢».

و لم يكتف رسول الله صلى الله عليه وآله بهذا القدر من تطيب خاطر «صفية» بل احترامها، و عين لها مكانا خاصا للاستراحة فى المعسكر، و اختارها زوجة لنفسه، و بهذا الطريق أزال آثار ذلك الصنيع السيئ الذى قام به بلال.

لقد تركت أخلاق رسول الله صلى الله عليه وآله و تعامله الانسانى الرفيع مع «صفية» أثرا حسنا فى نفسها، فقد صارت فى ما بعد من أزواج النبي صلى الله عليه وآله الوفيات المخلصات، و قد حزنّت عند وفاته، و بكت له أكثر من بقية أزواجه «٣».

(١) الخصال: ص ٣٦٩ باب السبعة.

(٢) المغازي: ج ٢ ص ٦٧٣، تاريخ الطبري: ج ٣ ص ٣٠٢.

(٣) تاريخ الطبري: ج ٢ ص ٣٠٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤١٠

(١)

مصراع كنانة بن الربيع:

منذ أن أجلي «بنو النضير» عن المدينة و سكنوا «خيبر» أحدثوا صندوقا لجمع الأموال لإدارة شؤونهم العامة، و لسد نفقات الحروب، و لإعطاء دية كل من كان يقتل من بنى النضير.

فبلغ رسول الله صلى الله عليه وآله أن هذا الكنز و هذه الأموال قد أودعت عند «كنانة بن الربيع» زوج «صفية»، فلما افتتح صلى الله عليه وآله عليه و آله خيبر طلب الربيع و سأله عن كنز اليهود، فأنكر ذلك فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله بحبسه، ثم عرف بعد التحقيق من اليهود، بمكان ذلك الكنز، و قد كان بخربة، إذ قال له يهودى إنى رأيت كنانة يطيف بهذه الخربة كل غداة أيام الحرب فأمر رسول الله بالخربة فحفرت فاخرج منها بعض ذلك الكنز، فسأل رسول الله صلى الله عليه وآله «كنانة» عما بقى فأبى أن يؤديه أو يخبر بموضعه، فدفعه رسول الله صلى الله عليه وآله إلى محمد بن مسلمة فضرب عنقه قصاصا لأخيه الذى قتل فى وقع خيبر «محمود بن مسلمة» و الذى قتله اليهود بالقاء رحي من حجر من فوق حصونهم على رأسه، و انما قتل رسول الله صلى الله عليه وآله كنانة بضرب عنقه، لتواطئه ضد الاسلام، و كتمانته مثل هذا الأمر، و تأديبا لغيره من اليهود حتى يتورعوا عن حبك المؤامرات ضد رسول الاسلام و ضد أصحابه، و ضد الحكومة الاسلامية، و كان «كنانة» آخر من قتل من يهود خيبر «١».

(٢)

تقسيم غنائم الحرب:

بعد افتتاح حصون «خيبر»، و تجريد العدو من كل أسلحته، و جمع الغنائم أمر

(١) السيرة النبوية: ج ٣ ص ٣٣٧، بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٣٣.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤١١

رسول الله صلى الله عليه وآله بأن تجمع الغنائم كلها فى مكان واحد، ثم أمر صلى الله عليه وآله رجلا بأن ينادى فى الناس:

«أدوا الخيط و المخيط، فانّ الغلول عار و شوار و نار يوم القيامة» «١».

(١) و لقد شدّد قادة الاسلام و ائمتهم الحقيقيون على أهمية الامانة تشديدا بالغا حتى أنهم اعتبروا ردّ الامانة - مهما صغرت و دقت - من علامات الايمان، و الخيانة و عدم ردّها من علائم النفاق.

من هنا عند ما عثر رسول الله صلى الله عليه وآله فى رحل مسلم من المقاتلين شيئا من أموال الغنيمة لم يردّها إلى بيت المال لم يصلّ على جنازة ذلك الرجل عند ما استشهد، و إليك تفصيل هذه الحادثة.

لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وآله و أصحابه من خيبر و مع رسول الله صلى الله عليه وآله غلام له، يقوم له بشئونه، و فيما كان ذلك يضع رحل النبى صلى الله عليه وآله إذ أتاه سهم لا يعلم راميه فأصابه فقتله، فقال المسلمون:

هنيئاً له الجنة.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«والذي نفس محمد بيده إن شملته «٢» الآن لتحترق عليه في النار، كان قد غلها من فيء المسلمين يوم خيبر!!»

(٢) فسمع رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله هذا الكلام فأتاه وقال:

يا رسول الله، أصبت شركين نعلين لي فقال صلى الله عليه وآله «يقدر لك مثلهما في النار» (٣).

وهذه القصة تفضح أيضاً دسائس بعض المستشرقين، لأنهم كانوا يصفون حروب الاسلام و معاركه العادلة بأنها كانت من أجل الاغارة على أموال الناس

(١) وسائل الشيعة: ج باب جهاد النفس الحديث ٤، المغازي: ج ٢ ص ٦٨١.

(٢) الشملة كساء غليظ يلتحف به.

(٣) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٣٣٩، امتاع الاسماع: ج ١ ص ٣٢٣ و ٣٢٤.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤١٢

ومصادرتها كما يفعل قطاع الطرق، متجاهلين عمداً وكيدا الأهداف الإنسانية والالهية العليا لهذه المعارك والغزوات، والحال أن مثل هذه الانضباطية والنظم والورع مما لا يمكن تصوره في قوم همهم الاغارة والنهب والسلب.

إن قائد شعب أو قوم هذا هو همهم وهذه هي همتهم لا يمكن أبداً أن يعتبر ردّ الامانة من واجبات الدين ومن علائم الايمان، كما لا يمكنه أن يربي أتباعه وأصحابه بمثل هذا التربية الرفيعة، بحيث يجعله يجتنب عن سرقة صغيرة جداً مثل غلّ شركاء نعلين لا قيمة لهما تذكر.

(١)

قافلة من أرض الذكريات:

قبل أن يتوجه رسول الله صلى الله عليه وآله بالمسلمين الى «خيبر» بعث «عمرو بن أمية» إلى البلاط الحبشي لغرض إيصال رسالته إلى ملك الحبشة النجاشي، و ليطلب منه أن يهوى المقدمات اللازمة لترحيل المسلمين المهاجرين من الحبشة الى المدينة.

فهتياً النجاشي سفينتين لأولئك المهاجرين بعد أن جهزهم بجهاز حسن و امر لهم بكسوة، فسارت بهم حتى وصلت إلى السواحل القريبة من المدينة.

ولما علم المسلمون بمسير رسول الله صلى الله عليه وآله إلى «خيبر» توجهوا من فورهم الى «خيبر» فقدموا مع «جعفر بن أبي طالب» على رسول الله صلى الله عليه وآله يوم «خيبر» بعد أن افتتحت جميع حصون اليهود و قلاعهم.

فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله جعفر مشى في استقباله (١٢) خطوة ثم قبل ما بين عينيه و التزمه و قال:

«ما أدري بأيهما أنا اسرّ بفتح خيبر أم بقدم جعفر؟».

و في رواية اخرى قال صلى الله عليه وآله:

«لا أدري بأيهما أنا أشدّ فرحاً بقدمك يا جعفر أم بفتح الله على أخيك خيبر».

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لجعفر:

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤١٣

«يا جعفر ألاّ امنحك؟ ألا اعطيك ألا احبوك؟».

فظن الناس أنه يعطيه ذهباً أو فضةً، فتشوّف الناس لذلك. فقال له:
 أنى اعطيك شيئاً إن أنت صنعته فى كل يوم كان خيراً لك من الدنيا وما فيها». ثم علمه صلى الله عليه وآله الصلاة المعروفة بصلاة جعفر الطيار «١».

(١)

حجم الخسائر و عدد القتلى:

لم يتجاوز عدد قتلى المسلمين فى هذه الغزوة ٢٠ شخصاً و لكن قتل من اليهود أكثر من هذا بكثير، و قد سجل التاريخ أسماء ٩٣ رجلاً منهم «٢».

(٢)

العفو بعد الانتصار:

المؤمنون بالله و اصحاب المروءات من البشر يعاملون العدو المنهزم المقهور عند الغلبة عليه و الظفر به باللطف و الحب، و يعفون عنه و يتناسون روح الانتقام، أجل إنهم يشملون العدو منذ استسلامه بعطفهم و حنانهم و تلك هى حقيقة اثبتتها وقائع التاريخ الحية. و كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وآله عند ما تغلب على يهود خيبر فقد عاملهم بعد الانتصار معاملة حسنة، و شملهم بعفوه، و لطفه رغم كل ما ارتكبه فى حق رسول الله صلى الله عليه وآله من ظلم و جناية و تأليب للعرب الوثنيين ضد الاسلام، و اشعال حروب كادت أن تودى بالحكومة الاسلامية و تستأصل المسلمين، و تقضى على جهود رسول الإسلام. فقد قبل بطلب اليهود بأن يسكنهم فى خيبر كما كانوا، و أن يترك أراضيهم

(١) فروع الكافي: ج ١ ص ١٢٩ و ١٣٠، الخصال: ج ٢ ص ٨٢ و ٨٣، امتاع الاسماع: ج ١ ص ٣٢٥.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٣٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤١٤

و بساتينهم بأيديهم، على أن يكون له نصف محاصيلها سنوياً.

بل إن النبى صلى الله عليه وآله - كما يروى ابن هشام - هو الذى اقترح هذا الأمر على اليهود، و ترك لهم حرية التصرف فى مزارعهم و أراضيهم ليغرسوا أو يزرعوا ما يريدون من الشجر «١».

(١) لقد كان فى مقدور النبى صلى الله عليه وآله، كأى فاتح آخر، أن يريق دمهم جميعاً، أو أن يجلبهم برمتهم من أراضيهم، أو يجبرهم على اعتناق الاسلام، و لكنّه - خلافاً لتصور زمرة مغرضة من المستشرقين، و طلائع الاستعمار الثقافى الذين يتصوّرون و يزعمون بأن الاسلام دين القهر و القوة، و ان المسلمين أجبروا الامم و الأقوام المغلوبة على ترك عقائدها، و اعتناق الاسلام لم يفعل مثل هذا العمل قط، بل تركهم أحراراً فى ممارسة شعائرهم، و البقاء على ما كانوا يعتقدونه من اصول دينهم و فروعه.

(٢) و لم يحارب رسول الله صلى الله عليه وآله و أصحابه يهود «خيبر» إلا لأن «خيبر» قد تحوّلت إلى بؤرة خطيرة للمؤامرة، و الكيد بالاسلام و المسلمين، فقد كانوا يمدّون المشركين بكل ما يريدون للقضاء على الحكومة الاسلامية الحديثة التأسيس، و لهذا اضطر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى مقاتلتهم، و تجريدهم من أسلحتهم، حتى يعيشوا تحت ظل الحكومة الاسلامية بمنتهى الحرية، و يشتغلوا بمشاغلهم فى الزراعة، و يقيموا شعائرهم الدينية من دون أن يجدوا فرصة للمشاغبة و التآمر ضدّ رسالة التوحيد الكبرى، اذ كانوا يسببون مشاكل كبيرة للمسلمين - فى غير هذه الصورة - و يمنعون من تقدّم الاسلام و انتشاره.

(٣) و أما الجزية (٢) فقد كان لقاء دفاع الحكومة الاسلامية عنهم، و حمايتهم من الأعداء، و توفير الأمن لهم، إذ كان حماية أموالهم و أنفسهم من وظائف المسلمين.

ثم ان المحاسبة الدقيقة تقودنا إلى أن ما كان يدفعه المسلمون إلى الحكومة

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٣٣٧.

(٢) الجزية ما يؤخذ من أهل الذمة.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤١٥.

الإسلامية من الضرائب الاسلامية كان أكثر بكثير مما كان يدفعه اليهود.

و النصرى إلى الحكومة الاسلامية بعنوان الجزية.

فقد كان يتوجب على كل مسلم أن يدفع الى الحكومة الاسلامية الخمس و الزكاة و ربما توجب عليه ان يدفع شيئاً من أصل ماله لسد نفقات و احتياجات الحكومة الاسلامية بينما كان اليهود و النصرى الذين كانوا يعيشون في ظل الحكومة الاسلامية في أمن و أمان و يتمتعون بجميع الامتيازات و الحقوق الاجتماعية الفردية يدفعون إلى الحكومة الاسلامية الجزية بدل ما كان يدفعه المسلمون، فالجزية شيء و الأتاوة شيء آخر، على خلاف ما يروجه بعض الكتاب المغرضين.

(١) و لقد كان عامل الجباية الذي كان يزور خبير بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله لتقدير حجم المحاصيل فيها، ثم تصنيفها رجلاً عادلاً ورعاً إلى درجة أن اليهود أنفسهم أعجبوا بعدله، و اعترفوا بانصافه، و هو «عبد الله بن رواحة» الذي استشهد فيما بعد، في موقعة «مؤتة».

فقد كان «ابن رواحة» يخمن نصيب المسلمين من محاصيل خبير، و ربما تصوّر اليهود أنه أخطأ في التخمين و الخرص، و خمن أكثر مما هو الحق فقالوا له:

تعديت علينا!

فكان عبد الله يقول: إن شئتم فلکم و إن شئتم فلنا.

فتقول اليهود- معجبة بهذا الانصاف العظيم و العدل الكبير الذي كان يتحلى به مخرّص الحكومة الاسلامية-: بهذا قامت السماوات و الارض «١».

و لقد حصل المسلمون أثناء جمع غنائم «خير» على قطعة من التوراة، فطلبت اليهود من النبي صلى الله عليه وآله أن يعيدها إليهم، فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله و آله مسئول بيت المال باعادتها إليهم «٢».

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٣٥٤.

(٢) المغازي: ج ٢ ص ٦٨٠، امتاع الاسماع: ج ١ ص ٣٢٣.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤١٦.

و هذا يكشف عن احترام رسول الله صلى الله عليه وآله للشرائع الاخرى.

(١)

سلوك اليهود المتعجرف:

في قبال كل هذه الألفاظ لم تكف اليهود عن خيانتها و كيدها، بل ظلّت تخطّط- في الخفاء- للايقاع برسول الله صلى الله عليه وآله

و أصحابه، و الحاق الأذى بهم.

و لتقف فيما يأتي على نموذجين من هذا الأمر:

(٢) ١- لما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وآله قزرت جماعة من اليهود في الخفاء أن تقضى على رسول الله صلى الله عليه وآله بدس سم إليه. فأهدت له «زينب بنت الحارث» زوجة «سلام بن مشكم اليهودي» شاة مشوية و قد سألت أى عضو من الشاة أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقيل لها الذراع، فاكثرت فيها من السم، ثم سمت سائر الشاة، ثم جاءت بها، فلما وضعتها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله تناول الذراع، فلاك منها مضغاً فلم يسغها، و معه «بشر بن البراء بن معرور» قد أخذ منها كما أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله فأمأ بشر فقد ابتلعها، و أما رسول الله صلى الله عليه وآله فقد لفظها و عرف بأنها مسمومة، و مات بشر من أكلته التي أكل ثم دعا زينبا، و قال لها: سممت الذراع؟ فاعترفت. فقال لها: ما حملك على ذلك، قالت: قتلت أبى و عمى و زوجى، و نلت من قومى ما نلت فقلت: إن كان ملكا استرحت منه، و ان كان نبياً فسيخبر. فعفا عنها رسول الله صلى الله عليه وآله، و لم يلاحق من تواطئوا معها «١».

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٣٣٧ و ٣٣٨ و المغازى: ج ٢ ص ٦٧٧ و ٦٧٨. و امتاع الاسماع: ج ١ ص ٣٢٣. هذا و المعروف أن النبى صلى الله عليه وآله قال فى: مرضه الذى مات فيه: إن هذا الأوان وجدت فيه انقطاع أبهرى من الأكلة التي أكلت بخير، فإن النبى، و ان كان لفظ-

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤١٧

(١) لا شك لو أن مثل هذه الحادثة حدثت لغير رسول الله صلى الله عليه وآله من القادة و الزعماء لصبغوا الارض بدماء من ظنوا أنه قصد قتلهم، أو ملأوا السجون بهم و حبسهم، أعواماً مديدة أو اخضعوهم لاشد انواع التعذيب الجسدى و النفسى كما يحدثنا بذلك التاريخ القديم و الحديث.

إن هذه المؤامرة الدينئة التي قامت بها امرأة من اليهود جعلت الكثير من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يسيئون الظن بصفية اليهودية التي أصبحت فى عداد ازواج النبى صلى الله عليه وآله.

فقد باتوا يتصوّرون أنها ربما أقدمت فى ليلة من الليالى على اغتيال رسول الله صلى الله عليه وآله.

و لهذا عند ما أعرس رسول الله صلى الله عليه وآله بها بخير أو فى أثناء الطريق بات «أبو أيوب الانصارى» يحرس قبة رسول الله صلى الله عليه وآله التي دخل بها بصفية ليلة عرسه بها، و بقى يطوف بالقبة حتى أصبح رسول الله صلى الله عليه وآله فلما رأى أبا أيوب قال: مالك يا أبا أيوب؟

قال: يا رسول الله خفت عليك من هذه المرأة، و كانت امرأة قد قتلت أباهها و زوجها و قومها و كانت حديثة عهد بكفر، فخفتها عليك. فشكره رسول الله صلى الله عليه وآله، و دعا له بخير «١».

(٢) ٢- و النموذج الثانى من جفاء اليهود، و كيدهم حتى بعد عفو النبى عنهم، و لطفه بهم أن «عبد الله بن سهيل» الذى كلّف من جانب النبى صلى الله عليه وآله فى إحدى السنين بخرص محاصيل خبير و تقديرها و حمل نصيب المسلمين منها إلى المدينة قتله جماعة مجهولة من اليهود أثناء قيامه بواجبه فى خبير و قد كسروا

المضغة إلا ان بقايا السم اختلط بيزاقه الشريف، و أثر فى جسمه المبارك حتى أودى بحياته المقدسة بعد حين.

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٣٣٩ و ٣٤٠، بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٣٣.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤١٨

عنقه و ألقوه فى بئر، فقدم جماعة من زعماء اليهود المدينة و دخلوا على رسول الله صلى الله عليه و آله و أخبروه بهذه العملية الغادرة المجهول فاعلمها، و تقدم الى رسول الله صلى الله عليه و آله أيضا «عبد الرحمن» اخو عبد الله بن سهل و ابنا عمه و كان عبد الرحمن من أحدثهم سنا و كان صاحب الدّم فلما تكلم قبل ابني عمه قال رسول الله: الكبر الكبر (أى قدّموا الاكبر للكلام إرشادا إلى الأدب فى تقديم الأسنّ و هو خلق يدعو إليه الاسلام).

فذكروا لرسول الله صلى الله عليه و آله قتل صاحبهم و طلبوا القصاص فقال رسول الله صلى الله عليه و آله: «أ تسمون قاتلكم، ثم تحلفون عليه خمسين يمينا فنسلمه إليكم».

(١) و حمل هذا التعليم النبوى أولياء الدم على أن يجعلوا التقوى و الورع نصب أعينهم و لم يستسلموا لثورة العاطفة فقالوا: يا رسول الله ما كنا لنحلف على ما لا نعلم.

فقال رسول الله صلى الله عليه و آله:

«أ يحلفون (أى يحلف اليهود) بالله خمسين يمينا ما قتلوه، و لا يعلمون له قاتلا، ثم يبرءون من دمه؟».

قالوا يا رسول الله ما كنا لنقبل أيمان اليهود، ما فيهم من الكفر أعظم من أن يحلفوا على إثم.

فكتب رسول الله صلى الله عليه و آله إلى يهود خيبر كتابا فيه: انه قد وجد قتيل بين أياتكم فدوه (أى أعطوا ديتة).

فكتبوا إليه يحلفون بالله ما قتلوه، و لا يعلمون له قاتلا.

فلما رأى رسول الله صلى الله عليه و آله أن المشكلة قد وصلت إلى طريق مسدودة وداه بنفسه من عنده مائة ناقة «١».

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٣٥٤-٣٥٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤١٩

و هكذا اثبت النبى صلى الله عليه و آله لليهود مرة اخرى بأنه ليس داعية حرب و لا طالب قتال و سفك دماء، و لو كان كغيره من

الزعماء و السياسيين لاتخذ من قصة مقتل عبد الله ذريعة للقضاء على حياة تلك الزمرة المعتدية، المشاغبة المخلة بالأمن «١»

إن النبى صلى الله عليه و آله كما يصرح بذلك القرآن الكريم و يصفه: نبى الرحمة، فهو لا يحتكم الى السيف ما لم يبلغ الامر مداه.

(١)

حيلة مجازة:

كان فى خيبر تاجر يدعى الحجاج بن علاط السلمى له تجارة مع أهل مكة، و كان ممن حضر يوم خيبر. و شاهد لطف النبى و رحمته فأسلم طائعا راغبا.

و لما فرغ المسلمون من أمر «خيبر» أتى رسول الله صلى الله عليه و آله و قال:

يا رسول الله إن لى بمكة مالا متفرقا فى تجار مكة فاذن لى يا رسول الله صلى الله عليه و آله أن احتال لأخذها، فأذن له رسول الله

صلى الله عليه و آله بذلك ليستنقذ أمواله من المشركين و غيرهم فى مكة.

فقدم مكة، فراه رجال قريش اجتمعوا حوله و أخذوا يسألونه عن أمر رسول الله صلى الله عليه و آله و لم يكونوا علموا بإسلامه

فأجابهم قائلا: لقد هزم محمد بخيبر هزيمة لم تسمعوا بمثها قط، و قتل أصحابه قتل لم تسمعوا بمثله قط، و اسر محمد اسرا، و قالت

اليهود: لا نقتله حتى نبعث إلى أهل مكة فيقتلوه بين

(١) لم تنحصر تعديتات اليهود و تجاوزاتهم على ما ذكرناه فلطالما خططوا و دبّروا الحيل للاحاق الأذى و الضرر بالمسلمين، و من

جملة ذلك حادث عبد الله بن عمر الذي ذهب إلى خيبر في عهد الخليفة الثاني لعقد اتفاقية مع أهلها فاعتدوا عليه بالضرب فلما عرف بذلك عمر رأى أن يجلبهم من خيبر لقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان» فقال لصحابة النبي صلى الله عليه وآله من كان له حق عند اليهود فليأخذه ثم أجلاهم من خيبر جزاء كيدهم و تأمرهم المستمر. (المصدر).

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٢٠

أظهرهم انتقاماً لمن أصاب من رجالهم.

(١) وفرح سادة قريش لهذا الخبر الكاذب فرحاً شديداً، ثم قال الحجاج لهم.

أعينوني على جمع مالى بمكة و على غرمائى فإنى أريد أن اقدم خيبر فأصيب من محمّد و أصحابه قبل أن يسبقنى التجار الى ما هنا لك فجمعوا له ماله كاسرع ما يكون.

فلما سمع «العباس بن عبد المطلب» هذا الخبر جاء الى الحجاج و قال يا حجاج ما هذا الخبر الذى جئت به، فأشار الحجاج إلى العباس بأنه سيخبره بحقيقته الأمر، ثم التقى العباس خفية و أخبره بأنه ماكر أهل مكة، و أنّ النبي ظفر بيهود خيبر، و طلب من العباس أن يكتنم ذلك حتى يغادر مكة، و ينجو بنفسه و ماله.

فلما فرغ من جميع ماله كله غادر مكة بسرعة فائقة. (٢) فلما مضى على ذلك ثلاثة أيام و اطمأنّ العباس من نجاة الحجاج لبس حلة جميلة، و تعطر و أخذ عصاه ثم خرج حتى أتى الكعبة فتعجبت قريش لذلك، و ظنت أنه فعل ذلك تجلّداً، فقالت للعباس: يا أبا الفضل هذا و الله التجلّد لحزّ المصيبة، قال: كلا، و الله الذى حلفتكم به، لقد افتتح «محمّد» خيبر، و ترك عروسا على بنت ملكهم، و أحرز أموالهم و ما فيها، و أصبحت له و لأصحابه.

فقالوا: من جاءك بالخبر.

فقال: الذى جاءكم بما جاءكم (و يعنى الحجاج الذى احتال عليهم). و لقد دخل عليكم مسلماً، فأخذ ماله، و انطلق ليلحق بمحمّد و أصحابه، فيكون معه.

فغضبت قريش لهذه المكيدة و انزعجت انزعاجاً شديداً، و لكن بعد فوات الأوان، و لم يلبثوا أن جاءهم خبر انتصارات المسلمين الساحقة على أعدائهم «١».

(١) بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٣٤، زاد المعاد: ج ٢ ص ١٤٠، و السيرة النبوية: ج ٢ ص ٣٤٥ و ٣٤٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٢١

(١)

٤٥ قصة فدى

إشارة

كانت «فدى» منطقة خصبة، كثيرة الخير، قرب خيبر، و هى تبعد عن المدينة بما يقرب من (١٤٠) كيلومتراً، و كانت تعتبر بعد حصون خيبر النقطة الهامة التى يعتمد عليها يهود الحجاز «١».

و قد ملأت القيادة الاسلامية - بعد أن هزم اليهود فى خيبر و وادى القرى و تيماء الفراغ الذى حصل فى شمال المدينة - بالقوة العسكرية الاسلامية.

و لأجل أن تنهى الوجود السياسى اليهودى فى هذه المنطقة التى كانت بمثابة منبع خطر، و بؤرة شغب ضدّ الاسلام، بعثت القيادة

الاسلامية سفيرا الى سادة فدك و زعمائها، لمعرفة موقفهم فأثر «يوشع بن نون» الذي كان يرأس سكان تلك المنطقة، الصلح و السلام على الحرب و القتال، و تعهد بأن يسلم كل سنة نصف محاصيل فدك الى رسول الله صلى الله عليه وآله «٢».

و أن يعيش هو و قومه من الآن تحت راية الحكومة الاسلامية، و لا- يشاغب و لا- يتآمر ضد المسلمين، على أن تتعهد الحكومة الاسلامية- في مقابل هذا المبلغ- بتوفير الأمن في المنطقة.

(١) راجع كتاب «مراصد الاطلاع» ج ٣ ص ١٠٢٠ ماده فدك.

(٢) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٣٥٣، امتاع الاسماع: ج ١ ص ٣٣١، فتوح البلدان: ص ٤٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٢٢

حكم الاراضى المفتوحة بلا قتال:

(١) و من الجدير بالذكر هنا أن الأراضى التى يسيطر عليها المسلمون بالحرب و القتال تعود ملكيتها الى عامة المسلمين و يكون إدارتها بيد القائد الأعلى للامة.

أما الاراضى التى لم يوجف عليها بخيل و لا- ركاب و لم يسيطر عليها المسلمون بالقتال فتكون لرسول الله صلى الله عليه وآله و الامام من بعده خالصة، فهو يتصرف فيها كما يشاء و يرى، فله أن يهبها، و له أن يؤجرها، و من جملة ماله أن يفعل فيها هو أن يهبها لأقربائه فيسدوا بها حاجتهم، و يديروا بها معيشتهم «١».

و على هذا الاساس و هب رسول الله صلى الله عليه وآله فدكا لابنته الطاهرة فاطمة الزهراء، و قد أريد من إيهاب هذه الارض لها- كما تشهد بذلك القرائن - أمران:

(٢) ١- أن قيادة الامة كانت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله كما صرح النبي بذلك مرارا، ل: «على بن أبى طالب»، و مثل هذه المسئولية الثقيلة تحتاج و لا شك الى ميزانية كبيرة، فكان لعل على عليه السلام أن يصرف من أموال فدك و عائداتها اذا صارت تحت تصرفه اكبر قدر ممكن ليحفظ به ذلك المنصب، و يستطيع القيام بمتطلباته.

و كأن جهاز الخلافة- بعد رسول الله صلى الله عليه وآله و آله أدرك هذه الحقيقة، و لهذا عمد منذ الايام الاولى لوفاء رسول الله صلى الله عليه وآله الى انتزاع فدك من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله.

(٣) ٢- لقد كان من الواجب أن تعيش ذرية النبي صلى الله عليه وآله التى كان يتمثل مصداقها الكامل فى وحيدة رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة الزهراء،

(١) و قد طرحت هذه المسألة فى الآية ٦ و ٧ من سورة الحشر و عولجت فى الكتب الفقهية فى باب الجهاد تحت عنوان «الغىء» «و الأنفال».

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٢٣

و ابنها الحسن و الحسين عليهما السلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله بصورة تليق بمقام رسول الله صلى الله عليه وآله و آله و شرفه، و مكانته السامية.

و لهذا الهدف و هب رسول الله صلى الله عليه وآله فدكا لابنته فاطمة الزهراء عليها السلام.

(١) يقول المفسرون و المحدثون الشيعة و بعض علماء السنة انه لما نزل قوله تعالى:

«وَاتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَ الْمَسْكِينِ وَ ابْنَ السَّبِيلِ» «١».

دعا رسول الله صلى الله عليه وآله ابنته فاطمة و فوض إليها فدكا «٢»، وقد روى هذا الأمر أبو سعيد الخدرى و هو من كبار صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله.

و يعترف جميع المفسرين، سنة و شيعه، بان هذه الآية نزلت فى حق أقرباء رسول الله صلى الله عليه وآله، و ابنته الزهراء اظهر و أقوى مصاديق «ذى القربى»، حتى انه كان على بن الحسين السجاد فى الشام بعد واقعة كربلاء، و سأله بعض الشاميين عن نسبه، فتلا عليه السلام الآية المذكورة للتعريف بنفسه، و حيث إن مفاد الآية و المراد بها كان معلوما عند المسلمين كافة قال الشامى متعجبا: و انكم للقرباء الذى أمر الله أن يؤتى حقه «٣».

(٢) و خلاصة القول ان ثمة اتفاقا بين علماء السنة و الشيعة فى أن هذه الآية قد نزلت فى شأن الزهراء و ابنها، نعم هناك خلاف فى ان رسول الله صلى الله عليه وآله و هب ساعة نزول هذه الآية فدكا لابنته فاطمة، أم لا، و لقد اتفق علماء الشيعة على الشق الأول، و ذهبوا إلى ان النبى صلى الله عليه وآله و هب فدكا عند نزول الآية لفاطمة و وافقهم على ذلك جمع من علماء السنة. و قد أراد المأمون العباسى (لسبب ما) إعادة فدك إلى بنى الزهراء فكتب

(١) الاسراء: ٢٦.

(٢) مجمع البيان: ج ٣ ص ٤١١، شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج ١٦ ص ٢٦٨، الدر المنثور: ج ٤ ص ١٧٧.

(٣) الدر المنثور: ج ٤ ص ١٧٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٢٤

الى المحدث المعروف «عبد الله بن موسى» و طلب منه أن يرشده فى هذا الامر، فكتب إليه عبد الله بن موسى الحديث المذكور الذى يوضح شأن نزول هذه الآية، فاعاد المأمون فدكا الى أبناء الزهراء، و ذريتها «١» فكتب الخليفة العباسى إلى واليه على المدينة يومذاك بأن رسول الله صلى الله عليه وآله و هب فدكا لابنته فاطمة الزهراء، و هذا أمر مسلم، و لا خلاف فيه بين ابناء الزهراء. (١) و قد جلس المأمون ذات يوم على كرسى خاص للاستماع إلى مظالم الناس و شكاياتهم، فكانت أول ما أعطى له، رسالة وصف صاحبها نفسه فيها بأنه يدافع عن الزهراء، فقرأ المأمون الرسالة و بكى مدة، ثم قال: من هو المحامى عن الزهراء؟ فقام شيخ كبير، و قال: أنا هو ذا، فانقلب مجلس المأمون من مجلس القضاء الى مجلس حوار و مناظرة بين المأمون و بين ذلك الشيخ، و أخيرا وجد المأمون نفسه مغلوبا محجوجا فأمر رئيس ديوانه بان يكتب كتاب ردّ فدك إلى ابناء الزهراء، فكتب ذلك الكتاب، و وشحه المأمون بتوقيعه، و فى هذه المناسبة قام دعبل الذى حضر ذلك المجلس و أنشأ شعرا هذا مطلعها:

أصبح وجه الزمان قد ضحك كبرد مأمون هاشم فدكا «٢» (٢) و ليس الشيعة بحاجة - فى اثبات ان فدكا كان ملكا طلقا و خالصا للزهراء فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الدلائل المذكورة، لأن الصديق الأكبر أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام قد صرح بمالكيته بفدك فى إحدى رسائله الى واليه على البصرة عثمان بن حنيف اذ قال:

«بلى كانت فى أيدينا فدك من كل ما أظلمت السماء فشحت عليها نفوس قوم، و سخت عنها نفوس قوم آخرين و نعم الحكم الله» «٣».

(١) مجمع البيان: ج ٣ ص ٤١١ عند تفسير قوله تعالى: «وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ الاسراء: ٢٧ فتوح البلدان ص ٤٦

(٢) شرح ابن أبى الحديد: ج ١٦ ص ٢١٧.

(٣) نهج البلاغة: الكتاب ٤٥.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٢٥

(١)

قصة فدك بعد رسول الله صلى الله عليه وآله:

لقد حرمت ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله العزيزة فاطمة من ملكها الخالص (فدك) بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله لأغراض سياسية خاصة، وأخرجوا عمالها من تلك الارض، فعمدت إلى إثبات حقها واسترداد ملكها من جهاز الخلافة عن طريق القانون.

ففي الدرجة الأولى كانت قرية فدك في يدها، و اليد دليل الملك، و لكن جهاز الخلافة طلب منها مع ذلك دليلا على كون فدك ملكها، خلافا لكل الموازين القضائية الاسلامية.

إذ لا يطلب من أي واحد له يد على شيء (أي يكون ذلك الشيء تحت تصرفه) أن يقيم دليلا على ملكيته لذلك الشيء، و لكن الخلافة لم تعر ليد الزهراء على «فدك» أهمية، بل طالبتها بان تأتي بشاهد على ملكيته.

ولهذا اضطرت فاطمة الزهراء عليها السلام إلى ان تأتي للشهادة على ذلك بشخصية ذات مكانة هامة كعلي عليه السلام و امرأه تدعى أم أيمن التي شهد لها رسول الله صلى الله عليه وآله بأنها من نساء الجنة (١).

(٢) و بعث رسول الله صلى الله عليه وآله «رباح» حسب رواية البلاذري (٢)، و لكن جهاز الخلافة لم يعر اهتماما لشهادة هؤلاء اليهود، و حرم ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله من ملكها الذي وهبه اياها والدها رسول الله صلى الله عليه وآله.

و لقد كانت «الزهراء» و «علي» و ابناهما الحسن و الحسين عليهم السلام مطهرين من كل رجس كما صرح بذلك قوله تعالى: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا» (٣).

(١) الاصابة: ج ٤ ص ٤٣٢.

(٢) فتوح البلدان: ص ٤٤.

(٣) الاحزاب: ٣٣، راجع كتاب: آية التطهير في احاديث الفريقين: ج ١ و ٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٢٦

و لو أن هذه الآية شملت نساء النبي صلى الله عليه وآله لكانت فاطمة الزهراء من أوضح مصاديقها قطعاً و يقيناً، و لكن الخلافة تجاهلت - مع الأسف - حتى هذا الدليل، و اعتبر الخليفة ادعاءها ادعاء غير مشروع.

(١) و في المقابل يرى علماء الشيعة أن الخليفة الاول أذعن في نهاية الأمر لصحة رأي الزهراء و صحة ادعائها و شرعيتها، و كتب كتابا يصرح بأن فدكا ملك خالص للزهراء و أعطاه ذلك الكتاب، و لكن رفيق الخليفة و صاحبه لما صادف الزهراء في اثناء الطريق و عرف بأنها حصلت على اعتراف صريح من الخليفة بملكيتها لفدك أخذ منها ذلك الكتاب و اتى به الى الخليفة الاول و قال معترضا على شهادة علي عليه السلام و أم أيمن لها: ان عليا يجز إلى نفسه و أم أيمن امرأه. ثم عمد إلى الكتاب فمحا و حرقه (١).

هذا و يروي الحلبي في سيرته هذه الحادثة بصورة اخرى اذ يكتب قائلا: ان ابا بكر كتب لفاطمة بفدك و دخل عليه عمر فقال: ما هذا؟ فقال: كتاب كتبه لفاطمة بميراثها من أبيها، فقال: ممّا ذا تنفق على المسلمين و قد حاربتك العرب كما ترى، ثم اخذ عمر الكتاب فشقّه (٢).

(٢) ما قاله أحد متكلمي الشيعة، و هو ان أبي الحديد يقول: قلت لمتكلم من متكلمي الامامية يعرف بعلي بن تقي من بلدة النيل: و هل كانت فدك إلّا نخلا يسيرا و عقارا ليس بذلك الخطير! فقال لي: ليس الأمر كذلك، بل كانت جليلاً جداً، و كان فيها من النخل نحو ما بالكوفة الآن من النخل، و ما قصد ابو بكر و عمر بمنع فاطمة عنها إلا - ألما يتقوى على بحاصلها و غلّتها على المنازعة في

الخلافة، و لهذا اتبعنا ذلك بمنع فاطمة و على و سائر بنى هاشم و بنى المطلب حقهم فى الخمس، فإنّ الفقير الذى لا مال له تضعف همته، و يتصاغر عند نفسه، و يكون مشغولا بالاحتراف و الاكتساب عن طلب الملك و الرئاسة «٣».

(١) شرح ابن أبى الحديد: ج ١٦ ص ٣٧٤.

(٢) السيرة الحلبية: ج ٣ ص ٣٩١.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج ١٦ ص ٢٣٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٢٧

(١) و يكتب هذا الكاتب فى موضع آخر من كتابه أيضا: سألت على بن الفارقيّ مدرّس المدرسة الغربية ببغداد، فقلت له: أ كانت فاطمة صادقة؟ قال:

نعم، قلت: فلم لم يدفع إليها أبو بكر فذك و هى عنده صادقة؟ فتبسم، ثم قال كلاما لطيفا مستحسنا مع ناموسه و حرمة و قلّة دعابته، قال: لو أعطاه اليوم فذك بمجرد دعواها لجأت إليه غدا، و ادّعت لزوجها الخلافة، و زحزحته عن مقامه، و لم يكن يمكنه الاعتذار و الموافقة بشيء، لأنه يكون قد اسجل على نفسه على أنها صادقة فيما تدعى كائنا ما كان من غير حاجة إلى بينة و لا شهود. و هذا كلام صحيح، و ان كان أخرجه مخرج الدعابة و الهزل «١».

لقد بدأ منع بنى الزهراء من فذك فى عهد الخليفة الأول، و بعد ان قضى على عليه السلام و تسلّم معاوية زمام الامر، وزع فذكا بين ثلاثة هم: (مروان بن الحكم و عمرو بن عثمان، و ابنه يزيد).

(٢) و لما ولى الأمر «مروان» سيطر على فذك بصورة كاملة، و وهبها لابنه عبد العزيز، و اعطاها عبد العزيز لولده «عمر بن عبد العزيز» «٢».

و حيث انه كان حاكما معتدل السيرة بين خلفاء بنى أمية لهذا فان أول بدعة أزاحها كان هو اعادة فذك إلى بنى فاطمة، ثم انتزعها الخلفاء الذين تولوا بعده من ايدى بنى هاشم، و كانت بأيديهم حتى يوم انقرضت فيه حكومة الامويين.

(٣) و قد اضطرب أمر فذك اضطرابا عجيبا ايام الخلافة العباسية، فلما ولى أبو العباس السفاح ردها على عبد الله بن الحسن بن الحسن، ثم قبضها ابو جعفر من بنى حسن، ثم ردها محمّد المهدي ابنه، على ولد فاطمة عليها السلام، ثم قبضها موسى الهادي بن المهدي و هارون أخوه، لاسباب سياسيه خاصة، حتى وصل الدور إلى المأمون فردها على الفاطميين اصحابها الشرعيين ضمن تشريفات

(١) شرح ابن أبى الحديد: ج ١٦ ص ٢٨٤.

(٢) شرح ابن أبى الحديد: ج ١٦ ص ٢٧٨.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٢٨

خاصة و بصورة رسمية.

ثم اضطرب امر فذك من بعده أيضا فرما سلبت من أصحابها و ربما ردّت إليهم. و هكذا تراوحت بين السلب و الرد.

و لقد استغلّت فذك فى عهد الامويين و العباسيين فى أغراض سياسية بحثه قبل أن تستغلّ فى أغراض اقتصادية.

فلقد كان الخلفاء فى صدر الاسلام يحتاجون إلى عائدات فذك المالية، مضافا إلى انهم انتزعوها من يد على لغرض سياسى و لكن فى العصور المتأخرة عن ذلك كثرت ثروة الخلفاء و زادت زيادة هائلة بحيث لم يكونوا بحاجة إلى عائدات فذك، و لهذا فان عمر بن عبد العزيز لما أعاد فذكا إلى بنى فاطمة احتج عليه بنو أمية و اعترضوا قائلين: هجنت فعل الشيخين، و إن أبيت إلّا هذا فامسك

الأصل و أقسم الغلّة «١».

(١)

فدك في محكمة التاريخ:

إن دراسته و تقييم ملفّ «فدك» تثبت بوضوح أن منع ابنه رسول الله صلى الله عليه وآله من حقها المشروع كان عملاً سياسياً بحثاً، أى إنه ما كان يستند إلى أى مبرر شرعى مطلقاً، و ان المسألة كانت أوضح من أن تخفى على خليفة العصر. و قد أوضحت الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام هذه الحقيقة فى خطابها الساخن البليغ اذ قالت: هذا كتاب الله حكماً عدلاً و ناطقاً فصلاً يقول: و يرثنى و يرث من آل يعقوب «٢» و ورث سليمان داود «٣» و بين عزّ و جلّ فى ما وزّع من الأقساط و شرع من الفرائض و الميراث «٤».

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد: ج ١٦ ص ٢٧٨.

(٢) مريم: ٦.

(٣) النمل: ١٦.

(٤) الاحتجاج للطبرسى: ج ١ ص ١٤٥.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٢٩

إن البحث حول دلالة الآيتين على وراثته أبناء النبي صلى الله عليه وآله عنه، و الحديث الذى رواه الخليفة وحده يوجب اطالة الكلام، و فى امكان من يحبّ التوسع ان يراجع كتب التفسير المفصلة.

(١)

السيطرة على وادى القرى:

ان النبي صلى الله عليه وآله لم يضع نهاية لنشاط القوى المضادة للإسلام فى هذه المنطقة (خير) فقط بل رأى ان يتوجه الى وادى القرى التى كان يشكل مركزاً آخر من مراكز اليهود. فحاصر بنفسه حصونهم عدة أيام، حتى فتحها، ثم عقد بعد الفتح معاهدة مع أهلها على غرار معاهدة «خير».

و بهذا طهرت أرض الحجاز من فتنة اليهود الاوغاد، و قد جرّدوا من اسلحتهم و وضعوا تحت حماية المسلمين و مراقبتهم الدقيقة «١».

(١) الكامل فى التاريخ: ج ٢ ص ١٥٠.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٣٠

(١)

٤٦ عمرة القضاء «١»

إشارة

كان يحق للمسلمين بعد التوقيع على معاهدة صلح الحديبية أن يدخلوا بعد عام واحد من تاريخ يوم التوقيع مكة، ثم يغادروها بعد

ثلاثة ايام يقيمون فيها شعائر العمرة و كان عليهم بموجب الاتفاق أن لا يحملوا معهم إلا سلاح الراكب: السيف فى القرب، ليس غير. و الآن مضى عام واحد على يوم التوقيع على المعاهدة المذكورة، و آن الاوان ليستفيد المسلمون من هذه المادة فى تلك الاتفاقية، و ان يتوجه المسلمون المهاجرون الذين مضى عليهم سبعة أعوام ابتعدوا فيها عن بيوتهم و وطنهم و مسقط رءوسهم، و رجحوا الحياة فى الغرب، و تحمل متاعها على العيش فى الوطن للمحافظة على عقيدة التوحيد.

يتوجه مثل هؤلاء مرة اخرى إلى زيارة بيت الله الحرام و لقاء الاحباب و الأقرباء و تفقد المنازل و البيوت التى ولدوا فيها و ترعرعوا فى رحابها.

(١) العمرة أعمال خاصة و مناسك معينة يمكن للمرء الاتيان بها طوال اشهر السنة على العكس من أعمال الحج التى يجب أدائها فقط فى شهر ذى الحجة و قد توجه رسول الله صلى الله عليه و آله إلى مكة فى يوم الاثنين السادس من شهر ذى القعدة من السنة الهجرية السابعة. و سميت هذه العمرة عمرة القضاء لانها كانت بدلا عن العمرة التى منع النبى و المسلمون عنها فى عام الحديبية.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٣١

(١) و لهذا عند ما أعلن رسول الله صلى الله عليه و آله بان يستعد من حرم من العمرة فى العام الماضى للعمرة، دب شوق عجيب فى نفوس المسلمين، و اغرورقت دموع الفرح فى عيونهم، فخرج مع رسول الله صلى الله عليه و آله ألفا شخص بدل ألف و ثلاثمائة و هم عدد الذين خرجوا معه فى السنة الماضية.

و كان بين الخارجين مع رسول الله صلى الله عليه و آله جمع كبير من شخصيات المهاجرين و الأنصار البارزة الذين كانوا يلزمون رسول الله صلى الله عليه و آله طول سيره ملازمة الظل لصاحب الظل.

و ساق رسول الله صلى الله عليه و آله فى هذه العمرة ستين بدنة و قد قلدها «١»، و أحرم من مسجد المدينة و اتبعه الآخرون، و خرج ألفان و هم يلثون مرتدين أثواب الاحرام يقصدون مكة.

و لقد كان هذا الموكب العظيم من الجلال و المغزى المعنوى بحيث لفت نظر الكثير من المشركين إلى حقيقة الاسلام و معنويته الرائعة.

(٢) و لو قلنا: ان هذا السفر كان- فى حقيقته- سفرا تبليغيا، و ان المشتركين فيه كانوا- فى حقيقة الامر- طلائع التبليغ و الدعوة لما قلنا جزافا، فان آثار هذا السفر المعنوى ظهرت للتوفيق انبهر بمنظر سلوكهم و عبادتهم و نظامهم الد أعداء الاسلام أمثال «خالد بن الوليد» بطل معركة أحد و عمرو بن العاص داهية العرب فرغبوا فى الاسلام، و أسلموا بعد قليل.

و حيث ان رسول الله صلى الله عليه و آله لم يكن آمنا من غدر قريش فقد كان يحتمل أن يباغتوه و يباغتوا أصحابه فى أرض مكة، و يسفكوا دماء جماعة

(١) البدنة الناقة تنحر بمكة و الجمع بدن و تقليد البدنة أن يجعل فى عنقها نعلا فيعلم أنها هدى.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٣٢

منهم و هم لا يحملون معهم إلا سلاح الراكب اذ لم يكن مسموحا للمسلمين- حسب المعاهدة- أن يأخذوا معهم سلاحا غير ذلك.

(١) من هنا عمد رسول الله صلى الله عليه و آله تحسبا لأى طارئ إلى تكليف مائتى رجل من المسلمين بالتسلح الكامل، و أمر عليهم «محمّد بن مسلمة» و حملهم على مائة فرس سريع، و أمرهم بالتوجه صوب مكة أمام القافلة الكبرى، و الاستقرار فى منطقة «مرا لظهران» قرب الحرم، ينتظرون ورود رسول الله صلى الله عليه و آله و من معه.

فعرف عيون قريش الذين كانوا يراقبون تحركات رسول الله صلى الله عليه و آله بقضية الفرسان المسلحين المائتين، و استقرارهم فى

وادي «مرّ الظهران»، وأخبروا سادة قريش بالأمر.

(٢) فبعثت قريش «مكرز بن حفص» الى رسول الله صلى الله عليه وآله ليكلموه في هذا الإجراء فأتى مكرز الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلمه اعتراض قريش وانه تعهد- قبل ذلك- أن لا يدخل مكة إلاّ بسلاح المسافر. فأجابه رسول الله صلى الله عليه وآله.

«لا ندخلها إلاّ كذلك و لكن يكون هؤلاء قرييين منا».

وقد أفهم رسول الله صلى الله عليه وآله مكرزا بهذه العبارة بأن قريش لو استغلت عدم حمل النبي واصحابه للسلاح الثقيل فباغتتهم أدركتهم هذه القوة الاحتياطية المسلحة القوية المستقرة على مقربة من الحرم، ومدّوهم بالسلاح والعتاد. فعاد «مكرز» و اخبر قريشا بما سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله فادركت قريش حنكة رسول الاسلام و بعد نظره، و حسن تقديره للأمور،

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٣٣

فتحت أبواب مكة في وجه المسلمين، و خرج رءوس المشركين و أهلوهم و من تبعهم الى رءوس الجبال، و خلّوا مكة، و قالوا: لا نظركم إلى محمد و لا إلى اصحابه، و لكنهم كانوا يراقبون المشهد من بعيد!! «١»

(١)

النبي يدخل مكة:

دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وهو على راحلته القصواء و أصحابه متوشحو السيوف محدقون به يلبنون و هم ألفان، فدوى صوتهم الموحّد بالتلبية في أرجاء مكة، و كانت نعمة هذه التلبية الكبرى من الجلال و الجمال بحيث بهرت كل سكان مكة، و سحرت قلوبهم و عطفها نحو المسلمين، و في نفس الوقت أربع اتحاد المسلمين، و نظامهم، و التفافهم حول النبي قلوب المشركين، و لم يقطع رسول الله صلى الله عليه وآله تلبيته حتى استلم الركن.

فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وآله الى البيت و هو على راحلته و ابن رواحة أخذ بزمامها و قد صف له المسلمون حين دنا من الركن حتى انتهى إليه، استلم الركن بمحجنه مضطبعا بثوبه على راحلته انشد عبد الله بن رواحة يقول:

خلّوا بني الكفّار عن سبيله إنى شهدت أنه رسوله

حقا و كل الخير في سبيله نحن قتلناكم على تأويله

كما ضربناكم على تنزيلة ضربا يزيل الهام عن مقيله

و يذهل الخليل عن خليله «٢»

(٢) و طاف رسول الله صلى الله عليه وآله بالبيت المعظم على راحلته، و هنا أمر

(١) امتاع الاسماع: ج ١ ص ٣٣٧ و ٣٣٨.

(٢) زاد المعاد: ج ٢ ص ١٥٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٣٤

صلى الله عليه وآله ابن رواحة ان يردّد هذا الدعاء بلحن و نغم خاص؛ و ان يتبعه المسلمون:

«لا إله إلاّ الله وحده و صدق وعده، و نصر عبده و اعز جنده، و هزم الأحزاب وحده».

(١) كانت مكة بجميع مشاعرها في ذلك اليوم تحت تصرف المسلمين، المسجد، الكعبة، الصفا، المروة، و غيرها. و قد كانت هذه

الشعارات التوحيدية الساخنة في مكان كان طوال سنين مديدة مركزا للوثنية، والشرك توجّه ضربات روحية قوية إلى نفسيته سادة المشركين، و أتباعهم، مما كان يوحى بغلبة «محمد» صلى الله عليه وآله على كل أرجاء الجزيرة العربية حتماً و يقينا. و لما قضى رسول الله صلى الله عليه وآله نسكه دخل البيت فلم يزل فيه حتى حان الظهر، فصعد بلال الذي طالما عذب في هذا البلد بسبب اسلامه فوق ظهر الكعبة بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله، و اذن لصلاة الظهر.

و لقد كان لهذا المنظر مردود عجيب في نفوس المشركين فبالل واقف في نقطة طالما عدت فيها الشهادة بالتوحيد و برسالة محمد، ذنبا لا يغتفر، و جريمة لا ينجو صاحبها من العذاب، يردد و يردد معه المسلمون ما يردد من فصول الأذان فصلا فصلا في خشوع و روحانية بالغة.

(٢) لقد أزعج أذان بلال المشركين و اعداء التوحيد، حتى قال «صفوان بن أمية»: الحمد لله الذين أذهب أبي قبل أن يرى هذا، و قال خالد بن اسيد:

الحمد لله الذي أمات أبي و لم يشهد هذا اليوم، و لم يسمع هذا العبد الحبشي يقول ما يقول.

و اما «سهيل بن عمرو» فانه لما سمع تكبير بلال غطى وجهه بمنديل.

إنهم لم ينزعجوا من صوت «بلال» بل أخرجتهم مضامين فصول الأذان التي كانت ضد ما يحملونه من المعتقدات الباطلة الموروثة، و جعلتهم يعانون بسبب

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٣٥

ذلك من عذاب روحى شديد.

(١) ثم ان رسول الله صلى الله عليه وآله حين أراد السعى بين الصفا و المروة سمع بأن قريشا تحدثت بينها أن محمداً و أصحابه في عسرة و جهد و شدة، و ان الذين هاجروا معه الى المدينة مرضى، و أنهم صفوا له عند دار الندوة لينظروا إليه و إلى أصحابه، فهرول رسول الله صلى الله عليه وآله هرولة في المكان المعلم الآن في المسعى، و تبعه المسلمين و قد قال لهم قبل ذلك.

«رحم الله امرأ أراهم اليوم من نفسه قوة» (١).

و ذلك ليبطل ما اشاعته قريش حول المسلمين المهاجرين من الضعف و الهزال بسبب ظروف المهجر. و هذا إن دل على شيء فانما يدل على امرين:

أولاً: جواز القيام بالأعمال السياسية في موسم الحج.

ثانياً: ان النبي صلى الله عليه وآله كان حذرا جدا فكان يبطل كل خطط العدو أولاً بأول.

يقول صاحب زاد المعاد: أمر النبي بذلك ليرى المشركون جلدتهم و قوتهم، و كان يكأيدهم (أى يبطل كيدهم) بكل ما استطاع (٢).

ثم ان رسول الله صلى الله عليه وآله بعد أن فرغ من السعى نحر البدن، ثم قصر من شعره، ثم خرج من إحرامه، و تبعه المسلمون في كل ما فعل.

ثم أمر صلى الله عليه وآله مائتين من أصحابه بعد أن طافوا بالبيت و انتهوا من مناسك العمرة ان يذهبوا إلى أصحابه بمز الظهران فيقيموا على السلاح فيأتى الآخرون فيقضوا مناسكهم، ففعلوا.

(٢) انتهت أعمال العمرة و نسكها، و ذهب المهاجرون إلى منازلهم التي هجروها قبل سبعة أعوام، ليجددوا اللقاء بذويهم و أقربائهم بعد طول فراق، و استضافوا

(١) تاريخ الطبري: ج ٢ ص ٣٠٩ و راجع نظيره في زاد المعاد: ج ٢ ص ١٥٢.

(٢) زاد المعاد: ج ٢ ص ١٥٢. و لنا مقال مفصل في هذا المجال تحت عنوان الحج عبادة و سياسة نشر في مجلة الشهيد فراجع.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٣٦

جماعة من الأنصار في بيوتهم وفاء لجميلهم و تقديرًا لخدماتهم حين قدموا عليهم المدينة بعد الهجرة، فأسكنوهم و اكرمهم في منازلهم و خدموهم سنين عديدة.

(١)

النبي يغادر مكة:

تركت أحوال المسلمين و أوضاع الاسلام و جلال الموكب النبوي و عظمته أثرا بليغا و عجيبا في نفوس سكان مكة المشركين، فقد تعرفوا على نفسية المسلمين النبيلة الطيبة في هذه الزيارة أكثر من أى وقت مضى و كاد ذلك أن «يفعل» فعلته، و يحدث انقلابا روحيا في تلك البيئة.

ولما رأى زعماء المشركين أن توقف النبي و أصحابه في مكة سيؤثر في عقائد أهل مكة و يضعف تمسكهم بوثنيتهم، و يوجد علاقات المحبة بينهم و بين المسلمين، لهذا بعثوا أحدهم و هو حويطب الى رسول الله صلى الله عليه وآله - بعد انقضاء المدّة المقررة للاقامة في مكة في المعاهدة- ليطلب منه مغادرة مكة قائلا:

انه قد انقضى اجلك فاخرج عنا.

فانزعج بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وآله من مقالة مبعوث قريش هذا، و لكن النبي لم يكن بالذى يخالف ما تعهد به، و لهذا أمر بأن ينادى في المسلمين بالرحيل فترك هو و المسلمون مكة فورا.

(٢) و لقد تأثرت «ميمونة» اخت أم الفضل زوجة العباس، بما شهدت من مشاعر المسلمين و روحانيتهم فأرسلت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله عن طريق عمها العباس أنها ترغب في الزواج برسول الله صلى الله عليه وآله، فوافق رسول الله صلى الله عليه وآله «١» و تزوجها، و بهذا قوى علاقاته مع قريش.

ان رغبة فتاة في الزواج بمن يكبرها بسنين عديدة لدليل واضح على مدى التأثير الروحي و المعنوي الذي تركه النبي و المسلمون في النفوس حتى أن النبي

(١) حياة محمد: ص ٤٠١.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٣٧

صلى الله عليه وآله لما طلب من مبعوث قريش بأن يمهلوه بعض الوقت ليعرس بين أظهرهم، و يصنع لهم طعاما يحضروه، أبوا امهاله خوفا من تعاضم تأثيره في النفوس، و قالوا له: لا حاجة لنا في طعامك فاخرج عنا «١».

(١) فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله أن يخرج المسلمون من مكة في منتصف النهار و لم يبق بمكة إلى وقت الظهر، و خلف ابا رافع ليحمل إليه زوجته «ميمونة» حين يمسي، فأقام أبو رافع حتى أمسي، فخرج بميمونة و من معها فلقوا عناء من سفهاء المشركين، و لاموا «ميمونة» على فعلها، و لكن كلامهم لم يؤثر قط في نفسها، فقد رغبت في الزواج برسول الله صلى الله عليه وآله بدافع الرغبة في خلقه و سمو أخلاقه.

و هكذا تحققت رؤيا رسول الله صلى الله عليه وآله و آله الصادقة التي رآها قبل سنة واحدة بأنه دخل البيت، و حلق راسه، و نزلت بعد هذه الوقائع الآية ٢٧ من سورة الفتح تتحدث عن تحقق هذا الوعد حيث أخبرت ضمنا عن فتح قريب، - هو فتح مكة- الذي تحقق في السنة الثامنة من الهجرة اذ يقول سبحانه:

«لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَ مُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا

فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا» (٢).

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٣٧٢، تاريخ الخميس: ج ٢ ص ٦٢-٦٥. سيد المرسلين ج ٢ ٤٣٧ النبي يغادر مكة: ص: ٤٣٦
(٢) الفتح: ٢٧.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٣٨

(١)

احداث السنة الثامنة من الهجرة

٤٧ معركة مؤتة

إشارة

انقضت السنة الهجرية السابعة، واستطاع المسلمون بفضل معاهدة صلح الحديبية ان يزوروا معا بيت الله المعظم و يعتمروا في امان، و يرددوا في مركز حكومة الوثنيين شعارات قوية لصالح عقيدتهم التوحيدية إلى درجة انهم استطاعوا ان يستميلوا نحو الاسلام قلوب جماعة من سراة قريش و زعماء المشركين امثال «خالد بن الوليد»، «و عمرو بن العاص» «١» و «عثمان بن طلحة»، فلم يلبثوا أن جاءوا طائعين راغبين الى المدينة، و اعتنقوا الاسلام و قطعوا علاقاتهم بحكومة مكة الوثنية المشركة التي لم يبق منها إلا جسم من دون روح، و هيكل من دون حياة «٢».

(٢) و ذكر بعض المؤرخين اسلام خالد او ابن العاص في السنة الخامسة من الهجرة.

و لكن هذا غير صحيح قطعاً لأن «خالد» كان يقود في الحديبية مائتين من فرسان قريش، و نحن نعلم أن اسلام هذين الرجلين تم في وقت واحد.

كان ثمت أمن نسبي يسود اكثر مناطق الحجاز في أوائل السنة الثامنة، و كان نداء الاسلام قد وصل إلى اكثر النقاط و لم يبق من نفوذ اليهود شيء، و لم

(١) لقد ذكر الواقدي في مغازيه: ج ٢ ص ٧٤٣ و ٧٤٥ علة اسلام عمرو بصورة اخرى.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ٤ ص ٢٥٢-٢٤١.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٣٩

تعد قريش تهدد المسلمين من ناحية الجنوب، و لهذا فكر رسول الله صلى الله عليه وآله في أن يركز دعوته على سكان المناطق الحدودية للشام، و يستميل الى الاسلام قلوب اولئك الاقوام التي كانت في تلك الايام تعاني من ظلم السلطات الرومية.

(١) و لهذا الغرض ووجه «حارث بن عمير الانزدي» مع كتاب إلى «الحارث بن أبي شمر الغساني» ملك «بصرى» الذى كان حاكم الشامات المطلق يومذاك، و كان يحكم من جانب قيصر.

فلما نزل مبعوث النبي «مؤتة» عرف به شرحييل و كان حاكم المناطق الحدودية، فقبض عليه، و حقق معه، فاعترف له بانه يحمل كتابا من جانب رسول الاسلام إلى حاكم الشامات المطلق (الحارث الغساني)، فأمر بان يوثق و قدمه و ضرب عنقه صبورا مخالفا بذلك كل الأعراف العالمية القاضية باحترام السفراء و حصانتهم.

فعرف رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك و غضب لمقتل رسوله بشدة و ندب الناس فأخبرهم بمقتل سفيره و من قتله، و دعا

المقاتلين المسلمين الى الخروج للاقتصاص من قاتل «الحارث».

(٢)

حادثة أفعج من السابقة:

و اتفق أن وقعت في نفس الايام حادثة اخرى افعج من الأولى، أكدت عزم رسول الله صلى الله عليه وآله على تأديب سكان المناطق الحدودية الشامية الذين سلبوا دعاء الاسلام حرية العمل و الدعوة، و قتلوا دون رحمة، و عذرا سفير النبي، و جماعة الدعوة و التبليغ و إليك مفصل الحادثة الثانية:

بعث رسول الله صلى الله عليه وآله في شهر ربيع الاول سنة ثمان من الهجرة على رأس خمسة عشر رجلا إلى منطقة «ذات أطلاق» من ارض الشام، خلف وادى القرى لدعوة الناس الى الاسلام، فخرجوا حتى انتهوا إلى تلك سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٤٠

المنطقة فدعوا أهلها إلى الاسلام فلم يستجيبوا لهم، و رشقوهم بالنبل فلما رأى أصحاب النبي صلى الله عليه وآله ذلك قاتلوهم اشد القتال، حتى قتلوا مؤثرين عز الشهادة على ذل الأسر، و افلت منهم رجل جريح من القتلى، فلما جن الليل تحامل حتى اتى رسول الله صلى الله عليه وآله و آله فاخبره الخبر فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وآله.

(١) فتسبب العدوان على دعاء الاسلام و قتلهم في ان يصدر رسول الله صلى الله عليه وآله أمرا بالخروج إلى الجهاد في شهر جمادى، و وجه جيشا قوامه ثلاثة آلاف مقاتل لتأديب المتمردين، و مزاحمى دعاء الاسلام.

فتجمع ثلاثة آلاف بعد الاذان بالجهاد في معسكر خارج المدينة يدعى «الجرف» فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله بنفسه الى ذلك المعسكر، و خطب في المقاتلين خطابا، هذا نصه:

«اغزوا بسم الله ادعوهم الى الاسلام فإن فعلوا فاقبل منهم و اكفف عنهم و لآ فقاتلوا عدو الله و عدوكم بالشام، و ستجدون فيها رجالا في الصوامع معتزلين الناس، فلا تعرضوا لهم، و ستجدون آخرين للشيطان في رءوسهم مفاحص فاقلعوها بالسيوف، و لا تقتلن امرأة و لا صغيرا مرضعا و لا كبيرا فانيا، لا تفرقن نخلا و لا تقطعن شجرا، و لا تهدموا بيتا» (١).

(٢) ثم قال: جعفر بن أبي طالب أمير الناس، فان قتل فزيد بن حارثة، فان اصيب زيد فعبد الله بن رواحة فإن اصيب عبد الله بن رواحة فليرضى المسلمون بينهم رجلا فليجعلوه عليهم.

ثم امر رسول الله صلى الله عليه وآله المقاتلين بالتحرك نحو الهدف، و خرج فشييعهم مع جماعة من اصحابه حتى «ثنية الوداع» و هناك ودّعهم و كان المسلمون المشيعون يقولون: دفع الله عنكم و ردكم سالمين غانمين، صالحين.

(١) المغازى: ج ٢ ص ٧٥٧ و ٧٥٨.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٤١

و لكن ابن رواحة أجابهم قائلا:

لكننى أسأل الرحمن مغفرة و ضربه ذات فرغ تقذف الزبدا

أو طعنه بيدي حران مجهزة بحربة تنفذ الاحشاء و الكبدا

حتى يقال إذا مروا على جدثي يا أرشد الله من غاز و قد رشدا (١).

(١) و أنت أيها القارئ الكريم يمكنك أن تعرف من خلال هذه الايات عمق ايمان هذا الفارس القائد و حبه للشهادة في سبيل الله.

ثم ان الناس رأوا عبد الله بن رواحة لما ودع من ودع بكى، فقالوا ما يبكيك يا ابن رواحة؟ فقال: أما و الله ما بى حب الدنيا، و لا

صباية بكم و لكنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقرأ آية من كتاب الله عز وجل يذكر فيها النار: «وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا» (٢).

فلست أدرى كيف لى بالصدور بعد الورود (٣).

(٢)

خلاف حول من هو الامير الاول؟

لقد كتب بعض المؤرخين: أن الامير الاول كان هو زيد بن حارثة ابن رسول الله صلى الله عليه وآله بالتبني، ثم جعفر بن أبى طالب، ثم عبد الله بن رواحة، و لكن محققى الشيعة يرون عكس هذا فهم يعتبرون جعفر بن أبى طالب قائد الجيش و زيدا و عبد الله معاونين أو خليفين له على الترتيب فيجب ان نرى أى الرأى يوافق الحقيقة.

لتحصيل الحقيقة فى هذا المجال هناك طريقتان:

(٣) ١- ان زيد بن حارثة لم يكن يعادل من ناحية التقوى و العلم و المكانة

(١) بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٦٠، الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ١٢٨.

(٢) مريم: ٧١.

(٣) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٣٧٤.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٤٢

الاجتماعية جعفر بن أبى طالب (جعفر الطيار).

يقول ابن الاثير عنه: جعفر بن أبى طالب كان اشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله خلقا و خلقا، أسلم بعد إسلام أخيه على بقليل. روى أن أبا طالب رأى النبى صلى الله عليه وآله وسلم و عليا رضى الله عنه يصليان و على عن يمينه، فقال لجعفر: صل جناح ابن عمك و صل عن يساره (١).

(١) و جعفر رأس المهاجرين إلى الحبشة الذين هاجروا إليها حفاظا على دينهم و عقيدتهم من الفتنة و هو الذى استمال قلب النجاشى بما تكلم به عنده من الحجّة و قرأ عليه آيات من القرآن عن المسيح عليه السلام و أمه مريم، و اثبت كذب مبعوثى قريش لاستعادتهم إلى ارض الحجاز، و هو الذى وفق لأن يخطب و النجاشى و يكسب حمايته للمهاجرين الملاحقين إلى درجة أنه طرد مندوبى قريش (٢).

ان جعفر هو الشخصية البارزة التى لما رآه رسول الله صلى الله عليه وآله يوم خيبر و قد عاد من الحبشة مشى إليه (١٢) خطوة و عانقه و ضمه و قبل ما بين عينيه و بكى من فرط الشوق إليه و قال فى حقه:

«بايها اسرّ بقدوم جعفر أم بفتح خيبر».

(٢) إنه هو ذلك الرجل العظيم الذى كان يذكر على عليه السلام، بعد استشهاد شجاعته و بسالته، فعند ما سمع على عليه السلام بمبايعة عمرو بن العاص لمعاوية، و تقرّر أن يوكل معاوية حكومة مصر إلى عمرو إذا غلبا عليا، غضب على عليه السلام من هذا الامر و تذكر شجاعته عمه حمزة و أخيه جعفر و قال:

لو أن عندى يا ابن حرب جعفر او حمزة القرم الهمام الازهرا

(١) اسد الغابة: ج ١ ص ٢٨٧.

(٢) اسد الغابة: ترجمه جعفر بن أبي طالب، وغيره من المصادر في هذا المجال.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٤٣ رأيت قریش نجم لیل ظهرا «١». فهل مع هذه المواصفات و الجهات التي نقلنا قسما منها هنا فقط يجيز العقل أن يفوض رسول الله صلى الله عليه وآله قيادة القوات إلى زيد و يجعل جعفر معاونه او خليفته الاول.

(١) ٢- ان الأشعار التي انشدها شعراء الاسلام الافذاذ في رثاء هؤلاء القادة بعد استشهادهم حاكية عن ان القائد الاعلى في هذه المعركة الكبرى (مؤتة) كان «جعفر» و كان أمر المعاونة و الخلافة يرتبط بالرجلين الآخرين، فهذا «حسان» شاعر عصر الرسالة انشد شعرا بعد أن بلغه استشهاد اولئك القادة بصورته المفجعة قال فيه:

فلا يبعدن الله قتلى تتابعوا بمؤتة منهم ذو الجناحين جعفر

و زيد و عبد الله حين تتابعوا جميعا و أسباب المنية تخطر «٢» فكلمة تتابعوا تشهد بجلاء على أن مقتل هؤلاء القادة الذين ذكرهم تم على النحو الذي جاء ذكرهم، يعني أن جعفرا كان اول الشهداء ثم تلاه في قيادة الجيش الاسلامي ثم الشهادة زيد، ثم ابن رواحة.

(٢) و ان اوضح الادلة على ذلك قصيدة «كعب بن مالك» في رثاء شهداء مؤتة، التي يصرح فيها بان جعفر كان هو القائد الأول، و قد كان صاحب هذه الأبيات ممن شاهد تفويض أمر القيادة العليا للجيش من جانب رسول الله صلى الله عليه وآله إلى جعفر. يقول كعب في قصيدته:

إذ يهتدون بجعفر و لوائه قدام أولهم فعم الأول «٣» إن هذه القصائد الرثائية التي انشئت في أعقاب استشهاد اولئك القادة، و سلمت من يد التحريف اقوى شاهد على ان ما كتبه مؤرخو السنة حول هذا

(١) وقعه صفيين: ص ٤٩.

(٢) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٣٨٤.

(٣) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٣٨٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٤٤

المطلب يخالف الحقيقة، و أن الرواة اختلفوا هذا الترتيب لدوافع و أغراض سياسية لا مجال لذكرها، و بيانها هنا، و قد تبعمهم في ذلك كتاب السيرة و ادرجوه في كتبهم من دون تمحيص و تحقيق.

و العجب أن ابن هشام الذي نقل كل هذه الابيات و القصائد قال: ان جعفر كان المعاون الأول لزيد بن حارثة، و ليس القائد الأعلى للجيش، و هو كما ترى تناقض مكشوف «١».

(١)

جيشا الروم و الاسلام يتواجهان:

كانت «الروم» قد اصيبت يومذاك - نتيجة الحروب العديدة و الطويلة مع منافستها ايران - بالفوضى، و الهرج و المرج الشديدين.

فمع ان قادة الروم كانوا سكارى من نشوة الانتصار على ايران إلا أنهم قد بلغهم شيء كثير عن شجاعة المسلمين و بسالتهم النابعة من إيمانهم و التي كسبوا عن طريقها أمجادا عظيمة، و كانوا يراقبون على الدوام تحرك جنود الاسلام و نشاطاتهم العسكرية.

و لهذا لما بلغ هرقل قيصر الروم بموعد توجه جنود الاسلام الى ناحية الشام لتاديب عميله شرحبيل الغساني، أرسل جيشا عظيما و قويا لمواجهة جنود الاسلام البالغ عددهم ثلاثة آلاف.

و قد اعد «شرحبيل» حاكم ارض الشام وحده مائة ألف فارس من مختلف القبائل القاطنة في الاراضي الشامية و وجهه الى حدود الشام لإيقاف تقدم الجيش الاسلامي، و قد أعد قيصر قبل ذلك مائة ألف جندي رومي فنزل في منطقة تدعى «مآب» من مدن البلقاء، و

استقرّ هناك كقوة احتياطية تتدخل عند اللزوم «٢».

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٣٨٠.

(٢) المغازي: ج ٢ ص ٧٦٠، السيرة النبوية: ج ٢ ص ٣٧٥.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٤٥

(١) ولقد كان تجميع هذا القدر الهائل من الجنود والمقاتلين لمواجهة جيش يقلّ عددا بكثير عن هذا القدر نابعا من الانباء التي بلغت قادة الروم والشام عن فتوحات المسلمين وانتصاراتهم الساحقة، وعن الوقوف على شجاعتهم و بسالتهم التي ذاع صيتها، وإلا فان عشر هذا العدد، (أى عشرون ألف) يكفي لمواجهة ثلاثة آلاف مقاتل مهما كانت شجاعه هؤلاء.

كما أنه لدى المقارنة بين العسكرين كان الجيش الاسلامي أضعف من جيش الروم بكثير، سواء من ناحية العتاد، أو من ناحية المعرفة بفنون القتال وتكتيكاته العسكرية، لان القادة العسكريين الروم كانوا قد كسبوا خبرة حربية واسعة نتيجة المشاركة في الحروب العديدة والطويلة التي دارت بين الروم وبين ايران، و عرفوا بالتالي مفاتيح الانتصار، بينما كانت معلومات الجيش الاسلامي الناشئ معلومات بدائية وبسيطة في هذا المجال.

هذا مضافا إلى عدم وجود التكافؤ بين الجيش الاسلامي و الجيش الروماني في نوعية المعدات الحربية و الاجهزة القتالية و وسائل النقل و ما شابه ذلك.

و فوق هذا و ذلك فان القوة الاسلامية كانت تحارب في أرض غريبة عليها، و تقوم بدور المهاجم، بينما كان الرومان يقاتلون في بلادهم دفاعا و هم يتمتعون بجميع مستلزمات القتال و متطلبات الحرب.

و في مثل هذه الحالة يجب ان تكون القوة المهاجمة قوية جدا، بحيث يمكنها ملاقات سليبات الظروف غير المساعدة.

و مع هذا فإننا سنرى عما قريب كيف أن قادة الجيش الاسلامي قاوموا و آثروا الصمود و القتال على الهروب و الفرار مع انهم كانوا يرون الموت على بعد أقدام معدودة منهم، و بهذا أضافوا إلى أمجادهم أمجادا اخرى، و سطوروا اسطرا اخرى في سجل بطولاتهم.

(٢) منذ أن ورد المسلمون المناطق الحدودية للشام عرفوا باستعدادات العدو العريضة، و حجم قدراته العسكرية الواسع فشكّلوا من فورهم شورى عسكرية

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٤٦

فقال البعض: نكتب الى رسول الله صلى الله عليه وآله فنخبره الخبر، فما يردنا و إما يزيدنا رجالا. و كاد هذا الرأي ان يلقي قبولا من المشاورين الآخرين لو لا أن «عبد الله بن رواحة» الذي طلب ساعة خروجه من المدينة من الله ان يرزقه الشهادة كما اسلفنا، شجعهم على الصمود و قال: «و الله ما كنا نقاتل الناس بكثرة عدد، و لا بكثرة سلاح، و لا بكثرة خيول، إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، انطلقوا، و الله لقد رأيتنا يوم بدر ما معنا إلا فرسان، و يوم احد فرس واحد، و إنما هي إحدى الحسينين، إما ظهور عليهم، فذلك ما وعدنا الله و وعدنا نبينا، و ليس لوعده خلف، و إما الشهادة فنلحق بالإخوان نرافقهم في الجنان».

(١) فقوت هذه الخطبة الحماسية الصادقة معنويات المقاتلين المسلمين و بثت فيهم روح البسالة و المقاومة.

ثم تواجه الجيشان في منطقة تدعى «مشارف» و لكن جنود الاسلام تأخروا و انسحبوا قليلا لبعض العلل، و نزلوا في مؤتة. فقسم جعفر بن أبي طالب قائد الجيش، جنود الاسلام إلى اقسام: مختلفة، و أمر على كل قسم اميرا، ثم بدأت المبارزة الفردية على نحو ما كان متعارفا في حروب العرب، فكان على جعفر ان ياخذ اللواء بيده و يوجه صفوف المقاتلين المسلمين، و يقاتل في نفس الوقت.

ثم اننا نكتشف مدى الشجاعة الروحية و ثبات الارادة لتحقيق الهدف من خلال الرجز الذي أنشده «جعفر» خلال القتال فقد أخذ يرتجز و يقول:

يا حَبِذاً الجنَّة و اقترابها طيبة و باردا شرابها
و الروم روم قد دنا عذابها كافر بعيده أنسابها
على إذ لاقيتها ضرابها (١)

(٢) و لقد قاتل قائد الجيش الاعلى (جعفر) قتالا عظيما، فلما حاصره الأعداء فى ساحة القتال و أيقن بالشهادة وثب الى الارض ثم عقر فرسه فى الحال لكى

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٣٧٨.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٤٧

لا ينتفع به العدو و اخذ يقاتل، و هو آخذ باللواء بيمينه، فقطعت يمينه فاخذه بشماله فقطعت فاحتضنه بعصديه حتى لا يسقط لواء رسول الله صلى الله عليه و آله على الأرض حتى قتل و قد وجد به ثمانون جراحة او تزيد!! (١).
فلما قتل «جعفر» أخذ الراية «زيد بن حارثة» معاونه الاول فقاتل ببساله عظيمة حتى قتل برماح القوم.
فاخذ الراية «عبد الله بن رواحة» معاونه الثانى، ثم تقدم بها و هو على فرسه، فجعل يقاتل و يرتجز، فاحس بالجوع أثناء القتال، و ألح عليه، فاتاه رجل بعرق من لحم ليزيل به جوعه و يشد به صلبه، فلم يأكل منه شيئا حتى سمع صوت هجوم العدو، فلقى الطعام من يده، ثم أخذ سيفه فتقدم فقاتل حتى قتل.
(١)

حيرة المقاتلين المسلمين بعد مقتل القادة:

و هنا بدأت حيرة المقاتلين المسلمين، فقد قتل القادة الأعلى للجيش و معاوناه و على الترتيب الذى ذكر.
و لكن النبى صلى الله عليه و آله كان قد تحسب لهذه الحالة، و ترك أمر اختيار القائد فى مثل هذا الوضع إلى الجنود انفسهم، فأخذ الراية «ثابت بن أقرم» و قال: يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم. فقالوا: أنت، قال: ما أنا بفاعل، فاصطلح على «خالد بن الوليد» الذى كان حديث عهد بالاسلام آنذاك.
و لقد كانت الساعة التى انيط فيها القيادة الى خالد ساعة خطيرة و حساسة جدا، حيث قد تغلب الخوف و الرعب على المسلمين كافة.
فعمد القادة الجديد إلى استخدام تكتيك عسكرى لم يعرف له مثيل، فقد

(١) المغازى: ج ٢ ص ٧٤١. و قد اثابه الله بذلك جناحين فى الجنة يطير بهما فى الجنة و سمي فى ما بعد بجعفر الطيار، راجع السيرة النبوية: ج ٢ ص ٣٧٨.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٤٨

امر بالعسكر إذا جن الليل أن يحدث بعض التغييرات فى صفوفه من دون ضجيج فتنقل الميسرة الى اليمين، و الميسرة الى الميسرة، و تتأخر المقدمة الى مكان القلب، و يتقدم القلب الى موضع المقدمة. ففعل المسلمون ذلك، و استمرت هذه التغييرات حتى طلوع الفجر.

(١) كما أنه امر جماعة من المسلمين المقاتلين أن يخرجوا من الجيش ليلا، و يذهبوا إلى مكان بعيد فاذا اسفر الصبح التحقوا بالمسلمين سريعا و هم يكبرون حتى يظن العدو وصول امدادات عسكرية بشرية جديدة الى المقاتلين المسلمين و قد تسبب هذا التكتيك بنفسه فى أن يحجم الجيش الكافر عن مهاجمة المسلمين و استئصالهم، بعد ان قتل خيرة قادتهم.

فلما كان الصبح و رأى العدو وجوها جديدة، كما رأوا إمداد المسلمين بمجموعة عسكرية جديدة قالوا: قد جاءهم مدد. فرعبوا و انهزموا فقاتلهم المسلمون، و قتلوا منهم مقتلة عظيمة، و قتل في هذا الاثناء أحد الجنود المسلمين.

ثم ساد الموقف صمت رهيب، فاستفاد من هذا الصمت و الأمن الذى كان يخيم على الجيش فرجعوا من حيث اتوا.

إن اكبر انتصار للمسلمين هو ان قوة قليلة محدودة واجهت جيشا عظيما منظما ثلاثة أيام، و بالتالى نجوا بأنفسهم، و كان تدبير الامر الجديد تدبيراً حكيماً خلّص المسلمين من موت محتم، فعادوا سالمين إلى المدينة، و كان هذا ممّا يشكرون عليه، و يستحقون الثناء و الثناء «١».

(٢)

الجنود يعودون الى المدينة:

و قبل ان يقدم جنود الاسلام من «مؤتة» المدينة كانت قد وصلت إلى المسلمين أنباء انسحابهم و انباء سيئه عن وضع الجيش، من هنا ذهب المسلمون الى

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٣٨١ و ٣٨٨ و ٣٨٩.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٤٩

منطقة الجرف لاستقبالهم.

و مع ان عمل القائد الجديد كان تكتيكا حكيما إلا ان مثل هذا الصنيع حيث انه كان يتنافى مع ما حققه المسلمون من أمجاد مشرقة و تنافى مشاعرهم و بسالتهم الذاتية و الاصيله لذلك استقبلوهم بشعارات نابية و انتقادات جارحة و القوا بالتراب و الحجارة فى وجوه المقاتلين العائدين، و قالوا: يا فرار، فررتم فى سبيل الله؟

و قد كانت ردة فعل بعض المسلمين قويّة جدا الى درجة انه اضطر بعض الشخصيات التى شاركت فى تلك المعركة إلى ان يقعد فى بيته، و لا يظهر فى المأى، فكان الناس - إذا خرجوا- يشيرون إليهم بالاصابع و يقولون: ألا تقدمت مع أصحابك؟ «١».

و لقد كانت ردة فعل المسلمين تجاه عملية انسحاب جنود الاسلام الزكية، كاشفة عن روح الشهامة و الجهاد التى أوجدها الايمان بالله و الايمان بيوم القيامة فى نفوسهم بحيث صاروا يعدّون القتل و الشهادة فى سبيل الله، أفضل من الانسحاب و التأخر.

(١)

اسطورة بدل التاريخ الصحيح:

حيث إن الامام على بن أبى طالب عليه السلام قد اشتهر بين المسلمين بأسد الله، لذلك أراد البعض أن ينتحوا تجاه هذا القائد قائدا آخر، و يمنحونه لقب سيف الله، و لم يكن ذلك إلا خالد بن الوليد من هنا قالوا ان رسول الله صلى الله عليه و آله لقب خالد بن الوليد بعد رجوعه من معركة «مؤتة» بسيف الله «٢»

و لو أن رسول الله صلى الله عليه و آله منح مثل هذا اللقب لخالد فى مناسبة

(١) المغازى: ج ٢ ص ٧٦٥.

(٢) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٣٨٢، السيرة الحلبية: ج ٢ ص ٧٩.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٥٠

اخرى لما كان للبحث و النقاش مجال.

(١) و لكن الاوضاع بعد معركة «مؤتة» ما كانت توجب بل و لا تسمح بأن يعطيه رسول الله صلى الله عليه وآله مثل هذا اللقب، فهل من يرأس فريقا يسميه المسلمون الفزار، و يحثون في وجوههم التراب يحسن أن يعطى في مثل هذه المناسبة لقب سيف الله؟ أجل؛ لو أن خالدًا كان مظهرًا لسيف الله في غزوات و معارك اخرى امكن القبول بذلك، أما في هذه العركة فلم يكن مظهرًا لسيف الله، و لم يصدر منه بعد تقليده إمارة الجيش إلّا تكتيك نظامي حكيم، و لما وصف هو و من معه بالفرايون، خاصة ان ابن سعد يكتب قائلاً: فاصطلى الناس على خالد بن الوليد، فأخذ اللواء، و انكشف الناس فكانت الهزيمة فتبعهم المشركون فقتل من قتل من المسلمين «١». إن مختلفي هذه الاسطورة أضافوا لتأكيد مطلبهم هذه الجملة أيضا: قال خالد: لقد اندق يومئذ (أى يوم مؤتة) في يدي سبعة أسياف فما ثبت بيدي إلا صفيحة يمانية «٢».

ان مختلق هذه الكذبة غفل تماما عن أن خالدًا و جنوده لو كانوا ابدوا في هذه المعركة مثل هذه البسالة و لو انجزوا في هذه الحرب مثل هذا العمل العظيم فلما ذا سّمّاهم أهل المدينة بالفزار؟ او لما ذا حثوا التراب في وجوههم؟ و لما وقع الناس في خالد بعينه «٣»، إذ كان من اللازم في هذه الصورة أن يزرعوا طريقهم بالورود، و يقربوا بين أيديهم القرابين ابتهاجا بعودتهم الظاهرة و اعجابا بعملهم الجبار!!

(٢)

النبي يبكي بشدة لمقتل جعفر:

لقد بكى رسول الله صلى الله عليه وآله في مقتل ابن عمه «جعفر» بشدة

(١) الطبقات: ج ٢ ص ١٢٩، امتاع الاسماع: ج ١ ص ٣٤٩.

(٢) اسد الغابة: ج ٢ ص ٩٤.

(٣) السيرة الحلبية: ج ٣ ص ٦٨ و غيره.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٥١

و لكي تعرف زوجته اسماء بنت عميس بمصرع زوجها دخل عليها، فقال لاسماء:

ايتيني ببني جعفر.

فجاءت بهم إليه فضمهم و شمهم، ثم ذرفت عيناه ثم بكى، فعرفت أسماء بمصرع زوجها فصاحت و بكت ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وآله إلى اهله و قال:

«لا تغفلوا آل جعفر من أن تصنعوا لهم طعاما، فإنهم قد شغلوا بأمر صاحبهم».

و كان كلما تذكر جعفرا و زيد بن حارثة بكى «١».

(١) بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٥٤، المغازي: ج ٢ ص ٧٦٦ و السيرة الحلبية: ج ٣ ص ٦٨، و امتاع الاسماع: ج ١ ص ٣٥١.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٥٢

(١)

إشارة

منذ أن هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة، وأصبحت «المدينة» مركز الإسلام وقاعدته، و موضع تمرکز المسلمين و عاصمتهم، ظلّ رسول الله صلى الله عليه وآله يراقب أوضاع أعداء الاسلام، و يرصد تحركاتهم، و مؤامراتهم، و كان يولى مسألة تحصيل المعلومات المفصلة عن المتآمرين من المشركين و غيرهم اهتماما كبيرا، و يعتمد دائما إلى اختيار أفضل العناصر لإرسالهم - بمختلف الحجج - إلى نواحي مكة، و بثّهم في القبائل المشركة المختلفة لتجسس أخبارهم، و التعرف على نواياهم، و تدابيرهم. و لقد استطاع النبي صلى الله عليه وآله بفضل الاطلاع المبكر و الدقيق على المؤامرات التي كانت تحاك ضده أن يفشل الكثير من خططهم.

فقد كان صلى الله عليه وآله يباغت العدو، و يحاصره قبل أن يتحرك من مكانه، عن طريق المجموعات العسكرية التي كان يقودها بنفسه، أو التي كان يؤمّر عليها أحد أركان جيشه و يوجّهها صوب مكان تجمع العدو، فيفرقون جمعهم، و يشتتون شملهم، و يقضون على المؤامرة في مهدها، و بهذا كان الكيان الاسلامي في أمن من خطر الأعداء، و كان هذا العمل و هذا التدبير يجنب الطرفين المزيد من إراقة الدماء، و إزهاق الأرواح.

(٢) إن الاطلاع المبكر على أسرار العدو العسكرية، و معرفة حجم طاقاته، و مبلغ استعدادته، و اكتشاف خطته، و تكتيكاته يعدّ من العوامل الجوهرية، و المؤثرة في سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٥٣ الظفر و الانتصار.

فللدول الكبرى اليوم أجهزة طويلة و عريضة، و تشكيلات واسعة، و معقّدة لإعداد و تخريج الجواسيس البارعين، و إرسالهم إلى النقاط و المراكز المطلوب اكتشاف أسرارها، و التعرف على أوضاعها و خصوصياتها، و ترصد هذه الدول ميزانيات ضخمة لهذا الغرض «١».

و كان رسول الله صلى الله عليه وآله أول من ابتكر في تاريخ الاسلام هذا العمل في صورته المنظمة، و تبعه في ذلك الخلفاء الذين جاءوا من بعده، و بخاصة الامام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب الذي كان يستعين بجواسيس و عيون كثيرين في مجالات مختلفة، عسكرية، و إدارية.

فكان عليه السلام إذا نصب واليا على بلد، جعل عليه عينا يراقب أعماله و تصرفاته، و يخبر الإمام بها أولا بأول، فكان الإمام يكتب إلى ذلك الوالي، و يويّخه على تصرفاته و انحرافاته إن بلغه شيء من ذلك «٢».

(١) و لقد كلّف رسول الله صلى الله عليه وآله في السنة الثانية ثمانية رجال من المهاجرين، بالتوجه تحت إمرة «عبد الله بن جحش» إلى موضع معين، و النزول فيه، للتعرف على نشاطات قريش، و مؤامراتهم.

و قد كان عدم مفاجأة قريش للنبي صلى الله عليه وآله في معركة «احد» و خروجه المبكر من المدينة بقواه، و جنوده، و النزول في منطقة مناسبة عسكريا خارجها، و حفرة المبكر أيضا للخندق المعروف في شمال المدينة، و الذي منع العدو (جيش الأحزاب) من اقتحام المدينة المنورة، كل ذلك كان نابعا من معرفة رسول الله صلى الله عليه وآله المسبقة و الدقيقة بأسرار العدو، و نواياه،

(١) راجع: كتاب: المخبرات و العالم و غيره.

(٢) راجع: نهج البلاغة قسم الرسائل و الكتب، رقم ٣٣ و ٤٥ و كتاب الغارات.

هذا و قد بحثنا موضوع الاستخبارات و التجسس في النظام الاسلامي بصورة مسهبة في كتابنا: معالم الحكومة الاسلامية، فراجع.

و حجم قواته، و بالأرض، و ذلك عن طريق عيونه و جواسيسه الأذكياء اللبقيين، اليقظين الذين كانوا يرصدون- بدقه و باستمرار- أوضاع العدو، و تحركاته، و ينقلون معلوماتهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله و بذلك كانوا يقومون بواجبهم الديني في مجال الحفاظ على عقيدة التوحيد، و صيانتها من خطر السقوط.

(١) إن هذا التدبير الذكي، و الطريقة الحكيمه التي ابتكرها و أخذ بها رسول الله صلى الله عليه وآله تعتبر أكبر درس للمسلمين اليوم، و دائما.

و لهذا يتوجب على قادة المسلمين المخلصين أن يعرفوا بكل ما يحاك- في بلاد الاسلام او في غيرها من بلاد العالم- من مؤامرات ضد المسلمين، و ما يدبر من خطط لتقويض دعائم الاسلام، و يبادروا إلى إطفاء شرارات الفتن في مهدها، و قبل اشتعالها، و أن يسلكوا نفس المسلك الذي سلكه رسول الاسلام صلى الله عليه وآله ليحصلوا على ذات النتيجة، و لا شك أن مثل هذا العمل لا يتيسر من دون أجهزة مناسبة، و من دون تشكيلات خاصه.

و لقد استطاع رسول الله صلى الله عليه وآله في غزوة «ذات السلاسل» الذي هو موضوع بحثنا الآن، أن يطفى نار الفتنة عن طريق استخدام المعلومات الدقيقة التي حصل عليها عن العدو.

و لو أن رسول الله صلى الله عليه وآله أغلق على نفسه هذا الباب لتحمل خسائر لا تجبر، و تعرضت الكثير من جهوده المباركه في سبيل نشر الدعوة الاسلاميه لخطر الفشل و الإخفاق.

تفاصيل هذه الغزوة:

(٢) لقد أبلغ العيون و عناصر المخبرات الاسلاميه رسول الله صلى الله عليه وآله بأن آفا من الناس قد تحالفوا و تعاهدوا في ما بينهم في منطقة تدعى ب: «وادي الياض» على التوجه إلى المدينة المنورة للقضاء على الاسلام بكل ما لديهم من قوة، فإما أن يقتلوا في هذا السبيل، أو يقتلوا «محمدًا» أو فارسه البطل الفاتح

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٥٥

«علي بن أبي طالب»!!

(١) و يقول علي بن إبراهيم في تفسيره: «نزل جبرئيل على محمد صلى الله عليه وآله و أخبره بقصتهم، و ما تعاهدوا عليه و تواقفوا» (١).

غير أن شيخ الشيعة و محققهم الكبير المرحوم «الشيخ المفيد» (المتوفى عام ٤١٣ هـ) يقول: بأن أعرابيا جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله، و أخبره باجتماع قوم من العرب بوادي الرمل «٢» للتآمر عليه، و على الاسلام، (و اضاف) بأنهم يعملون على أن يبيتوه بالمدينة (٣).

ف رأى رسول الله صلى الله عليه وآله أن يطلع المسلمين على هذا الأمر، فأمر مؤذنه بان ينادي: الصلاة جامعة و هي جملة كان يراد منها اجتماع الناس للصلاة و استماع أمر مهم و ذي بال.

فعلا مؤذن النبي صلى الله عليه وآله مكانا مرتفعا و نادى: الصلاة جامعة، فسارع المسلمون إلى الاجتماع في مسجد النبي صلى الله عليه وآله و آله ثم رقى النبي صلى الله عليه وآله المنبر و قال في ما قال:

«أيها الناس، إن هذا عدو الله و عدوكم قد عمل على أن يبيتكم فمن لهم؟».

(٢) فانتدب جماعة أنفسهم لهذا الأمر، و أمر عليهم النبي صلى الله عليه وآله و آله أبا بكر، فتوجه أبو بكر بتلك المجموعة إلى قبيلة «بنو سليم»، و لما سار بهم مسافة واجه أرضا خشنة و كانت قبيلة «بنو سليم» تسكن في شعب واسع، فلما أراد المقاتلون المسلمون ان ينحدروا إلى الشعب عارضهم بنو سليم و قاوموهم، فلم ير قائد المجموعة بدًا من الانسحاب بمجموعته و الرجوع بهم من حيث أتى!!

(١) تفسير على بن ابراهيم: ج ٢ ص ٣٣٤ سورة العاديات.

(٢) يحتمل أن يكون وادي الرمل هو وادي الياض نفسه. وذلك للمناسبة بين الوصفين.

(٣) الارشاد: ص ٨٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٥٦

(١) يقول على بن ابراهيم في تفسيره: قالوا (أى بنى سليم لابي بكر): ما أقدمك علينا؟

قال: أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله أن أعرض عليكم الاسلام فان تدخلوا فيما دخل فيه المسلمون لكم ما لهم، و عليكم ما عليهم، و إلاً فالحرب بيننا و بينكم.

فهذّه زعماء تلك القبيلة- و هم يباهون بكثرة رجالهم و مقاتليهم- بقتله و قتل من معه، فارعب لتهديدهم و عاد بجماعته إلى رسول الله صلى الله عليه وآله رغم أن أفراده كانوا يصرون على مقاتله بنى سليم تنفيذاً لأوامر النبي صلى الله عليه وآله!! و لقد أزعجت عودة الجيش الاسلامى بهذه الصورة المهينة رسول الله صلى الله عليه وآله، فأمر عمر بن الخطاب أن يتولى قيادة تلك المجموعة و يتوجه بها إلى «وادي الياض»، ففعل عمر ذلك.

(٢) و لكن العدو كان قد ازداد- هذا المرة- يقظةً و تحسباً فكمّن عناصره عند فم الوادي، و اختبأ وراء الاحجار و الاشجار بحيث يرون المسلمين، و لا يراهم من المسلمين أحد.

و لهذا خرجوا على المسلمين بغتة عند ما حلّ الجيش الاسلامى بذلك الوادي، و قابلوهم ببسالة و شجاعة، فأمر قائد المجموعة الاسلامية أفراد بالانسحاب، و عاد بهم إلى المدينة مهزوما مدعورا كسابقه، فلقى من رسول الله صلى الله عليه وآله ما لقيه صاحبه من قبل من الاستياء، و الكراهية.

(٣) و هنا قال عمرو بن العاص و كان من دهاة العرب و ساسته الماكرين، و قد كان يومئذ قريب عهد بالاسلام: ابعثني يا رسول الله إليهم، فإن الحرب خدعة، فلعلّي أخدعهم!

فانفذه رسول الله صلى الله عليه وآله مع جماعة و وصاه فلما صار إلى الوادي خرج إليه بنو سليم فهزموه، و قتلوا من أصحابه جماعة!

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٥٧

(١)

الامام على ينتدب لقيادة العملية:

إشارة

هذه الهزائم المتلاحقة أزعجت المسلمين و أحزنتهم بشدة فعمد رسول الله صلى الله عليه وآله إلى تنظيم مجموعة جديدة و اختار لقيادتها «على بن أبى طالب»، و أعطاه راية.

و طلب على عليه السلام من زوجته «فاطمة» بنت رسول الله صلى الله عليه وآله أن تأتي له بالعصابة التي كان يشدها على جبينه في اللحظات الصعبة، فتعصب بها، فحزنت «فاطمة» لمنظر زوجها و هو يتوجه بمثل هذه الصورة إلى «وادي الياض» للقيام بأمر خطير، و بكت إشفاقاً عليه، فسلاها رسول الله صلى الله عليه وآله و آله و هدأها، و مسح الدموع عن عينيها «١».

ثم أنه صلى الله عليه وآله شيع علياً حتى بلغ معه مسجد الأحزاب، و على راكب على فرس أبلق، و قد لبس بردين يمانيين، و حمل رمحا هندياً بيده.

ثم توجه على عليه السلام بأفراده نحو الهدف، إلا أنه سلك طريقا غير الطريق المعروفة ليعمى على العدو، حتى أن الذين خرجوا معه تصوّروا أنه يقصد العراق، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله في علي عليه السلام حينما وجهه لهذه المهمة: «أرسلته كرارا غير فرار».

إن تخصيص «علي» عليه السلام بهذه الجملة يكشف عن أن القادة الذين سبقوه في هذه الحادثة لم ينسحبوا فقط، بل كان انسحابهم مقرونا بالهزيمة القبيحة.

(٢)

عوامل انتصار الامام علي في هذه الموقعة:

هذا ويمكن أن نلخص عوامل انتصار الامام علي عليه السلام في هذه الموقعة

(١) بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٨١، الارشاد: ص ٨٧.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٥٨

في ثلاثة امور اساسية هي:

(١) ١- أنه عليه السلام أخفى مسيره و وجهته على العدو، فلم يشعر العدو بوجهته و مقصده، لأنه غير مسيره حتى لا يعرف العدو به بواسطة الأعراب من سكان البادية.

(٢) ٢- أنه عليه السلام اتبع مبدءا هاما من مبادئ العمل العسكري، و استخدم تكتيكا مهما من التكتيكات الحربية و هو: مبدأ الكتمان و التستر، فقد كان عليه السلام يسير بأفراده ليلا، و يكمن نهارا، يستريح خلاله.

و هكذا حتى دنا من ارض العدو، و قبل أن يصل فم الوادي أمر جنوده بالنزول و الاستراحة لاستعادة نشاطهم من جهة، و لكي لا يحس العدو بمجيئهم من جهة اخرى.

و لهذا السبب الأخير نفسه أمر عليه السلام جنوده بان يكتموا أفواه خيولهم حتى لا يشعر العدو بوجودهم بصهيلها.

و عند الفجر صلى «علي» عليه السلام بجنوده صلاة الصبح، ثم صعد بهم الجبل حتى وصل إلى القمة، ثم انحدر بهم - بسرعة فائقة - إلى الوادي حيث يسكن «بنو سليم» فحاطوا بهم و هم نيام، فلم يستيقظوا إلا و قد حاصرهم المسلمون، فاسروا منهم فريقا، و فر آخرون.

(٣) ٣- شجاعة «علي» عليه السلام و بسالته النادرة فهو الذي قتل الشجعان الاربعة المعروفين في تلك الموقعة فارعب العدو إرعابا شديدا فقد معه القدرة على المقاومة في وجه علي عليه السلام ففرّ تاركا وراءه شيئا كثيرا من الغنائم «١».

و لقد عاد بطل الاسلام الظافر إلى المدينة بفتح لا سابق له، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله في جماعة من أصحابه لاستقباله، و استقبال من معه من جنود الاسلام.

(١) تفسير فرات الكوفي: ص ٢٢٢-٢٢٦، مجمع البيان: ج ١٠ ص ٥٣٨.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٥٩

و ما أن وقعت عينا القائد الفاتح على رسول الله صلى الله عليه وآله حتى ترجل من فرسه فورا، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله و هو يربت على كتفه:

«اركب فإنّ الله و رسوله عنك راضيان».

(١) و في هذه اللحظة بالذات اغرورقت عينا «عليّ» عليه السّلام بالدموع استبشارا فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله في شأن «عليّ» عليه السّلام قولته المعروفة:

«يا عليّ لو لا أنّي اشفق أن تقول فيك طوائف من امتي ما قالت النصارى في المسيح لقلت فيك اليوم مقالا لا تمرّ بملا من الناس إلّا أخذوا التراب من تحت قدميك» (١).

و لقد بلغت تضحيه «عليّ» عليه السّلام و بسالته، و شجاعته في هذه الواقعة من الأهمية بحيث نزلت فيها سورة كاملة هي سورة العاديات التي يقول سبحانه فيها:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا فَأَنْزَلَ بِهِ نَقْعًا فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا.

إن القسم بخيول الغزاة المغيرين صباحا، و المشعلين بحوافرها شرارات الفتح و الانتصار.

إنّ هذا القسم الحماسيّ الجميل لهو تكريم رائع لبطولات جنود الاسلام في هذه العملية الظاهرة، و اكبار بروحهم القتالية العالیه. (٢)

اعتراض و جواب

هذا و لقد اعترض بعض الملحدين ذات مرّة على هذا النوع من الأيمان

(١) الارشاد: ص ٨٤-٨٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٦٠

و الأقسام في القرآن الكريم و قال ساخرا: و ما ذا يعنى القسم بالخيول الضابحة، العادية، و الشرارات المنقحة من حوافرها؟! و لقد غاب عن هذا الملحد أن القسم بخيول الغزاة المجاهدين أو القسم بالشرارات المنقحة من حوافرها بسبب احتكاكها بالصخور في أرض المعركة إنما إشعار بأهمية الجهاد ضدّ الظالمين أعداء البشرية.

(١) إنّ مثل هؤلاء الجنود البواسل ليسوا وحدهم الذين يحظون- في نظر الاسلام- بمنزلة رفيعة و مكانة عالية، بل خيولهم التي تحملهم في هذا الجهاد المقدّس، و كذا الشرارات التي تنقح من حوافرها تحظى بالقداسة و الأهمية أيضا.

و أية قيمة- ترى- أعلى من محاربة الظالمين الجائرين، و انقاذ البشرية من براثن ظلمهم و جورهم، و من حيفهم و عسفهم؟! إنّ مثل هؤلاء و ما يمكنهم من أهدافهم من الأدوات، و الوسائل مقدّسون جميعا، لأنهم يحررون- بجهادهم- الانسان من قيود الطغاة، الظالمين، و يمهدون لحاكمية الله في الأرض، و اى هدف أعلى و اعظم قدسيه من هذا الهدف؟

و لقد دعا القرآن الكريم المؤمنين- من خلال تقديس خيول المجاهدين و ضبحهم و عدوهم و شرارات حوافرهم- إلى العناية بالجهاد دائما، و إلى تجميع قواهم، و الاستعداد لكسر القيود التي ترزح على أيدي البشرية و أرجلها و عقولها، و الى تحطيم القلاع التي ضربها الطغاة على الشعوب المغلوب على أمرها.

أجل؛ إن فرق التحرير و الجهاد الاسلاميه لا- تستحق وحدها التقديس و الاكبار بل تستحق خيولها و مراكبها، و شرارات حوافرها التقديس كذلك.

و لقد استبدلت تلك الخيول هذا اليوم بالدبابات و الطائرات فهي مقدسه أيضا، كما كانت خيول الغزاة و المجاهدين في عصر الرسالة، كما و أن أزيز محركاتها، هو الآخر يحظى بالتقديس كما كانت أنفاس الخيول تحظى بالتقديس في عصر الرسالة لأنها تحقق ذات الهدف، و نفس الغاية المقدسه و هي: تحرير الانسان من براثن الظلم و الطغيان.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٦١

(١) هذا هو ملخص غزوة «ذات السلاسل» التي سجّلها و ضبطها مفسرو الشيعة، و مؤرّخوهم، و رووها بإسناد صحيحة. غير أن مؤرّخي أهل السنة كالطبري «١» روى هذه الواقعة بنحو آخر يختلف عما ذكرناه هنا، اختلافا شاسعا. و لا يبعد أن يكون «ذات السلاسل» اسما لغزوتين نقل كل واحد من الفريقين: «السنة و الشيعة» واحدة منها، و اعرض عن ذكر الاخرى لأسباب خاصة.

(١) تاريخ الطبري: ج ٢ ص ٣١٥، السيرة الحلبية: ج ٣ ص ١٩٠ و ١٩١، و المغازي: ج ٢ ص ٧٦٩-٧٧٤.
سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٦٢
(١)

٤٩ فتح مكة

إشارة

قصة «فتح مكة» من قضايا التاريخ الاسلامي الجديرة بالمطالعة و التأمل، لما تنطوي عليه هذه الحادثة من دروس و عبر، و لكونها تعكس - بصدق و جلاء - أهداف رسول الاسلام صلى الله عليه و آله المقدسة، كما تكشف عن أخلاقه العلية، و سيرته الحسنة، و اسلوبه الانساني مع الصديق، و العدو.

ففي هذا الفصل من التاريخ يتجلى ما كان يتحلى به خاتم الأنبياء صلى الله عليه و آله من صدق و وفاء، كما يتبين صدق أصحابه، و وفاؤهم، و احترامهم لكل ما تعهدوا، و التزموا به للخصم في معاهدة «صلح الحديبية»، بينما يتضح من جانب آخر نفاق المشركين من قريش، و خيانتهم في تنفيذ بنود اتفاقية الصلح، و بالتالي نقضهم للعهد و بالتالي عدم احترامهم لأي شيء من الالتزامات!!

(٢) إن دراسة هذا الفصل تثبت لنا حنكة النبي، و حسن تدبيره، و سياسته الحكيمة في فتح أصعب و آخر قلعة من قلاع العدو الكافر، المتصلب في شركه، و كفره، و المتمادي في عناده و تعديفه، و كأن هذا الرجل الالهى قد أمضى شطرا من حياته في إحدى المعاهد العسكرية العليا، فهو يخطط افضل من أى قائد محنك قدير، للفتح، و يكون تخطيطه من الدقة و المتانة، و العمق و الحكمة، بحيث يصيب المسلمين فتحا عظيما بأقل قدر من المتاعب و المشاكل.

و بالتالي يتجلى في هذا القسم من التاريخ الاسلامي الوجه الانساني الرحيم الذي كان يتسم به رسول الله صلى الله عليه و آله الذي كان يحرص على دماء

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٦٣

أعداء الرسالة الالقاء، و أموالهم، و يسعى إلى حفظها و صيانتها، كما لو كانوا أصدقاء لا أعداء.

فهو يعفو بمروءة كبيرة، و بعد مدى واسع، و رؤية مستقبلية عميقة عن قريش، و يغفر لهم جرائمهم و أذاهم و يصدر عفوا عاما لم يعرف له تاريخ الفاتحين نظيرا في أسبابه، و علله، و في ظروفه و ملابساته.

و إليك تفاصيل هذه الحادثة الكبرى من بدايتها إلى نهايتها.

تفاصيل فتح مكة:

(١) لقد قرأنا في ما مضى أن رسول الله صلى الله عليه و آله عقد في السنة السادسة معاهدة صلح مع قريش، نصت المادة الثالثة منها على: أن لكل من قريش و المسلمين أن يتحالفوا مع من شاءوا من القبائل، فتحالفت «خزاعة» مع المسلمين، و تعهد رسول الله صلى

الله عليه وآله لخزاعة في هذا التحالف بان يدافع عن أرضهم وأموالهم وأنفسهم كلما تعرّضوا لخطر، و طلبوا ذلك.

و تحالفت قبيلة «بنى كنانة»- و كانوا من أعداء خزاعة التقليديين- مع قريش.

و لقد تم كل هذا في ضوء عقد معاهدة صلح مدتها عشر سنوات تعهد فيها الطرفان بالحفاظ على الأمن الاجتماعى، و السلام الشامل فى كافة أرجاء الجزيرة العربية.

و لقد تعهد الطرفان- فى هذه المعاهدة- بأن لا يقوم أى واحد منهما بعمليات عسكرية و تحركات عدائية، لا ضد الآخر، و لا ضد حليف الطرف الآخر، كما لا يحرك حليفه ضد حليف الطرف الآخر.

و لقد انقضت سنتان من تاريخ التوقيع على هذه المعاهدة، و عاش الجانبان فى هذه الفترة فى سلام و رفاة، و أمن و استقرار إلى درجة أن المسلمين استطاعوا- بعد مضي سنة واحدة من التوقيع على تلك المعاهدة، أن يزوروا- بكامل

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٦٤

حريتهم- بيت الله الحرام، فى مكة المكرمة، و يؤدوا مناسك العمرة أمام عيون الآلاف من أعدائهم الوثنيين و هى العمرة التى سميت بعدئذ بعمرة القضاء كما عرفت.

(١) و لقد بعث رسول الله صلى الله عليه وآله فى شهر جمادى الاولى من السنة الثامنة للهجرة كتيبة قوامها ثلاثة آلاف مقاتل بقيادة ثلاثة فرسان من أركان جيشه، إلى تخوم الشام و حدودها، لمعاقبه و تأديب المتمردين و الجناة من ولاية الروم و عمّالهم فيها، و بالضبط أولئك الذين قتلوا دعاة الاسلام- الذين ابتعثهم صلى الله عليه وآله للدعوة و التبليغ- من دون ذنب أو جرم.

و الجيش الاسلامى و إن استطاع أن ينجو بنفسه من هذه المعركة، و يخرج منها بسلام، من دون أن تكلفه تلك المواجهة خسائر كبرى فى الأرواح سوى ثلاثة هم قادة الجيش- على ما مر فى قصة غزوة مؤتة- إلا أنه ما عاد بانتصار باهر كان يأمله جنود الاسلام المجاهدون، بل كانت العملية فى هذه المعركة اشبه ما تكون بعملية الكرّ و الفرّ.

و قد أوجب انتشار هذا النبأ جرأة سادة قريش و سراتها، فقد تصوروا أن المسلمين تضاءلت فيهم (أو انعدمت) روح الفروسيه و الاقدام، و روح الشجاعة و البسالة.

(٢) من هنا قررت قريش أن تخلّ بالأمن و الهدوء اللذين استتببا بعد اتّفاقيه الحديبية، فبادرت- أولاً- إلى توزيع الاسلحة على قبيلة «بنى بكر» من كنانة، و إلى تحريضهم على أن يبيتوا «خزاعة» المتحالفين مع المسلمين، فيغيروا عليهم ليلاً، و يقتلوا فريقاً، و يأسروا آخرين!!

بل لم تكتف قريش بهذا، إنما اشترك جماعة من رجالها فى هذا العمل الغادر بصورة مباشرة، و بذلك نقضوا عهدهم الذى أعطوه فى الحديبية، و أخلّوا عملياً بالأمن و السلام، و أخلّوا الفوضى و القتال، مكان الاستقرار و الهدوء اللذين سادا الجزيرة خلال عامين فى أعقاب عقد معاهدة الحديبية!

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٦٥

(١) أجل، لقد حملت «بنو بكر» و من ساعدتهم من رجال قريش بتحريك من زعامة مكة على «خزاعة» ليلاً، و كان بعضهم نياما، و البعض الآخر يتهجّد و يعبد الله ليلاً، فقتلوا من خزاعة جماعة، و أسروا آخرين، و غادر- منهم- فريق منازلهم تحت جناح الظلام، و لجئوا إلى مكة التى كانت للعرب يومئذ منطقة أمن لا يجيزون الاعتداء فيها على لاجئ إليها، و دخل الذين لجئوا إلى الحرم دار «بديل بن ورقاء» «١» و شكوا إليه ما حلّ بهم على ايدى رجال قريش، و حلفائهم من بنى كنانة ليلاً، من قتل و أسر و تشريد!!

(٢) كما وعد المظلومون من خزاعة إبلاغ مظلمتهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فارسوا رئيسهم: «عمرو بن سالم» فقدم المدينة على رسول الله صلى الله عليه وآله فوقف عليه و هو صلى الله عليه وآله جالس فى المسجد بين ظهرايى الناس، و أخبره بما لحق بحلفائه من خزاعة على ايدى بنى بكر من كنانة بتحريك و تحريض من قريش، و أنشد أبياتا يستغيث فيها برسول الله صلى الله عليه وآله

آله اذ قال:

يا ربّ إني ناشد محمّدا حلف أئينا و أبيه الا تلدا
فانصر هداك الله نصرنا أعتداو ادع عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا إن سيم خسفا وجهه تربدا
فى فيلق كالبحر يجرى مزبدا إن قريشا اخلفوك الموعدا
و نقضوا ميثاقك المؤكداو جعلوا لى فى كداء رسدا
هم بيتونا بالوتير هجّداو قتلونا ركعا و سجدا و قد كان «ابن سالم» يعيد البيت الأخير و يكرّره إثارة لمشاعر المسلمين، و يكرّر عبارة:
قتلنا و قد أسلمنا.

(١) كان بديل من شخصيات «خزاعة» من ذوى السن و الشرف فيهم، و كان يعيش فى مكّة، و كان له من العمر آنذاك ٩٧ عاما
(أمالى الطوسى: ص ٢٣٩).

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٦٦

(١) فانزعج رسول الله صلى الله عليه وآله من قريش لغدرها و نقضها للعهد، و وعد «خزاعة» بالنصرة، و قال:
«نصرت يا عمرو بن سالم».

و قد أفاض هذا الوعد القاطع و القوى حالة من الطمأنينة على قلب مبعوث خزاعة: «عمرو بن سالم» اذ قد تيّمن أن رسول الله صلى الله عليه وآله عليه و آله سينتقم لخزاعة ممن غدروا بها و بيتوها، و فتكوا بأبنائها، و بخاصة من قريش التى حرّضت بنى بكر على خزاعة، و اشعلت شرارة هذه الفتنة، و بالتالى كانت السبب الحقيقى وراء هذه الجريمة النكراء، و لكن ابن سالم ما كان يظن أن هذه المسألة ستنتهى بفتح مكّة، و تقويض دعائم الحكومة الوثنية الجاهلية، و القضاء عليها إلى الأبد!!

و لم يلبث أن قدم المدينة على رسول الله صلى الله عليه وآله و آله «بديل بن ورقاء» فى جماعة من «خزاعة»، و أخبروه بما فعلته قريش و بنو بكر من قتل فتيان خزاعة، ثم عادوا قافلين إلى مكّة.

(٢)

قريش تتوجس خيفة من ردّ النبى:

ندمت قريش بشدّة على ما صنعت من تأليب بنى بكر على خزاعة و مساعدتهم العمليّة فى العدوان على الأخيرة، و أدركت للتوّ، بأنّ هذا الذى صنعتته هو نقض للمدّة و العهد الذى بينهم و بين رسول الله صلى الله عليه وآله، و أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لن يدع هذه الجريمة النكراء تمرّ دون ردّ قاطع و حاسم، و لهذا بادرت إلى إيفاد زعيمها «أبى سفيان بن حرب بن أميّة» إلى المدينة المنورة لتطيب خاطر النبى صلى الله عليه وآله، و تسكين غضبه و تأكيد احترام قريش لمعاهدة الصلح.

فتوجّه أبو سفيان إلى المدينة، و التقى فى «عسفان» بديل بن ورقاء الخزاعيّ و هو عائد من المدينة، فسأله: هل كان فى المدينة؟ و هل أخبر محمّدا بما أصاب

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٦٧

خزاعة؟

فقال بديل: لا، و لكنى سرت فى بلاد كعب و خزاعة فى قتل كان بينهم، فأصلحت بينهم.

قال هذا، و واصل سيره باتجاه مكّة.

(١) ولكن أبا سفيان عمد - لمعرفة ما إذا كان بديل عائدا من المدينة أولا - إلى أبعاد لإبل «بديل» وجماعته، ففتها فوجد فيها نوى من تمر المدينة فايقن بأن القوم كانوا في المدينة وأنهم جاءوا محمداً، وأخبروه بما جرى.

قدم أبو سفيان المدينة فدخل على ابنته «أم حبيبة» زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما أراد أن يجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله طوته أم حبيبة عنه، فقال: يا بتيه ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش، أم رغبت به عني؟! قالت: بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وأنت رجل مشرك نجس، ولم أحب أن تجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله.

وفي امتاع الاسماع أن ابا سفيان لما دخل على ابنته أم حبيبة ذهب ليجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله فطوته دونه و قالت: أنت امرؤ نجس مشرك! فقال: يا بتيه! لقد أصابك بعدى شر.

قالت: هدانى الله للاسلام، وأنت يا أبتي سيد قريش و كبيرها، كيف يسقط عنك دخولك في الاسلام وأنت تعبد حجرا لا يسمع و لا يبصر!!

قال: يا عجباه! وهذا منك أيضا! أترك ما كان يعبد آبائي، وأتبع دين محمد!؟

(٢) أجل هذا هو منطق ابنه رجل حاك مؤامرات عديدة و قاد جيوشا ضد الاسلام طيلة عشرين عاما تقريبا، و كانت تربطه بام حبيبة رابطة الابوة و البنوة الوثيقة، و لكن حيث إن تلك المرأة ترعرت في مهد الاسلام، و نشأت في مدرسة سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٦٨

التوحيد حصل لها مشاعر دينية قوية جدا حتى أنها رجحت المشاعر الدينية على المشاعر العاطفية الشخصية مقاومة في هذا السبيل رغباتها الذاتية، و ميولها الشخصية.

(١) لقد أزعج أبو سفيان من سلوك ابنته التي كان يتصور أنها ملجئها و ملاذها الوحيد في المدينة، فخرج من منزلها فورا، حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وآله فكلّمه حول تجديد العهد، و استمراره، فلم يرد عليه رسول الله صلى الله عليه وآله كناية عن عدم اعتناؤه به.

فذهب إلى بعض أصحابه صلى الله عليه وآله و آله يطلب منهم ان يشفعوا له عند رسول الله صلى الله عليه وآله و أن يقنعوه بتجديد ميثاق الصلح، و لكن دون جدوى.

و أخيرا دخل على «علي بن أبي طالب» و عنده فاطمة الزهراء عليها السلام و الحسن و الحسين و هما آنذاك غلامان يدبان بين أيديهما فقال: يا على، أنك أمس القوم في رحما، و إنى جئت في حاجة فلا أرجع كما جئت خائبا فاشفع لي إلى رسول الله. فقال علي عليه السلام: ويحك يا أبا سفيان، و الله لقد عزم رسول الله صلى الله عليه وآله على أمر ما نستطيع أن نكلّمه فيه. فالتفت إلى فاطمة - و هو يحاول إثارتها عاطفيا - فقال: يا ابنه محمد هل لك أن تأمرى بتيك هذا فيجبر بين الناس فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر؟

(٢) و لما كانت فاطمة (عليها السلام) تعرف بنوايا أبي سفيان الشريرة لذلك قالت: ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله إنهما صبيان و ليس مثلهما يجير «١».

فقال أبو سفيان: يا أبا الحسن إنى أرى الامور قد اشتدت عليّ، فانصحنى.

فقال علي عليه السلام: ما أجد لك شيئا أمثل من أن تقوم فتجبر بين

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٦٩

الناس (أى تعطى الأمان للمسلمين) ثم الحق بأرضك.

(١) فقال أبو سفيان: أ و ترى ذلك مغنيا عنى شيئا؟ قال: لا والله، ما أظنه، ولكنى لا أجد لك غير هذا.

فقام أبو سفيان فى المسجد، و كان يثق بصدق على فى نصيحته، فقال: أيها الناس؛ إنى قد أجرت بين الناس.

ثم ركب بعيره، و أنطلق راجعا إلى مكة، و أخبر سادة قريش بما صنع، و ذكر نصيحة «على» إياه، فقال: إن علينا نصحنى أن اجير

الناس، فناديت بالجوار.

فقالوا: فهل أجاز ذلك محمدا؟

قال: لا.

قالوا: ويلك و الله ما زاد الرجل (و يقصدون عليا) على أن لعب بك، فما يغنى عنك ما قلت، لأن النبى لم يجز أمانه، و ما لا يجيزه

الطرفان لا قيمة له فى ميزان العهود.

ثم إن سادة قريش عقدوا مجلسا من فورهم للتشاور فى ما يطفئ غضب المسلمين، و يثنى رسول الله صلى الله عليه و آله عن عزمه

«١».

(٢)

جاسوس يكتشف!

إن تاريخ رسول الاسلام صلى الله عليه و آله يكشف عن انه صلى الله عليه و آله كان يسعى دائما الى أن يقنع العدو بالحق، و يجعله

يستسلم لمنطق الدين، و لم يكن يهدف قط الانتقام من العدو و أبادته.

ففى الكثير من الغزوات و المعارك التى شارك فيها صلى الله عليه و آله بنفسه أو سرايا التى بعثها كان الهدف الأساسى هو القضاء

على مؤامرة العدو، و إفشالها، و تشتيت شمله، و تفريق اجتماعه قبل ان يقوم بعمل يضر بالاسلام

(١) الغزى: ج ٢ ص ٧٨٠-٧٩٤، السيرة النبوية: ج ٢ ص ٣٨٩-٣٩٧، بحار الأنوار: ج ٢١، ص ١٠٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٧٠

و المسلمين، فقد كان النبى صلى الله عليه و آله يعرف جيدا أنه لو ازيلت الموانع و رفعت عن طريق الدعوة الاسلامية لترك منطق

الدين الحنيف أثره فى المجتمع الحر، و كان يعلم بأن الذين يعقدون الاجتماعات، و يقيمون التحالفات النظامية ليحولوا دون تقدم

الاسلام، و انتشاره، لو جرّدوا من أسلحتهم، و انهيت حالة الحرب بينهم و بين الاسلام، و تركوا فكرة التغلب على الاسلام عن طريق

القوة العسكرية، و سمعوا منطق الاسلام فى جو بعيد عن صخب القتال، لانجذبوا إلى عقيدة التوحيد بدافع الفطرة و هدايتها، و

لاستجابوا لنداء الضمير، و صاروا من أنصار الاسلام، و مؤيديه المخلصين الأوفياء.

(١) و لهذا السبب كانت الجماعات و الاقوام التى يتغلب عليهم جنود الاسلام، ثم يتسنى لهم مناخ التفكير الحر فى العقيدة و التعاليم

الاسلامية السامية فى جو بعيد عن الضوضاء و الصخب، تنجذب إلى الاسلام، و ترغب فيه، و تعتنق بل تشتم عن ساعد الجدد لنشر

العقيدة الاسلامية التوحيدية.

و قد تجلّت هذه الحقيقة فى موضوعنا الراهن و هو فتح مكة بصورة أكمل و أقوى، فقد كان رسول الله صلى الله عليه و آله يدرك

جيدا لو أنه فتحت مكة، و جرّد العدو من السلاح و وفرت أجواء حرة آمنة بعيدة عن الكبت و الاضطهاد فانه لم يلبث أن يصبح هذا

الفريق المعادى و المناهض للاسلام بشدة، من أنصار هذا الدين، و من المجاهدين الصادقين، الساعين فى نشره.

ولهذا يجب التغلب على هذا العدو، وكسر شوكته، ولكن يجب عدم إفنائه وإبادته، بل ينبغي تجنب إراقة الدماء، وازهاق الأرواح ما أمكن.

(٢) ولأجل الوصول إلى هذه الغاية المقدسة (الغلبة على العدو من دون إراقة الدماء) استخدم رسول الله صلى الله عليه وآله أسلوب مباغته العدو.

فقبل أن يفكر العدو في الدفاع عن نفسه، ويجمع قواه، ويستعد للمواجهة، كان النبي صلى الله عليه وآله يحاصر العدو في أرضه، و يجزده من سلاحه، ويجهض محاولته، ومؤمرته.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٧١

(١) على أن مبدأ «مباغته العدو» إنما يمكن الاستفادة منه إذا بقيت جميع الأسرار العسكرية للجانب المباغت طي الكتمان، وتمت الترتيبات اللازمة في سرية كاملة، بحيث لم يعرف بها العدو، بل لا يعرف العدو أساساً هل ينوي النبي صلى الله عليه وآله الهجوم عليه، أو لا، وعلى فرض أنه ينوي ذلك لا يخبر أحداً شيئاً عن موعد تحرك الجيش الإسلامي، و وجهته، إذ في غير هذه الصورة لا يمكن الاستفادة من مبدأ «مباغته العدو».

ولقد أعلن رسول الله صلى الله عليه وآله عن التعبئة العامة لفتح مكة، و تحطيم أقوى قلعة من قلاع الوثنية و إزالة حكومة قريش الظالمة التي كانت تمثل أقوى مانع في طريق تقدم الدعوة الإسلامية، و انتشارها و توسعها، و قد طلب من الله سبحانه في دعائه أن يعمى على عيون قريش و جواسيسهم فلا يعرفوا بشيء عن حركة المسلمين و مقصدهم اذ قال:

«اللهم خذ العيون و الأخبار من قريش حتى نباغتها في بلادها».

أو قال:

«اللهم خذ على قريش أبصارهم، فلا يروني إلّا بغته، و لا يسمعون بي إلّا فجأة» (١).

(٢) فاجتمع في مطلع شهر رمضان ناس كثيرون من مختلف المناطق خارج المدينة، و داخلها.

و يذكر المؤرخون جدولاً تفصيلياً بالطوائف و القبائل التي شاركت في هذا الفتح العظيم، و إليك ما ذكره:

المهاجرون: سبعمائة مع ثلاثمائة من الخيل و ثلاثة ألوية.

الأنصار: أربعة آلاف مع سبعمائة من الخيل، و ألوية كثيرة.

قبيلة مزينة: ألف مع مائة فرس، و مائة درع، و لواءان.

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٣٩٧، المغازي: ج ٢ ص ٧٩٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٧٢

قبيلة جهينة: ثمانمائة مع خمسين فرساً، و أربعة ألوية.

قبيلة بني كعب: خمسمائة مع ثلاثة ألوية.

و كان بقية الجيش من قبائل غفار، و اشجع، و بني سليم (١).

(١) و يقول ابن هشام: كان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف من بني سليم سبع مائة، و يقول بعضهم: ألف، و من بني غفار أربع مائة، و من أسلم أربع مائة، و من مزينة ألف و ثلاثة مائة نفر، و سائرهم من قريش، و الأنصار و حلفاءهم و طوائف العرب من تميم، و قيس و أسد (٢).

و لتحقيق مبدأ المباغته و الكتمان وضعت جميع الطرق المؤدية إلى مكة تحت المراقبة الشديدة من قبل عناصر الحكومة الإسلامية، كما روقب بشدة تردد المارة و المسافرين بواسطة الحرس (٣).

و بينما كان جيش الاسلام يتهباً للتحرك باتجاه مكة، نزل جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله وأخبره بأن أحد البسطاء من المسلمين أقدم على إرسال كتاب إلى قريش، يخبرهم فيه بتوجه النبي وأصحابه إلى مكة، وأنه أعطى ذلك الكتاب إلى امرأة تدعى «ساره»- وكانت مغنية من مغنيات مكة- لتوصله إلى مكة لقاء مال تقبضه.

(٢) ولقد كانت «ساره»- كما أسلفنا- مغنية بمكة، تغنى لأهل مكة، وربما شاركت في مجالس العزاء في قريش أيضاً، وقد تعطل عملها بعد معركة «بدر»، ومقتل جماعة من رجال قريش، ودخول الحزن في كل بيوت مكة، فلم تعد تستطيع أن تغنى وتطرب، من ناحية، ومن ناحية أخرى كان أبو سفيان قد أمر الناس بأن لا ييكوا، ولا يقيموا المآتم والمناحات على قتلى بدر حتى لا يذهب

(١) المغازي: ج ٢ ص ٨٠٠، امتاع الاسماع: ج ١ ص ٣٦٤.

(٢) السيرة النبوية: ج ٤ ص ٦٣.

(٣) بحار الأنوار: ج ٢١ ص ١٣٠. و امتاع الاسماع: ج ١ ص ٣٦١.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٧٣

غضبهم على «محمد» صلى الله عليه وآله وأصحابه الذين قتلوا رجالا من قريش في بدر.

(١) من هنا تركت «ساره» مكة بعد عامين وقدمت المدينة، وعند ما عرف رسول الله صلى الله عليه وآله بمجيئها إلى المدينة سألها: هل أسلمت؟ فقالت:

لا، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: ولما أتيت إلى المدينة؟ فقالت: إنى مولاتكم، وقد أصابني جهد، وأتيتكم أتعرض لمعروفكم «١».

فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله فكسيت وحملت وجّهت.

ومع أن هذه المرأة قد شملها الاسلام بلطفه ورحمته ولكنها خانت النبي والمسلمين عند ما تطوّعت للقيام بعملية جاسوسية ضد الاسلام والمسلمين بأخذ كتاب «حاطب بن بلتعنة» و اخفائه في شعر رأسها لتبلغه الى قريش لقاء عشرة دراهم، مفسية بذلك سراً للمسلمين، تضيع- على أثره- جهود النبي صلى الله عليه وآله وتفشل خطته!!

(٢) ولما عرف رسول الله صلى الله عليه وآله بهذا الأمر إثر خبر من السماء بعث ثلاث رجال من فرسانه الاشواس هم على والمقداد والزبير، ليدركوا المرأة الخائنة، على طريق مكة يأخذوا منها ذلك الكتاب الذي يحذر قريشا مما أجمع رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله عليه.

فخرج الرجال الثلاثة في طلبها مجددين حتى أدركوها في منطقة تدعى «روضه الخاخ» «٢» فاستنزلوها، وفتشوا عن الكتاب في رحلها فلم يجدوا شيئا، فسألوها عنه فانكرت فقال لها على عليه السلام.

«إنى أحلف بالله ما كذب رسول الله صلى الله عليه وآله ولا كذبتنا، ولتخرجن لنا هذا الكتاب أو لنكشفنك» «٣».

(١) بحار الأنوار: ج ٢١ ص ١٣٦، امتاع الاسماع: ج ١ ص ٣٦٢ و ٣٦٣.

(٢) وقال ابن هشام: فادركوها بالخليقة (ج ٢ ص ٣٩٩).

(٣) السيرة النبوية: ج ٤ ص ٤١، وذكر مؤلف الامتاع شخصين فقط هما الامام على والزبير (ج ١ ص ٣٦٢).

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٧٤

(١) ولما رأت تلك المرأة هذا الجدد من على عليه السلام وكانت تعرف أن علينا لا يتركها حتى ينفذ أمر رسول الله صلى الله عليه وآله فآلته قالت: أعرض، فأعرض على، فحلّت صفائر شعرها فاستخرجت الكتاب منها، فدفعته إليه، فأتى به رسول الله صلى الله عليه وآله.

فانزعج رسول الله صلى الله عليه وآله لفعل «حاطب» و كان من المسلمين السابقين، فدعاه من فوره و قال له عاتبا و مستفهما: يا حاطب ما حملك على هذا؟

فحلف حاطب بالله و برسوله أنه لم يقصد شرا، و قال: يا رسول الله، أما و الله إنى لمؤمن بالله و رسوله، ما غيرت و لا بدلت، و لكنى كنت امرأ ليس لى فى القوم من أصل و لا عشيرة، و كان لى بين أظهرهم ولد و أهل فصانعتهم عليه!!
(٢) و يستفاد من اعتذار حاطب هذا أن أسياذ قريش كانوا يضغطون على من تخلف فى مكة من أقارب المهاجرين و عوائلهم، و يؤذونهم، و لا يتركون أذاهم إلا إذا حصلوا منهم على أسرار المسلمين بالمدينة.
و هذا الاعتذار و ان كان غير وجيه، لأن ذلك لا يبرر إفشاء أسرار المسلمين لأعدائهم الحاقدين، غير أن رسول الله صلى الله عليه وآله و آله أصفح عنه، و خلى سبيله لمصالح معينة منها: سابقة «حاطب» فى الإسلام.

إلا أن «عمر بن الخطاب» طلب من رسول الله صلى الله عليه وآله أن يضرب عنقه، فقال له النبى صلى الله عليه وآله: «و ما يدريك يا عمر لعل الله اطلع يوم بدر على أصحاب بدر فقال: أعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» (١).
و لكى لا يتكرر مثل هذا العمل الخطر و الاثيم أنزل الله سبحانه قرآنا بهذا الشأن فى عدة آيات اذ يقول:

(١) امتاع الاسماع: ج ١ ص ٣٦٣ و غيره.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٧٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ. إِنْ يَتَّفِقُوا عَلَيْكُمْ يُكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَسْأَلُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُوا لَوْ تَكْفُرُونَ. لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ. قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأبيه لَأَسْتَعْفِفَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْتَبَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ. رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ. عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ. لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ. إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (١).

النبى يتحرك باتجاه مكة:

(١) أخذنا بمبدأ «المباغثة» كتم رسول الله صلى الله عليه وآله موعدا الحركة، و وجهتها، فلم يكن أحد يعرف أين يريد رسول الله صلى الله عليه وآله و آله على وجه التحديد (٢).

(١) الممتحنة: ١-٦، راجع السيرة النبوية: ج ٢ ص ٣٩٩، مجمع البيان: ج ٩ ص ٢٦٩ و ٢٧٠.

(٢) المغازى: ج ٢ ص ٨٠٢، الامتاع: ج ١ ص ٣٦٢، قال: و أمر رسول الله صلى الله عليه وآله الناس بالجهاز و طوى عنهم الوجه الذى يريد، فظان يظن أنه يريد الشام و ظان يظن ثقيفا و ظان يظن هوازن.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٧٦

و في اليوم العاشر من شهر رمضان من السنة الثامنة أصدر رسول الله صلى الله عليه وآله أوامره بالخروج، و كان قد أصدر أوامره للمسلمين كافة من قبل بالاستعداد و التهيؤ للخروج.

(١) ثم إنه استخلف على المدينة رجلا من بني غفار يدعى «أبا رهم» ثم استعرض جيشه خارج المدينة على عادته.

ثم لما كان صلى الله عليه وآله بمكان يدعى «الكديد» طلب شيئا من الماء امام المسلمين، و افطر به في تلك الساعة من النهار، و امر الجند بان يفطروا اقتداء به هم أيضا.

فافطر اكثر المسلمين، و أمسك البعض و لم يفطر ظنا بأن الجهاد في حالة الصوم أفضل، و اكبر أجرا، و لم يعرف هؤلاء السذج غير المفطرين، بان النبي صلى الله عليه وآله الذي أمر بالافطار في شهر رمضان في تلك الحال، هو نفسه الذي أمر بالصوم أيضا فاذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله قاندا حق و دليل سعادة فانه- في كلتا الحالتين- يريد سعادة الناس، و ينشد خيرهم، فلا معنى إذن لأن يطاع في أمره، و لا يطاع في نهيه.

و هذا غضب رسول الله صلى الله عليه وآله لامتناع ثلثة من المسلمين عن الإفطار كما أمر و قال عنهم: «اولئك العصاة»!! «١».

و أمرهم بأن يفطروا قائلا: «إنكم مصبحوا عدوكم، و الفطر أقوى لكم».

(٢) إن مثل هذا التقدم على رسول الله صلى الله عليه وآله و تجاهل أمره ما هو في الحقيقة إلا نوع من الانحراف عن الحق، و هو يكشف عن ضعف في ايمان الجماعة العاصية، المتمردة عن أمر النبي صلى الله عليه وآله.

و لهذا نزل فيه قرآن يلومهم، و يوبخهم على عصيانهم إذ قال سبحانه:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» «٢».

(١) وسائل الشيعة: ج ٧ ص ١٢٤، السيرة الحلبية: ج ٣ ص ٩٠، المغازي: ج ٢ ص ٨٠٢.

(٢) الحجرات: ١.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٧٧

(١) هذا و قد كان «العباس بن عبد المطلب» من المسلمين الذين بقوا في مكة بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله ليتجسس له الأخبار، و يطلعه على نوايا قريش، و خططهم أولا بأول.

و قد تظاهر العباس- بعد فتح خيبر- بإسلامه، و لكنه بقى محافظا على علاقته بسادة قريش و زعمائها، فقرّر أخيرا أن يكون آخر من يهاجر من بيوت المسلمين، فغادر مكة متوجها إلى المدينة، و صادف خروجه مسير رسول الله صلى الله عليه وآله إلى مكة، فالتقى ببعض الطريق رسول الله صلى الله عليه وآله.

و لقد كان بقاء العباس بن عبد المطلب في مكة بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وآله مفيدا للجانبين: (قريش و المسلمين) فلو لم يكن العباس، و نشاطاته السياسية، الذكية، لما تيسر فتح مكة من دون مقاومة قريش، و من دون إراقة دماء و إزهاق نفوس.

من هنا لا- يبعد أن يكون خروج العباس من مكة في تلك اللحظات و الظروف الخطيرة قد كان هو الآخر بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله عليه و آله لكي يستطيع القيام بدوره الإصلاحي، الذي سنأتى على ذكره قريبا.

(٢)

العفو عند المقدرة:

لقد كانت سوابق رسول الله صلى الله عليه وآله المشرفة، و اخلاقه الحميدة، و صدقه و أمانته، طوال حياته من الامور الواضحة

المعلومة عند أقربائه، و أبناء عشيرته.
فقد كان الجميع يعلم بأن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يرتكب طيلة حياته الشريفة إثما، و لم يفكر في ذنب، و لم ينو الاعتداء على أحد، و لم يقل بلسانه سوءا و لا قبيحا، و لا خان في امانته، و لا افشى سرا و لا تخلف عن فضيلة.
و لهذا استجاب لدعوته - في الايام الاولى من دعوته العامة - الاكثرية الساحقة من قبيلته (بنى هاشم)، و التفتوا حوله، و تحمّلوا الدفاع عنه، و دعم

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٧٨

موافقه.

(١) و لقد اشار أحد المستشرقين المنصفين إلى هذه الحقيقة، و اعتبرها دليلا على طهارة رسول الله صلى الله عليه وآله و صدقه و نزاهته، فهو يقول: مهما كان المرء متكثما متسترا على أعماله و أفكاره فانه لا- يستطيع بحال أن يخفى تفاصيل حياته عن ذويه و أقربائه، و لو كان لمحمد حالات نفسيه أو أفعال سيئه لما خفيت على أقربائه، و لما كانوا يتقادون إليه بمثل هذه السرعة «١».

نعم يستثنى من بنى هاشم عدة أشخاص أحجموا عن الايمان برسول الله صلى الله عليه وآله و الاستجابة لدعوته، و يمكن الاشارة- في هذا المجال- بعد أبي لهب المعروف بل و المصرح بعداوته في القرآن- إلى «أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب» و «عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة» اللذين خاصما رسول الله صلى الله عليه وآله و عارضا دعوته بشدة، و لم يكتفيا بعدم الايمان برسالته، بل منعا من انتشار الحق، و آذيا رسول الله صلى الله عليه وآله و آله اشد الأذى و ألبا عليه اكثر من أى شخص آخر.

(٢) و لقد كان أبو سفيان هذا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله و أخاه من الرضاعة، و كان يألف رسول الله صلى الله عليه وآله قبل البعثة، و لكنه اختلف مع النبي بعد ابتعائه بالرسالة، و بنى على مخالفته و معاداته «٢».

و أما عبد الله بن أبي أمية فهو أخو أم سلمة ابنة عاتكة عمه رسول الله صلى الله عليه وآله و ابنة عبد المطلب.

و لقد حدى انتشار الاسلام في كل أنحاء الجزيرة العربية بهذين الرجلين إلى أن يخرجوا من مكة و يلتحقا بالمسلمين.

(٣) فقد خرجا قبيل الفتح من مكة، فلقيا رسول الله صلى الله عليه وآله و أصحابه في أثناء الطريق- و على وجه التحديد في نقطة تدعى بثنية العقاب،

(١) الأبطال: لكارليل الانجليزي.

(٢) المغازي: ج ٢ ص ٨٠٦ و ٨٠٧.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٧٩

و النبي قاصد مكة، فاستأذنا رسول الله صلى الله عليه وآله ليدخلا عليه، و أصرا على ذلك، فابى النبي صلى الله عليه وآله أن يأذن لهما.

(١) و قد سيطر أم سلمة، و طلبا منها بلهجة عاطفية أن تشفع لهما عند رسول الله صلى الله عليه وآله حتى يرضى عنهما، فكلّمته فيهما، و لكن رسول الله صلى الله عليه وآله أبى و قال:

«لا حاجة لى بهما، أما ابن عمى فهتك عرضى و أما ابن عمتى و صهرى فهو الذى قال بمكة ما قال» «١».

و لما كان «عليّ» عليه السلام أعرف الناس بنفسية رسول الله صلى الله عليه وآله و أخلاقه، و بطريقة استعطافه، فقد كلّمه أبو سفيان في الأمر، فعلمه على بن أبي طالب عليه السلام أن يأتي رسول الله صلى الله عليه وآله من قبل وجهه فيقول:

«قَالُوا تَاللّٰهِ لَقَدْ آتَرَكَ اللّٰهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ» «٢».

فان رسول الله صلى الله عليه وآله سيحييه بما قاله يوسف لاختوته اذ قال لهم:

«قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَعْفُزُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ» (٣).

لأنه صلى الله عليه وآله لا يرضى بأن يتفوق عليه أحد في حسن القول.

(٢) ففعل أبو سفيان هذا ما أشار عليه الامام على عليه السلام و دخل من الطريق الذى بينه له، فعفا عنه رسول الله كما فعل يوسف باخوته، فانشد أبو سفيان قصيدة أراد بها أن يكفر عما سبق منه، قال فيها:

(١) فهو ممن اقترح على رسول الله صلى الله عليه وآله بمكة امورا غير معقولة، و قد جاء ذكر هذه المقترحات فى الآيات: ٩٠-٩٣

من سورة الاسراء راجع مجمع البيان: ج ٦ ص ٤٣٩ و اسد الغابة: ج ٥ ص ٢١٣ و ٢١٤.

(٢) يوسف: ٩١.

(٣) يوسف: ٩٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٨٠ لعمر ك إنى يوم أحمل راية لتغلب خيل اللات خيل محمد

فكالمدلج الحيران أظلم ليله فهذا أوانى حين اهدى فأهدى «١» (١) و يكتب «ابن هشام» فى سيرته قائلا: قال أبو سفيان و معه ابنه، لما أعرض رسول الله صلى الله عليه وآله عنه و أبى أن يأذن له: و الله ليقبلى، أو لأخذت بيد ابنى هذا فلاذهبى فى الارض حتى أهلك عطشا و جوعا و أنت أحلم الناس مع رحمى بك» (٢).

و قد سبق أن قالت أم سلمة لرسول الله صلى الله عليه وآله قد كلمته فى أبى سفيان: بأبى أنت و أمى يا رسول الله ألم تقل: أن الاسلام يجب ما كان قبله؟ فرق رسول الله صلى الله عليه وآله لهما، و أذن لهما، فدخلوا، و قبل اسلامهما «٣».

(٢)

تكتيك رائع لجيش الاسلام:

تقع «مر الظهران» على بعد عدة كيلومترات من مكة المكرمة، و قد قاد رسول الله صلى الله عليه وآله جيشه العظيم (و قوامه عشرة آلاف) حتى مشارف مكة بمهارة بالغة.

و مع أن عيون قريش و جواسيسها كانت تتجسس الأخبار و كان هناك من يعمل لصالح قريش، و لكنهم مع ذلك لم يستطيعوا أن يعرفوا شيئا عن نوايا رسول الله صلى الله عليه وآله و هدفه.

و لما وصل رسول الله صلى الله عليه وآله إلى مشارف مكة عمد- لإرعاب أهل مكة حتى يتركوا مقاومة المسلمين عند دخول مكة و فتحها، و يتسنى لهم تحطيم صرح الوثنية من دون إراقة الدماء- إلى إصدار أمر لجنوده باشعال النيران

(١) الاصابة: ج ٤ ص ٩٠، و اسد الغابة: ج ٥ ص ٢١٣ و ٢١٤.

(٢) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٤٠٢.

(٣) بحار الأنوار: ج ٢١ ص ١١٤ و ١١٥.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٨١

فوق الجبال و التلال، و للمزيد من تخويف سكان مكة و الإظهار بمظهر القوة أمر بأن يشعل كل واحد من الجنود النار وحده، فى شريط طويل على الأرض.

(١) كانت قريش و حلفاؤها يغطون فى نوم عميق آنذاك من جهة، بينما كانت النيران من جهة اخرى قد غطت كل المرتفعات المشرفة على مكة فلم تستيقظ إلا على منظر أروع قلوبهم، و لفت أنظارهم.

و في هذا الاثناء كان بعض سادة قريش ك: «أبي سفيان بن حرب» و «حكيم بن حزام» و غيرهما قد خرجا من مكة يتجسسون الأخبار.

ففكر «العباس بن عبد المطلب» الذي لازم رسول الله صلى الله عليه وآله من منطقة الجحفة، فكر في نفسه بأنه إذا ما اتفق أن واجه جنود الاسلام مقاومة من قريش عند دخول مكة لاذى ذلك إلى ان يقتل جمع كبير من قريش، و لهذا فان من الأفضل أن يقوم بدور عملي لصالح الطرفين، و يقنع قريشا بالتسليم، و عدم المقاومة.

(٢) فركب بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله البيضاء و توجه صوب مكة ليخبر قريشا بمحاصرة مكة من قبل جنود الاسلام، و يخبرهم بكثرة عددهم، و بمبلغ شجاعتهم و إصرارهم على تحقيق أهداف النبي صلى الله عليه وآله و يقنعهم بأنه لا- مناص من التسليم للأمر الواقع.

فبينما هو كذلك إذ سمع صوت أبي سفيان و بديل بن ورقاء يتحادثان في جوف الليل فيقول أبو سفيان: ما رأيت كالليلة نيرانا قط و لا عسكريا، فيقول بديل: هذه و الله خزاعة حمشتها الحرب.

فيقول أبو سفيان: خزاعة أذلّ و أقلّ من ان تكون هذه نيرانها و عسكريها.

فصاح العباس بأبي سفيان و قال: يا أبا حنظلة.

فقال أبو سفيان: يا لييك، أبو الفضل ما لك؟

فقال العباس: هذا رسول الله في عشرة آلاف من المسلمين.

فارتعد أبو سفيان لما سمعه من العباس حول عظمة القوة الاسلامية، فقال و هو

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٨٢

يرتجف، و تصطكّ اسنانه من الفزع: فما الحيلة فداك أبي و أمي؟

(١) فقال العباس: اركب في عجز هذه البغلة حتى آتى بك رسول الله صلى الله عليه وآله فاستأمنه لك.

فركب أبو سفيان خلف العباس، و رجع صاحبه (حكيم و بديل) إلى مكة.

و لقد كان مسعى العباس - كما ترى - في مصلحة الاسلام كله، فقد أربع شيطان قريش، و زعيمها و عقلها المدبّر أبا سفيان، و كان موفقا في هذه الخطوة جدا بحيث لم يعد يفكر أبو سفيان إلّا في التسليم، و إلقاء السلاح و الكفّ عن المقاومة، بل و منعه العباس من العودة إلى مكة، في نفس الليلة (ليلة فتح مكة) و أخذه معه إلى معسكر المسلمين بغية تقيده، و منعه من العودة مكة، إذ كان من المحتمل جدا أن يقع فريسة أفكار المتطرفين في الزعامة المكية فيدبرون معا خطة لمواجهة جيوش الاسلام، فيقع - حينئذ - ما لا يحمد عقباه، من سفك الدماء، و ذهاب الأنفس و الارواح.

(٢)

العباس يصطحب أبا سفيان إلى خيمة النبي:

دخل العباس - و هو على بغلة بيضاء و قد اردف خلفه أبا سفيان - في معسكر المسلمين، و هو يقصد خيمة رسول الله صلى الله عليه وآله و آله من خلال نيران المسلمين التي أمر النبي صلى الله عليه وآله بإشعالها، و كان كلّمًا مرّ بنا من نيرانهم قالوا: عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله و آله فلا يمنعون من مروره، حتى اذا لقيّا عمر بن الخطاب في الاثناء و رأى عمر أبا سفيان خلف العباس على عجز البغلة هم بقتله في المكان، و لكن عمّ النبي صلى الله عليه وآله و آله أجاز أبا سفيان في الحال، و منع بذلك عمر من إلحاق الأذى به، و هو في جواره.

و أخيرا وصل العباس برفقة أبي سفيان إلى خيمة رسول الله صلى الله عليه وآله فاستأذن العباس رسول الله صلى الله عليه وآله و

آله للدخول مع أبي سفيان عليه فاذن لهما، ف وقعت مشادة كلامية شديدة بين العباس و عمر بين

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٨٣

يدى رسول الله صلى الله عليه وآله حول أبي سفيان و كان عمر يقول: أبو سفيان عدو الله فلا بد أن يقتل، و لكن العباس كان يقول: يا رسول الله إننى قد أجزته، فقطع رسول الله صلى الله عليه وآله دابر هذه المناقشة عند ما قال: «اذهب يا عباس إلى رحلك، فاذا أصبحت فاتنى به».

فذهب العباس بأبى سفيان إلى رحله، فبات عنده ليلته كما أمر، فلما أصبح غدى به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله. (١)

أبو سفيان بين يدى رسول الله صلى الله عليه وآله:

لما مثل أبو سفيان عند الصباح بين يدى رسول الله صلى الله عليه وآله في خيمته قال له النبى صلى الله عليه وآله: «ويحك يا أبا سفيان؛ ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله؟».

فقال أبو سفيان: بأبى أنت و أمى ما أحلمك، و أكرمك، و أوصلك و الله لقد ظننت أن لو كان مع الله آله غيره، لقد أغنى عنى شيئا بعد.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنى رسول الله؟»

قال: بأبى أنت و أمى ما أحلمك، و أكرمك، و أوصلك، أما و الله فإن فى النفس منها حتى الآن شيئا!!

فغضب العباس من شك أبي سفيان، و لجأته و عناده فقال له: ويحك، أسلم و اشهد أن لا إله إلا الله، و أن محمدا رسول الله قبل أن يضرب عنقك.

فشهد أبو سفيان شهادة الحق، فاسلم و دخل فى عداد المسلمين.

(٢) أن إسلام أبي سفيان الذى حصل فى جو من الرعب و التهديد و إن لم يكن بالإسلام الذى كان يريد رسول الإسلام صلى الله عليه وآله و يطلبه دينه الحنيف، و لكن مصالح معينة كانت توجب أن يدخل أبو سفيان فى عداد المسلمين كيفما كان ليرتفع بذلك أكبر سد، و ينزاح أكبر مانع من طريق الدعوة

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٨٤

الإسلامية، لأن رجالا مثل «أبى سفيان» و «أبى جهل» و «عكرمة» و «صفوان بن أمية» و غيرهم، كانوا قد أوجدوا جوًا من الرعب و الخوف فى مكة استمرّ أعواما عديدة، فلم يكن يجرأ أحد من المكيين فى مثل هذا الجو المشحون بالخوف أن يفكر فى الإسلام، أو يظهر رغبته فى اعتناقه، و الانضواء تحت لوائه.

(١) فإذا لم يكن إسلام أبي سفيان الظاهرى و السطحى مفيدا من حيث الواقع، و لكنه كان مفيدا جدا لرسول الله صلى الله عليه وآله، و للذين كانوا تحت سيطرة أبي سفيان و نفوذ زعامته من جماهير مكة، و بالتالى لمن كانت له علاقات قريبي معه.

و مع ذلك لم يسمح رسول الله صلى الله عليه وآله و آله بإخلاء سبيل أبي سفيان لأنه لم يكن آمنا- و حتى مع إظهاره الإسلام- من جانبه قبل أن يتم فتح مكة، و لهذا أمر صلى الله عليه وآله عمه العباس بأن يحبسه بمضيق الوادى عند ممر الجنود ليصير عظمة القوات الإسلامية، و كثافتها قائلا:

«يا عباس احبسه بمضيق الوادى عند خطم الجبل (أى انفه) حتى تمرّ به جنود الله فيراها».

ثم إن العباس قال لرسول الله صلى الله عليه وآله: يا رسول الله إن أبا سفيان هذا رجل يحب الفخر، فاجعل له شيئا.

(٢) واستجاب رسول الله صلى الله عليه وآله لهذا الطلب، ومع أن أبا سفيان كان قد عادى رسول الله صلى الله عليه وآله و آله و آلهم ضده طيلة عشرين عاماً، و أثار في وجهه دعوته الحروب و الفتن الكثيرة، و وجه بذلك ضربات كثيرة إلى الاسلام و المسلمين، فمنحه - رغم ذلك و لمصالح خاصة - مقاما، و قال كلمته التاريخية في حقه ... تلك الكلمة التي تكشف عن عظمة أخلاق رسول الاسلام صلى الله عليه وآله و سمو روحه، و عمق حكمته اذ قال:

«من دخل دار أبي سفيان فهو آمن.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٨٥

و من أغلق بابه فهو آمن.

و من دخل المسجد فهو آمن.

و من طرح السلاح فهو آمن» (١).

(١)

مكة تستسلم من دون إراقة دماء:

تقدم جيش التوحيد العظيم نحو مكة، حتى أصبح على مقربة منها.

و قد كان رسول الله صلى الله عليه وآله عازما على أن يفتح مكة من دون إراقة دماء، و إزهاق أرواح، و أن يسلم العدو من دون أية شروط.

و كان من العوامل التي ساعدت على تحقيق هذه الغاية - مضافا إلى عامل التكتم و التستر و مبدأ المباغثة - أن العباس عم النبي صلى الله عليه وآله و آلهم توجه إلى مكة كداعية صلح و وسيط سلام بين قريش و النبي صلى الله عليه وآله فكان أن أتى بأبي سفيان إلى معسكر الاسلام كما أسلفنا، و بذلك توصل إلى تحييد أبي سفيان، و لم يكن في مقدور سادة قريش أن يتخذوا قرارا حاسما من دون أبي سفيان.

(٢) و عند ما خضع أبو سفيان أمام عظمة رسول الاسلام الفريدة و أظهر الاسلام، رأى رسول الله صلى الله عليه وآله أن يستفيد منه لإرعاب المشركين أكثر قدر ممكن، فأمر العباس بأن يجسه عند مضيق الجبل ليرى بام عينيه حشود المجاهدين من المسلمين - كما أسلفنا - في وضوح النهار مع كامل عدتهم و اسلحتهم، و نظامهم و قوتهم، فيخبر قريشا بذلك، فيزيدهم خوفا و رهبة، فينصرفوا عن فكرة مقاومة الجيش الاسلامي عند دخوله إلى مكة.

و فعل العباس ما أمره الرسول الكريم صلى الله عليه وآله و آلهم فحبس أبا سفيان

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٤٠٠ و ٤٠٤، مجمع البيان: ج ١٠ ص ٥٥٤ - ٥٥٦، المغازي: ج ٢ ص ٨١٦ - ٨١٨، شرح نهج البلاغة الحديدية: ج ١٧ ص ٢٦٨.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٨٦

حيث أمر النبي صلى الله عليه وآله.

(١) فمّرت القبائل مع راياتها أمام أبي سفيان، و كانت بعض قطعات الجيش الاسلامي على النحو التالي:

(٢) ١ - كتيبة قوامها ألف مقاتل من بني سليم بقيادة خالد بن الوليد، و فيها لواءان، أحدهما مع «عباس بن مرداس»، و الآخر مع «المقداد».

(٣) ٢ - فوجان قوامهما خمسمائة مقاتل بقيادة «الزبير بن العوام» الذي كان يحمل معه لواء أسودا، و كان أكثر أفراد هذا الفوج من

المهاجرين.

(٤) ٣- فوج قوامه ثلاثمائة مقاتل من بنى غفار بقيادة «أبي ذر الغفاري» و كان لواؤه معه.

(٥) ٤- فوج قوامه اربعمائة مقاتل من بنى سليم بقيادة «يزيد بن الخصيب» و معه لواؤه.

(٦) ٥- فوجان قوامهما خمسمائة مقاتل من بنى كعب بقيادة «بشر بن سفيان» و رأيته معه.

(٧) ٦- كتيبة قوامها ألف مقاتل من بنى مزينة، فيها ثلاثة ألوية، لواء مع النعمان بن مقرن، و لواء مع بلال بن الحارث، و لواء مع عبد الله بن عمر.

(٨) ٧- كتيبة قوامها ثمانمائة مقاتل من جهينة، فيها أربعة ألوية، لواء مع «معبد بن خالد» و «سويد بن صخره» و «رافع بن مكيث» و «عبد الله بن بدر».

(٩) ٨- فوجان قوامهما مائتا مقاتل من بنى كنانة، و بنى ليث و ضمرة، بقيادة «أبي واقد الليثي»، و كان لواؤهما معه.

(١٠) ٩- فوج قوامه ثلاثمائة، مقاتل من بنى أشجع، و فيها لواءان أحدهما بيد «معقل بن سنان» و الآخر مع «نعيم بن مسعود» (١).

(١) لقد سجّل المؤرخ الاسلامي الشهير «الواقدي» عدد أفراد هذه القطعات في تاريخه «المغازي»:

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٨٧

(١) و عند ما كانت هذه القبائل و القطعات تمرّ، سأل أبو سفيان العباس عن اسمها، و خصوصياتها، فكان العباس يوضح له كل ذلك. و الذي كان يزيد هذا الجيش المنظم جلالا و عظمة أن قادة هذه الافواج و الكتائب كانوا اذا مرّوا على العباس و أبي سفيان كبروا ثلاثا بأعلى أصواتهم و بشكل منظم، و كبر من ورائهم جنودهم بصوت واحد و منظم أيضا كأكبر شعار اسلامي. و لقد كان لهذه التكبيرات الهادرة التي كانت تدوى في وديان مكة، و ترددها الجبال و الوديان، أكبر الاثر في نفوس الاصدقاء و الاعداء، فكانت تزيد بهيبتها و جلالها من محبة الاصدقاء للنظام الاسلامي العظيم، بينما ترهب أعداء الله، و تغرقهم في خوف و رعب شديد.

هذا و كان أبو سفيان ينتظر بفارغ الصبر عبور الكتيبة التي فيها رسول الله صلى الله عليه وآله و لهذا كان يسأل العباس كلما مرّت قطعة من قطعات الجيش الاسلامي: أ فيها محمّد؟ أو ما مضى بعد محمّد؟!

(٢) فيقول العباس: لم يمض بعد، لو رأيت الكتيبة التي فيها محمّد صلى الله عليه وآله رأيت الحديد و الخيل و الرجال و ما ليس لأحد به طاقة.

و بينما هما كذلك إذ طلعت كتيبة عظيمة قوامها خمسة آلاف مقاتل، فيها ألفا دارع فقط، فيها الرايات و الألوية الكثيرة، فيها المهاجرون و الانصار، مع كل بطن و قبيلة من قبائل الأنصار راية و لواء، و كانت تسمى كتيبة رسول الله صلى الله عليه وآله الخضراء لأن أفرادها كانوا في الحديد لا يرى منهم إلا الحدق، و قد ركبوا الخيول العربية الاصيله، و الحمر من الإبل، و رسول الله صلى الله عليه وآله في وسطها راكب على ناقته القصوى، و قد أحدق به كبار الشخصيات من

- ج ٣ ص ٨٠٠ و ٨٠١ و ص ٨١٩ بشكل دقيق، و قد نقلها عنه ابن أبي الحديد في ج ١٧ ص ٢٧٠ و ٢٧١.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٨٨

المهاجرين و الانصار، و النبي صلى الله عليه وآله يحدّثهم.

فارعبت عظمة هذه الكتيبة أبا سفيان، بشدة، حتى أنه قال للعباس من دون اختيار: ما لأحد بهؤلاء قبل و لا طاقة يا أبا الفضل! و الله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيما.

فقال له العباس - بنبرة موبخة -: ويحك يا أبا سفيان ليس بملك إنَّها النبوة.

فليس هذه العظمة و الجلال من أثر الملك المادى الدينوى إنما هو هو فعل الرسالة الالهية، إنه جلال النبوة، و انه بالتالى من فضل الله عزّ و جلّ الذى أدخل الاسلام فى قلوب هذه الجماهير المؤمنة، و هذه الجموع المجاهدة فى سبيل الله.

(١)

أبو سفيان يرجع إلى مكة:

إلى هنا قام العباس بدوره على أفضل صورة، فقد أربع أبو سفيان من قوة الاسلام العسكرية الكبرى، و لهذا رأى النبى صلى الله عليه و آله أن يخلى سبيله ليذهب إلى مكة قبل دخول جنود الاسلام فيها، فيخبر أهلها بعظمة و قوة الجيش الاسلامى القادم إليهم، و يحذّرهم من مغبة المقاومة و المواجهة، و يدلهم على طريق الخلاص و النجاة، و هو التسليم للأمر الواقع، و القاء السلاح، و الاستسلام من دون قتال و مقاومة، و من دون قيد و شرط، لأن بمجرد تخويف أهل مكة من دون إرشادهم إلى طريق الخلاص ما كان ليتحقق هدف النبى الاكرم صلى الله عليه و آله، و هو الفتح من دون دماء.

(٢) فدخل أبو سفيان مكة، و قد بات الناس ليلتهم فى رعب شديد، و ترقب رهيب حتى أصبحوا، و لم يكن بإمكانه أن يقروا شيئاً من دونه، فلما رأوه قادماً أحاطوا به، فاخذ يشير الى ناحية المدينة، و قد اصفرّ وجهه، و انهارت قواه و صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش، هذا محمّد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به، أو قال:

هذا محمّد فى عشرة آلاف فمن دخل دار أبى سفيان فهو آمن. و من ألقى السلاح فهو آمن، و من دخل المسجد فهو آمن، و من أغلق بابه فهو آمن.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٨٩

على أن رسول الله صلى الله عليه و آله لم يكتف بهذا بل أضاف إلى الأماكن الثلاثة التى أعلنها للجوء الناس إليها حتى يأمنوا من القتل، موضعاً آخر، حيث عقد لابي رويحة «عبد الله بن عبد الرحمن الخثعمى» لواء و أمره أن ينادى:

«من دخل تحت لواء أبى رويحة فهو آمن» (١).

(١) و قد تسبّب أبو سفيان بنداثة فى إضعاف المعنويات عند أهل مكة بشده حتى أنهم انصرفوا عن فكرة المقاومة، لو كانت، و أثمرت جهود العباس و مساعيه فى الليلة الفاتئة، و أصبح فتح مكة من دون مقاومة فى نظر أهل الرأى و عند من ينظر الى واقع الامور، أمراً مسلماً و قطعياً.

ففرغ الناس، و تفرقوا، و لجأ بعضهم إلى دورهم، و البعض الآخر الى المسجد، و أسدى أعدى أعداء الرسالة و نعى أبا سفيان، و نتيجة لتدبير رسول الله الحكيم، أكبر خدمة لجنود الاسلام، حيث مهّد لهم - بما أوجده فى نفوس المكيين و قلوبهم من هزيمة نفسية - طريق الفتح العظيم بسلام، و من دون مشاكل تذكر، اللهم إلا «هند» زوجة أبى سفيان التى كانت تحرض الناس على المقاومة، و راحت تشتم زوجها و تسبه باقذع الشتائم و السباب، و تتهمه بالجبن و الذل.

بيد أن الأمر كان قد قدر، و لم تعد تنفع أية محاولة معاكسة، و لم تكن تلك الكلمات و الأعمال المعارضة سوى هباء فى شبك!

(٢) و نظير هذا الذى فعلته هند، ما فعله و قام به بعض الزعماء المتطرفين مثل «صفوان بن أمية» و عكرمة بن أبى جهل» و «سهيل بن عمرو» ممثّل قريش فى صلح الحديبية، الذين تحالفوا فيما بينهم على أن يعملوا على منع قوات الاسلام من دخول مكة، و انخدع بهم فريق من البسطاء و المغفلين، فشهروا السلاح فى وجه أول قطعته من قطعات الجيش الاسلامى، و سدّوا بذلك الطريق عليها فى محاولة

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٩٠

يائسة لتحقيق ما ربهم.

(١)

القوات الاسلامية تدخل مكة:

وقبل ان تدخل قوات الاسلام مكة كان رسول الله صلى الله عليه وآله قد دعا جميع قادة و امراء جيشه وقال لهم بانه يريد ان يفتح مكة من دون اراقه اية دماء، ولهذا امرهم ان لا يقاتلوا الا من قاتلهم، الا انه امر بقتل عشرة و ان وجدوا تحت أستار الكعبة و هم: «عكرمة بن أبي جهل» و «هبار بن الاسود» و «عبد الله بن أبي سرح» و «مقيس بن حبابه الكندي» و «الحويرث بن نقيذ» و «عبد الله بن خطل» و «صفوان بن أمية» و «وحشى بن حرب» قاتل حمزة.

و «عبد الله بن الزبيرى» و «حارث بن طلاله» و اربع نسوة و كان كل واحد من هؤلاء قد قتل أحدا او ارتكب جناية أو شارك فى مؤامرة او حرب ضد الاسلام و المسلمين «١».

وقد بلغ الأمراء و القادة هذا الأمر إلى جنودهم كافة، و مع أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يعرف مسبقا بمعنويات المكين المنهارة، و عدم قدرتهم على المقاومة، إلا أنه - مع ذلك - لم يترك جانب الاحتياط و الحذر الذى يفرضه العمل العسكرى، عند دخول مكة، حيث رسم لدخولها خطة دقيقة.

(٢) فقد وصل رسول الله صلى الله عليه وآله بجيشه كله إلى «ذى طوى» (و هو موضع مرتفع كانت ترى منه بيوت مكة و منازلها) و هو فى كتيبة قوامها خمسة آلاف، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله منازل مكة اغرورقت عيناه بدموع الشوق و الحنين، فأنحنى تواضعا لله تعالى و شكرا، حتى رأى ما رأى من فتح الله، و كثرة المسلمين حتى مسّت لحيته الشريفة واسطة الرجل أو يقرب منه.

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٤١٠، تاريخ الخميس: ج ٢ ص ٩٠-٩٤ و قد ذكر صاحب تاريخ الخميس تفاصيل ما ارتكبه هذه الجماعة المهدورة دماؤها و ما آل إليه أمرهم بعد فتح مكة.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٩١

(١) و مراعاة لجانب الحذر و الاحتياط ففرق صلى الله عليه وآله جنوده فأمر البعض بأن يدخلوا مكة من أسفلها، و أمر البعض بأن يدخلوها من أعلاها، و لم يكتف بهذا بل أمر وحدات من الجيش بان تدخل من جميع المداخل و الطرق المؤدية إلى داخل مكة. فدخلت جميع وحدات الجيش الاسلامى و قطعاته و كتائبه و فرقه مكة من دون قتال و من دون ان تلقى من أهلها مقاومة، فقد كانت جميع الأبواب مفتحة فى وجوههم الا المدخل الذى دخل منه «خالد بن الوليد» بفرقه، فقد عمد جماعة من المكين بتحريض من «عكرمة» و «صفوان» و «سهيل» على شهر أسلحتهم فى وجوه المسلمين، و رموا بالنبل لمنعهم من دخول مكة، و وقع قتال بين الجانبين، و لكن محرّضى هذه الجماعة اختفوا بعد شىء من القتال و المقاومة، و فر الآخرون بعد أن قتل منهم المسلمون اثنى عشر أو ثلاثة عشر شخصا «١».

(٢) و مرة اخرى قام أبو سفيان و من حيث لا يشعر بعمل آخر لصالح الاسلام فى هذه الحادثة، فانه كان لا يزال مرعوبا ممّا رأى من كثرة الحشود العسكرية الاسلامية و قوتها و كان يعلم ان المقاومة لا تجدى نفعاً و لا تجرّ على أهل مكة إلا الضرر، و لهذا نادى بأعلى صوته - حقنا للدماء -: يا معشر قريش علام تقتلون أنفسكم؟ من دخل داره فهو آمن، و من وضع السلاح فهو آمن ... فلا يدفع محمداً شىء، فضعوا اسلحتكم، و ادخلوا فى بيوتكم، و اغلقوا عليكم أبوابكم او ادخلوا المسجد، تسلموا.

(٣) فكان لنداء أبى سفيان هذا أثره فى نفوس الناس فجعلوا يقتحمون الدور، و يغلقون عليهم، و يطرحون السلاح فى الطرقات حتى

يأخذها المسلمون، بينما لجأ بعضهم إلى المسجد.
ولما ظهر رسول الله صلى الله عليه وآله على «ثنية أذاخر» نظر إلى لمعان

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ٤٠٨، وحسب المغازي: ج ٢ ص ٨٢٥-٨٢٦ قتل ثمان وعشرون رجلاً.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٩٢

السيوف وهي تصعد وتهبط فقال: «ما هذه البارقة؟ ألم أنه عن القتال؟»

ف قيل: يا رسول الله، خالد بن الوليد قاتل، ولو لم يقاتل ما قاتل. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «قضى الله خيرا».

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله دخل مكة من ناحية أذاخر، وهي أعلى نقطة في مكة في موكب عظيم جليل، فضرب له قبة من آدم بالحجون (عند قبر عمه العظيم أبي طالب) ليستريح فيها، وقد أصروا عليه صلى الله عليه وآله بأن ينزل في بعض بيوت مكة فأبى صلى الله عليه وآله «١».

(١)

كسر الاصنام و غسل الكعبة:

لقد استسلمت مكة التي كانت مركزا رئيسيا للشرك والوثنية طوال أعوام عديدة و مديدة، أمام قوات التوحيد الظاهرة، و سيطر جنود الاسلام على جميع نقاط تلك المدينة المقدسة.

و لقد استراح رسول الله صلى الله عليه وآله في الخيمة التي ضربوها له في الحجون بعض الوقت.

ثم انه صلى الله عليه وآله بعد أن اطمأن و اغتسل ركب راحلته «القصواء» و توجه الى المسجد الحرام لزيارة بيت الله المعظم و الطواف به، بينما كان يحمل معه السلاح، و المغفر على رأسه، و تحيط به هالة من العظمة و الجلال، و يحرق به المهاجرون و الانصار، و قد صف له الناس من المسلمين و المشركين، بعض يغمره الفرخ و السرور، و آخرون يكادون ينفجرون من الغيظ.

(٢) و لما انتهى صلى الله عليه وآله إلى الكعبة فرآها و معه المسلمون تقدم على راحلته، و لم يترجل منها لأسباب خاصة فاستلم الركن بمحجنه بدل استلامه بيده، و كبر فكبر المسلمون لتكبيره، و رجعوا التكبير حتى ارتجت مكة لتكبيرهم

(١) الامتاع: ج ١ ص ٣٨٠.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٩٣

و دوى صوتهم في الجبال و الوهاد، و سمعه المشركون الذين كانوا قد تفرقوا فوق الجبال ينظرون إلى ذلك المشهد و قد بلغ من هياج المسلمين، و هم يطوفون بالبيت من شدة سرورهم جدا كاد أن يمنع رسول الله صلى الله عليه وآله من الطواف بالبيت بفكر هادئ فإشار إليهم صلى الله عليه وآله أن اسكتوا، فسكت الجميع بأمره، و ساد الصمت كل أرجاء المسجد الحرام، فطاف رسول الله صلى الله عليه وآله بالبيت على راحلته، و قد أخذ بزمامها «محمد بن مسلمة» و فيما احتبست الاصوات في الصدور، و اتجهت الأبصار إليه صلى الله عليه وآله فوقع عيناه الشريفتان- في الشوط الأول من طوافه- على الاصنام الكبرى «هبل» و «اساف» و «نائلة» منصوبة فوق الكعبة، فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله كلفا مَرَّ بصنم منها يشير بقضيب في يده و يقول: «جاء الحق و زهق الباطل إن الباطل كان زهوقا» فيقع الصنم لوجهه.

(١) و أمر صلى الله عليه وآله بهبل أكبر أصنام المشركين فحطم و كسر في مرأى من المشركين، و لقد كان هذا الصنم الكبير يهيمن على عقول الجاهليين في الجزيرة العربية، و يسيطر على أفكارهم أعواما عديدة.

و لما كسر المسلمون ذلك الصنم قال الزبير لأبى سفيان و كان ينظر إلى ذلك المشهد: يا أبا سفيان لقد كسر هبل، أما إنك قد كنت منه يوم «أحد» فى غرور، حين تزعم أنه قد أنعم.

فقال أبو سفيان: دع هذا عنك يا ابن العوام فقد أرى لو كان مع إله محمد غيره لكان غير ما كان.

(٢) و لما انتهى رسول الله صلى الله عليه وآله من طوافه بالبيت انصرف فجلس ناحية من المسجد، و الناس حوله، ثم أرسل بلالا إلى «عثمان بن طلحة» يأتيه بمفتاح الكعبة، و كان عثمان يومذاك سادن الكعبة، و قد كانت السدانة تتوارث جيلا بعد جيل.

فجاء بلال إلى عثمان فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله يأمرك أن

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٩٤

تأتى بمفتاح الكعبة، فاستجاب عثمان، إلّا أنّ أمه منعتة عن ذلك، و كان المفتاح يومئذ عندها و قالت له: اعيدك بالله أن تكون الذى تذهب مأثرة قومه على يديه.

(١) فقال لها عثمان: فوالله لتدفعته إلى، أو ليأتيك غيرى فيأخذ منك، فسلمته إياه. سيد المرسلين ج ٢ ٤٩٤ كسر الاصنام و غسل الكعبة: ص : ٤٩٢

تح رسول الله صلى الله عليه وآله به باب الكعبة و دخل البيت، و دخل من بعده صلى الله عليه وآله اسامه بن زيد و بلال و عثمان و سادتها، ثم أمر النبي باغلاق باب الكعبة، و وقف خالد بن الوليد على الباب يذب الناس عن الباب.

و كانت جدران الكعبة من الداخل مغطاة بصور الأنبياء و الملائكة و غيرهم، فأمر النبي صلى الله عليه وآله بمحوها جميعا، و غسلها بماء زمزم.

(٢)

على عليه السلام على كتف النبي:

يقول المحذوثون و المؤرخون: لقد كسرت بعض الأصنام الموضوعه فى الكعبة على يد «علي بن أبى طالب» و ذلك عند ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام:

«اجلس».

فجلس إلى جنب الكعبة ثم صعد رسول الله صلى الله عليه وآله على منكبي ثم قال: انهض بى إلى الصنم ... فحاول أن ينهض فلم يطق.

فلما رأى النبي ضعفه تحته، قال:

«اجلس».

فجلس على عليه السلام ثم نزل النبي صلى الله عليه وآله عنه، ثم جلس صلى الله عليه وآله و آله ثم قال:

«يا علي اصعد على منكبى».

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٩٥

(١) فصعد على عليه السلام على منكبه، ثم نهض به فالقى صنم قريش الاكبر، و كان من نحاس، ثم ألقى بقيه الاصنام إلى الارض و حطمها.

و قد أنشد شاعر الحلة الشهير بابن العرنديس، و هو من شعراء القرن التاسع الهجرى قصيدة ذكرها فيها هذه الفضيله بقوله:

و صعود غارب أحمد فضل له دون القرابه و الصحابه أفضل «١» ثم ان رسول الله صلى الله عليه وآله أمر بان يفتح باب الكعبة فوقف

على الباب، و أخذ بعضادتي الباب فاشرف على الناس بطلعتة المنيرة و محياه الجميل و قال:

«الحمد لله الذى صدق وعده و نصر عبده و هزم الأحزاب وحده».

(٢) و لقد كان الله سبحانه قد وعد نبيه الكريم فى آية من آيات الكتاب العزيز بأن يعيده الى مسقط راسه اذ قال: «إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد قل ربى اعلم من جاء بالهدى و من هو فى ضلال مبين» (٢).

و قد أخبر النبى صلى الله عليه وآله بحمده هذا عن تحقق وعد الله له، و برهن مرة أخرى على صدقه، و صحة دعواه. و فى ما كان الصمت يخيم على أرجاء المسجد الحرام، و فى ما كانت الانفاس محتبسة فى الصدور، و تجول فى رءوس الحاضرين و انفسهم أفكار مختلفة، و خواطر شتى، و يتذكر أهل مكة المشركون ما ألحقوه برسول الله صلى الله عليه وآله و اتباعه من الأذى و العذاب الشديد، فتذهب بهم تصوراتهم مذاهب شتى!!

(٣) إن الذى سبق لهم أن اشعلوا حروبا كثيرة ضد رسول الله صلى الله عليه وآله و قتلوا خيرة شبابه و أصحابه، بل و تمادوا فى غيهم و عدوانهم حتى أنهم تأمروا

(١) مسند احمد بن حنبل: ج ١ ص ٨٤ باسناد صحيح، السيرة الحلبية: ج ٣ ص ٨٦. تاريخ الخميس:

ج ٢ ص ٨٦ و ٨٧، مستدرک الحاكم: ج ٢ ص ٣٦٧، و راجع بقية المصادر فى موسوعة الغدير: ج ٧ ص ١٠-١٣.

(٢) القصص: ٨٥.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٩٦

لاغتياله بالهجوم عليه فى منزله ليلا، و تقطيعه بالسيوف إربا إربا، ها هم الآن يرون أنفسهم أسرى فى قبضته، و هو صلى الله عليه وآله قادر على أن ينتقم منهم كيفما شاء!!

(١) إن من الطبيعى أن يتحدث أهل مكة فى أنفسهم و هم يتذكرون معاداتهم الشديدة و الطويلة لرسول الله صلى الله عليه وآله و جرائمهم الكبرى بحقه، و بحق دعوته و يقول بعضهم: أنه سيقتلنا حتما، أو يقتل فريقا منا، و يحبس آخرين، و يسبى ذريتنا و نساءنا، جزاء ما فعلنا.

و بينما كانوا- فى تلك اللحظات- فريسة هذه الافكار و التصورات الشيطانية، كسر رسول الله صلى الله عليه وآله جدار الصمت الرهيب الذى يخيم على أرجاء المسجد الحرام و قال سائلا:
«ما ذا تقولون ... و ما ذا تظنون؟!».

فقال أهل مكة: و قد تملكتم حيرة شديدة، و خوف عظيم و هم قد عرفوا رحمة النبى و رأفته، و لطفه لطفه، و خلقه العظيم: نقول خيرا، و نظن خيرا، أخ كريم، و ابن أخ كريم، و قد قدرت.

فقال رسول الله و نبى الرحمة صلى الله عليه وآله، و قد سمع هذه العبارات العاطفية:

فانى أقول لكم كما قال أخى يوسف «قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم و هو أرحم الراحمين» (١).

(٢) و كان أهل مكة قد اطمأنوا إلى عفو النبى و صفحه قبل ذلك نوعا ما عند ما رأوا رد فعله الشديد على أحد قادة جيشه عند ما أخذ ينادى حين دخول مجموعته العسكرية مكة من احدى مداخلها:

اليوم يوم الملحمة اليوم تسبى الحرمه

(١) المغازى: ج ٢ ص ٨٣٥، بحار الأنوار: ج ٢١ ص ١٠٧ و ١٣٢ و الآية المذكورة هى ٩٢ من يوسف.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٩٧

فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله لهذا الشعار و قال ردا عليه:

«اليوم يوم المرحمة» (١) (١) كما أنه أمر- لغرض تأديب من أطلق هذا الشعار- بأخذ اللواء منه، و أعطاه إلى شخص آخر، و قيل إنه صلى الله عليه وآله عزله عن قيادة المجموعة، و أمر ابنه مكانه، و كان هذا الأمير هو سعد بن عبادة رئيس الخزرج. و قد دفع هذا النوع من اللطف و الموقف الايجابي الذي لاحظته أهل مكة المشركون أن يأمل الناس المغلوبون في العفو العام إلى درجة كبيرة، خاصة أن رسول الله صلى الله عليه وآله قد آمن من دخل المسجد الحرام أو بيت أبي سفيان، أو ألقى السلاح، أو أغلق على نفسه باب منزله. كل هذه الامور كانت قد فتحت على أهل مكة بصيصا من الأمل في العفو الشامل.

(٢)

النبي يعلن عن العفو العام:

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله أعلن عن العفو العام عن جميع أهل مكة بقوله: «ألبئس جيران النبي كنتم، لقد كذبتكم، و طردتم، و أخرجتم، و آذيتكم، ثم ما رضيتم حتى جئتموني في بلادى تقاتلوننى اذهبوا فانتم الطلقاء» (٢).

(٣)

بلال يرفع الأذان على سطح الكعبة:

ثم حان وقت صلاة الظهر، فعلا مؤذن الاسلام «بلال» الحبشى سطح الكعبة المعظمة، و رفع في الحاضرين و بصوت عال نداء التوحيد و الرسالة

(١) المغازى: ج ٢ ص ٨٢١ و ٨٢٢.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢١ ص ١٠٦، السيرة النبوية: ج ٢ ص ٤١٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٩٨

(الأذان)، فكان كل واحد من المشركين يقول كلاما، غضبا و حنقا على بلال. فمنهم من قال: الحمد لله الذى أكرم أبى فلم يسمع هذا اليوم!! و قال أبو سفيان أما أنا فلا أقول شيئا، لو قلت شيئا لآخبرته هذه الحصباء!! (١).

(١) إن هذا العجوز الخرف المعاند الذى لم يشرق فى قلبه نور الإسلام حتى آخر لحظة من حياته، خلط بين مسألة الاطلاع على الغيب، و تلقى الحقائق عن طريق الوحي، و بين مسألة التجسس الذى يعتمد عليه جبابرة العالم و طغاته.

إن مسألة اطلاع رسول الله صلى الله عليه وآله على قضايا الغيب أمر يحصل بطرق غير عادية و لا متعارفة، فى حين تحصل معرفة جبابرة العالم بمجريات الامور فى بلادهم عن طريق استخدام عناصر بشرية، أو من يسمون برجال المخبرات و الأمن.

و على كل حال فان رسول الله صلى الله عليه وآله صلى بالمسلمين صلاة الظهر ثم دعا «عثمان بن طلحة» و رد إليه مفتاح الكعبة، و قال له:

«هاك مفتاحك يا عثمان، اليوم يوم بر و وفاء» (٢).

و روى أنه صلى الله عليه وآله قال:

«خذوها يا بنى أبى طلحة تالدة خالدة لا ينزعها منكم أحد إلا ظالم» (٣).

(٢) و لم يكن غير هذا بمتوقع من رسول الله صلى الله عليه وآله.

فإن النبي الذي بعثه الله سبحانه إلى الناس ليدعوهم إلى أداء الأمانة- فيما يدعوهم إليه- و ليبلغهم قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا» من المسلم أن يكون أول من يلتزم بهذا التعليم الالهي، فيعيد مثل تلك الأمانة الكبرى إلى صاحبها.

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٤١٣.

(٢) و (٣) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٤١٢، المغازي: ج ٢ ص ٨٣٨ الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ٢ ص ١٣٧.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٩٩

إنه لم يكن بالذي يهضم حقوق الناس و يدوسها، في ظل ما أوتى من قوة، و يقول للناس بكل صراحة: «خذوها يا بني أبي طلحة، تالدة خالدة لا ينزعها أحد منكم إلا ظالم».

ثم ان رسول الله صلى الله عليه وآله ألغى جميع مناصب الكعبة التي كانت في الجاهلية إلّا ما كان نافعاً للناس كالسدانة و الحجابة (و هي القيام بشئون أستار الكعبة) و سقاية الحجيج «١».

(١)

النبي يتحدث إلى أقاربه:

و لكي يعرف أقرباء النبي صلى الله عليه وآله أن وشيجه القريبى التي تربطهم برسول الله صلى الله عليه وآله لا ترفع عن كاهلهم أية مسئولية من المسئوليات، بل تزيد من مسئوليتهم ألقى فيهم خطاباً خاصاً بين فيه أن رابطة القربى مع النبي صلى الله عليه وآله لا تبرر لأحد من أقربائه بأن يتجاهل قوانين الحكومة الإسلامية، و يتخذ من انتسابه إلى زعيم هذه الحكومة ذريعة و غطاء لارتكاب ما لا يحل للآخرين كما هو الحال فى أنظمة الحكم البشرية.

و لقد شجب رسول الله صلى الله عليه وآله فى خطابه هذا الذى خطبه فى اجتماع ضمّ رجال بنى هاشم و بنى عبد المطلب، كل تمييز، و تفضيل غير صحيح، و دعا إلى لزوم العدل و مراعاة المساواة، بين جميع الطبقات اذ قال:

(٢) «يا بنى هاشم، يا بنى عبد المطلب إنى رسول الله إليكم، و إنى شفيق عليكم، لا تقولوا: إن محمداً منّا، فوالله ما أولياى منكم و لا من غيركم إلّا المتقون فلا أعرفكم تأتونى يوم القيامة تحملون الدنيا على رقابكم و يأتى الناس يحملون الآخرة.

ألا و إنى قد أعذرت فيما بينى و بينكم، و فيما بين الله عزّ و جلّ و بينكم و إن

(١) بحار الأنوار: ج ٢١، ص ١٣٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٠٠

لى عملى و لكم عملكم» «١».

(١)

خطاب النبي التاريخى فى المسجد الحرام:

إشارة

كان الاجتماع الذى شهده المسجد الحرام يوم فتح مكة اجتماعاً عظيماً جداً.

المسلمون و المشركون، و الصديق و العدو حضروا بأجمعهم فى ذلك الاجتماع، و كانت تجلج هالة من عظمة الاسلام و عظمة نبيه الكريم صلى الله عليه و آله رحاب ذلك المكان المبارك، و كان الصمت و الهدوء، و حالة من الانتظار و الترقب، تخيم على اجواء مكة.

لقد آن الأوان- الآن- لأن يكشف رسول الله صلى الله عليه و آله للناس عن الملامح الحقيقية لدعوته المباركة و يوقف ذلك الحشد الهائل المتعطر على معالم رسالته العظمى، و مبادئ دينه الحنيف، و بالتالى أن يكمل حديثه الذى بدأه قبل عشرين عاما و لكنه لم يوفق لإتمامه بسبب مضايقات المشركين، و معارضتهم، و بسبب ما أوجدوه من عقبات و عراقيل فى طريقه.

و لقد كان رسول الله صلى الله عليه و آله ابن تلك المنطقة، و تلك البيئة، و لهذا كان عارفا- تمام المعرفة- بأمراض المجتمع العربى، و أدوائه، و علاج تلك الأدوية و دوائها.

(٢) لقد كان يعرف صلى الله عليه و آله علل انحطاط المجتمع المكي و اسباب تخلفه عن ركب الحضارة و المدنية، و عن اللحاق بقافلة التكامل البشرى الصاعد.

من هنا رأى أن يضع يده على مواضع الداء فى ذلك المجتمع المريض، و أن يعالج امراض البيئة العربية بشكل كامل، و كأى طبيب حاذق، و حكيم ماهر.

و نحن هنا ندرج أبرز المقاطع فى الخطاب التاريخى الذى ألقاه سيد المرسلين

(١) بحار الأنوار: ج ٢١ ص ١١١.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٠١.

صلى الله عليه و آله على الحشود الكبيرة المتجمعة فى ذلك اليوم عند بيت الله المعظم.

تلك المقاطع التى يعالج كل واحد منها مرضا اجتماعيا خاصا من أمراض المجتمع فى ذلك العصر و حتى فى عصرنا الحاضر.

(١)

١- التفاخر بالنسب:

كان التفاخر بالنسب و القبيلة و العشيرة من الامراض المستحكمة المتجذرة فى البيئة العربية الجاهلية، و كان من اكبر أمجاد المرء أن ينتسب إلى قبيلة معروفة، و يتفرع نسبه عن عشيرة بارزة كقريش مثلا:

و لقد قال رسول الله صلى الله عليه و آله فى خطابه المذكور لإبطال هذه السنة الجاهلية المقيتة.

«أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية و تفاخرها بأبائها.

ألا إنكم من آدم، و آدم من طين.

ألا إن خير عباد الله عبد اتقاه».

لقد عمد رسول الله صلى الله عليه و آله فى خطابه- لإفهام العالم البشرى بأن ملاك الشخصية و التفوق انما هو (التقوى) و الورع فقط- إلى تصنيف الناس الى صنفين لا ثالث لهما، و اعطى الفضيلة و المنزلة لأهل التقوى و الورع خاصة.

و بهذا التصنيف الواقعى فى ملاكاته أبطل جميع المعايير الخيالية و الملاكات و المقاييس المصطنعة إذ قال:

«إنما الناس رجالان:

مؤمن تقى كريم على الله.

و فاجر شقى هين على الله».

(٢)

٢- التفاضل بالقومية العربية:

لقد كان رسول الله صَلَّى الله عليه وآله يعلم جيدا أن هذه الجماعة من

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٠٢

البشر تعتبر (العربية) و الانتساب الى العرق العربى من المفآخر الكبرى، و كانت النخوة العربية قد ترسخت فى قلوب تلك الجماعة و عروقتها كداء دفين و مرض مزمن، فقال فى خطابه لمعالجته هذا الداء الخبيث و تحطيم هذا الصرح الموهوم:

«إن العربية ليست بأب والد، و لكنه لسان ناطق، فمن قصر عمله لم يبلغ به حسبه».

و هل نجد كلاما أعمق مغزى، و أوضح مرادا، و أقوى وقعا فى النفوس من هذا الكلام؟! (١)

(١)

٣- لجميع أبناء البشر لا لبعض دون بعض:

لقد قال داعية الحرية الحقيقية، و رائد حقوق الانسان الواقعى بهدف تقوية و دعم مبدأ المساواة بين الافراد و الجماعات البشرية:

«إنّ الناس من آدم الى يومنا هذا مثل اسنان المشط، لا فضل للعربى على العجمى، و لا للأحمر على الأسود إلّا بالتقوى».

و قد ألغى رسول الانسانية الاعظم بهذا البيان الصريح كل انواع التمييز الظالم، و كل ألوان التشدد مع الآخرين، و فعل و بين فى ذلك العصر ما لم يفعله و لم يبينه ميثاق حقوق الانسان مع كل هذه الضجة الاعلامية التى نشهدها فى عالمنا الحاضر.

(٢)

٤- الحروب الطويلة و الاحقاد القديمة:

لقد نشأت الاقوام العربية- نتيجة اشتغالها المستمر بالحروب الداخلية المتلاحقة و الطويلة- على الحقد و الضغينة.

فقد كانت نيران الحروب مشتعلة فى المجتمعات العربية على قدم و ساق و من دون انقطاع.

و لقد واجه رسول الله صَلَّى الله عليه وآله بعد سيطرته الكاملة على الجزيرة

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٠٣

العربية هذه المشكلة.

فقد كان يتوجب عليه- بغية إقرار الأمن و الهدوء و الحفاظ عليهما فى البيئته الاسلامية- أن يبادر الى وضع نهاية لهذه المعضلة، و أن

يعالج هذا الداء المزمن فلم يجد دواء لهذا الداء إلّا أن يطلب من الناس كافة أن يتنازلوا عما لهم من دماء فى أعناق الآخرين سفكت

فى العهد الجاهلى، و أن تعتبر جميع ملفات العهد القديم باطلة، و منتهية، ليتمكن عن هذا الطريق الحيلولة دون إراقة الدماء التى

تعرض المجتمع الاسلامى الناشئ للخطر، و حتى ينتزع من أذهانهم و نفوسهم فكرة الاغارة و القتل العشوائى الذى كان يتم بحجة

القصاص فى حين كان من الممكن ان يتم بشكل القصاص الحقيقى العادل، فقال صَلَّى الله عليه وآله للوصول إلى مثل هذه الغاية

السامية.

ألا إن كل مال و مأثرة و دم فى الجاهلية تحت قدمى هاتين».

(١)

٥- الاخوة الاسلامية:

و لقد ارتبط قسم من خطاب رسول الله صلى الله عليه وآله في ذلك الحشد العظيم بمسألة اتحاد المسلمين و وحدة كلمتهم، و حق المسلم على اخيه المسلم.

و قد كان مقصوده صلى الله عليه وآله من بيان هذه الحقوق المتبادلة بين المسلمين التي تعتبر من مميزات الدين الاسلامي الحنيف، هو أن يرغب غير المسلمين في الاسلام إذا هم سمعوا و رأوا مثل هذه الحقوق، و مثل هذه العلاقات المتينة بين المسلمين. فقد قال في هذا الصعيد:

«المسلم أخو المسلم، و المسلمون إخوة و هم يد واحدة على من سواهم، نتكافو دماؤهم، ليسعى بدمتهم أذناهم» (١).

(١) لقد نقلنا هذه المختارات من: روضة الكافي: ص ٢٤٦، السيرة النبوية: ج ٢ ص ٤١٢، المغازي:

ج ٢ ص ٨٣٦، بحار الأنوار: ج ٢١ ص ١٠٥، شرح ابن أبي الحديد: ج ١٧، ص ٢٨١.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٠٤

(١)

معاقبة المجرمين:**إشارة**

ليس من شك في أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان مظهرا كاملا للانسانية و الرحمة و مثلا أعلى في العفو و الصفح، فهو رغم مشاعر بعض المتطرفين الملتهبة، أصدر عفوه العام عن أهل مكة كافة.

بيد أنه كان هناك بين المكيين عدة أشخاص تجاوزوا الحد في معاداتهم للنبي و معارضتهم للرسول، و ارتكبوا في هذا السبيل جرائم لا تغتفر، فلم يكن من الصالح - مع كل ما تسببوه من فجاج و فضائع - أن يعيشوا بين المسلمين في أمان و راحة، إذ كان من الممكن أن يسيئوا استخدام العفو النبوي فيعودوا إلى مشاغبتهم، و تأمرهم ضد الاسلام مرة أخرى و يتسببوا في ظهور مشاكل أمنية جديدة لا يعرف مداها، و تبعاتها.

و قد قتل بعض هؤلاء المجرمين على أيدي المسلمين في الطرقات، و لجأ اثنان منهم إلى بيت «أم هانئ» بنت أبي طالب اخت الامام على عليه السلام، فلاحقهما «على» و هو غارق في الحديد لا يعرف، فدخل بيت أم هانئ يطلبهما «١» فواجهت أم هانئ فارسا لا يعرف فقالت: أنا امرأة مسلمة و قد أجرت هذين، و جوار المسلمة محترم.

و في اكثر المصادر أنها قالت: يا عبد الله أنا أم هانئ ابنة عم رسول الله صلى الله عليه وآله و اخت على بن أبي طالب، انصرف عن داري.

(٢) و هنا عمد الامام على عليه السلام إلى الكشف عن هويته لتعرفه، فنزع المغفر عن رأسه، و اسفر عن وجهه.

فما أن وقعت عينا أم هانئ على أخيها «على» بعد فراق طال سنينا عديدة

(١) يقول ابن هشام إن الرجلين هما: «الحارث بن هشام» و «زهير بن أبي أمية بن المغيرة» (السيرة النبوية: ج ٢ ص ٤١١).

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٠٥

و مديدة إلا و انحدرت منهما دموع الشوق و الفرحة، و اعتنقت أخاها، ثم توجهت معها الى رسول الله صلى الله عليه وآله ليعطى رأيه في أمانها، و جوارها فامضى رسول الله صلى الله عليه وآله جوار تلك المرأة المسلمة، و أمانها قائلاً:
«قد أجرنا من أجرت و أمنا من أمنت فلا يقتلها» (١).

و قد كان عبد الله بن أبي سرح الذى أسلم ثم ارتد عن الاسلام احد العشرة الذين أمر النبي بقتلهم، و لكنه نجا من القتل بشفاعته عثمان له.

(١)

قصة عكرمة و صفوان:

و لقد فرّ «عكرمة بن أبي جهل» أحد كبار مشيرى الحروب و مشعلى الفتن ضد الاسلام و المسلمين، إلى اليمن، إلا أنه نجا من القتل هو الآخر بشفاعته زوجته، في قصة مفصلة.

و أما «صفوان بن أمية» فإنه مضافاً إلى جرائمه الفادحة، كان قد قتل مسلماً انتقاماً لأبيه «أمية بن خلف» الذى قتل على أيدي المسلمين فى بدر، و ذلك عند ما صلبه أمام حشد كبير من أهل مكة فى وضح النهار، و لهذا أهدر رسول الله صلى الله عليه وآله دمه، فعزم ان يخرج من الحجاز عن طريق البحر فراراً من القتل، و بخاصة عند ما علم بأنه من جملة العشرة الذين أمر رسول الله صلى الله عليه وآله بقتلهم و أهدر دمهم.

(٢) فطلب «عمير بن وهب» من رسول الله صلى الله عليه وآله أن يعفو عنه، فقبل رسول الله صلى الله عليه وآله شفاعته، و أعطاه عمامته ليدخل بها مكة كعلامة أمان من رسول الله صلى الله عليه وآله، و يصطحب معه إلى مكة «صفوان بن أمية»، فذهب عمير إلى جدة، و أخبر صفوان بذلك، و قدم به مكة

(١) الارشاد: ص ٧٢ إعلام الورى بأعلام الورى: ص ١١٠، السيرة النبوية: ج ٢ ص ٤١١، الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ١٤٤ و ١٤٥.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٠٦

على رسول الله صلى الله عليه وآله فلما وقعت عيننا رسول الله صلى الله عليه وآله على كبير المجرمين بل اكبرهم يومئذ قال له ردّاً عليه لما سأله قائلاً: أن عمير يزعم أنك قد أمنتني؟
«صدقت، انزل أبا وهب».

ثم دعاه رسول الله صلى الله عليه وآله و آله الى الاسلام فقال: اجعلنى بالخيار شهرين، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله:
«أنت بالخيار فيه أربعة أشهر» (١).

و بهذا أمهله رسول الله صلى الله عليه وآله و آله أربعة أشهر كفرصة يفكر فيها فى الاسلام، و دعوة النبي.

(١) إن دراسة اجمالية و سريعة لهذا الموقف تكشف القناع عن حقيقة مسلمة فى الاسلام و فى تاريخه العظيم يحاول المستشرقون المغرضون إنكارها و إخفاءها، و هو أن رءوس الشرك كانوا أحراراً فى اختيار العقيدة الاسلامية و اعتناقها.

فهم اختاروها و اعتنقوها بمحض إرادتهم من دون إكراه أو إجبار، و لا إرهاب أو تخويف، بل كانت القيادة الاسلامية تسعى دائماً إلى أن يتم اعتناق عقيدة التوحيد عن طريق التدبر و التفكير الصحيح، لاعتنق طريق الارعاب و التخويف.

هذا هو أبرز حوادث فتح مكة و اكثرها عبرة، و بقى أن نتعرض لذكر حادثتين جديرتين بالاطلاع و التأمل استكمالاً لهذه الدراسة.
و تانك الحادثتان هما:

(٢)

١- مبايعة النبي نساء مكة:

بعد بيعة «العقبة» كانت هذه هي المرة الاولى التي اخذ رسول الله صلى

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٤١٨ المغازي: ج ٢ ص ٨٥٤.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٠٧.

الله عليه وآله البيعة من النساء بشكل ظاهري و رسمي، و لقد بايعنه على الامور التالية:

١- أن لا يشركن بالله شيئا.

٢- و لا يسرقن.

٣- و لا يزنين.

٤- و لا يقتلن أولادهن.

٥- و لا يأتين بيهتان يفترينه بين أيديهن و أرجلهن.

٦- و لا يعصين النبي في معروف.

(١) و لقد تمت هذه البيعة بالكيفية التالية و هي: أن رسول الله صلى الله عليه وآله أمر بقدح من ماء ثم ألقى في الماء شيئا من الطيب و العطر ثم ادخل يده فيه و تلا الآية «١» التي وردت فيه الامور المذكورة ثم نهض من مكانه و قال صلى الله عليه وآله للنساء: «من أرادت أن تباع فلتدخل يدها في القدح فاني لا اصافح النساء» (٢).

و كانت العلة في أخذ مثل هذه البيعة- الخاصة في موادها و بنودها- من نساء مكة هي وجود عدد كبير من النسوة الفاسدات بينهن، فلو أن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يقدم على أخذ مثل هذه البيعة منهن لكان من المحتمل أن تستأنف تلك النسوة الفاسدات عملهن القبيح حتى في السر.

(٢) و كانت «هند» زوجة أبي سفيان بن حرب، و أم معاوية ذات السوابق السوداء و الفاضحة من بين تلك النسوة.

و قد كانت هذه المرأة لفضاضة في طبعها و خشونة، في سلوكها، تهيم على عقلية زوجها أبي سفيان، و لطالما فرضت عليه آراءها، حتى أنها يوم قرّر أبو سفيان الاستسلام للأمر الواقع، و رغب أهل مكة في السلام حرّضت الناس على القتال

(١) الممتحنة: ١٢.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢١ ص ١١٣.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٠٨.

و سفك الدماء و مواجهه جنود الاسلام.

(١) إن تحريضات هذه المرأة بالذات هي التي أشعلت نيران الحرب في «احد»، تلك النيران التي كلفت، رسول الله صلى الله عليه وآله و آله سبعين شهيدا كان أبرزهم «حمزة» الذي بقرت تلك المرأة الفاسدة الفاجرة الحاقدة و بمنتهى القسوة و الفضاضة بطنه، و شقت صدره، و استخرجت كبده، و قطعته بأسنانها نصفين.

لم يكن لرسول الله صلى الله عليه وآله و آله بدّ من أخذ هذا النوع من البيعة من هذه المرأة و أمثالها في مرأى و مسمع من الناس.

و قد تلا رسول الله صلى الله عليه وآله ما نزل من قوله تعالى من شروط البيعة عليهن، فلما بلغ إلى قوله: «و لا يسرقن» نهضت هند- و كانت آنذاك متنقبة متكررة- و قالت: إنّ أبا سفيان رجل ممسك و الله إنى كنت لأصبت من مال أبي سفيان الهنة بعد الهنة و ما

كنت أدري أكان ذلك حلالاً أم لا؟

(٢) فنهض أبو سفيان و قال: ما أصبت من مالى فيما مضى و فيما غير فهو لك حلال.

فعرف رسول الله صلى الله عليه وآله من خلال هذا الحوار بين هند و أبى سفيان أن المتكلمة هى «هند» بنت عتبة فقال صلى الله عليه وآله و آله لها سائلاً: «وانك لهند بنت عتبة»!

قالت: نعم، فاعف عما سلف عفا الله عنك!

و لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله إلى قوله تعالى: «و لا- يزنين» نهضت هند مرة أخرى و ذكرت و هى تبرئ نفسها من هذه الوصمة، و ذكرت جملة كشفت عن خبيثة نفسها من دون شعور.

فلقد قالت: يا رسول الله أو تزنى الحرة؟!

لقد كان هذا الدفاع يعدّ- من منظار علم النفس- نوعاً من كشف القناع عما فى السريرة و الافصاح عما فى الضمير. و حيث إن هذا كانت تعرف أنها كانت فيما مضى تفعل مثل هذا، و كانت واثقة من ان الناس عند سماع هذه

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٠٩

العبارة سيلتفتون بانظارهم إليها لذلك لهذا سارعت فوراً- و يهدف صرف الأنظار عن نفسها- إلى القول: و هل تزنى إلا الأمة دون الحرة.

و من الصدف انه كان من الرجال فى ذلك المجلس بعض من سبقت له معها علاقات غير مشروعاً فى العهد الجاهلى فتعجب من إنكارها، فضحك حتى استغرق فى الضحك، و تسبب دفاع هند عن نفسها فى المزيد من افتضحها «١».

(١)

هدم بيوت الاصنام بمكة و ما حولها:

كانت فى مكة و ضواحيها بيوت عديدة و كثيرة للاصنام التى كانت تقدّسها، و تحترمها القبائل المختلفة القاطنة فى تلك المناطق، و حتى يقضى رسول الله صلى الله عليه وآله على جذور الوثنية فى أرض مكة قام بارسال فرق عسكرية متعددة إلى تلك المناطق لهدم تلك المعابد، و البيوت، و إزالة الاصنام و الاوثان.

كما أنه صلى الله عليه وآله أعلن فى مكة نفسها أن من كان فى بيته صنم فليكسره، و فى هذا السياق أرسل «عمرو بن العاص» لتحطيم صنم «سواع» و سعد بن زيد لهدم صنم «منات».

و توجه «خالد بن الوليد» على رأس فرقة عسكرية الى «تهامة» لدعوة قبيلة «جذيمة بن عامر» إلى الاسلام، و هدم صنم «عزى»، و قد نهاه رسول الله صلى الله عليه وآله حين كلفه بهذه المهمة عن القتال و إراقة الدماء و بعث معه «عبد الرحمن بن عوف» ليعينه على ذلك.

و كانت قبيلة بنى جذيمة قد قتلت عمّ خالد بن الوليد «٢» و والد عبد الرحمن لدى رجوعهما من اليمن فى ايام الجاهلية و صادرت أموالهما، و لهذا كان «خالد»

(١) مجمع البيان: ج ٥ ص ٢٧٦.

(٢) هو الفاكه بن المغيرة بين عبد الله بن عمر بن مخزوم راجع للوقوف على اصل هذه الواقعة السيرة النبوية: ج ٤ ص ٧٤ و تاريخ اليعقوبى: ج ٢ ص ٦١.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥١٠

يحقد عليهم.

(١) فلما التقى «خالد» بنى جذيمة فى أرضهم، وجدهم قد أخذوا السلاح، و تهيأوا لقتاله فأمنهم و قال لهم: ضعوا السلاح فان الناس قد أسلموا.

فرأى زعماء القوم ان يضع الناس السلاح، و يسلموا لجنود الاسلام، و لكن رجلا من القوم أدرك بفطنته سوء نية خالد، فقال لزعماء القبيلة: و الله لا أضع سلاحى أبدا، فما بعد وضع السلاح إلا الإيسار، و ما بعد الإيسار إلا ضرب الاعناق!

و لكن بنى جذيمة رفضت قوله، و أخذت برأى أسيادها فوضعت السلاح، و آمن الناس، فأمر خالد جنوده فورا بان يكتفوا رجال القبيلة، و باتوا فى وثاق.

فلما كان فى السحر أمر بأن يقتل فريق منهم، و أطلق سراح آخرين.

(٢) و عند ما بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله نأ هذه الجريمة النكراء غضب صلى الله عليه وآله على خالد غضبا شديدا، و دعا عليا من فوره، و أعطاه مبلغا كبيرا من المال و أمره بالتوجه الى بنى جذيمة، و ان يدفع دية من قتل أو جرح خالد من رجالهم، و ثمن كل ما خسروه أو فقدوه من أموالهم بدقه و عناية كاملتين.

فودى على عليه السلام لهم كل ما أصاب خالد، حتى أنه ليدى مبلغ الكلب (و هى الاناء الذى يبلغ فيه الكلب) حتى اذا لم يبق شىء من دم و لا مال إلا وداه بقيت معه بقيه من المال، فدعا رؤساء تلك القبيلة المنكوبة و قال لهم: هل بقى لكم من دم أو مال لم يود لكم؟ فقالوا: لا.

فقال عليه السلام: فانى اعطيكم هذه البقيه من المال احتياطا لرسول الله صلى الله عليه وآله مما يعلم و لا تعلمون. ففعل ثم رجع الى رسول الله صلى الله عليه وآله فاخبره الخبر فقال صلى الله عليه وآله:

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥١١

«أصبت و احسنت».

(١) ثم قام رسول الله صلى الله عليه وآله و آله و استقبل القبلة قائما شاهرا يديه حتى انه ليرى مما تحت إبطيه و قال:

«اللهم إني أبرأ مما صنع خالد بن الوليد».

قالها ثلاث مرات «١».

لقد تلافى على عليه السلام جميع الخسائر المادية و الروحية التى لحقت ببني جذيمة، و قد أعطى شيئا من ذلك المال لمن ارتاع، و فزع من صنع خالد و جنوده، و طيب خواطرهم و قال: و هذه لروعة القلوب.

و عند ما عرف رسول الله صلى الله عليه وآله بصنيع على عليه السلام و إجراءاته العادلة و الانسانية مع بنى جذيمة المنكوبين قال فى حقه:

«و الله ما يسرنى يا على أن لى بما صنعت حمر النعم «٢» ... أرضيتنى رضى الله عنك ... يا على أنت هادى أمتى، ألا إن السعيد كل السعيد من أحبك و أخذ بطريقتك، ألا إن الشقى كل الشقى من خالفك و رغب عن طريقتك إلى يوم القيامة ...» «٣».

(٢)

جرائم اخرى لخالد:

لم تقتصر جرائم خالد التى ارتكبها طيلة حياته الاسلامية فى ظاهرها على ما ذكر بل لقد ارتكب جريمة اخرى فى أيام حكومة «أبى بكر» اكبر و افضع مما مرت، و إليك خلاصة هذه الواقعة:

لقد ارتدت بعض القبائل - بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، أو

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٤٢٠، الكامل لابن الاثير: ج ١ ص ١٧٣ و ١٧٤ امتاع الاسماع: ج ١ ص ٤٠٠.

(٢) الخصال: ص ٥٦٢.

(٣) مجالس ابن الشيخ: ص ٣١٨.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥١٢.

بالاحرى و فى الحقيقة رفضت الاعتراف بخلافه أبى بكر، و امتنعت عن أداء الزكاة إليه، فبعث أبو بكر فرقا عسكريه مختلفه لقمع تلك الجماعات المتمردة.

(١) و بعث خالد بن الوليد على رأس فرقه عسكريه الى قبيلة «مالك بن نويرة» لمقاتلتها بحجة الارتداد، و كان «مالك» و جميع أفراد قبيلته على استعداد للقتال، و كانوا يقولون: نحن مسلمون، فلا معنى لمقاتلتنا.

فمكر بهم خالد على نحو مكره بنى جذيمه فى عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، و أمنهم، و طلب منهم إلقاء اسلحتهم، فلما وضعوا أسلحتهم، أمر بحبسهم، ثم قتلهم و قتل زعيمهم المسلم الصالح «مالك بن نويرة» و اعتدى على زوجته فى نفس الليلة «١». فهل يصح أن يوصف هذا الرجل - على هذه السوابق السوداء، و مع هذا الملف المخزى - بسيف الله، و أن يعد من امراء الاسلام المجاهدين الصالحين!! «٢».

(١) الكامل فى التاريخ: ج ٣ ص ١٤٩، أسد الغابة: ج ٤ ص ٢٩٥ تاريخ ابن عساكر: ج ٥ ص ١٠٥، ١١٢ تاريخ ابن كثير: ج ٦ ص ٣٢١، تاريخ الخميس: ج ١ ص ٢٣٣.

(٢) لقد ورد ذكر هذه الحادثة فى كتب التاريخ فى حوادث السنة الأولى من حكومة «أبى بكر» بصورة مفصلة و قد ذكرناها ملخصة. و للوقوف على تحليل هذه القضية المؤسفة راجع كتاب النص و الاجتهاد ص ٦١ - ٧٥.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥١٣.

(١)

٥٠ معركة حنين

إشارة

كانت طريقه رسول لله صلى الله عليه وآله عند فتح أية منطقة من المناطق هى أن يقوم بنفسه بإدارة شئونها السياسية و الدينيه ما دام هو فيها، فإذا أراد أن يغادرها عين أفرادا صالحين للقيام بتلك الأمور، و شغل تلك المناصب لأن الناس فى تلك المناطق كانوا قد اعتادوا على النظام المباد، و لم يكن لهم معرفة بالنظام الجديد، هذا من جهة، و من جهة اخرى فإن الاسلام دين متكامل، و نظام سياسى، اجتماعى، أخلاقى، و معنوى يستمد قوانينه من منبع الوحي الطاهر، و يحتاج إيقاف الناس على تلك القوانين و التعاليم، و تطبيقها العملى إلى أفراد صالحين متمرسين و مدرّبين على التثقيف و التطبيق الصحيحين، ليتمكنهم إيقاف الناس فى تلك المناطق على مبادئ الاسلام و اصوله الصحيحة، و تنفيذ البرنامج السماوى الاسلامى فى حياتهم على النحو الصحيح.

(٢) و قد فعل رسول الله صلى الله عليه وآله هذا عند فتح مكة، فانه صلى الله عليه وآله بعد أن قرر مغادرة مكة و المسير إلى قبيلتي «هوازن» و «ثقيف» عين «معاذ بن جبل» ليعلم الناس القرآن، و أحكام الاسلام، و «عتاب بن أسيد» الذى كان رجلا مؤهلا، لإدارة

الامور، و الصلاة بالناس جماعة، ثم غادر رسول الله صلى الله عليه وآله مكة بأصحابه بعد أن مكث فيها خمسة عشر يوماً متوجهاً إلى أرض هوازن «١».

(١) الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ١٣٧، والمغازي: ج ٣ ص ٨٨٩.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥١٤

(١)

جيش قليل النظير:

كان الجيش الذي سار به رسول الله صلى الله عليه وآله إلى هوازن يبلغ (١٢) ألفاً من الجنود المسلحين: عشرة آلاف هم الذين صحبوه من المدينة، و شاركوا في فتح مكة، و ألفان من رجال و شباب قريش الذين أسلموا بعد الفتح، و قد أوكل النبي صلى الله عليه وآله قيادةهم إلى أبي سفيان «١».

و لقد كان مثل هذا الجيش العظيم و الجمع الكبير قليل النظير، و نادر المثل في تلك العصور، و قد صارت هذه الكثرة ذاتها سبباً في هزيمته في مبدأ الأمر، فقد أعجب أفراد هذا الجيش بكثرتهم - على خلاف ما مضى - فتجاهلوا التكتيكات النظامية الدقيقة، و غفلوا عن خطط العدو و نواياه فكان ذلك داعياً إلى هزيمتهم!! فقد قال أبو بكر لما رأى كثرة المسلمين: لو لقينا بني شيان ما بالينا، لن نغلب اليوم من قلة «٢».

و لكنه لم يكن يعرف أن الانتصار ليس هو بكثرة الافراد و ضخامة الجيش، بل ان هذا العامل غير مهم بالقياس إلى بقية العوامل.

و لقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة اذ قال تعالى:

«لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَ يَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَ ضَاقَتِ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ» «٣».

(٢)

تحصيل المعلومات العسكرية:

بعد فتح مكة دبت حركة خاصة في قبائل هوازن و ثقيف، و جرت اتصالات مكثفة بينها، و كان حلقة الاتصال، و المدبر الحقيقي لهذه التحركات شاب عرف

(١) الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ١٣٩، المغازي: ج ٣ ص ٨٨٩.

(٢) الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ١٥٠، المغازي: ج ٣ ص ٨٨٩.

(٣) التوبة: ٢٥.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥١٥

بالفروسيه و الشجاعة يدعى «مالك بن عوف النصرى».

(١) و قد تقرّر بعد سلسلة من الاتصالات و المداولات بين زعماء هوازن و ثقيف أن تبادل القبيلتان المذكورتان الى توجيه ضربه قوية الى جيش الاسلام عبر خدعة عسكرية، قبل أن يغزوها جنود الاسلام في عقر دورها.

فقد اختارت لقيادة هذه المهمة شاباً متهوراً في العقد الثالث من عمره هو مالك بن عوف النصرى الذي أشرنا إليه عما قريب، و

اشترك في هذه الغزوة جميع قبائل هوازن و ثقيف بصورة موحدة.

فكان من تدبير هذا القائد أن اقترح على جيشه أن يجعلوا النساء و الاطفال و الاموال وراء ظهورهم و عند ما سألوه عن ذلك الاجراء قال: اردت من جعل كل رجل أهله و ماله و ولده و نساءه خلفه حتى يقاتل عنهم «١».

فقبل المشتركون في تلك العملية بأمر قائدهم هذا بالاجماع، و جعلوا أموالهم و أهليهم خلفهم.

(٢) و قد خالف شيخ مجرب حنكته الحروب منهم يدعى «دريد بن الصمء» هذه الخطة عند ما سمع رغاء البعير، و ثغاء الشاء، و حوار البقر، و بكاء الصغير، و جادل فيها مالكا، و اعتبرها خطة فاشلة من الناحية العسكرية و قال للناس:

يا قوم إن هذا فاضحكم في عورتكم، و ممكن منكم عدوكم، و هل يرد المنهزم شيء؟

و لكن مالكا لم يعر كلام هذا الشيخ و نصيحته اهتماما و قال:- و هو يتهمه بالجهل بفنون القتال الحديثة:- أنك قد كبرت، و كبر علمك، و حدث بعدك من هو أبصر بالحرب منك.

و لقد اثبت المستقبل صحة ما قاله ذلك الشيخ المحنك فان إشراك النساء و الاطفال و الانعام في الحرب، و إخراجهم إلى ساحة القتال أحدث لمقاتلي

(١) المغازي: ج ٣ ص ٨٩٧.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥١٦.

ثقيف و هوازن مشاكل كثيرة، فيما بعد.

(١) ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله لما سمع بتحركات هاتين القبيلتين بعث «عبد الله بن حدرد الأسلمي»، و أمره أن يدخل في هوازن و ثقيف فيقيم فيهم حتى يعرف بنواياهم و خططهم، ثم يأتيه بخبرهم، فانطلق الرجل إليهم ثم عاد الى رسول الله صلى الله عليه وآله و آله بأخبارهم.

و كان «مالك بن عوف» قائد هوازن و ثقيف قد بعث بدوره ثلاثة جواسيس ليتجسسوا له على المسلمين، و يأتوه بأخبارهم، فعادوا بأجمعهم فرعين مما شاهدوه من قوة المسلمين و كثرتهم.

فقرر قائد العدو أن يجبر ضعف جنوده و قلتهم باستخدام الخدع العسكرية، و التوسل بأسلوب المباغته ليفرق - بهجوم مفاجئ - صفوف المسلمين، و يهدم نظامهم و انسجامهم، و يصيبهم بالهرج و المرج، و الفوضى و الحيرة ليختل باختلال الجيش أمر القيادة، فلا تتمكن من ضبط الامور، و تحقيق انتصار على المسلمين.

(٢) و لتحقيق هذا الهدف هبط «مالك بن عوف» بجيشه في واد ينحدر الى منطقة «حين»، و أمر بأن يختفي الجنود و المقاتلون خلف الصخور و الاحجار، و في شغاف الجبال، و كل ما ارتفع من ذلك الوادي و نشز، حتى إذا انحدر جنود الاسلام في هذا الوادي في غفلة من هذا التدبير خرج رجال هوازن و ثقيف من مكائهم، و كمائهم، و رموا المسلمين الغافلين عن خطة العدو، بالحجارة و النبل، ثم يخرج إليهم فريق في أسفل الوادي و يضربونهم بالسيف!!

(٣)

تجهيزات المسلمين:

كان رسول الله صلى الله عليه وآله عارفا بقوة العدو و عناده فدعى «صفوان بن أمية» قبل مغادرة مكة، و استعار منه مائة درع بأداتها كاملة عارية مضمونة، و لبس رسول الله صلى الله عليه وآله نفسه درعين كما لبس المغفر و البيضة، و ركب بغلته البيضاء و سار خلف جيشه و سار حتى دنوا جميعا من

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥١٧

الوادي فاستراحوا ليلتهم عند فم الوادي، و مع غلس الصبح انحدرت كتيبة «بنى سليم» بقيادة «خالد بن الوليد» في وادي «حنين»، و بينما دخل اكثر جنود الاسلام ذلك الوادي حمل عليهم رجال هوازن من كمانتهم في مضيق الوادي و شعابه حمله رجل واحد، و أخذوا يرشقونهم بالاحجار و النبال، فالقت أصوات الاحجار و النبال فزعا شديدا في قلوب المسلمين الذين مطروا بالسهام و النبال و الاحجار من جانب، بينما احتوشهم فريق آخر من هوازن بسيوفهم و وقعوا فيهم ضربا و قتلا.

(١) أجل لقد فعلت مكيدة هوازن فعلتها في قلوب المسلمين، فقد أوحشتها، و أصابت المسلمين بالفوضى، و خلخت صفوفهم فلاذوا بالفرار من دون اختيار، و قد أخلوا هم بنظامهم أكثر من ما فعله العدو بهم.

ففرح المنافقون في جيش رسول الله صلى الله عليه وآله لهذا الحادث، و سروا به سرورا عظيما حتى قال أبو سفيان شامتا: لا ينتهي هزيمتهم دون البحر، و قال آخر: الا- بطل السحر اليوم، و قال ثالث: لا يجتبرها محمّد و أصحابه، و عزم رابع على اغتيال رسول الله صلى الله عليه وآله في ذلك الوضع المضطرب و إطفاء شعله رسالته المقدسة «١».

(٢)

استقامة النبي و من ثبت من أصحابه:

لقد ازعج فرار المسلمين الذي كان نابعا- في الدرجة الاولى من الفرع و الفوضى التي أصابتهم، رسول الله صلى الله عليه وآله، و أدرك صلى الله عليه وآله بأنه لو تأخر لحظة واحدة عن فعل ما يجب أن يفعله لتغيّر وجه التاريخ و لتبدّل مسار البشرية، و لحطم جيش الشرك جيش التوحيد.

(١) المغازي: ج ٣ ص ٩٠٩-٩١٠، السيرة النبوية: ج ٢ ص ٤٤٣، امتاع الاسماع: ج ١ ص ٤١١ و ٤١٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥١٨

من هنا صاح بأعلى صوته و هو على بغلته:

«يا أنصار الله و انصار رسوله أنا عبد الله و رسوله».

(١) قال هذا و اندفع ببغلته الى ساحة القتال في المكان الذي جعله «مالك» و جنوده مسرحا لمهاجمة المسلمين و مباغتتهم و قتالهم، و مشى معه من لازمه في تلك اللحظات و ثبتوا معه كعلى بن أبي طالب عليه السّلام و العباس بن عبد المطلب، و الفضل بن العباس، و أبي سفيان بن الحارث الذي لم يغفلوا عن رسول الله صلى الله عليه وآله منذ بدء القتال لحظة واحدة، و امر رسول الله صلى الله عليه وآله عليه و آله عمه العباس الذي كان صاحب صوت عظيم أن ينادى في المسلمين الذين كانوا يواصلون فرارهم، و لا يلوون على شيء:

«يا معشر الانصار، يا معشر السمرة» «١».

و يقصد من السمرة الشجرة التي كانت عندها بيعة الرضوان، فكان هذا النداء تذكيرا بتلك البيعة التي تعهدوا فيها لرسول الله صلى الله عليه وآله عليه و آله بان ينصروه حتى الموت.

(٢) فبلغت صرخات العباس مسامع المسلمين فنارت حميتهم، و أخذوا يثوبون الى رسول الله صلى الله عليه وآله و هم يقولون: لبيك لبيك.

لقد أوجبت نداءات العباس المتلاحقة التي كانت تخبر و تنبئ في الحقيقة عن سلامة رسول الله صلى الله عليه وآله عليه و آله أن تعود الجماعات الهاربة من ساحة القتال الى رسول الله صلى الله عليه وآله و آله و هي نادمة على فرارها ندما شديدا، و نظّموا صفوفهم أمام العدو من جديد أفضل ممّا مضى، ثم حملوا حملة رجل واحد على العدو الغادر بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله لغسل ما لحق بهم

من عار الفرار، و استطاعوا في أقصر مدّة من الوقت ان يجبروا العدو على الانسحاب و الفرار و الرسول القائد صلّى الله عليه و آله يقول تشجيعا لهم، و تقوية لمعنوياتهم:

(١) و لقد ذكر المغازى في ج ٣ ص ٩٠٢ جانبا من بطولات على عليه السّلام و توضيحاته في هذه الموقعة.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥١٩

«أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب».

(١) و قد تسبّب استخدام هذا التدبير العسكري الحكيم في إرعاب رجال هوازن و من ساعدتهم من ثقيف المقاتلين، بشدة بحيث انهزموا أمام هجوم المسلمين هذا هزيمة قبيحة و منكرة، تاركين وراءهم اموالهم و نساءهم و صبيانهم الذين أتوهم الى ساحة المعركة، و جعلوهم خلف ظهورهم بناء على أوامر قائدهم مالك- كما أسلفنا، و فروا بعد أن قتل منهم جماعة إلى منطقة أوطاس و نخلة، و قلاع الطائف.

(٢)

غنائم الحرب:

لقد بلغت خسائر المسلمين من الارواح في هذه المعركة ثمانية أشخاص في مقابل أسر ستة آلاف نفر من العدو. كما و أن المسلمين غنموا في هذه الواقعة أربعة و عشرين ألف بعير، و أربعين ألف رأس غنم، و أربعة آلاف أوقية «١» من الفضة. ثم إن رسول الله صلّى الله عليه و آله أمر بأن يؤخذ الأسرى و الغنائم الى منطقة تدعى الجعرانة (و هي ماء بين الطائف و مكة) و كلف أشخاصا معيّنين بحراستها و حفظها و جعل الأسرى في بيوت خاصة، كما أمر بأن تحفظ الغنائم من دون أن يتصرف فيها أحد في ذلك المكان، ريثما يرى فيها رأيه، بعد ان يلاحق فلول العدو الذي فرّ الى أوطاس و نخلة و الطائف «٢».

لقطنان من الخلق النبوي العظيم:

و ينبغي ان نشير هنا إلى قصتين تدلان على سمو الاخلاق النبوية، و عمق

(١) الرطل ٢٥٦٤ غرام و الاوقية ١٢ / ١ من الرطل فعلى هذا تكون الاوقية ٢١٣ غراما، و أربعة آلاف أوقية تساوي ٨٥٢ كيلو غراما.
(٢) كتب ابن هشام في سيرته أن عدد القتلى في هذه المعركة كان أربعة أشخاص، و لكن معركة واسعة مثل هذه يتوقع أن يكون قتلها أكثر من هذا العدد.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٢٠

الرحمة الاسلامية:

١- بعد أن أعاد النبي المسلمين الهاربين إلى ساحة المعركة فكروا على هوازن و هزموهم هزيمة قبيحة، قالت أم سليم بنت ملحان للنبي صلّى الله عليه و آله: يا رسول الله! ما رأيت هؤلاء الذي أسلموا و فرّوا عنك و خذلوك!! لا تعف عنهم اذا أمكنك الله منهم، تقتلهم كما تقتل هؤلاء المشركين!

فقال صلّى الله عليه و آله: يا أم سليم! قد كفى الله، عافية الله أوسع «١».

و هكذا نجد رسول الله صلّى الله عليه و آله يعفو عن أصحابه الهاربين الذين خذلوه في تلك الموقعة.

٢- حنق المسلمون على المشركين في وقعة حنين فقتلوهم حتى اخذوا في قتل الذرية، فلما بلغ ذلك رسول الله صلّى الله عليه و آله

قال: ما بال أقوام ذهب بهم القتل حتى بلغ الذرية! ألا لا تقتل الذرية.
فقال اسيد بن الحضير: يا رسول الله أليس إنما هم أولاد المشركين!
فقال: أو ليس خياركم أولاد المشركين؟! كل نسمة تولد على الفطرة حتى يعرب عنها لسانها، و أبواها يهودانها أو ينصرانها «٢».

(١) و (٢) امتاع الاسماع: ج ١ ص ٤٠٩.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٢١

(١)

٥١ غزوة الطائف

إشارة

«الطائف» من مصايف الحجاز و من المناطق الخصبة، الكثيرة الزرع فيها، و تقع الطائف في الجنوب الشرقي من مكة على بعد (١٢) فرسخا منها، و قد كانت و لا تزال بسبب مناخها اللطيف، و بسايتها المثمرة، و نخيلها الكثيرة مقصدا بل مركزا و موطنا لطلاب اللذة و الراحة من أهل الحجاز.

و قد كانت قبيلة ثقيف التي كانت تعدّ من القبائل العربية القوية الكثيرة العدد تسكن في هذا البلد.

و كانت أعراب ثقيف من الذين شاركوا في معركة «حنين» ضدّ الاسلام و المسلمين، ثم لجئوا بعد الهزيمة المنكرة التي لحقت بهم على أيدي جنود الاسلام الظافرين إلى بلدهم الذي كان لهم آنذاك فيه حصن قويّ و منيع.

و لتكميل الانتصار الاسلامي أمر الرسول القائد صلى الله عليه و آله بملاحقة الهارين المنهزمين في معركة حنين.

(٢) من هنا كلّف صلى الله عليه و آله أبا عامر الأشعري و أبا موسى الأشعري و فريقا من جنود الاسلام بملاحقة من لجأ منهم إلى «أوطاس» فقتل القائد الأول في هذه الواقعة، و استطاع الثاني أن يحرز انتصارا كبيرا على العدو و يفرق جمعه «١».

و أما النبي صلى الله عليه و آله نفسه فقد توجه بالبقية من جيشه الى

(١) المغازي: ج ٣ ص ٩١٥ و ٩١٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٢٢

الطائف «١»، و مرّ في طريقه على حصن مالك بن عوف النصرى مثير فتنة «حنين» و رأس المؤامرة، فهدمه و سوّاه بالأرض.

على أن تهديم حصن «مالك» لم يكن بدافع انتقامي بل كان لأجل ان لا يترك وراءه نقطة اعتماد و ملجأ للعدوّ.

(١) تحركت أعمدة الجيش الاسلامي الواحدة تلو الاخرى، و استقرت حول مدينة الطائف.

كان حصن الطائف حصنا منيعا، مرتفع الجدران، قوى البنيان، فيه أبراج للمراقبة مسيطرة على خارج الحصن سيطرة كاملة.

و منذ أن استقرّ الجيش الاسلامي خارج الطائف بدأ حصاره لها، غير أنّ الحصار لم يتكامل بعد حتى عمد العدو إلى رمي المسلمين للحيلولة دون تقدّمهم نحو المواقع المرسومة لها، فقتل بهذا جماعة من المسلمين في بداية هذه الواقعة.

فأمر رسول الله صلى الله عليه و آله الجيش بالانسحاب و التراجع التكتيكي الى نقطة بعيدة عند مرمى العدو، و التمرکز فيها ريثما تصدر الاوامر الجديدة

و هنا اقترح «سلمان الفارسي» الذي سبق له أن اقترح حفر الخندق في معركة الاحزاب، و كان ذا خبرة بفنون القتال، اقترح على رسول

اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بَأَنَّ يرمى الحصن بالمنجنيق «٢»، وكان هذا الجهاز الذي كان يستخدم في حروب تلك الأعصر يؤدي نفس دور الدبابة في الحروب الراهنة.

فقام امراء الجيش الاسلامي بنصب المنجنيق بارشاد و توجيه من سلمان، و أخذوا يرمون الحصن المذكور و أبراجها الشاهقة بالحجارة طوال عشرين يوما متواليه.

و لكن العدو لم يسكت تجاه هذه العمليات القوية التي بدأها المسلمون،

(١) بحار الأنوار: ج ٢١ ص ١٦٣.

(٢) امتاع الاسماع: ج ١ ص ٤١٧.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٢٣

فزاد من رميه و استمر في ذلك، فو قعت بين المسلمين بعض الاصابات نتيجة ذلك «١».

(١) و الآن يجب أن نرى كيف حصل المسلمون على جهاز المنجنيق، هذا؟

يرى البعض أن سلمانا هو الذي صنع هذا الجهاز و علم المسلمين كيفية استخدامه في هذه الغزوة «٢».

و يرى آخرون ان المسلمين حصلوا على هذا الجهاز و غنموه من اليهود في خيبر عند فتح قلاعهم و حصونهم و اصطحبوه معهم إلى الطائف و استخدموه في غزوها.

و لا يبعد أن الصحابي الجليل سلمان الفارسي قد ادخل بعض التحسينات على ذلك الذي جلبه المسلمون من خيبر، و علم المسلمين كيفية نصبه و استخدامه في القتال، فانه يستفاد من التاريخ أن المنجنيق لم يكن منحصرا في المنجنيق الذي حصل عليه من يهود خيبر، لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بعث الطفيل بن عمرو الدوسي لتحطيم أصنام لقبيلة «دوس» في وقت متزامن مع خروجه الى معركة حنين ثم الطائف فعاد الطفل فاتحا مع من خرجوا تحت إمرته من جنود الاسلام الاربعمائه، و كانوا برمتهم من أبناء قبيلته، فقد قدم الطائف على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مع عدد واحد من جهاز المنجنيق و عربتين حريبتين خاصتين، و قد استخدمت هذه الآليات في غزوة الطائف.

(٢)

شدخ جدار الحصن بالمنجنيق:

كان لا بدّ لاختضاع العدو و دفعه إلى الاستسلام من القيام بحملات واسعة و من مختلف الاطراف و النواحي، و لهذا تقرر أن يقوم جنود الاسلام، مضافا إلى

(١) الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ١٥٨.

(٢) السيرة النبوية: ج ٤ ص ١٢٦، و ابن هشام يرى أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هو اول من أستخدم المنجنيق في الجزيرة العربية.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٢٤

رمى الحصن بالمنجنيق، إيجاد ثغرة في الجدار واجه مشكلة كبرى، لأن السهام و الاحجار، و النيران كانت تنصب على رؤوس المقاتلين المسلمين كالمطر، و لم يكن في مقدور أحد منهم الاقتراب و الدنو من جدار الحصن، فكان أفضل وسيلة لتحقيق هذا الهدف هو استخدام الدبابة التي كانت في جيوش العالم الكبرى في تلك العصور في صورتها البدائية.

و كانت الدبابة آنذاك تصنع من الخشب و تغطى بجلود البقر، و يدخل تحتها جماعة من الجنود الاقوياء ثم تتحرك نحو الحصن حتى تدنو إليه، و يقوم الجنود بعملية إيجاد ثغرة او نقب في جدار الحصن، فاستخدم نفر من جنود الاسلام الشجعان الاشداء هذا الجهاز بالطريقة المذكورة، بيد أن العدو قد حال دون هذا العمل إذ ألقى على الدبابة سلك الحديد المحمأة بالنار فاخرب سقفها، و اضطر أفرادها الى الخروج منها، فرمتهم ثقيف بالنبل فقتلت منهم رجلا واحدا و لم ينتج هذه التكتيك القتالي، و لم يتحقق أى نجاح فى هذا المجال، فانصرف المسلمون عن استخدامه «١».

(١)

ضغوط اقتصادية و نفسية:

إن تحقيق الانتصار لا ينحصر فى مجرد استخدام الطرق و التكتيكات العسكرية، بل للقائد الحكيم أن يستخدم- لضعاف قوة العدو و كسر صموده- الضربات و الضغوط الاقتصادية و يجبره على الاستسلام. و قد تكون الضربة النفسية و الاقتصادية اقوى مفعولا بدرجات أى إن أثرها تفوق بمراتب عديدة أثر الضربة العسكرية، و الإضرار البدنى الذى يلحق بجنود العدو و أفراده. و لقد كانت أرض الطائف أرض زراعة، و نخيل و أعناب، و كانت معروفة

(١) المغازى: ج ٣ ص ٩٢٨.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٢٥.

فى الحجاز بخصبها، و كثرة محاصيلها و خيراتها، لأن أهلها كانوا يجهدون كثيرا فى تنمية نخيلهم و أعنابهم و رعايتها، و يولون الحفاظ عليها اهتماما كبيرا، و يعطون هذا الأمر القسط الاكبر من جهودهم.

(١) فأعلن رسول الله صلى الله عليه و آله لتهديد المتمردى اللاجئين إلى الحصن، و المعتصمين به، بأنه سيعمد إلى قطع أعناب ثقيف، و إفناء مزارعها إذا واصل المعتصمون بالحصن مقاومتهم و لم يسلموا للمسلمين. فلم يكثر العدو بهذا التهديد لأنه لم يك يتصور أن رسول الله صلى الله عليه و آله- و هو النبى الذى عرف برحمته و رافته- يستخدم مثل هذه الطريقة.

و فجاءت و جدت «ثقيف» أن رسول الله صلى الله عليه و آله أصدر أوامره بقطع الأعناب، و اتلاف المزارع و تحريقها، فوقع المسلمون فيها يقطعون و يحرقون.

فعبّت «ثقيف» لذلك و ضجّت، و استغاثت برسول الله صلى الله عليه و آله و أقسمت عليه بالرحم و القرابة أن يكف عن ذلك، فتركها رسول الله صلى الله عليه و آله احتراماً لوشيجة القربى التى كانت بينه و بين «ثقيف».

(٢) ان المعتصمين بحصن الطائف و ان كانوا من مشيرى معركة حنين و الطائف، و تانك الغزوتان اللتان كلّفنا رسول الله صلى الله عليه و آله الكثير من الخسائر و المتاعب غير أنه صلى الله عليه و آله قبل مع ذلك التماس العدو و طلبه هذا، فابدى و للمرة الاخرى وجه الاسلام الرحيم و كشف عن إنسانيته فى التعامل مع العدو اللدود فى ميدان القتال، و أمر أصحابه بالكف عن قطع الاعناب و تحريقها.

ثم إن مع ما نعرفه و نعهده من أخلاق رسول الله صلى الله عليه و آله و أساليبه الانسانية فى مجال التعامل مع العدو، يمكننا أن ندرك بسرعة أن الامر بقطع الاعناب و تحريق المزارع كان مجرد تهديد و محاولة ضغط على العدو بحيث إذا لم تنجح هذه الطريقة معه لكف عنها رسول الله صلى الله عليه و آله حتما.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٢٦

(١)

آخر محاولة لفتح حصن الطائف:

كانت قبيلة «ثقيف» جماعة ثرية، و ذات مال كثير، و عبيد و إماء كثيرين، و لكي يحصل رسول الله صلى الله عليه وآله على معلومات دقيقة عن الاوضاع فى داخل الحصن، و يعرف بالتالى حجم امكانات العدو و مدى استعداداته من جهة، و يوجد الاختلاف فى صفوفه من جهة اخرى أمر أن يعلن عن القرار التالى: و ينادى: أى عبد نزل من الحصن و خرج إلينا فهو حرّ.

و نفعت هذه الطريقة إلى حدّ ما، فقد خرج من الحصن بطريقة ماهرة حوالى بضعة عشر رجلا من عبيد ثقيف و رقيقهم، و التحقوا بصفوف المسلمين فعرف رسول الله صلى الله عليه وآله من خلال التحقيق معهم أنّ المعتصمين بالحصن لا يبنون الاستسلام، و أنهم مستعدون للمقاومة حتى لو طال الحصار عاما واحدا، فإنهم قد أعدوا لمثل هذا الحصار الطويل الطعام الكافى، و لن يقعوا فى أزمة بسبب طول الحصار.

(٢)

جيش الاسلام يعود الى المدينة:

استخدم رسول الله صلى الله عليه وآله فى هذه الغزوة جميع الاساليب و التكتيكات العسكرية المادية و النفسية ضدّ العدو، و قد اثبتت التجربة أن فتح الحصن يحتاج إلى مزيد من الصبر و العمل على حين لم تكن ظروف الجيش الاسلامى و امكاناته - يومذاك - لتسمح بذلك القدر من الصبر و الترقب، و الانتظار و التوقف، اكثر ممّا توقف و مكث فى تلك المنطقة و ذلك:

(٣) أولا: لأنه قتل فى اثناء هذه المحاصرة (١٣) مسلما سبعة منهم من قريش، و أربعة من الانصار، و رجل واحد من قبيلة اخرى. هذا مضافا إلى من استشهد من المسلمين فى وادى «حنين» إثر هجوم العدوّ الغادر، و انفراط صفوف الجيش الاسلامى، و الذين لم يذكر التاريخ مع

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٢٧

الأسف أسماءهم، و خصوصياتهم، و لهذا كان قد دبّ نوع من التعب فى نفوس جنود الإسلام لم يكن من الصالح تجاهله. (١) و ثانيا: أن شهر شوال قد انتهى، و بدأ شهر ذى القعدة الذى كان معدودا عند العرب من الأشهر الحرم و قد أيد الاسلام فيما بعد هذه السنّة، و أكد حرمة الأشهر الحرم.

من هنا كان من الضرورى - حفاظا على هذه السنّة - «١» إنهاء الحصار فى أقرب وقت لى لا تتهم عرب ثقيف رسول الله صلى الله عليه وآله بمخالفة السنّة الصالحة و خرقها.

أضف إلى ذلك دنوّ حلول موسم الحج، مع العلم بأن إدارة ذلك الموسم و مناسكه كانت فى ذلك العام للمسلمين، بعد أن كانت - قبل ذلك - تدار بواسطة المشركين و برعايتهم.

(٢) و لا شك أن موسم الحج الذى كان سببا لحصول اجتماع بشرى عظيم من سكان الجزيرة العربية كان يوفر اكبر و افضل فرصة لتبليغ الاسلام، و بيان حقيقة التوحيد، و كان على النبي صلى الله عليه وآله ان يستغل هذه الفرصة العظيمة التى اتاحت له لأول مرة، فى مجال الدعوة، و يستفيد منها اكثر قدر ممكن و يولى اهتمامه لقضايا اخرى اكثر أهمية و خطورة من فتح حصن واقع فى منطقة نائية.

مع أخذ هذه الظروف بنظر الاعتبار ترك الرسول القائد صلى الله عليه وآله حصار الطائف و عاد بجيشه إلى الجعرانة التى جعلها

محلا لحفظ أسرى حنين و غنائمها.

(١) و يدلّ على هذا الأمر أنّ رسول الله صَلَّى الله عليه وآله ترك مكة متوجها إلى الطائف في الخامس من شهر شوال و استغرقت مدة الحصار عشرين يوما، و صرفت بقيّة الايام (و هي خمسة) في المسير إلى حنين، و في المعركة. و قولنا بأن الحصار طال عشرين يوما يستند إلى روايته نقلها ابن هشام، إلّا أن ابن سعد ذكر مدة الحصار أربعين يوما (الطبقات الكبرى ج ٢ ص ١٥٨).

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٢٨
(١)

حوادث ما بعد الحرب:

إشارة

انتهت حوادث معركة «حنين» و «الطائف» و عاد رسول الله صَلَّى الله عليه وآله من دون تحقيق نتيجة قطعية إلى «الجعرانه» لتقسيم غنائم معركة «حنين».

و الغنائم التي حصل عليها المسلمون في معركة «حنين» كانت من اكبر الغنائم التي غنموها طوال المعارك الاسلامية كلّها، لأن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله يوم قدم «الجعرانه» كان هناك ستة آلاف أسير و (٢٤) ألف من الإبل و اكثر من (٤٠) ألف رأس غنم و (٨٥٢) كيلو غرام من الفضة يحافظ عليها في مركز الغنائم «١» و كان من الممكن أن تسدّد القيادة من هذه الغنائم قسما كبيرا من ميزانية الجيش الاسلامي.

لقد مكث رسول الله صَلَّى الله عليه وآله في «الجعرانه» ثلاثة عشر يوما، و في هذه المدة قسّم تلك الغنائم بطريقة خاصة ملفتة للنظر و جديرة بالتأمل و الدراسة.

(٢) فقد حلّى سبيل بعض الأسرى، و تركهم لذوبهم، و خطّط لاختضاع (او بالاحرى إسلام) مالك بن عوف النصرى مشير معركة حنين و الطائف الهارب، كما أظهر تقديره و شكره لمواقف الاشخاص في هاتين الغزوتين و خدماتهم، و جذب بسياسته الحكيمه افئدة أعداء الاسلام، و رغبها في عقيدة التوحيد الشريفه، و أنهى نقاشا حدث بينه و بين جماعة الأنصار حول طريقة تقسيم الغنائم بخطبة جميلة.

و إليك تفصيل الكلام في المواضيع المذكورة:

(٣) ١- لقد دأب رسول الاسلام صَلَّى الله عليه وآله على احترام حقوق الأفراد، و تمشين جهودهم مهما ضوّلت و دقّت، و على أن لا يبغض أحدا عمله، فإذا أحسن

(١) الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ١٥٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٢٩

إليه أحد قابل إحسانه بما يزيد عليه أضعافا مضاعفة. و كان ذلك من أبرز صفاته و أخلاقه صَلَّى الله عليه وآله. فقد رضع رسول الله صَلَّى الله عليه وآله و آلّه و ترعرع في قبيلة بنى سعد التي هي من قبائل هوازن، و قد ارضعته امرأة من هذه القبيلة تدعى «حليمة السعدية»، و قد بقي في تلك القبيلة خمسة أعوام.

(١) وقد شاركت قبيلة بنى سعد في معركة حنين ضد الاسلام فسييت بعض نسائهم و أطفالهم على أيدي المسلمين، كما وقعت بعض أموالهم بأيديهم أيضا، وقد ندمت على فعلها ندما شديدا.

وقد كانوا يعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله نشأ وترعرع فيهم، و رضع بلبن نسائهم هذا من ناحية، و من ناحية اخرى كانوا يعرفون أن رسول الله صلى الله عليه وآله ملء قلبه الرحمة و المروءة و معرفة الجميل، فاذا سرح لهم أن يذكره بذلك لأطلق أسراهم حتما.

فقدم أربعة عشر رجلا من رؤسائهم الذين كانوا قد أسلموا جميعا «الجعرانة» على رسول الله صلى الله عليه وآله و قد أمروا على أنفسهم شخصيتين من رجالهم أحدهما هو «زهير بن سرد» و الآخر عم للنبي صلى الله عليه وآله من الرضاعة، فقالوا: يا رسول الله إنما في هذه الأسرى من يكفلك من عماتك و خالاتك، و حواضنك، و قد حضناك في حجورنا و ارضعناك بثدينا، و لقد رايتك مرضعا فما رأيت مرضعا خيرا منك، و رأيتك فطيما فما رأيت فطيما خيرا منك، و رأيتك شابا فما رأيت شابا خيرا منك، و قد تكاملت فيك خلال الخير، و نحن مع ذلك أهلك و عشيرتك فامنن علينا من الله عليك.

و قال زهير بن سرد: يا رسول الله إنما في هذه الحظائر عماتك و خالاتك و حواضنك اللاتي كنّ يكفلنك، و لو أننا ملحنا للحارث بن أبي شمر، أو النعمان بن المنذر، ثم نزل منا بمثل الذي نزلت به رجونا عطفه و عائدته علينا و أنت خير المكفولين.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٣٠

(١) فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لهم:

«إن أحسن الحديث أصدق، و عندي من ترون من المسلمين، فابناؤكم و نساؤكم أحب إليكم أم أموالكم؟»
قالوا: يا رسول الله خيرتنا بين أحسابنا و أموالنا و ما كنا نعدل بالأحساب شيئا، فرد علينا أبناءنا و نساءنا.

فقال صلى الله عليه وآله:

«أما ما لي و لبنى عبد المطلب فهو لكم و أسأل لكم الناس و إذا صلّيت الظهر بالناس فقولوا: إنا نستشفع برسول الله الى المسلمين، و بالمسلمين الى رسول الله فاني سأقول: لكم ما كان لي و لبنى عبد المطلب فهو لكم و سأطلب لكم الى الناس».

فلما صلّى رسول الله صلى الله عليه وآله الظهر بالناس قاموا فتكلموا بالذي أمرهم رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا: إنا نستشفع برسول الله الى المسلمين و بالمسلمين الى رسول الله.

(٢) فقال رسول الله صلى الله عليه وآله أما ما كان لي و لبنى عبد المطلب فهو لكم.

و بهذا وهب رسول الله صلى الله عليه وآله لهم نصيبه من الاسرى.

فقال المهاجرون: أمّا ما كان لنا فهو لرسول الله.

و قال الانصار: ما كان لنا فهو لرسول الله.

و هكذا وهب الانصار و المهاجرون نصيبهم من الاسرى تبعا لرسول الله صلى الله عليه وآله و لم يتأخر عن ذلك إلا قليلون مثل «الاقرع بن حابس» و «عبيدة بن حصن» فقد امتنعا عن أن يهبوا نصيبهما، و يطلق سراح ما عندهم من السبايا، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله و قال: إن هؤلاء القوم جاءوا مسلمين و قد استأنت بهم، فخيرتهم بين النساء و الأبناء، و الأموال، فلم يعدلوا بالأبناء و النساء، فمن كانت عنده منهنّ شيء فطابت نفسه أن يرده فليرسل،

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٣١

و من أبي منكم و تمسك بحقه فليرد عليهم، فله بكل انسان ست فرائض (أى سوف أعطيه بدل الواحد ستا) من أول ما يفى الله به علينا «١».

(١) فكان لعمل النبي صلى الله عليه وآله هذا أثر عظيم في نفوس المسلمين حيث خلّوا سبيل جميع من كان في أيديهم من الاسرى و

السبايا إلا امرأة عجوز امتنع «عينته» من ردها إلى ذوبها.

و هكذا أثمر عمل صالح غرست شتيلته - قبل ستين عاما - في أرض قبيلة بنى سعد على يدي حلیمة السعدية، فاتت أكلها بعد مدة طويلة، و اطلق بفضل ذلك العمل الصالح سراح جميع الاسرى و السبايا من هوازن «٢».

ثم ان رسول الله صلى الله عليه و آله دعا اخته من الرضاعة «الشيما» «٣» و بسط لها رداءه ثم قال: اجلسى عليه، و رحب بها، و دمعت عيناه، و سألتها عن امه و ابيه من الرضاعة، فاخبرته بموتهما في الزمان، ثم قال صلى الله عليه و آله لها:

«إن أحببت فأقيمى عندنا محببة مكرمة و إن أحببت أن امتنعك و ترجعى الى قومك فعلت».

فقلت: بل تمتعنى و تردنى إلى قومى، فمتعها رسول الله صلى الله عليه و آله و ردها الى قومها، بعد أن أسلمت طوعا و رغبة، و أعطاه رسول الله صلى الله عليه و آله ثلاثة أعبد و جارية «٤».

و قد قوى رسول الله صلى الله عليه و آله باخلائه سبيل جميع اسرى هوازن و سباياها من رغبة هوازن فى الاسلام، فاسلموا من قلوبهم، و هكذا فقدت

(١) المغازى: ج ٣ ص ٩٤٩-٩٥٣.

(٢) الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ١٥٣ و ١٥٤، السيرة النبوية: ج ٢ ص ٤٩٠، و الحادثة التاريخية هذه جسدت مضمون قول الله تعالى: «مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَ هُوَ مُؤْمِنٌ، فَلَنُحْيِيَنَّه حَيَاةً طَيِّبَةً وَ لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» (النحل: ٩٧).

(٣) هى الشيما بنت الحارث بن عبد العزى.

(٤) البداية و النهاية: ج ٢ ص ٣٦٣ و ٣٦٤، الامتاع: ج ١ ص ٤١٣.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٣٢

«الطائف» آخر حليف من حلفائها.

(١)

٢- اسلام مالك بن عوف:

فى هذا الأثناء اغتتم رسول الله صلى الله عليه و آله الفرصة ليعالج مشكلته مع «مالك بن عوف النصرى» مشير حرب حنين، عن طريق وفد بنى سعد و ذلك بترغيبه فى الاسلام، و عزله عن حليفه: «ثقيف».

و لهذا سألتهم عن مالك ما فعل؟ فقالوا يا رسول الله هو بالطائف مع ثقيف.

فقال رسول الله صلى الله عليه و آله:

«أخبروا مالكا أنه إن أتانى مسلما رددت عليه أهله و ماله و أعطيته مائة من الابل».

فبلغ وفد هوازن مالكا كلام رسول الله صلى الله عليه و آله و أمانه المشروط، فقرّر مالك الذى كان يرى بآم عينيه تعاضم أمر الاسلام، و اشتداد أزره كما رأى رحمة النبى و لطفه، أن يخرج من الطائف، و يلتحق بالمسلمين، و لكنه كان يخشى أن تعرف «ثقيف» بنيتة فتحبسه فى الحصن، و لهذا عمد الى خطة خاصة للفرار، فقد أمر باعداد راحلته فهيتت له، و أمر بفرس له فأتى به إلى الطائف، فركب فرسه و ركضه حتى أتى راحلته حيث أمر بها أن تحبس فركبها، فلحق برسول الله صلى الله عليه و آله فادركه بالجعرانة أو بمكة، فردّ عليه النبى صلى الله عليه و آله أهله و ماله، و أعطاه مائة من الابل كما وعد من قبل، و اسلم فحسن إسلامه، ثم استعمله رسول الله صلى الله عليه و آله على من أسلم من قومه و قبائل «ثماله» و «سلمه» و «فهم».

(٢) و قد انشد «مالك بن عوف» أبياتا عند ما أسلم يصف فيها خلائق رسول الله صلى الله عليه و آله الكريمة، و يمدحه أجمل مديح

اذ يقول:

ما إن رأيت و لا سمعت بمثلته في الناس كلهم بمثل محمد

أوفى و أعطى للجزيل إذ اجتدى و متى تشأ يخبرك عما في غد

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٣٣ و إذا الكتيبة عرّدت أنيابها بالسهمى و ضرب كل مهتد

فكأنه ليث على أشباله وسط الهباءة خادر في مرصد و صار يقاتل بتلك القبائل ثقيفا لا يخرج لهم سرح إلا أغار عليه حتى ضيق عليهم

لما حصل عليه من مكانه و عزة في الاسلام، و بعد أن أدرك قبح موقف «ثقيف» (١).

(١)

٣ - تقسيم الغنائم:

كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يلحون عليه أن يسرع في تقسيم غنائم الحرب، و لكى يدلّل النبي الكريم صلى الله عليه وآله

و آله على حياده الكامل في تقسيم الغنائم قام إلى بغير فأخذ وبرة من سنامه فجعلها بين إصبعيه ثم رفعها ثم قال:

«أيها الناس و الله مالى في فيئكم و لا هذه الوبرة إلا الخمس، و الخمس مردود عليكم، فادّوا الخياط و المخيط فإن الغلول (أى الخيانة

في بيت المال) يكون على أهله عارا، و نارا، و شنارا يوم القيامة».

ثم ان رسول الله صلى الله عليه وآله قسم أموال بيت المال بين المسلمين، و اما الخمس الذى هو حقه الخاص به فقد وزّعه بين

أشراف قريش الحديثى العهد بالاسلام يتألفهم، و يتألف بهم قومهم، فأعطى من هذا المال ل: أبى سفيان بن حرب، و ابنه معاوية، و

حكيم بن حزام، و الحارث بن الحارث، و الحارث بن هشام، و سهيل بن عمرو، و حويطب بن عبد العزى، و العلاء بن جارية و

صفوان بن أمية، و غيرهم ممن كانوا يعادونه الى الأمس القريب من رءوس الشرك و رموز الكفر، لكل واحد منهم مائة بغير (٢).

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٤٩١ و عرّدت أى عوّجت.

(٢) راجع المحجّر: ص ٤٧٣، المغازى: ج ٣ ص ٩٤٤ - ٩٤٨، السيرة النبوية: ج ٣ ص ٤٩٣، امتاع الاسماع: ج ١ ص ٤٢٣.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٣٤

(١) و قد كان لهذا العطاء السخى أثره الطيب و البالغ في نفوس تلك الجماعة التى شملها رسول الله صلى الله عليه وآله برحمته، و

لطفه، و عنايته، و كرمه، و اشتدت رغبتهم فى الاسلام.

و هذا الفريق هم من يصطلح عليهم فى الفقه الاسلامى بالمؤلفه قلوبهم، و هم يشكّلون إحدى مصارف الزكاة بنص القرآن الكريم.

و يقول ابن سعد فى الطبقات الكبرى بعد ان ذكر قصة هذا التقسيم الخاص للغنائم: و أعطى ذلك كله من الخمس و هو أثبت

الاقاويل عندنا (١).

و لقد شق هذا النوع من الاسلوب فى تقسيم الغنائم و هذا النمط من البذل الذى مارسه رسول الله صلى الله عليه وآله، شقّ على بعض

المسلمين، و بخاصة الانصار و قد جهلوا بالمصالح التى كان يراعيها، و الأهداف العليا التى كان يتوخاها رسول الله صلى الله عليه وآله

آله من هذا النوع من البذل و العطاء (و هو تخصيص حديثى العهد بالاسلام باكثر الغنائم).

لقد كانوا يتصورون ان التعصب القبلى هو الذى دفع بالرسول القائد صلى الله عليه وآله إلى أن يقسم خمس الغنيمه بين أبناء قبيلته

حتى أن احدهم (و هو ذو الخويصرة التميمي) قال لرسول الله صلى الله عليه وآله بكل وقاحة: يا محمد قد رأيت ما صنعت فى هذا

اليوم، لم أرك عدلت!!

(٢) فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله من كلامه هذا و قال:

«ويحك إذا لم يكن العدل عندي فعند من يكون؟!»

فطلب عمر بن الخطاب من رسول الله صلى الله عليه وآله أن يأذن له بقتله، فلم يأذن له النبي وقال صلى الله عليه وآله: «دعه فإنه سيكون له شيعه يتعمقون في الدين (أى يتتبعون أقصاه) حتى

(١) الطبقات الكبرى: ج ٣ ص ١٥٣.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٣٥

يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرميّة» (١).

(١) وقد كان هذا الرجل - كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله زعيم فرقة الخوارج في عهد حكومة الإمام على عليه السلام، فهو الذى قاد تلك الفرقة الخطرة، غير أن النبي صلى الله عليه وآله لم يقدم على عقوبته على ما بدر منه فيما بعد لأن القصاص أو العقاب قبل الجناية يخالف قواعد الإسلام.

ولقد رفع «سعد بن عباد» شكوى الأنصار حول كيفية تقسيم الخمس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال النبي صلى الله عليه وآله لرسوله: «يا سعد: اجمع من كان هاهنا من الأنصار في هذه الحظيرة.

(٢) فجمع سعد الأنصار في تلك الحظيرة، فلما اجتمعوا دخل عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله و عليه جلال النبوة، وهيبة الرسالة، فحمد الله واثنى عليه بالذى هو أهله ثم قال:

«يا معشر الأنصار ما مقالتي بلغتنى عنكم و جدتموها فى أنفسكم؟ ألم آتكم ضلّالاً فهداكم الله وعالاً فاعناكم الله، و أعداء فألف الله بين قلوبكم؟»

قالوا: بلى الله و رسوله أمنّ و افضل!

قال:

ألا تجيبونى يا معشر الانصار؟

قالوا: و ما ذا نجيبك يا رسول الله و لرسول الله المنّ و الفضل؟

قال:

«أما و الله لو شئتم قلتم فصدقتم أتيتنا مكذباً فصدقتناك و مخذولاً فنصرناك

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٤٩٦، السيرة الحلبية: ج ٣ ص ١٢٢، و فى المغازى: ج ٣ ص ٩٤٨ أن النبي صلى الله عليه وآله قال فيه: «دعه إن له أصحابا يحقرون صلواته مع صلواتهم، و صيامه مع صيامهم، يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميّة ... يخرجون على فرقة من المسلمين». و راجع امتناع الاسماع: ج ١ ص ٤٢٥ و جاء فى السيرة الحلبية انه أصل الخوارج.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٣٦

و طريدا فأويناك و عائلاً فأسيناك! (١) و جدتم فى أنفسكم يا معشر الأنصار فى شىء من الدنيا تألفت به قوما ليسلموا و وكلتكم إلى إسلامكم، أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة و البعير، و ترجعوا برسول الله إلى رحالكم؟

و الذى نفس محمد بيده لو لا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار، و لو سلك الناس شعبا و سلكت الأنصار شعبا لسلك شعب الأنصار.

(١) ثم ترخّم على الأنصار و على أبنائهم و على أبناء أبنائهم فقال:

«اللهم ارحم الأنصار و أبناء الأنصار و أبناء أبناء الأنصار».

وقد كانت كلمات النبي صلى الله عليه وآله هذه من القوة والعاطفية بحيث أثارت مشاعر الأنصار، فبكوا بعد سماعها بكاء شديدا حتى اخضلت لحاهم وابتلت بالدموع وقالوا: رضينا يا رسول الله حظا وقسما!!!

ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وآله وتفزقوا «٢».

ان هذه القصة تكشف عن عمق حكمة النبي صلى الله عليه وآله وعن حنكته السياسيّة البالغه، وكيف أنه كان يعالج المشاكل بأساليب مناسبة و بروح الصدق واللطف.

(٢)

رسول الله يعتمر:

ثم ان رسول الله صلى الله عليه وآله خرج من الجعرانة معتمرا، بعد ان قسم الغنائم، فلما فرغ من عمرته انصرف راجعا الى المدينة، فقدم المدينة في اواخر شهر ذي القعدة، أو أوائل شهر ذي الحجة.

(١) إن هذا يفيد ان النبي صلى الله عليه وآله ما كان ينسى فضل أحد عليه و ان كان هو صلى الله عليه وآله صاحب الفضل الاكبر على الناس اجمعين.

(٢) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٤٩٨ و ٤٩٩، المغازي: ج ٣ ص ٩٥٧ و ٩٥٨.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٣٧

(١)

٥٢ لامية كعب بن زهير المعروفة «بانت سعاد...»

إشارة

فرغ رسول الله صلى الله عليه وآله في منتصف شهر ذي القعدة، من السنة الثامنة للهجرة من قسمة غنائم حنين في الجعرانة، و كان موسم الحج على الأبواب، و كانت هذه السنة هي السنة الاولى التي كان يتوجب على الحجيج العرب، مسلمين و مشركين، أن يقوموا بمناسك الحج تحت رعاية الحكومة الإسلامية.

و كان اشتراك رسول الله صلى الله عليه وآله في هذه الشعائر يزيد الحج عظمة و جلالا، و كان من الممكن - و بفضل قيادته الحكيمه- أن تتم في ذلك الحشد الهائل و الاجتماع العظيم دعوة صحيحة و قوية و واسعة إلى الاسلام، بينما كانت ثمة مسئوليات في المدينة تنتظر عودة رسول الله صلى الله عليه وآله، و قد مضى على مفارقتها المدينة ما يقرب من ثلاثة أشهر، و كانت الأعمال التي يجب أن يقوم بها هو بنفسه قد تعطلت طوال هذه المدة.

(٢) و بعد دراسة هذه المسألة من جوانبها المختلفة رأى الرسول القائد صلى الله عليه وآله أن يكتفى بعمرة، يغادر بعدها مكة ليصل الى المدينة في أقرب وقت ممكن.

و لكنه صلى الله عليه وآله رأى أنه لا بد أن يعين شخصا صالحا لادارة الامور السياسية و الدينية في المنطقة الحديثة العهد بالفتح الاسلامي (نعني مكة) حتى لا تحدث في غيابه أزمة فيها، و حتى تجرى الامور على النسق الصحيح و المطلوب.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٣٨

(١) من هنا استخلف النبي صلى الله عليه وآله «عتاب بن اسيد» على مكة، و كان عتاب شابا ليبيا يتسم بالصبر و الجلد، و كان له من

(١) الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ٣٤٧ و ٣٤٨، و يكتب الجزرى فى اسد الغابة: (ج ٣ ص ٣٥٨) كان عتاب رجلا خيرا صالحا فاضلا.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٤٠

و أشعاره و يؤلب الناس ضد الإسلام.

(١) و لما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة فى الرابع و العشرين من شهر ذى القعدة كان «بجير» قد شارك مع النبى صلى الله عليه وآله فى فتح مكة، و حصار الطائف، و قد شاهد عن كذب كيف هدّد النبى صلى الله عليه وآله بالقتل بعض الشعراء الذين كانوا يهجون رسول الله صلى الله عليه وآله و يؤلبون الناس ضد الإسلام، و أهدر دماءهم.

فكتب بهذا إلى أخيه (كعب) و نصحه فى آخر كتابه قائلا: إن كانت لك فى نفسك حاجة فطر الى رسول الله صلى الله عليه وآله فانه لا يقتل أحدا جاءه تابا.

فاطمآن كعب بكلام أخيه، و توجه من فوره إلى المدينة فدخل المسجد و رسول الله صلى الله عليه وآله يتهاى لصلاة الصبح، فصلّى مع رسول الله صلى الله عليه وآله لأول مرّة ثم جلس إليه، و وضع يده فى يده، و كان رسول الله صلى الله عليه وآله لا يعرفه، فقال: يا رسول الله إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تابا مسلما فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به؟

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: نعم.

قال: أنا يا رسول الله كعب بن زهير «١».

(٢) ثم أخرج كعب قصيدته اللامية العصماء التى مدح فيها رسول الله صلى الله عليه وآله و التى كان قد أنشأها من قبل، و انشدها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله فى المسجد ليتلافى بها ما سبق أن بدر منه من هجاء و طعن فى سيد المرسلين صلى الله عليه وآله و آله «٢».

(١) روى أنه وثب على كعب- فى تلك الحال- رجل من الانصار فقال: يا رسول الله دعنى و عدوّ الله أن أضرب عنقه، فقال النبى صلى الله عليه وآله: دعه عنك فانه قد جاء تابا نازعا (عما كان عليه) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٥٠١.

(٢) السيرة الحلبية: ج ٣ ص ٢٤٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٤١

(١) و هذه القصيدة الرائعة هى من أفضل قصائد كعب و قد اعتنى المسلمون بحفظها و نشرها منذ أن أنشدها الشاعر المذكور بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله فى المسجد، و قد شرحها علماء الإسلام كثيرا، و عدد ابيات هذه اللامية (أى التى تنتهى قوافيها باللام المضمومة) ٥٨ بيتا و مطلعها:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متميم إثرها لم يغد مكبول لقد بدأ كعب قصيدته هذه- على عادة شعراء العهد الجاهلى (الذين كانوا يبدءون قصائدهم بمخاطبة محبوبتهم او مخاطبة الاطلاق)- بذكر سعاد زوجته و ابنة عمه، و لقد خصّ بها بالذكر لطول غيبته عنها، لهروبه من النبى صلى الله عليه وآله فيقول: فارقتنى سعاد فراقا بعيدا فقلبي اليوم أسقمه الحب، و أضناه، فهو ذليل لغيبته لم يخلص من الأسر و القيد.

(٢) ثم يمضى فى هذه النمط من الكلام حتى يصل إلى أن يعتذر من صنيعه السيئ فقال:

تبئت أن رسول الله أوعدنى و العفو عند رسول الله مأمول

مهلا هداك الذى أعطاك نافله القرآن فيها مواعظ و تفصيل

لا تأخذنى بأقوال الوشاة و لم اذنب و لو كثرت فى الأفاويل إلى أن قال:

إن الرسول لنور يستضاء به مهتد من سيوف الله مسلول (١) «٢»

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٥٠١-٥١٤.

(٢) يقال: إن كعبا عند ما فرغ من إنشاء قصيدته كساه النبي صلى الله عليه وآله بردة كانت عليه، فلما كان زمن معاوية أرسل إلى كعب أن بعنا بردة رسول الله، فقال: ما كنت لاثوثر بثوب رسول الله أحدا، فلما مات كعب اشتراها معاوية من أولاده بعشرين ألف درهم وهي البردة التي كان يلبسها الخلفاء الأمويون والعباسيون (راجع الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٧٦). وجاء في ناسخ التواريخ الجزء الثالث من المجلد الثاني أن كعبا لما قال «إن النبي لسيف يستضاء به» قال رسول الله صلى الله عليه وآله «إن النبي لنور».

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٤٢

(١)

حزن قارن فرحا:

في أواخر السنة الثامنة للهجرة فقد رسول الله صلى الله عليه وآله كبرى بناته: «زينب»، وقد تزوجت زينب قبل البعثة بآب خالتها أبي العاص، و آمنت بأبيها رسول الله صلى الله عليه وآله بعد البعثة من دون تأخير، ولكن زوجها ظل على شركه، و شارك في «بدر» ضد الإسلام والمسلمين، و أسر في تلك المعركة فخلى رسول الله سبيله، شريطة أن يبعث بآبنته «زينب» إلى المدينة. و فعل ابن العاص ذلك فجهز زوجته «زينب» و بعثها برفقة أخيه إلى المدينة، غير أن سادة قريش عرفوا بذلك، فكلّفوا من يعيدها إلى مكة، فلحق بها الرجل في أثناء الطريق، فضرب هودجها برمحه ففزع زينب ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله و آله و اسقطت حملها من شدة الفزع، و لكنها لم تنصرف عن الذهاب إلى المدينة، فقد واصلت سيرها حتى قدمت المدينة و هي عليله، و قضت بقیة عمرها مريضة حتى توفيت في أواخر السنة الثامنة من الهجرة.

و لكن هذا الحزن قارنه فرح و سرور فقد رزق رسول الله صلى الله عليه وآله في أواخر نفس ذلك العام ولدا اسماه «إبراهيم» من زوجته «ماریة القبطية» (و هي الجارية التي أهداها المقوقس حاكم مصر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله). و الجدير بالذكر أنه عند ما بشرت سلمى (المولدة) رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك، أعطاه هدية ثمينة، و عق له في اليوم السابع من ولادته، و حلق شعره، و تصدق بوزن شعره، فضة في سبيل الله «١».

(١) تاريخ الخميس: ج ٢ ص ١٣١.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٤٣

(١)

حوادث السنة التاسعة من الهجرة

٥٣ على بن أبي طالب في أرض طى (٢) إسلام عدی بن حاتم:

إشارة

انقضت السنة الهجرية الثامنة بكل حوادثها المرّة و الحلوة، فقد سقطت أكبر قاعدة من قاعدة الوثنية و الشرك في أيدي المسلمين، و عاد رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة ظافرا منتصرا على أعداء الإسلام انتصارا كاملا، و قد هيمنت ظلال القوة العسكرية

الإسلامية على أكثر أنحاء الجزيرة العربية و نقاطها.

كما أخذت القبائل العربية المتمردة التي لم تكن تتصور إلى ذلك اليوم أن يتحقق مثل هذه الانتصارات لدين التوحيد، أخذت تفكر شيئا فشيئا في التقرب الى المسلمين و قبول معتقداتهم، و اعتناق دينهم.

من هنا كانت وفود القبائل العربية المختلفة، و أحيانا مجموعة من أفراد قبيلة ما بقيادة رئيسها تقدم على رسول الله صلى الله عليه وآله و تعلن عن إسلامها، و قبولها للرسالة المحمدية.

و قد ازداد قدوم وفود القبائل هذه على عاصمة الإسلام (المدينة المنورة) في هذا العام حتى سمي بعام الوفود «١».

(١) لقد سجل المؤرخ المعروف محمد بن سعد- في كتابه- خصوصيات و أسماء هذه الوفود و تفاصيل القسم الأكبر من تفاصيل ما دار بينها و بين النبي صلى الله عليه وآله و ما خصهم به رسول

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٤٤

(١) و عند ما قدم وفد من قبيلة «طى» و فيهم سيدهم «زيد الخيل» على رسول الله صلى الله عليه وآله و تحادث مع النبي صلى الله عليه وآله أعجب رسول الله صلى الله عليه وآله بعقل زيد و حكمته و وقاره فقال عنه:

«ما ذكر لي رجل من العرب بفضل ثم جاءني إلّا رأيته دون ما يقال فيه إلّا زيد الخيل، فانه لم يبلغ كل ما كان فيه».

ثم سمّاه رسول الله صلى الله عليه وآله زيد الخير «١».

إن دراسة قصة الوفود، و الإمعان و التدبر في ما دار بينهم و بين رسول الاسلام يفيد بوضوح و جلاء ان الاسلام انتشر في شبه الجزيرة العربية عن طريق الدعوة و التبليغ.

(٢) على أن طواغيت ذلك العصر أمثال أبي سفيان و أبي جهل كانوا يحاولون الحيلولة دون انتشار هذا الدين، فكانت لأجل ذلك حروب النبي صلى الله عليه وآله فمضافا إلى أن أكثرها كان لإفشال تلك المؤامرات، كان الهدف منها

الاسلام من الطف لا يسع المجال لذكره هنا، و قد ذكر أسماء ثلاثة و سبعين وفدا من تلك الوفود التي وفدت على رسول الله صلى الله عليه وآله و آله طوال السنة التاسعة من الهجرة او ما قبلها بقليل (الطبقات الكبرى: ج ١ ص ٢٩١-٣٥٩).

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٥٧٧. هذا و ينبغي الإشارة هنا و بالمناسبة إلى أنه كان من سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله أن يغيّر الأسماء القبيحة التي اعتاد الجاهليّون على تسمية أبنائهم بها ايثارا للاسم الحسن و لأن الاسم يورث الاحساس بالشخصية لدى صاحبه على العكس من الاسم القبيح، و قد ثبت هذا نفسيا، بل ربما غيّر الاسماء التي قد يشعر معها الانسان بالعظمة، و الفخر و الزهو منعا من أن تحدث لأصحابها مثل ذلك. فعن الامام جعفر بن محمد الصادق عن ابيه عليهما السلام: إن رسول الله كان يغيّر الأسماء القبيحة في الرجال و البلدان (قرب الاسناد ص ٤٥) و لهذا غيّر أسماء كثيرة لرجال و نساء فغيّر اسم ابنه لعمر كانت يقال لها عاصية فسمّاها رسول الله صلى الله عليه وآله جميلة (صحيح مسلم: ج ٦ ص ١٧٣) و غير اسم غافل بن البكير فسمّاه عاقلا، و قد روى أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «إن أول ما ينحل احدكم ولده الاسم الحسن» (بحار الأنوار: ج ٢٣ ص ١٢٢). سيد المرسلين ج ٢ ص ٥٣٥٤٥ على بن أبي طالب في أرض طى (٢) إسلام عدى بن حاتم: ص : ٥٤٣

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٤٥

هو قمع أولئك الطواغيت الذين كانوا يصدّون عن سبيل الله و يمنعون من دخول مجموعات الدعوة و التبليغ الاسلامية إلى مناطق الحجاز و نجد و غيرها.

(١) إن من البديهي أن لا يتيسر انتشار أيّ دين، و تطبيق أي برنامج إصلاحى من دون تحطيم الطواغيت، و إزالة الأشواك من طريقه.

و من هنا نرى أن جميع الأنبياء و الرسل، و ليس رسول الله فقط كانوا يجتهدون قبل أى شىء فى تحطيم الطواغيت و إزالة السدود و الموانع، من طريق الدعوة.

و يتحدث القرآن الكريم فى سورة خاصة عن قدوم هذه الوفود على رسول الله صلى الله عليه وآله و ما حققه الإسلام من فتح و انتصار ساحق اذ يقول:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِذَا جَاءَ نَصِيرُ اللَّهِ وَ الْفَتْحُ. وَ رَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا. فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَ اسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا» (١).

(٢) و بالرغم من هذا الإقبال المتزايد على الإسلام لدى القبائل و قدوم الوفود المتلاحق على رسول الله صلى الله عليه وآله فقد قام فى السنة التاسعة من الهجرة ببعث عدة سرايا، و وقعت غزوة واحدة، و كانت السرايا هذه لأجل إفشال المؤامرات التى كانت تحاك ضد الإسلام و المسلمين، و كانت فى الأغلب لهدم الأصنام الكبيرة التى كانت لا تزال القبائل العربية المشركه تقدها و تعبدها، و من جملة هذه السرايا سرية على بن أبى طالب عليه السلام التى وَّجَّهت إلى أرض «طى» بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله و من بين ما وقع فى السنة التاسعة يمكن الإشارة إلى غزوة «تبوك».

ففى هذه الغزوة غادر رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة متوجها إلى أرض تبوك، و لكنه لم يلق فيها أحدا، فعاد من غير قتال، إلا أنه مهَّد الطريق لفتح البلاد الحدودية لمن يأتى فى المستقبل.

(١) النصر: ١-٣.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٤٦

(١)

هدم بيوت الاصنام:

لقد كانت الوظيفة الاساسية الاولى من وظائف النبى صلى الله عليه وآله هى: نشر عقيدة التوحيد، و اجتثاث جذور كل نوع من أنواع الشرك، و قد كان صلى الله عليه وآله يسلك- لتحقيق هذه الغاية، و لارشاد الضالين و الوثنيين- طريق المنطق و الاستدلال، قبل أى شىء فكان يلفت أنظارهم بالأدلة الواضحة و البراهين الساطعة إلى بطلان الشرك و الوثنية، فاذا لم يجد معهم المنطق المبرهن، و الارشاد المستدل، و لجوا فى كفرهم و شركهم سمح لنفسه بأن يتوسل بالقوة، و يداوى أولئك المرضى روحا و فكرا و الذين يمتنعون عن استعمال الدواء و بمحض اختيارهم، بالمعالجة الجبرية.

فإنه إذا شاع داء الكوليرا فى بلد من البلدان مثلا، و امتنع فريق من الناس عن قبول تلقيحهم بالمصل اللازم لمكافحة ذلك المرض، فإن المسئول فى ذلك البلد يرى لنفسه الحق فى أن يجبر تلك الجماعة الضيقة التفكير التى تعرّض سلامة نفسها و سلامة غيرها للخطر من حيث لا تشعر على الرضوخ لعملية التلقيح المذكورة.

(٢) لقد أدرك رسول الله صلى الله عليه وآله فى ضوء تعاليم الوحي أن الوثنية أشبه شىء بجرثومة «الكوليرا» تهدم فضائل الانسان، و شرفه، و تقضى على مكارم الاخلاق، و تحط من مكانة الانسان الرفيعة، و تجعله كائنا حقيقا أمام الطين و الحجر و الموجودات المنحطة.

و على هذا الاساس امر من جانب الله تعالى بأن يجتث جذور الشرك من كيان ذلك المجتمع الموبوء، و يزيل كل مظاهر الوثنية، و كل أنواعها و أشكالها، و اذا ما قاومت جماعة هذا العمل، و عارضت هذا الاجراء حطم مقاومته بالقوة العسكرية، و القبضه الحديدية.

إن التفوق العسكرى أعطى لرسول الله صلى الله عليه وآله فرصة بعث

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٤٧

الفرق العسكرية لتحطيم و هدم كل بيوت الأصنام، و أن لا يبقوا فى منطقة الحجاز صنما إلّا هدموه.

(١)

على فى أرض طى:

و لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يعرف من قبل، أن فى قبيلة طى صنما كبيرا يقُدس إلى الآن و من هنا بعث صلى الله عليه وآله و آله بطل جيشه الشجاع على بن أبى طالب عليه السلام على رأس مائة و خمسين فارس إلى أرض طى، و أمره بأن يحطم صنم طى، و يهدم بيته.

و قد أدرك قائد هذه السرية أن القبيلة المذكورة ستقاوم جنود الاسلام، و أن الأمر لن يتم من دون قتال، و لهذا حمل بأفراده على موضع ذلك الصنم، عند الفجر و الناس نيام، فاستطاع أن يأسر جماعة من تلك القبيلة ممن قاوم، و ان يعود بهم و بالغنائم الى المدينة و قد فر «عدى بن حاتم الطائى» الذى انضم فيما بعد الى صفوف المسلمين، المجاهدين فى سبيل الله، و كان يرأس تلك القبيلة، حين سمع بتوجه على عليه السلام نحوها.

(٢) و لنستمع إلى عدى الطائى نفسه و هو يقص علينا قصة هروبه.

يقول عدى: ما من رجل كان أشد كراهية لرسول الله صلى الله عليه وآله حين سمع به، منى.

أما أنا فكنت امرأ شريفا، و كنت نصرانيا، و كنت اسير فى قومي بالمربع (أى آخذ الربع من الغنائم لأنى سيدهم) فكنت فى نفسى على دين، و كنت ملكا فى قومي لما كان يصنع بى. فلما سمعت برسول الله صلى الله عليه وآله كرهته، فقلت لغلام كان لى عربى، و كان راعيا لابلى: لا أبأ لك أعدد لى من إبلى أجمالا ذللا سمانا، فاحتبسها قريبا منى، فاذا سمعت بجيش لمحمد قد وطىء هذه البلاد فأذنى؛ ففعل؛ ثم أنه أتانى ذات غداة، فقال: يا عدى ما كنت صانعا اذا غشيتك خيل محمّد، فأصنعه الآن، فانى قد رأيت رايات، فسألت

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٤٨

عنها، فقالوا: هذه جيوش محمّد. قال: فقلت: فقرب إلى أجمالى فقربها، فاحتملت بأهلى و ولدى، ثم قلت: ألحق بأهل دينى من النصرارى بالشام فسلكت الجوشية «١» و قد تركت أختى فى قومي.

(١) ثم تغزو خيل رسول الله صلى الله عليه وآله و آله قومي فتصيب (اختى) ابنه حاتم فيمن أصابت، فقدم بها على رسول الله صلى الله عليه وآله و آله فى سبايا من طى، و قد بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله و آله هربى الى الشام.

فجعلت ابنه حاتم فى حظيرة باب المسجد كانت السبايا يحسن فيه، فمرّ بها رسول الله صلى الله عليه وآله و آله فقامت إليه اختى و كانت امرأة جزلة، فقالت:

يا رسول الله هللك الوالد، و غاب الوافد، فامنن على من الله عليك.

قال: و من وافدك؟

فقالت: عدى بن حاتم.

قال: الفار من الله و رسوله؟

(٢) ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وآله و آله و تركنى حتى إذا كان من الغد مرّ بى، فقلت له مثل ذلك، و قال لى مثل ما قال بالأمس، حتى إذا كان من الغد مرّ بى و قد يئست منه، فإشار إلى رجل من خلفه أن قومي فكلميه، فقامت إليه، و قالت: يا رسول الله هللك الوالد، و غاب الوافد، فامنن على من الله عليك، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله و آله:

«قد فعلت فلا تعجلى بخروج حتى تجدى من قومك من يكون لك ثقة حتى يبلغك إلى بلادك ثم آذنيى». تقول اختى: فسألت عن الرجل الذى أشار إلى أن أكلمه فقيل: على بن أبى طالب رضوان الله عليه. (٣) ثم إن اختى أقامت حتى قدم ركب من بلوى او قضاة قالت: و أنما اريد أن

(١) الجوشية: جبل للضباب قرب ضريه. من أرض نجد.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٤٩

أتى أخى بالشام. قالت: فجئت رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت:

يا رسول الله قد قدم رهط من قومي لى فيهم ثقة و بلاغ.

قالت: فكسانى رسول الله صلى الله عليه وآله و حملنى، و اعطانى نفقة، فخرجت معهم حتى قدمت الشام.

(١) قال عدى: فو الله إنى لقاعد فى أهلى إذ نظرت إلى ظعينة (و هى المرأة فى هودجها) تصوب إلى تؤمنا قال: فقلت ابنة حاتم، قال:

فإذا هى هى، فلما وقفت على أخذت فى اللوم تقول: القاطع الظالم، احتملت أهلك و ولدك، و تركت بقيته والدك عورتك.

فقلت: أى أختيه، لا- تقولى إلبا خيرا، فو الله ما لى من عذر، لقد صنعت ما ذكرت، ثم نزلت فاقامت عندى فقلت لها، و كانت امرأة

حازمة: ما ذا ترين فى أمر هذا الرجل؟

قالت: أرى و الله أن تلحق به سريعا، فان يكن الرجل نبيا فللسابق إليه فضله، و ان يكن ملكا فلن تذلل فى عز اليمن، و أنت أنت. فقلت:

و الله إن هذا رأى.

(٢) قال عدى: فخرجت حتى أقدم على رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة فدخلت عليه، و هو فى مسجده، فسلمت عليه، فقال:

من الرجل؟ فقلت: عدى بن حاتم، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله فاناطلق بى إلى بيته، فو الله إنه لعامد بى إليه، إذ لقيته امرأة

ضعيفة كبيرة فاستوقفتها، فوقف لها طويلا تكلمه فى حاجتها. فقلت فى نفسى: و الله ما هذا بملك.

ثم مضى بى رسول الله صلى الله عليه وآله حتى إذا دخل بى بيته تناول و سادة من آدم محشوة ليفا فقدفها إلى، فقال: اجلس على

هذه، فقلت: بل أنت فاجلس عليها فقال: بل أنت، فجلست عليها، و جلس رسول الله صلى الله عليه وآله بالأرض (و هو عظيم

الحجاز) فقلت فى نفسى: و الله ما هذا بأمر ملك ثم قال: إيه يا عدى بن حاتم، ألم تك ركوسيا (و هو دين بين دين النصارى

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٥٠

و الصابئين؟)

قلت: بلى.

قال: أولم تكن تسير فى قومك بالمرباع؟

قلت: بلى.

قال: فان ذلك لم يحل لك فى دينك.

(١) قلت: أجل و الله، و عرفت أنه نبى مرسل، يعلم ما يجهل، ثم قال: لعلك يا عدى إنما يمنعك من دخول فى هذا الدين ما ترى من

حاجتهم، فو الله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه، و لعلك إنما يمنعك من دخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم

و قلته عدوهم، فو الله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت، لا تخاف، و لعلك إنما يمنعك

من دخول فيه أنك ترى أن الملك و السلطان فى غيرهم و أيم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت

عليهم.

قال عدى: فاسلمت.

و كان عدى يقول: قد مضت اثنتان و بقيت الثالثة و الله لتكونن، قد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت، و قد رأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لا تخاف حتى تحج هذا البيت، و أيم الله لتكونن الثالثة، ليفيضن المال حتى لا يوجد من يأخذه «١».

(٢) و لقد نقل العلامة الطبرسي في تفسير قوله تعالى: «اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَ رُهَبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ» «٢» اللقاء الذى تم بين عدى و رسول الله صلى الله عليه و آله و يقول: قال عدى انتهيت إلى رسول الله و هو يقرأ من سورة البراءة هذه الآية (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ ...) حتى فرغ منها،

(١) المغازى: ج ٢ ص ٩٨٨ و ٩٨٩، السيرة النبوية: ج ٢ ص ٥٧٨-٥٨١، الدرجات الرفيعة فى طبقات الشيعة الامامية: ص ٣٥٢-٣٥٤، امتاع الاسماع: ج ١ ص ٤٤٥.

(٢) التوبة: ٣١.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٥١

فقلت له: انا لسنا نعبدهم، فقال: أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، و يحلون ما حرم الله فتستحلونه، فقلت: بلى، قال: فتلك عبادتهم «١».

(١) مجمع البيان: ج ٣ ص ٢٤.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٥٢.

(١)

٥٤ غزوة تبوك

إشارة

كانت القلعة القويّة، الرفيعة الجدران المقامة عند عين ماء على الشريط الحدودى السورى فى طريق «حجر» و «الشام» تسمى تبوكا. و كانت سورية آنذاك من مستعمرات إمبراطورية الروم الشرقية، التى كان عاصمتها القسطنطينية.

و كان جميع سكان المناطق الحدودية للشام نصارى على دين المسيح عيسى بن مريم عليه السلام و كان أكثر زعمائها ولاة منصوبين من قبل حاكم الشام الذى كان يمثّل هو بدوره إمبراطور الروم، و يمثّل أوامره.

و لقد كان لانتشار الاسلام السريع فى شبه الجزيرة العربية و فتوحات المسلمين المشرقة فى الحجاز صداه فى خارج الحجاز ينعكس بالوسائل الموجودة فى ذلك اليوم، و كان ذلك يربح الأعداء، و يدفعهم إلى التفكير فى حيلة.

(٢) و لقد دفع سقوط حكومة «مكة» الوثنية، و اعتناق زعماء الحجاز الكبار للدين الاسلامى، و بطولات جنود الاسلام الباهرة و بسالتهم و تفانيهم الفريد فى طريق عقيدتهم، بامبراطور الروم إلى أن يحشد جموعا كبيرة، و يتهيأ لمهاجمة المسلمين و غزوهم بغتة، لأنه كان يرى تزلزل سلطانه مع انتشار الاسلام المطرد، و كانت مخاوفه تزداد يوما بعد يوم و هو يرى تعاظم القوة الاسلامية العسكرية، و انتشار نفوذه السياسى.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٥٣.

(١) كانت الروم- آنذاك- المنافسة الوحيدة، و القوية لإيران، و كانت تملك أعظم قوة عسكرية، و كانت مغترة أشد الغرور بنفسها، لما أصابته من فتوحات و انتصارات فى معاركها الكبرى مع إيران، و ما ألحقته من هزائم نكراء بإيران فى تلك العصور.

وقد كان جيش الروم يتألف من أربعين ألف فارس و راجل، و كان مجهّزا بأحدث أسلحة و تجهيزات ذلك العصر، و قد استقرّ هذا الجيش على الشريط الحدودي لأرض الشام، و التحقت به قبائل عديدة تسكن الحدود مثل قبيلة «لخم» «عاملة» «غسان» «جذام»، و تقدمت طلائع ذلك الجيش حتى منطقة «البلقاء».

(٢) و لقد بلغ نبأ استقرار فريق من جنود الروم على الشريط الحدودي للشام إلى مسامع النبي صلى الله عليه وآله عن طريق القوافل التجارية التي تعمل على طريق الحجاز- الشام فلم ير رسول الله صلى الله عليه وآله بدّا من أن يردّ على هؤلاء المعتدين، بجيش عظيم، و يحافظ بذلك على الدين الذي قام بفضل الدماء الزكية التي اريقت من أصحابه، و بفضل تضحياته هو صلى الله عليه وآله و هو الآن على أبواب أن يعمّ العالم نوره و هداه، من ضربات العدو المفاجئة.

و لقد بلغ هذا الخبر المقلق أهل المدينة، و أمر رسول الله صلى الله عليه وآله أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم، و الناس في زمان عسرة، و شدة من الحرّ، و جذب من البلاد، و قد طابت الثمار، و الناس يحبّون المقام في ثمارهم و ظلالهم، و يكرهون الشخوص على الحال من الزمان الذي هم عليه.

و لكن الدوافع المعنوية، و روح الحفاظ على الأهداف المقدّسة، و الجهاد في سبيل الله مقدّم- عند عباد الله المؤمنين الصالحين- على كل تلك الامور.

(٣)

تعبئة المقاتلين و تهيئة نفقات الحرب:

كان رسول الله صلى الله عليه وآله يعرف على نحو الاجمال مدى و حجم

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٥٤

استعدادات العدو، و طاقاته، و قدرته على القتال.

من هنا كان مطمئنا إلى أن الانتصار في هذه المعركة بحاجة- مضافا إلى الخلفية المعنوية القوية و هي الايمان بالله و القتال ابتغاء لمرضاته- الى قوة عسكرية كبيرة جدا و لهذا بعث رجالا إلى مكة، و نواحي المدينة يدعون المسلمين إلى المشاركة في الجهاد في سبيل الله، و يحثّون أهل الغنى و الثروة، على تهيئة نفقات الجهاد في سبيل الله من الزكاة.

و أخيرا أعلن ثلاثون ألفا من المسلمين استعدادهم للمشاركة في هذه الغزوة و اجتمعوا في معسكر عند «ثنية الوداع» و تهيأ قدر كبير من نفقات القتال عن طريق الزكاة، و كان الجيش الاسلامي يتألف من عشرة آلاف فارس، و عشرين الف راجل.

و قد أمر رسول الله صلى الله عليه وآله أن تتخذ كل قبيلة راية لنفسها.

(١)

المتخلفون عن القتال:

كانت غزوة «تبوك» خير محك لمعرفة المجاهدين الصادقين و تمييزهم عن غير الصادقين من ادعياء الايمان و المنافقين لأن التعبئة العامة لهذه الغزوة اعلنت في وقت كان الناس يستعدّون فيه للحصاد من جهة، و كان الحرّ على أشده من ناحية اخرى، فكشف تخلف البعض- بالأعدار و الحجج المختلفة- القناع عن وجههم الحقيقي و نزلت آيات في ذمهم جميعها في سورة البراءة.

لقد تخلف البعض عن المشاركة في هذه الغزوة لاسباب و العلل التالية:

(٢) ١- عند ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله لبيد بن ربيعة، و كان من الشخصيات ذات المكانة الاجتماعية المرموقة:-

«أبا وهب هل لك العام تخرج معنا؟»

فقال: يا رسول الله أو تأذن لي، ولا تفتني «١» فوالله لقد عرف قومي ما أحد

(١) أى أخشى الافتتان ببنات الروم فلا تفتني بهنّ يا رسول الله.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٥٥

اشدّ عجباً بالنساء منى، وانى لأخشى إن رأيت بنات بنى الأصفر (الروم) لا أصبر عليهنّ.

فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وآله بعد أن سمع منه ذلك العذر الصياني، وقد نزل فيه قول الله تعالى:

«وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ» «١».

(١) ٢- المنافقون: إن جماعة ممن تظاهروا بالإسلام والإيمان وهم منه خلوا، أخذوا يتبطون الناس عن رسول الله صلى الله عليه وآله

فى غزوة تبوك، وربما تحججوا بشدة الحرّ فقالوا: يغزو محمّد بنى الأصفر مع جهد الحال و الحرّ، و البلد البعيد، إلى ما قبل له به،

يحسب محمّد أن قتال بنى الاصفر اللعب، فنزل فيهم قول الله تعالى:

«وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكِوْا كَثِيرًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» «٢».

وقد كان بعض المنافقين يخوفون المسلمين من المشاركة فى هذه الغزوة، و كانوا يقولون فى هذا الصدد: تحسبون قتال بنى الأصفر

كقتال غيرهم، و الله لكأننا بكم غدا مقرّنين فى الجبال؟! «٣».

(٢)

اكتشاف شبكة جاسوسية فى المدينة:

كان رسول الله صلى الله عليه وآله كما أسلفنا يولى مسألة تحصيل المعلومات عن العدو و تحركاته اهتماما كبيرا، و كان اكثر

انتصاراته تعود إلى حسن استخدامه لهذه الوسيلة و بالتالى لمعرفة الدقيقة بتحركات العدو و نشاطاته، و على

(١) التوبة: ٤٩.

(٢) التوبة: ٨١ و ٨٢.

(٣) امتاع الاسماع: ج ١ ص ٤٥٠.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٥٦

هذا الاساس كان يقضى على الكثير من المؤامرات فى مهدها.

(١) و لقد بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله أن ناسا من المنافقين يجتمعون فى بيت «سويلم» اليهودى، و يخططون لتثيبت المسلمين

عن رسول الله صلى الله عليه وآله فى هذه الغزوة، فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله «طلحة بن عبيد الله» فى نفر من أصحابه

لإرهاب اولئك المتآمرين حتى يكفوا عن التآمر، و أمره بأن يحرق عليهم بيت «سويلم». ففعل طلحة ذلك إذ اقتحم البيت بغته، و هم

يخططون، و يدبرون مؤامرة، و احرق البيت، ففروا وسط أسنة اللهب، و أعمدة الدخان، و افلتوا، و انكسرت رجل أحدهم حين الفرار.

وقد كان هذا الاجراء مفيدا فى ردع المنافقين المشاغبين عن العودة إلى مثلها حتى قال أحد رءوسهم و هو «الضحّاك بن خليفة»:

كادت و بيت الله نار محمّد يشيط بها الضحّاك و ابن أبيرق

و ظلت و قد طبقت كبس سويلم أنوء على رجلى كسيرا و مرفقى

سلام عليكم لا أعود لمثلها أخاف و من تشمل به النار يحرق «١» (٢) ٣- البكاءون: لقد أتى رجال من المسلمين رسول الله صلى الله

عليه و آله كانوا يرغبون فى الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وآله إلى هذه الغزوة، و طلبوا منه ما يحملهم عليه من دابة فقد كانوا

أهل حاجة فقراء، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا أجد ما أحملكم عليه».

فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً، ألا يجدوا ما ينفقون.

فاذا كان بين أصحاب النبي صلى الله عليه وآله رجال نافقوا، وتركوا الخروج مع رسول الله متعللين بالأعداء السخيفه، فقد كان إلى جانب ذلك أيضاً من كان يبكي بكاء مرّاً لعدم تمكنه من المشاركة في الجهاد المقدس حتى عرفوا

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٥١٧.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٥٧.

في التاريخ الاسلامي بالكائين، و نزل فيهم قرآن اذ يقول تعالى:

«وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ» (١).

(١) ٤- المتخلفون: ولقد أبطأ بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله عن الخروج، وتخلّفوا لا عن شكّ وارتياب، أو رغبة عن الجهاد في سبيل الله، وقد كانوا أهل صدق لا يتهمون في إسلامهم، إنّما تخلّفوا حتى يلتحقوا بركب النبي صلى الله عليه وآله بعد أن يفرغوا من الحصاد والقطاف وهم (المخلفون) الثلاثة حسب تعبير القرآن الكريم الذين فاتتهم غزوة تبوك، فوبّخهم الله تعالى وعاقبهم على تخلفهم ليكون في ذلك عبرة لمن سواهم كما ستعرف تفصيلاً ذلك عمّا قريب.

(٢) ٥- المجاهدون الصادقون: الذين لبوا نداء رسول الله صلى الله عليه وآله وتهيأوا من فورهم للخروج معه في شوق بالغ، و رغبة عظيمة في الجهاد.

(٣)

عدم مشاركة «عليّ» في غزوة تبوك:

لقد كان من أبرز فضائل عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنه شارك في جميع المعارك، و لازم رسول الله صلى الله عليه وآله في جميع غزواته،- و كان هو حامل لوائه في تلك المعارك و الغزوات- ما عدا تبوك حيث بقي في المدينة بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله و لم يشارك في هذا الجهاد المقدس لأن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يدرك جيّداً أن بعض المنافقين و المتربّصين، و المتحينين الفرص من رجال قريش سيستغلّون فرصة غيبة النبي القائد عن المدينة (مركز الدولة الاسلامية) فيثرون فيها فتنة، و يجهزون على الحكومة الاسلامية الفتية بانقلاب أو ما شابه ذلك، و أن مثل هذه الفرصة انما تسنح لهم إذا قصد رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) التوبة: ٩٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٥٨.

الله عليه وآله مكانا نائياً، و انقطع ارتباطه بعاصمة الاسلام (المدينة)!!

(١) و لقد كانت «تبوك» أبعد نقطة خرج إليها رسول الله صلى الله عليه وآله في جميع غزواته، فكان يحسد- بقوة- أن تقوم القوى المضادة للإسلام بقلب الأوضاع في غيابه، و يجمعوا من يروا رأيهم و يذهب مذهبهم من شتى أنحاء الحجاز، و يتحدوا لضرب الدولة الاسلامية و القضاء عليها من الداخل.

و لهذا- رغم أنه استخلف «محمد بن مسلمة» على المدينة- قال للامام «علي بن أبي طالب»:

«أنت خليفتي في أهل بيتي و دار هجرتي و قومي.

يا علي إن المدينة لا تصلح إلّا بي و بك».

(٢) و لقد أزعج بقاء علي عليه السّلام في المدينة، المنافقين الذين كانوا يترّبصون بالاسلام الدوائر، و يتحينون الفرصة، و يفكرون في انقلاب في غيبة النبي صلى الله عليه و آله لأنهم كانوا يعرفون أنهم لن يعودوا يستطيعون مع وجود علي عليه السّلام في المدينة، و مراقبته الدقيقة لتحركاتهم و نشاطاتهم فعل أي شيء ممّا كانوا ينوون القيام به، و لهذا أرجفوا به، و بثّوا شائعات خبيثة حوله، بغية إجباره على مغادرة المدينة فقالوا: ما خلف رسول الله صلى الله عليه و آله عليا إلّا استثقالا له، و تخففا منه، أو: أن رسول الله صلى الله عليه و آله دعاه إلى الخروج لتبوك، و لكن عليا امتنع من الخروج بحجة الحرّ الشديد، و بعد الطريق و إثارة للدعة و الراحة و الرفاهية!!

(٣) و لإبطال هذه الشائعة الخبيثة، و تكذيب هذا الكلام، أخذ علي عليه السّلام سلاحه، و خرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه و آله و هو نازل بالجرف (و هو موضع على ثلاثة أميال من المدينة) فقال:

«يا نبي الله، زعم المنافقون أنك إنما خلفتني أنك استثقتني و تخففت منّي».

فقال رسول الله صلى الله عليه و آله حينئذ كلمته التاريخيه الخالده التي تعتبر

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٥٩

من أبرز الأدلة و أقواها و أوضحها على إمامه علي بن أبي طالب عليه السلام و خلافته بعد رسول الله صلى الله عليه و آله بلا فصل:

«كذبوا، و لكنني خلفتك لما تركت ورائي فارجع فاخلفني في أهلي و أهللك أ فلا ترضى يا علي أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدى» (١).

فرجع علي عليه السلام الى المدينة المنورة، و مضى رسول الله صلى الله عليه و آله على سفره (٢).

(١)

جيش الاسلام يتحرك نحو تبوك:

لقد دأب رسول الله صلى الله عليه و آله إذ خرج لتأديب قوم يكيّدون بالاسلام، و يمنعون من تقدمه و انتشاره أو يقصدون الهجوم على المدينة و اجتياحها، أو إيجاد فتن فيها، على أن لا يبوح بمقصده و وجهته لجنوده و امراء جيشه، و أن يسير بالجيش في طريق آخر غير الوجه الذي ينويه باطنا، حتى لا يعرف به العدو فيهيأ لمواجهة، و بذلك يتسنى له صلى الله عليه و آله أن يباغت العدو، و يحقق الانتصار الساحق عليه (٣)

غير أن رسول الله صلى الله عليه و آله عدل عن هذه السيرة في قضية غزو الروميين الذين اجتمعوا في حدود الشام و هم يتأهبون للهجوم على عاصمة الاسلام.

فقد بين للناس - منذ أعلن التعبئة العامة- الوجهة التي يقصدها، و كان السرّ في ذلك هو أن يعرف المجاهدون أهمية هذا السفر و صعوبته، و أن يحملوا الزاد الكافي و العدة اللازمة.

(١) امتاع الاسماع: ج ١ ص ٤٤٩ و ٤٥٠.

(٢) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٥٢٠، بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٢٠٧ و ٢٠٨، و للوقوف على دلالة هذا الحديث على امامة امير المؤمنين عليه السلام راجع كتب العقائد و الكلام.

(٣) المغازي: ج ٣ ص ٩٩٠.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٦٠

(١) هذا مضافاً إلى أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان مضطراً - لتقوية الجيش الاسلامي - إلى أن يستعين بقبائل «تميم» و «غطفان» و «طى» التي كانت تسكن في مناطق بعيدة عن المدينة.

وقد عمد رسول الله صلى الله عليه وآله لهذا الغرض إلى مراسلة زعماء تلك القبائل، و ساداتها كما كتب إلى «عتاب بن اسيد» أمير مكة الشاب دعا فيه رجال تلك القبائل، و فتیان مكة إلى المشاركة في هذا الجهاد المقدس «١».

و مثل هذا النوع من الدعوة الصريحة العامة لا ينسجم مع الكتمان و السريّة، لأنه كان لا بدّ أن يخبر صلى الله عليه وآله رؤساء القبائل في هذا الموضوع، و يذكر لهم أهميته، ليحملوا معهم الزاد و العدة اللازمة الكافية.

(٢)

النبي صلى الله عليه وآله يستعرض جيشه:

و لما حان موعد تحرك الجيش استعرض رسول الله صلى الله عليه وآله جيشه في معسكر المدينة العظيم، المؤلف من المؤمنين الفدائيين الغيارى على الإسلام، و الذين فضلوا المشقة و الموت في سبيل الهدف على الاستراحة في الظلال، و التجارة، و كسب المال و اكتناز الثروة، و خرجوا يستقبلون الموت في سبيل الدين بقلوب تفيض إيماناً و يقيناً.

لقد كان هذا المشهد جميلاً و رائعاً جداً، و كان له أثر قوى في نفس المتفرجين.

و في هذه المناسبة ألقى رسول الله صلى الله عليه وآله خطبة مهمة، لتقوية معنويات المجاهدين، قد شرح فيها هدفه من هذه التعبئة العامة الواسعة.

فبعد أن حمد الله و أثنى عليه بما هو أهله قال:

«أيها الناس! أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله و أوثق العرى كلمه

(١) بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٢٤٤.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٦١

التقوى و خير الملل مله إبراهيم عليه السلام و خير السنن سنن محمد و أشرف الحديث ذكر الله و أحسن القصص هذا القرآن و خير الامور عواقبها و شرّ الامور محدثاتها و أحسن الهدى هدى الأنبياء و أشرف القتل قتل الشهداء.

إلى آخر الخطبة التي وردت بكاملها في المصادر التاريخية و التي ادرج فيها مجموعة كبرى و هامة من التعاليم الاسلامية الهامة فرغب الناس في الجهاد لما سمعوا هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله «١» ثم أصدر رسول الله أوامره للجنود بالتوجه الى ثغور الشام من الطريق الذي عينه رسول الله صلى الله عليه وآله.

(١)

قصة مالك بن قيس:

رجع مالك بن قيس «ابو خيثمة» بعد أن سار رسول الله صلى الله عليه وآله أياماً إلى أهله في يوم حار، فوجد المدينة فارغة، و عرف بمسير جنود الإسلام ثم دخل في عريش له، فوجد امرأتين له قد رشّتا الماء في العريش، و بردّتا له ماء، و هيأتا له طعاماً، فلما دخل قام على باب العريش، فنظر إلى امرأته، و ما صنعتا له، و فكّر في ما فيه رسول الله صلى الله عليه وآله و أصحابه من الحال، و قد انطلقوا إلى جهاد العدو في شدة الحرّ فقال: رسول الله صلى الله عليه وآله في الشمس و الريح و الحرّ، و أبو خيثمة في ظل بارد، و طعام

مهيتاً، و امرأة حسناء في ماله مقيم؟

ما هذا بالنصف.

ثم قال: لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه المجاهدين فهيتا لي زادا، ففعلنا ثم قدم بعيره فارتحل، ثم خرج في طلب رسول الله صلى الله عليه وآله حتى أدركه حين نزل تبوك، وقد لقي في أثناء الطريق أبا خيثمة «عمير بن وهيب الجمحي» وهو يطلب رسول الله صلى الله عليه وآله «٢».

(١) المغازي: ج ٢ ص ١٠١٦ بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٢١٠-٢١٢.

(٢) السيرة النبوية: ج ١ ص ٥٢٠ وقد ذكر الواقدي هذه القصة باختلاف يسير ونسبها الى عبد الله بن خيثمة.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٦٢

(١) لقد كان هذا الرجل ممن لم يوفق - في بدايته الامر - لمرافقه رسول الله صلى الله عليه وآله إلا أنه التحق بركبه المقدس و نال السعادة العظمى بحسن اختياره الذي يستحق الاكبار والتقدير، و لم يكن مثل اولئك الذين طلبتهم السعادة ولكنهم رفضوها، و ابتعدوا عنها، و آثروا البقاء في ضلالهم و شقائهم.

فهذا «عبد الله بن ابي» رئيس المنافقين و كبيرهم الذي عزم على أن يشارك مع رسول الله صلى الله عليه وآله في هذه الغزوة أقام خيمته في معسكر المسلمين، و لكنه لخبث سريره، و عداته الشديد للاسلام و نبيه الكريم صلى الله عليه وآله بدّل رأيه ساعة رحيل الجيش الاسلامي، و عاد الى المدينة مع أصحابه ليقوم بالشغب، و حيث إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان على علم بنفاقه، و خبث سريره و كان يدرك جيدا أن مشاركة هذا العنصر المنافق و جماعته في ذلك الجهاد لن تعود على المسلمين بفائدة، لذلك لم يهتم صلى الله عليه وآله بانفصاله عن الجيش الاسلامي و رجوعه الى المدينة.

(٢)

مصاعب الطريق:

لقد واجه جيش الاسلام في أثناء الطريق متاعب و مشاق كثيرة، و لهذا سمى هذا الجيش بجيش «العسرة» و لكن ايمانهم العميق بالله، و حبهم الشديد للهدف المقدس سهّل لهم تلك المصاعب، و هوّن عليهم تلك المشاق، التي استقبلوها بصدور رحبة. و عند ما وصل جيش الاسلام إلى أرض ثمود غطى رسول الله صلى الله عليه وآله وجهه بثوبه، و استحثّ راحلته و مرّ على بيوتهم، و أطلالهم بسرعة و قال لأصحابه:

«لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا إلا و أنتم باكون خوفا أن يصيبكم مثل ما أصابهم».

و هو بذلك يحث أصحابه على التدبر في أحوال من مضى من الاقوام

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٦٣

و الشعوب، و التفكير في مصائرهم و ما آلوا عليه بسبب عتوّهم و عنادهم، و تمزدهم على الحق، فان ضلال الموت التي كانت تخيم على تلك الربوع، و الأطلال الصامتة خير عبرة للاجيال و الاقوام الاخرى.

(١) ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وآله الناس عن أن يشربوا من مائها شيئا، و أن لا يتوضؤوا به للصلاة، و أن لا يحاس به حيس، و لا يطبخ به طعام، و أن العجين الذي عجن به، أو الحيس الذي فعل به يعلف الإبل، و أن الطبيخ الذي طبخ به يلقي، و لا يأكلوا منه شيئا «١».

ففعل الناس ما أمرهم به رسول الله صلى الله عليه وآله ثم ان الناس ارتحلوا من تلك المنطقة حتى إذا مضى من الليل بعضه وصلوا

إلى البئر التي كان يشرب منها ناقة صالح النبي عليه السلام، فنزلوا عليها بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله.

(٢)

تعليمات احتياطية:

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يعرف بالرياح الشديدة والسامة والعواصف القوية التي كانت تهب في تلك الأرض بين الحين والآخر، وتبلغ من الشدة والقوة بحيث ربما تحتمل البعير بصاحبه، وتلقيه في واد آخر. ولهذا أصدر صلى الله عليه وآله إلى أصحابه تعليمات احتياطية مشددة فأمرهم بأن يعقلوا آبالهم ولا يخرج أحد منهم في تلك الليلة وحده، بل يخرج من خبائه مع صاحبه.

وقد اثبت التجارب والاحداث فيما بعد أن التعليمات الاحتياطية النبوية المذكورة كانت مفيدة جدا، لأن شخصين من بنى ساعدة من الذين كانوا في ركب رسول الله صلى الله عليه وآله تجاهلا هذه التعليمات فخرجا منفردين من

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٥٢١ و ٥٢٢، السيرة الحلبية: ج ٣ ص ١٣٤ و ١٣٥.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٦٤

خبائهما ليلا، فاختنق أحدهما لشدة الرياح، بينما احتملت الريح الرجل الآخر، وضربت به الجبل، ولما علم رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك انزعج بشدة وقال:

«ألم أنهكم أن يخرج منكم أحد إلّا و معه صاحبه» (١).

(١) هذا وقد استعمل رسول الله صلى الله عليه وآله على حرس العسكر «عباد بن بشر» فكان يطوف في أصحابه على العسكر. ثم اصبح الناس ولا- ماء معهم، وحصل لهم بسبب العطش ما كاد يقطع رقابهم، حتى حمل ذلك بعضهم على نحر إبلهم ليشقوا اكراشها، ويشربوا ماءها، بينما صبر آخرون، وانتظروا حصول الماء على ظمأ شديد، وقلوب ملتهبة عطشا. ولقد أعان الله تعالى الذي كان قد وعد نبيه الكريم بالنصر أصحابه المسلمين الأوفياء، مرة أخرى إذ أرسل سحابة فمطرت حتى ارتوى الناس، واحتملوا ما يحتاجون إليه.

(٢)

علم رسول الله بالمغيبات:

لا- شك في أن في مقدور رسول الله صلى الله عليه وآله أن يطلع على الغيب ممّا يخفى على الناس، ويخبر به كما يصرح القرآن الكريم بذلك، إلّا أنّ هذا العلم لا ريب محدود، ويحتاج إلى تعليم الله سبحانه. يقول تعالى:

«عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ» (٢).

من هنا يمكن أن تخفى على رسول الله صلى الله عليه وآله في بعض الاحياء، أبسط الامور، كأن يفقد مفتاحا، أو يضيع مالا ولا يعرف بمكانه ومصيره، بينما يقدر صلى الله عليه وآله أن يعلم بأخفى الامور الغيبية و اشدها غموضا فيشير حيرة

(١) السيرة الحلبية: ج ٣ ص ١٣٤، السيرة النبوية: ج ٢ ص ٥٢٢.

(٢) الجن: ٢٦ و ٢٧.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٦٥

الناس ودهشتهم و عجبهم.

و السبب في كل ذلك هو ما ذكرناه، فان مشيئة الله سبحانه لو تعلقت بأن يعلم نبيه بشيء من عالم الغيب و يخبر به علم و أخبر، و إلاً كان صلى الله عليه و آله كغيره من أفراد البشر العاديين.

و في ضوء هذا البيان لا بد أن ننظر الى القصة التالية:

(١) لما كان رسول الله صلى الله عليه و آله ببعض الطريق إلى تبوك ضلّت ناقته، فخرج أصحابه في طلبها، فقام أحد المنافقين، و قال: أليس محمّد يزعم أنه نبي، و يخبركم عن خبر السماء، و هو لا يدري أين ناقته؟ فقال رسول الله صلى الله عليه و آله و هو يكشف النقاب ببيانه الرائع:

«إن رجلاً قال: هذا محمّد يخبركم أنه نبيّ و يزعم أنه يخبركم بأمر السماء، و هو لا يدري أين ناقته؟ و إني و الله ما أعلم إلا ما علمني الله، و قد دلّني الله عليها و هي في هذا الوادي في شعب كذا و كذا و قد حبستها شجرة بزمامها فانطلقوا حتى تأتونى بها.»

(٢)

إخباره بمغيب آخر:

لقد تخلف أبو ذر عن رسول الله صلى الله عليه و آله إذ أبطأ به بعيره، فانتظره المسلمون ريثما يقوم بعيره، و لكن دون جدوى فترك أبو ذر البعير، و أخذ متاعه فحملة على ظهره ثم خرج يتبع أثر رسول الله صلى الله عليه و آله ماشياً، و نزل رسول الله صلى الله عليه و آله في بعض منازلهم و نزل المسلمون ليستريحوا فيه بعض الوقت، و فجأة لاح من بعيد رجل، فلما نظر إليه ناظر من المسلمين قال:

يا رسول الله هو و الله أبو ذر، فقال رسول الله صلى الله عليه و آله:

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٥٢٣، امتاع الاسماع: ج ١ ص ٤٥٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٦٦

«رحم الله أبا ذر يمشى وحده و يموت وحده و يبعث وحده» (١).

(١) و قد كشف المستقبل عن صحة هذه النبوءة، فقد توفي أبو ذر في صحراء «الربذة»، و عنده ابنته بعيدا عن الناس في حالة مأساوية (٢).

لقد تحققت نبوءة رسول الله صلى الله عليه و آله في معركة تبوك بعد ثلاثة و عشرين عاماً، فقد نفى هذا الصحابي المجاهد الصادق إلى الشام ثم إلى الربذة لا لشيء إلا لأنه جهر بالحق، و طالب بالعدل، و فقد قواه و طاقاته البدنية شيئاً فشيئاً حتى غدى طريح الفراش، في تلك المنطقة الوعرة.

و فيما كان يمضى الدقائق الاخيرة من حياته الحافلة بالاحداث و التطورات، و امرأته جالسة عنده ترمق محياه المشرق المتعب و قد عرق جبينه، و هي تمسح بيدها العرق و تبكي قال لها: ما يبكيك؟

فقالت: أبكى أنه لا يد لي بتغيبك (أى ليس لي من يعينى على دفنك، أ و ليس عندي ثوب يسعك كفناً)!

فارتسمت على شفتي أبي ذر ابتسامه مرّة و قال: لا تبكي عليّ، فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله ذات يوم و أنا عنده في نفر يقول: ليموتنّ رجل منكم بفلاة من الأرض تشهده عصابه من المؤمنين (ثم قال: فكلّ من كان معي في ذلك المجلس مات في جماعة و قرية، فلم يبق منهم غيري، و قد أصبحت بالفلاة أموت فراقبي الطريق، فانك سوف ترين ما أقول لك فاني و الله ما كذبت و لا كذبت.

قال هذا وفاضت روحه المباركة (٣).

(٢) ولقد صدق أبو ذر، فقد كانت ثمة قافلة من المسلمين تضم شخصيات

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٥٢٥.

(٢) المغازي: ج ٣ ص ١٠٠٠ و ١٠٠١.

(٣) اسد الغابة: ج ١ ص ٣٠٢، الطبقات الكبرى: ج ٤ ص ٢٢٣، حلية الاولياء: ج ١ ص ٣٠٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٦٧

كبرى مثل «عبد الله بن مسعود» و «حجر بن عدي» و «مالك الاشر» تتقدم نحو تلك المنطقة.

رأى «عبد الله» من بعيد مشهدا عجيبا ... مشهد جسد بلا روح على قارعة الطريق، وعند ذلك الجسد امرأة و صبى و هما يبكيان.

فعطف «عبد الله» زمام راحلته نحو ذينك الشخصين و تبعه من معه فى القافلة أيضا، و ما أن وقعت عينا عبد الله على ذلك الجسد

حتى عرف صاحبه، فهذا هو رفيقه و أخوه فى الاسلام أبو ذر!!

فاغرورقت عيناه بالدموع، و وقف عند جثمان أبى ذر، و تذكر نبوءة رسول الاسلام صلى الله عليه و آله فى غزوة تبوك و قال: رحم

الله أبا ذر يمشى وحده، و يموت وحده، و يبعث وحده».

(١) ثم صلى ابن مسعود على أبى ذر، ثم واره الثرى، و بعد أن فرغ من دفنه، وقف مالك الاشر عند قبره و قال:

اللهم إن هذا صاحب رسول الله صلى الله عليه و آله عبدك فى العابدين، و جاهد فيك المشركين، لم يغير و لم يبدل لكنه رأى

غريبا منكرا فغيره بلسانه و قلبه، حتى جفى و نفى و حرم و احتقر ثم مات وحيدا غريبا «١».

و قد اشار السبكي فى ابيات له إلى هذا كما فى السيرة الحلبية:

و عاش أبو ذر كما قلت وحده و مات وحيدا فى بلاد بعيدة

(١) ذكر المؤرخون قصة وفاة أبى ذر و دفنه بصور مختلفة، فيستفاد من بعض المصادر التاريخية أن أبى ذر كان على قيد الحياة عند ما

قدمت القافلة المذكورة و تحدث مع رجالها، و لكن بعض المصادر الاخرى تنص على أنه مات قبل قدوم تلك القافلة الى تلك

المنطقة كما أنه صرح البعض أن زوجة أبى ذر و ابنه حملا- جثمانه إلى قارعة الطرق بينما قال آخرون أن زوجته و ابنه جلسا على

قارعة الطريق و دلا القافلة على محل جثمانه الطاهر، راجع للوقوف على ذلك الطبقات الكبرى:

ج ٤ ص ٣٤-٣٣٢، و الدرجات الرفيعة: ص ٥٣.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٦٨

(١)

جيش الإسلام فى أرض تبوك:

حلّ جيش التوحيد فى مطلع شهر شعبان سنة تسع من الهجرة فى أرض تبوك، و لكن دون أن يرى أثرا عن جيش الروم، و كأنّ جنود

الروم لمّا علموا بكثرة جنود الاسلام، و بشهامتهم و تضحياتهم النادرة التى شهدوا نموذجا منها عن كذب فى معركة «موتة» رأوا من

الصالح ان ينسحبوا إلى داخل بلادهم و لا يواجهوا المسلمين، و يثبتوا بذلك عمليا نأ اجتماعهم ضدّ المسلمين، و يتظاهروا بأنه لم

تراودهم فكرة الهجوم على المسلمين قط، و أن هذا النبأ لم يكن إلّا شائعة لا أكثر، فيثبتوا من هذا الطريق حيادهم بالنسبة للحوادث و

الوقائع التى تحدث فى الجزيرة العربية «١».

(٢) في هذه اللحظة جمع رسول الاسلام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَادَةَ جَيْشِهِ الْكَبَارِ، وَتَبَعًا لِلْأَصْلِ الْإِسْلَامِيِّ «وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ» تَحَادِثَ مَعَهُمْ حَوْلَ التَّقَدُّمِ فِي أَرْضِ الْعَدُوِّ أَوْ الرَّجُوعِ إِلَى الْمَدِينَةِ وَشَاوَرَهُمْ فِي ذَلِكَ.

فَكَانَتْ نَتِيجَةُ التَّشَاوُرِ هِيَ أَنَّ عَلَى الْجَيْشِ الْإِسْلَامِيِّ الَّذِي تَحْمَلُ مَشَاقَ كَثِيرَةً فِي هَذِهِ السَّفَرَةِ، أَنْ يَعُودَ إِلَى الْمَدِينَةِ، لِيَسْتَعِيدَ نَشَاطَهُ، وَ قَوَاهِ، هَذَا مِضَافًا إِلَى أَنَّ الْمُسْلِمِينَ حَقَّقُوا هَدْفَهُمُ السَّامِيَ مِنْ هَذِهِ السَّفَرَةِ وَهُوَ تَفْرِيقَ جَيْشِ الرُّومِ وَتَبْدِيدَ اجْتِمَاعِهِمْ بَعْدَ الْقَاءِ الرَّعْبِ الشَّدِيدِ فِي قُلُوبِهِمْ، وَقَدْ بَقِيَ هَذَا الرَّعْبُ فِي قُلُوبِ الرُّومِيِّينَ إِلَى مَدَّةٍ مَدِيدَةٍ بِحَيْثُ يَصْرَفُهُمْ عَنْ فِكْرَةِ تَسْيِيرِ جَيْشٍ لِلْهَجُومِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَهَذَا الْقَدْرُ مِنَ النَّتِيجَةِ الَّتِي مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تَضْمَنَ أَمْنُ الْحِجَازِ مِنْ نَاحِيَةِ الشَّمَالِ رَدْحًا مِنَ الزَّمَنِ تَكْفِيًا لِلْمُسْلِمِينَ فَعَلَا حَتَّى يَقْضَى اللَّهُ مَا يَقْضَى فِي الْمُسْتَقْبَلِ.

(١) يَكْتُبُ الْوَاقِدِيُّ فِي الْمَغَازِي: ج ٣ ص ١٠١٤ وَ ١٠١٥ أَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ بِتَبُوكَ عَشْرِينَ لَيْلَةً وَهَكَذَا يَقُولُ: إِنْ النَّبِيَّ بَعْدَ أَنْ صَلَّى الْفَجْرَ ذَاتَ يَوْمٍ جَمَعَ النَّاسَ، فَخَطَبَ فِيهِمْ خُطْبَةً بَلِيغَةً ضَمَّنَهَا مَوَاعِظَ وَتَعَالِيمَ عَظِيمَةً كَثِيرَةً ثُمَّ أَدْرَجَ نَصَّ الْخُطْبَةِ.

سَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ، ج ٢، ص: ٥٦٩

(١) وَ لَقَدْ أَضَافَ كِبَارُ الْمَشِيرِينَ - حَفَازًا عَلَى مَكَانَةِ الرَّسُولِ الْقَائِدِ، وَ إِشْعَارًا بِأَنَّ رَأْيَهُمْ هَذَا قَابِلٌ لِلْأَخْذِ وَ الرَّدِّ - قَائِلِينَ: إِنْ كُنْتُ أَمَرْتُ بِالسَّيْرِ فَسِرْ «١».

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ:

«لَوْ أَمَرْتُ بِهِ مَا اسْتَشَرْتُكُمْ فِيهِ».

وَ هَكَذَا أَحْرَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ آرَاءَ مَشَاوِرِيهِ وَ رَضِيَ بِالْعُودَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ «٢».

وَ حَيْثُ كَانَ هُنَاكَ حُكَّامٌ وَ وِلَاةٌ يَعِيشُونَ فِي الْمَنَاطِقِ الْحُدُودِيَّةِ السُّورِيَّةِ وَ الْحِجَازِيَّةِ لَهُمْ نَفُوذٌ كَبِيرٌ فِي قِبَائِلِهِمْ وَ مَنَاطِقِهِمْ، وَ كَانُوا جَمِيعًا نِصَارِيًّا، وَ لِهَذَا كَانَ مِنَ الْمَحْتَمَلِ بِقُوَّةٍ أَنْ يَسْتَغْلِ الرُّومُ قَوَاهِمَ ضِدِّ الْإِسْلَامِ، وَ يَحْمِلُوا بِمُسَاعَدَتِهِمْ عَلَى الْحِجَازِ.

(٢) وَ لِهَذَا كَانَ يَتَعَيَّنُ أَنْ يَعْقِدَ مَعَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَعَاهِدَةً عَدَمِ اعْتِدَاءٍ، لِأَمْنِ جَانِبِهِمْ وَ يَحْصُلَ عَلَى أَمْنٍ أَوْسَعٍ، فَأَجْرَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ اتِّصَالَاتٍ مَبَاشِرَةً مَعَ أَوْلِيَاءِ الْحُكْمِ وَ الْوِلَاةِ الَّذِينَ كَانُوا يَعِيشُونَ عَلَى الشَّرِيطِ الْحُدُودِيِّ عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنْ تَبُوكَ وَ عَقَدَ مَعَهُمْ مَعَاهِدَاتٍ عَدَمِ تَعَرُّضٍ وَ اعْتِدَاءٍ بِشُرُوطٍ خَاصَّةٍ كَمَا أُرْسِلَ مَجْمُوعَاتٌ إِلَى النِّقَاطِ النَّائِيَةِ عَنْ تَبُوكَ لِيَحْقُقَ بِذَلِكَ مَزِيدًا مِنَ الْأَمْنِ لِلْمُسْلِمِينَ.

لَقَدْ اتَّصَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ شَخْصِيًّا بِزَعَمَاءِ «أَيْلَةَ» وَ «أَذْرَحَ» وَ «الْجُرْبَاءِ»، وَ تَمَّ عَقْدُ مَعَاهِدَةٍ عَدَمِ تَعَرُّضٍ وَ اعْتِدَاءٍ بَيْنَ الْجَنْبَيْنِ. وَ «أَيْلَةُ» مَدِينَةٌ سَاحِلِيَّةٌ تَقَعُ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ، وَ لَا تَبْعُدُ عَنِ الشَّامِ كَثِيرًا، وَ كَانَ زَعِيمُ تَلْكَ الْمَنْطِقَةِ هُوَ «يُوحَنَّا بْنُ رُوْبَةَ»، فَهُوَ يَوْمَ اتَى بِهِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ عَلَيْهِ صَلَيبٌ مِنْ ذَهَبٍ عَلَى عَادَةِ النَّصَارِيِّ، قَدَّمَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

(١) الْمَغَازِي: ج ٣ ص ١٠١٩.

(٢) السِّيْرَةُ الْحَلَبِيَّةُ: ج ٣ ص ١٤٢.

سَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ، ج ٢، ص: ٥٧٠

وَ آلِهِ فَرَسًا أَيْضًا، وَ أَعْلَنَ عَنِ طَاعَتِهِ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَاحْتَرَمَهُ النَّبِيُّ وَ أَكْرَمَهُ، وَ صَالَحَهُ، وَ كَسَاهُ بَرْدًا يَمِينًا.

(١) وَ قَدْ قَبِلَ «يُوحَنَّا» هَذَا أَنْ يَبْقَى عَلَى نِصْرَانِيَّتِهِ شَرِيطَةً أَنْ يَدْفَعَ لِلنَّبِيِّ جَزِيَّةً قَدْرُهَا ثَلَاثُمِائَةُ دِينَارٍ سَنَوِيًّا وَ عَلَى أَنْ يَحْسَنَ إِلَى مَنْ يَمُرُّ عَلَى أَيْلَةَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَ كَتَبَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كِتَابَ أَمَانٍ وَ قَعَهُ الطَّرْفَانِ، وَ إِلَيْكَ نَصُّ الْكِتَابِ الْمَذْكُورِ:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذَا أَمْنٌ مِنَ اللَّهِ وَ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ رَسُولِ اللَّهِ لِيُوحَنَّا بْنِ رُوْبَةَ وَ أَهْلِ أَيْلَةَ لِسَفْنِهِمْ وَ سَيَارَاتِهِمْ فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ،

لهم ذمة الله و ذمة محمد رسول الله و لمن كان معهم من أهل الشام و أهل اليمن و أهل البحر، و من أحدث حدثا، فانه لا يحول ماله دون نفسه، و أنه طيبة لمن أخذه من الناس و انه لا يحل أن يمنعوا ماء يردونه و لا طريقا يريدونه من برّ و بحر. هذا الكتاب يكشف عن قاعدة مهمّة في السياسة الاسلاميّة و هي أن أيّ شعب أراد أن يسالم المسلمين و فر الاسلام له كل أمن و سلام (١)».

ثم إن رسول الله صلى الله عليه و آله صالح بقیة الحکام الحدوديين مثل سادة أقوام «أذرح» و «جرباء» التي كانت تتمتع باهميّة استراتيجية، و بذلك ضمن أمن المنطقة الاسلاميّة من ناحية الشمال. (٢)

بعث خالد إلى دومة الجندل:

على طريق تبوك كانت تقع منطقة عامرة خضراء ذات أشجار و زروع و مياه جارئة تضم حصنا منيعا، و تبعد عن الشام بما يقرب من خمسين فرسخا، تسمى «دومة الجندل» (٢) و كان يحكمها يومذاك رجل مسيحي يدعى «اكيدر بن

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٥٢٦، السيرة الحلبية: ج ٣ ص ١٤١، بحار الأنوار: ج ٢١ ص ١٦٠.

(٢) يقول الواقدي في المغازي: ج ٣ ص ١٠٢٥ تقع دومة الجندل على عشرة اميال من المدينة.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٧١

عبد الملك».

(١) و حيث أنّ رسول الله صلى الله عليه و آله كان يخشى هجوما آخر من الروم، و الاستعانة بحاكم دومة المسيحي و بهذا يعرضون أمن الحجاز للخطر، لذلك رأى صلى الله عليه و آله أن يستفيد من قوته الحاضرة أكبر قدر ممكن فبعث مجموعة من المقاتلين بقيادة خالد بن الوليد الى المنطقة المذكورة لتطويعها و تطويع حاكمها.

فتوجه خالد مع فرسانه الى دومة الجندل حتى اقتربوا إلى حصنها، و كمنوا قريبا منه.

و في تلك الليلة خرج «اكيدر» و أخوه «حسان» من الحصن و معه نفر من اهل بيته للصيد فلما ابتعدوا عن الحصن حاصرهم خيل خالد و أسروا «اكيدرا» بعد قليل من القتال و المواجهه، و قتل اخوه «حسان» و لجأ البقية إلى الحصن، و اعتصموا به، فصالح خالد «اكيدرا» على أن يطلب له و لقومه الأمان من رسول الله صلى الله عليه و آله لقاء أن يفتح أبواب الحصن في وجوه المسلمين و يلقي أهلها الاسلحة.

(٢) فأمر اكيدر الذي كان يثق بصدق المسلمين و احترامهم لوعودهم و عهودهم، أمر قومه أن يفتحوا أبواب الحصن و يسلموا للمسلمين، و يلقيوا اسلحتهم و يتركوا القتال، و كانت الاسلحة تبلغ أربعمائه درع، و أربعمائه رمح و خمسماية سيف ثم توجه خالد باكيدر و قومه و ما حصل عليه من الغنائم الى رسول الله صلى الله عليه و آله فخلبت منظر الديباج المخوص بالذهب عيون جماعة من طلاب الدنيا.

فاخذوا يتلمسونه بأيديهم و يتعجبون منه فقال رسول الله صلى الله عليه و آله و هو لا يكترث بتلك الثياب:

«فو الذي بنفسى لمناديل الجنة أحسن من هذا».

لقد حضر «اكيدر» عند رسول الله صلى الله عليه و آله و امتنع عن قبول الاسلام إلا أنه رضى بأن يعطى الجزية للمسلمين، و صالحه النبي صلى الله

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٧٢

عليه وآله على ذلك و كتب له كتابا، ثم أهدى له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هديةً و استعمل على حرسه «عباد بن بشر» ليوصله الى دومة الجندل سالما «١».

(١)

تقييم إجمالى لغزوة تبوك:

إن النبي الاكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ و إن لم يلق في هذا السفر الشاق كيذا و لم يواجه العدو، و لم يقاتل إلّا أن هذه السفره عادت عليه بسلسله من الفوائد المعنوية و الروحية هي:

(٢) أولاً: صعود مكانه و سمعه الجيش الاسلامي، فقد زاد من عظمته و قوته في قلوب سكان الحجاز، و حكام المناطق الحدودية السورية، و عرف الصديق و العدو أن المقدره العسكريه الاسلاميه بلغت من القوة و العظمه بحيث أصبح في مقدورها أن تواجه اكبر القوى العالميه و تقارعها، و تلقى الرعب و الخوف في قلوبها.

إن انتشار هذا الموضوع بين القبائل العربيه التي عجنت جبلتها بروح التمرد و الطغيان أوجب أن تتخلى عن فكرة الطغيان و المعارضه، و التآمر ضد الاسلام ردحا من الزمن، و أن لا تفكر في هذه الامور.

و لهذا السبب أخذت وفود القبائل التي لم تخضع للاسلام حتى ذلك اليوم تفد تباعا على رسول الاسلام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بعد رجوعه من تبوك الى المدينه، و تظهر لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ طاعتها و خضوعها حتى سمي ذلك العام بعام الوفود لضخامة عدد تلك الوفود و البعثات التي قدمت المدينه على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

(٣) ثانياً: ضمن المسلمون عن طريق عقد المعاهدات المختلفه المتعدده مع حكام المناطق الحدودية الحجازية و السورية أمن هذه المنطقه، و اطمأنوا بسببها إلى أنهم سوف لن يتعاونوا مع جيش الروم، و لن يدخلوا مع تلك الدوله في مؤامرة ضد

(١) الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ١٦٦، بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٢٤٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٧٣

الاسلام و المسلمين.

(١) ثالثاً: مهّد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بهذا السفر الشاق الطريق لفتح الشام، فقد عرف قادة جيشه طرق هذه المنطقه و مشاكلها، و علمهم كيفية تجيش الجيوش الكبرى في وجه القوى العظمى في ذلك العصر، من هنا كانت الشام و سوريه هي أوّل منطقه فتحها المسلمون بعد وفاة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

(٢) رابعاً: تميّز المؤمن عن المنافق في هذه التعبه العامه و حصلت عمليه تصفيه و فرز كبيره و عميقه في جماعه المسلمين.

(٣)

المنافقون يخططون لاغتيال النبي:

أقام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مده بضعة عشره يوماً في تبوك «١» و بعد أن بعث خالد إلى «دومة الجندل» توجه بالمسلمين الى المدينه. ولدى العوده تأمر (١٢) منافقا ثمانية منهم من قريش و الباقي من أهل المدينه لاغتيال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في أثناء الطريق و قبل أن يصل إلى المدينه، و ذلك بتنفير ناقه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في عقبه بين المدينه و الشام ليطرحوه في واد كان هناك. و عند ما وصل الجيش الاسلامي إلى بداية تلك المنطقه (العقبه) قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ:

«من شاء منكم أن يأخذ بطن الوادي فإنه أوسع لكم».

(٤) فأخذ الناس بطن الوادي، و لكن رسول الله صلى الله عليه وآله أخذ طريق العقبة فيما يسوق «حذيفة بن اليمان» ناقه النبي، و يقودها «عمار بن ياسر» فينما هم يسيرون إذ التفت رسول الله صلى الله عليه وآله إلى خلفه، فرأى في ضوء

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٥٢٧ و ذهب ابن سعد في الطبقات انه مكث بتبوك عشرين يوما (ج ٢ ص ١٦٨).
سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٧٤

ليله مقمرة فرسانا مثلثمين لحقوا به من ورائه لينفروا به ناقته، و هم يتخافتون، فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله، و صاح بهم و أمر حذيفة أن يضرب وجوه رواحلهم. قائلا: اضرب وجوه رواحلهم.

(١) فأرعبهم رسول الله صلى الله عليه وآله بصياحه بهم إرعابا شديدا، و عرفوا بان رسول الله صلى الله عليه وآله علم بمكرهم و مؤامرتهم، فاسرعوا تاركين العقبة حتى خالطوا الناس.

يقول حذيفة: فعرفتهم برواحلهم و ذكرتهم لرسول الله صلى الله عليه وآله و قلت: يا رسول الله أ لا- تبعث إليهم لتقتلهم؟ فاجابه رسول الله صلى الله عليه وآله في لحن ملؤه الحنان و العاطفة:

«إن الله أمرني أن اعرض عنهم، و اكره أن يقول الناس أنه دعا اناسا من قومه و أصحابه إلى دينه فاستجابوا له فقاتل بهم حتى ظهر على عدوه ثم أقبل عليهم فقتلهم و لكن دعهم يا حذيفة فإن الله لهم بالمرصاد» (١).

و قد أنزل الله سبحانه إثر هذه الحادثة الآية ٦٥ من سورة التوبة التي قال تعالى فيها: «و لئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض و نلعب» (٢).

(٢)

النية تقوم مقام العمل:

ليس ثمة مشهد أعظم جلالا من مشهد جيش فاتح يعود إلى أحضان الوطن، كما ليس هناك أمر ألدّ و أهنأ عند الجندى المجاهد من الغلبة على العدو، التي تحفظ أمجاده، و تضمن بقاء كيانه، و سلامته، و قد تجلّى هذان الأمران عند عودة الجيش الاسلامي المنتصر إلى المدينة.

لقد دخل الجيش الاسلامي الفاتح المدينة بجلال عظيم بعد أن طوى المسافة

(١) المغازي: ج ٣ ص ١٠٤٢-١٠٤٥، مجمع البيان: ج ٣ ص ٤٦ بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٢٤٧، الدرجات الرفيعة: ص ٢٩٨ و ٢٩٩ و امتاع الاسماع: ج ١ ص ٤٧٧.

(٢) راجع مجمع البيان: ج ٣ ص ٤٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٧٥

بين «تبوك» و «المدينة»، و كانت تغمر جنود الاسلام فرحة كبيرة، و تظهر على كلماتهم و أعمالهم أمارات الاعتزاز لما أحرزوه من غلبة على العدو، و من أداء لحق الجندية، و كان السبب واضحا لأنهم أربوا دولة قويّة سبق لها أن هزمت الامبراطورية الايرانية، فهم أخافوا الروم التي انسحبت من تبوك قبل وصول المسلمين إليها، و هم طوّعوا حكام و زعماء المدن و المناطق الحدودية السورية و الحجازية، و أخضعوهم للدولة الاسلامية.

(١) لا شك أن الغلبة على العدو فخر عظيم أصاب هذا الجيش، و كان طبيعيا أن يفتخر أفراد هذا الجيش و يتباهوا على الذين تخلفوا في المدينة من دون عذر، و لكن حيث أن مثل هذا النمط من التفكير و هذه العودة الظاهرة كان من الممكن أن يوجد غرورا لدى

البعض فيسيثوا إلى بعض الذين تخلفوا في المدينة الذين بقوا فيها لعذر و قلوبهم مع جنود الاسلام، و يشار كونهم بافتدتهم في أفراحهم، و أتراحهم لهذا التفت رسول الله صلى الله عليه وآله و هم على مشارف المدينة و قد توقفوا خارج المدينة بعض الوقت: «إنَّ بالمدينة لأقواما ما سرتهم سيرا و لا قطعتم واديا إلَّا كانوا معكم».

قالوا يا رسول الله: و هم بالمدينة؟

قال: «نعم، حسبهم العذر» (١).

أجل أنهم كانوا يتشوقون إلى الجهاد هذا الواجب الاسلامي الكبير، و لكن العذر منعهم من الاشتراك فيه.

(٢) إن النبي الاكرم بهذه العبارة المقتضبة اشار- في الحقيقة- إلى واحد من البرامج الاسلامية التربوية، و ذكر بأن النية الطيبة و الفكر الصالح يقوم مقام العمل الصالح الطيب، و أن الذين يحرمون من القيام بالأعمال الصالحة لافتقادهم القدرة عليها أو فقدان الامكانيات يمكنهم أن يشاركون الآخرين في

(١) السيرة الحلبية: ج ٣ ص ١٦٣، بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٢١٩.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٧٦

ثواب العمل الصالح اذا نوا ذلك، و اشتاقوا إليه قلبيا.

إذا كان الاسلام يهتم باصلاح الظاهر، فانه يهتم أكثر باصلاح القلب و الفكر، باصلاح الباطن و السريرة، لأن اصلاح العقيدة و طريقة التفكير هو منبع جميع الاصلاحات، و أعمالنا كلها وليدة أفكارنا و نوايانا.

إذا خفف النبي الاكرم بقوله هذا من غلواء المجاهدين و غرورهم، و حفظ مكانة المعذورين من المخلفين فلا يلحق بهم هوان إلا أنه قرّر في نفس الوقت أن يوبخ المتخلفين من دون عذر و يلقنهم درسا لن ينسوه، و للنموذج نقل هنا قصة ثلاثة من المتخلفين.

(١)

أخذ المتخلفين بالعقاب النفسى:

يوم اعلن في المدينة عن التعبئة العامة تخلف ثلاثة من المسلمين في المدينة هم: «هلال بن أمية»، و «كعب بن مالك» و «مرارة بن الربيع» فقد حضر هؤلاء عند رسول الله صلى الله عليه وآله لدى خروجه إلى تبوك و اعتذروا إليه بمعاذير عن الاشتراك في الجهاد، فاعتذر أحدهم، بأن الوقت هو وقت إدراك الثمر، و أنهم سيلتحقون بجيش الاسلام إذا فرغوا من الحصاد و القطف.

إن هؤلاء و امثالهم ممن يريدون الدين و الدينار، و تهمهم مصالحهم المادية الشخصية و الاستقلال السياسى معا يعانون من نظرة ضيقة و قصيرة تعادل اللذائذ المادية العابرة بالحياة الانسانية الشريفة، التى تتحقق تحت لواء الاستقلال الفكرى و السياسى و الثقافى، بل ربما رجحوا الاولى على الثانية.

و لهذا كان على النبي صلى الله عليه وآله- بعد العودة- أن يؤدب مثل هذه العناصر حتى لا تسرى عدوى هذه الحالة المرضية إلى الآخرين.

(٢) إنهم لم يتخلفوا عن هذا الجهاد فحسب، بل لم يعملوا بالعهد الذى أعطوه لرسول الله صلى الله عليه وآله أيضا، فإنهم انشغلوا بالتجارة، و جمع المال حتى فوجئوا بعودة رسول الله صلى الله عليه وآله المضطرة إلى المدينة فبادروا عند

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٧٧

ذلك لملاقاة ما بدر منهم من تخلف إلى الحضور عند رسول الله صلى الله عليه وآله للتسليم عليه و تقديم التهانى إليه كما فعل الآخرون.

إلا أن رسول الله صلى الله عليه وآله أعرض بوجهه عنهم و لم يكثر بهم، و عند ما تحدث رسول الله صلى الله عليه وآله بالكلام في ذلك الاجتماع العظيم وسط موجة من الفرح و الابتهاج كان أول ما قاله هو:

«لا تكلمنَّ أحدا من هؤلاء الثلاثة».

(١) و مع أن عدد المتخلفين كان يقارب التسعين شخصا، إلا أن أكثرهم حيث كانوا من المنافقين، و لم يكن يتوقع منهم أن يشاركوا المسلمين في جهاد العدو لهذا تركّز ثقل هذه القطيعة على هؤلاء المسلمين الثلاثة الذين كان بعضهم سبق منه أن اشترك في غزوة بدر مثل «مرارة» و «هلال»، و كانت لهم شخصية و مكانة بين المسلمين!!

و لقد تركت سياسة رسول الله صلى الله عليه وآله الحكيمه التي كانت جزء لا ينفك من دينه أثرا عجيبا، فقد تعطلت التجارة و الأخذ و العطاء مع المتخلفين، و كسدت بضائعهم، و لم يشترها أحد، و قطع أقرب أقرباء المخلفين روابطهم و علاقتهم مع المخلفين المذكورين اتباعا لأوامر النبي صلى الله عليه وآله، و تركوا حتى الحديث العابر معهم.

فعلت مقاطعة الناس للمخلفين فعلتها، و ضغطت عليهم نفسيا بشدة حتى ضاقت عليهم الأرض على رحابتها في نظرهم كما يقول القرآن الكريم.

«حَتَّى إِذَا ضَاقَّتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رُحِبَتْ وَ ضَاقَّتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ» (١).

(٢) و لكن هؤلاء الثلاثة المقرون بفراسه كامله أدركوا أن العيش في البيئه الاسلاميه لا يمكن إلا- بالالتحاق الحقيقي بصفوف المسلمين، و أنه لا دوام لحياة الأقلية الصغيرة أمام الاكثريه القاطعه، و بخاصه اذا كانت الأقلية تتألف من

(١) التوبة: ١١٨، و تذكر التفاسير كيفيه توبتهم و إنابتهم على وجه التفصيل فليراجعها من يريده.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٧٨

جماعه مشاغبه و مغرضه.

هذه المحاسبات من جانب، و الانجذاب الفطري من جانب آخر دفعت بهؤلاء المخلفين إلى العوده إلى حظيره الايمان الواقعي، و أن يظهر ندمهم على فعلهم القبيح بالتوبه الى الله، و الانابه إليه، و قبل الله تعالى توبتهم، و أخبر نبيه الكريم بعفوه عنهم فبادر النبي صلى الله عليه وآله من فوره إلى الاعلان عن عفوه و رفع المقاطعه عنهم (١).

(١)

قصه مسجد الضرار:

كانت «المدينه» و «نجران» تعتبران بالنسبه إلى أهل الكتاب منطقتين واسعتين و مركزيتين في شبه الجزيرة العربيه، فقد كانوا يتمركزون في هاتين المنطقتين اكثر من أى مكان آخر، و لهذا اعتنق فريق من عرب الأوس و الخزرج الدين المسيحي و اليهودي.

و يبدو أن «أبا عامر» و «حنظله غسيل الملائكه» المستشهد في غزوة احد، كان قد رغب في الدين المسيحي في العهد الجاهلي، فانسلك في صفوف الرهبان، فلما ظهر نجم الاسلام من افق المدينه بعد هجره النبي إليها، و احتوى الدين الجديد الأديان الاخرى انزعج «أبو عامر» من هذه الظاهره بشده، فشرع بصدق في التعاون مع منافق الأوس و الخزرج. و قد عرف رسول الله صلى الله عليه وآله بخططهم التخريبية، و أراد اعتقاله، فخرج «أبو عامر» من المدينه الى مكه، و من مكه الى الطائف، و هرب من الطائف بعد سقوطها إلى الشام، و اخذ يقود من هناك شبكه تجسسيه لحزب المنافقين.

(١) السيره الحلبيه: ج ٣ ص ١٦٥، بحار الأنوار: ج ١٠ ص ١١٩ و هذا النوع من المحاربه التي سلكها النبي مع المخلفين علم المسلمين

درسا كبيرا ومفيدا في مقابل الاقليات الصغيرة، وهو لا يحتاج إلّا إلى الاخلاص والاتحاد والعزم هذا ويذكر الواقدي في المغازي: (ج ٣ ص ١٠٤٩-١٠٥٦) قصة هؤلاء المخلفين بصورة اكثر تفصيلا ممّا ذكرناه هذا.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٧٩

(١) وقد كتب الى المنافقين في المدينة في إحدى رسائلهم ان استعدّوا و ابنوا مسجدا في قباء في مقابل مسجد المسلمين و صلّوا فيه في أوقات الصلاة ليتمكنكم- تحت غطاء أداء الفرائض- التحدث حول الامور المتعلقة بالاسلام و المسلمين، و كيفية تنفيذ المؤامرات الحزبية ضدّهم.

لقد كان «ابو عامر» على غرار أعداء الاسلام في العصر الحاضر يرى أن أفضل وسيلة لهدم و استئصال الدين في بلد يسوده الدين هو الاستفادة من نفس سلاح الدين، و من المعلوم أنه يمكن توجيه الضربة إلى الدين باسم الدين أكثر من أيّ عامل أو وسيلة اخرى. لقد كان «ابو عامر» يعلم أن النبي صلّى الله عليه وآله لا يسمح لحزب المنافقين بإقامته مركز لهم مطلقا إلّا إذا كان لذلك صبغة دينية، و كان تحت عنوان مسجد.

(٢) عند ما كان رسول الله صلّى الله عليه وآله يتجهز إلى «تبوك» أتاه جماعة من المنافقين و طلبوا منه ان يسمح لهم ببناء مسجد في محلّتهم بقباء بحجة أن ذوى العلة و الحاجة لا يمكنهم أن يقطعوا المسافة بين قباء و مسجد النبي للصلاة معه صلّى الله عليه وآله في الليلة المطيرة و الليلة الشاتية، فأوكل النبي صلّى الله عليه وآله أمر النظر في طلبهم الى ما بعد العودة من تبوك «١». غير أن حزب النفاق بادروا الى اختيار نقطة من الأرض في قباء، و اسرعوا في اقامته مركز لهم تحت غطاء المسجد و لما عاد النبي صلّى الله عليه وآله من تبوك حضروا عنده و طلبوا منه أن يصلى فيه ركعتين ليسبغوا بذلك الشرعية على مركزهم، و في هذا الاثناء نزل جبرئيل على رسول الله صلّى الله عليه وآله و أخبره بحقيقته هذا الأمر، و سمّاه في آيات نزل بها على النبي بمسجد الضرار، و وصفه بأنه مركز بنى لايجاد الفرقة بين المسلمين، و التأمّر عليهم إذ يقول تعالى:

(١) المغازي: ج ٣ ص ١٠٤٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٨٠

«وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَ كُفْرًا وَ تَفْرِيْقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَ إِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَ رَسُوْلَهُ مِنْ قَبْلُ وَ لِيَحْلِفْنَ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَ اللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحْجَبُونَ أَنْ يَنْتَظَرُوا وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ» «١».

(١) فأمر النبي صلّى الله عليه وآله فوراً بإحراق ذلك المسجد و تسويته بالأرض فحرق و هدم و سوى بالأرض و تحوّل مكانه إلى مزبلة فيما بعد «٢».

إن تحريق و هدم مسجد الضرار كانت ضربة قاضية لحزب النفاق فمنذئذ تلاشت و شائج و روابط ذلك الحزب الخبيث، و هلك حاميه الوحيد عبد الله بن أبي بعد شهرين من غزوة تبوك.

و لقد كانت غزوة تبوك آخر الغزوات الاسلامية التي شارك فيها رسول الله صلّى الله عليه وآله إذ لم يشارك صلّى الله عليه وآله بعدها في أي قتال.

(١) التوبة: ١٠٧ و ١٠٨.

(٢) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٥٣٠، بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٢٥٣.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٨١

(١)

٥٥ وفد ثقيف في المدينة**إشارة**

انتهت غزوة تبوك بكل مشاكلها، ومتاعبها الكثيرة و عاد جنود الاسلام المجاهدون الى المدينة بآبدان متعبه من وعناء السفر، و بعد الطريق، و لم يلق جنود الاسلام كيدا و لم تحصل بينهم و بين الجيش الرومى ايه مواجهه كما و لم يواجهوا عدوا طوال ذلك الطريق، و لم يغنموا غنيمه. من هنا اعتبر بعض السدج من المسلمين تسيير هذا الجيش الضخم عملا لغوا و عبثا، و ذلك لأنهم لم يعرفوا بالآثار و النتائج غير المرثيه لهذه الحركة العسكريه الواسعه، و لم يمض وقت كبير إلّا و اتضح نتائجها، فقد أسلمت على أثر هذه المناوره العسكريه العظمى أشد القبائل عداء و عنادا للاسلام، و خضعت لسطان المسلمين، بإيفاد مندوبيها و وفودها إلى المدينة، و إظهار الطاعه و الاسلام عن طريقها، كما أنها عمدت الى فتح أبواب حصونها الحصينه في وجه المسلمين ليحطموا أصنامها و أوثانها، و ينصبوا على حطامها ألويه التوحيد.

(٢) ان الجماعات السطحيه التفكير القصيره النظر تهتم - عادة - بالنتائج المرثيه الحاضره، فمثلا إذا واجه جنود الاسلام خلال الرحله عدوا، و قاتلوه و قضاوا عليه، و غنموا غنائم من أمواله قالت هذه الجماعه: لقد حققت هذه العمليه العسكريه نتائج باهره!! و لكن أصحاب الرؤيه العميقه و النظرة البعيده يحللون الامور على غير هذا النمط، فهم يمتدحون أى عمل يخدم الهدف و النتيجة النهائيه و يعتبرونه نجاحا باهرا.

سيد المرسلين، ج٢، ص: ٥٨٢

(١) و من حسن الاتفاق أن غزوة تبوك خدمت هدف النبي صلى الله عليه وآله و هو اجتذاب الاقوام العربيه الى الاسلام - خدمه كبرى -، لأنه قد شاع في جميع انحاء الجزيره العربيه أن الروميين (الذين غلبوا الايرانيين الذين طالما سادوا نصف المعموره في ذلك الوقت و حكموا حتى اليمن و ما حولها في آخر حروبهم، و استعادوا منهم صليهم و اعادوه إلى بيت المقدس) ارعبوا بالقوه الاسلاميه الكبرى، و انصرفوا عن مقابله جنود الاسلام.

لقد دفع هذا النبأ أشد القبائل عنادا، و التى كانت حتى يوم أمس غير مستعده للتعايش مع الاسلام و الخضوع له، دفعها إلى أن تغير من مواقفها المتعنته المتصلبه، و تفكر في التعاون و التعايش مع المسلمين، و لكى تسلم من عدوان القوى الكبرى في ذلك اليوم (إيران و الروم) انضوت تحت لواء الاسلام، و اعلنت عن انتمائها إليه. و إليك فيما يلي نموذج من هذه التطورات التى حدثت في مواقف تلك القبائل العربيه المعاديه للاسلام.

(٢)

وقوع الفرقة و الاختلاف في قبيله ثقيف:

كانت قبيله ثقيف معروفه بطغيانها و عنادها العجيب بين القبائل العربيه، و لقد قاوموا حصار الجيش الاسلامى لهم مدة شهر واحد معتمنين بحصونهم في الطائف و لم يسلموا «١».

هذا و كان «عروه بن مسعود الثقفى» و هو أحد سادة ثقيف قد علم بانتصار المسلمين الكبير في أرض تبوك، فقدم على رسول الله صلى الله عليه وآله قبل أن يدخل المدينة، و أسلم على يديه و استأذنه في أن يذهب إلى الطائف، ليدعو قبيلته إلى دين التوحيد فحذره رسول الله صلى الله عليه وآله من مخاطر هذا العمل لأنه صلى الله عليه وآله كان يعرف أن فيهم نخوة الامتناع الذى كان

(١) المغازى: ج ٢ ص ٩٢٢-٩٣٨.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٨٣.

منهم.

وقال له: انهم قاتلوك.

فقال عروة: يا رسول الله أنا أحب إليهم من أبقارهم، (أو من أبصارهم)، و كان فيهم كذلك محبباً مطاعاً.

و لقد كان قوم عروة و سائر قادة ثقيف لم يدركوا بعد ما أدركه عروة من عظمة الاسلام، و كان فيهم نخوة و كبر يمنعانهم من الخضوع للحق.

و لهذا قررت أن ترشق بالنبال و السهام أول داعية أتاها ليدعوها إلى الاسلام ... و هكذا رشقوا بالنبال «عروة» في الوقت الذي كان يدعوهم إلى الاسلام، فقال و هو يلفظ أنفاسه الأخيرة: كرامه أكرمني الله بها، و شهادة ساقها الله إلى «١».

(١)

وفد ثقيف:

ندم رجال ثقيف- بعد مقتل عروة- على فعلهم هذا بشدة و عرفوا بأن الحياة لم تعد ممكنة و ميسرة لهم في قلب الحجاز الذي رفعت على جميع مناطقه ألوية التوحيد و خاصية بعد أن أصبحت جميع المراعى و الطرق التجارية تحت رحمة المسلمين، فقرروا في ندوة مشاورة عقدت لدراسة مشكلاتهم أن يبعثوا مندوبا من قبلهم إلى المدينة ليتفاوض مع رسول الله صلى الله عليه وآله و يعلن له عن استعداد قومه لاعتناق دين التوحيد ضمن شروط معينة، و اتفقوا على إيفاد «عبدياليل» إلى المدينة و ابلاغ رسالتهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله و لكن عبد ياليل رفض القيام بهذه المهمة و قال: لست فاعلا ذلك حتى ترسلوا معي رجالا، لأنه كان لا يثق بثبات رأيهم، و كان يخشى أن يصنعوا به ما صنعوا بعروة بن مسعود. فاتفقوا ان يبعثوا معه خمسة رجال من ثقيف ليقوموا جميعا بالقدوم

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٥٣٧ و ٥٣٨.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٨٤.

على رسول الله صلى الله عليه وآله و التفاوض معه.

(١) توجه هذا الوفد السادس إلى المدينة، و نزلوا بعد طي مسافة خارج المدينة عند قناة فألفوا عندها المغيرة بن شعبه الثقفي يرعى خيولا لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله.

فلما رأى المغيرة زعماء قبيلته و عرف هدفهم و ثب يشتد الى المدينة ليشير رسول الله صلى الله عليه وآله بعد أن ترك الخيول عند الثقفيين، و ليخبره بقرار قبيلة ثقيف التي طال عنادها، فلقية أبو بكر قبل أن يدخل على رسول الله صلى الله عليه وآله فاخبره المغيرة عن ركب ثقيف، فرجاه أبو بكر أن يسمح له بتبشير النبي صلى الله عليه وآله قبل أن يحدثه المغيرة بالأمر ففعل المغيرة فدخل أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبره بقدمهم عليه و أنهم جاءوا ليعتقوا الاسلام بشروط، فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله و آله باكرامهم، و ضرب لهم قبة في ناحية مسجده، و كلّف خالد بن سعيد بالقيام بشئون ضيافتهم.

ثم حضر وفد ثقيف عند رسول الله صلى الله عليه وآله و مع أن المغيرة كان قد علمهم كيف يحتون رسول الله صلى الله عليه وآله فانهم حيوه بتحية الجاهلية تكبرا منهم و غرورا ثم أخبروا رسول الله صلى الله عليه وآله برأى ثقيف و أضافوا أنهم مستعدون لاعتناق

الاسلام ضمن شروط خاصة، سوف يعرضونها عليه في جلسة تالية.

و استمرت مفاوضات وفد ثقيف مع رسول الله صلى الله عليه وآله عدة أيام، و كان «خالد بن سعيد» هو الذى يمشى بينهم و بين رسول الله صلى الله عليه وآله في هذه المفاوضات.

(٢)

شروط وفد ثقيف:

قبل رسول الله صلى الله عليه وآله كثيرا من شروط ثقيف حتى انه ضمن لاهل الطائف- ضمن ذلك العهد- أمن منطقة الطائف و ما يرتبط بالطائفيين من

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٨٥

أراض، و لكن بعض شروطهم كانت غير صحيحة، و وقحة الى درجة أن النبي صلى الله عليه وآله غضب بسببها، و لا- بأس بأن نتعرض لذكر بعض هذه الشروط:

قال وفد ثقيف: ان قبيلة ثقيف مستعدة لان تعتنق الاسلام شريطة أن يترك بيت أصنامهم على حاله، و أن يعبدوا «اللات» و هو صنم القبيلة الاكبر مدة ثلاث سنين فأبى رسول الله صلى الله عليه وآله.

فلما رأوا غضب النبي و اباءه أخذوا يتنازلون عن المدة التي ذكروها سنة سنة و هو يأبى عليهم حتى سألوا شهرا واحدا، فأبى عليهم أن يدعها و لا يوما.

(١) و لقد كان مثل هذا الطلب من النبي صلى الله عليه وآله الذى كان نشر التوحيد، و هدم بيوت الاصنام، و تحطيم الاوثان يشكل هدفه الاساسى كان طلبا مخجلا جدا، و لقد كان مثل هذا الطلب يكشف عن أنهم كانوا يريدون إسلاما لا يضر بمصالحهم المادية و ميولهم الباطنية، أما إذا كان غير هذا فلن يقبلوه و لن يرضوا به.

و لهذا عند ما عرف وفد ثقيف بقبح مطلبهم هذا بادروا إلى التعلل و الاعتذار بأنهم إنما أرادوا بذلك إرضاء نساءهم و ذراريتهم و سفهاء قبيلتهم، حيث إنهم يكرهون أن يروّعوا قومهم بهدمها حتى يدخلهم الاسلام، فاذا أبى رسول الله صلى الله عليه وآله عليهم ذلك فليبعث معهم شخصا من غير قبيلتهم ليهدمها، فوافق النبي صلى الله عليه وآله على هذا الشرط، لأن النبي صلى الله عليه وآله كان يريد محو و ازالة جميع المعبودات الباطلة عن الحياة البشرية سواء أتم هذا على أيدي الطائفيين أم على أيدي غيرهم.

(٢) و الشرط الآخر هو أن يعفيهم رسول الله صلى الله عليه وآله من الصلاة.

فلقد كانوا يتصورون أن رسول الله صلى الله عليه وآله يمكنه التصرف في الأحكام الإلهية كما يفعل قادة أهل الكتاب، حسب زعمهم، حيث كانوا يكلفون جماعة بهذه الاحكام، بينما يعفون جماعة اخرى منها، و ذلك غفلة منهم عن

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٨٦

أنه صلى الله عليه وآله يتبع الوحي الالهي، و لا يمكنه التغيير فيه قيد شعرة.

(١) إن هذا الشرط كان يكشف عن انه لم يكن قد ترسخت في أفئدتهم روح التسليم المطلق بعد، و أن اعتناقهم للاسلام كان نتيجة ظروف ساقتهم إلى اسلام ظاهري سطحي، و إلّا فلا- داعى و لا- مبرر للايمان ببعض ما جاء في الاسلام دون بعض، فيقبلوا شيئا و يرفضوا شيئا آخر.

إن الاسلام، و الايمان بالله إن هو إلّا نوع من التسليم الباطني الروحي، و الخضوع القلبي الذى يقبل المرء في ظلّه جميع التعاليم و الدساتير الإلهية عن طواعية و رغبة، و فى مثل هذه الحالة لا غير لا تجد فكرة التبعض فى التعاليم الإلهية طريقا إلى روح إنسان و مخيلته.

ولأجل هذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله في جوابهم:

«لا خير في دين لا صلاة فيه» (١).

إن المسلم الذي لا يسجد ولا يركع لله تعالى في اليوم والليله ولامرء واحده، ولا يذكر ربّه لا يكون مسلماً بالمعنى الصحيح. (٢) هذا وعند ما اتفق الطرفان على شروطهما نظمت معاهدة تشمل المواد والشروط المتفق عليها، وقّع عليها رسول الله صلى الله عليه وآله، وحينئذ أذن رسول الله صلى الله عليه وآله لوفد ثقيف بالعودة إلى قومهم، واختار منهم أحدتهم سنا وهو «عثمان بن أبي العاص» الذي كان أحرصهم على التفقه في الإسلام، وتعلم القرآن خلال وجوده بالمدينة فأمره عليهم، وجعله نائبا دينيا، وسياسيا عنه في قبيلة ثقيف وأوصاه- فيما أوصاه- بأن يصلى بالناس جماعة مراعى أضعفهم قائلا له: «يا عثمان تجاوز (٢) في الصلاة وأقدر الناس بأضعفهم فإن فيهم الكبير

(١) السيرة الحلبية: ج ٣ ص ٣١٧.

(٢) تجاوز: أى خفف الصلاة وأسرع بها.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٨٧

والصغير والضعيف وذا الحاجة».

(١) ثم كلف رسول الله صلى الله عليه وآله «أبا سفيان بن حرب»، و«المغيرة بن شعبة» بالتوجه الى الطائف مع وفد ثقيف لهدم الاصنام فيها، أجل إن أبا سفيان الذي كان وحتى يوم أمس من حفظة الأصنام وهو الذي أراق في سبيلها أنهارا من الدماء، يمشى الآن إلى الطائف وهو يحمل فأسه ومعه لتحطيم الأصنام فيها، ويحولها الى تلّ من الحطب، وبيع ما يتعلق بها من ذهب وفضة و حلّى ليقضى بأموالها ديون «عروة» و «الأسود» حسب اوامر رسول الله صلى الله عليه وآله «١».

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٥٣٧-٥٤٣، السيرة الحلبية: ج ٣ ص ٢١٦-٢١٨، ولقد وردت قصة وفد ثقيف في كتاب «اسد الغابة»: ج ١

ص ٢١٦ و ج ٣ ص ٤٠٦ أيضا.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٨٨

حوادث السنة التاسعة من الهجرة (١)

٥٦ إعلان البراءة من المشركين في منى

إشارة

في أواخر السنة التاسعة من الهجرة نزل أمين الوحي جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله بعدة آيات من سورة التوبة (سورة البراءة)، وكلف رسول الله صلى الله عليه وآله بأن يبعث بها رجلا إلى مكة ليتلوها مع عهد ذى أربعة بنود في موسم الحج. ولقد رفع الأمان في هذه الآيات عن المشركين، و الغيت جميع العهود (إلا العهود والمواثيق التي التزم بها أصحابها ولم ينقضوها)، و ابلغ إلى رءوس الشرك وأتباعهم أن عليهم أن يوضحوا مواقفهم من الحكومة الإسلامية التي تقوم على اساس التوحيد- وذلك خلال أربعة أشهر، وإذا لم يتركوا الشرك والوثنية خلال هذه الأشهر الأربعة نزلت منهم الحصانة، ورفع عنهم الأمان.

(٢) عند ما ينتهي المستشرقون إلى هذه القصة وهذا الفصل من التاريخ الإسلامي يصوبون رماح حملاتهم إلى الإسلام ويعتبرون هذا الموقف الحاسم والحكيم مخالفا لمبدأ الحرية الاعتقادية، ولكنهم اذا طالعوا صفحات التاريخ الإسلامي من دون أى تعصب و

انحياز، و درسوا الدوافع الحقيقية وراء هذا الاجراء، و التي ذكرت في هذه السورة، و في النصوص التاريخية لسلموا من كثير من هذه الاخطاء، و لصدّقوا و اعترفوا بأن هذا العمل لا ينافي حرية العقيدة التي يحترمها عقلاء العالم، أبداً و إليك فيما يأتي الدوافع وراء صدور هذا العهد (البراءة).

(٣) ١- كان التقليد السائد عند العرب في العهد الجاهلي هو أن على زائر

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٨٩

الكعبة ان يعطى الثوب الذي يدخل به الى مكة المكرمة للفقير و يطوف بثوب آخر، و اذا لم يكن له ثوب آخر، فان عليه أن يستعير ثوبا و يطوف به حتى لا يضطرّ إلى الطواف عريانا، و إن لم يمكنه ان يستعير ثوبا طاف بالبيت المعظم عاريا، بادي السوأة. و قد دخلت امرأة ذات جمال كبير، ذات يوم المسجد الحرام، و حيث أنّها لم تك تملك ثوبا آخر، لذلك اضطرّت تبعا لذلك التقليد الجاهلي الخرافي أن تطوف عارية بالبيت المعظم، و من الواضح أنّ مثل الطواف الفاضح أي الطواف بالجسد العاري في أقدس بقعة من بقاع العالم على مرأى من جموع الطائفين بالبيت ينطوي على نتائج سيئة بالغة السوء.

(١) ٢- لقد نزلت الآيات الاولى من سورة التوبة بعد أن انقضت عشرون سنة على بعثه النبي الكريم صلى الله عليه وآله، و في هذه المدة كان منطلق الاسلام القوى حول المنع من الوثنية و الشرك قد بلغ الى مسامح المشركين في شبه الجزيرة العربية فاذا كانت جماعة قليلة منهم لا يزالون يصرون على الشرك و الوثنية لم يكن ذلك إلّا عن عصبية و عناد.

من هنا كان الوقت قد جان لأن يستخدم رسول الله صلى الله عليه وآله آخر علاج لإصلاح ذلك المجتمع المنحرف، و أن يستعين بمنطق القوة لضرب كل مظاهر الوثنية، و أن يعتبرها نوعا من العدوان على الحقوق الالهية و الإنسانية، و بهذه الطريقة يقضى على منبع و منشأ مئات العادات السيئة في المجتمع.

(٢) و لكن المستشرقين الذين اعتبروا هذا العمل مخالفا لمبدأ حرية الاعتقاد الذي هو أساس الدين الاسلامي و قاعدة المدنية الراهنة، قد غفلوا عن هذه النقطة لأن مبدأ حرية العقيدة محترم ما دام لا يضرّ بسلامة الفرد و المجتمع، إذ في غير هذه الصورة يجب مخالفتها حتما بحكم العقل و سيرة جميع المفكرين.

فاذا كان في أوروبا اليوم مثلا جماعة من الشباب المنحرفين ينادون بحرية العري انطلاقا من افكار منحرفة فاسدة و قاموا- على أساس أن إخفاء بعض

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٩٠

الأقسام من الجسد يثير الفضول و يوجب تحريك الغريزة و يسبب فساد الاخلاق- بتشكيل نوادي العري السرية، فهل يسمح الفكر الانساني الرشيد بأن يسمح لمثل هذه الجماعة بأن تفعل ما تريد تحت قناع حرية العقيدة، و يقول: إن الاعتقاد أمر محترم، أو أن العقل يقضى بان نحارب مثل هذه الفكرة الحمقاء حفاظا على سعادة تلك الجماعة نفسها، و سعادة المجتمع و هذا الموقف ممّا لا يتخذه الاسلام فحسب بل هو موقف جميع العقلاء في العالم من جميع الاتجاهات و الحركات الهدامة التي تهدد مصالح المجتمع بالخطر، فهم يحاربونها بلا هوادة، و هذه الحرب هي في الحقيقة هي محاربة المعتقدات الحمقاء لدى الجماعات المنحطة.

إن الوثنية ليست سوى حفنة من الأوهام و الخرافات التي تستتبع مئات العادات الدنيئة، و قد بذل رسول الاسلام جهودا كبرى و كافية في سبيل هدايتهم، و بعد أن انقضى اكثر من عشرين عاما من دعوته كان الوقت قد حان لاستئصال جذور الفساد باستخدام القوة العسكرية كآخر وسيلة.

(١) ٣- و من جانب آخر فان الحج هو أكبر العبادات و الشعائر الاسلامية و لم تكن الصراعات و المواجهات التي وقعت بين الاسلام و رءوس الشرك لتسمح حتى يوم نزول هذه السورة بأن يعلم الرسول الكريم المسلمين مناسك الحج على الوجه الصحيح و بعيدا عن أي نوع من أنواع الشوائب و الزوائد.

من هنا كان يتوجب أن يقوم النبي الكريم بنفسه بالمشاركة في هذا المؤتمر الاسلامي العظيم، و يعلم المسلمين هذه العبادة الكبرى بصورة عملية، و لكن النبي صلى الله عليه وآله انما كان يمكنه المشاركة في هذه المراسم و المناسك اذا حلت منطقة الحرم الإلهي و نواحيها من كافة المشركين الذين أعطوا مقام العبودية و العبادة للأصنام الخشبية، و الحجرية، و يطهرها من كل معالم الشرك و الوثنية، و يصبح الحرم الإلهي خالصا للموحدين و العباد الواقعيين.

(٢) ٤- إن جهاد النبي لم يك له أى ارتباط بحرية العقيدة، فالعقيدة ليست شيئاً يمكن أن يفرض على أحد، و يوجد او يمحي بالقهر. إن روح الانسان و نفسه

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٩١

هو مركز الاعتقاد و مقره، و ظرفه و مكانه، و هو لا يخضع لأى قهر أو تسخير، و إن ظهور العقائد في منطقة الضمير يتوقف على سلسلة من المقدمات و الأوليات التي توجب حصول العقيدة، و ظهور العقيدة و حصولها من دون تلك المقدمات أمر محال. و على هذا الأساس فإن مسألة الاعتقاد لا تخضع للقهر، و لا تقبل الفرض، بل كان نضال النبي ينحصر في النضال ضد مظاهر هذه العقيدة و هي عبادة الاوثان.

من هنا هدم كل بيوت الاصنام، و حطم الأوثان بينما ترك الانقلاب في العقائد و الضمائر لعامل الزمن الذي كان مروره يستتبع -لا محالة- مثل هذا التطور و التحول و الانقلاب.

(١) ان العوامل الاربعة المذكورة دفعت برسول الله صلى الله عليه وآله إلى أن يستدعى أبا بكر ثم يعلمه الآيات الاولى من سورة التوبة و يأمره بأن يذهب برفقة اربعين رجلا من المسلمين «١» الى مكة، و يتلو هذه الآيات التي تتضمن البراءة من المشركين في يوم الأضحى على مسامح الناس.

فتهياً أبو بكر للقيام باداء هذه المهمة، و توجه نحو مكة، إلّا أنه لم يلبث أن نزل أمين الوحي على رسول الله صلى الله عليه وآله و آله برسالة من الله سبحانه و هي:

«إنه لا يؤدى عنك إلّا أنت أو رجل منك».

(٢) و لهذا استدعى رسول الله صلى الله عليه وآله علياً و أخبره بالخبر ثم قال له:

اركب ناقتي العصابة و الحق أبا بكر فخذ براءة من يده، و امض بها الى مكة و انبذ بها عهد المشركين إليهم، أى اقرأ على الناس الوافدين إلى منى من شتى انحاء الجزيرة العربية براءة بما فيها النقاط الاربعة التالية:

(١) و قد ذكر الواقدي انهم كانوا ثلاثمائة (المغازي: ج ٣ ص ١٠٧٧).

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٩٢

١- أن لا يدخل المسجد مشرك.

٢- أن لا يطوف بالبيت عريان.

٣- أن لا يحج بعد العام مشرك.

٤- أن من كان له عند رسول الله صلى الله عليه وآله عهد فهو له إلى مدته، أى إنه محترم ميثاقه و ماله و نفسه إلى يوم انقضاء العهد، و من لم يكن له عهد و مدة من المشركين فإلى أربعة أشهر فإن أخذناه بعد أربعة أشهر قتلناه، و ذلك بدءاً من هذا اليوم (العاشر من شهر ذى الحجة).

أى إن على هذا الفريق من المشركين أن يحددوا موقفهم من الحكومة الاسلامية، فإما أن ينصوا الى صفوف الموحدين، و ينبذوا وراء ظهورهم كل مظاهر الشرك و يحطموها، و إما أن يستعدوا للقتال مع المسلمين «١».

(١) فخرج على عليه السلام على ناقه رسول الله صلى الله عليه وآله العضاء مع جماعة منهم «جابر بن عبد الله» الأنصاري حتى ادرك أبا بكر في الجحفة فأبلغه أمر النبي صلى الله عليه وآله فدفع أبو بكر آيات البراءة إلى علي عليه السلام. و يروي محدثو الشيعة و جماعة من محدثي السنة أن الامام علي بن أبي طالب قال لأبي بكر: أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله أن اختيرك بين أن تسير معي أو ترجع إليه فرجع أبو بكر العوده الى المدينة على المسير مع علي عليه السلام الى مكة... بل أرجع إليه، و عاد إلى النبي صلى الله عليه وآله، فلما دخل عليه قال: يا رسول الله إنك أهلنتني لأمر طالت الاعناق إلى في، فلما توجهت له رددتني عنه، ما لي أنزل في قرآن؟! فقال له النبي صلى الله عليه وآله: لا- و لكن الأمين جبرئيل هبط إلى عن الله عز و جل بأنه لا يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك، و علي مني، و لا يؤدي عنى إلا علي» (٢).

(١) فروع الكافي: ج ١ ص ٣٢٦.

(٢) الارشاد: ص ٣٧.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٩٣

(١) إلا أن بعض روايات أهل السنة تفيد أن أبا بكر أنيط إليه اماره الحجيج في ذلك العام، بينما كلف علي عليه السلام وحده بمهمة قراءة آيات البراءة و النقاط الاربعة المذكورة على الناس يوم الحج الاكبر بمنى (١). دخل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام مكة و في اليوم العاشر من شهر ذي الحجة، صعد على جمرة العقبة و قرأ على الناس الآيات الثلاث عشرة من صدر سورة التوبة (البراءة) و أذان رسول الله المتضمن للنقاط الاربعة، رافعا صوته به، بحيث يسمعه جميع من حضر، و ذلك بمنتهى الشجاعة و الجرأة، و أخبر المشركين الذين لا عهد و لا مدة لهم مع النبي صلى الله عليه وآله بأن لهم أن يسيحوا في الارض أربعة أشهر ابتداء من يوم قراءة ذلك الاعلان، فاذا انقضت هذه المدة قتلوا اذا وجدوا على الشرك، فعليهم أن يبادروا خلال هذا الأجل المضروب إلى تطهير بيئتهم من كل أنواع الوثنية و إلا سلبت عنهم الحصانة، و رفع عنهم الأمان. لقد كان أثر هذه الآيات و هذا الأذان النبوي هو أنه لم يمض على قراءتهما أربعة اشهر إلا و أقبل المشركون على اعتناق عقيدة التوحيد أفواجا أفواجا، و هكذا استأصلت جذور الوثنية في شبه الجزيرة العربية في أواسط السنة العاشرة من الهجرة. (٢)

تعصب بغيبض في تحليل هذا الحدث:

لا-ريب أن عزل أبي بكر عن مقام إبلاغ آيات البراءة، و تنصيب علي بن أبي طالب مكانه لأداء تلك المهمة بأمر الله تعالى يعد من ابرز فضائل علي و مناقبه المسلمة التي لا تقبل الإنكار و الشك، و لكن جماعة من الكتاب المتعصبين وقعوا في الخطأ و الانحراف مع ذلك عند تحليل و دراسة هذه الحادثة.

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٥٤٦ و راجع للوقوف على المصادر العديدة لهذه القضية الغدير: ج ٦ ص ٣٣٨ - ٣٥٠.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٩٤

فهذا «الآلوسي البغدادي» يكتب في تفسيره عند دراسة و تحليل هذه الحادثة: النكتة في نصب الامير كرم الله تعالى وجهه مبلغا نقض العهد في ذلك المحفل ان الصديق رضى الله تعالى عنه لما كان مظهرها لصفة الرحمة و الجمال كما يرشد إليه ما تقدم في حديث الاسراء و لما كان علي كرم الله وجهه و الذي هو أسد الله و مظهر جلاله فوض إليه نقض عهد الكافرين الذي هو من آثار الجلال و

صفات القهر «١».

- (١) إن هذا التفسير النابع من منبع التعصب لا ينسجم مع كلام رسول الله صلى الله عليه وآله لأنه قال عند الإجابة على أبي بكر: «إن هذه الآي لا يؤديها إلّا أنا أو رجل مني» أي لا يصلح لأدائها غير هذين الرجلين وليس في هذا الكلام أي إشارة إلى الرأفة و الشجاعة. هذا مضافا إلى أن رسول الله صلى الله عليه وآله المظهر الكامل للرحمة و الرأفة و بناء على ما قاله الألوسي يجب أن لا يكلف حتى رسول الله صلى الله عليه وآله بابلاغ هذه الآيات، على حين أن الوحي قال: هذه الآيات لا يؤديها إلّا أنت أو رجل منك».
- (٢) و لقد برّر جماعة اخرى هذا المطلب بنحو آخر فقالوا: لقد كان التقليد المتبع عند العرب في نقض العهود مهما كانت هو ان يقدم نفس الموقع على العهد أو أحد أنسابه على نبذ العهد و نقضه، اذ في غير هذه الصورة كان المتعارف عندهم أن يبقى العهد على حاله، و حيث إن علي بن أبي طالب كان من اقرباء النبي لهذا كلف بإبلاغ هذه الآيات التي تضمنت نبذ العهد.
- (٣) و لكن هذا التفسير و التوجيه غير مقنع، لأنه كان ثمة بين اقرباء رسول الله صلى الله عليه وآله من هو أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله مثل عمّه العباس، فلما ذا لم يكلف بابلاغ آيات البراءة، و نبذ العهد الى المشركين.

(١) روح المعاني: ج ١٠ ص ٤٥ تفسير سورة التوبة.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٩٥

ثم لما ذا لم يتبع النبي صلى الله عليه وآله هذه العادة من أول الأمر و هو العارف بتقاليد مجتمعه؟

إذا أردنا أن نقضى في هذه القضية التاريخية بالقضاء المحايد المنصف و جب أن نقول: إن علّة هذا العزل، و النصب لم يكن لا دافع الرغبة في المقام، و الطموح الى السلطة، و لا وشيعة القربى مع علي عليه السلام بل كان الغرض من هذا التغيير هو الكشف عمليا عن أهلية أمير المؤمنين على عليه السلام و صلاحيته للقيام بالمهام المتعلقة بالحكومة الاسلامية، و ليعلم الناس أنه عدل النبي صلى الله عليه وآله في الجوانب الروحية، و في مجال الأهلية، و الصلاحية.

(١) و انه اذا ما غابت شمس الرسالة بعد حين و جب أن تسلّم مقاليد الحكم، و ازمة التصرف في المسائل و الامور المتعلقة بشئون الخلافة الى علي عليه السلام إذ لا يصلح لهذا العمل الخطير سواه، و انه يجب أن لا يقع المسلمون بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله في الإشكال و التشتت، و الاختلاف و الحيرة في هذا الأمر، لأنهم قد رأوا بام عينهم كيف نصب «علي» من جانب النبي بأمر الله تعالى لنبذ العهود مع المشركين، الذي هو من صلاحيات و اختيارات، الحاكم الاسلامي و شئونه.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٩٦

(١)

حوادث السنة العاشرة من الهجرة

٥٧ في رثاء الولد العزيز

إشارة

«يا إبراهيم إنا لن نغنى عنك من الله شيئا إنا بك لمحزونون تبكى العين و يحزن القلب و لا نقول ما يسخط الربّ، و لو لا أنه وعد صادق و موعود جامع فإنّ الآخر منّا يتبع الأول لو جدنا عليك يا إبراهيم و جدا شديدا ما وجدناه» «١».

هذه العبارات قالها رسول الله صلى الله عليه وآله في رثاء ولده العزيز «إبراهيم» في اللحظات التي كان يلفظ فيها أنفاسه الأخيرة في حجر أبيه الرحيم، و بينما كان الوالد العظيم واضعا شفتيه على خدّ ابنه، و يودّعه بروح ملؤها المشاعر و العواطف، من جانب، و راضية

بالتقدير الإلهي.

إنَّ حبَّ الأولاد والأبناء من أرفع وأظهر تجليات الروح الانسانية، كما انه خير دليل على سلامة الروح ولطافتها. لقد كان رسول الله صَلَّى الله عليه وآله يقول دائما: «اكرموا أولادكم» (٢) و ذهب إلى أبعد من ذلك إلى درجة أنه اعتبر مودة الأبناء والعطف عليهم من مكارم أخلاقه ومحاسن سجايه (٣).

(٢) ففي السنين والأعوام الماضية واجه النبي الاكرم صَلَّى الله عليه وآله مصيبة

(١) السيرة الحلبية: ج ٣ ص ٣١١ بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ١٥٧.

(٢) بحار الأنوار: ج ١٠٤ ص ٩٥ عن مكارم الاخلاق.

(٣) المحجبة البيضاء: ج ٣ ص ٣٦٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٩٧

افتقاد ثلاثة من أولاده هم: «القاسم والطاهر، والطيب» (١) و ثلاث من بناته و هن: «زينب» و «رقية» و «أم كلثوم» و لقد حزن لفقدهم حزنا شديدا و كانت «فاطمة» هي البنت الوحيدة التي بقيت له من زوجته الكريمة خديجة.

(١) لقد بعث رسول الله صَلَّى الله عليه وآله في السنة السادسة من الهجرة سفراء إلى البلاد المختلفة خارج الجزيرة العربية و كان من جملة الكتب التي أرسلها إلى الامراء والملوك هي رسالته إلى حاكم مصر يدعوه فيها إلى الاسلام، و إلى عقيدة التوحيد، و هذا الحاكم و إن لم يلبّ نداء النبي في الظاهر، و لم يقبل دعوته إلّا أنه اجاب على كتاب النبي باجابة حسنة مضافا إلى أنه أرسل إليه صَلَّى الله عليه وآله هدايا منها جارية تدعى «مارية».

و لقد نالت هذه الجارية فيما بعد شرف تزوج النبي الكريم بها و ولدت له ابنا سماه «إبراهيم» أحبه رسول الله صَلَّى الله عليه وآله حبا شديدا.

و لقد خففت ولادة إبراهيم الكثير من الاحزان التي كان رسول الله صَلَّى الله عليه وآله يعاني منها بسبب افتقاده لأولاده الستة، و اشعلت في نفس النبي صَلَّى الله عليه وآله بصيصا من الأمل، و لكن هذا البصيص من الأمل سرعان ما غاب بعد ثمانية عشر شهرا، و انطفأ.

(٢) لقد خرج رسول الله صَلَّى الله عليه وآله من بيته ذات يوم لعمل، و عند ما عرف بتدهور خطير في صحة ولده الحبيب الوحيد «إبراهيم» عاد من فوره الى منزله، و اخذ ابنه من حضن أمه، و فيما كانت تعلقو ملامحه علامات الغم و الاضطراب نطق بهذه العبارات. إن حزن النبي صَلَّى الله عليه وآله و بكاءه في موت ابنه «إبراهيم» دليل حي على عاطفته الانسانية التي استمرت حتى بعد وفاة ذلك الولد الحبيب، و إن إظهار تلك العواطف و الإعراب عن الحزن و الأسى كان يكشف عن روح

(١) بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ١٦٦، و لكن بعض علماء الشيعة قالوا: أولاده الذكور من خديجة اثنان فقط راجع ج ٢٢ ص ١٥١ من بحار الأنوار.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٩٨

رسول الله صَلَّى الله عليه وآله العاطفية التي كانت تبرز من دون اختيار فيما دلّ تجنب رسول الله صَلَّى الله عليه وآله التكلم بما يسخط الله في هذه المصيبة المؤلمة على إيمانه و رضاه بالتقدير الالهى الذى لا مفرّ لأحد منه.

(١)

اعتراض غير وجهه:

استغرب عبد الرحمن بن عوف الأنصاري من بكاء النبي على ولده «إبراهيم»، فاعترض على رسول الله صلى الله عليه وآله: أو لم تكن نهيت عن البكاء، و أنت تبكي؟

إن هذا المعترض لم يكن جاهلا- بمبادئ الاسلام وقواعده الرفيعة فحسب، بل كان غافلا- حتى عن العواطف و المشاعر الانسانية الخاصة التي أودعتها يد الخالق في ضميره أيضا.

إن جميع الغرائز الانسانية خلقت في الكيان البشري لأهداف خاصة و يجب ان يتجلى كل واحد منها في وقته المناسب و موقعه اللازم، فالشخص الذي لا يحزن لفقد أحبائه و أعزائه و لا يغتم لفراقهم، و لا تدمع عيناه لذلك، و بالتالي إذا لم يظهر من نفسه أية ردة فعل عند فراقهم لم يكن سوى قطعة من الصخر، و لا يستحق اسم الانسانية.

(٢) و لكن ثمة نقطة مهمة و جديرة بالانتباه، و هي أن هذا الاعتراض و ان كان اعتراضا غير موجّه، إلا أنه يكشف عن وجود حرية كاملة، و ديمقراطية حقيقية في المجتمع الإسلامي الحديث التأسيس إلى درجة أن شخصا عاديا من الناس تجرأ على أن ينتقد عمل قائده بمطلق الحرية و من دون خوف أو وجل، و سمع الجواب.

و من هنا قال رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم:

«لا، إنما هذا رحمة، و من لا يرحم لا يرحم» (١).

(١) بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ١٥١.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٩٩

او قال:

«لا، و لكن نهيت عن خمس و جوه و شق جيوب و رنة شيطان» (١).

و لقد كلف رسول الله صلى الله عليه وآله و آله أمير المؤمنين على بن أبي طالب (٢) بتجهيز «إبراهيم» و غسله و كفنه و تحنيطه، ثم إن النبي صلى الله عليه وآله شيعه مع جماعته من أصحابه، و مضى حتى انتهى به إلى قبره في البقيع.

ثم إن النبي صلى الله عليه وآله رأى في قبر «إبراهيم» خلا فسواه بيده ثم قال:

«إذا عمل أحدكم عملا فليتن» (٣).

(١)

مكافحة الخرافات:

عند ما مات إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وآله انكسفت الشمس فتصوّر البعض ممن جهل سنن الطبيعة و قوانين العالم الطبيعي أن الشمس انكسفت لموت إبراهيم.

و لا- شك أن مثل هذا التصور الباطل و ان كان قضية خيالية و وهما سخيفا إلا أنه كان من شأنه أن ينفع النبي، و يعزز مكانته في المجتمع الذي طالما آمن بالخرافة و عشقها.

و لو أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان قائدا عاديا و ماديا لكان من الجائز أن يؤيد صحة هذا التصور ليكتسب من وراء ذلك عظمة و قوة.

و لكن النبي صلى الله عليه وآله على عكس هذه التوقع رقى المنبر، و أطلع الناس على حقيقة الأمر و قال:

(١) السيرة الحلبية: ج ٣ ص ٣١٠ و ٣١١.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ١٥٦، و روى في السيرة الحلبية ان رسول الله صلى الله عليه وآله كلف الفضل بن العباس (ابن عم النبي) بتجهيز إبراهيم.

(٣) بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ١٥٧.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٠٠.

«أيها الناس إن الشمس و القمر آيتان من آيات الله تجريان بأمره مطيعان له فلا ينكسفان لموت أحد و لا لحياته» (١).

(١) إن النبي الكريم صلى الله عليه وآله على عكس ما يفعله النفعيون الوصوليون الذين لا- يكتفون بتفسير الحقائق و تجييرها لمصالحهم، و استخدامهم لمآربهم، بل طالما يحاولون استغلال جهل الناس و نزعهم إلى الخرافات لمصالحهم.

إن رسول الاسلام على عكس هذه الجماعة لم يكتف الحقيقة، و لم يستفد من جهل الناس و غفلتهم لمصالح نفسه.

و لو أن النبي صلى الله عليه وآله كان يسبغ في ذلك اليوم لباس الصحة على مثل هذه الفكرة الباطلة و هذا التصور الخيالي لم يمكنه أن يطرح نفسه قائدا خالدا للبشرية و رسولا- مختارا من جانب خالق الطبيعة، و المؤسس الحقيقي لقوانين العالم المادي، في العالم الراهن الذي كشف فيه القناع عن اسرار الطبيعة، و اتضحت فيه قوانين العالم المادي و نواميسه، و علل الكسوف و الخسوف و غيرهما من تفاعلات الطبيعة.

(٢) إن دعوة النبي الا-كرم لم تكن مختصة بجماعة العرب كما أنها لا- تخضع لحدود زمانية أو مكانية، فلو أنه كان نبي الاقوام و الاجيال الغابرة، فهو كذلك نبي عصر الفضاء، و قائد عصر اكتشاف أسرار الطبيعة و رموزها.

إن احاديث هذا النبي العظيم، و كلماته من القوة، و المتانة و من الصحة، و الاتصاف بالواقعية بحيث لم يتطرق إليها أى إشكال حتى مع التطورات العلمية الاخيرة التي قلبت كثيرا من معارف البشر القديمة رأسا على عقب.

(١) المحاسن: ص ٣١٣، السيرة الحلبية: ج ٣ ص ٣١٠ و ٣١١.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٠١.

(١)

٥٨ وفد نجران في المدينة

إشارة

تقع «نجران» بقراها السبعين التابعة لها، في نقطة من نقاط الحجاز و اليمن الحدودية، و كانت هذه المنطقة في مطلع ظهور الاسلام المنطقة الوحيدة التي غادر أهلها الوثنية لأسباب معينة و اعتنقوا المسيحية (١) من بين مناطق الحجاز.

و قد كتب رسول الاسلام كتابا إلى اسقف نجران (٢) «أبو حارثة» يدعو أهلها فيه الى الاسلام يوم كتب كتابا إلى ملوك العالم و رؤسائه.

و إليك مضمون هذا الكتاب:

«بسم إله إبراهيم و إسحاق و يعقوب من محمّد رسول الله إلى أسقف نجران و أهل نجران إن أسلمتم فإنني أحمّد إليكم الله إله إبراهيم و اسحاق (٣) و يعقوب أمّا بعد فإنني أدعوكم الى عبادة الله من عبادة العباد، و أدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد، فان أبيتتم فالجزية، فان أبيتتم فقد آذنتكم بحرب و السلام».

(٢) و اضافت بعض المصادر التاريخية الشيعية أن النبي الا-كرم صلى الله عليه وآله كتب في ذلك الكتاب الآية المرتبطة بأهل الكتاب «٤» و التي تدعوهم إلى عبادة الله الواحد القهار.

(١) ذكر الياقوت الحموي في معجم البلدان: ج ٥ ص ٢٦٦-٢٧٧ علل اعتناهم للمسيحية.

(٢) الاسقف معرب كلمة يونانية هي ايسكوپ و تعنى الرقيب و المناظر و هو اليوم منصب اعلى من منصب القسيس.

(٣) بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٢٨٥.

(٤) المراد من تلك الآية هو قوله تعالى: «قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ «شَيْئًا» (آل عمران: ٦٤. الاقبال: ص ٤٩٤).

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٠٢

قدم سفير رسول الله صلى الله عليه وآله نجران و سلم كتابه المبارك الى أسقف نجران، فقرأ ذلك الكتاب بعناية و دقة متناهية، ثم شكّل جماعة للمشاورة و تداول الأمر و اتخاذ القرار مكوّنة من الشخصيات البارزة الدينية و غير الدينية، و كان أحد أعضاء هذه المجموعة «شرحيل» الذي عرف بعقله و نبهه، و تديره و حكمته، فقال في معرض الاجابة على استشاره الاسقف اياه: قد علمت ما وعد الله ابراهيم في ذرية اسماعيل من النبوة، فما يؤمنك أن يكون هذا الرجل، ليس لي في النبوة رأى، لو كان أمر من امور الدنيا أشرت عليك فيه و جهدت لك.

(١) فقرر المشاورون ان يبعثوا وفدا إلى المدينة للتباحث مع رسول الله صلى الله عليه وآله، و دراسة دلائل نبوته، فاختر لهذه المهمة ستون شخصا من أعلم أهل نجران و أعقلهم، و كان على رأسهم ثلاثة اشخاص من اساقفتهم هم:

١- «أبو حارثة بن علقمة» اسقف نجران الأعظم و الممثل الرسمي للكنائس الرومية في الحجاز.

٢- «عبد المسيح» رئيس وفد نجران المعروف بعقله و دهائه، و تديره.

٣- «الأيهم» و كان من ذوى السن و من الشخصيات المحترمة عند أهل نجران «١»

قدم هذا الوفد المسيحي المدينة و دخلوا المسجد على رسول الله صلى الله عليه وآله و هم يلبسون أزياءهم الكنسية و يرتدون الديقاج و الحرير، و يلبسون خواتيم الذهب و يحملون الصلبان في اعناقهم، فأزعج منظرهم هذا و خاصة في المسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فشحروا بانزعاج النبي و لكنهم لم يعرفوا سبب ذلك، فسألوا «عثمان بن عفان» و «عبد الرحمن بن عوف» و كانت بينهم صداقة قديمة، فقال الرجلان لعلي بن أبي طالب: ما ترى يا أبا الحسن في هؤلاء القوم؟

قال: أرى أن يضعوا حللهم هذه و خواتيمهم ثم يعودون إليه.

(١) السيرة الحلبية: ج ٣ ص ٢١١ و ٢١٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٠٣

(١) ففعلوا ذلك ثم دخلوا على النبي صلى الله عليه وآله و آله فسلموا عليه فرد عليهم السلام، و احترمهم، و قبل بعض هداياهم التي أهدوها إليه صلى الله عليه وآله، ثم إن الوفد- قبل ان يبدوا مفاوضاتهم مع النبي صلى الله عليه وآله قالوا: إن وقت صلاتهم قدحان و استأذنه في أدائها، فاراد الناس منعهم و لكن رسول الله صلى الله عليه وآله اذن لهم و قال للمسلمين: دعوهم فاستقبلوا المشرق، فصلّوا صلاتهم «١».

و بذلك اعطى النبي صلى الله عليه وآله درسا في التسامح الديني يدفع افتتاح اعداء الاسلام على هذا الدين.

(٢)

مفاوضات وفد نجران مع النبي:

لقد نقل طائفة من كتاب السيرة، و المحدثين الاسلاميين نصّ الحوار الذي دار بين وفد نجران المسيحي و رسول الله صلى الله عليه و آله، و لكن المرحوم السيد ابن طاوس نقل نص هذا الحوار و قضية المباهلة بنحو أدقّ و اكثر تفصيلا ممّا ذكره الآخرون من المحدثين و المؤرخين.

فقد ذكر جميع خصوصيات المباهلة من البداية الى النهاية نقلا عن كتاب المباهلة لمحمد بن المطلب الشيباني (٢). و كتاب عمل ذي الحجة للحسن بن اسماعيل (٣)، غير أن نقل جميع تفاصيل هذه الواقعة التاريخية الكبرى التي قصير حتى في الاشارة إليها اشارة عابرة بعض أصحاب السير أمر خارج عن نطاق هذا الكتاب، و لهذا فاننا نكتفي بنقل جانب من هذا الحوار الذي نقله رواه الحلبي في

(١) السيرة الحلبيّة: ج ٣ ص ٢١٢.

(٢) هو محمّد بن عبد الله بن محمّد بن عبيد الله بن البهلول بن همام بن المطلب المولود عام ٢٩٧ هـ و المتوفى عام ٣٨٧ هـ.

(٣) من اراد الوقوف على خصوصيات هذه الواقعة التاريخية فليراجع كتاب الاقبال للمرحوم السيد ابن طاوس ص ٤٩٦-٥١٣.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٠٤.

سيرته (١). سيد المرسلين ج ٢ ص ٦٠٤ مفاوضات وفد نجران مع النبي: ص : ٦٠٣

(١) عرض رسول الله صلى الله عليه و آله على وفد نجران و تلا عليهم القرآن، فامتنعوا و قالوا: قد كنّا مسلمين قبلك.

فقال رسول الله صلى الله عليه و آله: كذبتكم، يمنعكم من الإسلام ثلاث:

عبادتكم الصليب، و أكلكم لحم الخنزير، و زعمكم أنّ لله ولدا.

فقالوا: المسيح هو الله لأنه أحيأ الموتى، و أخبر عن الغيوب، و أبرأ من الأدواء كلها، و خلق من الطين طيرا.

فقال النبي صلى الله عليه و آله هو عبد الله و كلمته ألقاها الى مريم.

فقال أحدهم: المسيح ابن الله لأنه لا أب له.

فسكت رسول الله صلى الله عليه و آله عنهم فنزل الوحي بقوله تعالى:

إنّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب» (٢).

(٢) فقال وفد نجران: إنا لا نزداد منك في أمر صاحبنا إلّا تباينا، و هذا الأمر الذي لا نقره لك، فهلّم فلنلاعنك أيّنا أولى بالحق فنجعل

لعنة الله على الكاذبين (٣).

فانزل الله عزّ و جلّ آية المباهلة على رسول الله صلى الله عليه و آله:

«فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ

لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ» (٤).

فدعاهم إلى المباهلة، فقبلوا، و اتفق الطرفان على ان يقوموا بالمباهلة في اليوم اللاحق.

(١) السيرة الحلبيّة: ج ٣ ص ٢٣٩.

(٢) آل عمران: ٥٩.

(٣) بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٣٢٠، و لكن آية المباهلة، و كما استفاد من السيرة الحلبيّة تفيد ان النبي هو الذي اقترح المباهلة ابتداء كما

تفيد عبارة «تعالوا ندع ابناؤنا...».

(١) يروى العالم الشيعي الكبير السيد ابن طاوس في كتاب «الاقبال»: أقبل الناس من أهل المدينة من المهاجرين والأنصار، وغيرهم من الناس في قبائلهم و شعاراتهم من راياتهم و احسن شاراتهم و هيئتهم ... و لبث رسول الله صلى الله عليه وآله في حجرته حتى متع النهار ثم خرج آخذاً بيد علي و الحسن و الحسين أمامه، و فاطمة عليها السلام من خلفهم فاقبل بهم حتى أتى الشجرتين فوقف بينهما من تحت الكساء على مثل الهيئة التي خرج بها من حجرته، ثم أرسل الى وفد نجران ليباهلهم.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٠٧

(١)

انصراف وفد نجران عن المباهلة:

لما رأى وفد نجران هذا الأمر (و هو خروج النبي باحبته و اعزته) و سمعوا ما قاله اسقف نجران تشاوروا فيما بينهم ثم اتفقوا على عدم مباهلة النبي صلى الله عليه وآله، معلنين عن استعدادهم لدفع الجزية للنبي كل سنة، لتقوم الحكومة الاسلامية في المقابل بالدفاع عن أنفسهم و أموالهم، فقبل النبي صلى الله عليه وآله بذلك، و تقرّر أن يتمتع نصارى نجران بسلسلة من الحقوق في ظل الحكومة الإسلامية لقاء مبالغ ضئيلة يدفعونها سنويا، ثم قال النبي صلى الله عليه وآله:

«أما و الذي نفسى بيده لقد تدلّى العذاب على أهل نجران، و لو لا عنونى لمسخوا قرده و خنازير و لأضرم الوادى عليهم نارا و لاستأصل الله تعالى نجران و أهله».

عن عائشة: إن رسول الله صلى الله عليه وآله خرج (أى يوم المباهلة) و عليه مرط «١» مرجل من شعر أسود، فجاء الحسن فادخله ثم جاء الحسين فادخله، ثم فاطمة، ثم علي، ثم قال: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» «٢».

ثم يقول الزمخشري في نهاية هذا الكلام: و فيه دليل لا شىء أقوى منه على فضل أصحاب الكساء (عليهم السلام)، و فيه برهان على صحة نبوة النبي صلى الله عليه وآله، لأنه لم يرو أحد من موافق و لا مخالف أنهم أجابوا إلى ذلك.

(٢)

صورة العهد النبوي لأهل نجران:

سأل وفد نجران النبي صلى الله عليه وآله أن يكتب مقدار الجزية التي اتفق على دفعها من قبل أهالى نجران الى النبي صلى الله عليه وآله و آله في كتاب، و أن

(١) كساء.

(٢) الاحزاب: ٣٣.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٠٨

يضمن النبي صلى الله عليه وآله و آله أمن نجران في ذلك الكتاب، فكتب أمير المؤمنين علي بن أبى طالب بأمر النبي كتابا هذا نصه:

(١) «بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما كتب النبي محمّد رسول الله لنجران و حاشيتها، إذ كان له عليهم حكمه في كل ثمرة و صفراء و بيضاء و سوداء و رقيق فأفضل عليهم و ترك ذلك لهم: ألفى حلة من حلال الأوقى في كل رجب ألف حلة، و فى كل صفر ألف حلة، كل حلة أوقية، و ما زادت حلال الخراج أو نقصت عن الأوقى فبالحساب، و ما نقصوا من درع أو خيل أو ركاب أو عرض أخذ منهم بالحساب، و عليهم فى كل حرب كانت باليمن ثلاثون درعا، و ثلاثون فرسا، و ثلاثون بعيرا عارية مضمونة لهم بذلك، و على

أهل نجران مثواة رسلى (و استضافتهم) شهرا فدونه، و لهم بذلك جوار الله و ذمة محمد النبى رسول الله على أنفسهم و ملتهم و ارضهم و اموالهم و بيعهم و رهبانيتهم على أن لا- يعشروا و لا يأكلوا الربا و لا يتعاملوا به فمن أكل الربا منهم بعد ذلك فذمتى منه بريئة» (١).

(٢)

أكبر فضيلة:

تعتبر واقعة المباهلة و ما نزل فيها من القرآن أكبر فضيلة تدعم موقف الشيعة على مر التاريخ. لأن ألفاظ الآية النازلة فى المباهلة و مفرداتها تكشف عن مكانة و مقام من باهل بهم رسول الله صلى الله عليه و آله و الذين يتخذهم الشيعة قادة لهم. فهذه الآية اعتبرت الحسن و الحسين ابناء لرسول الله صلى الله عليه و آله و فاطمة الزهراء المرأة الوحيدة التى ترتبط برسول الله صلى الله عليه و آله و يصدق عليها عنوان «نسانا». و قد عبر عن على عليه السلام بانفسنا فكان على عليه السلام تلك الشخصية العظيمة بحكم هذه الآية بمنزلة نفس رسول الله صلى الله عليه و آله، ترى أية فضيلة أعظم و أسمى من أن ترتفع مكانة المرء من

(١) فتوح البلدان: ص ٧٦، امتاع الاسماع: ص ٥٠٢ و اعلام الورى: ص ٧٨ و ٧٩.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٠٩

الناحية المعنوية ارتفاعا و تسمو سموا عظيما حتى أنه يوصف صاحبها بانه بمنزلة نفس النبى (١).

أ ليست هذه الآية شاهد صدق على أفضلية أمير المؤمنين على عليه السلام على جميع المسلمين.

لقد ذكر الفخر الرازى الذى عرف الجميع اسلوبه فى الابحاث الكلامية و موافقه من القضايا المرتبطة بالإمامة، ذكر استدلال الشيعة بهذه الآية ثم أورد على هذا الاستدلال اعتراضا قليل الأهمية مما لا يخفى جوابه على أرباب العلم و أهل المعرفة.

هذا و يستفاد من الأحاديث الواردة عن ائمة أهل البيت أن المباهلة لا تختص بالنبى الاكرم بل يجوز أن يتباهل كل مسلم فى القضايا الدينية مع من يخالفه و يجادله فيها، و قد جاءت طريقة المباهلة و الدعاء المخصوص بها فى كتب الحديث، و للوقوف على هذا الامر يراجع كتاب «نور الثقلين» (٢).

(١) و قد استند رسول الله صلى الله عليه و آله إلى هذه الآية فى قوله: «على منى كنفسى».

(٢) نور الثقلين: ج ١ ص ٢٩١ و ٢٩٢، و راجع أيضا الكافى ج ٢ كتاب الدعاء باب المباهلة، و قد اشار العلامة الطباطبائى فى احدى رسائله إلى هذه الموضوع أيضا، و يعتبره من معاجز الاسلام الخالدة.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦١٠

(١)

٥٩ تاريخ المباهلة عاما و شهرا و يوما

إشارة

إن حادثه المباهلة من قضايا التاريخ الاسلامى المعروفة المتواترة التى جاء ذكرها فى كتب التفسير، و التاريخ و الحديث بصورة مبسطة و مفصلة لمناسبة و اخرى، و تلتخص هذه القصة فيما يلى:

لقد كتب رسول الله صلى الله عليه وآله - يوم راسل ملوك العالم و امراءه يدعوهم الى الاسلام - كتب كتابا الى اسقف نجران «ابو حارثة» دعا فيه أهل نجران إلى الاسلام و لما تسلّم أبو حارثة كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله شاور جماعة من اصحابه، فاشاروا عليه بأن يبعثوا وفدا يمثلون أهل نجران إلى المدينة، ليتفاوضوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله عن كُتب.

و فعلا قدم الوفد المذكور المدينة، و التقى رسول الله صلى الله عليه وآله و بعد مداوات و مفاوضات كثيرة اقترح النبي الاكرم صلى الله عليه وآله على ذلك الوفد المباهلة بأمر الله سبحانه، بأن يخرج الجميع (الطرفان) إلى الصحراء، و يدعو كل واحد من الجانبين على الآخر فرضوا باقتراح رسول الله صلى الله عليه وآله، و لكنهم أحجموا عن المباهلة لما شاهدوا ما عليه رسول الله صلى الله عليه وآله من حالة معنوية، و روحانية عظيمة، حيث أن رسول الله صلى الله عليه وآله اصطحب معه إلى المباهلة أربعة انفار من أفضل أحبته و أعزته، و تقرّر أن ينضوى نصارى نجران تحت مظلة الحكومة الاسلامية و هم على دينهم شريطة أن يدفعوا جزية (و هي مبلغ ضئيل).

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦١١

هذه هي خلاصة قضية المباهلة التي لا يستطيع انكارها و إخفاءها أى مفسّر أو مؤرخ على النحو الذي ذكر، و الآن يجب أن نرى متى و فى أى يوم و شهر و عام وقعت هذه الحادثة الاسلامية الكبرى.

(١)

عام المباهلة حسب المشهور:

يقول مؤلف كتاب مكاتيب الرسول فى هذا الصدد: لا خلاف عند المؤرخين ان كتاب الصلح كتب سنة عشرة من الهجرة، فيكون سنة المباهلة نفس هذه السنة أيضا، لان كتاب الصلح هذا انما كتب عند ما أحجم الوفد النجرانى النصرانى من مباهلة النبي صلى الله عليه وآله.

و قد ادرج نص كتاب الصلح هذا فى مصادر عديدة نذكر بعضها فى الهامش «١».

(٢)

الشهر و اليوم الذى وقعت فيه المباهلة:

إن المشهور بين العلماء هو أن المباهلة وقعت فى اليوم الخامس و العشرين من شهر ذى الحجة، و ذهب المرحوم الشيخ الطوسى إلى أنها وقعت فى اليوم الرابع و العشرين من ذلك الشهر، و روى فى كتابه دعاء خاصا فى هذه المناسبة «٢».

و اما المرحوم السيد ابن طاوس فقد نقل حول يوم المباهلة أقوالا ثلاثة، و ذكر بأن أصح تلك الأقوال و الروايات هو القائل بان يوم المباهلة هو الرابع و العشرون من شهر ذى الحجة، و قد ذهب البعض إلى أنه اليوم الواحد و العشرون بينما ذهب آخرون إلى أنه اليوم السابع و العشرون «٣».

(١) تاريخ اليعقوبى: ج ٢ ص ٦٥، الدر المنثور: ج ٢ ص ٣٨.

(٢) مصباح المتعجب: ص ٧٠٤.

(٣) الإقبال: ص ٧٤٣.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦١٢

(١) ثم انه رحمه الله روى فى آخر كتابه «١» قصة المباهلة بصورة مفصلة لم ترد فى أى كتاب أو مؤلف آخر، و نوه بأن محتويات هذا

الباب اقتبست من الكتابين التاليين:

١- كتاب المباهلة تأليف أبي المفضل محمد بن عبد المطلب الشيباني «٢».

٢- كتاب عمل ذي الحجة تصنيف الحسن بن اسماعيل بن أشناس «٣».

إلى هنا اتضح أن يوم المباهلة على المشهور هو اليوم الرابع والعشرون أو الواحد والعشرون أو الخامس والعشرون أو السابع والعشرون من شهر ذي الحجة.

و أما رأينا حول التاريخ الدقيق لهذه الواقعة من حيث العام والسنة.

إن خلاصة القول هي أن هذه الأقوال والآراء حول عام و يوم المباهلة لا- توافق النقول التاريخية الاخرى التي يتسم بعضها بطابع القطعية إلى حد بعيد، وإليك ادلتنا على ذلك فيما يلي:

(٢)

رأينا حول عام المباهلة:

(٣) ١- لقد جاء في ختام الكتاب الذي بعثه النبي صلى الله عليه وآله الى اسقف نجران عبارة: «و إن أبيتتم فالجزية»، وقد جاءت لفظه الجزية في القرآن الكريم

(١) الاقبال: ص ٧٤٣.

(٢) لم ينقل المرحوم السيد نسبه بصورة صحيحة، فقد ذكر النجاشي نسبه على النحو التالي: محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن يهلول بن الهمام بن المطلب و على هذا الاساس يكون جده المطلب و ليس عبد المطلب كما انه يكون المطلب جده الخامس. و ينبغي الاشارة هنا إلى أن لمحمد بن عبد الله- حسب ما يرى النجاشي- فترتين من الحياة، كان في إحداهما موثوقا به، و في الاخرى غير موثوق به و هذا يقول: اجتنب الرواية عنه أا عند ما يروى الثقات عنه ايام استقامته و صلاحه (راجع فهرست النجاشي ص ٢٨١-٢٨٢).

(٣) جاء ذكره في اسناد الصحيفة السجادية و هو من مشايخ الطائفة الامامية و قد توفي عام ٤٦٠ ه و قد نقل احاديث المباهلة (راجع الدرعية ج ١٥ ص ٣٤٤).

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦١٣

في سورة التوبة و الظاهر أن رسول الله صلى الله عليه وآله استخدم هذه الجملة و اللفظة في الكتاب المذكور اتباعا للآية المذكورة، و قد نزلت سورة التوبة قبيل غزوة تبوك بقليل، و قد وقعت هذه الغزوة بعد شهر رجب من السنة التاسعة. و بناء على هذا يبعد أن يكون رسول الله قد كتب لأهل نجران كتابا، بعثوا بجوابه إليه صلى الله عليه وآله بعد عام و نصف العام على يد وفداهم.

إن هذه الواقعة التاريخية تحكى عن أن هذه الحادثة قد وقعت في السنة العاشرة من الهجرة.

(١) ٢- اتفق كتاب السيرة على أن رسول الله صلى الله عليه وآله بعث عليا عليه السلام إلى اليمن للقضاء و تعليم الاحكام الدينية، و قد مكث على عليه السلام هناك ردحا من الزمان لأداء مهامه المخولة إليه، و عند ما علم بتوجه النبي صلى الله عليه وآله الى مكة للحج، خرج هو أيضا إلى مكة على رأس جماعة من أهل اليمن، فلقى النبي بمكة، و قدّم إليه الف حلة من البز كان قد أخذها من أهل نجران من باب الجزية التي فرضت و كتبت عليهم في معاهدة الصلح «١».

إن هذه القضية التاريخية تفيد ان واقعة المباهلة و كتابة العهد لا ترتبط بالسنة العاشرة من الهجرة، و ذلك لأن أهل نجران تعهدوا في

وثيقة الصلح أن يدفعوا الى رسول الله صلى الله عليه وآله في كل سنة ألفى حلة (مخيطه و غير مخيطه)، الف حلة منها في شهر رجب، و الف حلة اخرى في شهر صفر «٢».

(٢) فاذا سلمنا بأن وثيقة الصلح كتبت في شهر ذى الحجة و جب أن نقول ان المقصود منه هو شهر ذى الحجة من الاعوام السابقة على السنة العاشرة.

لأنه كيف يمكن أن نقول بأن كتابه وثيقة الصلح، و تنفيذها بواسطة الامام

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٦٠٢ و ٦٠٣، الارشاد: ص ٨٩.

(٢) الطبقات الكبرى: ج ١ ص ٣٤٨، و الارشاد: ص ٩٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦١٤

على عليه السلام قد تمّ معا في السنة العاشرة.

و إذا ارتضينا القول المشهور حول اليوم و العام الذي كتبت فيهما وثيقة الصلح، امكن في هذه الصورة أن يكون عقد الصلح قد تمّ في السنة العاشرة، و لكن يجب أن نرجع تاريخ كتابته إلى ما قبل شهر رجب لأن الفرض هو أن الامام عليا عليه السلام قد استلم أول قسط من الجزية المقررة في شهر رجب في السنة العاشرة.

(١) و الخلاصة أنه مع ملاحظة هذه القضية التاريخية (و هي أن الامام عليا استلم القسط الاول من الجزية من أهل نجران في شهر رجب و سلمه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في مكة في شهر ذى الحجة) و جب أن نختار احد القولين التاليين:

الف: إذا سلمنا بان يوم و شهر تنظيم وثيقة الصلح هو شهر ذى الحجة و جب ان نقول ان المقصود منه هو أشهر ما قبل السنة العاشرة.
باء: إذا ترددنا في يوم و شهر كتابة الصلح على نحو التردد في تحديد عامه، أمكن في هذه الصورة ان نقول بان يوم المباهلة و كذا يوم تنظيم وثيقة الصلح يرتبطان باشهر ما قبل شهر رجب من السنة العاشرة للهجرة.
(٢)

زمن المباهلة يوما و شهرا:

إلى هنا اتضح انه من غير الممكن ان يكون عام المباهلة هو السنة العاشرة من الهجرة حتما، إلّا في صورة واحدة و هي أن نغير رأينا في اليوم و الشهر اللذين تمت فيهما كتابة وثيقة الصلح.

و قد حان الحين الآن لأن نحدّد تاريخ المباهلة من حيث اليوم و الشهر في ضوء الاحداث و الوقائع التاريخية، فنقول: إن الشهر و اليوم اللذين وقعت فيهما قضية المباهلة هما- حسب ما هو مشهور بين العلماء كما أسلفنا- شهر ذى الحجة

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦١٥

و اليوم الرابع و العشرون أو الخامس و العشرون، و على قول: الحادي و العشرون، أو السابع و العشرون من ذلك الشهر.

(١) و الآن يجب أن نرى هل تنطبق هذه الاقوال على غيرها من الحوادث التاريخية القطعية أم لا؟

إن الدراسة التالية تثبت لنا أن قضية المباهلة من غير الممكن أن تكون قد وقعت في شهر ذى الحجة من السنة العاشرة مطلقا، لأن رسول الله صلى الله عليه وآله قد توجه الى مكة المكرمة لتعليم مناسك الحج في السنة العاشرة من الهجرة، و في اليوم الثامن عشر من هذا الشهر (و هو يوم الغدير) نصب في منطقة غدیر خم التي تبعد عن الجحفة «١» بميلين «٢»، عليا خليفه على المسلمين من بعده. و لم تكن حادثة الغدير بالحادثه التي تنتهي ذيلها في يوم واحد ليتابع النبي سفره الى المدينة فورا لأن النبي- بشهادة التاريخ- أمر بعد نصب على عليه السلام للخلافة أن يجلس على في خيمه، و ان يدخل عليه المسلمون الحاضرون ثلاثة ثلاثة، و يهنتونه بالخلافة و

الإمرة و قد استمر هذا العمل حتى الليلة التاسعة عشرة من شهر ذي الحجة، و قد هنأت «امهات المؤمنين» عليا عليه السلام في نهاية

(١) «الجحفة» على وزن طعمه تقع على بعد ثلاثة منازل من مكة و سبعة منازل من المدينة و تبعد عن البحر الاحمر بستة اميال تقريبا و تقرب من رايغ التي تقع الآن على الطريق بين مكة و المدينة راجع كتاب التحرير للنووي و التهذيب له أيضا، هذا و يقول الياقوت الحموي في مرصد الاطلاع ص ١٠٩: ان الجحفة تقع على بعد أربعة أميال من مكة و هي ميقات أهل مصر و الشام، و تبعد عن البحر بستة أميال، و عن غدیر خم بميلين. و هي الآن تبعد عن مكة - حسب المقاييس الحديثة - بمائتين و عشرين كيلومترا و يقول المسعودي في كتابه «التنبيه و الاشراف» ص ٢٢١-٢٢٢ أيضا:

أن غدیر خم يقرب من الماء المعروف بالخرار بناحية الجحفة، و ولد على رضى الله عنه و شيعة يعظمون هذا اليوم.

(٢) الميل عبارة عن ثلاثة آلاف ذراع، و الفرسخ عبارة عن تسعة آلاف ذراع و قيل: ان الميل عبارة عن أربعة آلاف ذراع، و الفرسخ عبارة عن اثني عشر الف ذراع، و على أيه حال فان الميل ثلث الفرسخ، و ثلاثة اميال تعادل فرسخا كاملا (راجع القاموس مادة: ميل).

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦١٦

مراسيم التهنئة «١».

(١) من هنا لا- يمكن القول بان رسول الله صلى الله عليه و آله غادر ارض غدیر خم في اليوم التاسع عشر، خاصة ان تلك المنطقة كانت المحل الذي تشعب فيه طرق المدنيين و المصريين و العراقيين، و بناء على هذا لا بد أن الجماعات المختلفة الاوطان التي كانت تريد التوجه إلى اوطانها قد ودعت رسول الله صلى الله عليه و آله، و لا شك أن عملية التوديع هذه قد أوجبت مكث رسول الله صلى الله عليه و آله في أرض الغدير مدة أطول.

و حتى لو فرضنا- افتراضا- أن رسول الله صلى الله عليه و آله توجه نحو المدينة في اليوم التاسع عشر، فهل يمكن ان نقول- في ضوء المحاسبات التي نملكها من التاريخ حول مقدار طي هذه المسافة- أن رسول الله صلى الله عليه و آله قدم المدينة في اليوم الرابع و العشرين أو الخامس و العشرين، و اخذ بمقدمات قضية المباهلة ثم كتب وثيقة الصلح بينه و بين أهل نجران؟، كلا حتما، لأن المسافة بين مكة و الجحفة كما ذكرنا في الهامش المتقدم هي ثلث المسافة بين مكة و المدينة.

(٢) و يجب أن نرى الآن كم كان يستغرق من الزمن مجموع سفر القوافل - آنذاك - من مكة المكرمة الى المدينة المنورة؟

لا توجد هنا أية وثيقة توضح ذلك إلا حديث سفر النبي الاكرم صلى الله عليه و آله نفسه الذي وضعه التاريخ تحت تصرفنا فان التاريخ يقول: إن رسول الله صلى الله عليه و آله قطع هذه المسافة عند هجرته من مكة الى المدينة في مدة تسعة أيام «٢».

(١) جاء تفصيل مراسم التهنئة في موسوعة الغدير: الجزء ١ ص ٢٤٥-٢٥٧.

(٢) غادر رسول الله صلى الله عليه و آله مكة مهاجرا الى المدينة في الليلة الرابعة من شهر ربيع، و وصل إلى محل «قبا» حوالى الظهر في اليوم الثاني عشر من نفس ذلك الشهر، و تدلّ القرائن على أن رسول الله صلى الله عليه و آله قطع هذه المسافة بسرعة بسبب ملاحقة قريش له (السيرة النبوية: ج ٢ ص ٣٩٩، الطبقات الكبرى: ج ١ ص ١٣٥).

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦١٧

كما أن رسول الله صلى الله عليه و آله قطع هذه المسافة في مدة أحد عشر يوما «١».

(١) و سبب التفاوت بين هاتين الرحلتين هو أن النبي صلى الله عليه و آله قطع المسافة المذكورة في الرحلة الاولى برفقة شخصين، بينما قطع تلك المسافة في الرحلة الثانية بصحبة جيش قوامه عشرة آلاف رجل، و من الطبيعي أن تتم الحركة في الصورة الثانية بصورة أكثر بطؤا.

ولنفترض أن رسول الله صلى الله عليه وآله غادر أرض «غدیر خم» في اليوم التاسع عشر، فاننا إذا اتخذنا تسعة أيام مقياساً لتقييمنا وجب أن نقول أن رسول الله صلى الله عليه وآله لا بد أنه قطع المسافة بين الجحفة والمدينة في ستة أيام لأن المسافة بينهما هي ثلثا مجموع المسافة بين مكة والمدينة، وبالتالي دخل المدينة في اليوم الرابع والعشرين.

وإذا اعتبرنا الثاني (أي أحد عشر يوماً) أنه هو المقياس وجب أن يقطع تلك المسافة (أي بين الجحفة والمدينة) في سبعة أيام ونصف اليوم، فيكون - حسب القاعدة - قد قدم المدينة في اليوم السادس والعشرين حوالي الظهر منه.

فهل يمكن القول - في ضوء هذه المحاسبة - بأن قضية المباهلة وقعت في اليوم الرابع والعشرين أو الخامس والعشرين أو السابع والعشرين.

(٢) إن بطلان هذا القول، وخلوه عن الصحة يتضح أكثر إذا عرفنا بأن وفد نجران قبلوا بالتباهل بعد سلسلة من المفاوضات والمداومات، وقد انصرفوا عن التباهل في المال ووقفوا على وثيقة صلح بينهم وبين النبي صلى الله عليه وآله، تحت شروط خاصة. فإن أعضاء الوفد المذكور دخلوا المدينة وهم يرتدون ثياباً راقية من الديباج والحري، وفي أيديهم خواتيم من ذهب، وعلى صدورهم صلبان من ذهب، وتوجه

(١) بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ١٩.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦١٨

فور قدومهم - وعلى هذه الهيئة - إلى مسجد النبي صلى الله عليه وآله ولكن النبي واجههم بالكره بسبب الهيئة التي دخلوا بها عليه. (١) فانتهى هذا اللقاء من دون عمل شيء و تفرق أعضاء الوفد، وهم في حيرة من موقف النبي صلى الله عليه وآله فالتقى الوفد علياً عليه السلام وسأله عن سبب استياء النبي واعراضه عنهم، فأخبرهم الامام على عليه السلام بأن عليهم أن ينزعوا تلك الثياب والحلي عنهم، ويدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وآله بثياب عادية حتى يرتاح إليهم النبي ويستقبلهم بوجه منبسط.

فعاد أعضاء الوفد ودخلوا على النبي صلى الله عليه وآله بثياب عادية خالية عن الزينة والحلي، فاستقبلهم رسول الله صلى الله عليه وآله ببشاشة خاصة، ورحب بهم ترحيباً كبيراً، ثم سألوا النبي صلى الله عليه وآله أن يؤدوا صلاتهم في المسجد، فاذن لهم رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك، ثم دخلوا مع النبي صلى الله عليه وآله في مناظرات ومناقشات مفصلة، وبعد مناظرات مفصلة ذكرها أكثر المفسرين والمؤرخين ومنهم ابن هشام في سيرته «١» اتفقوا على أن يحسموا الأمر بالمباهلة، وحدد يوم المباهلة. ولما كان ذلك خرج رسول الله صلى الله عليه وآله في ذلك اليوم مع ابنته الزهراء وصهره علي بن أبي طالب، وسبطيه الحسن والحسين، إلى الصحراء للمباهلة مع وفد نجران.

(٢) ولكن وفد نجران بعد أن رأوا النبي ومن معه وما هم عليهم من البساطة والجلال انصرفوا عن الدخول في المباهلة ورضخوا طائعين لدفع جزية سنوية الى رسول الله صلى الله عليه وآله.

فهل هذه الوقائع التي استغرقت - كما يقول بعض المؤرخين - اربعة مجالس يمكن أن تكون قد تمت في يوم واحد؟

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٥٧٥، مجمع البيان: ج ١ ص ٤١٠.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦١٩

(١) إن المحاسبات تقضى وتفيد بأن مراسيم المباهلة، وكتابة وثيقة الصلح من غير الممكن أن تكون قد وقعت في اليوم الواحد والعشرين أو الرابع والعشرين، أو الخامس والعشرين أو السابع والعشرين من شهر ذي الحجة من السنة العاشرة للهجرة.

هذا مضافاً إلى أن «نجران» مدينة حدودية بين الحجاز واليمن، ولا بد أن تردّد القبائل كان من شأنه ان ينقل الى مسامع النجرانيين

أنباء وجود رسول الله صلى الله عليه وآله في مكة لاداء مناسك الحج، و لهذا فان من المستبعد ان يكون وفد نصارى نجران قد اقدم على التوجه إلى المدينة للحضور عند رسول الله صلى الله عليه وآله قبل التأكد الكامل من عودته إلى المدينة والاستقرار الكامل فيها.

(٢)

هل كانت قضية المباهلة في السنة التاسعة؟

هنا يمكن أن يقال بأن قضية المباهلة وقعت في شهر ذي الحجة من السنة التاسعة، وقد ذهب إلى هذا الرأي بعض المؤرخين أيضا (١).

ولكن المحاسبات التاريخية تثبت أيضا بطلان هذا الرأي، وذلك لأن الامام عليا الذي كان من الشاهدين لقضية المباهلة، كما أنه هو الذي كتب وثيقة الصلح بيده الشريفة كان قد كلف في التاسع من شهر ذي الحجة من هذه السنة (التاسعة) من قبل النبي صلى الله عليه وآله بمهمة إبلاغ آيات البراءة- على

(١) جاء ذكر هذا عند تفسير سورة التوبة. نقل صاحب الغدير: في ج ٦ ص ٣١٨-٣٢١ هذا الرأي من اثنين و سبعين شخصا من علماء السنة، و كأن قضية المباهلة بين النبي و وفد نجران وقعت في آخر هذه الستة (التاسعة)، لأنه ورد أن هذا الأمر قد تم في شهر ذي الحجة بعد فتح مكة، و لا بد ان المراد بذى الحجة ليس هو ذو الحجة من عام حجة الوداع و هي السنة العاشرة التي وقعت فيها قضية الغدير فاذن هو ذو الحجة من السنة السابقة على عام الغدير و استغرقت اربعة مجالس (بتلخيص).

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٢٠

المشركين في يوم الحج الا-كبر بمنى، و في الحقيقة كانت السنة الثانية التي كانت قد انيطت اماره الحج و ادارة امر الحجيج إلى المسلمين، و كان قد اختير أمير المؤمنين أميراً على الحج فيها.

(١) و نحن نعلم أن مناسك الحج تنتهي في اليوم الثاني عشر من شهر ذي الحجة، و لا شك أن شخصية بارزة و مسئولة كالامام علي عليه السلام الذي كان يرأس الحج في ذلك العام من غير الممكن أن يكون قد غادر مكة في اليوم الثالث عشر و يتوجه إلى المدينة و هو الذي كانت له أقرباء و انساب كثيرون في مكة، هذا مضافا إلى أن حركة الحجيج لم تكن في تلك العصور حركة انفرادية حتى يستطيع كل واحد منهم أن يقطع الفيافي القفراء و الصحارى القاحلة الموحشة بمفرده فكان على من يريدون الحج ان يتوجهوا بصورة جماعية إلى مكة أو يغادروها إلى بلادهم.

و لهذا فان عليا عليه السلام مهما اسرع و جد في السير قافلا إلى المدينة، و قطع المسافة بين مكة و المدينة بسرعة فائقة فانه من غير الممكن أن يكون قدم المدينة قبل اليوم الرابع و العشرين، و لهذا كيف يمكن أن يقوم بارشاد وفد نجران و دلالتهم على ما يجب ان يفعلوه حتى يستقبلهم النبي ببشاشة و يرحب بهم، و يشهد المباهلة مع المتباهلين.

(٢) إن الشواهد و الادلة التاريخية تشهد بان النظرية المشهورة حول زمن المباهلة (يوما و شهرا و عاما) لا تحظى بالاعتبار الكافي، و لا بد- لمعرفة زمن هذه الحادثة التي هي من مسلمات القرآن و التفسير و الحديث- من مزيد التحقيق، و مزيد الدراسة، و التقصي.

و هنا يبقى سؤال لا بد من الإجابة عليه و هو: كيف اختار المشهورون من العلماء مثل هذه النظرية حول يوم المباهلة و شهرها و عامها.

(٣) و الجواب هو: أن المرحوم الشيخ الطوسي اختار هذا القول استنادا إلى رواية مسندة نقلها في كتابه و لكن في سند الحديث المذكور رجالا غير ثقات في نظر

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٢١

علماء الرجال، نظراء:

١- محمد بن أحمد بن مخزوم استاذ التلعكبري في الحديث فهو ممن لم يوثق «١».

٢- الحسن بن علي العدوي وقد ضعفه العلامة «٢».

٣- محمد بن صدقة العنبري وقد وصفه الشيخ الطوسي بالغلو «٣».

وقد ذكر المرحوم السيد ابن طاوس في كتاب «الاقبال» امورا تتعلق بالمباهلة نقلا عن كتاب أبي المفضل وقد ذكرنا في الهامش (ص ٢٠٧٣) أن ابا المفضل له فترتان في حياته، فهو موثق في حال وغير موثق في حال آخر، ولا يدري في أي حال من الحالين كتب أبو المفضل قضايا المباهلة، و اخذها عنه العلماء.

كما ان السيد استند في كتابه المذكور (ص ٧٤٣) على حديث مرفوع (و هو ما فيه نقص في رجال سنده)، و ذكر في ضوئه ان يوم المباهلة هو اليوم الرابع والعشرون على حين لا تقوم مثل هذه الرواية باثبات المدعى.

(١) و ان حاول المامقاني في تنقيح المقال توثيقه لكونه استاذ حديث.

(٢) تنقيح المقال: ج ١ ص ٢٩٤.

(٣) رجال الشيخ الطوسي: ص ٣٩.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٢٢.

٦٠-١- تقييم البراءة من المشركين ٢- وفود القبائل في المدينة

إشارة

(١) تركت البراءة القوية التي أعلنها امير المؤمنين على عليه السلام في موسم الحج في السنة التاسعة بمنى بامر رسول الله صلى الله عليه وآله و التي أعلن فيها بصراحة و بصورة رسمية ان الله و رسوله بريان من المشركين و الوثنيين، و أن على المشركين أن يضعوا حداً لشركهم خلال أربعة أشهر فإما أن يسلموا و يكفوا عن عبادة الاصنام و يهجروها، و إما أن يستعدوا لمواجهة شاملة. لقد ترك إعلان هذه البراءة الصريحة أثرها العميق و السريع، فقد ارتبكت القبائل العربية القاطنة في شتى أنحاء الجزيرة العربية التي كانت بسبب عنادها و لجاجتها ترفض الخضوع لمنطق القرآن و الاستجابة لنداء التوحيد و تصر على المضي في عاداتها الشنيعة، و العكوف على الاوهام و الخرافات و عبادة الاصنام و الأوثان.

(٢) لقد ارتكبت هذه القبائل، على اثر تلك البراءة الصريحة القوية، فعمدت إلى إيفاد وفود و مندوبين من جانبها إلى المدينة عاصمة الإسلام، و قد دار بين كل واحد من هذه الوفود و بين رسول الله صلى الله عليه وآله حوار خاص.

وقد ذكر ابن سعد في الطبقات الكبرى «١» مواصفات و خصوصيات اثنين

(١) الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ٢٩١ - ٣٣٠.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٢٣.

و سبعين وفدا من تلك الوفود.

إن توافد هذه البعثات و الوفود العجيب و خاصة في أعقاب إعلان البراءة يكشف عن أن مشركي العرب فقدوا في السنة العاشرة من الهجرة كل حصين يمنعهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله، و ألا لكانوا يلجئون إليه، و يتظاهرون على رسول الله صلى الله عليه وآله و

آله.

و لم تنته المدة المضروبة (اربعة أشهر) بعد إلاً و دخلت كل مناطق الحجاز و كل أقوامها تحت راية التوحيد، و لم يبق في الحجاز بيت تعبد فيه للاصنام و الاوثان ظاهراً حتى أن فريقاً من سكان اليمن و البحرين و اليمامة انتبهوا الى الاسلام فاقبلوا عليه و اعتنقوه.

(١)

محاولة اغتيال النبي:

عرفت قادة بنى عامر من بين القبائل العربية- يومئذ- بالشر و الطغيان، و قد اعترم ثلاثة اشخاص منهم هم: «عامر» و «أربد» و «جبار» على أن يدخلوا المدينة راس وفد من بنى عامر، و يتظاهروا بالتفاوض مع رسول الله صلى الله عليه و آله، ثم يغدروا به في المجلس و يغتالوه.

و كانت الخطة تقضى: بأن يتحدث «عامر» الى رسول الله صلى الله عليه و آله و يفوضه، و فيما هو يفعل ذلك يبادر «أربد» الى ضرب رسول الله صلى الله عليه و آله بسيفه.

و لم يخبر بقية اعضاء الوفد بنوايا هؤلاء الثلاثة و خطتهم، و لهذا أعلنوا لرسول الله صلى الله عليه و آله عن رغبتهم الصادقة في الاسلام، و وفائهم لشخص النبي صلى الله عليه و آله، و لكن «عامراً» احجم عن أى نوع من انواع سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٢٤

التظاهر بالإسلام في ذلك المجلس و كان يصّر على رسول الله صلى الله عليه و آله أن يخلو به في مكان آخر ليتحدث معه على انفراد تمهيداً لتنفيذ الخطة المشؤومة و هو ينظر الى أربد و ينتظر منه ما كان أمره به و اتفقا عليه، و لكنه لا يزداد نظراً إلى «أربد» إلاً و يزداد «أربد» حيرة و دهشة هذا و رسول الله صلى الله عليه و آله يقول لعامر كلما قال: خالنى: لا و الله حتى تؤمن بالله وحده لا شريك له.

(١) فلما أيس «عامر» من «أربد»، و كأن «أربد» كلما عزم أن يجرده سيفه و يهجم على رسول الله صلى الله عليه و آله هاب النبي، و منعتة عظمتة و مهابتة، فانصرف عن نيته، قال عامر و هو يترك مجلس النبي صلى الله عليه و آله: أما و الله لأملأنها عليك خيلاً و رجلاً و هو بذلك يكشف عن عناده و عتوه.

فقابله رسول الله بحلم كبير، و لم يرد على كلامه و تهديده و انما اكتفى بأن دعا عليه و على صاحبه بعد أن غادر مجلس النبي صلى الله عليه و آله.

و لقد استجاب الله لدعاء نبيه سريعاً فقد خرج هو و صاحبه راجعين إلى بلادهم حتى اذا كانوا في اثناء الطريق بعث الله الطاعون في عنق «عامر» فقتله ذلك المرض الوبىء في بيت امرأة من بنى سلول في صورة فضيحة، و حالة سيئة.

و أما «أربد» فارسل الله عليه و على جملة صاعقة و هو في الصحراء فاحرقتهما، و قد تسببت هاتان الحادثتان الفضيعتان اللتان أصابتا عدوين لدودين من أعداء النبي صلى الله عليه و آله في أن يزداد تعلق بنى عامر برسول الله صلى الله عليه و آله و يتضاعف حبههم له صلى الله عليه و آله.

(٢)

أمير المؤمنين في ربوع اليمن:

لقد مكن اقبال اهل الحجاز على الاسلام، و أمن النبي صلى الله عليه و آله

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٢٥

جانب القبائل العربية، مكن النبي من العمل على مد شعاع الاسلام إلى البلاد المتاخمة للحجاز.

فكان أول ما فعل صلى الله عليه وآله في هذا الصعيد هو بعث أحد أصحابه العلماء وهو «معاذ بن جبل» الى اليمن ليبلغ إلى أهلها نداء التوحيد و يشرح لهم معالم الاسلام و تعاليمه المقدسة، و قد أوصاه بوصايا كثيرة و مفصلة منها قوله صلى الله عليه وآله. «يسر و لا تعسر و بشر و لا تنفر و إنك ستقدم على قوم من أهل الكتاب يسألونك ما مفتاح الجنة: فقل شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له».

(١) و يبدو أن معاذاً رغم انه كان ملماً بالكتاب العزيز و السنة النبوية و تعاليمها و احكامها، إلا انه لما سأله امرأه عن حق الزوج على الزوجة لم يملك لها جواباً مقنعاً، و لهذا رأى رسول الله صلى الله عليه وآله بأن يوجه الى اليمن تلميذه المتميز «علي بن أبي طالب» عليه السلام حتى يتمكن في ضوء دعوته الدائبة، و احاديثه المبرهنه، و ما يمتلك من شجاعة أدبية نادرة، و قوة عقلية متميزة من نشر الإسلام العظيم في تلك الربوع.

هذا مضافاً إلى أن النبي صلى الله عليه وآله كان قد بعث «خالد بن الوليد» (١) الى اليمن من قبل ليزيل المشكلات التي كانت تعرقل تقدم الاسلام في تلك الديار و لكنه لم يوفق في مدة بقائه لعمل شيء في هذا المجال (٢).

(٢) فاستدعا النبي صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام و أخبره بأنه يريد أن يذهب الى اليمن ليدعو أهلها إلى الإسلام، و ليخمس ركازهم، و يعلمهم

(١) صحيح البخارى: ج ٥ ص ١٦٣.

(٢) السيرة الحلبية: ج ٣ ص ٢٦٤.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٢٦

الاحكام، و يبين لهم الحلال و الحرام، و إلى أهل نجران ليجمع صدقاتهم و يقدم عليه بجزيتهم، فقال علي عليه السلام بتواضع بالغ: «يا رسول الله تبعنى و أنا شاب أفضى بينهم و لا أدري ما القضاء» أى ما فعلته قبل هذا.

فضرب رسول الله صلى الله عليه وآله بيده في صدر علي عليه السلام و قال: «اللهم اهد قلبه و ثبت لسانه».

(١) ثم قال صلى الله عليه وآله:

«يا علي لا تقاتلن أحدا حتى تدعوه و أيم الله لئن يهدى الله على يديك رجلاً خير لك مما طلعت عليه الشمس و غربت و لك و لاؤه يا علي».

ثم أوصاه صلى الله عليه وآله بوصايا أربع هامة إذ قال:

يا علي أوصيك:

١- بالدعاء فإن معه الإجابة.

٢- و بالشكر فإن معه المزيد.

٣- و إياك أن تخفر عهداً أو تعين عليه.

٤- و أنهاك عن المكر، فانه لا يحق المكر السيئ إلا بأهله، و أنهاك عن البغى، فانه من بغى عليه لينصره الله».

(٢) و لقد بقي على عليه السلام يقوم بالقضاء طيلة أيام اقامته في اليمن بصورة عجيبة محيرة، و قد دونت أكثر اقصيته في كتب التاريخ و الحديث.

هذا و يروى «البراء بن عازب» و كان من الذين صحبوا علياً عليه السلام في سفره هذا الى اليمن انه لما انتهى على عليه السلام و من

معه إلى أوائل أهل اليمن، وبلغ القوم الخبر، فخرجوا إليه صفّ على عليه السلام الجنود الذين كانوا

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٢٧

قد استقروا هناك من قبل بقيادة خالد بن الوليد، ثم صلّى بهم صلاة الفجر، ثم دعا قبيلة همدان كلها، وكانت أكبر القبائل اليمنية، ليقرأ عليهم كتاب رسول الله صلّى الله عليه وآله، فحمد الله، واثني عليه، ثم قرأ على القوم كتاب رسول الله صلّى الله عليه وآله فاسلمت همدان كلها في يوم واحد متأثرة بجلال المشهد، و حلاوة البيان، و عظمة المنطق النبوي، فكتب امير المؤمنين عليه السلام بذلك إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله فلما قرأ كتابه استبشر و ابتهج و خرّ ساجدا شكرا لله تعالى ثم رفع رأسه و جلس و قال:

«السلام على أهل همدان. السلام على أهل همدان».

ثم تتابع - على أثر اسلام همدان - أهل اليمن على الاسلام «١».

(١) الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٣٠٥، بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٣٦٠-٣٦٣.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٢٨

(١)

٦١ حجة الوداع

إشارة

تعتبر مراسيم الحج و مناسكه من أعظم العبادات الاسلامية الجماعية التي يؤديها المسلمون، جلالا و ابهة، و ذلك لأن أداء مراسيم الحج و مناسكه في كل سنة مرة واحدة يمثّل بالنسبة للامة الإسلامية أكبر مظاهر الاتحاد، و الوحدة و دليلا كاملا على الترفع على المناصب و الدرجات و تكون نموذجا بارزا للمساواة بين جميع أبناء البشر، و سبيلا إلى تقوية أواصر الاخوة المتينة بين المسلمين، فاذا كان المسلمون لا ينتفعون بهذه المائدة الكبرى التي منحها ربهم لهم، و اذا كانوا لا يستفيدون من هذا المؤتمر الاسلامي السنوي العظيم (الذي يمكنه بحق أن يجيب و يعالج الكثير من مشكلاتنا الاجتماعية، و يكون نقطة تحول عميق في حياتنا) استفادة كاملة لا ثقة، فإن ذلك ليس - و بدون ريب او شك - ناشئا من قصور في القانون الاسلامي، بل هو دليل على قصور قادة المسلمين و تقصير حكاهم الذين لا يولون هذه المراسم و هذا الموسم العظيم اهتماما مناسبا، و لا يفكرون في استغلاله على الوجه المطلوب.

(٢) فمنذ أن فرغ إبراهيم الخليل عليه السلام من اقامته صرح الكعبة المعظمة و دعا الموحدين إلى زيارتها، و الحج إليها لم تزل هذه البنية الشريفة كعبة القلوب، و مطاف الشعوب و الاقوام و الجماعات الموحدة التي تأتي إليها كل عام من شتى نقاط العالم، و من مختلف انحاء الجزيرة العربية، و يؤدون عندها المناسك التي علمها إياهم النبي العظيم إبراهيم الخليل عليه و على نبينا السلام.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٢٩

(١) و لكن تقادم العهد، و انقطاع شعب الحجاز عن قيادة الأنبياء، و أنانية قريش، و سيادة الوثنية على عقول العرب أوجب أن تتعرض مراسيم الحج و مناسكه - من حيث الزمان و المكان - لعملية تحريف و تغيير، و ان تفقد صبغتها الحقيقية و وجهها الواقعي.

لهذه الجهات امر رسول الله صلّى الله عليه وآله في السنة العاشرة من الهجرة، و من قبل الله سبحانه ان يشارك في مراسيم الحج شخصا، و يقوم بتعليم مناسك الحج للناس، و يوقفهم على واجباتهم في هذه العبادة الكبرى عمليا، كما يقوم بإزالته كلّ ما علق بها من زوائد طيلة السنوات الغابرة، و يعيّن حدود «عرفات» و «منى» و يوم الإفاضة منها و لهذا فإن السفر كان سفرا ذا طابع تعليمي، قبل أن يكون ذا طابع سياسي و اجتماعي.

(٢) أمر رسول الله صلى الله عليه وآله في الشهر الحادى من العام العاشر للهجرة (أى شهر ذى القعدة) بأن ينادى فى المدينة و بين القبائل بأن رسول الله صلى الله عليه وآله يقصد مكة للحج هذا العام، فحدث هذا الاعلان شوقا و ابتهاجا عظيمين فى نفوس جمع كبير من المسلمين، فتهيأ عدد هائل منهم لمرافقة رسول الله صلى الله عليه وآله و ضربت مضارب و خيم كثيرة خارج المدينة المنورة بانتظار حركة النبى صلى الله عليه وآله و توجهه الى مكة (١).

و فى اليوم السادس و العشرين من شهر ذى القعدة خرج رسول الله صلى الله عليه وآله من المدينة متوجها الى مكة و قد استخلف مكانه فى المدينة أبا دجانه الانصارى، و قد ساق معه ما يزيد عن ستين بدنة. و عند ما بلغ الموكب النبوى العظيم إلى «ذى الحليفة» (و هى نقطة فيها مسجد الشجرة أيضا) أحرم بلبس قطعتين عاديتين من القماش الأبيض من مسجد الشجرة، و دخل الحرم، و لبى عند الاحرام قائلا:

(١) السيرة الحلبية: ج ٣ ص ٣٨٩.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٣٠

«لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد و النعمة لك و الملك لبيك لا شريك لك لبيك».

و هو بذلك يلبى نداء إبراهيم، كما أنه صلى الله عليه وآله كان يكرّر هذه التلبية كلما شاهد راكبا، أو علا مرتفعا من الأرض، أو هبط واديا.

و لما شارف مكة قطع التلبية المذكورة.

(١) و فى اليوم الرابع من شهر ذى الحجة، دخل صلى الله عليه وآله مكة المكرمة و توجه نحو المسجد الحرام رأسا، ثم دخله من باب بنى شيبه و هو يحمد الله و يثنى عليه و يصلى على إبراهيم عليه السلام.

ثم بدأ من الحجر الأسود فاستلمه (١) «أولا، ثم طاف سبعة أشواط حول الكعبة المعظمة، ثم صلى ركعتين خلف مقام إبراهيم و عند ما فرغ من صلاته سعى بين الصفا و المروة (٢) ثم التفت إلى حجاج بيت الله الحرام و قال: «من لم يسق منكم هديا فليحلّ و ليجعلها عمرة (أى فليقتصر أى يأخذ من شعره و ظفره فيحلّ له ما حرم عليه بالاحرام) و من ساق منكم هديا فليقم على إحرامه».

(٢) و قد كره البعض هذا و اعتذروا بانه يعزّ عليهم (أولا- يلدّ لهم) أن يخرجوا من الاحرام فيحلّ لهم ما يحرم على المحرم فيلبسوا الثياب و يقربوا النساء و يتدهنوا و رسول الله صلى الله عليه وآله على إحرامه أشعث أغبر.

(١) المراد من الاستلام هو مسح الحجر الاسود باليدين قبل الشروع بالطواف و فلسفة هذا العمل هى أن هذا الحجر كان يقف عليه ابراهيم لدى بناء جدران الكعبة و اقامتها و رفعها، و استلامه نوع من تجديد الميثاق مع الخليل عليه السلام و العمل على نصره عقيدة التوحيد على نحو ما فعل ابراهيم.

و لقد اعتمر رسول الله صلى الله عليه وآله فى الفترة المدنية مرتين، إحداهما فى السنة السابعة و الاخرى فى السنة الثامنة بعد فتح مكة، و كانت هذه ثالث عمرة يقوم بها رسول الله صلى الله عليه وآله مع الحج (الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ١٧٤).

(٢) الصفا و المروة جبلان على مقربة من المسجد الحرام و السعى هو المشى بينهما ابتداء من الصفا و انتهاء بالمروة.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٣١

و ربّما قالوا: لا يصحّ هذا، كيف تقطر رءوسنا من الغسل «١» و نحن زوّار بيت الله؟

(١) فالتفت النبى صلى الله عليه وآله الى عمر و كان ممن بقى على احرامه و قال له: ما لى أراك يا عمر محرما؟ أسقت هديا؟

قال عمر: لم أسق.

فقال النبي: فلم لا تحلّ وقد أمرت من لم يسق بالإحلال؟

قال عمر: والله يا رسول الله لا أحلت وأنت محرم.

فغضب النبي لموقف الناس المتلكي هذا وقال:

«لو كنت استقبلت من أمرى ما استدبرت لفعلت كما أمرتكم».

وهو صلى الله عليه وآله يعنى: أننى لو كنت أعلم بالمستقبل ولو عرفت بموقف الناس المتردد و خلافهم هذا من قبل لما سقت الهدى، و لفعلت ما فعلتموه من عدم سوق الهدى، و لكن ما ذا عساي أن أفعل الآن و قد سقت الهدى، و لا يمكننى الإحلال من الإحرام، فيجب على أن أبقى على إحرامى «حتى يبلغ الهدى محلّه» أى أنحر هدىى بمنى كما أمر الله سبحانه، و أما أنتم فمن لم يسق الهدى منكم فإنّ عليه أن يحلّ إحرامه، و احسبوها عمرة، ثم أحرموا للحج مرة أخرى «٢».

(٢)

الامام على يعود من اليمن:

لما علم على عليه السلام بتوجه رسول الله صلى الله عليه وآله الى مكة

(١) هذه العبارة كناية عن مقاربة الأزواج و غسل الجنائبة لان مقاربتهن هي أحد محرمات الحرام و ترتفع هذه الحرمة بالتقصير و هو أخذ شيء من شعر الرأس أو اللحية أو تقليم الظفر.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٣١٩، و هذه القصة توقفنا على تعنت فريق من الصحابة و تمردهم على تعليمات النبي و أوامره الاكيدة و هم يعلمون أنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى و ثمة شواهد و موارد اخرى كثيرة على الموضوع، و قد جمعها المغفور له العلامة السيد عبد الحسين شرف الدين العاملى فى كتاب اسماها «النص و الاجتهاد».

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٣٢

للمشاركة فى مراسم الحج خرج هو و جنوده و قد ساق معه (٣٤) هديا للمشاركة فى الحج، و اصطحب حللا من بزّ اليمن و حريرها قد أخذها من اهل نجران و هي الجزية التى تقرّر دفعها الى النبي صلى الله عليه وآله.

(١) و لقد تعجل على عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله و استخلف على جنده الذين خرجوا معه إلى الحج رجلا من أصحابه لقيادتهم حتى مكة، فالتحق برسول الله و لقيه على مشارف مكة فسر رسول الله صلى الله عليه وآله به، و بما أحرزه من نجاحات فى مهمته التى بعثه بها إلى أرض اليمن، و قد أخبر بها النبي صلى الله عليه وآله على وجه التفصيل.

فلما فرغ من بيان اخبار سفره قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: انطلق فطف بالبيت، و حلّ كما حلّ أصحابك.

فقال على: يا رسول الله إنى اهلت كما أهلت.

فسأله النبي صلى الله عليه وآله عن كيفية إهلاله ساعة أحرّم للحج فقال على عليه السلام: يا رسول الله إنى قلت حين أحرمت: اللهم إنى اهلّ بما اهلّ به نبيك و عبدك و رسولك محمد صلى الله عليه وآله.

قال النبي و قد أخبره بانه يشاركه فى الحكم ما دام اهلّ بهذه الكيفية: فهل معك هدى؟

قال على: نعم و هو يشير إلى الهدى الذى ساقه معه من اليمن.

فاشركه رسول الله صلى الله عليه وآله فى الحكم، و ثبت على إحرامه مع رسول الله صلى الله عليه وآله حتى فرغا عن الحج و نحر رسول الله صلى الله عليه وآله الهدى عن نفسه، كما نحر على هديه أيضا «١».

(٢) ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله أمر عليا عليه السلام بأن يرجع إلى جنوده الذين فارقهم، و يصطحبهم إلى مكة، فلما رجع على عليه السلام إليهم

(١) الارشاد: ص ٩٢، ان هذا يدل على أن النية الاجمالية كافية ولا يلزم وقوف الناوى على تفاصيل العمل و جزئياته.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٣٣

وجد أن الرجل الذى استخلفه على اولئك الجنود قد عمد فكسا كل رجل من القوم حلة من البز الذى كان قد أخذه على من أهل نجران ليسلمها الى رسول الله صلى الله عليه وآله فانزعج من هذا التصرف غير المشروع و قال له: ويلك ما هذا؟ قال: كسوت القوم ليتجملوا به اذا قدموا فى الناس بمكة فقال على عليه السلام: ويلك! أنزع قبل أن تنتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فانزع ذلك الرجل الحلل من الجنود، و ردها إلى مكانها مع الأشياء الاخرى من جزيه أهل نجران. فانزع جماعة من اولئك الجنود ممن يزعجهم العدل و النظام دائما و يريدون أن تسير الامور وفق أهوائهم و مشترياتهم و ان خالفت سنن الحق و مبادئ العدالة، و أبدوا شكواهم من ما صنع بهم من استرداد الحلل و الثياب. و لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وآله و آله بمكة اشتكوا عليا عليه السلام فقام رسول الله خطيبا فى الناس و قال: «أيها الناس، لا تشكوا عليا، فو الله إنه لأخشن فى ذات الله (أو فى سبيل الله) من أن يشكى» (١).

(١)

مراسم الحج تبدأ:

انتهت أعمال العمرة، و كان النبي صلى الله عليه وآله يكره أن ينزل و يمكث فى دار أحد فى المدة التى بين العمرة و الحج و لهذا أمر بأن تضرب له خيمة خارج مكة. لقد حلّ اليوم الثامن من شهر ذى الحجة، فخرج زوار بيت الله الحرام فى ذلك اليوم من مكة إلى أرض عرفات ليقفوا فى اليوم التاسع و هو يوم عرفه من ظهر ذلك اليوم و حتى الغروب منه.

(١) السيرة النبوية: ح ٤ ص ٦٠٣ و فى البحار: ج ٢١ ص ٣٨٥: أمر النبي صلى الله عليه وآله مناديا أن ينادى فى الناس: «ارفعوا ألسنتكم عن عليّ فإنه خشن فى ذات الله غير مداهن فى دينه».

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٣٤

و قد قصد النبي عرفات أيضا فى اليوم الثامن من شهر ذى الحجة (الذى يدعى يوم التروية أيضا) من طريق منى، و توقّف فى «منى» إلى طلوع الشمس من اليوم التاسع ثم ركب بعيره، و توجه نحو عرفات، و نزل فى خيمة كانت قد ضربت له فى مكان يدعى «نمره». و قد ألقى فى ذلك الاجتماع الهائل خطابا تاريخيا هاما و هو على ناقته.

(١)

خطاب النبي التاريخى فى حجة الوداع:

... فى ذلك اليوم الذى كانت عرفات تشهد فيه اجتماعا عظيما و حشدا بشريا هائلا، لم يشهد مثله شعب الحجاز من قبل حتى ذلك اليوم، كان نداء التوحيد و شعار الاسلام يدوى فى ربوع تلك المنطقة التى كانت فيما مضى من الزمان موطن المشركين و مسكن الوثنيين و لكنها قد تحولت الآن إلى قاعدة الموحدين، و ملتقى عباد الله المؤمنين.

في هذه المنطقه بالذات (أى أرض عرفات) نزل رسول الله صلى الله عليه وآله و صلى الظهر و العصر و هو يؤم مائه الف، ثم خطب فيهم خطابه التاريخي و هو راكب على راحلته، و كان أحد اصحابه- و كان رفيع الصوت قويه- يكرر كلماته صلى الله عليه وآله لیسعه آخر من فى ذلك الحشد.

لقد بدأ رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك الخطاب هكذا:

«أيها الناس اسمعوا قولى و اعقلوه فانى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف أبدا.

أيها الناس إن دماءكم و أموالكم «١» عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم».

و تأكيداً لحرمة أموال المسلمين و دمائهم قال صلى الله عليه وآله لربيعة بن أمية:

(١) فى الخصال: ج ٢ ص ٤٨٧ أيضاً: و أعراضكم.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٣٥

(١) «قل يا أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: هلّا تدرّون أى شهر هذا؟»

فاجابوا: الشهر الحرام الذى يحرم فيه القتال و اراقه الدماء. فقال النبى صلى الله عليه وآله لربيعة:

«قل لهم: إن الله قد حرّم عليكم دماءكم و أموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة شهركم هذا».

ثم قال صلى الله عليه وآله لربيعة:

«قل: يا أيها الناس إن رسول الله يقول هل تدرّون أى بلد هذا؟»

فاجابوا جميعاً: البلد الحرام، الذى يحرم فيه القتال و العدوان. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لربيعة:

«قل لهم: إن الله قد حرّم عليكم دماءكم و أموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة بلدكم هذا».

(٢) ثم قال صلى الله عليه وآله لربيعة:

«قل لهم: هل تدرّون أى يوم هذا؟».

فاجابوا بأجمعهم: يوم الحج الاكبر.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لربيعة:

«قل لهم: إن الله قد حرّم عليكم دماءكم و أموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا.

أيها الناس: إن كل دم كان فى الجاهلية موضوع، و إن أول دمائكم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث (و كان من أقرباء النبى)».

و هكذا ألغى رسول الله صلى الله عليه وآله عادة الثارات الجاهلية المشؤومة و بدأ بأقربائه.

ثم قال صلى الله عليه وآله:

«إنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم و قد بلغت فمن كانت

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٣٦

عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها.

(١) أيها الناس إن كل ربا موضوع و لكن لكم رءوس أموالكم لا تظلمون و لا تظلمون و إن ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله.

أيها الناس إن الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبداً، و لكنه إن يطع فيما سوى ذلك فقد رضى به ممّا تحقرون من

أعمالكم (أو رضى منكم بمحقرات الأعمال)، فاحذروه على دينكم.

أيها الناس إن النسيء «١» زيادة فى الكفر يضلّ به الذين كفروا يحلّونه عاماً و يحرمونه عاماً ليواطئوا عدّة ما حرّم الله فيحلّوا ما حرّم

الله و يحرموا ما أحلّ الله و إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات و الأرض و إن عدّة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً منها

أربعة حرم ثلاثة متواليه (ذو القعدة و ذو الحجة و شهر المحرم و رجب).

(٢) أيها الناس إن لكم على نساكنكم حقا و لهنّ عليكم حقا:

لكم عليهم أن لا يوطنن فرشكم أحدا تكرهونه (أى لا تضيفن فى بيوتكم من تكرهونه).

و عليهن أن لا يأتين بفاحشه مبيئه فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهنّ فى المضاجع، و تضربوهنّ ضربا غير مبرح، فإن انتهين فلهنّ رزقهنّ و كسوتهنّ بالمعروف و استوصوا بالنساء خيرا فإنهنّ عندكم عوان لا يملكن لأنفسهنّ شيئا، و إنكم انما أخذتموهنّ بأمانة الله و استحلتتم فروجهنّ بكلمات الله فاعقلوا أيها الناس قولى فانى قد بلغت و قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا أمرا بينا كتاب الله و سنه نبيه «٢»

(٣) أيها الناس اسمعوا قولى و اعقلوه تعلّمن أن كل مسلم أخ للمسلم و إن

(١) شرحنا النسب فى ص ٨٣ من هذا الكتاب فراجع.

(٢) لقد اوصى رسول الله صلى الله عليه و آله الامه فى هذه الخطبة التاريخية بالكتاب و السنه،

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٣٧

المسلمين إخوة فلا يحلّ لامرئ من أخيه إلّا ما أعطاه عن طيب نفس منه فلا تظلمن أنفسكم ألا فليبلغ شاهدكم غائبكم لا نبى بعدى و لا أمة بعدكم «١».

«ألا كل شىء من أمر الجاهلية تحت قدمى موضوع» «٢».

و هنا قطع النبى صلى الله عليه و آله خطابه، و رفع سبّابته نحو السماء (كعلامة على الشهادة) و هو ينكتها الى الناس و قال:

«اللهم اشهد

اللهم اشهد

اللهم اشهد» «٣»

(١) و لقد مكث رسول الله صلى الله عليه و آله فى عرفات حتى غروب اليوم التاسع، و عند ما اختفى قرص الشمس عن الافق، و اظلم الفضاء بعض الشىء ركب ناقته، و افاض إلى المزدلفة و امضى فيها شطرا من الليل و لم يزل واقفا من الفجر إلى طلوع الشمس فى المشعر، ثم توجه فى اليوم العاشر إلى «منى» و أدّى مناسكها من رمى الجمار و الذبح و التقصير ثم توجه نحو مكة لأداء بقية مناسك الحج.

و لكنه أوصى فى خطبة الغدير و فى اخريات حياته بالكتاب و العترة، و حيث ان هذين الحديثين وردا فى واقعيتين فلا تنافى بينهما، لانه يصح ان يجعل النبى صلى الله عليه و آله السنه عدلا للكتاب فى واقعه، و يوصى بالعترة و الخلفاء من أهل بيته فى موضع آخر و يؤكد على اتباعهم الذى هو أخذ بالسنه أيضا.

و قد تصور بعض اعلام السنه كالشيخ محمود شلتوت فى تفسيره ان النبى صلى الله عليه و آله تحدث بمثل هذا الكلام فى واقعه واحده فقط، و لهذا جعل لفظ «عترة» فى الهامش نسخة بدل فى حين لا نحتاج الى مثل هذا التصحيح ابدا لانه لا تعارض بين النقلين أساسا ليعالج بهذه الطريقة.

(١) الخصال: ص ٤٨٧.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٤٠٥.

(٣) امتاع الاسماع: ج ١ ص ٥٢٣ و الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ١٨٤.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٣٨

(١) و هكذا علم رسول الله صلى الله عليه وآله الناس مناسك الحج بصورة عملية، و حدد أو أكد على مشاعره بصورة دقيقة. و يطلق على هذه الحجّة التاريخية في كتب التاريخ و الحديث «حجّة الوداع» تارة، و «حجّة البلاغ» اخرى، و «حجّة الإسلام» ثالثة، و إنما يطلق كل عنوان من هذه العناوين على هذه الحجّة لمناسبة لا تخفى على القارئ البصير (١).

هذا و نلت نظر القراء الكرام في خاتمة هذا الفصل إلى أن المشهور بين المحدثين هو أن رسول الله صلى الله عليه وآله ألقى هذا الخطاب التاريخي الخالد في يوم عرفه و لكن يذهب بعض المؤرخين إلى أن هذه الخطبة أقيمت في اليوم العاشر من شهر ذي الحجّة، و يرى آخرون أن النبي صلى الله عليه وآله خطب خطبا عديدة في هذه الحجّة مستغلا كل فرصة سانحة لابلاغ مبادئ رسالته الإلهية. هذا و قد وقعت في أثناء هذه الرحلة المقدسة قضايا و وقائع لطيفة و جديرة بالدرس و التأمل و التملّي، و قد تركنا ذكرها هنا رعاية للاختصار (٢).

(١) راجع امتاع الاسماع: ج ١ ص ٥١٠ هذا و لعل الوجه في تسمية هذه الحجّة بالوداع لانها آخر حجّة للنبي صلى الله عليه وآله و بالبلاغ هو نزول قوله تعالى «يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ» في أعقابها و بالتمام و الكمال هو نزول قوله تعالى: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي».

(٢) راجع بحار الأنوار: ج ١ ص ٣٧٨-٤١٣، امتاع الاسماع: ج ١ ص ٥١٠-٥٣٤.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٣٩

(١)

٦٢ إكمال الدين الإسلامي بتعيين الخليفة

إشارة

الخلافة حسب عقيدة علماء الشيعة الإمامية منصب إلهي يعطى من قبل الله تعالى لأفضل أفراد الامّة، و أصلحهم، و أعلمهم، و الفرق الواضح بين الامام و النبي هو: أن النبي مؤسس قواعد الشريعة، و هو الذي يوحى إليه، و ينزل عليه الكتاب من السماء، و الامام و ان كان لا يتمتع بأى واحد من هذه الشؤون إلّا أنه مضافا إلى شؤون الحكومة و القيادة هو المبيّن لما جاء به رسول الله من الدين ممّا لم يوفق- بسبب الظروف المعاكسة او عدم الفرص المناسبة- لبيانه أو اظهاره، و ترك مهمة بيانه على عاتق اوصيائه و خلفائه.

(٢) و على هذا الاساس فان الخليفة- من وجهة نظر عقيدة الشيعة الإمامية ليس مجرد حاكم زمني للمسلمين و ليس المطبق لقوانين الشريعة المقدسة و الحافظ للحقوق الاجتماعية، و الحارس لثغور المسلمين و حدود بلادهم المدافع عنها، فحسب بل هو علاوة على كل ذلك الموضح لما خفى من معالم الدين، و المكمل المبيّن لذلك الجانب من أحكام الشريعة و قوانينها الذي لم يبيّن من قبل مؤسس الشريعة لبعض الاسباب.

أمّا الخلافة في عقيدة أهل السنة فهي منصب عاديّ و ليس الهدف منها إلّا حفظ الكيان الظاهريّ و الشؤون المادية للامّة الإسلامية، و لخليفة لا ينصب إلّا باختيار الناس و انتخابهم أحدا لشغل منصب الحكم و القضاء و إدارة الامور السياسية و الاقتصادية و ما شابهها، و ذكر تفصيل ما بينه صاحب الشريعة من

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٤٠

الأحكام على نحو الاجمال.

(١) و أما بيان ما لم يوفق النبي لبيانه لأسباب خاصة فهو يرتبط بعلماء الإسلام و فقهاء المسلمين فهم يعالجون ما يستجد للناس من مشكلات فقهية و دينية من هذا النوع عن طريق الاجتهاد، و الرأي.

و على أساس هذا الاختلاف في الموقف من قضية الخلافة و حقيقتها و النظرة إليها انشطرت الامة الاسلامية إلى طائفتين و اتجاهين لا يزالان باقيا إلى هذا اليوم.

و بناء على النظرية الاولى يكون الامام مشاركا للنبي في بعض شئونه، فيشترط في الإمام أيضا ما يشترط في النبي. و إليك الشروط المعتمدة في النبي، التي تشترط في الإمام أيضا:

(٢) ١- يجب أن يكون النبي معصوما، يعنى أن لا- يحوم حول الإثم و المعصية طول حياته أبدا، و لا- يزلّ أو يخطأ في بيان أحكام الدين و حقائقه، و عند الاجابة على أسئلة الناس و استفساراتهم الدينية، و يشترط في الامام ذلك أيضا، و الدليل في الموردين واحد.

(٣) ٢- يجب أن يكون النبي أعلم الناس بالشريعة، و يجب أن لا يخفى عليه شيء من مسائل الشريعة مطلقا، و هكذا يجب أن يكون الامام أعلم الناس بأحكام الدين و مسائله لكونه مكتملا أو مينا لما لم يبين من مسائل الشريعة في زمن النبي.

(٤) ٣- إن النبوة منصب تعييني و ليس منصبا انتخابيا، بمعنى أن النبي لا يكون نبيا إلا اذا عينه الله و ابتعثه، و نصب في مقام النبوة من جانبه سبحانه، لأنه تعالى دون سواه يميز المعصوم عن غير المعصوم، و هو سبحانه دون غيره يعلم من بلغ درجة العصمة عن الخطأ و المعصية في ظل العناية الربانية الغيبية الخاصة، بحيث يعرف كل تفاصيل الدين و جزئياته.

إن هذه الشروط الثلاثة كما هي معتبرة في النبي، كذلك هي معتبرة و مشترطة في خليفته و القائم مقامه.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٤١

(١) و لكن بناء على النظرية الثانية لا يشترط أي شيء من هذه الشروط المعتمدة في النبي، في الخليفة فلا تجب العصمة، و لا العدالة، و لا- يجب العلم و الاحاطة بالشريعة و لا يشترط فيه التعيين من جانب الله، و الارتباط بعالم الغيب، بل يكفي في استحقاق الخلافة أن يكون الشخص قادرا في ظلّ ذكائه، و مشورة المسلمين على حفظ الكيان الاسلامي، و قادرا على إقرار الأمن في البلاد بتطبيق قوانين الشريعة الجزائية، كما و يتمكن من توسيع رقعة الأرض الاسلامية في ظل الدعوة الى الجهاد.

و علينا الآن ان نعالج هذه المسألة (أي هل الخلافة و الامامة منصب تنصيصي أو انتخابي و هل على النبي ان يعين نفسه من يخلفه، أو يوكل الامر الى الامة لتختار من تريد). و ندرسها في ضوء المحاسبات الاجتماعية ليلمس القارئ بوضوح أن الأحوال و الظروف الاجتماعية كانت توجب أن يقوم النبي صلى الله عليه وآله بتعيين خليفته في حياته و يحلّ بذلك مشكلة الخلافة من بعده، و لا يوكل الأمر إلى الأمة.

و إليك توضيح هذا القسم و بيانه:

(٢)

اقتضاء المحاسبات الاجتماعية في مسألة الخلافة:

إشارة

لا شك في أن الدين الاسلامي دين عالمي، و شريعته خاتمة، و قد كانت قيادة الامة الاسلامية من شئون النبي الاكرم صلى الله عليه وآله و آله ما دام على قيد الحياة، و كان عليه أن يوكل مقام القيادة من بعده إلى أفضل أفراد الامة و اكملهم.

إن في هذه المسألة و هي هل أن منصب القيادة بعد النبي صلى الله عليه وآله هل هو منصب تنصيصي تعييني أو انه منصب انتخابي اتجاهين:

فالشيعه يرون أن مقام القيادة منصب تنصيبى ولا بد أن يتعين خليفة النبى من جانب الله سبحانه.

سيد المرسلين، ج 2، ص: 642

(1) بينما يرى أهل السنة أن هذا المنصب منصب انتخابى جمهورى، أى أن على الامه أن تقوم بعد النبى باختيار فرد من أفرادها لادارة البلاد.

إن لكل من الاتجاهين المذكورين دلائل ذكرها أصحابهما فى الكتب العقائديه، إلا أن ما يمكن طرحه هنا هو تقييم ودراسة المسأله فى ضوء دراسة و تقييم الظروف السائده فى عصر الرساله فان هذه الدراسه كفيله باثبات صحه هذا الاتجاه او ذلك.

إن تقييم الأوضاع السياسيه خارج المنطقه الاسلاميه و خارجها فى عصر الرساله يقضى بأن خليفة النبى كان لا بد أن يعين من جانب الله تعالى و لا يترك الأمر من دون مثل هذا التعيين الالهى، فإن المجتمع الاسلامى كان مهتداً على الدوام من جانب الخطر الثلاثى (الروم- إيران- المنافقون) بشن الهجوم الكاسح، و إلقاء بذور الفساد و الاختلاف بين المسلمين.

كما أن مصالح الامه كانت توجب أن يوحد صفوف المسلمين فى مواجهه الخطر الخارجى و ذلك بتعيين قائد سياسى من بعده، و بذلك يسد الطريق على نفوذ العدو فى جسم الامه الاسلاميه و السيطرة عليها، و على مقدراتها. و إليك بيان و توضيح هذه المطلب:

(2) لقد كانت الامبراطوريه الروميه احد اضلاع المثلث الخطر الذى يحيط بالكيان الاسلامى و يهدده من الخارج و الداخل.

و كانت هذه القوه الرهيبه تتمركز فى شمال الجزيره العربيه، و كانت تشغل بال النبى القائد على الدوام حتى إن التفكير فى امر الروم لم يغادر ذهنه و فكره حتى لحظه الوفاة، و الالتحاق بالرفيق الأعلى.

و كانت اولى مواجهه عسكريه بين المسلمين، و الجيش المسيحى الرومى وقعت فى السنه الهجرية الثامنه فى أرض فلسطين و قد آلت هذه المواجهه إلى مقتل القادة العسكريين البارزين الثلاثة و هم: «جعفر الطيار»، و «زيد بن حارثه» و «عبد الله بن رواحه».

سيد المرسلين، ج 2، ص: 643

(1) و لقد تسبب انسحاب الجيش الاسلامى بعد مقتل القادة المذكوره إلى تزايد جراه الجيش القيصرى المسيحى فكان يخشى بصوره متزايدة أن تتعرض عاصمه الاسلام للهجوم الكاسح من قبل هذا الجيش.

من هنا خرج رسول الله صلى الله عليه وآله فى السنه العاشره للهجره على رأس جيش كبير جدا إلى حدود الشام ليقود بنفسه أيه مواجهه عسكريه، و قد استطاع الجيش فى هذه الرحله الصعبه المضمنيه أن يستعيد هيئته الغابره و تجدد حياته السياسيه.

غير أن هذا الانتصار المحدود لم يقنع رسول الله صلى الله عليه وآله فأعد قبيل مرضه جيشا كبيرا من المسلمين و أمر عليهم «اسامه بن زيد» و كلفهم بالتوجه إلى حدود الشام، و الحضور فى تلك الجبهه.

(2) أما الضلع الثانى من المثلث الخطير الذى كان يهدد الكيان الاسلامى فكان الامبراطوريه الايرانيه (الفارسيه) و قد بلغ من غضب هذه الامبراطوريه على رسول الله صلى الله عليه وآله و معاداتها لدعوته أن أقدم امبراطور ايران «خسرو ابرويز» على تمزيق رساله النبى، و توجيه الاهانة الى سفيره باخراجه من بلاطه و الكتابه إلى واليه و عميله باليمن بان يوجه إلى المدينه من يقبض على رسول

الله صلى الله عليه وآله، أو يقتله ان امتنع!!

و «خسرو» هذا و إن قتل فى زمن رسول الله صلى الله عليه وآله إلا أن موضوع استقلال اليمن- التى رزحت تحت استعمار الامبراطوريه الايرانيه ردحا طويلا- من الزمان- لم يغب عن نظر ملوك إيران آنذاك، و كان غرور اولئك الملوك و تجبرهم، و كبرياؤهم لا يسمح بتحمل منافسه القوه الجديده (القوه الاسلاميه) لهم.

(3) و الخطر الثالث كان هو خطر حزب النفاق الذى كان يعمل بين صفوف المسلمين فى صورة الطابور الخامس، على تفويض دعائم الكيان الاسلامى من الداخل إلى درجه أنهم قصدوا اغتيال رسول الله، فى طريق العوده من تبوك إلى

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٤٤

المدينة.

فقد كان بعض عناصر هذا الحزب الخطر يقول في نفسه: ان الحركة الاسلامية سينتهي أمرها بموت رسول الله صلى الله عليه وآله و رحيله و بذلك يستريح الجميع «١».

(١) و لقد قام أبو سفيان بن حرب بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله بمكيدة مشنومة لتوجيه ضربة الى الامة الاسلامية من الداخل، و ذلك عند ما أتى عليا عليه السلام و عرض عليه ان يبايعه في مقابلة من عينه رجال السقيفة، ليستطيع بذلك تشطير الامة الاسلامية الواحدة إلى شطرين متحاربين متقاتلين فيتمكن من التصيد في الماء العكر.

و لكن الامام عليا عليه السلام أدرك بذكائه البالغ نوايا أبي سفيان الخبيثة، فرفض مطلبه و قال له كاشفا عن دوافعه و نواياه الشريرة: «و الله ما أردت بهذه إلا الفتنة و انك و الله طالما بغيت للإسلام شرا ... لا حاجة لنا في نصيحتك!!» (٢).

(٢) و لقد بلغ دور المنافقين التخريبي من الشدة بحيث تعرض القرآن لذكرهم في سور عديدة هي سورة آل عمران، و النساء، و المائدة، و الانفال، و التوبة، و العنكبوت، و الاحزاب، و محمد، و الفتح، و المجادلة، و الحديد، و المنافقين، و الحشر. فهل مع وجود مثل هؤلاء الاعداء الخطرين و الاقوياء الذين كانوا يترصون بالاسلام الدوائر، و يتحينون الفرص للقضاء عليه يصح أن يترك رسول الله صلى الله عليه وآله امته الحديثة العهد بالاسلام، الجديدة التأسيس من دون ان يعين لهم قائدا دينيا سياسيا. إن المحاسبات الاجتماعية تقول: انه كان يتوجب ان يمنع رسول الاسلام

(١) الطور: ٣٠.

(٢) الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٢٢٢، العقد الفريد: ج ٢ ص ٢٤٩.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٤٥

بتعيين قائد للامة، من ظهور أي اختلاف و انشقاق فيها من بعده، و ان يضمن استمرار و بقاء الوحدة الاسلامية بايجاد حصن قوى و سياج دفاعي متين حول تلك الامة.

(١) إن تحصين الامة، و صيانتها من الحوادث المشؤومة، و الحيلولة دون حدوث ظاهرة مطالبة كل فريق الزعامة لنفسها دون غيرها، و بالتالي التنازع على مسألة الخلافة و الزعامة لم يكن ليتحقق إلا بتعيين قائد للامة، و عدم ترك الامور للقدر.

إن المحاسبة الاجتماعية تهدينا إلى صحة نظرية «التنصيب على القائد بعد رسول الله»، و لعل لهذا الجهة، و لجهات اخرى طرح رسول الاسلام مسألة الخلافة في الايام الاولى من ميلاد الرسالة الاسلامية و ظل يواصل طرحها و التذكير بها طول حياته حتى الساعات الأخيرة منها حيث عين خليفته و نص عليه بالنص القاطع الواضح الصريح في بدء دعوته، و في نهايتها أيضا. و إليك بيان كلا هذين المقامين:

(٢)

١- النبوة و الامامة تؤمان:

بغض النظر من الأدلة العقلية على صحة المحاسبة الاجتماعية التي تثبت حقانية الرأي الأول بصورة قطعية هناك أخبار و روايات وردت في المصادر المعتمدة تثبت صحة الموقف و الرأي الذي ذهب إليه علماء الشيعة، و تصدقه، فقد نص النبي صلى الله عليه وآله على خليفته من بعده في الفترة النبوية من حياته مرارا و تكرارا، و اخرج موضوع الامامة من مجال الانتخاب الشعبي، و الرأي العام.

فهو لم يعين (و لم ينص على) خليفته و وصيه من بعده في اخريات حياته فحسب، بل بادر إلى التعريف بخليفته و وصيه في بدء الدعوة يوم لم ينصو تحت راية رسالته بعد سوى بضع عشرات من الاشخاص، و ذلك يوم أمر من جانب الله العلي القدير أن ينذر عشيرته الاقربين من العذاب الالهى الاليم، و أن يدعوهم

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٤٦

إلى عقيدة التوحيد قبل ان يصدع برسالته للجميع و يبدأ دعوته العامة للناس كافة.

(١) فجمع أربعين رجلا من زعماء بنى هاشم و بنى المطلب ثم وقف فيهم خطيبا فقال:

«أيكم يؤازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخى و وصيى و خليفتى فيكم».

فاحجم القوم، و قام على عليه السلام، و اعلن مؤازرته و تأييده له، فاخذ رسول الله صلى الله عليه و آله برقبته و التفت الى الحاضرين و قال:

«إن هذا أخى و وصيى و خليفتى فيكم» (١).

و قد عرف هذا الحديث عند المفسرين و المحدثين ب: «حديث يوم الدار، و «حديث بدء الدعوة».

على أن رسول الله صلى الله عليه و آله لم يكتف بالنص على خليفته في بدء رسالته، إنما صرح في مناسبات شتى، في السفر و الحضر، بخلافه على عليه السلام من بعده و لكن لا يبلغ شىء من ذلك فى الاهمية و الظهور و الصراحة و الحسم ما بلغه حديث الغدير.

(٢)

٢- قصة الغدير:

إشارة

لما انتهت مراسيم الحج، و تعلم المسلمون مناسكه عن رسول الله صلى الله عليه و آله، قرّر رسول الله صلى الله عليه و آله الرحيل عن مكة، و العودة الى المدينة، فأصدر أمرا بذلك.

و لما بلغ موكب الحجيج العظيم إلى منطقة «رابغ» (٢) التي تبعد عن

(١) تاريخ الطبرى: ج ٢ ص ٢١٦، الكامل فى التاريخ: ج ٢ ص ٦٢ و ٦٣ و قد مر مفصلا فى هذه الدراسة فراجع.

(٢) رابغ تقع الآن على الطريق بين مكة و المدينة.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٤٧

«الجحفة» (١) بثلاثة أميال نزل أمين الوحي جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه و آله بمنطقه تدعى «غدير خم» و خاطبه بالآية التالية: «يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ» (٢).

(١) إن لسان الآية و ظاهرها يكشف عن أن الله تعالى ألقى على عاتق النبي صلى الله عليه و آله مسئولية القيام بمهمة خطيرة، و أى أمر أكثر خطورة من أن ينصب عليا عليه السلام لمقام الخلافة من بعده على مرأى و مسمع من مائة ألف شاهد.

من هنا أصدر رسول الله صلى الله عليه و آله أمره بالتوقف، فتوقفت طلائع ذلك الموكب العظيم، و التحق بهم من تأخر.

لقد كان الوقت وقت الظهيرة، و كان الجو حارا الى درجة كبيرة جدا، و كان الشخص يضع قسما من عباءته فوق رأسه و القسم الآخر

منها تحت قدميه، و صنع للنبي صلى الله عليه وآله مظلة و كانت عبارة عن عباءة القيت على أغصان شجرة، (سمره) و صلى رسول الله صلى الله عليه وآله بالحاضرين الظهر جماعة، و فيما كان الناس قد احاطوا به صعد صلى الله عليه وآله على منبر اعد من أحجاج الإبل و أقتابها، و خطب في الناس رافعا صوته و هو يقول:

(٢) «الحمد لله و نستعينه و نؤمن به و نتوكل عليه و نعوذ به من شرور أنفسنا و من سيئات أعمالنا، الذي لا هادي لمن ضلّ و لا مضلّ لمن هدى و أشهد ان لا إله إلا هو و أن محمدا عبده و رسوله.
أما بعد، أيها الناس قد نبأني اللطيف الخبير أنه لم يعمر نبي إلا مثل نصف الذي قبله، و إنى أوشك أن ادعى فأجيب و أنى مسئول و انتم مسئولون فما ذا انتم قائلون؟»

(١) من مواقيت الاحرام و تنشعب منها طرق المدنيين و المصريين و العراقيين.

(٢) المائدة: ٦٧.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٤٨

قالوا: نشهد أنك قد بلغت و نصحت و جهدت فجزاك الله خيرا (١) قال صلى الله عليه وآله:

«ألستم تشهدون أن لا إله إلا الله و أن محمدا عبده و رسوله و أن جنته حق و أن الساعة آتية لا ريب فيها و أن الله يبعث من فى القبور؟»

قالوا: بلى نشهد بذلك.

قال صلى الله عليه وآله:

«اللهم اشهد».

ثم قال صلى الله عليه وآله:

«إنى تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبدا».

فنادى مناد: بأبى أنت و أمى يا رسول الله، و ما الثقلان؟

فقال صلى الله عليه وآله:

«كتاب الله سبب طرف بيد الله و طرف بأيديكم فتمسكوا به و الآخر عترتى و إن اللطيف الخبير نبأنى أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض فلا تقدموهما فتهلكوا و لا تقصروا عنهما فتهلكوا».

(٢) و هنا أخذ بيد «على» عليه السلام و رفعها حتى رؤى بياض آباطهما و عرفه الناس اجمعون ثم قال:

«أيها الناس من أولى الناس بالمؤمنين من انفسهم؟».

قالوا: الله و رسوله أعلم.

فقال صلى الله عليه وآله:

«إن الله مولاي و أنا مولى المؤمنين و أنا أولى بهم من انفسهم فمن كنت مولاه فعلى مولاه «١»، اللهم وال من والاه، و عاد من عاداه و انصر من نصره، و اخذل من خذله و احب من احبه و ابغض من ابغضه و ادر الحق معه حيث دار» (٢).

(١) لقد كرر النبي صلى الله عليه وآله هذه العبارة ثلاث مرات دفعا لأى التباس أو اشتباه.

(٢) راجع للوقوف الكامل على مصادر هذا الحديث المتواتر موسوعة الغدير للعلامة الامينى.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٤٩

(١)

واقعة الغدير خالدة الى الأبد:

لقد تعلقت المشيئة الربانية بأن تبقى واقعة الغدير التاريخية في جميع القرون و العصور كتاريخ حي يجتذب القلوب و الافئدة، و يكتب عنه الكتاب الاسلاميون في كل عصر و زمان و يتحدثون حوله في مؤلفاتهم المتنوعة في مجال التفسير و التاريخ و الحديث و العقائد، كما يتحدث حوله الخطباء في مجالس الوعظ و من فوق صهوات المنابر، و يعتبرونها من فضائل الإمام «علي» الذي لا يتطرق إليها أى شك أو ريب.

و لم يقتصر هذا على الكتاب و الخطباء بل استلهم الشعراء من هذه الواقعة الكبرى التي فجرت بالتفكير حول هذه الحادثة، و بالاخلاص لصاحب الولاية ينايع التعبير في وجودهم فأنشئوا أروع القصائد، و جادت قرائحهم بأنواع مختلفة من القصيد الجميل، و خلفوا لمن بعدهم و بلغات مختلفة آثارا أدبية ولائية خالدة.

(٢) و لهذا قلما نجد حادثة تاريخية حظيت في العالم البشري عامة و في التاريخ الاسلامي و الامة الاسلامية خاصة بمثل ما حظيت به واقعة الغدير، و قلما استقطبت اهتمام الفئات المختلفة من المحدثين و المفسرين و الكلاميين و الفلاسفة، و الشعراء و الأدباء، و الكتاب و الخطباء، و ارباب السير و المؤرخين كما استقطبت هذه الحادثة، و قلما اعتنوا بشيء مثلها اعتنوا بها. إن من أسباب خلود هذه الواقعة الكبرى و دوام هذا الحديث هو: نزول آيتين من آيات القرآن الكريم فيها «١»، فما دام القرآن الكريم باقيا مستمرا يتلى آناء الليل و أطراف النهار تبقى هذه الحادثة في الأذهان و النفوس و لا تمحو خاطرتها من العقول و القلوب.

(١) المائدة: ٦٧ و ٣.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٥٠

(١) و حيث أن المجتمع الاسلامي في العصور الغابرة و كذا الطائفة الشيعية كانوا يعتبرون هذا اليوم عيدا كبيرا من الأعياد الدينية، و كانوا يقيمون فيها ما يقيمونه من المراسيم في الاعياد الاسلامية لهذا فان هذه الحادثة التاريخية (حادثة الغدير) قد اتخذت طابع الابدية و الخلود الذي لا تمحي معه خاطرتها من الأذهان و الخواطر.

هذا و يستفاد من مراجعة التاريخ بوضوح أن اليوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة الحرام كان معروفا بين المسلمين بيوم عيد الغدير و كانت هذه التسمية تخطى بشهرة كبيرة إلى درجة أن ابن خلكان يقول حول «المستعلي بن المستنصر»: فبويغ في يوم غدير خمّ و هو الثامن عشر من شهر ذي الحجة سنة ٤٨٧ «١».

(٢) و قال في ترجمة المستنصر بالله العبيدي: و توفي ليلة الخميس لا- ثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة سنة سبع و ثمانين و اربعمائة، قلت: و هذه هي ليلة عيد الغدير اعني ليلة الثامن عشر من شهر ذي الحجة و هو غدير خم «٢».

و قد عدّه ابو ريحان البيروني في كتابه «الآثار الباقية» ممّا استعمله أهل الاسلام من الأعياد «٣».

و ليس ابن خلكان و ابو ريحان البيروني، هما الوحيدان اللذان صرّحا بكون هذا اليوم هو عيد من الاعياد، بل هذا الثعالبي قد اعتبر هو الآخر ليلة الغدير من الليالي المعروفة بين المسلمين «٤».

إن عهد هذا العيد الاسلامي و جذوره ترجع إلى نفس يوم «الغدير» لأن النبي صلى الله عليه و آله أمر المهاجرين و الانصار بل أمر زوجاته و نساءه في ذلك

- (١) وفيات الأعيان: ج ١ ص ٦٠.
 (٢) وفيات الأعيان: ج ١ ص ٦٠.
 (٣) ترجمة الآثار الباقية: ص ٣٩٥ الغدير: ج ١ ص ٢٦٧.
 (٤) ثمار القلوب: ص ٥١١.
 سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٥١
 اليوم بالدخول على «عليّ» عليه السلام و تهنتته بهذه الفضيلة الكبرى.
 يقول زيد بن ارقم: كان أول من صافق النبي صلى الله عليه وآله و عليا:
 أبو بكر و عمر و عثمان و طلحة و الزبير و باقى المهاجرين و الانصار و باقى الناس «١».
 (١)

الدلائل الاخرى على أبدية الغدير:

و يكفى فى أهميَّة هذا الحدث التاريخى أنّ هذه الواقعة التاريخيَّة رواها مائة و عشرة صحابيّ، على أن هذه العبارة لا تعنى أن رواية هذه الواقعة اقتصرت على هؤلاء المائة و العشرة من ذلك الحشد الهائل بل يعنى أن هؤلاء جاء ذكرهم فى كتب أهل السنَّة و مصنفاتهم.

صحيح أن رسول الله صلى الله عليه وآله ألقى خطابه المذكور الذى تضمّن نصب عليّ عليه السلام للخلافة فى مائة الف او يزيدون من الناس و لكن كثيرا منهم كانوا قد أتوا من مناطق نائية من الحجاز و لهذا لم يرو عنهم هذا الحديث، كما ان كثيرا من الذين حضروا ذلك المشهد التاريخى العظيم رووا و نقلوا للآخرين هذا الحديث و لكن التاريخ لم يوفق لذكر أسمائهم، أو إذا تمّ ذلك لكن لم يصل إلينا.

(٢) ثم إنّه روى هذا الحديث فى القرن الثانى الاسلامي و هو عصر التابعين تسعة و ثمانون تابعيا.
 و قد بلغ عدد من روى حديث «الغدير» فى القرون اللاحقة فى كتابه من علماء أهل السنَّة و فضلائهم ثلاثمائة و ستون شخصا، و صحّحه جمع كبير منهم و اعترفوا بتواتره.
 ففي القرن الثالث رواه اثنان و تسعون عالما.
 و فى القرن الرابع رواه أربعة و اربعون.

(١) راجع مصدره فى الغدير: ج ١ ص ٢٧٠.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٥٢

و فى القرن الخامس رواه أربعة و عشرون.

و فى القرن السادس رواه عشرون.

و فى القرن السابع رواه واحد و عشرون.

و فى القرن الثامن رواه ثمانية عشر.

و فى القرن التاسع رواه ستة عشر.

و فى القرن العاشر رواه أربعة عشر.

و في القرن الحادى عشر رواه اثنا عشر.

و في القرن الثانى عشر رواه ثلاثة عشر.

و في القرن الثالث عشر رواه اثنا عشر.

و في القرن الرابع عشر رواه عشرون عالما.

(١) و لم يكتف البعض بنقل و رواية هذا الحديث فى كتبهم و مؤلفاتهم بل ألفوا حوله رسائل أو كتباً مستقلة.

و قد ألف المؤرخ الاسلامى الكبير «الطبرى» كتاباً فى هذا المجال أسماه «الولاية فى طرق حديث الغدير» روى فيه هذا الحديث عن النبى بخمس و سبعين سندا.

و لقد روى «ابن عقدة» فى رسالته «الولاية» هذا الحديث بمائة و خمسين حديثاً.

و روى أبو بكر محمد بن عمر البغدادى المعروف بالجمعانى هذا الحديث بخمس و عشرين سندا.

كما روى من علماء الحديث هذه الواقعة نظراء:

أحمد بن حنبل الشيبانى ب ٤٠ سندا

ابن حجر العسقلانى ب ٢٥ سندا

الجزرى الشافعى ب ٨٠ سندا

أبو سعيد السجستانى ب ١٢٠ سندا

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٥٣

الأمير محمد اليمنى ب ٤٠

النسائى ب ٢٥٠ سندا

أبو العلاء الهمدانى ب ١٠٠ سندا

أبو العرفان الحبان ب ٣٠ سندا

(١) و بلغ عدد من ألف رسالة خاصة أو كتاباً مستقلاً حول هذه الواقعة و خصوصياتها و تفاصيلها ٢٦ شخصاً و لعل هناك غيرهم ممن ألف كتاباً أو رسالة مستقلة حول هذه الحدث التاريخى الهام لم يذكر التاريخ أسماءهم، أو ضاعت مؤلفاتهم مع التطورات التى طرأت على الامة الإسلامية و ضيقت الكثير من تراثها الفكرى خلال عمليات الاغارة و النهب أو الهدم و الإحراق (و لقد اقتبسنا كل هذه الاحصاءات من كتاب الغدير الجزء الاول).

و لقد كتب علماء الشيعة كتباً قيمة حول هذه الواقعة أجمعها و اشملها كتاب «الغدير» بقلم العلامة الجليل و الكاتب الاسلامى القدير المرحوم آية الله الشيخ الأمينى رحمه الله، و الذى يقع فى أحد عشر مجلداً فى ما يقرب من ستة آلاف صفحة، و قد استفدنا كثيراً من تلك الموسوعة فى تنظيم الفصل الحاضر.

(٢) ثم ان النبى صلى الله عليه و آله لم يلبث ان نزل عليه قوله تعالى بعد نصبه علياً لإمره المسلمين فى تلك الواقعة:

«الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا» «١».

فكبر النبى صلى الله عليه و آله بصوت عال ثم أضاف قائلاً:

«الحمد لله على إكمال الدين و إتمام النعمة و رضى الرب برسالتى، و ولاية علي بن أبى طالب من بعدى».

ثم نزل رسول الله صلى الله عليه و آله من ذلك المنبر المصنوع من حدائج

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٥٤

الابل و أمر امير المؤمنين عليًا عليه السّلام أن يجلس في خيمته و أمر أطباق الناس و كلّ من حضر المشهد من امته و منهم الشيخان و مشيخة قريش و وجوه الأنصار كما أمر امهات المؤمنين بالدخول على أمير المؤمنين عليه السّلام و تهنئته على تنصيبه لمنصب الامامة و الخلافة بعد رسول الله صلّى الله عليه و آله.

ف فعل الناس ذلك و انكبوا على «علي» عليه السّلام بايديهم و كان أول من صافق و هنا عليًا أبو بكر و عمر واصفين إياه بالولاية. (١) و هنا قام «حسان بن ثابت الأنصاري» شاعر الاسلام و استأذن رسول الله صلّى الله عليه و آله في أن ينشد شعرا بهذه المناسبة، فأذن له رسول الله صلّى الله عليه و آله قائلا: قل على بركة الله. فقام حسان و قال:

يناديهم يوم الغدير نبيهم بخم و أسمع بالنبي مناديا
و قد جاء جبريل عن أمر ربّه بأنك معصوم فلا تك وانيا
و بلغهم ما انزل الله ربهم إليك و لا تخشى هناك الأعدايا
ف قام به إذ ذاك رافع كفه بكف عليّ معلن الصوت عاليا
ف قال فمن مولاكم و وليكم فقالوا و لم يبدوا هناك تعاميا
إلهك مولانا و أنت ولينا و لن تجدن فينا لك اليوم عاصيا
ف قال له: قم يا عليّ فإنني رضيتك من بعدى إماما و هاديا
فمن كنت مولا فهذا وليه فكونوا له أنصار صدق مواليا
هناك دعا اللهم وال وليه و كن للذي عادى عليًا معاديا

فيا ربّ انصر ناصريه لنصرهم امام هدى كالبدر يجلو الدياجيا (٢) و لقد كان هذا الحديث على مدى التاريخ الاسلامي اكبر دليل على أفضلية علي عليه السّلام على جميع صحابة النبي صلّى الله عليه و آله كافة، حتى أن أمير المؤمنين عليا عليه السّلام احتج به مرارا فقد احتج به في مجلس الشورى الذي عقد لتعيين الخليفة عقيب وفاة الخليفة الثاني، و في أيام خلافة عثمان و في أيام

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٥٥

خلافته عليه السّلام أيضا، كما أن شخصيات كثيرة من وجوه المسلمين احتجوا به على منكري حق عليّ و أفضليته و كان ذلك دأبهم دائما و أبدا.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٥٦

حوادث السنة العاشرة من الهجرة

٦٣ (١) ١- المتنبئون كذبا «١» [أدعاء النبوة] ٢- التفكير في أمر الروم

إشارة

بعد الانتهاء من مراسم تعيين الخليفة في «غدير خم» انفصلت جموع الحجيج المشاركة في مراسم «حجة الوداع» من الوافدين من الشام و مصر، عن النبي صلّى الله عليه و آله في أرض الجحفة و الذين شاركوا في هذه المراسم من «حضر موت» و «اليمين» انفصلوا عنه في هذه النقطة أو في نقطة سابقة و قفلوا راجعين إلى أوطانهم.

و لكنّ العشرة آلاف الذين خرجوا مع رسول الله صلّى الله عليه و آله عادوا مع النبي صلّى الله عليه و آله إلى المدينة، و وصلوها قبل

أن تأتي السنة العاشرة من الهجرة على نهايتها.

(٢) كان رسول الله صلى الله عليه وآله و المسلمون فرحين جدا لانتشار الاسلام في شتى نقاط الجزيرة العربية، و لانهاء عهد الحاكمية الوثنية و الشرك في كل مناطق الحجاز، و بالتالى لزوال جميع الموانع و العراقيل التى كانت تحول دون نفوذ الإسلام، و انضواء الناس تحت لوائه المبارك.

لم يكن شهر ذى الحجة من السنة العاشرة قد انتهت بعد يوم قدم نفران من «اليمامة» المدينة، و سلما كتابا من «مسيلم» الذى عرف فيما بعد ب «مسيلم»

(١) كانت مراسلة مسيلم للنبي صلى الله عليه وآله في نهايات السنة الهجرية العاشرة و كذا ادعاء الاسود العنسى للنبو، و قد دمجتا ذكرهما في حوادث الفصل الثالث و الستين تقريبا لفصول هذا الكتاب.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٥٧

الكذاب» إلى رسول الله صلى الله عليه وآله.

ففتح أحد كتاب النبي صلى الله عليه وآله الرسالة و قرأها عليه فكان مضمونها ان شخصا باليمامة يدعى «مسيلم» يدعى النبو و يشرك نفسه مع رسول الإسلام في أمر الرسالة، و يريد من خلال كتابه أن يبلغ النبي صلى الله عليه وآله بذلك، و يعرفه بنبوته.

(١) و قد اثبتت كتب السير و التواريخ الاسلامية نص الكتاب المذكور.

و يوحى اسلوب الرسالة المذكورة بأن صاحبها اراد تقليد الاسلوب القرآنى في البيان و التعبير و لكن محاولته باءت بالفشل فلم يستطع تقليده، و اتى بعبارات خاوية خالية من روح، يفوقها الكلام العادى في القوة بدرجات.

فلقد كتب «مسيلم» في كتابه هذا: (١).

أما بعد، فاني قد اشركت في الأمر معك، و ان لنا نصف الأرض، و لقريش نصف الارض، و لكن قريشا قوما يعتدون.

و لما وقف رسول الله صلى الله عليه وآله على مضمون الرسالة، التفت إلى من حملها إليه و قال: «أما و الله لو لا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما لأنكما أسلمتما من قبل و قبلتما برسالتى فلم اتبعتما هذا الاحق و تركتما دينكما».

(٢) ثم ان رسول الله صلى الله عليه وآله أملى على كاتبه كتابا إلى مسيلم قصير المحتوى، مفحم المفاد. و إليك نص رسالة النبي صلى الله عليه وآله:

«بسم الله الرحمن الرحيم.

من محمد رسول الله إلى مسيلم الكذاب السلام على من اتبع الهدى.

أما بعد فإن الارض لله يورثها من يشاء من عباده و العاقبة للمتقين» (٢).

(١) و من شدة جهله أنه لم يبدأ كتابه باسم الله، بل و لم يفعل ما فعله حتى المشركون في العهد الجاهلي.

(٢) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٦٠٠ و ٦٠١ و تكفى مقارنة بين نص الكتابين في معرفة حقيقة الشخصين.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٥٨

(١)

لمحة عابرة عن هوية مسيلم:

كان مسيلم من الأشخاص الذين وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وآله في المدينة في السنة العاشرة من الهجرة و أسلم في من

اسلم، ولكنه بعد أن عاد إلى موطنه ادعى النبوة، وأجابه طائفة من السذج والبسطاء، وربما من المتعصبين من قومه. ولم يكن نجاح دعوته الباطلة في «اليمامة» دليلاً على شخصيته الواقعية، بل التف حولته فريق ممن تبعه تعصبا وحمية مع أنهم علموا بكذبه، وزيغ دعوته إذ كانوا يقولون: «كذاب ربيعه أحب إلينا من صادق مضر» وقد قال هذه العبارة أحد أتباعه لما سأل مسيلمة ذات مرة: من يأتيك؟ قال: رحمان، قال: أفي نور أو في ظلمة؟ فقال: في ظلمة، فقال أشهد أنك كذاب وأن محمداً صادق ولكن كذاب ربيعه أحب إلينا من صادق مضر (١).

إن من المسلم أن الرجل قد ادعى النبوة، وتبعه على ذلك فريق من قومه، ولكنه لم يثبت قط أنه تصدى لمعارضة القرآن، وما اثر عنه- في النصوص التاريخية- من عبارات وجملة في معارضة القرآن لا يمكن أن تكون من كلام رجل فصيح كمسيلمة لأن عباراته العادية واحاديثه الأخرى في غاية البلاغة والإتقان، فكيف تصدر منه هذه العبارات الضعيفة.

(٢) ولهذا يمكن القول بأن ما نقل عنه- على غرار ما نقل عن معاصره «الاسود بن كعب العنسي» الذي ادعى النبوة معه في اليمن- إنما هي أمور نسبت إليه، والصقت به الصاقاً لاسباب خاصة لان عظمة القرآن و بلاغته الفائقة في حد لا يجرأ معها أحد على التفكير في معارضة القرآن ومقابلته، ويعلم كل عربي بحكم فطرته الالهية أن هذا الاسلوب الجذاب وأن عظمة المعاني القرآنية و سموها تجعل القرآن الكريم فوق حدود الطاقة البشرية، فكيف يحاول أحد معارضته ومقابلته.

(١) تاريخ الطبري: ج ٢ ص ٥٠٨ ويقصد بالاول مسيلمة و بالثاني رسول الله صلى الله عليه وآله.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٥٩

(١) ثم ان مواجهة المرتدين من العرب كان أول ما قام به الخلفاء بعد رسول الله صلى الله عليه وآله و لهذا حوصرت منطقة «مسيلمة» من قبل جنود الاسلام، و ضيق عليه الحصار شيئاً فشيئاً، حتى اذا اتضحت هزيمة ذلك الكذاب، قال له بعض أتباعه السذج: أين ما كنت تعدنا (من النصر الالهي) فقال مسيلمة: أما الدين فلا، قاتلوا عن أحسابكم. و لكن الدفاع عن الاحساب و الكرامة لم يجد مسيلمة و لا أتباعه شيئاً، فقد قتل هو و فريق منهم في بستان على أيدي المسلمين، و انتهت بذلك خرافة نبوته المدعاة (١).

إن هذه العبارة القصيرة تكشف عن انه كان رجلاً-فصيحا و ناطقا بليغا، كما انها تفيد انه لم يكن صاحب تلك العبارات الباردة الخاوية التي نسبت إليه- في التاريخ و السيرة- في معارضة القرآن الكريم.

(٢)

التفكير في أمر الروم:

مع أن ظهور مثل هؤلاء المتنبيين الكذبة في شتى مناطق الحجاز كان خطراً على وحدة أهلها الدينية، فان التفكير في أمر الروم الذين كانت الشامات و فلسطين من مستعمراتهم آنذاك- كان يستأثر باهتمام رسول الله صلى الله عليه وآله أكثر من غيره لأنه كان يعلم بأن القادة اللاتنيين في اليمامة و اليمن قادرين على مواجهة المتنبيين، و لهذا قضى على «الاسود العنسي» و هو رجل آخر ادعى النبوة كذبا في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله و ذلك بعد يوم من وفاة النبي صلى الله عليه وآله و الى اليمن.

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله متيقنا و واثقا من أن الدولة الرومية التي تلاحظ اتساع رقعة النفوذ الاسلامي الصاعد، و التي رأت كيف أن رسول

(١) تاريخ الطبري: ج ٢ ص ٥١٤-٥١٦. سيد المرسلين ج ٢ ٦٦٠ التفكير في أمر الروم: ص: ٦٥٩

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٦٠

الاسلام استطاع أن يقتلع جذور اليهودية من الحجاز، و فرض الجزية على فريق النصارى يدفعونها للحكومة الاسلامية، غاضبة لذلك اشد الغضب.

(١) لقد كان النبي صلى الله عليه وآله منذ أمد بعيد يعتبر خطر الروم خطراً جدياً لا يمكن التغاضي عنه و احتقاره، و لهذا السبب نفسه وجه في السنة الثامنة من الهجرة جيشاً كبيراً قوامه ثلاثة آلاف بقيادة «جعفر بن أبي طالب» و «زيد بن حارثة» و «عبد الله بن رواحة» إلى تخوم الشام حيث يسيطر الروم، و قد استشهد في هذه المعركة القادة الثلاثة، و قفل الجيش الاسلامي راجعاً إلى المدينة من دون انتصارات بتدبير من خالد بن الوليد.

و في السنة التاسعة عند ما بلغه نبأ استعداد الروم لمهاجمة الحجاز و هو آنذاك في المدينة خرج صلى الله عليه وآله بشخصه على رأس جيشه قوامه ثلاثون ألفاً إلى تبوك، و عاد من دون مواجهة إلى المدينة.

(٢) و لهذا كان هذا الخطر جدياً في نظر النبي صلى الله عليه وآله.

و من هنا فانه صلى الله عليه وآله لما عاد من «حجة الوداع» إلى المدينة هتياً جيشاً من المهاجرين و الانصار اشرك فيه اشخاصاً معروفين بارزين مثل أبي بكر و عمر و أبي عبيدة و سعد بن الوقاص و. و. و أمر بأن يشارك فيه كل من هاجر إلى المدينة خاصة «١». ثم ان رسول الله صلى الله عليه وآله لتحريك مشاعر المجاهدين عقد بيده «٢» لواء لأسامة بن زيد الذي أمره على ذلك الجيش. و قال له:

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٦٤٢، النص و الاجتهاد: ص ١٢.

(٢) يذهب كتاب السنة إلى أن النبي عقد اللواء المذكور في ٢٦ صفر، و حيث أن وفاة النبي صلى الله عليه وآله حسب روايتهم كانت في ١٢ ربيع الاول لهذا فان من الممكن ان تقع الحوادث التي سيأتي ذكرها مستقبلاً تدريجاً في مدة ١٦ يوماً، و لكن حيث أن الشيعة يرون تبعاً لما رواه عترته النبي أن وفاة النبي صلى الله عليه وآله كانت في ٢٨ صفر لهذا يجب أن يكون عقد اللواء قد تم قبل ٢٦ صفر بمدد يمكن وقوع كل هذه الحوادث الكثيرة في هذه المدد.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٦١

«سر الى موضع قتل ابيك فاطمهم الخيل فقد وليتك هذا الجيش، فاغز صباحاً و سن الغارة على أهل ابني» «١».

فاعطى «اسامة» اللواء الى «بريدة» و عسكر بالجرف «٢» ليلتحق به جنود الاسلام أفواجا أفواجا، و ليتحرك الجميع في وقت واحد.

(١) لقد اختار رسول الله صلى الله عليه وآله لقيادة هذا الجيش شاباً في مقتبل العمر، و أمره على طائفة كبيرة من شيوخ الانصار و المهاجرين، و لقد أراد صلى الله عليه وآله من فعله هذا أمرين:

أولاً: أن يجبر- من خلال ذلك- ما لحق من المصيبة بأسامة بسبب مقتل والده «زيد بن حارثة» الذي استشهد في معركة مؤتة مع الروم، و ليرفع من شخصيته.

ثانياً: أراد أن يؤكد قانونه في مجال التوصيف و توزيع المناصب و المسؤوليات و يجعل ذلك على اساس الكفاءة و الشخصية القيادية ان المناصب و المسؤوليات الاجتماعية لا تحتاج إلى غير الكفاءات و المؤهلات و لا ترتبط بحال بالمر و السن. لقد فعل النبي ذلك حتى يهيب الشباب الذين يتمتعون بالمؤهلات الكافية لتسلم المسؤوليات الاجتماعية الثقيلة و يحلموا أن المناصب و المهام- في النظام الاسلامي- ترتبط ارتباطاً مباشراً بالكفاءة و المؤهلات القيادية، لا العمر و السن.

(٢) ثم ان الاسلام الواقعي هو الانضباطية الشديدة و الانقياد الكامل تجاه التعاليم الالهية السامية، و المسلم الحقيقي هو من ينقاد لتعاليم الله تعالى و اوامره تعاليمه و يقبل بها من كل قلبه كجندى في ساحة القتال، سواء أ كانت له فيها نفع أم لا، و سواء أ كانت

تضرّ به أم لا، و سواء أ كانت مطابقةً لأهوائه و مطامحه أم لا.

(١) «ابن» من مناطق البلقاء و تقع في الأراضى السورية و قرب مؤتة بين «عسقلان» و «الرملة».

(٢) منطقة واسعة على بعد ثلاثة أميال مدينة من جانب الشام.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٦٢

(١) و لقد بين الامام على عليه السلام حقيقة الاسلام فى عبارة موجزة و لكن بليغة و معبرة اذ قال: «الاسلام هو التسليم» (١).

إن الذين يؤمنون ببعض تعاليم الاسلام دون بعض، كلما واجهوا ما لا يوافق اهواءهم الباطنية منها اعترضوا عليه و حاولوا التملص من المشاركة فى تنفيذه بشتى المعاذير و الحجج.

لا شك أن هذا الفريق يفتقر إلى روح الانضباطية، و التسليم الواقعى و الانقياد الكامل الذى يمثل روح الاسلام و أساسه.

لقد كان تأمير قائد شاب يدعى «اسامة بن زيد» الذى لم يكن يتجاوز يومذاك - العشرين عاما «٢» شاهد صدق على ما نقول، لأن تأميره على لفيف من الصحابة يكبرون عنه فى العمر أضعافا شقّ على البعض، لأنهم اعترضوا على الاجراء، و طعنوا فى اسامة، و اطلقوا عبارات تكشف جميعها عن افتقارهم لروح الانقياد و الطاعة و التسليم الذى يجب أن يتحلى بها الجندى المسلم تجاه قائد الاسلام الأعلى (النبي)، و اوامره و تعييناته.

و لقد كان محور كلامهم هو أن النبي أمر شابا صغير السنّ على شيوخ من الصحابة «٣».

(٢) و لكنهم غفلوا عن المصالح و الأهداف التى توخاها رسول الله صلى الله عليه وآله من هذا الإجراء، و كانوا يقدرّون كل عمل بعقولهم الضيقة المحدودة، و يقيسونه بمقاييسهم الشخصية.

فرغم أنهم لمسوا من قريب كيف أن النبي صلى الله عليه وآله كان يحرص على تعبئة هذا الجيش و بعثه، و لكن عناصر مشبوّهة أخرت حركة الجيش المذكور

(١) نهج البلاغة: قصار الحكم ١٢٥.

(٢) ذهب البعض مثل السيرة الحلبية إلى انه كان فى السابعة عشرة من عمره و ذهب آخرون إلى انه كان فى الثامنة عشرة من عمره. المهم انهم اتفقوا على انه لم يتجاوز العشرين سنه.

(٣) الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ١٩٠.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٦٣

من معسكر «الجرف» و توجهه إلى النقطة المطلوبة، و كانت تسعى لعرقلة هذه المهمة.

(١) و بعد يوم من عقد رسول الله صلى الله عليه وآله اللواء لاسامة تمرّض صلى الله عليه وآله بشدة و أصابه صداع شديد تركه طريح الفراش و استمر هذا المرض عدة أيام حتى قضى صلوات الله عليه.

و قد علم رسول الله صلى الله عليه وآله فى مرضه أن هناك من تخلف عن جيش اسامة و أن هناك من يعرقل توجهه نحو المنطقة التى عينها، و أن هناك بالتالى من يطعن فى اسامة فغضب صلى الله عليه وآله لذلك غضبا شديدا، و خرج و هو يلتحف قطيفة، و قد عصّب جبهته بعصابة إلى مسجده ليتحدث إلى المسلمين من قريب، و يحذّرهم من مغبة هذا التخلف، فصعد المنبر على ما هو عليه من حمى شديدة و بعد أن حمد الله و اثنى عليه قال:

«أما بعد أيها الناس فما مقالة بلغتنى عن بعضكم فى تأميرى اسامة، و لئن طعنتم فى إمارتى اسامة لقد طعنتم فى إمارتى أباه من قبله و أيم الله كان للإمارة خليقا و إن ابنه من بعده لخليق للإمارة، و إن كان لمن أحبّ الناس إلىّ و أنّهما لمخيلان لكل خير، و استوصوا به

خيرا فانه من خياركم».

(٢) ثم نزل صلى الله عليه وآله و دخل بيته و اشتدت به الحمى، فجعل يقول لمن يعود من أصحابه:

«أنفذوا بعث اسامة» (١).

و لقد بلغ من إصرار رسول الله صلى الله عليه وآله على بعث جيش اسامة انه كان يقول و هو فى فراش المرض:

«جهزوا جيش اسامة، لعن الله من تخلف عنه» (٢).

و قد تسببت هذه التاكيدات فى أن يحضر جماعه من المهاجرين و الأنصار

(١) الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ١٩٠.

(٢) الملل و النحل: ج ١ المقدمة الرابعة ص ٢٣.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٦٤

عند رسول الله صلى الله عليه وآله للتوديع و الخروج عن المدينة لتقائيا و الالتحاق بجيش اسامة فى معسكره بالجرف.

(١) و فيما كان اسامة يتهيأ للتوجه بجيشه إلى حيث أمر الرسول الكريم صلى الله عليه وآله بلغ بعض الصحابة الحاضرين فى الجيش

انباء عن تدهور صحة النبي صلى الله عليه وآله فتسببت فى عدولهم عن الحركة حتى كان يوم الاثنين، فحضر اسامة عند رسول الله

صلى الله عليه وآله ليودعه فرأى آثار التحسن بادية على ملامح النبي صلى الله عليه وآله.

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله حاتا اياه على المبادرة و المسارعة فى الخروج:

«اغد على بركة الله» (١).

(٢) فعاد اسامة إلى المعسكر و أمر بالتحرك فورا، و لكن الجيش لم يكن قد غادر «الجرف» بعد، حتى جاء نبا من المدينة بأن رسول

الله صلى الله عليه وآله يحتضر، فعمد من كانوا يبحثون عن حجة للتخلف عن جيش اسامة، و الذين حاولوا خلال ستة عشر يوما أن

يعرقلوا توجهه بشتى المعاذير و الحجج إلى التوسل هذه المرة بقضية احتضار النبي صلى الله عليه وآله و عادوا إلى المدينة فورا، و

عاد الجيش برمته هو الآخر إلى المدينة متجاهلين - جميعا- أوامر النبي صلى الله عليه وآله بالخروج.

و لم يتحقق أحد آمال النبي الاكرم صلى الله عليه وآله فى أيام حياته بسبب اللانضباطية التى ابداهها فريق من شيوخ القوم و اعيان

الجيش.

(٣)

الاعذار غير المقبولة:

إن خطأ كبيرا كهذا ارتكبه بعض من تسلّم أمور الخلافة بعد رسول الله

(١) الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ١٩٠.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٦٥

صلى الله عليه وآله و سموا أنفسهم خلفاء النبي لا يمكن أن يبرر أبدا.

و لقد أراد بعض علماء السنة أن يبرروا هذا التخلف بطرق و وجوه مختلفة إلا أنهم عجزوا- رغم ذلك- أن يخرجوا عذرا مقبولا و

دليلا مرضيا لأولئك المتخلفين عن جيش اسامة.

و للاطلاع على ما نحت لذلك من أعذار سقيمة راجع «المراجعات» (١).

و «النص و الاجتهاد» «٢».

(١)

الاستغفار لأهل البقيع:

كتب فريق من اصحاب السيرة ان رسول الله صلى الله عليه وآله خرج في الليلة التي توفي في صبيحتها مع أبي مويهبة خادمه إلى البقيع مع ما كان عليه من شدة الحمى و الوجع ليستغفر لأهل البقيع «٣».

و لكن المؤرخين الشيعة يرون أن النبي صلى الله عليه وآله يوم أحس بالوجع اخذ بيد «عليّ» عليه السلام و خرج معه إلى البقيع و خرج خلفه جماعة فقال لمن خرج معه:

«إني امرت أن استغفر لأهل البقيع».

و عند ما جاء البقيع سلم على أهل القبور هناك و قال:

«السلام عليكم أهل القبور ليهنئكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه اقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع بعضها بعضا يتبع آخرها أولها».

(٢) ثم استغفر و دعا لأهل البقيع طويلا- ثم النفث إلى عليّ عليه السلام و قال: يا عليّ إني خيّر بين خزائن الدنيا و الخلود فيها أو الجنة فاخترت لقاء ربّي و الجنة. إن جبرئيل كان يعرض عليّ القرآن كلّ سنة مرّة و قد عرضه عليّ مرّتين و لا

(١) المراجعة ٩٠ و ٩١.

(٢) ص ١٥-١٦.

(٣) الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ٢٠٤.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٦٦

أراه إلّا لحضور أجلى» «١».

(١) انّ الذين ينظرون إلى الكون من المنظار المادى البحت و يحصرون كل الوجود في إطار المادة و آثارها، فالوجود عندهم يساوق

المادة قد يتردّدون في قبول هذا الأمر، و يقولون: كيف يمكن مخاطبة الأرواح؟ و كيف يمكن الاتّصال بهم؟

كيف يمكن أن يعرف المرء بموته و أجله؟

و لكن الذين كسروا جدار المادية هذا و اعتقدوا بوجود الروح المجردة عن البدن المادى العنصرى لا ينكرون مسألة الارتباط و

الاتّصال بالارواح «٢»، و يعتبرونه امرا ممكنا و واقعا.

ثم ان النبي الذي يتحلى بالعصمة في مجال ارتباطه بعالم الوحي و العوالم المجردة من المادة، يمكنه- على وجه القطع و اليقين- أن

يخبر عن حلول أجله بأمر الله و اذنه و إخباره إياه.

(١) بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ٤٦٦ و ٤٧٢، الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ٢٠٤.

(٢) طبعا نحن لا نعترف بكل ما يدعيه ادعاء الاتّصال بالارواح فان لذلك طريقه الصحيح، و أسلوبه المشروع.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٦٧

(١)

حوادث السنة الحادية عشرة من الهجرة

٦٤ الكتاب الذي لم يكتب

إشارة

تعدّ الايام الاخيرة من حياة رسول الاسلام صَلَّى الله عليه وآله من اكثر حقول التاريخ الاسلامي أهمية و حساسية و دقة. لقد مرّ الاسلام و المسلمون في تلك الايام بساعات مؤلمة، و حرجة. إن مخالفة بعض الصحابة الصريحة لاوامر النبي صَلَّى الله عليه وآله و تخلفهم عن جيش اسامة كل ذلك كان يكشف عن نشاطات سرية تنبئ عن عزمهم المؤكّد على الاستيلاء على زمام الحكومة و الإمارة و القيادة السياسية في المجتمع الاسلامي بعد رحيل النبي صَلَّى الله عليه وآله و إزاحة الخليفة الذي نصبه رسول الله صَلَّى الله عليه وآله في الغدير للإمارة عن مسند الحكم. (٢) و لقد كان النبي صَلَّى الله عليه وآله و آله نفسه عارفا بنواياهم على نحو الاجمال و لهذا كان يصرّ على خروج جميع أعيان الصحابة في جيش اسامة و مغادرة المدينة فوراً لمقاتلة الروم، لكي يعطل بذلك خطتهم. و لكن دهاء السياسة اعتذروا عن الخروج مع اسامة بحجج و معاذير معينة، لكي يستطيعوا من تنفيذ خططهم بل و عرقلوا مسير الجيش المذكور حتى توفي رسول الله صَلَّى الله عليه وآله. فعادوا إلى المدينة- بعد توقّف دام ١٦ يوماً- على أثر تدهور صحة النبي و احتضاره، فلم يتحقق ما كان يريد رسول الله صَلَّى الله عليه وآله من تفرغ المدينة منهم، فلا يكون أحد منهم فيها يوم وفاته ليستطيع خليفته المنسوب للإمارة سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٦٨

يوم غدیر خم (نعني الامام عليا) من تسلّم زمام الحكم دون منازع و مزاحم من المعارضين السياسيين. (١) إنهم لم يكتفوا فقط بالعودة إلى المدينة بل حاولوا أن يحولوا دون أي عمل من شأنه أن يؤدي إلى دعم و تثبيت منصب الامام علي و خلافته لرسول الله بلا- فصل، فحاولوا منع النبي صَلَّى الله عليه وآله و صرفه عن البحث في هذه المسألة بشتى الوسائل، و السبل.

فعمد رسول الله صَلَّى الله عليه وآله الذي عرف بنشاط بعض زوجاته من بنات بعض اولئك الصحابة، المشين، عمد إلى الخروج إلى المسجد مع ما كان عليه من الحمى و الوجع، و وقف إلى جانب المنبر و قال للناس بصوت عال سمع خارج المسجد: «أيها الناس سعرت النار، و أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، و إني و الله ما تمسّكون عليّ بشيء، اني لم احلّ إلا ما أحلّ الله، و لم احرم إلا ما حرم الله» (١).

إنّ هذه العبارة تكشف عن القلق الشديد الذي كان يحمله النبي صَلَّى الله عليه وآله على مستقبل الاسلام بعد وفاته، فما هو المقصود- ترى- من النار التي سعرت؟

أليس هي فتنة الاختلاف و الافتراق التي كانت تنتظر المسلمين، و التي اشتعلت بعد وفاة رسول الله صَلَّى الله عليه وآله و تعالي لهيها، و لا يزال ذلك للهب مشتعلا، و تلك النار مستعرة؟! (٢)

ايتوني بقلم و قرطاس:

كان رسول الله صَلَّى الله عليه وآله يعرف بما يجري من نشاطات خارج

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٦٥٤، الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ٢١٥ و ٢١٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٦٩

منزله للسيطرة على مقاليد الحكم، ولهذا قرر بغرض الحيلولة دون انحراف مسألة الخلافة من محوره الأصلي والحيلولة دون ظهور الاختلاف والافتراق - أن يدعم مكانة عليّ ويعزز امارته و خلافته و خلافة أهل بيته، وذلك بأن يثبت الأمر في وثيقه حيّ و خالدة تضمن بقاء الخلافة في خطها الصحيح.

(١) من هنا يوم جاء بعض الصحابة لعيادته اطرق برأسه إلى الارض ساعة ثم قال بعد شيء من التفكير و قد التفت إليهم: «يتونى بدواة و صحيفة اكتب لكم كتابا لا تضلون بعده».

فبادر عمر و قال: ان رسول الله قد غلبه الوجع، حسبنا كتاب الله «١».

فناقش الحاضرون رأى الخليفة، فخالفه قوم و قالوا: هاتوا بالدواة و الصحيفة ليكتب النبي ما يريد، و ناصر آخرون عمر و حالوا دون الاتيان بما طلبه النبي، و وقع تنازع بينهم و كثر اللغظ فغضب رسول الله صلى الله عليه و آله بشدة لتنازعهم و لما وجه إليه من كلمة مهينة، و قال:

«قوموا عنى لا ينبغي عندى التنازع»

قال ابن عباس بعد نقل هذه الواقعة المؤلمة المؤسفة: «الرزية كل الرزية ما حال بيننا و بين كتاب رسول الله» «٢».

(٢) إن هذه الواقعة التاريخية قد نقلها فريق كبير من محدثي الشيعة و السنة و مؤرخيهم و تعتبر روايتها - حسب قواعد فنّ الدراية و الحديث - من الروايات المعتبرة الصحيحة غاية ما فى الأمران اغلب محدثي أهل السنة نقلوا كلام «عمر» بالمعنى لا باللفظ، و لم يورد نص الكلمات الجارحة النابية التي نطق بها فى ذلك

(١) الممل و النحل: ج ١ المقدمة الرابعة ص ٢٢. طبعاً لم يكن الهدف من «اكتب» أن يكتب النبي بيده ذلك الكتاب فالنبي لم يكتب شيئاً فى حياته أبداً كما هو مبحوث فى ابحاث أمية النبي بل المقصود هو الإملاء على كاتب.

(٢) صحيح البخارى كتاب العلم: ج ١ ص ٢٢ و ج ٢ ص ١٤، صحيح مسلم: ج ٢ ص ١٤ مسند أحمد: ج ١ ص ٣٢٥، الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ٢٤٤، الممل و النحل: ج ١ ص ٢٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٧٠

المجلس المقدس.

(١) و لا- يخفى أن الإحجام عن نقل نص عبارته ليس لأجل أن العبارات التي تفوه بها تعدّ إهانة لمقام النبوة، بل ان هذا التصرف لأجل الحفاظ على مقام الخليفة و مكانته حتى لا يسيء الآخرون النظرة إليه اذا عرفوا بما قاله فى حق رسول الله صلى الله عليه و آله. من هنا عند ما بلغ أبو بكر الجوهري مؤلف كتاب «السقيفة» فى كتابه إلى هذا الموضوع من القضية قال عند نقل كلام عمر هكذا: و قال عمر كلمة معناها أن الوجع قد غلب على رسول الله «١».

و لكن بعضاً آخر عند ما يريد نقل ما قاله الخليفة لا يصرح باسمه حفظاً لمقامه فيقول: فقالوا: هجر رسول الله «٢».

إن من المسلم أن مثل هذه العبارة الجارحة النابية لو صدرت عن أى شخصيه مهما كان مقامها لعدّت ذنباً لا يغتفر لأن النبي صلى الله عليه و آله بنص القرآن مصون من أى نوع من انواع الخطأ و الاشتباه و الهذيان فهو لا ينطق إلّا بالوحي.

(٢) إن اختلاف الصحابة لدى رسول الله الطاهر المعصوم صلى الله عليه و آله و فى محضره كان عملاً سيئاً، و مشيناً إلى درجة أن احدى أزواجه صلى الله عليه و آله اعترضت على هذه المخالفة و قالت من وراء حجاب: أ لا تسمعون النبي صلى الله عليه و آله يعهد

إليكم؟ ائتوا رسول الله صلى الله عليه وآله بحاجته.
فقال عمر: اسكتن فانكن صويحبات يوسف. اذا مرض عصرتن اعينكن.
و اذا صحَّ أخذتن بعنقه «٣».

(١) شرح نهج البلاغة الحديدى: ج ٢ ص ٢٠.

(٢) صحيح مسلم: ج ١ ص ١٤، مسند أحمد: ج ١ ص ٣٥٥.

(٣) كنز العمال: ج ٣ ص ١٣٨، الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ٢٤٤. وفي الطبقات: ان النبي قال (في الرد على عمر) هن خير منكم سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٧١.

(١) ان بعض المتعصبين و ان التمساو لمخالفة الخليفة لطلب النبي اعذارا «١» في الظاهر إلا أنهم خطوا كلامه الذي قال فيه «حسبنا كتاب الله»، و اعتبروه كلاما غير صحيح، و صرحوا جميعا بأن الركن الاساسى للاسلام هو السنة النبوية، و لا يمكن أن يغنى كتاب الله الامة الاسلامية عن احاديث رسول الاسلام صلى الله عليه وآله و اقواله.

و لكن الاعجب من كل ذلك أن الدكتور «هيكل» مؤلف كتاب «حياة محمد» «٢» ضمن دفاعه عن الخليفة كتب يقول: ما فتى ابن عباس بعدها يرى أنهم أضاعوا شيئا كثيرا بأن لم يسارعوا إلى كتابته ما أراد النبي إملأه. أما عمر فظلّ و رأيه أن قال الله في كتابه الكريم: «ما فرطنا في الكتاب من شيء» «٣».

(٢) فلو أنه لاحظ ما قبل هذه الجملة القرآنية و ما بعدها لما فسرهما بمثل هذا التفسير، و لما أيد الخليفة في مقابل نصّ النبي المعصوم المطاع، لأن المقصود من الكتاب فى الآية هو الكتاب التكويني، و صفحات الوجود، فان لكل نوع من الانواع فى عالم الوجود صفحة من كتاب الصنع، و تشكل كل الصفحات غير المعدودة كتاب الخليفة و الوجود و إليك نص الآية:

«وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ» «٤».

و حيث أن ما قبل الجملة التى استدلل بها يرتبط بخلق الدواب و الطيور، و يرتبط ما بعدها بموضوع الحشر فى يوم القيامة يمكن القول بصورة قاطعة بان المراد من الكتاب فى الجملة المستدل بها و الذى لم يفتر فيه من شيء هو الكتاب التكويني، و صفحة الخلق.

(١) رد العلامة المجاهد السيد شرف الدين فى كتاب المراجعات المراجعة ٨٦ جميع هذه الاعذار بصورة رائعة.

(٢) حياة محمد: ص ٥٠١.

(٣) الانعام: ٣٨.

(٤) الانعام: ٣٨.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٧٢.

(١) ثم اننا لو قبلنا بأن المقصود من الكتاب هو القرآن الكريم فان من المسلم أن فهم هذا الكتاب - و بحكم تصريحه - يحتاج إلى بيان النبي و هدايته كما يقول:

«و أنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم» «١».

تأمل فى هذه الآية فانها لا تقول «لتقرأ» بل تقول بصراحة: «لتبين».

و على هذا الاساس اذا كان كتاب الله كافيا لم نحتاج إلى توضيح النبي و بيانه احتياجا شديدا «٢».

و لو كان حقا أن الامة الاسلامية لا تحتاج إلى النبي فلما ذا كان حبر الامة و عالمها الكبير ابن عباس يقول: يوم الخميس و ما ادراك ما يوم الخميس ثم جعل تسيل دموعه حتى رؤيت على خده كأنها نظام اللؤلؤ و قال: قال رسول الله ايتونى بالكتف و الدواة أو اللوح

و الدواة اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا ...

فقالوا ... «٣».

فمع هذا الحزن الذى كان يبديه ابن عباس، مضافا إلى الاصرار الذى أظهره رسول الله كيف يمكن القول بان القرآن يغنى الامة الاسلامية من هذه الوصية (أو الكتاب) الذى كان النبى يريد كتابته.

و الآن إذا كان النبى لم يوفق لكتابة الكتاب و املائه فهل يمكن ان نحسد- فى ضوء القرائن القطعية- ما ذا كان ينوى النبى كتابته فى هذه الرسالة؟

(٢)

ما ذا كان الهدف من الكتاب؟

إن الطريقة الجديدة و القويمة فى تفسير القرآن الكريم التى اصبحت اليوم موضع عناية المحققين و العلماء فى هذا العصر هو رفع إبهام الآية و اجمالها فى موضوع معين بواسطة آية اخرى تتحدث عن ذلك الموضوع ذاته و لكنها أوضح من الاولى

(١) النحل: ٤٤.

(٢) ان بيان مدى حاجة القرآن إلى بيان النبى خارج عن نطاق هذه الرسالة، فاطلبه فى محله.

(٣) مسند احمد: ج ١ ص ٣٥٥. صحيح البخارى: كتاب الجزية ج ٤ ص ٦٥ و ٦٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٧٣

دلالة و مفادا، و بعبارة اخرى الاستعانة فى تفسير آية بآية اخرى.

إن هذه الطريقة لا- تختص بتفسير آيات القرآن بل تنسحب على الأحاديث و الروايات الاسلامية أيضا اذ يمكن رفع الاجمال عن حديث بحديث مشابه، لأن القادة الكبار يتحدثون فى موضوع مهم و خطير بصورة مؤكدة و مكررة لا تتشابه و لا تتحد فى دلالتها، فقد تكون دلالتها على الآية واضحة و قد يكون بيان المقصود فيها بالاشارة و الكناية حسب مقتضيات.

(١) قلنا ان النبى صلى الله عليه و آله طلب من اصحابه و هو فى فراش المرض دواة و صحيفة ليملى عليهم شيئا لا يضلون بعده أبدا ثم تسبب التنازع الذى حدث بين الحاضرين فى ان ينصرف من كتابته ما اراد.

يمكن أن يسأل سائل: ما ذا كان يريد رسول الله صلى الله عليه و آله كتابته فى ذلك الكتاب.

إن الاجابة على هذا السؤال واضحة لأنه مع أخذ الأصل الذى ذكرناه فى مطلع البحث بنظر الاعتبار يجب القول بأن هدف النبى لم يكن ألا تعزيز الوصية و دعم خلافة الامام أمير المؤمنين على عليه السلام و امرته و التأكيد على لزوم اتباع اهل بيته الذى صرح به النبى صلى الله عليه و آله فى الغدير و غيره.

(٢) و هذا المطلب يستفاد من حديث الثقلين المتفق عليه بين محدثى السنة و الشيعة، لأن النبى صلى الله عليه و آله قال فى شأن الكتاب الذى نوى كتابته:

انه بيتنى كتابته شىء لا يضلون بعده ابدا. و قد جاءت هذه العبارة بعينها فى حديث الثقلين اذ يقول رسول الله صلى الله عليه و آله معتبرا عدم الضلال بعده معلولا لاتباع الكتاب و العترة اذ قال:

«إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا: كتاب الله و عترتى أهل بيتى» «١».

(١) صحيح الترمذى: ج ٥ ص ٣٢٨ ح ٣٨٧٤ جامع الاصول: ج ١ ص ١٨٧ راجع المراجعات:

المراجعة ٨.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٧٤

(١) ألا يمكن بعد ملاحظة هذين الحديتين و التشابه الموجود بينهما الحدس - بصورة قطعية - بان ما كان يهدفه رسول الله صلى الله عليه وآله من طلب الدواة و الصحيفة هو مفاد كتابة حديث الثقلين، أو ما هو أعلى مما يفيد حديث الثقلين و هو تعزيز و دعم ولاية الامام على عليه السلام و خليفته مباشرة و بلا فصل و هو الذى عينه للإمارة و الخلافة فى الثامن عشر من شهر ذى الحجة عند مفترق طرق الحجاج المدنيين و العراقيين و المصريين و الحجازيين و أعلن عن ذلك بصورة شفاهية.

هذا مضافا إلى أن مخالفة من شكّل شورى الخلافة فى سقيفة بنى ساعدة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله و رشح رفيقه القديم للخلافة بصورة خاصة بعد رحيل رسول الله إلى ربّه، و حصل هو بدوره على اجرتة عند موت الأول بصورة نقدية و عينه للخلافة خلافا لجميع القواعد و الاصول، خير شاهد على أن القرائن التى كانت فى مجلس النبى و كلامه كانت تكشف عن أن النبى صلى الله عليه وآله كان يريد أن يملأ على كاتبه امرا يتعلق بخلافة المسلمين و الامارة و القيادة التى اثبتها لعلى و اهل بيته الطاهرين فى احاديثه و خطبه.

ولهذا خالف القوم الحضور هذا المطلب بشدة و حالوا دون الاتيان بالقلم و القرطاس بوقاحة، و خالفوا كتابه شىء، و إلا فلما ذا أصروا فى مخالفتهم ...

و ارتكبوا ما ارتكبوا.

(٢)

لما ذا لم يصرّ النبى فى كتابة الكتاب؟

كان فى إمكان رسول الله صلى الله عليه وآله و آله رغم معاكسات جماعة من أصحابه أن يطلب كاتبه و يكتب الكتاب الذى كان يريد، فلما ذا لم يتصرف هكذا، و لم يستغل مكانته القويّة بل امتنع عن ذلك؟

إن الاجابة على هذا السؤال واضحة: فلو أن النبى كان يصرّ على كتابة الكتاب لأصروا فى الاساءة الى النبى الذى قالوا عنه انه غلبه الوجع أو هجر،

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٧٥

و لعمد أنصارهم إلى اشاعة و بتّ هذا الأمر الرخيص، و صنعوا لاثباته الافاعيل فكانت تتسع رقعة الاساءة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله و آله فى هذه الحالة و تستمرّ، فتفقد الرسالة أثرها المنشود.

من هنا عند ما قال البعض للنبى - ملافاة لما لحق به من الأذى - أبعد الذى قلت؟ فقال:

«أبعد الذى قلت؟ لا و لكن اوصيكم بأهل بيتى خيرا» (١).

(١)

ملافاة الأمر و تداركه:

إن مخالفة بعض الصحابة الصريحة و إن صرفت النبى عن الكتابة إلا انه بلغ مقصوده من طريق آخر، فهو - بشهادة التاريخ - بينما كان يعانى المرض، و الوجع الشديد، خرج إلى المسجد و هو متوكئ على «على بن أبى طالب» و «ميمونه» مولاته فجلس على المسجد ثم قال:

«يا أيها الناس إنى تارك فيكم الثقلين».

و سكت، فقام رجل فقال: يا رسول الله ما هذان الثقلان؟ فغضب حتى احمر وجهه ثم سكن، قال: «ما ذكرتهما إلا وأنا أريد أن أخبركم بهما ولكن ربوت فلم استطع، سبب طرفه بيد الله، و طرف بايديكم، تعلمون فيه كذى، ألا و هو القرآن، و الثقل الأصغر أهل بيتي».

ثم قال:

«و أيم الله إنى لأقول لكم هذا و رجال فى اصلاّب أهل الشرك أرجى عندى من كثير منكم».

ثم قال:

(١) بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ٤٦٩ نقلا عن الارشاد و اعلام الورى.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٧٦

«و الله لا يحبهم عبد إلا أعطاه الله نورا يوم القيامة حتى يرد على الحوض، و لا يبغضهم عبد إلا احتجب الله عنه يوم القيامة» (١).

(١) هذا و قد روى ابن حجر العسقلانى تدارك ما فات بصورة اخرى، و لا تنافى بين الصورتين، اذ يمكن وقوع كليهما.

انه يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لاصحابه و قد امتلأت بهم الحجره و هو فى مرضه الذى قبض فيه:

«أيها الناس يوشك أن أقبض قبضا سريعا، فينطلق بى، و قد قدمت إليكم القول معذرة إليكم ألا إنى مخلف فيكم كتاب الله ربى عزّ

و جلّ و عترتى أهل بيتي».

ثم أخذ بيد على عليه السلام فقال:

«هذا على مع القرآن و القرآن مع على، خليفتان نصيران، لا يفترقان حتى يردا على الحوض فاسألهما ما ذا خلفت فيهما» (٢).

(٢) فمع أن رسول الله صلى الله عليه وآله ذكر حديث الثقلين (٣) قبل مرضه فى مواضع متعددة و بألفاظ مختلفة، و لفت نظر الناس

إلى أهميّة هذين الثقلين، و لكنه لفت الأنظار مرة اخرى و هو فى فراش المرض أمام جمع اصحابه الذين حالوا دون كتابه ما اراد إلى

عدم افتراق القرآن و العتره يمكن الحدس بأن الهدف من التكرار هو تدارك ما فات من كتابه الكتاب الذى لم يوفق لكتابته.

(١) بحار الأنوار: ج ٢٢ نقلا عن مجالس المفيد.

(٢) الصواعق المحرقة: الباب ٩ من الفصل الثانى ص ٥٧ و كشف الغمّة: ص ٤٣.

(٣) حديث الثقلين من الروايات المتفق عليها بين الشيعة و السنة و قد نقل عن الصحابة باكثر من ٦٠ طريقا يقول ابن حجر العسقلانى

فى الصواعق ص ١٣٦: و قد خصص المرحوم مير حامد حسين الهندى قسما من موسوعته «العبارات» بذكر اسناده حديث الثقلين و

دلالتة. و قد طبعت فى ستة أجزاء مؤخرا.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٧٧

(١)

تقسيم الدنانير:

دأب رسول الله صلى الله عليه وآله فى مجال بيت المال أن يوزع أمواله فى أقرب فرصة سانحة بين الفقراء و المحتاجين.

و عند ما كان فى فراش المرض تذكّر أن هناك دنانير عند إحدى زوجاته فطلبها فوراً، فاحضرتها عنده فاخذها صلى الله عليه وآله

بيده و قال:

«ما ظنّ محمّد بالله لو لقي الله و هذه عنده؟ انفقها».

ثم أمر عليا عليه السلام فتصدق بها «١».

(٢)

غضب النبي من الدواء الذي سقى:

لما كانت أسماء بنت عميس و هي من قريبات «ميمونة» زوجة النبي صلى الله عليه وآله، و التي اقامت ايام الهجرة زمنا في الحبشة تعلمت من أهلها صنع عقار مركب من النباتات و الاعشاب المختلفة، فلما اشتكى و اغمى عليه تصورت ان الذي دهاه هو داء: «ذات الجنب»، و كانوا في الحبشة يداونون هذا المرض بذلك العقار، فعمدت إلى معالجته بذلك الدواء، بصّب شيء منه في فم النبي صلى الله عليه وآله و لما أفاق و عرف بما صنعوا غضب و قال:

«ما كان الله لیسلط علی ذات الجنب» «٢».

(٣)

وداع النبي مع أهله:

خرج رسول الله صلى الله عليه وآله في أيام مرضه إلى مسجده مرارا يصلى بالناس، و يذكرهم امورا. و ذات يوم من أيام مرضه اخرج الى مسجده معصوب الرأس متكئا على

(١) الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ٢٣٨ و ٢٣٩.

(٢) الطبقات: ج ٢ ص ٢٣٥.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٧٨.

«علي» عليه السلام يميني يديه و على الفضل باليد الاخرى فصعد المنبر فحمد الله و اثنى عليه ثم قال:

«أما أيها الناس فان قد حان منى خفوق بين اظهركم فمن كانت له عندي عدة فليأتني أعطه اياها، و من كان له عليّ دين فليخبرني به».

(١) فقام إليه رجل فقال: يا رسول الله ان لي عندك عدة، اني تزوجت فوعدتني ان تعطيني ثلاثة أواقى.

فقال صلى الله عليه وآله انحلها يا فضل ثم نزل و عاد إلى بيته.

فلما كان يوم الجمعة- ثلاثة ايام قبل وفاته- صعد المنبر فخطب و قال فيما قال:

«أى رجل كانت له قبل محمّد مظلمة إلّا قام فالقصاص في دار الدنيا أحبّ إليّ من القصاص في دار الآخرة على رءوس الملائكة و الاشهاد».

فقام إليه رجل يقال له سواده بن قيس فقال: انك لما اقبلت من الطائف استقبلتك و أنت على ناقتك العضباء و بيدك القضيب الممشوق فرفعت القضيب و أنت تريد الراحلة فاصاب بطني.

فقال صلى الله عليه وآله لبلال: قم الى منزل فاطمة فائتني بالقضيب الممشوق.

ان طلب النبي صلى الله عليه وآله هذا بان يقتض منه من له ذلك لم يكن مجرد مجاملة اخلاقية بل كان صلى الله عليه وآله يريد ان ينبه الناس إلى أهمية مثل هذه الحقوق جدا «١» و لما أتى بالقضيب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله قال صلى الله عليه وآله: اين الشيخ؟ قال سواده: ها انا ذا يا رسول الله بابي أنت و أمي فقال صلى الله عليه وآله:

(١) هذا مضافا إلى ان ضرب بطن سواده بالقضيب من قبل النبي لم يكن عمدا و لهذا لم يكن له الحق إلّا في اخذ الديه دون

القصاص، مع ذلك أراد النبي أن يلي طلبه لما قال اريد ان اقتص.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٧٩

«فاقتص منى حتى ترضى».

فقال سواده: فاكشف لى عن بطنك.

ثم انه وسط دهشة الصحابة و حزنهم و غمهم و بكائهم تقدم سواده إلى النبي و قال: أ تأذن لى ان اضع فمى على بطنك؟ فاذن له، فقال اعوذ بموضع القصاص من بطن رسول الله، و قبل بطن النبي و صدره الشريف. فدعا له رسول الله و قال: اللهم اعف عن سواده بن قيس كما عفى عن نبيك محمد «١».

(١) مناقب آل أبى طالب: ج ١ ص ٢٣٥.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٨٠

(١)

٦٥ اللحظات الأخيرة

إشارة

كان القلق و الاضطراب يلف المدينة المنورة بأسرها فصحابة النبي يحيطون ببيت رسول الله صلى الله عليه وآله بعيون باكية و قلوب حزينة ليطلعوا على صحته، و كانت تخرج من منزله بين الحين و الآخر أخبار عن اشتداد مرضه، و تفاقم وجعه، لتتضى على كل أمل بتحسّن حالته، و تجعل الناس على يقين بانه لم يبق من حياة رسول الله صلى الله عليه وآله إلا سويغات قلائل، و انه سرعان ما تنطفئ الشعلة المقدسة، التى أنارت العالم بضئائها.

كان فريق من الصحابة يودون أن يزوروا نبيهم و قائدهم من قريب و لكن تدهور صحته ما كان يسمح لذلك، فلم يكن من الممكن ان يتردد على غرفته إلا أهل بيته خاصة.

(٢) و لقد كانت ابنته الكريمة و وديعته الوحيدة فاطمة الزهراء عليها السلام جالسة عند فراش ابيها، تنظر إلى وجهه المشرق كانت ترى كيف ان عرق الموت يتحدر على جبينه و خده مثل حبات اللؤلؤ، فراحت تردد أبياتا من الشعر و قلبها يعتصره الحزن، و يملأ عيونها دموع الاسى و الحزن و يكاد يخنقها الغصه:

و أبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للارامل و فى هذه اللحظات بالذات فتح رسول الله صلى الله عليه وآله عينيه و قال لابنته الزهراء بصوت خافت:

يا بتيه هذا قول عمك أبى طالب لا تقولى و لكن قولى:

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٨١

«و ما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَ مَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَ سَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ» «١».

(١)

النبي يتحدث مع ابنته الزهراء:

لقد كشفت التجربة عن ان عواطف الشخصيات الكبرى تجاه ابنائهم تتضاءل اثر تراكم النشاطات و تزايد الاهتمامات و الهموم، لأنّ الاهداف الكبرى، و الاهتمامات العالمية تشغل بالهم و فكرهم إلى درجة لا تترك لهم مجالاً لمشاعرهم العاطفية بالظهور و التجلّي، بيد أنّه يستثنى الشخصيات الروحانية و المعنوية الكبرى من هذه القاعدة فهم مع ما يشغل بالهم من الاهداف الكبرى، و الاهتمامات العالية، و الشواغل اليومية الكثيرة يمتلكون روحاً كبرى و نفسية طيبة سامية فلا يمنعهم عمل عن آخر، و لا يشغلهم شغل عن آخر، فلا مكان للضمور العاطفي عندهم، و لا مكان للجمود الاحساسى في حياتهم الاجتماعية و العائلية.

إن محبة النبي صلى الله عليه وآله لابنته الوحيدة فاطمة كانت من ابرز التجليات العاطفية الانسانية في شخصية النبي الاكرم صلى الله عليه وآله، و لهذا لم يعهد أن يسافر رسول الله من دون أن يودع ابنته، كما لم يعهد أن يرجع المدينة من دون ان يزور ابنته قبل أى أحد، كما كان يحترمها عند زوجاته احتراماً لا يثقاً بها و يقول لاتباعه:

«فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني» (٢).

(٢) كما أن رؤية فاطمة كانت تذكرةً بأشد نساء العالمين طهراً و وفاء، و عطفاً و لطفاً، (خديجة) التي تحملت في سبيل أهداف زوجها المقدس متاعب كبيرة،

(١) آل عمران: ١٤٤.

(٢) صحيح البخارى: ج ٥ ص ٢١.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٨٢.

و بذلت ثروتها كلها في سبيل تلك الاهداف باخلاص و رغبة.

كانت فاطمة الزهراء عليها السلام تلازم فراش والدها النبي صلى الله عليه وآله طوال ايام مرضه، و لا تفارقه لحظة واحدة، و فجأة أشار النبي إلى ابنته يطلب منها ان تقرب رأسها إلى فمه ليحدّثها، فانحنت فاطمة حتى صار رأسها قريباً من فمه الشريف ثم راح النبي صلى الله عليه وآله يحادثها بصوت ضئيل و لم يعرف من كان هناك ما ذا قاله رسول الله صلى الله عليه وآله لابنته الطاهرة في تلك النجوى.

و انما شاهدوا الزهراء تبكى بشدة لما انتهى والدها من حديثه و سالت دموعها بغزارة، و لكنهم شاهدوا ان النبي اشار إليها مرة اخرى و حدثها بشيء فسرت فاطمة و تهللت اسارير وجهها، و تبسمت مستبشرة.

(١) فاثارت هاتان الحالتان المتضادتان المترامتان الحضور و بعثتهم على التعجب و الدهشة، فلما سألوها عن سرّ ذلك الحزن، و هذه الفرحة، و طلبوا منها ان تذكر لهم علّة هاتين الحالتين المتضادتين قالت:

«ما كنت لافشى سرّه».

ثم بعد أن قضى رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم كشفت الزهراء عليها السلام عن الحقيقة بناء على اصرار عائشة و قالت: اخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله انه قد حضر اجله و انه يقبض في وجعه هذا، فبكيت، ثم اخبرني أني أول اهله لحوقاً به فضحكت (١).

(٢)

مسواك النبي قبيل وفاته:

كان رسول الله صلى الله عليه وآله يستاك كل ليلة قبل النوم كما كان يستاك بعد ان يستيقظ من نومه و كان مسواك النبي من شجرة الأراك التي تنفع

(١) الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ٢٤٧، الكامل، ج ٢ ص ٢١٩.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٨٣

جدا في تقوية اللثة، و إزالة الاوساخ و بقايا الطعام عن الاسنان.

و ذات يوم دخل اخو عائشة عبد الرحمن على رسول الله صلى الله عليه وآله ليعوده و بيده سواك اخضر فنظر النبي إليه - و هو في يده - نظرا عرف أنه يريد فقال عبد الرحمن: يا رسول الله تريد أن أعطيك هذا السواك. فقال نعم، فقدّمه إلى النبي فورا فاخذه صلى الله عليه وآله و استاك به أحسن استياك، و نظف اسنانه به بدقه و عناية بالغه «١».

(١)

وصايا النبي صلى الله عليه وآله قبيل رحيله:

كان رسول الله صلى الله عليه وآله خلال فترة مرضه و وجعه يولى إعطاء التعاليم و التذكير بما فيه هداية الناس اهتماما بالغاً، فقد كان يوصى بالصلاة و رعاية الرقيق في الايام الاخيرة من حياته الشريفة و يقول:

«الصلاة الصلاة و ما ملكت أيمانكم، ألبسوا ظهورهم و أشبعوا بطونهم و ألبسوا لهم القول» «٢».

و قد سأل كعب الاحبار عمر بن الخطاب بعد وفاة رسول الله و في ايام خلافة الأخير ما كان آخر ما تكلم به رسول الله صلى الله عليه وآله فقال عمر: سل علياً.

فسأل علياً عليه السلام:

فقال امير المؤمنين عليه السلام:

«أسندته إلى صدرى فوضع رأسه على منكبى فقال: الصلاة الصلاة.

فقال كعب: كذلك آخر عهد الأنبياء و به امروا و عليه يبعثون» «٣».

و قد فتح النبي صلى الله عليه وآله عينه في آخر لحظة من حياته الشريفة و قال:

(١) الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ٢٣٤، السيرة النبوية: ج ٢ ص ٦٥٤.

(٢) الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ٢٥٤.

(٣) الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ٢٦٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٨٤

«أدعوا لى أخى».

(١) فعرف الجميع بأنه يريد علياً عليه السلام فدعوا له علياً فقال:

«ادن منى».

فدنا منه على عليه السلام فاستند إليه فلم يزل مستندا إليه يكلمه «١».

فلم يلبث أن بدت عليه صلى الله عليه وآله علامات الاحتضار.

سأل رجل ابن عباس: هل توفى رسول الله في حجر أحد قال: توفى و هو لمستند إلى صدر على.

فقال السائل: قلت: فان عائشة قالت: توفى رسول الله صلى الله عليه وآله بين سحرى و نحرى.

فكذبها ابن عباس و قال: أتعقل؟ و الله لتوفى رسول الله صلى الله عليه وآله و أنه لمستند إلى صدر على و هو الذى غسّله، و أخى

الفضل بن عباس «٢».

(٢) وقد صرح أمير المؤمنين على عليه السلام في إحدى خطبه حيث قال:

«و لقد قبض رسول الله وإن رأسه لعلى صدرى ... و لقد وليت غسله و الملائكة أعوانى» (٣).

و ينقل بعض المحدثين أن آخر جملة قالها رسول الله صلى الله عليه وآله في آخر لحظة من حياته الشريفة هي جملة: «لا، إلى الرفيق الأعلى»، و كأن ملك الموت خيره عند قبض روحه الشريفة في أن يصح من مرضه و يبقى أو يلبي دعوة ربه، و يلتحق بالرفيق الأعلى، فعبّر بجملة هذه عن رغبته في اللحاق بربه، ليعيش مع الذين أشار إليهم قوله سبحانه:

«فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ

(١) الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ٢٦٣.

(٢) المصدر: ج ٢ ص ٢٦٣.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ١٩٧.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٨٥

وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا» (١).

قال النبي صلى الله عليه وآله هذا و لفظ أنفاسه الشريفة (٢).

(١)

يوم الوفاة:

في منتصف يوم الاثنين الثامن و العشرين من شهر صفر (٣) طارت روح النبي الاكرم المقدسة إلى بارئها، و الى جنان الخلد، فسجى ببرد يمانى، و وضع في حجرته بعض الوقت، و ارتفعت صرخات العيال، و علا بكاء الاقارب فعرف من كان في خارج المنزل أن النبي صلى الله عليه وآله قد قضى، فلم يلبث أن انتشر نبأ وفاته في كل أنحاء المدينة التي تحولت بسرعة إلى مناحة كبرى، و ماتم عظيم. فصاح الخليفة الثاني خارج البيت و لأسباب خاصة أن النبي لم يمت انما عرج بروحه كما عرج بروح موسى، و انه لا يموت رسول الله صلى الله عليه وآله! و أصر على هذا الموقف و هدّد كل من يخالف ذلك، و كاد أن يوافق عليه فريق من الناس لو لا- أن أحد الصحابة تلا عليه قول الله سبحانه:

«وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ».

حتى فرغ من الآية، فسحب عمر موقفه، مستغربا من وجود مثل هذه الآية قائلا: هذا في كتاب الله؟ (٤)

(٢) ثم قام أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام بتغسيل جسد النبي الطاهر و كفنه لأن النبي صلى الله عليه وآله كان قد قال: «يغسلنى أقرب»

(١) النساء: ٦٩.

(٢) إعلام الورى: ص ٨٣.

(٣) و هو ما اتفق عليه محدثو الشيعة و مؤرخوهم، و نقل في السيرة النبوية ج ٢ ص ٦٥٨ بصورة: قيل.

(٤) الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ٢٦٧.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٨٦

الناس إلى» و لم يكن ذلك سوى على عليه السلام.

و لما فرغ «على» من تغسيل النبي صلى الله عليه وآله كشف الازار عن وجهه صلى الله عليه وآله وقال و الدموع تنهمر من عينيه الشريفتين:

«بأبى أنت و أمى طبت حيا و طبت ميتا، انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت أحد ممن سواك من النبوة و الانباء. و لو لا أنك أمرت بالصبر، و نهيت عن الجزع لأنفذنا عليك ماء الشؤون و لكان الداء مماطلا، و الكمد محالفا و قلّا لك، و لكته ما لا يملك ردّه و لا يستطاع دفعه! بأبى أنت و أمى اذكرنا عند ربك، و اجعلنا من بالك؟» (١).

(١) ثم ان الامام أمير المؤمنين «على بن أبى طالب» عليه السلام كان أول من صلى على جثمان رسول الله صلى الله عليه وآله ثم صلى عليه المسلمون جماعة جماعة، ثم تقرر دفنه صلى الله عليه وآله في حجرته المباركة.

فقام أبو عبيدة الجراح و زيد بن سهل بحفر قبر له صلى الله عليه وآله و إعداده ثم دفن صلى الله عليه وآله في تلك الحفرة على يد أمير المؤمنين على عليه السلام يساعده في ذلك الفضل و العباس.

و هكذا غربت شمس أعظم شخصية غيرت مسار التاريخ البشرى بتضحياته الكبرى و جهوده المضنية، و اعظم رسول الهى فتح امام الانسانية صفحات جديدة و مشرقة من الحضارة و المدنية.

(٢) و لكن ظهرت على الساحة برحيله مشكلات عديدة كان لها أثر في استمرار رسالته، و مواصلة أهدافه التي من أهمها مسألة الخلافة و موضوع القيادة في المجتمع الاسلامى و قد بدت بعض بوادر الاختلاف في الاوساط الاسلامية حتى قبل رحيله.

غير أن هذا القسم و إن كان قسما مهما و خطيرا من تاريخ الاسلام، فهو

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم ٢٣٥.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٨٧

خارج عن اطار بحثنا هذا (و هو دراسة و تحليل الشخصية المحمدية و حياة النبي الرسالية و السياسية و العسكرية).

من هنا فاننا نختم حديثنا هذا بالشكر لله تعالى على هذه النعمة الكبرى، و الحمد لله رب العالمين «١».

قم المقدسة- الحوزة العلمية

جعفر السبحانى

شعبان المعظم ١٣٩٠ هـ

(١) ثم تدوين هذه المحاضرات و توثيقها و تحقيقها في شهر شعبان المعظم عام ١٤٠٩ هجرية في مدينة قم و الحمد لله رب العالمين.

جعفر الهادى

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٨٩

الفهارس

إشارة

١- فهرس الآيات القرآنية

٢- فهرس الاحاديث الشريفة

٣- فهرس الأشعار

- ٤- فهرس الأعلام
 - ٥- فهرس القبائل و الامم
 - ٦- فهرس الكنى و الألقاب
 - ٧- فهرس الوقائع و الايام
 - ٨- فهرس الاماكن و البلدان
 - ٩- فهرس المذاهب و الأديان و نظم الحكم
 - ١٠- فهرس الموضوعات العلمية المبحوثة ضمنا
 - ١١- فهرس المصادر
 - ١٢- فهرس المواضيع
- سيد المرسلين ، ج ٢، ص: ٦٩١

(١) فهرس الآيات القرآنية

- البقرة- ٢ الآية/ رقمها/ الصفحة فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ / ١١٥ / ٢٠١
- سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبَلَتِهِمْ / ١٤٢ / ٥١
- وَ مَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا / ١٤٣ / ٤٩
- وَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ / ١٤٣ / ٥٠
- قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ / ١٤٤ / ٤٨
- وَ مِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ / ٢٠٧ / ١١٣
- يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ / ٢١٧ / ٤٠
- يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَ الْمَيْسِرِ / ٢١٩ / ٢١٨
- وَ إِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا / ٢١٩ / ٢٢٠
- آل عمران- ٣ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتْغَابُونَ وَ تُحْشَرُونَ .. / ١٢ / ١٢٢
- قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الَّتِي قَاتَا .. / ١٣ / ٩٦
- إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ .. / ٥٩ / ٦٠٤
- فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ .. / ٦١ / ٦٠٤
- فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ .. / ٦١ / ٤٠٥
- قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ / ٦٤ / ٦٠١
- وَ إِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ / ١٢١ / ١٥١
- سيد المرسلين ، ج ٢، ص: ٦٩٢
- وَ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَ أَنْتُمْ أَذِلَّةٌ .. / ١٢٣ - ١٢٧ / ٩٠
- وَ مَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ / ١٤٤ / ١٦٣ ، ٦٨١ ، ٦٨٥
- إِذْ تُصْعِدُونَ وَ لَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ / ١٥٢ / ١٦٣
- وَ طَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ / ١٥٤ / ١٦٢

إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ / ١٥٥ / ١٦٣
النساء - ٤ لا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى / ٤٣ / ٢١٩، ٢٢١، ٢٢٣

٢٢٥

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ / ٥١ / ٢٤٩
إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ / ٥٨ / ٤٩٨
فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ / ٦٩ / ٤٨٤
المائدة - ٥ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ .. / ١ - ٣ / ٤٥٣
فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا / ٢٤ / ٦٢
مَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا / ٣٢ / ١٢٧
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى / ٥١ - ٥٣ / ١٢٦
يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ / ٦٧ / ٤٤٧
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ ... / ٩٠ / ٢١٩
إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ / ١١٠ / ٣٨٠
الأنعام - ٦ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ .. / ٣٨ / ٤٧٧
الأعراف - ٧ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا / ٣٣ / ٢٣٠
فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا / ٤٤ / ٧٨٣

سيد المرسلين ، ج ٢، ص: ٤٩٣

الأنفال - ٨ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ / ٥ / ٤٢
يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ ... / ٦ / ٤٢
إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ / ٩ / ٩٦
فَجَبَّتْوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا / ١٢ / ٩٨
إِذْ يُعَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ ... / ١١ - ١٢ / ٩٦
ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ / ١٣ / ٩٨
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ / ٢٧ / ٢٨٧
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيُضِدُّوا / ٣٦ / ١٣٦
إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا / ٤٢ - ٤٣ / ٩٥
وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ / ٤٢ / ٩٧
وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّفَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا / ٤٤ / ٩٧
وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ / ٤٧ / ٩٨
وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ / ٤٨ / ٩٨
يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى / ٧٠ / ٩٥
وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ / ٧١ / ٩٥
وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ / ٨٧ / ٤٨

التوبة- ٩ أ جعلتكم سقاية الحاج و عماره المسجد الحرام / ١٩ / ١١٣

و الذين اتخذوا مسجداً ضراباً / ١٠٧ - ١٠٨ / ٥٨٠

لقد نصركم الله في مواطن كثيرة / ٢٥ / ٥١٤

اتخذوا اخبارهم و رهبايهم ازاباباً / ٣١ / ٥٥٠

هو الذي ارسل رسوله بالهدى / ٣٣ / ٣٥٥

و منهم من يقول ائذن لي و لا تفتني / ٤٩ / ٥٥٥

سيد المرسلين ، ج ٢ ، ص : ٦٩٤

و لئن سألتهم ليقولن انما كنا نحوض / ٦٥ / ٥٧٤

و قالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم / ٨١ - ٨٢ / ٥٥٥

و لا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم / ٩٢ / ٥٥٧

تولوا و اعينهم تفيض من الدمع / ٩٢ / ٥٥٦

و آخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا .. / ١٠٢ / ٢٨٧

حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت / ١١٨ / ٥٧٧

يوسف - ١٢ قالوا تالله لقد آثرك الله علينا / ٩١ / ٤٧٩

قال لا تثريب عليكم اليوم / ٩٢ / ٤٧٩ و ٤٩٦

النحل - ١٦ و انزلنا اليك الذكر لتبين للناس / ٤٤ / ٦٧٢

و من ثمرات النخيل و الاغاب تتخذون منه سكرًا / ٦٧ / ٢١٨

من عمل صالحا من ذكر او اثنى و هو مؤمن / ٩٨ / ٥٣١

و ان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به / ١٢٦ / ١٨٣

الاسراء - ١٧ و ات ذا القربى حقه و المسكين ... / ٢٦ / ٤٢٣

مريم - ١٩ يربني و يرب من آل يعقوب / ٦ / ٤٢٨

و ان منكم الا و اردها / ٧١ / ٤٢٨

الحج - ٢٢ اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا / ٣٩ / ٥٦

النور - ٢٤ ان الذين جاؤ بالافك غضبه منكم / ١١ / ٣١٦ و ٣١٨

لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون / ١٢ - ١٤ / ٢١٩

و انكحوا الايامى منكم و الصالحين / ٣٢ / ١٠٠

سيد المرسلين ، ج ٢ ، ص : ٦٩٥

و لا تكرهوا فتياتكم على البغاء / ٣٣ / ٣١٣

انما المؤمنون الذين آمنوا بالله و رسوله / ٦٢ / ١٤٨ و ٢٥٤

النمل - ٢٧ و ورث سليمان داود / ١٦ / ٤٢٨

القصص - ٢٨ ان الذي فرض عليك القرآن لرادك / ٨٥ / ٤٩٥

العنكبوت - ٢٩ و ان جاهداك لتشرك بي / ٨ / ١٧

الروم - ٣٠ يخرج الحى من الميت / ٣١ / ١٤٨

الأحزاب- ٣٣ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ ... / ٩ - ٢٥ / ٢٧٦

بَيُّوتِنَا عَوْرَةً ... / ١٣ / ٢٨٧

وَ أَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ... / ٢٦ - ٢٧ / ٢٩٥

إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ / ٣٣ / ٤٢٥ و ٦٠٧

وَ مَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ ... / ٣٦ - ٣٧ / ٢٣٢

وَ تُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ / ٣٧ / ٢٤٣

فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا / ٣٧ / ٢٤٣

مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ ... / ٣٨ - ٣٩ / ٢٣٦ و ٢٤٤

مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ / ٤٠ / ٢٣٦

سبًا- ٣٤ وَ مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ / ٢٨ / ٣٥٥

يس- ٣٦ لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَ يَحِقَّ الْقَوْلُ / ٧٠ / ٣٥٥

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٩٦

الفتح- ٤٨ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا / ١ / ٣٤٨

لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ / ١٧ / ١٤٧

لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ / ١٨ / ٣٣٤

وَ لَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلُوا الْأَذْيَارَ / ٢٢ / ٣٤٧

لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا / ٢٧ / ٤٣٧

الحجرات- ٤٩ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ / ١ / ٤٧٦

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ / ٦ / ٣١٢

الحشر- ٥٩ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ / ٢ / ٢١٤

مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً / ٥ / ٢١٢

مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى / ٧ / ٢١٣

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمْ / ١١ - ١٤ / ٢١٢

المتحنة- ٦٠ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي / ٦ - ٩ / ٤٧٥

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ / ١٠ / ٣٥١

أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ / ١٢ / ٥٠٧

القلم- ٦٨ وَ مَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ / ٥٢ / ٣٥٥

العاديات- ١٠٠ وَ الْعَادِيَاتِ ضَبْحًا. فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا / ١ - ٢ / ٤٥٩

النصر- ١١٠ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَ الْفَتْحُ ... / ١ - ٣ / ٥٤٥

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٩٧

(٢) فهرس الأحاديث الشريفة

نص الحديث / القائل / الصفحة

- أبا وهب هل لك العام تخرج معنا / (النبي) / ٥٥٤
- أ تسمون قاتلكم ثم تحلفون عليه / (النبي) / ٤١٨
- أحب الناس الى من الرجال عليّ / (النبي) / ١٢٠
- أخبروا مالكا انه إن اتانى مسلما / (النبي) / ٥٣٢
- اخرجوا من بلادى فقد أجلتكم عشرا / (النبي) / ٢٠٩
- أخرجها من العسكر ثم صحح و ارمها / (النبي) / ٣٩٥
- ادعوا لى أخى / (النبي) / ٦٨٤
- ادفنوا هذين المتحابين فى قبر واحد / (النبي) / ١٨٤
- إذا خطب إليكم كفو فزوجه / (النبي) / ١٠٣
- اذهب يا عباس الى رحلك / (النبي) / ٤٨٣
- اذهبت منك الرحمة / (النبي) / ٤٠٩
- ارجعا حتى تأتياى غدا / (النبي) / ٣٦٨
- ارجعن يرحمكن الله / (النبي) / ١٨٧
- أرسلته كرارا غير فرار / (النبي) / ٤٥٧
- اركب فان الله و رسوله عنك راضيان / (النبي) / ٤٥٩
- استفدت يا أمّ عماره / (النبي) / ١٧٧
- استوصوا بالاسارى خيرا / (النبي) / ٨٧
- سيد المرسلين ، ج٢، ص: ٦٩٨
- أسندته الى صدرى فوضع رأسه على منكبى / (علي) / ٦٨٣
- السلام على أهل همدان / (علي) / ٦٢٧
- السلام عليكم يا أهل القبور / (علي) / ٦٦٥
- اشتد غضب الله فى دم وجه نبيه / (علي) / ١٧٩
- اكرموا اولادكم / (النبي) / ٥٩٦
- الصلاة الصلاة و ما ملكت ايمانكم / (النبي) / ٦٨٣
- الصلاة يا أهل البيت / (النبي) / ١٠٩
- اطلبوا العلم و لو بالصين / (النبي) / ١٣٢
- اغزوا باسم الله و ادعوهم الى الاسلام / (النبي) / ٤٤٠
- اغد على بركة الله / (النبي) / ٦٦٤
- الحمد لله الذى صدق وعده / (النبي) / ٤٩٥
- الحمد لله الذى وفق رسول الله / (النبي) / ٥٣٩
- الحمد لله و نستعينه و نؤمن به / (النبي) / ٦٤٧
- ألا إن كل مال و مأثرة و دم فى الجاهلية / (النبي) / ٥٠٣
- ألا ترضون يا معشر الاوس / (النبي) / ٢٨٩

- اللّٰه اعلیٰ و اجل / (النبي) / ١٨٠
- اللّٰه اكبر ابشروا يا معشر المسلمين / (النبي) / ٢٥٨
- اللّٰه اكبر خربت خيبر / (النبي) / ٣٩٢
- اللّٰه مولانا و لا مولى لكم / (النبي) / ١٨١
- أ لستم تشهدون أن لا إله إلاّ الله / (النبي) / ٦٤٨
- أ لم أنهكم ان يخرج منكم أحد / (النبي) / ٥٦٤
- اللهم ائتني بأحب خلقك إليك / (النبي) / ١١٥
- اللهم اجمع شملهما و ألف بين قلوبهما / (النبي) / ١٠٨
- اللهم ارحم الانصار و ابناء الانصار / (النبي) / ٥٣٦
- اللهم إن تهلك هذه العصابة / (النبي) / ٧٩
- سيد المرسلين ، ج ٢ ، ص : ٦٩٩
- اللهم انزل عليهم رجسك / (النبي) / ١٨٦
- اللهم إنك اخذت مني عبيده / (النبي) / ٢٦٤
- اللهم إنك قد عرفت حالهم / (النبي) / ٣٦٥
- اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد / (النبي) / ٥٠٨
- اللهم أنى أسألك الأمن يوم الخوف / (النبي) / ١٨٦
- اللهم أنى أسألك كله / (النبي) / ١٨٥
- اللهم اهد قلبه و ثبت لسانه / (النبي) / ٦٢٦
- اللهم بارك لقوم جل آنتهم الخزف / (النبي) / ١٠٦
- اللهم خذ علي قريش أبصارهم / (النبي) / ٤٧١
- اللهم خذ العيون و الاخبار عن قريش / (النبي) / ٤٧١
- اللهم رب السماوات و ما اظللن / (النبي) / ٣٩٠
- اللهم هؤلاء اهل بيتي / (النبي) / ٤٠٥
- اللهم هذه قريش قد أقبلت / (النبي) / ٧٢
- اللهم وال من والاه / (النبي) / ٦٤٨
- إلّٰى يا فلان إلّٰى يا فلان أنا رسول الله / (النبي) / ١٤٦
- اليوم يوم المرحمة / (النبي) / ٤٩٧
- أما أنت فقد عذرك الله / (النبي) / ١٤٧
- أما أيها الناس فانه قد حان خفوق مني / (النبي) / ٦٧٨
- أما بعد أيها الناس ما مقالة بلغتنى / (النبي) / ٦٦٣
- أما و الذى نفسى بيده لقد تدلى العذاب / (النبي) / ٦٠٧
- أما ما لى و بنى عبد المطلب فهو لكم / (النبي) / ٥٣٠
- أما و الله لو شتم لقتلتم فصدقتم / (النبي) / ٥٣٥

- أمك أمك اعصب جرحها/ (النبي)/ ١٧٧
- أحب أهلي إلي فاطمة/ (النبي)/ ١١٩
- ان أحببت فاقيمي عندنا محببة/ (النبي)/ ٥٣١
- سيد المرسلين، ج٢، ص: ٧٠٠
- أنا أحق بذلك منك/ (النبي)/ ١٣٠
- أنا النبي لا أكذب .../ (النبي)/ ٥١٩
- إننا لم نجئ لقتال أحد و لكننا جئنا معتمرين/ (النبي)/ ٣٢٩
- أنا لم نرض/ (النبي)/ ٣٤٣
- أنت بالخيار فيه اربعة عشر/ (النبي)/ ٥٠٦
- أنت خليفتي في أهل بيتي/ (النبي)/ ٥٥٨
- انطلق فطف بالبيت/ (النبي)/ ٦٣٢
- انظروا الي ما امرتكم به/ (النبي)/ ١٤٥
- ان بالمدينة لا قواما/ (النبي)/ ٥٧٥
- إن حسن التبعل يعدل ذلك كله/ (النبي)/ ١٧٦
- إن ربي قد قتل ربكما ليلة كذا و كذا/ (النبي)/ ٣٦٨
- إن رجلا قال هذا محمد يخبركم أنه نبي/ (النبي)/ ٥٦٥
- إن رسول الله كان يغير الأسماء القبيحة .../ (الصادق)/ ٥٤٤
- إنكم ستلقون ربكم فيسألكم/ (النبي)/ ٦٣٥
- إن الله اختار من أهل الارض رجلين/ (النبي)/ ١١٨
- إن الله امرني ان اعرض عنهم/ (النبي)/ ٥٧٤
- إنما أنت فينا رجل فخذل عنا/ (النبي)/ ٢٧٣
- إنه لا يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك/ (النبي)/ ٥٩١ سيد المرسلين ج ٢ ٧٠٠ (٢) فهرس الأحاديث الشريفة ص : ٦٩٧
- ها مشية يبغضها الله إلا .../ (النبي)/ ١٥٣
- إن هذا أخي و وصيي و خليفتي فيكم/ (النبي)/ ٦٤٦
- إنني امرت ان استغفر لأهل البقيع/ (النبي)/ ٦٦٥
- إنني تارك فيكم الثقلين./ (النبي)/ ٦٤٨، ٦٧٣
- إنني رأيت العرب رمتكم/ (النبي)/ ٢٧١
- أو ما بلغك ما قال صاحبكم/ (النبي)/ ٣٠٨
- أوحى الله تعالى الى رسول الله إن أشكر لجعفر/ (الباقر)/ ٢٢٢
- سيد المرسلين، ج٢، ص: ٧٠١
- اولئك العصاة/ (النبي)/ ٤٧٦
- ايتوني بقلم و قرطاس/ (النبي)/ ٦٦٨
- ايتوني بدواة و صحيفة/ (النبي)/ ٦٦٩

- أى رجل الحصين بن سلام فيكم / (النبي) / ٢٩
- أى عبد نزل من الحصن و خرج إلينا فهو حر / (النبي) / ٥٢٦
- أيكم يبرز الى عمرو و أضمن له الجنة / (النبي) / ٢٦٣
- أين على؟ ايتونى بعلى / (النبي) / ٣٩٨
- أيها الناس اسمعوا قولى / (النبي) / ٦٣٤
- أيها الناس أما بعد فإن أصدق الحديث / (النبي) / ٥٦٠
- أيها الناس إن الشمس و القمر آيتان / (النبي) / ٦٠٠
- أيها الناس إن كل ربا موضوع / (النبي) / ٦٣٦
- أيها الناس سعرت النار و اقبلت الفتن / (النبي) / ٦٤٨
- أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم نخوة / (النبي) / ٥٠١
- أيها الناس إن الله قد بعثنى رحمة / (النبي) / ٣٥٦
- أيها الناس ان هذا عدو الله و عدوكم / (النبي) / ٤٥٥
- أيها الناس لا تشكوا عليا / (النبي) / ٦٣٣
- أيها الناس و الله ما لى فى فيثكم / (النبي) / ٥٣٣
- أيها الناس يوشك أن اقبض / (النبي) / ٦٧٦
- بئس ما جزيتها / (النبي) / ٣٠٢
- بارك الله فى ابنة رسول الله ... / (النبي) / ١٠٨
- بارك الله عليكم من أهل بيت / (النبي) / ١٧٨
- برز الايمان كله الى الشرك كله / (النبي) / ٢٤٤
- بسم إله ابراهيم و اسحاق و يعقوب / (النبي) / ٦٠١
- بل نترفق به و نحسن صحبته / (النبي) / ٣١٠
- بل هو الرأى أنظر لنا منزلا بعيدا / (النبي) / ٣٩٣
- سيد المرسلين ، ج ٢ ، ص ٧٠٢
- تآخوا فى الله / (النبي) / ١٩
- تزوجوا فانى مكاثركم بالامم / (النبي) / ١٠١
- جهزوا جيش اسامة / (النبي) / ٦٦٢
- خذها يا ابن ابى طلحة تالدة / (النبي) / ٤٩٩
- خير رجالكم على بن ابى طالب / (النبي) / ١١٥
- خير نسائكم فاطمة بنت محمد / (النبي) / ١١٥
- رأيت الملائكة تغسل حنظلة / (النبي) / ١٤٩
- دعه عنك فانه جاء تائبا / (النبي) / ٥٤٠
- دعوها فانها منتنة / (النبي) / ٣٠٥
- رحم الله ابا ذر يمشى وحده / (النبي) / ٥٦٦

- رحم الله امرأ أراهم اليوم من نفسه قوة / (النبي) / ٤٣٥
- رحم الله سعدا نصرنا حيا ... / (النبي) / ١٨٤
- سلمان منا أهل البيت / (النبي) / ٢٥٣
- ضربة على يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين / (النبي) / ٢٦٧
- على أحبهم الى و أحبهم الى الله / (النبي) / ١١٦
- على خير البشر فمن ابى فقد كفر / (النبي) / ١١٦
- على خير من اتركه بعدى / (النبي) / ١١٥
- على منى بمنزلة الرأس من بدنى / (النبي) / ١١٦
- على منى بمنزلة من ربي / (النبي) / ١١٦
- على منى و أنا منه و هو ولى كل مؤمن / (النبي) / ١١٦
- غيب عنى وجهك فلا ارينك / (النبي) / ١٧٥
- فاطمه بضعة منى فمن اغضبها فقد اغضبني / (النبي) / ٦٨٢
- فاين البعيران اللذين غيبتهما بالعقيق / (النبي) / ٣١١
- فان الله سيجعل لك مخرجا / (النبي) / ٣٤٩
- فاقتص منى حتى ترضى / (النبي) / ٦٧٩
- سيد المرسلين ، ج ٢ ، ص : ٧٠٣
- فكيف يا عمر اذا تحدث الناس ان محمدا يقتل / (النبي) / ٣٠٧
- فلذلك الجمل لا يمضى / (النبي) / ١٨٩
- فلم لا تحل و قد أمرت من لم يسبق / (النبي) / ٦٣١
- فو الذى بنفسى لمناديل الجنة أحسن / (النبي) / ٥٧١
- قد اجرنا من أجرت و آمننا من أمنت / (النبي) / ٥٠٥
- قد استعملتك على هؤلاء النفر / (النبي) / ٣٠٨
- قد علمتم موضعى من رسول الله / (على) / ٢٢٥
- قد فعلت فلا تعجلنى بخروج / (النبي) / ٥٤٨
- قوموا الى سيدكم / (النبي) / ٢٩٠
- قوموا عنى لا ينبغي عندى التنازع / (النبي) / ٦٦٨
- كنا اذا أحمر البأس اتقينا برسول الله / (على) / ٧٢ و ١٦٨
- كذبتهم ، يمنعكم من الاسلام ثلاث / (النبي) / ٦٠٤
- كذبوا ، و لكننى خلقتك لما تركت / (النبي) / ٥٥٩
- كيف ترى يا عمر ، اما و الله لو قتلته / (النبي) / ٣١٠
- لا امثل به فيمثل الله بى و ان كنت نبيا / (النبي) / ٩٢
- لا اجد ما احملكم عليه // ٥٥٦
- لا إنما رحمه // ٥٩٦

- لئن يهدى الله بك رجلا واحدا // ٣٩٩
- لا تخرجوا معي الا راغبين في الجهاد / (النبي) / ٣٨٨
- لا تدعوني قريش اليوم الى خطئة .. / (النبي) / ٣٢٨
- لا تغفلوا آل جعفر / (النبي) / ٤٥١
- لا تقتلوه فهذا الاعمى أعمى القلب .. / (النبي) / ١٤٦
- لا تكلمن أحدا من هؤلاء / (النبي) / ٥٧٧
- لا حاجة لى بهما، اما ابن عمى / (النبي) / ٤٧٩
- لا خير فى دين لا صلاة فيه / (النبي) / ٥٨٦
- سيد المرسلين ، ج ٢ ، ص : ٧٠٤
- لا سواء قتلانا فى الجنة و قتلاكم فى النار / (النبي) / ١٨١
- لا عطين الراية غدا / (النبي) / ٣٩٧
- لا عليكم ان لا تمنعوه لعل الله يرزقه الشهادة / (النبي) / ١٤٧
- لا عيش إلا عيش الآخرة / (النبي) / ٢٥٢
- لكن حمزة لا بواكى له / (النبي) / ١٨٦
- لكن ربي أمرنى باعفاء لحيتى و قص شاربى / (النبي) / ٣٦٧
- لكننى ما اكره و الله ان اهريق دمك / (على) / ٢٦٤
- لا نبرح حتى نتاجر القوم // ٣٣٤
- لا ندخلها إلا كذلك // ٤٣٢
- لا و لكن نهيت عن خمش وجوه / (النبي) / ٥٩٩
- لا يحتج محتج منك فى مخالفته / (النبي) / ٥٣٨
- لا يذهب بها إلا رجل منى و انا منه / (النبي) / ١١٧
- لحمك لحمى و دمك دمى و الحق معك / (النبي) / ١١٧
- لقد تيب على ابى لبابة / (النبي) / ٢٨٧
- لو امرت به ما استشرتكم فيه / (النبي) / ٥٦٩
- لو كنت استقبلت من امرى ما استدبرت / (النبي) / ٦٣١
- ما انتم باسمع لما اقول منهم / (النبي) / ٨٣
- ما أجد لك شيئا أمثل من ان تقوم / (النبي) / ٤٦٨
- ما ذا تقولون و ما ذا تظنون / (النبي) / ٤٩٦
- ما ذكر لى رجل بفضل من العرب / (النبي) / ٥٤٤
- ما ظن محمد بالله لو لقي الله و هذه عنه / (النبي) / ٦٧٧
- ما لى أراك يا عمر محرما / (النبي) / ٦٣٠
- ما كان الله ليسلط على ذات الجنب / (النبي) / ٦٧٧
- ما لهم و لعمار يدعوهم الى الجنة و يدعونه الى النار / (النبي) / ١٣

- ما من نبي إلا وله نظير في امته / (النبي) / ١١٧
- سيد المرسلين ، ج ٢ ، ص : ٧٠٥
- ما وقفت موقفا قط اغيظ إلى / (النبي) / ١٨٢
- ما ينبغي لنبي اذا لبس لامته أن / (النبي) / ١٤٥
- المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين / (النبي) / ١٩٤
- من أحب ان يلقي الله طاهرا مطهرا / (النبي) / ١٠١
- من ارادت ان تباع فلتدخل يدها / (النبي) / ٥٠٧
- من جاءهم منا فابعده الله / (النبي) / ٣٤٠
- من دخل دار ابي سفيان فهو آمن / (النبي) / ٤٨٤
- من دخل تحت لواء ابي رويحه فهو آمن / (النبي) / ٤٨٩
- من شاء منكم ان يأخذ بطن الوادي / (النبي) / ٥٧٣
- من لم يقل علي خير الناس فقد كفر / (النبي) / ١١٦
- من يأخذ هذا السيف بحقه / (النبي) / ١٥٣
- من محمد رسول الله الى كسرى / (النبي) / ٣٦٥
- من محمد بن عبد الله الى المقوقس / (النبي) / ٣٧٠
- من محمد بن عبد الله الى ملك الحبشة / (النبي) / ٣٧٦
- من محمد رسول الله الى الحارث بن ابي شمر / (النبي) / ٣٨٢
- من محمد رسول الله الى هوزة بن علي / (النبي) / ٣٨٢
- من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب / (النبي) / ٦٥٧
- نشدتكم بالله هل فيكم احد قتل / (علي) / ١٥٦
- نصرت يا عمرو بن سالم / (النبي) / ٤٦٦
- هاك مفتاحك يا عثمان / (النبي) / ٤٩٨
- هذا ما صالح عليه رسول الله / (النبي) / ٣٣٦
- هذا ما كتب النبي محمد رسول الله لنجران / (النبي) / ٦٠٨
- هل أخزاكم الله و انزل عليكم نعمته / (النبي) / ٢٨٣
- همت اليهود ... / (النبي) / ٢٠٨
- هو لكم لا تأكل ثمن الموتى / (النبي) / ٢٦٧
- سيد المرسلين ، ج ٢ ، ص : ٧٠٦
- و انك لهند بنت عتبة / (النبي) / ٥٠٨
- و أيم الله اني لأقول لكم هذا / (النبي) / ٦٧٥
- وردنا مع رسول الله خبير / (علي) / ٤٠٨
- و عندي السيف الذي اعرضته / (علي) / ٧٧
- و كان مني في ذلك ما على الله عز و جل ثوابه / (علي) / ١٧١

- و الله لا يحبهم عبد إلا أعطاه الله / (النبي) / ٦٧٦
- و الله و ما اردت بهذه إلا الفتنة / (على) / ٦٤٤
- و الله ما أنا أمرت بذلك و لكن الله أمر بسد ابوابكم / (النبي) / ٢٠
- و الله ما يسرنى يا على أن لى / (النبي) / ٥١١
- و الذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم / (النبي) / ٧٩
- و الذى نفس محمد بيده ان شملته / (النبي) / ٤١١
- و ما يدريك يا عمر لعل الله اطلع على اهل بدر / (النبي) / ٤٧٤
- و من اغلق بابه فهو آمن / (النبي) / ٤٨٥
- و من يطيق ما تطيقين يا أمّ عمارة / (النبي) / ١٧٧
- ويح ابن سمية ... انما تقتلك الفئة الباغية / (النبي) / ١٣
- ويحك اذا لم يكن العدل عندى / (النبي) / ٥٣٤
- ويحك اسلم و اشهد ان لا إله إلا الله / (النبي) / ٤٨٢
- ويحك يا ابا سفيان أ لم يأن لك / (النبي) / ٤٨٢
- يا أهل القليب بئس عشيرة النبي / (النبي) / ٨٣
- يا أنصار الله و انصار رسوله / (النبي) / ٥١٨
- يا أيها الناس أوصيكم بما اوصانى الله / (النبي) / ١٥٢
- يا أيها الناس إنى تارك فيكم الثقلين / (النبي) / ٦٧٥
- يا على اصعد على منكبي / (النبي) / ٤٩٤
- يا على أنك أبيت أن تمحو اسمى / (النبي) / ٣٣٨
- يا على لا تقاتلن أحدا حتى تدعوه الى الاسلام / (النبي) / ٦٢٦
- سيد المرسلين ، ج ٢ ، ص : ٧٠٧
- يا على لو لا أنى أشفق أن تقول طوائف / (النبي) / ٤٥٩
- يا عمرو انك كنت تقول فى الجاهلية / (على) / ٢٦٥
- يا من حضر أشهد هذا ان زيدا ابني / (النبي) / ٢٣١
- يا معشر الأنصار ما مقالة بلغتنى عنكم / (النبي) / ٥٣٥
- يا معشر المسلمين الله الله أ بدعوى الجاهلية / (النبي) / ٣١
- يا معشر يهود احذروا من الله / (النبي) / ١٢٢
- يا ويح قريش لقد أكلتهم الحرب / (النبي) / ٣٢٧
- يسر و لا تعسر و بشر و لا تنفر / (النبي) / ٦٢٥
- يفتح الله على يديه / (النبي) / ٤٠٣
- سيد المرسلين ، ج ٢ ، ص : ٧٠٨

- أ تبكى أن يضلّ لها بعير ٩١
 إذ يهتدون بجعفر و لو أنه ٤٤٣
 إذا استقبلت وجه أبي تراب ١١٢
 إذا متّ فادفني الى جنب كرمه ٢١٨
 أصبح وجه الزمان قد ضحكا ٤٢٤
 أ على تقتحم الفوارس هكذا ٢٧٠
 اليوم يوم الملحمة ٤٩٦
 الى الله أشكو غربتي ثم كربتي ٢٠١
 امن أم أوفى دمنه تكلم ٥٣٩
 أنا الذي سمّنى أمى حيدر ٤٠٠
 أنا الذي عاهدنى خليلي ١٥٤
 بانث سعاد فقلبي اليوم متبول ٥٤١
 بيضاء تسحب من قيام شعرها ١٠٥
 حسدوا الفتا اذا لم ينالوا فضله ١٠٧
 خلّوا بنى الكفار عن سبيله ٤٣٣
 سرن بعون الله جاراتي ١٠٨
 فلا يبعدن الله قتلى تتابعوا ٤٤٣
 قد علمت خير أنى مرحب ٤٠٠
 سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧٠٩
 كادت و بيت الله نار محمد ٥٥٦
 لئن قعدنا و النبي يعمل ١٢
 لا تعجلن فقد أتاك مجيب ٢٦٤
 لا يستوى من يعمر المساجد ١٣
 لعمر ك أنى يوم أحمل رايه ٤٨٠
 لكنى أسأل الرحمن مغفرة ٤٤١
 لو أن عندى يا ابن حرب جعفرا ٤٤٢
 لو كان قاتل عمر و غير قاتله ٢٧٠
 ما أن رأيت و لا سمعت بمثله ٥٣٢
 نحن بنات طارق ١٥٧
 و ايض يستسقى الغمام بوجهه ٦٨٠
 و صعود غارب أحمد فضل له ٤٩٥
 و عاش أبو ذرّ كما قلت وحده ٥٦٧
 و ما أنس لا انس اللذين تقدما ٣٩٧

و لقد بحثت من النداء ٢٦٣
 و الله لو لا الله ما اهتدينا ٣٧٧
 يا حَبْذا الجنَّة و اقترابها ٤٤٦
 يا رب انى ناشد محمدا ٤٦٥
 يا طلع إن كنتم كما نقول ١٥٦
 يناديهم رسول الله لما ٨٤
 يناديهم يوم الغدير نبيهم ٦٥٤
 سيد المرسلين، ج٢، ص: ٧١٠

(٤) فهرس الأعلام

- أ- اربد (العامري) ٦٢٣
 أزهر ٣٤٨.
 آذرم ٥٦٩، ٥٧٠.
 آرشه تونك (الدكتور) ٢١٦.
 ابان بن سعيد بن العاص ٣٣٣.
 ابراهيم بن رسول الله (ص) ٥٤٢، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩.
 ابراهيم الخليل (النبي) ٤٩، ٣١٥، ٣٢٢، ٣٢٥، ٥٦١، ٥٩٩، ٦٠٢، ٦٢٨، ٦٣٠.
 ابن أبي أحمد ١٦٤.
 ابن أبي الحديد ٩٤، ١٦٤، ١٦٥، ١٧٠، ١٧٨، ١٩٤، ٢٦٥، ٣٩٧، ٤٢٣، ٤٢٦، ٤٨٧.
 ابن أبي الحقيق ٢٩٧.
 ابن ابى سيرة ١٦٢، ١٦٤.
 ابن الأثير ٣٧، ٤٧، ١٣٥، ١٧٠، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤١، ٢٦٨، ٢٦٩، ٣٢١، ٣٦٠، ٣٩٣، ٤٠٤، ٤٤٢، ٥١١، ٦٠٥.
 ابن اسحاق ٧، ١٣، ٣٤، ٣٦، ٧٠، ٢٦٨.
 ابن أم مكتوم ١٢٨، ١٩٢، ٢١١، ٣٠٠.
 ابن بابويه ١٠٧.
 ابن تيمية (الحراني) ٢٦٨، ٢٦٩.
 سيد المرسلين، ج٢، ص: ٧١١
 ابن جرير ٢٤٠.
 ابن حجر العسقلاني ٣٢٢، ٣٦٧، ٦٥٢، ٦٧٦.
 ابن حذيفة ٧٦.
 ابن الجوزي ٢٠.
 ابن خلكان ٦٥.
 ابن رواحة ٤١٥، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٣، ٤٤٦، ٤٤٧، ٦٦٠.

ابن سعد (صاحب الطبقات) ٧١، ١٨٩، ٢٠٥، ٣٨٩، ٤٣٨، ٤٩٨.

ابن سلامة ٤٥٠، ٥٢٧، ٥٣٤، ٥٧٣، ٦٢٢.

ابن سهيل ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤.

ابن شماس ٢١٤.

ابن طلحة ١١٢.

ابن عباس ١٥٥، ٦٦٩، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٨٤، ٦٨٦.

ابن عبد ربه ١١٢.

ابن العرنس ٤٩٥.

ابن عقدة ٦٥٢.

ابن العوام ٤٩٣.

ابن كثير الشامي ١٦، ١٧، ٢٠، ٥١٢.

ابن قميئة الليثي ١٦٦، ١٧٦.

ابن مزاحم ١٤.

ابن مسعود ٦١، ١١٦.

ابن مسلمة (محمد) ٤٣، ١٣٣، ١٦٤، ٢٠٩، ٣٩٢، ٤٠٢، ٤٠٤، ٤١٠، ٤٣٢، ٤٩٣، ٥٥٨.

ابن هشام ٧، ١٣، ١٩، ٣٤، ٤٥، ٤٧، ٥٨، ٦٠، ٨٣، ١٣٠، ١٦١، ١٦٢، ١٧٢، ١٩٨، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٧، ٢١١، ٢٢٧، ٢٤٦، ٢٦٨، ٢٨٩، ٢٩٣،

٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠٦، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٤٨، ٣٨٩، ٣٩٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧١٢

٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٤، ٤١٤، ٤٤٤، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٨٠، ٥٠٤، ٥١٩، ٥٢٣، ٥٢٣، ٥٢٧، ٦١٨.

ابن واضح الاخباري ٣٦٦.

أبي بن خلف ١٦٥.

أحمد بن حنبل ١٥، ١٦، ١٧، ٨٤، ١٠٩، ١١٣، ٣٦٦، ٤٩٥، ٦٦٢، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧٢.

أحمد بن ابي خيثمة ٢٢٤.

الاحنس بن شريق ٣٤٨.

اريد ٦٢٣، ٦٢٤.

أرمي بن الاصحم ٣٨١.

اساف (صنم) ٤٩٣.

اسامة بن زيد ١١٥، ١٤٥، ٣١٩، ٤٩٤، ٦٤٣، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٧.

اسرافيل (الدكتور) ٢٤٩.

اسكندر المقدوني ٣٥٦.

اسماعيل (النبي) ٦٠٢.

الاسود الثقفي ٥٨٧.

الاسود بن عبد الاسد المخزومي ٧٥، ٧٦.

- الاسود بن كعب ٦٥٦، ٦٥٨، ٦٥٩.
- الاسود بن المطلب ٩٠، ٩١.
- اسيد بن حضير ١٢، ١٨٦، ٢٦٢، ٣٠٨، ٣٢١، ٥٢٠.
- الاقرع بن حابس ٥٣٠.
- أكيدر بن عبد الله ٥٧٠، ٥٧١.
- أمية بن خلف ٣٧، ٥٧، ٥٨، ٨١، ٨٣، ٨٩.
- أمية بن المغيرة ٤٧٨.
- سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧١٣
- أنس بن مالك ١٠٩، ١١٥، ١١٨، ١٦١، ١٦٢.
- انس بن النضر ١٦١، ١٦٢، ١٦٣.
- أنو شيروان ٢٦٤، ٣٧٥.
- (ب) - باذان ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩
- بجير بن زهير ٥٣٩، ٥٤٠.
- بديل بن ورقاء ٣٢٨، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٨١، ٤٨٢.
- بريدة ١١٥، ١١٦، ٣٠٤، ٦٦١.
- البراء بن عازب ٦٢٦.
- بشير بن البراء بن معرور ٤١٦.
- بشير بن سفيان ٤٨٦.
- بلال بن الحارث ٤٨٦.
- بلال الحبشي ٨١، ١٠٤، ١٠٩، ٤٣٤، ٤٩٣، ٤٩٧، ٦٧٨.
- (ت) تنودوز الكبير ٣٥٧.
- (ث) ثابت بن أرقم ٤٤٧.
- ثابت بن قيس ٢١٤، ٢٩٤.
- ثمالة الثقفي ٥٣٢.
- (ج) جابر بن عبد الله الانصاري ١٨٨، ٣٠٠، ٥٩٢.
- جبار (العامري) ٦٢٣، ٦٢٤.
- جبرائيل (الملك) ٢٠، ٥٢، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٨٣، ٤٥٥، ٤٧٢، ٥٩٢، ٥٩٧، ٦٤٧، ٦٦٥.
- جد بن قيس ٥٥٤.
- سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧١٤
- جديمة بن عامر ٩٠٥.
- جعفر بن أبي طالب ١٠٨، ٢٢٢، ٢٩٨، ٤١٢، ٤١٣، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٤٢، ٦٦٠.
- جعفر الصادق (الامام) ١٢٦، ١٣٨، ٣٤٧، ٥٤٤.
- جميع بن عمير ١١٧.

- جندب بن زهير ١١٥.
- جهجاه بن مسعود ٣٠٥.
- (ح) الحارث بن ابي شمر الغساني ٣٥٩، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٥٢٩.
- الحارث بن ابي ضرار ٣٠٤.
- الحارث بن الحارث ٥٣٣.
- الحارث بن زمعة ٩٠، ٩١.
- الحارث بن عمير الازدي ٤٣٩.
- الحارث بن الصمّة ١٦٥، ٢٠٥.
- الحارث بن طلال ٤٩٠.
- الحارث بن هلال ٥٠٤، ٥٢٣.
- الحارث (اخو مرحب) ٣٩٩.
- حاطب بن بلتعنة ٣٠٧، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٤٧٣، ٤٧٤.
- الحافظ بن حنان ١١٢.
- الحياب بن منذر ٦٩، ١٣٩.
- الحجاج بن علاط السلمى ٤١٩، ٤٢٠.
- الحجاج بن يوسف الثقفى ١٧.
- حجر بن عدى ٥٦٧.
- حرب بن أمية ٤٦٦.
- حذيفة بن اليمان ٥٧٣.
- سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧١٥
- الحسن بن اسماعيل ٦٠٣، ٦١٣.
- الحسن بن على (الامام) ١٠٣، ١٠٩، ١١٩، ٤٢٣، ٤٢٥، ٤٦٨، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦١٨.
- الحسن بن على العلوى ٦٢١.
- الحسن بن موسى ١٥٥.
- حسان بن ثابت ١٠، ٨٣، ٨٤، ٢٠٢، ٢٥٩، ٤٤٣، ٥٧١، ٦٥٤.
- الحسمان الخزاعى ٨٨.
- الحسين بن على (الامام) ١٠٣، ١٠٩، ١١٩، ٢٢٩، ٤٢٣، ٤٢٥، ٤٦٨، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦١٨.
- الحكيم بن حزام ٧٤، ٧٦، ٢٣١، ٤٨١، ٤٨٢، ٥٣٣.
- الحكيم بن كيسان ٣٩.
- الحلس بن علقمة ٣٢٩، ٣٣٠.
- حمزة بن عبد المطلب ٢٤، ٣٣، ٣٦، ٤٤، ٧٥، ٧٧، ٧٨، ١٠٨، ١٤٢، ١٤٤، ١٤٩، ١٥٧، ١٨٢، ١٨٦، ٢٦٤، ٤٤٢، ٤٩٠، ٥٠٨.
- حنظلة بن ابي سفيان ٧٨، ١٤٨، ١٤٩.
- حنظلة (غسيل الملائكة) ٥٧٨.

- حويرث بن نقيذ ٤٩٠.
- حبي بن اخطب ٢٧، ٢٠٩، ٢١١، ٢٤٨، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٦١، ٢٨٣، ٢٩٤، ٢٩٦، ٣٩٤.
- (خ) خالد بن اسيد ٤٣٤.
- خالد بن ثعلب ١٧١.
- خالد بن رياح ١٦٤.
- خالد بن سعيد ٥٨٤.
- خالد بن الوليد ١٥٢، ١٥٩، ١٦٠، ١٦٢، ٢١٢، ٢٢٧، ٢٦٢، ٣٤٦، ٤٣١.
- سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧١٦
- ٤٣٩، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٥٠، ٤٨٦، ٤٩١، ٤٩٤، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١٧، ٥٧١، ٦٢٦، ٦٦٠.
- حبيب بن عدى ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٥.
- خراش بن أمية ٣٣١.
- خزيمة بن ثابت ١٤.
- خرخسره ٣٦٦، ٣٦٨.
- خسرو پرويز ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٧٩، ٦٤٣.
- خلاء بن عمرو بن الجموح ١٨٨.
- خيثمة ٥٦، ١٤٢.
- (د) داود بن قابوس ٤٠٣.
- دحية الكلبي ٢٥٦، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦٢، ٣٨٢.
- دعبل ٤٢٤.
- دعثور ١٢٩.
- دريد بن الصمة ٥١٥.
- (ذ) ذو الخويصرة التميمي ٥٣٤.
- ذو الفقار ١٧٢، ٣٩٩.
- ذو الكلاع الحميري ١٤، ١٥.
- (ر) رافع بن مكيث ٤٨٦.
- ربيع بن ابي الحقيق ٤٠٢.
- ربيعه بن الحارث (ابن) ٦٣٥.
- ربيعه بن عبد شمس ٧٦.
- رفيده ٢٩٠.
- سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧١٧
- (ز) زاذان ٢٢٤.
- الزبير بن باطا ٢٥٧، ٢٩٤، ٣٣٣.
- الزبير بن العوام ٦٤، ١٥٧، ١٦٤، ١٨٣، ٤٧٣، ٤٨٦، ٤٩٣، ٦٥١.

زهير بن أبي سلمى ٥٣٩.

زهير بن أبي أمية ٦٠.

زهير بن صرد ٥٢٩.

زيد بن أرقم ١١٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٦٥١.

زيد بن حارثة ٣٧، ٩٠، ١٣١، ٢٢٩، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٥، ٢٣٧، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤٢، ٢٤٤، ٢٩٤، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٤٠٧، ٤٤١، ٤٤٤،

٤٤٧، ٤٥١، ٤٤٢، ٤٤٠، ٤٤١.

زيد بن الخيل ٥٤٤.

زيد بن دثنة ١٩٩، ٢٠٠.

زيد بن سهيل ٢٠٠.

(س) السائب ٣٦.

سراقة بن جعشم ٥٨.

سعد بن أبي وقاص ٣٦، ٤٤، ٤٤، ٤٦، ٤٦، ٤٠٥، ٤٦٠.

سعد بن معاذ ٣٦، ٤١، ٤٣، ٧٠، ١٨٦، ٢١٣، ٢٥٨، ٢٧١، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢.

سعد بن عبادة ٣٦، ١٤٤، ٢١٣، ٢١٤، ٢٥٨، ٢٧١، ٣٢٠، ٣٢١، ٤٩٧، ٥٣٥.

سعيد بن خيثمة ٥٦، ١٤٣، ٥٦١.

سعيد بن زيد ٥٤.

سعيد بن الربيع ١٨٤، ١٨٥.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧١٨

سعيد بن زيد الأشهلي ٣٠١، ٥٠٩.

سفيان الثوري ٢٢٣، ٢٢٤.

سلمان الفارسي ١٠٨، ١١٥، ٢٥١، ٢٥٣، ٥٢٢، ٥٢٣.

سلام بن ابي الحقيق ٢٤٨، ٢٩٦، ٢٩٨.

سلام بن مشكم ١٢٨، ٢١١، ٤١٦.

سلمة بن عمرو بن الاكوع ٣٠١.

سليمان بن سحيم ٤٥.

سليط بن عمرو ٣٨٣.

سليط بن النعمان ١٣١.

سمرة ٤٤٧.

سنان ٣٠٥.

سواد بن غزيه ٧٨، ٧٩.

سواده بن قيس ٤٧٨، ٤٧٩.

سواع (صنم) ٥٠٩.

سويد بن صخره ٤٨٦.

- سهيل بن حنيف ١٧٣، ٣١٣.
- سهيل بن عمرو ٨٣، ٩١، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٤٠، ٣٤٨، ٣٣٤، ٤٩١.
- سيد قطب ٢٢٥.
- (ش) شاس بن قيس ٣٠، ٢٨٨.
- شجاع بن وهب ٣٨١.
- شرحيل ٦٠٢.
- شيبه بن ربيعة ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٨٣، ٩٠، ١٧٤.
- شيرويه ٣٦٤، ٣٦٨، ٣٦٩.
- سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧١٩.
- (ص) صفوان بن أمية ٣٨، ١٣١، ١٣٦، ١٩٢، ١٩٩، ٢٢٩، ٣١٧، ٤٣٤، ٤٨٤، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٥٠٥، ٥١٦، ٥٣٣.
- (ض) الضحاك بن خليفة ٥٥٦.
- ضرار بن الخطاب ٢٦٣.
- ضمضم بن عمرو الغفاري ٥٧.
- (ط) طالب ٦٨.
- الطاهر ٥٩٧.
- طلحة بن أبي طلحة ٥٣، ١٥٦، ١٦٤.
- طلحة بن عبد الله ٥٤، ١٦١، ١٧٣، ٥٥٦.
- طفيل بن عمرو الدوسي ٥٢٣.
- الطيب ٥٩٧.
- (ع) العاص بن هشام ٥٧، ٨٧.
- عاصم بن ثابت ١٧٣.
- عامر بن الحضرمي ٧٤، ٧٥.
- عامر بن الطفيل ٢٠٣، ٢٠٥.
- عامر بن مالك بن جعفر ٢٠٤.
- عباد بن بشير ٢٢٧، ٤٠٧، ٥٧٢.
- عبادة بن الصامت ١٧، ١٢٦.
- عباس بن عبد المطلب ٤٨، ٨٠، ٨٢، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ١٣٧، ١٣٨، ٣٠٧، ٤٣٦، ٤٧٧، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٦، ٤٨٦.
- سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧٢٠.
- عباس بن مرداس ٤٨٦، ٤٨٨.
- عبد الجبار بن احمد ٩٤.
- عبد الحسين شرف الدين (السيد) ٦٣٢.
- عبد الرحمن بن عوف ٨٠، ٨١، ٢١٨، ٢٢٣، ٤١٨، ٥٠٩، ٥٨٩، ٦٠٢، ٦٨٣.
- عبد الله بن أبي سلول ١٢٦، ١٤١، ١٤٢، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٨، ١٥٠، ١٦٢، ١٦٣، ٢١١، ٢١٢، ٢٨٩، ٣٠٦، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٣.

٣١٧، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٧٠، ٤٧٨، ٤٩٠، ٥٦٢.

عبد الله بن ابي رافع ١٣٥، ٣٣٨.

عبد الله بن أمّ كلثوم ٥٥.

عبد الله بن بدر ٤٨٦.

عبد الله بن جحش ٣٨، ٣٩، ٤٤، ٧٤، ٤٥٣.

عبد الله بن جدعان ٢٢٢.

عبد الله بن حارثة ٦٤٢.

عبد الله حبيب ٢٢٣.

عبد الله بن حجل ١١٥.

عبد الله بن حردد الاسلمى ٥١٦.

عبد الله بن حذافة السهمى ٣٦٥.

عبد الله بن حزام ١٤٩.

عبد الله بن حسن ٤٢٧.

عبد الله بن حميد ١٦٥.

عبد الله بن حنظلة ١٤٩، ٤٨١.

عبد الله بن الخزرج ٣٠٩.

عبد الله بن خبير ١٥٠، ١٥١، ١٥٨، ١٥٩.

عبد الله بن رواحة ٧٦، ٩٠، ٤١٥، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٤٠، ٤٤٦، ٤٤٧.

عبد الله بن الزبيرى ٤٩٠.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧٢١

عبد الله بن سلام ٢٨، ٢٩.

عبد الله بن سهيل ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩.

عبد الله بن شهاب ١٦٥.

عبد الله بن طارق ١٩٩.

عبد الله بن العباس ١١٥.

عبد الله بن عبد الرحمن الخثعمى ٤٨٩.

عبد الله بن عمر بن الخطاب ١٤٥، ٤١٩، ٤٨٦.

عبد الله بن عمرو ١٨٣، ١٨٨.

عبد الله بن عمرو بن حزام ١٧، ١٨٩.

عبد الله بن عمرو بن العاص ١٧.

عبد الله بن عمرو بن مخزوم ٥٠٩.

عبد الله بن قمئة الليثى ٢٢.

عبد الله بن كعب المازنى ٨٥، ١٧٧.

- عبد الله بن مسعود ٥٦٧.
عبد الله بن موسى ٤٢٤.
عبد الله بن هاشم ١١٥.
عبد العزيز ٤٢٧.
عبد المطلب ١٠٧، ١٨٢، ٢٠٦، ٢٣٢، ٢٦٤، ٣٠٨، ٣١٤، ٣٧٨، ٥٨٠، ٦١٢.
عبد ياليل ٥٨٣.
عبيد الله بن أبي رافع ٦.
عبيدة بن الحارث ٣٤، ٣٦، ٧٧.
عبيد الله بن بهلول ٦١٢.
عتاب بن اسيد ٥١٣، ٥٣٨، ٥٦٠.
عتبة بن ابي الوقاص ١٦٥.
عتبة بن ربيعة ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٨، ٨٢، ٨٣، ٥٠٨.
سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧٢٢
عثمان بن حنيف ٤٢٤.
عثمان بن أبي العاص ٥٨٦.
عثمان بن طلحة ٤٣٨، ٤٩٢، ٤٩٨.
عثمان بن عبد الله ٣٩.
عثمان بن عفان ١٢، ١٣، ٨٨، ١٦٥، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٥٠٥، ٦٠٢.
عثمان بن مظعون ٦٥١.
عدى بن حاتم ١١٥، ٣٥٩، ٥٤٧، ٥٤٩، ٥٥٠.
عروة بن الزبير بن العوام ٦، ١٣٥.
عروة بن مسعود الثقفي ٣٣٠، ٣٣١، ٣٧٤، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٧.
عطاء بن السائب ٢٢٣، ٢٢٤.
عقبة بن أبي معيط ٥٧، ٨١.
عقبة بن الحارث ٢٠١.
عقيل ٩٠، ١٠٨.
عكرمة بن أبي جهل ١٣٦، ١٥٢، ١٦٠، ١٨٠، ٢٦٢، ٢٨٤، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٤٩١، ٥٠٥.
العلاء بن جارية ٥٣٣.
علي بن ابراهيم ١٣٧.
علي بن طالب عليه السلام ١٢، ١٤، ١٥، ١٧، ١٩، ٣٧، ٥٥، ٦٥، ٧١، ٧٣، ٨٨، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٧، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٥، ١١٧، ١٢٠، ١٣٣، ١٣٤، ١٤١، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٦٤، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٩، ١٩٠، ٢١٥، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٩، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٧٠، ٢٧٢، ٢٨٢، ٢٨٩، ٣١٩، ٣٢٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٧٧، ١٣٧٨، ١٣٧٩، ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٨٢، ١٣٨٣، ١٣٨٤، ١٣٨٥، ١٣٨٦، ١٣٨٧، ١٣٨٨، ١٣٨٩، ١٣٩٠، ١٣٩١، ١٣٩٢، ١٣٩٣، ١٣٩٤، ١٣٩٥، ١٣٩٦، ١٣٩٧، ١٣٩٨، ١٣٩٩، ١٤٠٠، ١٤٠١، ١٤٠٢، ١٤٠٣، ١٤٠٤، ١٤٠٥، ١٤٠٦، ١٤٠٧، ١٤٠٨، ١٤٠٩، ١٤١٠، ١٤١١، ١٤١٢، ١٤١٣، ١٤١٤، ١٤١٥، ١٤١٦، ١٤١٧، ١٤١٨، ١٤١٩، ١٤٢٠، ١٤٢١، ١٤٢٢، ١٤٢٣، ١٤٢٤، ١٤٢٥، ١٤٢٦، ١٤٢٧، ١٤٢٨، ١٤٢٩، ١٤٣٠، ١٤٣١، ١٤٣٢، ١٤٣٣، ١٤٣٤، ١٤٣٥، ١٤٣٦، ١٤٣٧، ١٤٣٨، ١٤٣٩، ١٤٤٠، ١٤٤١، ١٤٤٢، ١٤٤٣، ١٤٤٤، ١٤٤٥، ١٤٤٦، ١٤٤٧، ١٤٤٨، ١٤٤٩، ١٤٥٠، ١٤٥١، ١٤٥٢، ١٤٥٣، ١٤٥٤، ١٤٥٥، ١٤٥٦، ١٤٥٧، ١٤٥٨، ١٤٥٩، ١٤٦٠، ١٤٦١، ١٤٦٢، ١٤٦٣، ١٤٦٤، ١٤٦٥، ١٤٦٦، ١٤٦٧، ١٤٦٨، ١٤٦٩، ١٤٧٠، ١٤٧١، ١٤٧٢، ١٤٧٣، ١٤٧٤، ١٤٧٥، ١٤٧٦، ١٤٧٧، ١٤٧٨، ١٤٧٩، ١٤٨٠، ١٤٨١، ١٤٨٢، ١٤٨٣، ١٤٨٤، ١٤٨٥، ١٤٨٦، ١٤٨٧، ١٤٨٨، ١٤٨٩، ١٤٩٠، ١٤٩١، ١٤٩٢، ١٤٩٣، ١٤٩٤، ١٤٩٥، ١٤٩٦، ١٤٩٧، ١٤٩٨، ١٤٩٩، ١٥٠٠، ١٥٠١، ١٥٠٢، ١٥٠٣، ١٥٠٤، ١٥٠٥، ١٥٠٦، ١٥٠٧، ١٥٠٨، ١٥٠٩، ١٥١٠، ١٥١١، ١٥١٢، ١٥١٣، ١٥١٤، ١٥١٥، ١٥١٦، ١٥١٧، ١٥١٨، ١٥١٩، ١٥٢٠، ١٥٢١، ١٥٢٢، ١٥٢٣، ١٥٢٤، ١٥٢٥، ١٥٢٦، ١٥٢٧، ١٥٢٨، ١٥٢٩، ١٥٣٠، ١٥٣١، ١٥٣٢، ١٥٣٣، ١٥٣٤، ١٥٣٥، ١٥٣٦، ١٥٣٧، ١٥٣٨، ١٥٣٩، ١٥٤٠، ١٥٤١، ١٥٤٢، ١٥٤٣، ١٥٤٤، ١٥٤٥، ١٥٤٦، ١٥٤٧

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧٢٣

٤٤٢، ٤٥٣، ٤٥٥، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٤، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٩، ٤٩٤، ٥٠٤، ٥١٠، ٥١١، ٥١٨، ٥٣٥، ٥٤٥، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٩، ٦٠٢، ٦٠٥، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢٢، ٦٢٦، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٥، ٦٤٤، ٦٤٧، ٦٥١، ٦٥٤، ٦٦٢، ٦٦٥، ٦٦٨، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٨، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦.

على الاحمدى (الشيخ) ٣٥٣، ٣٨٥.

على بن تقى ٤٢٦.

على بن الحسين (الامام) ٤٢٣.

على بن الفارقي ٤٢٧.

على بن الهلالى ١١٨.

عمار بن ياسر ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ٢٠، ٣٧، ١٠٥، ٢٢٧، ٢٢٨، ٥٧٣.

عمارة ٣٥٠.

عمر بن الخطاب ٦٠، ٦١، ٧١، ٩١، ٩٢، ٩٤، ١١٩، ١٣٤، ١٣٥، ١٦١، ١٦٢، ١٧٥، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٦٩، ٣٠٧، ٣١٠، ٣٣٣، ٣٩٨، ٤١٩، ٤٢٦.

٤٥٦، ٤٧٤، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٣١، ٤٦٠، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٨٣، ٤٨٥.

عمر بن عبد العزيز ١٣٤، ٤٢٧، ٤٢٨.

عمرو بن امية ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٩٨، ٣٧٥، ٣٨٤، ٤١٢.

عمرو بن الجموح ١٤٧، ١٤٩، ١٧٩، ١٨٣، ١٨٨، ١٨٩.

عمرو بن جحاش ٢٠٧.

عمرو بن حزم ١٥.

عمرو بن الحضرمى ٣٩، ٤٤، ٧٤.

عمرو بن الحمق ١١٥.

عمرو بن سالم ٤٦٥.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧٢٤

عمرو بن العاص ١٤، ١٥، ١٣٦، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٣٨، ٣٤٦، ٣٣١، ٣٣٨، ٣٤٣، ٣٥٦، ٥٠٩.

عمرو بن عبد ود العامرى ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٧٢.

عمرو بن عثمان ٤٢٧.

عمير الفارس ٧٤.

عمير الحمام ٧٩. سيد المرسلين ج ٢ ٧٢٤ (٤) فهرس الأعلام ص : ٧١٠

ير بن وهب ٧٣، ١٦١، ٥٠٥.

عيسى بن مريم (النبي) ٢٦٣، ٢٦٤، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٨٤، ٥٥١.

العيص ٣٥٠.

عبيدة بن حصن الفزارى ٣٠١، ٥٣٠.

- غ - غالب بن عبد الله ١٢٨.

غافل بن البكير ٥٤٤.

- ف - الفاكة بن المغيرة ٥٠٩.
فرانسيز فريد يناند (الارشيدوق) ١٢٤.
الفخر الرازي ٢٣٨، ٢٤١، ٦٠٥، ٦٠٩.
فرعون ٢٠٠، ٢٩٩، ٣٦٩، ٣٧٠.
فيروز ٣٦٦.
الفضل بن العباس ٢٤٠، ٥١٨، ٥٩٩، ٦٨٤، ٦٨٦.
فهم ٥٣٢.
- ق - القصواء (الناقاة) ٤٩٢.
سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧٢٥.
القاسم بن رسول الله ٥٩٧.
قيصر ٢٣١، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٥، ٢٦٩، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٧٦، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٧، ٤٤٤.
- ك - كارليل (توماس) الانجليزي ٤٧٨.
كرز بن جابر ٣٧.
كسرى ٣٣١، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٨٧.
كعب بن الاسد ٢٧، ٢٥٦، ٢٥٨، ٢٩١، ٤٦٧.
كعب بن الاشرف ١٣٢، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ٢٩٣، ٢٩٧، ٤٠٢.
كعب بن زهير ١٠، ٥٣٩، ٥٤٠.
كعب بن زيد ٢٠٣.
كعب بن مالك ١٧٨، ٤٤٢، ٥٧٦.
كنان بن الربيع ٤١٠.
- م - المأمون ٤٢٤، ٤٢٧.
مالك بن ابي ٢١١.
مالك الاشر ١١٥، ٥٦٧.
مالك بن الدخشم ١٨٤.
مالك بن عوف ٣٥٩، ٣٦٤، ٣٧٥، ٥١٥، ٥٢٣، ٥٢٨، ٥٣٢.
مالك بن قيس ٥٦١.
مالك بن نويرة ٥١٢.
محمد بن اسحاق ٦، ١٧١.
محمد بن ابي بكر ١١٥.
محمد بن احمد المخزومي ٦٢١.
محمد بن بشارة ٢٢٢.
سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧٢٦.
محمد بن جرير ١٣٠.

- محمد بن عبد الله ٦٠٣، ٦١٢.
- محمد بن عمر البغدادي ٦٥٢.
- محمد بن سعيد ٧١، ٥٤٣.
- محمد بن مسلمة ١٣٣.
- محمد بن المطلب الشيباني ٦٠٣، ٦١٢.
- محمد بن صدقة العنبري ٦١٢.
- محمد بن علي الباقر (الامام) ٢٢٢.
- محمد بن معد العلوي ١٦٤، ١٧٧.
- محمد الثاني (السلطان) ٣٥٨.
- محمد حسين هيكل ٦٧١.
- محمد حميد الله (البروفيسور) ٣٥٣.
- محمد عادل (الاستاذ) ١١٠.
- محمد عثمان كريم ١١١، ١١٨.
- محمد الفاتح ٣٥٨.
- محمد اليمنى (الامير) ٦٥٣.
- محمد المهدي (العباسي) ٤٢٧.
- محمود شلتوت (الشيخ) ٦٣٧.
- محمود بن سلمة ٣٩٣، ٤١٠.
- مجاعة بن مرارة ٣٨٥.
- مجددة بن عمرو ٣٤، ٤٤، ٦٦.
- مخرمة بن نوفل ٦٨.
- المخيري ٢٧، ٢٩.
- مربع بن قيض ١٤٦.
- مرحب ٤٠٠، ٤٠١.
- سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧٢٧
- مرارة بن الربيع ٥٧٦، ٥٧٧.
- مرتد بن ابي مرتد ١١٤، ٢٠٥.
- مرة بن مروان ٤٠٢.
- مروان بن الحكم ٤٢٧.
- المستعلي بن المستنصر ٦٥٠.
- مسلمة بن اسلم ٢٦٠.
- مسيلم الكذاب ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٩.
- مصعب بن عمير ٥٥، ١٥٥، ١٦٠.

- مطعم بن جبير ١٣٧.
- مقداد بن عمرو ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٧٣، ٤٨٦.
- معاذ بن جبل ٥١٣، ٥٣٩، ٤٢٥.
- معاوية بن ابي سفيان ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ٢٠، ٥١، ٧٧، ٧٨، ٣٣٨، ٤٢٤، ٥٠٧، ٥٣٢، ٥٤١.
- مقيس بن صبابه الكندي ٤٩٠.
- معبد بن ابي معبد الخزاعي ١٩٢، ١٩٣.
- معبد بن خالد ٤٨٦.
- معقل بن سنان ٤٨٦.
- المغيرة بن شعبه ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٤، ٣٧٣، ٣٧٤، ٥٨٤، ٥٨٧.
- المقوقس ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٦، ٥٤٢.
- مكرز بن حفص ٣٢٩، ٤٣٢.
- مناة (صنم) ٥٠٩.
- منذر بن عمرو ٢٠٢.
- منذر بن محمد ٢٠٥.
- ميسرة ٢٢٤.
- موسى (النبي) ٢٠، ٤٠، ٤٢، ٢٩٩، ٣٧١، ٣٧٨.
- سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧٢٨
- موسى الهادي بن المهدي ٤٢٧.
- ن - نائلة (صنم) ٤٩٣.
- ناپليون بوناپرت ٣٥٦.
- النضر بن الحارث ٨١، ٨٧.
- النعمان بن المقرن ٤٨٦.
- النعمان بن المنذر ٥٢٩.
- نعيم بن مسعود ٢٢٨، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٨٥، ٤٠٧، ٤٨٦.
- نميلة بن عبد الله الليثي ٣٨٨.
- نوفل بن عبد الله ٢٦٣، ٢٦٦.
- ه - هارون ٤٢٧.
- هاشم بن عتبة ١١٥.
- هبار بن الاسود ٤٩٠.
- هبل (صنم) ١٦٧، ١٨٠، ٤٩٣.
- هرقل ١٥١.
- هبيرة بن وهب ٢٦٣.

- هلال بن أمية ٥٧٦، ٥٧٧.
- هوذة بن علي ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥.
- و- واقد بن عبد الله ٣٩.
- وحشى بن حرب ١٣٧، ١٧٤، ١٧٥، ٤٩٠.
- الوليد بن عقبه بن ابي معيط ٣١٢.
- الوليد بن عتبة ٧٦، ٧٧.
- ويليم موير (السير) ٣٥٤.
- سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧٢٩
- ياسر ١٥.
- يحيى بن عماره ١٥٥.
- يحيى بن معين ٢٢٤.
- يزيد بن الخصيب ٤٨٦.
- يزيد ١٧، ٤٢٧.
- يوحنا بن رؤبه ٥٦٩.
- يوشع بن نون ٤٢١.
- النساء:.
- آمنه بنت وهب ١٣٨.
- أسماء بنت عميس ٤٥١، ٦٧٧.
- جميلة (بنت عمر) ٥٤٤.
- جويرية بنت الحارث بن ابي ضرار ٣١١.
- حليمة السعدية ٥٢٩، ٥٣١.
- خديجة بنت خويلد ٣، ٩٢، ٩٣، ١١٠، ٢٣١، ٣٥٦، ٥٩٧، ٦٨١.
- رقية بنت رسول الله ١٠٣، ١١٠، ١١٨، ٥٩٧.
- زينب بنت جحش ٢٣٠، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٥، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤٢.
- زينب بنت رسول الله ٩٢، ٩٤، ١٠٤، ١٠٩، ١١٠، ١١٨، ٥٤٢، ٥٩٧..
- سلمى ٥٤٢.
- شيماء بنت الحارث ٥٣١.
- صفية بنت حيي بن أخطب (زوجة النبي) ٣٩٤، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١٧.
- صفية بنت عبد المطلب (عمة النبي) ١٨٣، ٢٥٩.
- عائشة بنت ابي بكر ١١٢، ١١٥، ١١٧، ١٢٢، ٣١٥، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢٢، ٦٠٧، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤.
- عاتكة ٤٨٨.
- عاصية ٥٤٤.
- سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧٣٠

فاطمة بنت أسد ٢٢٩.

فاطمة الزهراء بنت رسول الله ٩٤، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٩٠، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٧، ٤٥٧، ٤٦٨، ٤٩٧، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٨، ٤٧٨، ٤٨٠، ٤٨٢.

مارية القبطية (زوجة النبي) ٣١٥، ٣٢٢، ٥٤٢، ٥٩٧.

مريم بنت عمران ١٢٠، ٣٧٦، ٤٤٢.

ميمونة (زوجة النبي) ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٧٥، ٤٧٧.

نسيبة المازنية ١٦٥، ١٧٦.

هند بنت عتبة ٤٣، ١٥٤، ١٧٤، ١٨١، ١٨٢، ١٨٥، ١٨٨، ٤٨٩، ٥٠٧، ٥٠٨.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧٣١

(٥) فهرس القبائل و الامم

أذرح (قبيلة) ٥٦٩.

أسد (قبيلة) ١٩٦، ٤٧٢.

الايوس (قبيلة) ٩، ١٨، ٢١، ٢٢، ٢٤، ٢٦، ٢٧، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٤٢، ٥٥، ١٣٩، ١٤٦، ١٤٩، ١٥٤، ١٥٥، ٢٠٩، ٢١٤، ٢٢٨، ٢٥٨، ٢٨١، ٢٨٦، ٢٨٩، ٢٩٠.

أيلة (قبيلة) ٢٩٢، ٣٢٠، ٣٢١، ٥٦٩، ٥٧٨.

ثمالة (قبيلة) ٥٣٢.

بنو اسرائيل ٦٠، ٦٢، ٢٥٧، ٢٩٤.

بنو أسد ١٩٧، ٢٥٠.

بنو اشجع ٢٥٠، ٤٨٦.

بنو الأصفر ٣٦٢، ٥٥٥.

بنو أمية ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٣٤.

بنو بكر ٥٩، ١٣١، ١٣٩، ٤٦٥، ٤٦٦.

بنو ثعلبة ٢٤، ٢٢٦.

بنو جذيمة ٥١٠، ٥١١، ٥١٢.

بنو جشم ٢٢، ٢٤.

بنو الحارث ٢٢، ٢٤.

بنو الحجاج ٦٥.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧٣٢

بنو حسن ٤٢٧.

بنو خزاعة ١٩٣، ٣٣١، ٣٤١، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٨١.

بنو الزهراء ٤٢٧.

بنو زهرة ٦٨.

بنو ساعدة ٢٢، ٢٤، ٥٦٣، ٦٧٤.

بنو سعد ٥٢٩، ٥٣٢.

بنو سلمة ٧٣.

بنو الشطيبة ٢٤.

بنو سليم ١٢٨، ٢٥٠، ٢٥٤، ٣٠٣، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٨، ٤٧٢، ٤٨٥، ٥١٧.

بنو شيبان ٥١٤.

بنو ضمرة ٣٦، ٤١.

بنو عامر ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٧٠، ٣٤٩، ٦٢٣.

بنو العاص ٥٩.

بنو عبد الأشهل ١٨٦، ١٩٢.

بنو عبد الدار ١٥٣، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧.

بنو عبد المطلب ٤٩٩، ٦٤٦.

بنو عبد مناة ١٧٠.

بنو عدى ٣٣٣.

بنو عمرو بن عوف ٢٢.

بنو عوف ٢٢، ٢٤، ٨٠.

بنو غسان ٣٥٩، ٥٥٣.

بنو غطفان ١٢٩، ٢١١، ٢٢٦، ٢٥٠، ٢٧٠، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٨، ٣٠١، ٣٨٨، ٣٨٩، ٤٠٧، ٥٦٠.

بنو غفار ١٣٨، ٣٠١، ٣٩٤، ٤٧٢، ٤٧٦، ٤٨٦.

بنو فزارة ٢٥٠، ٢٥٤، ٢٥٦، ٢٧٠، ٢٧٢، ٣٨٩.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧٣٣

بنو قريظة ٢١، ٢٦، ٢٧، ٢٠٩، ٢١١، ٢١٢، ٢٣٠، ٢٤٨، ٢٥٢، ٢٥٦، ٢٥٨، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٥، ٢٨٦،

٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٣٠٤، ٣٢١.

بنو قينقاع ٢١، ٢٦، ٢٧، ١٢١، ١٢٢، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٧، ٢٠٩، ٢٤٨، ٢٨١، ٢٨٩، ٢٩٢، ٣٠٤، ٣٨٦.

بنو كنانة ٥٨، ١٣٧، ١٧٠، ٢٦٣، ٣٤١، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٨٦.

بنو كعب ٤٧٢.

بنو لحيان ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠٤.

بنو ليث ٤٨٦.

بنو مالك ٣٢١.

بنو مدلج ٣٧، ٤١.

بنو المصطلق ٣٠٤، ٣٠٥، ٣١١، ٣١٢، ٣١٤.

بنو مرة ٢٥٠، ٢٥٤.

بنو النبيت ٢٢.

ولد اسماعيل ٢٥٧، ٣٢٥.

سيد المرسلين، ج٢، ص: ٧٣٦

(٦) الكنى و الألقاب

«الكنى» الرجال:

أبو الاسود الدؤلى ١١٢.

أبو أيوب الأنصارى ١١٨، ٤١٧.

أبو البائت ٤٠٣.

أبو البحتري ٨٨، ١٥٥.

أبو البراء العامرى ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥.

أبو بكر بن أبى قحافة ٦٠، ٦١، ٩٤، ١٠٤، ٣٣٠، ٣٩٦، ٣٩٨، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٥٥، ٤٥٦، ٥١١، ٥١٢، ٥٢٤، ٥٦٣، ٥٨٤، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٤، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٤، ٦٦٠.

أبو بكر الجوهري ٦٧٠.

أبو بكر بن حزم ٥٥، ١٣٤.

أبو بصير ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠.

أبو تراب ٤٠٥.

أبو جعفر البصرى ٩٤.

أبو جعفر المنصور ٤٢٧.

أبو جندل ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٨.

أبو جهل ٣٣، ٣٤، ٦٨، ٦٩، ٨٣، ٨٨، ١٣٦، ١٧٣، ١٧٤، ٢٦٣، ٤٨٤، ٥٤٤.

سيد المرسلين، ج٢، ص: ٧٣٧

أبو جهم العبيدى ١٦٢.

أبو حاتم ٢٢٤.

أبو حارثة ٦٠١، ٦٠٢، ٦١٠، ٦٨٠.

أبو الحسن ٩٤، ١٠٤، ٤٠٨.

أبو الخير الحاكمى ١١٤.

أبو العقيق ٣٩٤.

أبو حمراء بن سفيان ١٧١.

أبو الخير ٢٦٥.

أبو دجانة الانصارى ١٥٣، ١٥٤، ١٥٧، ١٦٥، ١٧٣، ١٧٩، ٢١٣.

أبو ذر الغفارى ٤٨٦، ٥٦٥، ٥٦٧.

أبو رافع ٨٩، ٩٠، ١١٥، ١٣٥، ١٧٠، ٤٣٧.

أبو ريحة ٤٨٩.

- ابو سعيد بن خيثمة ١٤٨.
- ابو سعيد السجستاني ٦٥٢.
- ابو سفيان بن الحارث ٤٧٨، ٥١٨.
- ابو سفيان ١٥، ٣٦، ٣٧، ٥٣، ٥٧، ٦١، ٦٦، ٦٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ١٢٨، ١٢٩، ١٣١، ١٣٦، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٩، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٧، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٧٤، ١٨٠، ١٨١، ١٩٢، ١٩٣، ٢٠٠، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٦٦، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٣٠٧، ٣٣٣، ٣٣٨، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٩، ٤٧٢، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٧، ٤٩٨، ٥٠٨، ٥١٤، ٥١٧، ٥١٨، ٥٣٣، ٥٤٤، ٥٨٧، ٦٤٤.
- ابو سلمة ٣٧، ١٩٧.
- ابو الشعثاء بن سفيان ١٧١.
- ابو طالب ٩٠، ٣٣٣، ٣٥٦، ٤٤٢، ٤٨٥، ٤٩٢، ٥٠٤.
- سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧٣٨
- ابو طلحة ١١٨.
- ابو العاص ٨٢، ٩٣، ٩٤، ١٠٩، ١١٨، ٥٤٢.
- ابو عامر ١٤٨، ١٥٤، ٢٥٠، ٥٧٨، ٥٧٩.
- ابو العباس السفاح ٤٢٨.
- ابو عبيدة الجراح ١٦٥، ١٦٩، ٦٨٦.
- ابو العرفان الحبان ٦٥٣.
- ابو عزيز ٨٧.
- ابو عزة الجمحي ٨٢، ١٩٤.
- ابو عمرة ١١٥.
- ابو العلاء الهمداني ٦٥٢.
- ابو الفضل ٤٨١، ٤٨٨، ٦١٢.
- ابو لبابة ٥٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨.
- ابو لهب ٥٧، ٨٩، ٤٧٨.
- ابو المفضل ٦٢١.
- ابو موسى الاشعري ٥٢١.
- ابو نائلة ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥.
- ابو واقد الليثي ٤٨٦.
- ابو الوليد ٧٤، ٧٦.
- النساء:
- ابنة حاتم الطائي ٥٤٩.
- أم أنس (بن مالك) ١١١.
- أم أيمن ٤٢٥، ٤٢٦.

- أم حبيبة ٤٦٧.
- أم سلمة ١٠٨، ١١٧، ٢٨٧، ٢٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠.
- سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧٣٩
- أم سليم بن ملحان ٥٢٠.
- أم عامر ١٧٣.
- أم الفضل ٨٩، ٤٣٦.
- أم كلثوم بنت رسول الله ٥٩٧.
- أم كلثوم بنت عقبة ٣٥٠.
- أم هاني ٥٠٤.
- «الألقاب» الآلوسي ٢٣٨، ٢٤١، ٥٩٤.
- ابن طاوس (السيد) ٦٠٣، ٦٠٦، ٦١١، ٦٢١.
- الافندي صاحب كشف الظنون ٦.
- الاميني ١١١، ١٢٠، ٦٤٨، ٦٥٣.
- البحراني (المحدث) ٣٢٣.
- البخاري ٣١٨، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢.
- البخري ٨٠، ٨١.
- البروجردى (السيد) ٢١٦.
- الترمذي (الحافظ) ١١٢.
- التلعكبري ٦٢١.
- الثعالبي ٦٥٠.
- الجزري الشافعي ٦٥٢.
- الحلبي ٣٩٧، ٤٢٦، ٦٠٣.
- الحموي (الياقوت) ٦٠١.
- الحميدي ٢٢٤.
- الخجندی (الحافظ) ١٠٩.
- الدولابي ١٠٧.
- سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧٤٠
- الدينارية (المرأة) ١٨٧.
- الرضي (السيد) ٧٢.
- الزمخشري ٦٠٥، ٦٠٧.
- السيوطي ٦.
- شرف الدين ٦٧١.
- الطباطبائي (العلامة) ٢١٦، ٢٤٣، ٦٠٩.

خبيبر ٣٥، ١٢١، ١٧٥، ٢١٣، ٢٤٧، ٢٧٠، ٢٨٣، ٢٩٦، ٢٩٧، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩١، ٣٩٤، ٣٩٦، ٤٠٠، ٤٠٢، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤.
 ذات الرقاع (غزوة) ٢٢٦.
 ذات السلاسل (سرية) ٤١٦، ٤٥٤.
 صفيين (معركة) ١٤، ١٥، ٤٤٣.
 قرقر الكدر (غزوة) ١٢٨.
 مؤتة (معركة) ٤٣٩، ٤٤٣، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٦٨.
 سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧٤٣

(٨) فهرس الأماكن و البلدان

آسيا الصغرى ٣٥٧، ٣٦٤.
 احد ٩٠، ١٣٢، ١٣٥، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٥، ١٥٨، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٨، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٩، ١٨١، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٤، ١٩٦، ٢٠٣، ٢٠٦، ٢٢٨، ٢٥١، ٢٥٤، ٢٦١، ٢٦٥، ٢٦٧، ٢٩٣، ٣٠٣، ٣٤٥، ٤٥٣، ٤٩٣، ٥٠٨، ٥٧٨.
 آديس آبابا ٣٧٥.
 الاردن ٢٦٥.
 الاسكندرية ٣٦٠.
 أبني ٦٦١.
 أوربا ٣٥٧.
 أوطاس ٥٢١.
 إيران ١٣٢، ٢١٦، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٨١، ٣٥٣، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦.
 بئر معونة ٢٠٣، ٢٠٤، ٥٦٣.
 باريس ٣٥٢.
 البحر الأحمر ٦٤، ٦٧، ٥٦٩، ٦١٥.
 البحرين ٣٥٦، ٦٢٣.
 سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧٤٤
 بدر ٣٢، ٣٨، ٤٣، ٤٥، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٦٣، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧١، ٨٠، ٨٢، ٨٤، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٢، ٩٧، ١٢١، ١٢٨، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٩، ٢٠١، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٦٩، ٢٩٣، ٣٠٣، ٤٠٢، ٤٧٢، ٥٠٥، ٥٤٢ ...
 بصرى ٣٥٩.
 البصرة ٤١٤.
 بغداد ١١٣، ١١٦، ١٦٤، ٤٢٧.
 البقيع ١٣٤، ١٣٥.
 بكين (عاصمة الصين) ٣.

بلجيكا ١١٨.

البلقاء ٥٥٣.

بيت الله الحرام ٤١، ٤٩، ٣٢٩، ٣٣٠، ٤٣٠، ٤٣٨، ٤٦٤، ٤٩٢، ٥٨٩، ٤٣١، ٤٣٣.

بيت المقدس ٤٢، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٣٤٧، ٣٥٤، ٣٦١، ٣٨١، ٥٨٢.

تبوك ٥٥٢، ٤٤٣، ٤٤٠.

تهامة ٥٠٩.

ثنية أذاخر ٤٩١.

ثنية المرة ١٧.

ثنية الوداع ٣٠١، ٤٤٠، ٥٥٤.

الجزيرة العربية ٤، ١٨، ٢١، ٤١، ٤٨، ٤٩، ١٢١، ٢١٧، ٢٢٦، ٢٥٠، ٣٢٤، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٥، ٣٤٧، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٦٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٤.

٣٨٧، ٣٨٨، ٤٣٤، ٤٣٦، ٤٧٨، ٤٩٣، ٥٠٣، ٥٢٣، ٥٢٧، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٥٢، ٥٥٩، ٥٤٨، ٥٧٨، ٥٨٢، ٥٨٩، ٥٩١، ٥٩٣، ٥٩٧، ٤٢٢، ٤٢٨.

٤٤٢، ٤٥٦.

الجحفة ٣٢٧، ٤١٧، ٤٤٧، ٤٥٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧٤٥.

الجرف ٤٤٠، ٥٥٨، ٤٤٣، ٤٤٤.

الجعرانة ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٢، ٥٣٦، ٥٣٧.

الجدل ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣.

الجولان ٣٨١.

الحبشة ١٣٧، ١٤٤، ١٥٦، ١٧٤، ٢٩٨، ٣٥٦، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٨، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٣، ٣٨٨، ٤١٢، ٤٤٢، ٤٧٧.

الحجاز ٤٢، ٢٩٨، ٣٠٠، ٣٥٦، ٣٥٨، ٣٦٩، ٤٣٨، ٤٤٢، ٥٠٥، ٥٢١، ٥٢٥، ٥٤٥، ٥٤٧، ٥٤٩، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٨، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٧١، ٥٧٢.

٥٧٥، ٤٠١، ٤٠٢، ٤١٩، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٩، ٤٣٤، ٤٥١، ٤٥٦، ٤٥٩، ٤٤٠، ٤٧٤.

حجر ٥٥٢.

الحجر الاسود ٤٢٠.

الحديبية ١١٨، ٣٢٧، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٨، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٧٤، ٣٨٨، ٤٣٠، ٤٤٢، ٤٤٤، ٤٨٣، ٤٨٩.

حضر موت ٤٥٦.

حراء (غار) ٣.

حنين ٥١٦، ٥١٧، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٢.

الحيرة ٣٥٦.

خيبر ٣٥، ٣٩٣، ٤٠١.

دار الندوة ٣٤٥.

دمشق ١٥٥، ١٥٦، ٣٨١.

ذو الحليفة ٣٢٦، ٤٢٩.

ذو طوى ٤٩٠.

القاهرة ٢٤١.

قبا ٥٧٩، ٦١٦.

قسنطينة ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٤، ٥٥٣.

قم ١٣١، ٢١٦.

القموص (حصن) ٣٩٠، ٣٩٤، ٤٠٩.

الكديد ٤٢٦.

كربلاء ٤٢٣.

الكعبة المعظمة ٤٧، ٥٠، ٥١، ٥٣، ٢٠١، ٣٢٤، ٤٣٤، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٣٩، ٥٨٩، ٦٣٠.

الكوفة ٤٢٦.

لبنان ٧.

لندن ٧.

المدائن ٣٦٤.

المدينة ٥، ٦، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٨، ٢١، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٣١، ٣٢، ٣٤، ٣٦، ٣٧، ٣٩، ٤٠، ٤٢، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥١، ٥٢، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧.

٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧١، ٧٧، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩١.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧٤٨

٩٣، ١٢١، ١٢٢، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٨، ١٥٠.

١٥١، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٧١، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٨، ١٨٩، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣.

٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢١١، ٢١٣، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٨، ٢٧٩.

٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٦، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٦، ٢٩٨، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٤، ٣٠٦، ٣٠٨، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٧، ٣١٨، ٣٢٥، ٣٢٧.

٣٣٩، ٣٣٤، ٣٤٥، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥٨، ٣٧٢، ٣٧٦، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٩، ٤١٠، ٤١٢، ٤١٨، ٤٢١، ٤٢٤.

٤٣١، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٤٠، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٢.

٥١٤، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧.

٥٧٣، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٩، ٥٨١، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٩، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠.

٦٤٤، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠.

المروءة (جبل) ٤٣٤، ٤٣٥، ٦٣٠.

المسجد الاقصى ١١٣.

المسجد الحرام ٤٧، ٤٨، ٥٠، ١١٩، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٣٤، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨.

مسجد الأحزاب ٤٥٧..

مسجد الشجرة ٦٢٩.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧٤٩

مسجد ضرار ١٤٨، ٥٦٩.

مسجد العريش ٦٧.

مصر (بلاط) ٣٣٩، ٣٥٦، ٣٥٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٧، ٣٧٩، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠.

- ٣- ابو طالب مؤمن قريش / للخيزي
 - ٤- الاتحاف / للشراوى
 - ٥- الاحتجاج / للطبرسي
 - ٦- احياء العلوم / للغزالي
 - ٧- اخبار اصفهان / لابي نعيم اصفهاني
 - ٨- الاخبار الطوال / للدينوري
 - ٩- الارشاد / للمفيد
 - ١٠- ارشاد الساري / للقسلاني
 - ١١- از پرويز تا جنكيز / لتقى زاده
 - ١٢- الاستغاثه / لأبي القاسم الكوفي
 - ١٣- الاستيعاب / لابن عبد البر
 - ١٤- اسد الغابه / لابن الاثير الجزري
 - ١٥- الاسفار الاربعة / لصدر الدين الشيرازي
 - ١٦- اسلام و جاهليت (بالفارسية) / للنوري
 - ١٧- الاشارات و التنبيهات / لابن سينا
 - ١٨- الإصابة في تمييز الصحابة / لابن حجر
- سید المرسلین ، ج ٢ ، ص : ٧٥٥
- ١٩- أصالة روح (بالفارسية) / لصاحب الدراسة سيد المرسلين ج ٢ ٧٥٥ (١١) فهرس المصادر ص : ٧٥٤
 - الاصنام / للكليبي
 - ٢١- اعلام النساء / لكحالة
 - ٢٢- اعلام الوري بأعلام الوري / للطبرسي
 - ٢٣- أعيان الشيعة / للسيد محسن العاملي
 - ٢٤- الأغاني / للراغب اصفهاني
 - ٢٥- الاقبال / لابن طاوس
 - ٢٦- الامالي / للطوسي
 - ٢٧- الامالي / للصدوق
 - ٢٨- الامامة و السياسة / لابن قتيبة
 - ٢٩- إمتاع الاسماع / للمقريزي
 - ٣٠- الاحوال / لابن سلام
 - ٣١- الانجيل /
 - ٣٢- أنيس الاعلام / لفخر الاسلام
 - ٣٣- اوائل المقالات / للمفيد
 - ٣٤- ايران در عهد ساسانيان (بالفارسية) / ارتو كريستن سن

- (ب) ٣٥- بحار الانوار / للمجلسي
- ٣٦- البداية و النهاية / لابن كثير
- ٣٧- برهان رساله (بالفارسيه) / صاحب الدرسة
- ٣٨- بلوغ الادب في معرفة احوال العرب / للآلوسي
- (ت) ٣٩- التاج الجامع للاصول / لناصف
- ٤٠- تاريخ اجتماعي ايران (بالفارسيه) / لجماعة من المؤلفين
- ٤١- تاريخ الامم و الملوك / للطبري
- سيد المرسلين ، ج ٢ ، ص : ٧٥٦
- ٤٢- تاريخ بغداد / للبغدادي
- ٤٣- تاريخ تمدن ايران در عهد ساسانيان (بالفارسيه) / لذبيح الله صفا
- ٤٤- تاريخ الخلفاء / للسيوطي
- ٤٥- تاريخ الخميس / للديار بكرى
- ٤٦- تاريخ سنى ملوك الارض و الانبياء / لحمزة الاصفهاني
- ٤٧- تاريخ العرب / لفيلب
- ٤٨- تاريخ علوم و ادبيات در ايران (بالفارسيه) / لصفاء
- ٤٩- تاريخ القرآن / للزنجاني
- ٥٠- تاريخ اليعقوبي / لليعقوبي
- ٥١- تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام / للصدر
- ٥٢- تحرير الاحكام / للعلامة الحلبي
- ٥٣- التحرير / للنووي
- ٥٤- تحف العقول / لابن شعبه الحراني
- ٥٥- تحفة الأجله في معرفة القبلة / للكابلي
- ٥٦- تذكرة الخواص / لسبط ابن الجوزي
- ٥٧- الترايب الدراية / للكتاني
- ٥٨- الترغيب و التهيب / للمنذري
- ٥٩- تفسير ابو الفتوح الرازي /
- ٦٠- تفسير البرهان / للبحراني
- ٦١- تفسير التبيان / للطوسي
- ٦٢- تفسير روح المعاني / للآلوسي
- ٦٣- تفسير صحيح آيات مشكله (بالفارسيه) / صاحب الدرسة
- ٦٤- تفسير الدر المنثور / للسيوطي
- ٦٥- تفسير الطبري / للطبري
- ٦٦- تفسير مفاتيح الغيب / للفخر الرازي

- سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧٥٧
- ٦٧- تفسير الكشاف / للزمخشري
- ٦٨- تفسير العياشي / للعياشي
- ٦٩- تفسير فرات الكوفي / لفرات الكوفي
- ٧٠- تفسير في ظلال القرآن / لسيد قطب
- ٧١- تفسير القرطبي / للقرطبي
- ٧٢- تفسير القمي / للقمي
- ٧٣- تفسير مجمع البيان / للطبرسي
- ٧٤- تفسير المنار / لعبده - رشيد رضا
- ٧٥- تفسير الميزان / للطباطبائي
- ٧٦- تفسير نور الثقلين / للحويزي
- ٧٧- التقريب / للحافظ العراقي
- ٧٨- تقييد العلم / للبغدادي
- ٧٩- التنبيه و الاشراف / للمسعودي
- ٨٠- تنقيح المقال / للمامقاني
- ٨١- التوراة /
- ٨٢- تهذيب الاصول / لصاحب الدراسة
- ٨٣- تهذيب الاسماء و اللغات / للنووي
- ٨٤- تهذيب التهذيب / للعسقلاني
- (ث) ٨٥- ثمار القلوب / للثعالبي
- (ج) ٨٦- جغرافياى كشورهاي اسلامى (بالفارسية) / الفقيهى
- ٨٧- جمهرة خطب العرب / لصفوة
- ٨٨- جهان بينى اسلامى (بالفارسية) / للشهيد المطهرى
- سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧٥٨
- (ح) ٨٩- حجة الذاهب الى ايمان ابى طالب / لفخار بن معد
- ٩٠- حلية الاولياء / لابي نعيم الاصفهاني
- ٩١- حياة محمد / لهيكل
- (خ) ٩٢- الخرائج و الجرائح / للراوندى
- ٩٣- الخصائص / للنسائي
- ٩٤- الخصال / للصدوق
- (د) ٩٥- دائرة المعارف / وجدى
- ٩٦- در مكتب وحي / لصاحب الدراسة
- ٩٧- الدرجات الرفيعة / للسيد على خان المدني

٩٨- الذريعة الى تصانيف الشيعة/ لآغا بزرك الطهراني

٩٩- ديوان أبي طالب /

(ذ) ١٠٠- ذخائر العقبى / للطبرى

(ر) ١٠١- بزرك رسالت (بالفارسية) / لصاحب الدراسة

١٠٢- رجال الشيخ الطوسى /

١٠٣- الروض الانف / للسهيلى

١٠٤- روضة الكافى / للكلىنى

١٠٥- روضة المتقين / للمجلسى

١٠٦- الرياض النضرة / لمحبت الدين الطبرى

(ز) ١٠٧- زاد المعاد / لابن القيم

سيد المرسلين ، ج ٢ ، ص : ٧٥٩

(س) ١٠٨- سفينة البحار / للقمى

١٠٩- السقيفة (كتاب) / لآبى بكر الجوهري

١١٠- سنن البيهقى / للبيهقى

١١١- سيرة الملائى / لعمر بن محمد

١١٢- السيرة النبوية / لابن هشام

١١٣- السيرة النبوية / لدحلان

١١٤- السيرة الحلبية / للحلبى

(ش) ١١٥- شرح نهج البلاغة / لابن أبى الحديد

(ص) ١١٦- صحيح البخارى / للبخارى

١١٧- صحيح الترمذى / للترمذى

١١٨- صحيح مسلم / لمسلم

١١٩- الصحيفة السجادية / للامام السجاد (ع)

١٢٠- الصواعق المحرقة / للهيثمى

(ط) ١٢١- الطبقات الكبرى / لابن سعد

(ع) ١٢٢- عبقات الانوار / لمير حامد

١٢٣- عدة الاصول / للطوسى

١٢٤- العقد الفريد / لابن عبد ربه

١٢٥- علل الشرائع / للصدوق

١٢٦- عمدة الطالب / لابن المهنا

١٢٧- عيون اخبار الرضا / للصدوق

سيد المرسلين ، ج ٢ ، ص : ٧٦٠

١٢٨- عيون الاثر / لابن سيد الناس

- ١٢٩- عيون المجالس /
 (غ) ١٣٠- الغارات / للثقفى
 ١٣١- الغدير / للامينى
 (ف) ١٣٢- فتوح البلدان / للبلاذرى
 ١٣٣- فتوح الشام / للواقدى
 ١٣٤- فرائد السمطين / للجوينى
 ١٣٥- الفصول المهمة / لابن الصباغ
 ١٣٦- الفهرست / للنجاشى
 ١٣٧- الفهرست / لابن النديم
 (ق) ١٣٨- القاموس المحيط / للفيروز آبادى
 ١٣٩- قرب الاسناد / للحميرى
 ١٤٠- قره العيون المبصرة / للحنفى
 (ك) ١٤١- الكامل فى التاريخ / لابن الاثير
 ١٤٢- الكافى اصولا و فروعا / للكلىنى
 ١٤٣- كشف الظنون / لخليفة
 ١٤٤- كشف الغمة / للاربلى
 ١٤٥- كشف المراد / للعلامة الحلى
 ١٤٦- كشف اليقين / للعلامة الحلى
 ١٤٧- كفاية الطالب / للكنجى
 سيد المرسلين ، ج ٢ ، ص : ٧٦١
 ١٤٩- كنز الفوائد / للكراچكى
 ١٥٠- كنوز الحقائق / للمناوى
 ١٥١- كنوز الدقائق / للمناوى
 (ل) ١٥٢- اللئالى المصنوعة / للسيوطى
 ١٥٣- لسان الميزان / لابن حجر
 ١٥٤- اللوامع الالهية / للفاضل المقداد
 (م) ١٥٥- ما ذا خسر العالم بانحطاط المسلمين / للندوى
 ١٥٦- المباهلة (كتاب) / لابي المفضل الشيبانى
 ١٥٧- المبدأ و المعاد / للملا صدرا
 ١٥٨- المحجة البيضاء / للفيض
 ١٥٩- مجالس ابن الشيخ / للطوسى
 ١٦٠- المجالس / للمفيد
 ١٦١- المحاسن و المساوى / للبيهقى

- ١٦٢- المحيّر / لمحمد بن حبيب
 ١٦٣- مروج الذهب / للمسعودي
 ١٦٤- المراجعات / لشرف الدين
 ١٦٥- المسند / لابن حنبل
 ١٦٦- المستدرک على الصحيحين / للحاكم النيسابوري
 ١٦٧- مصباح الظلام / للدمياطي
 ١٦٨- مصباح المتهدد / للطوسي
 ١٦٩- معالم العترة / للجنازدي
 ١٧٠- معجم البلدان / للحموي
 ١٧١- المفصل في تاريخ العرب / للدكتور جواد علي
 سيد المرسلين ، ج ٢ ، ص : ٧٦٢
 ١٧٢- مقتل الخوارزمي / للخوارزمي
 ١٧٣- المغازي / للواقدي
 ١٧٤- مفاهيم القرآن / لصاحب الدراسة
 ١٧٥- مقاتل الطالبين / لابي الفرج الاصفهاني
 ١٧٦- مقدمة ابن خلدون /
 ١٧٧- مكاتيب الرسول / للأحمدي
 ١٧٨- مكارم الاخلاق / للطبرسي
 ١٧٩- الملل و النحل / للشهرستاني
 ١٨٠- من لا يحضره الفقيه / للصدوق
 ١٨١- مناقب آل أبي طالب / لابن شهر آشوب
 ١٨١- المناقب / للخوارزمي
 ١٨٢- مناهل العرفان / للزرقاني
 ١٨٣- المنتقى / لابن تيمية
 ١٨٤- منهاج السنة / لابن تيمية
 ١٨٥- المواهب اللدنية / للقسطلاني
 ١٨٦- المواقف / للايجي
 ١٨٧- الموسوعة العربية الميسرة / لجماعة من المؤلفين
 ١٨٨- ميزان الاعتدال / للذهبي
 (ن) ١٨٩- ناسخ التواريخ / لسپهر
 ١٩٠- نزهة المجالس / للصفوري
 ١٩١- النص و الاجتهاد / للسيد شرف الدين
 ١٩٢- النهاية / لابن الاثير

- ١٩٣- نهج البلاغة/ للشريف الرضى
 ١٩٤- نور الابصار/ للشبلنجي
 سيد المرسلين، ج٢، ص: ٧٦٣
 (و) ١٩٥- الوثائق السياسية/ للبروفيسور حميد الله
 ١٩٦- وسائل الشيعة/ للحر العاملي
 ١٩٧- فاء الوفاء/ للسهمودي
 ١٩٨- وفيات الأعيان/ لابن خلكان
 ١٩٩- وقعة صفين/ لابن مزاحم
 ٢٠٠- الولاية في طرق حديث الغدير/ للطبري
 (ه) ٢٠١- الهدى الى دين المصطفى/ للبلاغي
 (ي) ٢٠٢- ينابيع المودة/ للقندوزي
 سيد المرسلين، ج٢، ص: ٧٦٤

(١٢) فهرس المواضيع

- ٢٦- أول عمل ايجابي للنبي في المدينة وقائع السنة الاولى من الهجرة ٩- ٣٢ عقد ميثاق تعايش بين المسلمين وغيرهم ٩
 مع عمار بن ياسر في بناء المسجد النبوي ١٢
 ضئ أراف من والده ١٦
 التآخي أو أعظم معطيات الايمان ١٨
 منقبتان عظيمتان ١٩
 منقبة اخرى لعلي ٢٠
 معاهدة الدفاع المشترك بين المسلمين و يهود يثرب ٢١
 أعظم معاهدة تاريخية ٢٢
 ممارسات اليهود الاجهاضية ٢٧
 خطة اخرى للقضاء على الحكومة الاسلامية ٢٩
 ٢٧- مناورات عسكرية واستعراضات حربية وقائع السنة الثانية من الهجرة ٣٣- ٤٦ تهديد خطوط قريش التجارية ٣٤
 النبي (ص) يلاحق قريشا بنفسه ٣٦
 ما ذا كان الهدف من المناورات العسكرية ٤١
 سيد المرسلين، ج٢، ص: ٧٦٥
 نظرية المستشرقين حول هذه المناورات ٤٢
 ٢٨- تحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة ٤٧- ٥٢ كرامة علمية لرسول الله (ص) ٥١
 ٢٩- معركة بدر ٥٣- ٩٩ النبي (ص) يتوجه الى ذفران ٥٥
 المشكلة التي كانت تواجهها قريش ٥٨
 النبي (ص) يعقد شوري عسكرية ٥٩

- اخفاء الحقائق و كتمانها ٥٩
- قرار الشورى الحاسم أو رأى زعيم الأنصار ٦٢
- تحصيل المعلومات حول العدو ٦٢
- كيف هرب ابو سفيان ٦٥
- معرفة المسلمين بافلات قافلة قريش ٦٨
- اختلاف قريش فى القتال ٦٨
- العريش او غرفة القيادة ٧٠
- نظرة الى مسألة العريش ٧٠
- تحرك قريش باتجاه بدر ٧٢
- قريش تتشاور فى القتال ٧٢
- اختلاف قادة قريش فى القتال ٧٤
- ما الذى حتم القتال؟ ٧٥
- المبارزات الفردية أولا ٧٦
- أى القولين هو الأصح حول المبارزين؟ ٧٧
- الهجوم العام ٧٨
- سيد المرسلين، ج٢، ص: ٧٦٦
- رعاية الحقوق ٨٠
- مصرع أمية بن خلف ٨٠
- خسائر بدر فى الأرواح و الاموال ٨١
- ما انتم باسمع منهم ٨٢
- الشعر يخلد هذه القصة ٨٣
- بعد معركة بدر ٨٥
- قتل أسيرين فى اثناء الطريق ٨٧
- المكيون يعرفون بمقتل أسيادهم ٨٨
- بشائر النبى الى المدينة ٨٨
- اشتراك العباس عم النبى (ص) فى بدر ٨٩
- المنع من النوح و البكاء فى مكة ٩٠
- القرار الأخير حول مصير الأسارى ٩١
- رسول الاسلام و مكافحة الأمية ٩٣
- كلام لابن ابى الحديد فى المقام ٩٤
- القرآن يتحدث عن بدر ٩٥
- ٣٠- زواج سيده النساء ١٠٠- ١٢٠ مشاكل الزواج فى العصر الحاضر ١٠١
- رسول الاسلام يكافح هذه المشاكل عمليا ١٠٢

جهاز فاطمة ١٠٥

مراسم الزواج تقام ببساطة ١٠٧

٣١- جرائم بنى قينقاع (اليهود) ١٢١- ١٣١ لهيب الحرب ينطلق من شرارة ١٢٣

تقارير جديدة تصل الى المدينة ١٢٧

سيد المرسلين ، ج ٢ ، ص: ٧٦٧

غزوات فى هذه السنة ١٢٧

١- غزوة قرقره الكدر ١٢٨

٢- غزوة السوق ١٢٨

٣- غزوة ذى أمر ١٢٩

قريش تغير مسير تجارتها ١٣١

٣٢- الدفاع عن الحرية (أو معركة احد) حوادث السنة الثالثة من الهجرة ١٣٢- ١٩٥ سرية محمد بن مسلمة لاغتيال كعب بن الأشرف

١٣٢

اغتيال مفسد آخر ١٣٥

قريش تتكفل نفقات الحرب ١٣٥

الاستخبارات ترفع تقريراً الى النبي (ص) ١٣٧

جيش قريش يتحرك باتجاه المدينة ١٣٨

منطقة احد ١٣٩

المشاورات فى كيفية الدفاع ١٤٠

الاقتراع من أجل الشهادة ١٤٢

حصيلة الشورى ١٤٤

النبي (ص) يخرج من المدينة ١٤٥

جنديان فدائيان ١٤٦

العسكران يصطفان ١٥٠

رفع معنويات الجنود و تقوية عزائمهم ١٥١

العدو ينظم صفوفه ١٥٢

الإثارة النفسية و إلهاب الحماس ١٥٣

القتال يبدأ ١٥٤

المقاتلون بدافع الشهوات ١٥٧

سيد المرسلين ، ج ٢ ، ص: ٧٦٨

الهزيمة بعد الانتصار ١٥٨

شائعة حول مقتل النبي (ص) ١٦٠

هل يمكن ان ينكر أحد فرار البعض ١٦١

القرآن يكشف عن بعض الحقائق ١٦٢

- التجارب المرة ١٦٤
- خمسة يتحالفون على قتل النبي (ص) ١٦٥
- الدفاع الموفق أو النصر المجدد ١٦٩
- حمزة بن عبد المطلب ١٧٣
- العدو يحاول استغلال الفرصة ١٧٩
- نهاية المعركة ١٨١
- آخر ما نطق به سعد بن الربيع ١٨٤
- النبي يعود الى المدينة ١٨٥
- ذكريات مثيرة عن امرأة مؤمنة ١٨٧
- نموذج آخر من النسوة المجاهدات ١٨٧
- لا بد من ملاحقة العدو ١٩٠
- حمراء الأسد ١٩٢
- لا يخدع المؤمن مرتين ١٩٤
- ميلاد الامام الحسن السبط ١٩٥
- حوادث السنة الرابعة من الهجرة ٣٣- فاجعة فريق المبلغين ١٩٦- ٢٠٥ خطة ماكرة للفتك بالمبلغين ١٩٧
- الغدر بالدعاة الى الاسلام و قتلهم ١٩٨
- دور حزب النفاق أيضا ٢٠١
- جريمة بشر معونة ٢٠٢
- سيد المرسلين، ج٢، ص: ٧٦٩
- كيد المستشرقين ٢٠٣
- المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين ٢٠٤
- ٣٤- غزوة بنى النضير ٢٠٦- ٢١٥ بما ذا يجب ان تقابل هذه الجريمة ٢٠٨
- المستشرقون و دموع التماسيح ٢١٠
- مزارع بنى النضير تقسم بين المهاجرين فقط ٢١٣
- ٣٥- تحريم الخمر غزوة ذات الرقاع، غزوة بدر الصغرى ٢١٦- ٢٢٩ ١- تحريم الخمر ٢١٦
- وقفه عند «البيان الشافي» في الخمر ٢٢٠
- رواية مختلفة ٢٢١
- ٢- غزوة ذات الرقاع ٢٢٥
- مواقف خالدة في هذه الغزوة ٢٢٧
- الحراس الصامدون ٢٢٧
- ٣- غزوة بدر الصغرى ٢٢٨
- ولادة الحسين السبط الاصغر لرسول الله (ص) ٢٢٩
- ٣٦- من أجل تحطيم التقاليد الخاطئة حوادث السنة الخامسة من الهجرة ٢٣٠- ٢٤٥ زواج النبي (ص) بمطلقة دعيه زيد ٢٣٠

- من هو زيد بن حارثة ٢٣١
- زيد يتزوج ببنت عمه النبي (زينب بنت جحش) ٢٣٢
- زيد يطلق زوجته زينب ٢٣٣
- سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧٧٠
- زواج النبي بمطلقة متبناه لإبطال سنة جاهلية ٣٣٤
- المستشرقون وقضية تزوج النبي بزينب ٢٣٧
- توضيح الحقيقة و ردّ الشبهة ٢٣٩
- ٣٧- غزوة الأحزاب بعض غزوات السنة الخامسة ٢٤٦- ٢٨٠ ١- غزوة دومة الجندل ٢٤٦
- ٢- غزوة الخندق (الأحزاب) ٢٤٧
- استخبارات القيادة ترفع تقريراً للقيادة ٢٥٠
- القول النبوي الخالدة في شأن سلمان ٢٥٣
- مقاتلو العرب و اليهود يحاصرون المدينة ٢٥٤
- العدد الدقيق لقوات الطرفين ٢٥٤
- خطر البرد و تناقص الغذاء، و العلف ٢٥٥
- النبي (ص) يعرف بنقض بني قريظة للعهد ٢٥٨
- تجاوزات بني قريظة الأولية ٢٥٩
- الايمان في مواجهة الكفر ٢٦٠
- أبطال من العرب يعبرون الخندق ٢٦٢
- تساؤل البطلين ٢٦٦
- ضربة عليّ (ع) لعمر و قيمة هذه الضربة ٢٦٧
- لما ذا التنكر لهذا الموقف؟ ٢٦٧
- مروءة عليّ (ع) و شهامته ٢٦٩
- جيش العرب يتفرق في موقفه ٢٧٠
- العوامل التي فرقت كلمة الأحزاب ٢٧٢
- مبعوثون من قريش يمشون الى بني قريظة ٢٧٤
- آخر العوامل وراء هزيمة الكفار ٢٧٥
- سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧٧١
- القرآن الكريم و معركة الأحزاب ٢٧٦
- ٣٨- سقوط آخر اوكار الفساد و المؤامرة ٢٨١- ٢٩٥ قوات الاسلام تحاصر بني قريظة ٢٨٢
- اليهود يتشاورون حول الموقف ٢٨٣
- خيانه أبي لبابة ٢٨٦
- الى أي مدى ذهب الطابور الخامس في مشاغبه؟ ٢٨٨
- حكم سعد في بني قريظة و تقييم ما استند إليه ٢٩٠

- ٢٩٨
- ٣٩- أعداء الاسلام تحت المراقبة المشددة حوادث السنة السادسة من الهجرة ٢٩٦-٣٠٢ أهل الرأي من قريش يهاجرون الى الحبشة
- الوقاية من تكرار التجارب المرة ٢٩٩
- النذر غير المشروع ٣٠٢
- ٤٠- تمرد بنى المصطلق ٣٠٣-٣١٢ غزوة بنى المصطلق ٣٠٤
- مناقح حاول إشعال الموقف ٣٠٦
- صراع بين الأيمان و العاطفة ٣٠٩
- ٤١- قصة الإفك ٣١٣-٣٢٣ الفاسق يفتضح ٣١٣
- المنافقون يتهمون شخصا نقي الجيب ٣١٤
- أبرز النقاط فى آيات الإفك ٣١٧
- الزوائد فى هذه القصة ٣١٨
- سيد المرسلين، ج٢، ص: ٧٧٢
- مناقحتها لمقام النبوة و العصمة ٣١٨
- سعد بن معاذ توفى قبل حادثه الإفك ٣٢٠
- ٤٢- رحلة سياسية ديتية ٣٢٤-٣٥١ مندوبوا قريش عند النبي ٣٢٨
- رسول الله (ص) يبعث مندوبا الى قريش ٣٣١
- النبي (ص) يبعث سفيرا آخر الى قريش ٣٣٢
- سهيل بن عمرو يفاوض رسول الله (ص) ٣٣٥
- التاريخ يعيد نفسه ٣٣٧
- نصّ صلح «الحديبية» ٣٣٩
- نشيد الحرية ٣٤٠
- آخر الجهود للحفاظ على عملية الصلح ٣٤١
- و القضية التالية تشهد بما نقول ٣٤٢
- تقييم عاجل لصلح الحديبية ٣٤٤
- قريش تصرّ على إلغاء أحد بنود المعاهدة ٣٤٨
- النساء المسلمات لا يسلمن الى قريش ٣٥٠
- ٤٣- النبى يعلن عن رسالته العالمية حوادث السنة السابعة من الهجرة ٣٥٢-٣٨٥ الرسالة المحمدية كانت عالمية ٣٥٤
- آيات تدلّ على عالمية الرسالة المحمدية ٣٥٥
- رسل الإسلام الى المناطق النائية ٣٥٦
- أوضاع العالم إبان ابلاغ الرسالة الاسلامية العالمية ٣٥٧
- رسول النبي فى أرض الروم ٣٥٨
- سيد المرسلين، ج٢، ص: ٧٧٣
- قيصر يحقق حول النبي (ص) ٣٦٠

- أثر رسالة النبي (ص) الى قيصر ٣٦٣
- سفير النبي (ص) في البلاط الايراني ٣٦٣
- أوامر خسرو برونيز الى واليه على اليمن ٣٦٦
- سفير النبي (ص) في أرض مصر ٣٦٩
- المقوقس يكتب كتابا الى النبي (ص) ٣٧٢
- سفير النبي (ص) في أرض الذكريات «الحبشة» ٣٧٥
- محاورة سفير النبي و حاكم الحبشة ٣٧٧
- تقييم سريع لمراسلة النبي (ص) قادة العالم ٣٧٨
- كتاب رسول الله (ص) الى امير الغساسنة بالشام ٣٨١
- سادس السفراء في أرض اليمن ٣٨٣
- رسائل اخرى لرسول الله (ص) ٣٨٥
- ٤٤- قلعة خيبر أو بؤرة الخطر ٣٨٦- ٤٢٠ احتلال الطرق و النقاط الحساسة ليلا ٣٩٠
- متاريس اليهود تتهاوى ٣٩٢
- التقوى في ظروف المخمصة الشديدة ٣٩٤
- فتح الحصون الواحد تلو الآخر ٣٩٦
- الانتصار الكبير في خيبر ٣٩٩
- تحريف الحقائق ٤٠١
- ثلاث نقاط مشرقة في حياة الامام على (ع) ٤٠٤
- عوامل الانتصار ٤٠٥
- ١- التخطيط العسكري الدقيق ٤٠٦
- ٢- تحصيل المعلومات حول العدو ٤٠٧
- ٣- تفاني الامام على (ع) ٤٠٨
- سيد المرسلين، ج٢، ص: ٧٧٤
- الرحمة في ساحة القتال ٤٠٩
- مصرع كنانة بن الربيع ٤١٠
- تقسيم غنائم الحرب ٤١٠
- قافلة من أرض الذكريات (الحبشة) ٤١٢
- حجم الخسائر و عدد القتلى ٤١٣
- العفو بعد الانتصار ٤١٣
- سلوك اليهود المتعجرف ٤١٦
- حيلة مجازة ٤١٩
- ٤٥- قصة فدك ٤٢١- ٤٢٩ حكم الأراضي المفتوحة بلا قتال ٤٢٢
- قصة فدك بعد رسول الله (ص) ٤٢٥

- فدك في محكمة التاريخ ٤٢٨
- السيطرة على وادي القرى ٤٢٩
- ٤٦- عمرة القضاء ٤٣٠-٤٣٧ النبي (ص) يدخل مكة ٤٣٣
- النبي (ص) يغادر مكة ٤٣٦
- ٤٧- معركة مؤتة السنة الثامنة من الهجرة ٤٣٨-٤٥١ حادثة أفجع من سابقتها ٤٣٩
- خلاف حول من هو الامير الأول ٤٤١
- جيشا الروم و المسلمين يتواجهان ٤٤٤
- حيرة المقاتلين المسلمين بعد مقتل القادة ٤٤٧
- سيد المرسلين، ج٢، ص: ٧٧٥
- الجنود المسلمون يعودون الى المدينة ٤٤٨
- اسطورة بدل التاريخ الصحيح ٤٤٩
- النبي (ص) يبكي بشدة لمقتل جعفر ٤٥٠
- ٤٨- غزوة ذات السلاسل ٤٥٢-٤٦١ تفاصيل هذه الغزوة ٤٥٤
- الامام على (ع) ينتدب لقيادة العملية ٤٥٧
- عوامل انتصار الامام على (ع) في هذه الموقعة ٤٥٧
- اعتراض و جواب ٤٥٩
- ٤٩- فتح مكة ٤٦٢-٥١٢ تفاصيل فتح مكة ٤٦٣
- قريش تتوجس خيفة من رد النبي ٤٦٦
- جاسوس يكتشف ٤٦٩
- النبي (ص) يتحرك باتجاه مكة ٤٧٥
- العفو عند المقدرة ٤٧٧
- تكتيك رائع للجيش الاسلامي ٤٨٠
- العباس يصطحب ابا سفيان الى خيمة النبي (ص) ٤٨٢
- ابو سفيان بين يدي رسول الله (ص) ٤٨٣
- مكة تستسلم من دون إراقة دماء ٤٨٥
- ابو سفيان يرجع الى مكة ٤٨٨
- القوات الاسلامية تدخل مكة ٤٩٠
- كسر الأصنام و غسل الكعبة ٤٩٢
- على عليه السلام على كتف النبي (ص) ٤٩٤
- النبي (ص) يعلن عن العفو العام ٤٩٧
- سيد المرسلين، ج٢، ص: ٧٧٦
- بلال يرفع الأذان على سطح الكعبة ٤٩٧
- النبي (ص) يتحدث الى أقاربه ٤٩٩

- خطاب النبي التاريخي في المسجد الحرام ٥٠٠
- التفاخر بالنسب ٥٠١
- التفاضل بالقومية ٥٠١
- لجميع أبناء البشر لا لبعض دون بعض ٥٠٢
- الحروب الطويلة و الاحقاد القديمة ٥٠٢
- الاخوة الاسلامية ٥٠٣
- معاقبة المجرمين ٥٠٤
- قصة عكرمة و صفوان ٥٠٥
- مبايعة نساء مكة مع النبي (ص) ٥٠٦
- هدم بيوت الأصنام بمكة و ما حولها ٥٠٩
- جرائم اخرى لخالد ٥١١
- ٥٠- معركة حنين ٥١٣- ٥٢٠ جيش قليل النظير ٥١٤
- تحصيل المعلومات العسكرية ٥١٤
- تجهيزات المسلمين ٥١٦
- استقامة النبي و من ثبت من أصحابه ٥١٧
- لقطتان من الخلق النبوي العظيم ٥١٩
- ٥١- غزوة الطائف ٥٢١- ٥٣٦ شذخ جدار الحصن بالمنجنيق ٥٢٣
- ضغوط اقتصادية و نفسية ٥٢٤
- آخر محاولة لفتح حصن الطائف ٥٢٦
- سيد المرسلين، ج٢، ص: ٧٧٧
- الجيش الاسلامي يعود الى المدينة ٥٢٦
- حوادث ما بعد الحرب ٥٢٨
- اسلام مالك بن عوف ٥٣٢
- تقسيم الغنائم ٥٣٣
- رسول الله يعتمر ٥٣٦
- ٥٢- لامية كعب بن زهير المعروفة ٥٣٧- ٥٤٢ حزن قارن فرحا ٥٤٢
- ٥٣- علي بن أبي طالب في أرض طي حوادث السنة التاسعة من الهجرة ٥٤٣- ٥٥١ اسلام عدى بن حاتم الطائي ٥٤٣
- هدم بيوت الأصنام ٥٤٦
- علي في أرض طي ٥٤٧
- ٥٤- غزوة تبوك ٥٥٢- ٥٨٠ تعبئة المقاتلين و تهيئة نفقات الحرب ٥٥٣
- المتخلفون عن القتال ٥٥٤
- اكتشاف شبكة جاسوسية في المدينة ٥٥٥
- عدم مشاركة علي (ع) في غزوة تبوك ٥٥٧

- الجيش الاسلامى يتحرك نحو تبوك ٥٥٩
- النبي (ص) يستعرض جيشه ٥٦٠
- قصة مالك بن قيس ٥٦١
- متاعب الطريق ٥٦٢
- تعليمات احتياطية ٥٦٣
- سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧٧٨
- علم رسول الله (ص) بمغيبات و اخباره بها ٥٦٤
- الجيش الاسلامى فى أرض تبوك ٥٦٨
- بعث خالد الى دومة الجندل ٥٧٠
- تقسيم إجمالى لغزوة تبوك ٥٧٢
- المنافقون يخططون لاغتيال النبي ٥٧٣
- النية تقوم مقام العمل ٥٧٤
- اخذ المتخلفين بالعقاب النفسى ٥٧٦
- قصة مسجد «ضرار» ٥٧٨
- ٥٥- وفد ثقيف فى المدينة ٥٨١-٥٨٧ وقوع الفرقة و الاختلاف فى قبيلة ثقيف ٥٨٢
- شروط وفد ثقيف ٥٨٤
- ٥٦- إعلان البراءة من المشركين فى منى ٥٨٨-٥٩٥ تعصب بغيض فى تحليل هذا الحدث ٥٩٣
- ٥٧- فى رثاء الولد العزيز حوادث السنة العاشرة من الهجرة ٥٩٦-٦٠٠ اعتراض غير وجيه ٥٩٨
- مكافحة الخرافات ٥٩٩
- ٥٨- وفد نجران فى المدينة ٦٠١-٦٠٩ مفاوضات بين وفد نجران و بين النبي (ص) ٦٠٣
- خروج النبي (ص) للمباهلة ٦٠٥
- انصراف وفد نجران عن المباهلة ٦٠٧
- سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧٧٩
- صورة العهد النبوى لوفد نجران ٦٠٧
- أكبر فضيلة ٦٠٨
- ٥٩- تأريخ المباهلة عاما و شهرا و يوما ٦١٠-٦٢١ عام المباهلة حسب المشهور ٦١١
- الشهر و اليوم الذى وقعت فيه المباهلة ٦١١
- رأينا حول عام المباهلة ٦١٢
- زمن المباهلة يوما و شهرا ٦١٤
- هل كانت قضية المباهلة فى السنة التاسعة؟ ٦١٩
- ٦٠- تقييم البراءة من المشركين وفود القبائل فى المدينة ٦٢٢-٦٢٧ محاولة اغتيال النبي (ص) ٦٢٣
- أمير المؤمنين على (ع) فى ربوع اليمن ٦٢٤
- ٦١- حجة الوداع ٦٢٨-٦٣٨ الامام على (ع) يعود من اليمن ٦٣١

- مراسم الحج تبدأ ٦٣٣
- خطاب النبي التاريخي في حجة الوداع ٦٣٤
- ٦٢- إكمال الدين الاسلامي بتعيين الخليفة ٦٣٩- ٦٥٥ اقتضاء المحاسبات الاجتماعية في مسألة الخلافة ٦٤١
- الوقائع التاريخية تؤيد المحاسبات ٦٤٥
- النبوة و الامامة توأمان ٦٤٥
- قصة الغدير ٦٤٦
- سيد المرسلين، ج٢، ص: ٧٨٠
- واقعة الغدير خالدة الى الأبد ٦٤٩
- الدلائل الاخرى على ابدية الغدير ٦٥١
- ٦٣- المتنبيون كذبا التفكير في أمر الروم ٦٥٦- ٦٦٦ لمحمة عن مسيلم الكذاب ٦٥٨
- التفكير في أمر الروم ٦٥٩
- الأعداء غير المقبولة ٦٦٤
- الاستغفار لأهل البقيع ٦٦٥
- ٦٤- الكتاب الذي لم يكتب حوادث السنة الحادية عشرة من الهجرة ٦٦٧- ٦٧٩ ايتوني بقلم و قرطاس ٦٦٨
- ما ذا كان الهدف من الكتاب؟ ٦٧٢
- لما ذا لم يصّر النبي (ص) على كتابة الكتاب؟ ٦٧٤
- ملافاة الأمر و تداركه ٦٧٥
- تقسيم الدنانير ٦٧٧ سيد المرسلين ج ٢ ٧٨٠ (١٢) فهرس المواضيع ص : ٧٦٤
- ب النبي (ص) من الدواء الذي سقى ٦٧٧
- وداع النبي (ص) مع أهله ٦٧٧
- ٦٥- اللحظات الأخيرة ٦٨٠- ٦٨٧ النبي (ص) يتحدث مع ابنته الزهراء (ع) ٦٨١
- وصايا النبي (ص) قبيل رحيله ٦٨٣
- يوم الوفاة ٦٨٥
- الفهارس ٦٨٩

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

بسم الله الرحمن الرحيم

جاهدوا بأموالكم و أنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون (التوبة/٤١).

قال الإمام علي بن موسى الرضا - عليه السلام: رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا أَحْيَا أَمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بِنَادِرُ الْبِحَار - في تلخيص بحار الأنوار، للعلامة فيض الاسلام، ص ١٥٩؛ عيون أخبار الرضا(ع)، الشيخ الصدوق، الباب ٢٨، ج ١/ ص ٣٠٧).

مؤسس مجتمع "القائمية" الثقافي بأصفهان - إيران: الشهيد آية الله "الشمس آبادي" - "رَحِمَهُ اللَّهُ" - كان أحداً من جهايزة هذه المدينة، الذي قد اشتهر بشغفه بأهل بيت النبي (صلوات الله عليهم) و لاسيما بحضرة الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) و

بساحة صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف)؛ ولهذا سيس مع نظره و درايته، في سنة ١٣٤٠ الهجرية الشمسية (= ١٣٨٠ الهجرية القمرية)، مؤسسه و طريقة لم ينطفي مصباحها، بل تتبع بأقوى و أحسن موقف كل يوم.

مركز "القائمة" للتحرى الحاسوبى - بأصهان، إيران - قد ابتدأ أنشطته من سنة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية) تحت عناية سماحة آية الله الحاج السيد حسن الإمامى - دام عزه - و مع مساعده جمع من خريجي الحوزات العلميه و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالات شتى: دينيه، ثقافيه و علميه...

الأهداف: الدفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافه الثقلين (كتاب الله و اهل البيت عليهم السلام) و معارفهما، تعزيز دوافع الشباب و عموم الناس إلى التحرى الأذق للمسائل الدينيه، تخليف المطالب النافعه - مكان البلايتى المتبدله أو الرديئه - فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضيه واسعة جامعته ثقافيه على أساس معارف القرآن و اهل البيت -عليهم السلام - بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطلاب، توسعه ثقافه القراءة و إغناء أوقات فراغه هواه برامج العلوم الإسلاميه، إناله المنابع اللازمه لتسهيل رفع الإبهام و الشبهات المنتشرة فى الجامعه، و...

- منها العداة الاجتماعيه: التى يمكن نشرها و بثها بالأجهزة الحديثه متصاعده، على أنه يمكن تسريع إبراز المرافق و التسهيلات - فى آكناف البلد - و نشر الثقافه الإسلاميه و الإيرانية - فى أنحاء العالم - من جهه أخرى.
- من الأنشطة الواسعه للمركز:

(الف) طبع و نشر عشرات عنوان كتب، كتيبه، نشره شهريه، مع إقامة مسابقات القراءة

(ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقيه و مكتبيه، قابله للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

(ج) إنتاج المعارض ثلاثيه الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرسوم المتحركة و... الأماكن الدينيه، السياحيه و...

(د) إبداع الموقع الانترنتى "القائمة" www.Ghaemiyeh.com و عدده مواقع أخرى

(ه) إنتاج المنتجات العرضيه، الخطابات و... للعرض فى القنوات القمرية

(و) الإطلاع و الدعم العلمى لنظام إجابة الأسئلة الشرعيه، الاخلاقيه و الاعتقاديه (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

(ز) ترسيم النظام التلقائى و اليدوى للبلوتوث، ويب كشك، و الرسائل القصيره SMS

(ح) التعاون الفخرى مع عشرات مراكز طبيعه و اعتباريه، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلميه، الجوامع، الأماكن الدينيه كمسجد جمكران و...

(ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع "ما قبل المدرسه" الخاص بالأطفال و الأحداث المشاركين فى الجلسه

(ى) إقامة دورات تعليميه عموميه و دورات تربيه المربى (حضوراً و افتراضاً) طيله السنه

المكتب الرئيسى: إيران/أصهان/ شارع "مسجد سيد" / "ما بين شارع" پنج رمضان " و مفترق "وفائى" / "بنايه" القائمية "

تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهويه الوطنيه: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المتجر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ٢٥-٢٣-٢٣٥٧٠ (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٢-٢٣٥٧٠ (٠٣١١)

مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التجارية و المبيعات ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١)

ملاحظة هامة:

الميزانية الحالية لهذا المركز، شعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكنّها لا تُوفّي الحجم المتزايد و المتسعّ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثقافيّة؛ لهذا فقد ترجّى هذا المركزُ صاحبَ هذا البيتِ (المُسمّى بالقائمة) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحة بغيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجه الشريف) أن يُوفّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لإعانتهم - في حدّ التمكن لكلِّ احدٍ منهم - إيانا في هذا الأمر العظيم؛ إن شاء اللهُ تعالى؛ و اللهُ وليّ التوفيق.

مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
الغمامة اصححان

WWW



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

